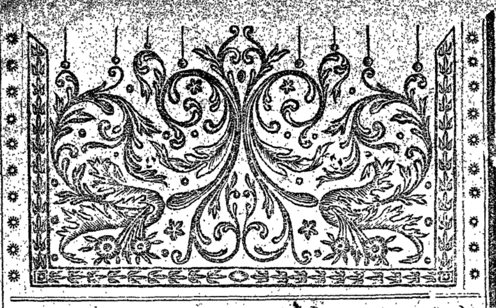
٢ سورة الكهف الحمد لله الذي انزل
٥ فلعلك باخع نفسك على آثارهم
١٠ واذ اعتزلتموهم وما يعبدون
١٤ وكذلك اعثرنا عليهم
٢٣ واصبر نفسك مع الذين يدعون
٢٨ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه
٣٢ المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
٣٦ ولقد صرفنا في هذا القرآن
٤٤ فلما جاوزا قال لفتيه آتنا غدائنا
٤٧ الجزء السادس عشر قال الم اقل لك انك
٥٣ انا مكنا له في الارض وآتيناه
٥٦ قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء
٥٩ سورة المريم كهيعص
٦٨ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه
٧٥ فكلي واشربي وقري عينا
٨٣ وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر
٨٧ ووهبنا له من رحمتنا اخاه
٩٣ رب السموات والارض وما بينهما
١٠٥ افرأيت الذي كفر بآياتنا
١١٣ سورة طه طه ما انزلنا
١٢٠ وانا اخترتك فاستمع لما يوحى
١٢٨ اذ اوحينا الى امك ما يوحى
١٣٨ قال علمها عند ربي في كتاب
١٤٦ قالوا ياموسى اما ان تلقي
١٥١ ولقد اوحينا الى موسى ان اسر
١٥٦ فاخرج لهم عجلا جسدا له
١٦٠ كذلك نقص عليك من انباء
١٦٠ فتعالى الله الملك الـ
١٦٩ وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن
١٧٤ الجزء السابع عشر سورة الانبياء اقترب للناس
١٨٠ وكم قصمنا من قرية كانت
١٨٨ وما ارسلنا من قبلك من رسول
١٩٣ واذا رآك الذين كفروا ان
١٩٧ قل انما انذركم بالوحي
٢٠١ فجعلهم جذاذا الا كبيرا
٢٠٨ وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا
٢١٦ ومن الشياطين من يغوصون له
٢٢٦ والتي احصنت فرجها
٢٣١ لا يحزنهم الفزع الاكبر
٢٣٦ سورة الحج يا ايها الناس اتقوا
٢٤١ وان الساعة آتية لا ريب فيها
٢٤٥ وكذلك انزلناه آيات بينات
٢٤٨ ان الذين كفروا ويصدون
٢٥٦ ذلك ومن يعظم شعائر الله
٢٦١ اذن للذين يقاتلون بانهم
٢٦٤ ويستعجلونك بالعذاب
٢٦٩ الملك يومئذ لله يحكم بينهم
٢٧٢ الم تر ان الله سخر لكم ما في
٢٧٦ يا ايها الناس ضرب مثل
٢٨٠ الجزء الثامن عشر سورة المؤمنون قد افلح المؤمنون
٢٨٦ وانزلنا من السماء ماء بقدر
٢٩٠ فاذا استويت انت ومن معك
٢٩٤ ثم انشأنا من بعدهم قرنا
٢٩٩ والذين هم بربهم لا يشركون
٣٠٣ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم

صحيفه
٣٠٦ ما اتخذ الله من ولد وما كان
٣٠٩ قالوا ربنا غلبت شقوتنا
٣١١ سورة النور سورة انزلناها
٣١٩ ان الذين جاؤا بالافك عصبة
٣٢٤ يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا
٣٢٨ فان لم تجدوا فيها احدا
٣٣٢ وانكحوا الايامى منكم والصالحين
٣٤٥ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
٣٥٠ يقلب الله الليل والنهار
٣٥٥ قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
٣٦٠ واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
٣٦٦ سورة الفرقان تبارك الذى نزل الفرقان
٣٧١ اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها
٣٧٨ الجزء التاسع عشر وقال الذين لا يرجون
٣٨٤ ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق
٣٨٩ ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
٣٩٧ وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
٤٠٢ والذين لا يدعون مع الله الها آخر

صحيفه
٤٠٨ سورة الشعراء طسم تلك ايات الكتاب المبين
٤١٣ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى
٤١٨ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
٤٢١ قال كلا ان معى ربى سيهدين
٤٢٥ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين
٤٢٩ قال وما علمى بما كانوا يعملون
٤٣٠ انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
٤٣٣ وان ربك لهو العزيز الرحيم
٤٣٥ ولا تبخسوا الناس اشياءهم
٤٣٨ ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
٤٤٣ سورة طس تلك ايات القرآن وكتاب
٤٥٠ فلما جاءتهم اياتنا مبصرة
٤٥٧ انى وجدت امرأة تملكهم
٤٦١ وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة
٤٦٥ قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته
٤٧٠ الجزء العشرون فما كان جواب قومه
٤٧٣ امن يبدأ الخلق ثم يعيده
٤٧٧ ان ربك يقضى بينهم بحكمة
تمت



الجلد السادس من تفسير القاضي البيضاوي مع حاشيته شيخ زاده

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وهي مائة واحدى عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب) يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد (ولم يجعل له عوجا) شيأ من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان (قيما) مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال

(قوله رتب استحقاق الحمد) اشارة الى ان ليس تقدير الكلام قولوا الحمد لله بل هو جملة اسمية لا محل لها من الاعراب ناطقة بان حقيقة الحمد له وجميع افراده مختصة به تعالى وانه المستحق لها لانه الذي وصلت الى كل احد نعمته وان الذي وصلت النعمة على يده طريق لوصولها الى الحامد وذلك الغير وان استحق الحمد ايضا في مقابلة سعيه واجتهاده في قضاء حاجة المحتاج الا ان التمكين والاقدار على ذلك السعي ليس الا منه تعالى وبتوفيقه فما يتوجه الى ذلك الغير من الحمد فهو بالحقيقة راجع اليه تعالى وانه تعالى مستعمل لذلك الغير في ايصال نعمته الى العبد الا ان الحمد لا يجب ان يكون في مقابلة النعمة البتة بل قد يكون بمقابلة الفضائل الغير المتعدية كما اشار اليه بقوله في آخر السورة السابقة ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات ويدل عليه ايضا انه تعالى ذكر الحمد لنفسه ليدل على كماله ويدل على اثره اما ما يدل على قدرته وسلطانه فكقوله تعالى الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض واما ما يدل على انعامه وافضاله فكقوله تعالى الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب (قوله وهو في المعاني) قال ابن السكيت كل ما ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش يقال في دينه عوج كذا في الصحاح (قوله او قيما بمصالح العباد) يقال فلان قيم المسجد اذا كان قائما بمصالح المسجد مقيما لشأنه وكذا قيم الاطفال فالقرآن لما كان سببا للهداية الخلق قائما باصلاح الارواح

الشرعية كان كالقيم الشفيق القائم بمصالح الاطفال (قوله او على الكتب) عطف على قوله بمصالح العباد قال بعض اهل التأويل فسر القيم بالشاهد وقال القرآن قيم على الكتب المتقدمة وشاهد عليها فى الزيادة والنقصان وفى التغيير والتحريف مبين مازادوا فيها وما نقصوا وما حرفوا وغيروا والحاصل ان قيما اذا لم يقدر له متعلق كان بمعنى مستقيما فيكون بمعنى غير ذى عوج الا ان من عادة العرب تكرار الكلام واعادته كقوله تعالى محصنات غير مسافحات فانهن اذا كن محصنات لم يكن مسافحات واذا كن مسافحات لم يكن محصنات فهما يؤديان معنى واحدا الا انه كرر بناء على عادة العرب وكذا قوله تعالى لينذر بأسا شديدا فان الشديد هو البأس وكرر للتأكيد هذا اذا لم يقدر لقوله قيما متعلق واما اذا قدر له متعلق فاما ان يقدر على نحو ما فى قوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اى رقيب حفيظ شهيد فيكون تتميما لقوله ولم يجعل له عوجا لان المعنى حينئذ انه كامل فى نفسه مكمل لغيره فيكون بالغا فى الاستقامة جدا ويقدر له البناء على نحو قولهم فلان قيم بهذا الامر اى قائم بمصالحه فيكون تكميلا بمعنى انه مستقيم فى نفسه قيم بامور غيره (قوله تقديره جعله قيما) بزيادة بل ايضا اى ولم يجعل له عوجا بل جعله قيما وقوله قيما سواء كان منصوبا بمضمر او على انه حال من الضمير فى له يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على جمله الصلة بخلاف ما اذا كان قيما حالا من الكتاب فانه حينئذ لا يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على قوله انزل الكتاب لئلا يلزم الفصل بين الحال وذى الحال باجنبى فان الحال من تمام المعطوف عليه وبعض منه والمعطوف اجنبى فاصل بينهما ولا يجوز الفصل بين الحال وذى الحال باجنبى وعلى تقدير ان يكون قوله ولم يجعل معطوفا على انزل قال بعض اهل التأويل الكلام محمول على التقديم والتأخير اى انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا واحسن الوجوه ان يجعل قيما منصوبا بمضمر لان الظاهر ان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فلو جعل قيما حالا من الكتاب لزم العطف قبل تمام الصلة وحمل الكلام على التقديم والتأخير بعيد جدا وكذلك جعل قوله ولم يجعل حالا من الكتاب كأنه قيل انزله منتفيا عنه العوج بعيد خلاف الظاهر واعلم ان حفصا وقف على تنوين عوجا مبدلا الفا بسكتة لطيفة من غير قطع نفس اشعارا بان قيما ليس متصلا بعوجا وانما هو من صفة الكتاب وغيره لم يعبأ بهذا الوهم فلم يسكت اتكالا على فهم المعنى وفعل حفص فى مواضع من القرآن مثل ما فعله ههنا من سكتة لطيفة نافية للوهم الفاسد منها انه يقف على مرقدنا و يبتدئ بقوله هذا ما وعد الرحمن ليفهم من الوقف ان كلام الكفار قد انقضى وان ما بعده

او على الكتب السابقة شهيدا لصحتها واتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير فى له او من الكتاب على ان الواو فى ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما (لينذر بأسا شديدا) اى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه (من لدنه)

صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا) هو الجنة (ماكثين فيه) في الاجر (ابدا) بلا انقطاع (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره (مالهم به من علم) اى بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذى ارادوه فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه (ولا لآبائهم) الذين تقولوه بمعنى التبنى (كبرت كلمة) عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية (تخرج من افواههم) صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها

كلام غيرهم قيل هم الملائكة وقيل المؤمنون ومنها انه يقف على من فى قوله كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق ويبتدئ براق الا يتوهم انها كلمة واحدة على فعال اسم مبنى للمبالغة من مرق يمرق فهو مراق ومنها انه يقف على لام بل فى قوله تعالى بل ران ويبتدئ بران لما تقدم (قوله صادرا من عنده) اشارة الى ان من لدن متعلق بمحذوف منصوب على انه نعت لبأسا او حال من الضمير فى شديد او ان لدن بمعنى عند (قوله وقرأ ابو بكر) اى لدنهى باسكان الدال واشمامها شيأ من الضم وبكسر النون والهاء موصولة بياء ووجهه انه سكن الدال تخفيفا كتسكين عين عضد وسبع فالتقى ساكنان فكسر النون لالتقاء الساكنين فكان حقه ان يكسر الاول على القاعدة المعروفة الا انه يلزم منه العود الى ما فر منه ثم لما كسرت النون كسرت الهاء ايضا اتباعا ووصلها بياء واشمام الدال شيأ من الضم اشارة الى اصلها وقرأ الباقون من لدنه بضم الدال واسكان النون وضم الهاء وابن كثير يصلها بواو ويقرأ من لدنهو نحو منهو وعنهو وغيره لا يصلها بشئ (قوله استعظاما لكفرهم) فان الخاص قد يعطف على العام للتنبيه على مرتبة الخاص وتنزيل تلك المرتبة منزلة المتباين حكما اذ لا يعلم حكم احد المتباينين ببيان حكم المباين الآخر بل لابد من ذكر الآخر بعده والتنصيص على حكمه فكذا يعطف الخاص على العام ويبين حكمه قصدا واصالة بناء على تنزيله منزلة المباين بالنسبة الى العام المذكور قبله بطريق تنزيل التغاير فى الوصف منزلة التباين فى الذات وقوله تعالى مالهم به من علم لا يستدعى تحقق المعلوم فى نفسه لان انتفاء العلم بالشئ قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانه فى نفسه محال لا يمكن تعلق العلم به وما نحن فيه من قبيل الثانى وهذا معنى قوله يقولونه عن جهل مفرط اى لا يحكم به عقولهم ولا يؤدى اليه فكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان بل هو مجرد لقلقة لسانهم يجرى على ألسنتهم ليس فى قلوبهم من معناه شئ وصفت الكلمة بالخروج الذى هو من صفات الاجسام بناء على ان الاصوات والحروف والكلمات المركبة منها انما تحدث بسبب خروج النفس من الحلق فوصفت الاعراض المذكورة بوصف ما يكون سببا لحدوثها والا فالاعراض لا يصح عليها الخروج والانتقال (قوله فانهم كانوا يطلقون الاب الخ) لعل هذا الاطلاق كان جائزا فى شريعة من قبلنا كما يجوز فى شريعتنا نسبة الغضب والرحمة ونحوهما اليه تعالى على ارادة غاياتها الا انه لم يجز فى شريعتنا اطلاق الاب عليه تعالى ولا اطلاق الابن على بعض عبيده لايهام معانى فاسدة (قوله وكلمة نصب على التمييز) لانها ترفع الابهام المستقر

(عن ذات)

عن ذات مقدرة وهى النسبة الملحوظة فى قولك كبرت المقالة اوالكلمة فانها مبهمة لان من سمع تلك الجملة يجوزان يكون المراد ان تلك المقالة كبرت كذبا اوجهلا اوافتراء فلما اضمرفاعل كبرت فيه حصل الابهام واحتاج الى رفعه بخلاف ما اذا قرئ برفع الكلمة على الفاعلية فانه لايضمر فيه شئ فيكون حينئذ على طريق قولك عظم فلان وعلى تقدير الاضمار يكون ذلك راجعا الى مقالتهم المفهومة من قوله تعالى قالوا اتخذالله ولدا اى كبرت مقالتهم تلك كلمة ومعنى الكلام التعجب اى ما اكبرها كلمة وقوله تخرج من افواههم صفة الكلمة تؤذن باستعظامها لان بعض مايخطر بالبال لايجترئ الانسان على اظهاره باللفظ (قوله وقيل صفة محذوف) يعنى قيل ان كبرت بمعنى بئس وفاعله مضمر مفسر بالنكرة المنصوبة بعده على التميز كما فى قولك بئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت كلمة الخارجة من افواههم وقرئ كبرت بسكون الباء واشمام الضم وهى لغة تميم (قوله فاتلها) البخع الاهلاك يقال بخع الرجل نفسه بخعا وبخوعا اى اهلكها على وجد والمقصود من الآية تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى لايعظم حزنك وأسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذرا و بشيرا واما تحصيل الايمان فى قلوبهم فلا قدرة لك عليه والفاء فى قوله فلعلك جواب الشرط وهو قوله ان لم يؤمنوا قدم عليه وحقه التأخير وقال الجمهور جواب الشرط محذوف لدلالة قوله فلعلك قيل كلمة لعل هنا للاشفاق الذى يقصد به التسلى والحث على ترك التحزن والتأسف ثم قيل الاسف هو النهاية فى الغضب كقوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم قال اهل التأويل المعنى فلما اغضبونا وقيل الاسف هو النهاية فى الحزن كقوله تعالى يااسفا على يوسف اى ياحزنا فانه عليه الصلاة والسلام كادت نفسه الكريمة تهلك حزنا عليهم واشفاقا من ان تتلف انفسهم فى النار بتركهم الايمان وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقاتل الكفرة للقتل والاتلاف وانما يقاتلهم ليسلموا و يتخلصوا من الهلاك الابدى فان من كان باخع نفسه اشفاقا عليهم من الهلاك كيف يقاتلهم للاهلاك وقوله تعالى على آثارهم متعلق بقوله باخع اى باخع نفسك من بعد هلاكهم حال بقاء آثارهم وعلاماتهم وعدم اندراسها بالكلية فانه يصح ان يقال مات الثانى فى أثر الاول اى حال بقاء أثره (قوله وقرئ ان بالفتح) قرأ الجمهور ان لم يؤمنوا بكسر الهمزة على انها شرطية فعلى هذه القرآءة يكون باخع الاستقبال فيعمل لان الشرطية للاستقبال كأنه قيل لعلك تبخع نفسك الآن اوغدا ان لم يصدر منهم ايمان وقرئ شاذا بفتح الهمزة على حذف الجار اى لأن لم يؤمنوا فعلى هذه القرآءة المناسب ان يكون باخع للمضى لان لم يؤمنوا ماضى ولاضرورة تدعو الى صرفه

وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام (ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك) قاتلها (على آثارهم) اذاولوا عن الايمان شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم و يبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بهذا القرآن (اسفا) للتأسف عليهم اومتأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية (انا جعلنا ماعلى الارض) من الحيوان والنبات والمعادن (زينة لها) ولاهلها (لنبلوهم ايهم احسن عملا) فى تعاطيه وهومن زهد فيه ولم يغتربه وقنع منه بما يزجى به ايامه وصرفه على ماينبغى

عن معناه ولا يعمل الا اذا جعل حكاية حال ماضية كأنه قيل لعلك بخعت نفسك
لاجل ان لم يؤمنوا فجيء باسم الفاعل لتصوير تلك الحالة في ذهن السامع
واستحضارها وان لم يحمل على حكاية الحال الماضية لايعمل فيجب اضافته
الى مابعده (قوله وفيه تسكين) اى تسكين لوجده واغتمامه على عدم
ايمانهم ووجه التسكين ان الآية لما دلت على ان اهل الارض لم نعطهم ماعليها
من الزينة لينتفعوا به مجانا وانما اعطى لهم ذلك ابتلاء واختبارا ليظهر منهم
ماعلم الله تعالى انه يكون منهم فيجازى كل واحد ممن آثر الحياة الدنيا وزينتها
ومن آثر رضى الرحمن وطاعته على حسب قصده ونيته ظهر له عليه الصلاة
والسلام ان شانه ومايليق به ليس الا اشارة المطيع وانذار العاصى وانه تعالى
هو المطلع على اعمالهم ونياتهم ومن يستحق لان يخلق فيه الاهتداء والضلالة
فيسكن بذلك وجده وغضبه والزهد خلاف الرغبة يقال زهد في الشيء وعن الشيء
بمعنى واحد اى لم يرده ولم يرغب فيه والصعيد التراب وقيل الصعيد المستوى
من الارض وقيل هو وجه الارض مطلقا والجرز الذى لا نبات فيه ولاماء
(قوله بل أحسبت) اشارة الى ان ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة وبل هى
الى الانتقال لا لابطال ماسبق والهمزة للانكار وذكر الله تعالى اولا من الآيات
الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التى لاحصر لها ثم ذكر انه
يزيل ذلك كله ويجعله كأن لم يكن ثم اضرب عنه وقال ام حسبت كأنه قيل
يتعجب من قصة اصحاب الكهف ولايتفكر في سائر الآيات فان تزيين الارض
بانواع المعادن والحيوان والنبات وازالتها بالكلية بعد ما اخذت الارض زخرفها
وازينت اعظم واعجب من قصة اصحاب الكهف والانسان عادته ان يتعجب
من شيء قل انسه به وان كان الذى بحضرته اعجب منه قال الامام تعجبوا
من قصة اصحاب الكهف وسألوها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
على سبيل الامتحان فقال الله تعالى ام حسبت انهم كانوا من آياتنا عجبا فقط
ولا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض
ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا
جرزا خاليا من الكل كيف يستبعدون قدرته على حفظ طائفة مدة ثلثمائة سنة
او اكثر فى النوم روى ان قريشا بعثوا الى المدينة رهطا وقالوا لهم سلوا احبار
اليهود عن محمد وصفته واخبروهم عن قوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم
من العلم ماليس عندنا من علم الانبياء فخرج الرهط حتى قدموا المدينة فسألوا احبار
اليهود عن اخبار محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقال احبار اليهود سلوه عن ثلاث عن
فتية ذهبوا فى الدهر الاول ماكان من امرهم فان حديثهم عجب وعن رجل طوف

وفيه تسكين لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
(وانا لجاعلون ماعليها
صعيدا جرزا) تزهيد
فيه والجرز الارض التى
قطع نباتها مأخوذ
من الجرز وهو القطع
والمعنى انا لنعيد ماعليها
من الزينة ترابا مستويا
بالارض ونجعله كصعيد
املس لانبات (ام حسبت)
بل احسبت (ان اصحاب
الكهف والرقيم) فى ابقاء
حياتهم مدة مديدة
(كانوا من آياتنا عجبا)
وقصتهم بالاضافة الى
خلق ماعلى الارض من
الاجناس والانواع
الفائتة للحصر على طبائع
متباعدة وهيئات متخالفة
تعجب الناظرين من مادة
واحدة ثم ردها اليها ليس
بعجيب مع انه من آيات الله
كالنزر الحقير والكهف
الغار الواسع فى الجبل
والرقيم اسم الجبل اوالوادى
الذى فيه كهفهم اواسم
قريتهم اوكلبهم قال امية
بن ابى الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم فى الكهف همدا اولوح رصاصى او حجرى رقمت فيه اسماؤهم
وجعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهليهم فاخذتهم السماء فأووا الى
الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال احدهم استعملت
اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره
فوضعته فى جانب البيت ثم مربى بقر ﴿ ٧ ﴾ فاشتريت به فصيلة فبلغت ماشاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا
لا اعرفه وقال ان لى عندك
حقا وذكره حتى عرفته
فدفعتها اليه جميعا اللهم
ان كنت فعلت ذلك
لوجهك فافرج عنا
فانصدع الجبل حتى
رأوا الضوء وقال آخر كان
فى فضل واصابت الناس
شدة فجاءتنى امرأة فطلبت
منى معروفا فقلت والله
ماهو دون نفسك فأبت
وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم
ذكرت لزوجها فقال
اجيبى له واغيثى عيالك
فاتت وسلمت الى نفسها
فلما تكشفتها وهممت
بها ارتعدت فقلت مالك
قالت اخاف الله فقلت لها
خفته فى الشدة ولم اخفه
فى الرخاء فتركتها واعطيتها
ملتمسها اللهم ان كنت
فعلته لوجهك فافرج
فانصدع حتى تعـ. .
وقال الثالث كان لى ابو .
همان وكان لى غنم وكنـ
اطعمهما واسقيهم
ارجع الى غنمى فحبسنى ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فأتيت اهلى واخذت محلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما
نائمين فشق على ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبى على يدى حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته
لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير (اذ أوى الفتية الى الكهف) يعنى فتية من اشراف
الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فأووا هربوا الى الكهف (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) توجب لنا المغفرة والرزق
والامن من العدو (وهيئ لنا من امرنا) من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) نصير بسببه راشدين مهتدين

قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ماكان نبأه وسلوه عن الروح ماهو فان اخبركم
عن اثنين ولم يخبركم عن الثالث فهو نبى والا فتقول فلما قدم الرهط مكة قالوا
قد جئناكم بتفصيل مابيننا وبين محمد واخبروا ماقالت اليهود فجاؤا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وسألوه فقال عليه الصلاة والسلام اخبركم بما سألتم
عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فيما يذكرون خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك حتى ارجف اهل مكة به وقالوا
وعدنا محمد غدا واليوم مضى خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك ثم جاء جبريل
من عند الله عز وجل بسورة اصحاب الكهف وفيها معاتبة الله تعالى اياه على
حزنه وفيها خبر اولئك الفتية وخبر الرجل الطواف وعجبا فى قوله تعالى كانوا
من آياتنا عجبا خبر كان ومن آياتنا حال منه لانه فى الاصل صفته فلما قدم
صار حالا قال امية بن ابى الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم فى الكهف همدا

استشهد على ان الرقيم الكلب وهذا يدل على ان قصة اصحاب الكهف
كانت فى بلاد العرب وان لم يكونوا عالمين على وجهها * والوصيد فناء البيت وهو
مفعول مجاورا والهمد جمع هامد بمعنى الراقد والنائم يعنى ان اصحاب الكهف
كانوا رقودا فى الغار وكلبهم مجاورا لوصيدهم كما قال تعالى وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد (قوله اولوح رصاصى) فيكون الرقيم بمعنى المرقوم وهو المكتوب
قال تعالى كتاب مرقوم اى مكتوب (قوله تعالى اذ أوى الفتية) منصوب
بعجبا او باذكر المقدر لا بقوله ام حسبت لانه كان بين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وبينهم مدة طويلة فلا يجوز حسبانه عليه الصلاة والسلام فى ذلك الوقت
الذى أووا فيه الى الكهف اى صاروا فيه وكانوا فتية اى شبانا متفقا ابن
فى الاسنان من اولاد عظماء الروم آمنوا بربهم وكان ذلك الايمان عبرة وتفكرا منهم
فى عظمة الله تعالى وملكه وقدرته لم يأتهم بذلك نبى ولم يقرأوا كتابا ولم يدركوا

زمان نبوة وكانوا فى زمن فترة قبل ان بعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام
ثم بعثه الله تعالى وهم فى الكهف راقدون ولبث فى امته ثلاثا وثلاثين سنة ثم رفعه الله
ومضى بعده زمان طويل ثم بعثهم الله تعالى وايقظهم واطلع اهل ذلك العصر
على حالهم ليعلموا ان وعد الله بالبعث حق وان الساعة آتية (قوله اواجعل
امرنا كله رشدا) على ان تكون كلمة من فى قوله من امرنا رشدا تجريدية اذ هو
الامر بعينه مبالغة فى ارشاده ولهذا قال اجعل امرنا كله رشدا والتجريد
من المحسنات البديعية المعنوية وهو ان ينتزع من امر ذى صفة امر آخر مماثل
لذلك الامر ذى الصفة فى تلك الصفة لاجل المبالغة فى كمال تلك الصفة فى ذلك
الامر ذى الصفة حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح
ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة فان جعلت كلمة من فى الآية تجريدية
يكون مطلوبهم ان يبلغ امرهم فى الرشد والهداية حدا يصح مع ذلك الحال يستخلص
منه امر آخر مثله فى الرشد وفى الوجه الاول تكون من متعلقة بهيئ ويكون المعنى
انهم لما هربوا الى الكهف وفارقوا الناس وطلبوا سلامة الدين سألوا ربهم
ان يهيئ لهم الرشد والاستقامة فى مفارقتهم الكفار (قوله يعنى انمناهم انامة
لا تنبههم فيها الاصوات) يعنى ان ضرب الحجاب المانع من ان تصل الاصوات
الموقظة الى آذانهم واسماعهم كناية عن الانامة الثقيلة [illegible] عليها
لان الصوت والتنبيه طريق ازالة النوم فسد طريقه يدل على استحكام النوم
وتقرره وخصت الآذان دون العيون مع ان النوم يتعلق بها دون الآذان لان ضرب
الحجاب على العين لا يصلح كناية عن المبالغة فى النوم لان سد الابصار لا يدل
على كمال ان لا يكون ماهو طريق الازالة مؤثرا فى زواله (قوله بنى على امرأته)
اى بنى عليها القبة عند دخوله عليها فان العرس كان يبنى على اهله حجابا
(قوله ظرفان لضربنا) الاول ظرف مكان والثانى ظرف زمان والمعنى
انمناهم فيه سنين ذوات عدد وقد بينها الله تعالى بقوله ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة
سنين وازدادوا تسعا (قوله ليتعلق علمنا تعلقا حاليا) لما كان قوله تعالى
لنعلم متعلقا بقوله بعثنا ودل الكلام على ان يكون علمه تعالى حادثا مترتبا على
ايقاظهم دفع ذلك الاحتمال بما يدل على ان علمه تعالى سرمدى لا يجوز عليه
التغير والزوال وانما التغير فى المعلومات وانه تعالى عالم بها فى الازل على ما ستكون
عليه فى اوقات حدوثها وبقائها وكلما تجدد لها حال من الاحوال تعلق علمه
تعالى بتلك الحال عند تجددها فالتجدد والتغير انما هو فى تعلقات العلم لا فى نفسه
[illegible] انه تعالى لا يعلم الحوادث قبل وقوعها ولا [illegible] حدوثها
واحتج عليه بهذه الآية (قوله المختلفين منهم او من غيرهم) اشارة الى

اواجعل امرنا كله رشدا
كقولك رأيت منك اسدا
واصل التهيئة احداث
هيئة الشئ (فضربنا على
آذانهم) اى ضربنا عليها
حجابا يمنع السماع بمعنى
انمناهم انامة لا تنبههم
فيها الاصوات فحذف
المفعول كما حذف فى قولهم
بنى على امرأته (فى الكهف
سنين) ظرفان لضربنا
(عددا) اى ذوات عدد
او وصف السنين به
يحتمل التكثير والتقليل
فان مدة لبثهم كبعض يوم
عنده (ثم بعثناهم)
ايقظناهم (لنعلم) ليتعلق
علمنا تعلقا حاليا مطابقا
لتعلقه اولا تعلقا استقباليا
(اى الحزبين) المختلفين
منهم او من غيرهم فى مدة
لبثهم

ان اهل التأويل اختلفوا فى الحزبين قال مجاهد رضى الله عنه ان الحزبين من الفتية لان اصحاب الكهف لما انتبهوا اختلفوا فى انهم كم ناموا ويدل عليه قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فاصحاب الكهف كانوا حزبين استقل احدهما مدة لبثهم واستطالها آخرون وهم الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وقال الفرآء ان طائفتين من المسلمين اختلفوا فى مدة لبثهم فى الكهف قبل خروجهم منه فبعثهم الله تعالى ولم يبين ذلك بل ابهمه وليس لنا حاجة الى تعيين ما ابهم الله تعالى بيانه (قوله ولما لبثوا حال منه) اى من امدا لانه لو أخر عنه لكان نعتا له فلما قدم عليه صار حالا والمعنى ضبط امدا كائنا لزمان لبثهم فى الكهف وان كانت اللام لام العلة يكون المعنى حينئذ انه لم اى الحزبين احصى اى علم كما احصاه الله ونحوه للسبب الذى لبثوا فيه لاجله (قوله وقيل احصى اسم تفضيل) لم يرض به لان افعل من كذا ليس من باب افعل يفعل وقولهم مااولاه للخير وما اعطاه للمال من الشواذ والشاذ النادر لا يقاس عليه والمذاق روى بالدال والذال وهو رجل من بنى عبد شمس وبوه واجداده يعرفون بالافلاس قال الشاعر فى حقه

ولك ان ترجو شيئا وفيها ❊ كراجى الندا والعرف عند المذاق

وقوله وامدا نصب بفعل دل عليه احصى اى دل احصى الذى هو للتفضيل على ذلك الفعل المقدر من جنسه واحتيج الى الاضمار لان افعل التفضيل لا يعمل فى مظهر واول البيت

ولم ار مثل الحى حيا مصبحا ❊ ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا

اكر واحمى للحقيقة منهموا ❊ واضرب منا بالسيوف القوانسا

اصبح المغار عليه وقت الصبح وحقيقة الرجل ما يحق على الرجل ان يحميه والدفع عن اهل بيته والقوانس جمع قونس وهو اعلى البيضة من الحديد ويطلق على ما بين اذنى الفرس ايضا يمدح كلا الفريقين اعداءه واصحابه يقول لم ار مغارا عليهم مثل الذين صبحناهم ولا غيرى مثلنا يوم اتيناهم وقت المغار ثم وصفهم بكمال الشجاعة لكن ادل على شجاعة من غلب عليهم والقوانس فى البيت منصوب بفعل مقدر من جنس افعل التفضيل اى يضرب القوانس بمعنى افعل التفضيل لانه لا يعمل فى المظهر فكذا فيما نحن بصدده ولذا قيل انه اسم لا يعمل فى مظهر فاعل او مفعول به فلم لا يجوز ان يكون امدا منصوبا على التمييز ويعمل فيه احصى كما فى اكثرهم مالا واحسن وجها اجيب بان التمييز فى امثال ذلك انما هو فاعل فى المعنى لان المال هو الذى كثر والوجه هو الذى حسن وليس الامد هو الذى احصى (قوله تعالى آمنوا بربهم) فيه التفات

(احصى لما لبثوا امدا) ضبط امدا لزمان لبثهم وما فى اى من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله ❊ واضرب منا بالسيوف القوانسا (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (انهم فتية) شبان جمع فتى كصبى وصبية (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) ما ثبت (وربطنا على قلوبهم)

وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجرأة على اظهار ﴿١٠﴾ الحق والرد على دقيانوس الجبار (اذ قاموا)

بين يديه (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا) والله لقد قلنا قولا اذا شططا اى ذا بعد عن الحق مفرط فى الظلم (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبر وهو اخبار فى معنى انكار (لولا يأتون) هلا يأتون (عليهم) على عبادتهم (بسلطان بين) ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب بعضهم لبعض (وما يعبدون الا الله) عطف على الضمير المنصوب اى واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه

(فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم) يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم (من رحمته) فى الدارين (ويهيئ)

من التكلم الى الغيبة اذ لو جاء على نسق قوله نحن نقص عليك لقيل بربك وقوله زدناهم وربطنا التفات من هذه الغيبة الى التكلم ايضا (قوله وقويناها بالصبر) يعنى ان قوله تعالى وربطنا على قلوبهم استعارة تبعية شبه تثبيت قلوبهم وتقويتها وحملها على الصبر على الشدائد التى تحملوها بربط الدابة وشدها بالرباط وهو الحبل يقال ربط الدابة شدها بالرباط والمربط ايضا هو الحبل ومن المجاز ربط الله على قلوبهم لانه يتعدى بنفسه الا انه نزل منزلة اللازم وزيدت كلمة على الاستعلائية للمبالغة والدلالة على كون الربط والتقوية مستوليا على قلوبهم مستقرا عليها كما فى قوله ويجرح فى عراقيبها نصلى (قوله اذ قاموا) منصوب بربطنا والمعنى قوينا قلوبهم اذ قاموا بين يدى ملكهم دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض افتخارا بتوبية الله تعالى بين يدى ذلك الجبار بتقوية الله تعالى اياهم على مخافته وعصيانه وقيل انهم كانوا عظماء المدينة فخرجوا منها ذات يوم فاجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال اكبرهم انى لأجد فى نفسى شيأ وهو ان ربى رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك نجد فى انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض (قوله والله لقد قلنا قولا ذا شطط) يعنى ان قوله لقد قلنا جواب قسم مضمر وشططا مصدر شطت الدار تشط اى بعدت وشط الرجل اى بعد عن الحق واشتط جاوز القدر فى كل شئ اشار اليه بقوله مفرط فى الظلم وانتصابه على انه صفة مصدر محذوف اى قولا ذا شطط لان اذن جواب وجزاء (قوله تعالى لولا يأتون) تحضيض فيه معنى الانكار وقوله عليهم تقديره على عبادتهم وعلى اتخاذهم فحذف المضاف للعلم به ولم يكتفوا بالانكار على اتخاذهم اياها شركاء وعبادتهم اياها من غير ان يقيموا برهانا قطعيا على صحته فقالوا ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم منه يعنى ان الحكم بان له تعالى شريكا والاعتقاد به مع ان ما دل عليهما ظلم وافتراء عليه تعالى (قوله تعالى وما يعبدون) ذكر فيه ثلاثة اوجه الاول ان ما بمعنى الذى والعائد محذوف اى واعتزلتم الذى يعبدونه اشار اليه بقوله ومعبوديهم وقوله الا الله مستثنى متصل من الذى يعبدونه والثانى ان تكون ما مصدرية وان يكون الا الله مستثنى متصلا ايضا بتقدير المضاف اى واذ اعتزلتموهم اى تركتموهم وعبادتهم الا عبادة الله والثالث ان تكون نافية وتكون الجملة من كلام الله تعالى وقعت معترضة بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم والاعلام بانه اخبر الله تعالى عن الفتية انهم لا يعبدون غيره (قوله من امركم) متعلق بالفعل قبله ومن لابتداء الغاية او للتبعيض وقيل هى بمعنى بدل كما فى قوله

(ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) ما ترتفقون به اى تنتفعون وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم ﴿١١﴾ وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح (وترى الشمس) لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او لكل احد (اذا طلعت تزاور عن كهفهم) تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا اولان الله تعالى زورها عنه واصله تتزاور فادغمت التاء فى الزاى وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم وتصرم عنهم (ذات الشمال) يعنى يمين الكهف وشماله قوله (وهم فى فجوة منه) اى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف فى مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويبلى ثيابهم (ذلك من آيات الله) اى شأنهم وايواؤهم

تعالى رضوا بالحياة الدنيا من الآخرة ويجوز ان يكون حالا من مرفقا فيتعلق بمحذوف (قوله تعالى مرفقا) قرأ الجمهور بكسر الميم وفتح الفاء وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء فقيل هما لغتان بمعنى واحد فى الجارحة وفى ما يرتفق به اى ينتفع به وقد يستعمل كل واحد منهما فى موضع الآخر وقيل هما لغتان فيما يرتفق به واما الجارحة فبكسر الميم فقط (قوله لخلوص يقينهم) اى لخلوص يقينهم عن شوب الشك والناصع الخالص من كل شئ (قوله لو رأيتهم) يعنى ان قوله تعالى وترى ليس المراد به ان المخاطب يرى هذه الصورة بل المقصود بيان ان باب ذلك الكهف الى جهة الشمال نحو بنات نعش فتكون الشمس طالعة وغاربة لا تدخل عليهم فيؤذيهم حرها وتغير الوانهم فالمعنى انك لو رأيتهم على هذه الصورة ثم اخبر انهم كانوا فى متسع من الكهف ينالهم فيه برد الريح ونسيم الهواء فقال وهم فى فجوة منه اى من الكهف والفجوة متسع فى مكان قال الراغب فى فجوة اى فى ساحة واسعة (قوله لان الكهف كان جنوبيا) اى كانت ساحة الغار وداخله فى جانب الجنوب وذلك يقتضى ان يكون بابه فى جانب الشمال (قوله اولان الله تعالى زورها عنه) يعنى ان للمفسرين فى تفسير الآية قولين الاول ان باب ذلك الكهف كان الى جانب الشمال مستقبل بنات نعش لا يقع فيه شعاع الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك من حيث ان الشمس اذا طلعت تطلع عن يمين الكهف واذا غربت تغرب عن شماله فضوء الشمس ما كان يصل الى داخل الكهف وكان الهواء الطيب والنسيم الموافق يصل اليهم فلا جرم بقيت اجسامهم مصونة عن العفونة والفساد والقول الثانى ان الله تعالى منع ضوء الشمس عن الوقوع عليهم عند طلوعها وعند غروبها وكان ذلك فعلا خارقا للعادة وكرامة عظيمة خص الله تعالى بها اصحاب الكهف قاله الزجاج واستدل على صحته بقوله ذلك من آيات الله قال ولو كان الامر كما ذكره اصحاب القول الاول لما كان ذلك كرامة عجيبة من آيات الله (قوله واصله تتزاور) وذلك لانه اختار قراءة تزاور بفتح الزاى المشددة واصله تتزاور فاسكنت التاء الثانية فادغمت فى الزاى وقرأ الكوفيون تزاور بحذف احدى التاءين للتخفيف وابن عامر ويعقوب تزور باسكان الزاى وتشديد الراء من ازورار وهو العدول عن الشئ والزور بالتحريك الميل يقال زور عنه وازور عنه وتزاور عنه وتزور كله عدل عنه وانحرف (قوله وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين) اى حلاصة

الى كهف شأنه كذلك او اخبارك قصتهم اوازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته (من يهد الله) بالتوفيق (فهو المهتد) الذى اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها (ومن يضلل) ومن يخذله (فلن تجد له وليا مرشدا) من يليه ويرشده (وتحسبهم ايقاظا) لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم ۞ ١٣ ۞ (وهم رقود) نيام (ونقلبهم) فى رقدتهم (ذات اليمين وذات الشمال) كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اى وترى تقلبهم (وكلبهم) هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اى وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل (بالوصيد) بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة (لو اطلعت عليهم) فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو (لوليت منهم فرارا) لهربت منهم فرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال (ولملئت منهم رعبا) خوفا يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم عن معاوية رضى الله تعالى عنه انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله تعالى عنه ليس لك ذلك وقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم (بضم) وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل (وكذلك بعثناهم) وكما انمناهم

المعنى ان الشمس حين طلوعها تميل عن كهفهم جهة اليمين الا ان ذات اليمين صفة اقيمت مقام الموصوف لما تقرر ان كلمة ذو وذات موضوعة لان يوصف بها النكرة ولعل تعريف الجهة للعهد الذهنى فيكون كالنكرة معنى ولو قال جهة ذات اسم اليمين لكان اظهر (قوله والمراد به اما الثناء عليهم) لانهم تفكروا فى دلائل وحدانية الله تعالى وعظمته وقدرته من غير ان يأتيهم بذلك وحى الهى ومن غير ان يقرأوا كتابا سماويا وان يجالسوا اهل التوحيد والمعرفة لكونهم فى زمان فترة من الرسل قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام فيكون قوله تعالى من يهد الله فهو المهتدى كالتذييل للكلام السابق من قوله تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف الى ههنا وجئ به عاما فى كل من سلك طريق المهتدين ومن آثر الغواية وقلب قلبه اسلافه الضالين ليدخل اصحاب الكهف فى الاولين دخولا اوليا ويدخل دقيانوس الضال فى الآخرين كذلك والتذييل هو ان تقطع الكلام بما يشتمل على معناه تأكيدا ولا محل له من الاعراب (قوله او التنبيه الخ) على ان يكون قوله من يهد الله فهو المهتدى مرتبطا بقوله ذلك من آيات الله وفى التيسير ذلك من آيات الله اى ما اخبرنا من قصتهم آية صدقك فى دعوى النبوة فمن هداه الله بها صدقك لذلك فآمنوا بالله تعالى ووحدوه واعتزلوا اهل الشرك والضلال وآثروا مواضع الخالية فى الجبال على طيب العيش فى الاوطان والاموال طلبا لمرضاة الملك المتعال (قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا) قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائى بكسر السين ومعناه كما ذكر فى قوله وترى الشمس اى فلو رأيتهم لحسبتهم ايقاظا وهو جمع يقظ بضم القاف وكسرها وهو اليقظان ورقود جمع راقد كقاعد وقعود (قوله او كلب راعى مروا به) اى مروا براعى غنم فقال لهم اين تذهبون فقالوا نفر من هذا الجبار فقال الراعى ما انا اغنى عن ربى منكم فترك غنمه ولحق بهم فتبعه كلبه (قوله وقيل الوصيد الباب) قيل الكهف لا يكون له باب ولا عتبة والمراد موضع الباب والعتبة (قوله وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو) قرأها الجمهور بكسر الواو على ما هو الاصل فى التقاء الساكنين وقرئ

بضم الواو وتشبيهالها بواو الضمير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه غزا مع
معوية غزوة المضيق نحو الروم فمروا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف
فقال معوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك
قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت
منهم رعبا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث رجالا وقال لهم اذهبوا
فادخلوا الكهف فارسل الله عليهم ريحا فاحرقتهم كذا في الوسيط (قوله
ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم) فانه يجوز ان حالة غريبة تدل على كمال
قدرة الله تعالى فيزدادون هدى واستيقانا وفي شرح التأويل اخبر الله تعالى
انه انما بعثهم التسؤل فحينئذ لا تكون اللام لام كي بل هي لام العاقبة لانه
لما علم منهم مايكون عند بعثهم من التساؤل بعثهم لذلك وكذلك جميع ما يخلق
ويشاء انما يخلق لما يعلم انه كذا فظهر ما علم على ما علم وهو كقوله تعالى
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ذرأهم لما علم انه يكون منهم
وهو ان يعملوا عمل اهل جهنم فيصيروا اليها وعلى هذا قوله تعالى وماخلقت
الجن والانس الا ليعبدون معناه ان من علم انه يعبد ويعمل عمل اهل الجنة
خلقه لذلك والحاصل ان كل ما يخلقه الله تعالى انما يخلقه لما يعلم
انه كائن منه اذ لايجوز ان يخلق لغير ما يعلم انه يكون منه اذ يجري الفعل لذلك مجرى
العجز والجهل بالعواقب وهو متعالي عن ذلك علوا كبيرا او يخرج الفعل
لذلك مخرج العجز والجهل بالعواقب فاذا كان الله تعالى عالما بما كان وما يكون
وتعالى عن ان يكون فعله عبثا لم يجز ان يخلق شيأ بغير ما علم انه يكون وهكذا
يكون في الشاهد فان من عمل عملا لغير ما علم انه يكون فهو عابث وجاهل
بعاقبة عمله وكم في قوله تعالى كم لبثتم استفهامية منصوبة بالفعل الذي بعدها
كما في قولك كم يوما صمت لان الفعل الذي بعدها غير مشتغل عنها بضميرها رفع
منه تكون كم معربة على حسب اقتضاء العامل والمميز محذوف تقديره كم يوما
لبثتم حذف لدلالة الجواب عليه واو في قوله او بعض يوم للشك منهم لما ذكره
من ان جوابهم هذا مبني على غالب الظن قيل انهم دخلوا الكهف اول
النهار فنظروا حين استيقظوا فاذا هو آخر النهار فقالوا لبثنا يوما ثم رأوا
من الشمس بقية فقالوا او بعض يوم وهم في هذا الجواب وان كانوا مخطئين
الا انهم لما بنوا هذا الجواب على غالب الظن وكان الامر عندهم كذلك
لم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخذوا به (قوله ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى)
يدل على ان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم وان ما بعده بدل منه وعلى الاحتمال الثاني يكون اصحاب الكهف ثلاث

آية بعثناهم آية على كمال
قدرتنا (ليتساءلوا بينهم)
ليسأل بعضهم بعضا
فيتعرفوا حالهم وما صنع
الله بهم فيزدادوا يقينا
على كمال قدرة الله تعالى
ويستبصروا به امر البعث
ويشكروا ما انعم به عليهم
(قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم) بناء على غالب ظنهم
لان النائم لايحصي مدة
لبثه ولذلك احالوا العلم
الى الله تعالى (قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم) ويجوز
ان يكون ذلك قول بعضهم
وهذا انكار الآخرين
عليهم وقيل انهم لما
دخلوا الكهف غدوة
وانتبهوا ظهيرة ظنوا
انهم في يومهم او اليوم
الذي بعده قالوا ذلك فلما
نظروا الى طول اظفارهم
واشعارهم قالوا هذا

ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم فقالوا ﴿١٤﴾ (فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة)

فرق قال واحد منهم كم لبثتم واجاب جماعة منهم بان قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانكر عليهم الآخرون بان قالوا ربكم اعلم بما لبثتم روى ان ابن عباس استدل بهذه الآية على ان الصحيح من الاقوال في عددهم انهم سبعة لان الله تعالى قال في اول الآية قال قائل منهم هذا واحد وقال في جواب قول هذا القائل قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقالوا قول جمع اول واقله ثلاثة ثم قال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخر سواهم خاطب هذا الجمع الاول بان قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فكان المجيبون ستة والسائل واحدا فالمجموع سبعة (قوله ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم) بيان لوجه ارتباط قولهم فابعثوا احدكم الآية بما قبله الذي هو تذاكر حديث اللبث مع انه لا مناسبة بينهما بحسب الظاهر وتقريره ان الآية من باب اسلوب الحكيم كقوله

اتت تشتكي عندي مزاولة القرى ❊ وقد رأت الضيفان ينحون منزلي
فقلت كأني ما سمعت كلامها ❊ هم الضيف جدي في قراهم وعجلي

وكقول بعضهم للحجاج وقد قال الحجاج له متوعدا لاحملنك على الادهم يعني القيد مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اي على الفرس الادهم يعني الذي غلب سواده والاشهب الذي غلب بياضه فان المتكلم قد يتلقى المخاطب بغير كلامه لحمله على وجه آخر وقوله وقرأ ابو عمرو الى قوله بالتخفيف اي باسكان الراء وفتح الواو والباقون بكسر الراء وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وقرئ بالتخفيف اي باسكان الراء وكسر الواو وبادغام القاف في الكاف وبعدم ادغامها (قوله وحملهم له) اي حمل اصحاب الكهف للورق يدل على ان امساك الزاد امر مشروع لاينافي التوكل (قوله من العود بمعنى الصيرورة) كما يقال للآخرة معاد فانه من العود بمعنى التحول لان العود بمعنى الرجوع الى الامر الاول (قوله اذ دخلتم في ملتهم) قدره لكون اذا مضافا فان قيل أليس انهم لو اكرهوا على الكفر حتى اظهروه لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا ابدا اجيب بانه يحتمل ان يكون المراد انهم خافوا من انهم لو ردوا الى الكفر وبقوا مظهرين لذلك الكفر مدة لربما تميل قلوبهم الى ذلك الكفر ويصيرون كافرين في الحقيقة ولهذا الاحتمال خافوا وقالوا ذلك (قوله أطلعنا عليهم) اي على احوالهم غيرهم يقال عثرت على كذا اي علمته واختلفوا في السبب الذي عرف الناس طول مدة اصحاب الكهف على وجهين الاول انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وظهرت في بشرة وجوههم آثار عجيبة تدل على ان مدتهم قد طالت طولا خارجا عن

والورق الفضة مضروبة كانت اوغيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس (فلينظر ايها) اي اهلها (ازكى طعاما) احل واطيب واكثر وارخص (فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم احدا) ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور (انهم ان يظهروا عليكم) ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير لاهل المدينة في ايها (يرجموكم) يقتلوكم بالرجم (او يعيدوكم في ملتهم) او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا (ولن تفلحوا اذا ابدا) اذ دخلتم في ملتهم (وكذلك اعثرنا عليهم) وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم

(ليعلموا) ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) بالبعث او الموعود الذى هو البعث (حق) لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث (وان الساعة ﴿١٥﴾ لا ريب فيها) وان القيامة لا ريب فى امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل و التفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها (اذ يتنازعون) ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون (بينهم امرهم) امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان ليرتفع الخلاف وليتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة نبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا) وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعين فى زمانهم او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتقاولوا الكلام فى انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا

العادة والثانى ان ذلك الرجل الذى بعثوه الى المدينة لما ذهب الى السوق ليشترى الطعام اخرج الدراهم التى عليها اسم دقيانوس فقال صاحب الطعام هذه الدراهم غير موجودة فى هذا اليوم وانما كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدة مديدة ودهر داهر ولعلك وجدت كنزا فاجتمع الناس اليه وحملوه الى ملك البلد فقال الملك من اين وجدت هذه الدراهم فقال بعت بها شيأ من التمر وخرجنا فرارا من الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك انه ما وجد كنزا بل الله تعالى بعثه بعد موته (ليعلموا ان وعد الله بالبعث) على ان الوعد مصدر على حاله اى ليعلموا ان ما اخبرهم الرسل من بعث الاموات ليس اختراعا من عند انفسهم بل كونه وعد الله تعالى وخبرا منه حق فان القوم لما علموا ان الله تعالى أنامهم مدة طويلة وابقاهم من غير طعام ولا شراب فى تلك المدة على ان الانسان لا يبقى من غير طعام ولا شراب فى مدة اسبوع فضلا عن مثل تلك المدة علموا ان من قدر على حفظهم من كل ضرر واذى وابقائهم فيها لقادر على البعث والاحياء بعد الموت ولا يعجز عن شئ يريد كونه (قوله حين اماتهم الله تعالى ثانيا) فان الملك وقومه لما رأوا اصحاب الكهف ووقفوا على احوالهم عاد القوم الى كهفهم فاماتهم الله تعالى فعند هذا اختلف الناس فقال قوم انهم نيام كالمرة الاولى وقال آخرون بل الآن ماتوا (قوله او قال طائفة نبنى عليهم بنيانا) عطف على قوله فقال وقوله بنيانا يجوز ان يكون مفعولا به جمع بنيانة وان يكون مصدرا (قوله وقيل لما انتهوا الى الكهف) اى وروى ان الملك واهل المدينة لم يدخلوا عليهم وعمى عليهم مكانهم حين دخله الفتى وهو يمليخا وانما علم اهل المدينة حقيقة البعث وحقيقة استدلاله باخبار يمليخا عنهم وثبت عندهم صدقه بما شاهدوا من حاله وما معه (قوله قيل هو قول اليهود) وهذا القول يستدعى ان يكون اطلاع اهل المدينة على حال اصحاب الكهف قبل بعثة موسى عليه الصلاة والسلام لان علم اليهود باحوالهم يستلزم ان تكون احوالهم مذكورة فى التوراة وذكر فى شرح التأويلات انه اختلف فى وقتهم قال بعضهم كان فيما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه وقال بعضهم كان ذلك قبل بعث موسى عليه الصلاة والسلام وهو قول الحسن وابى بكر وغيرهما وهذا اشبه لانهم انما سألوا عنه اهل التوراة وهم اليهود فلا يحتمل ان يكون بعد عيسى لانهم لا يؤمنون بعيسى ولا بالانجيل (قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم) اى امر اصحاب الكهف قيل المراد به الملك المسلم وقيل

ثم وجدا فتقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك اهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا ﴿١٦﴾ (سيقولون) اى الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين (ثلاثة رابعهم كلبهم) اى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم) قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا (رجما بالغيب) يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لا اطلاع لهم عليه واتيانا به او ظنا من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لهم عن جبرائيل عليه السلام وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله (قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت

اولياء اصحاب الكهف وقيل رؤساء البلد لان من له الغلبة فى هذا النزاع لابد ان يكون احد هؤلاء ذكر فى القصة ان الملك جعل على باب الكهف مسجدا وجعل عنده عيدا عظيما وامر ان يؤتى كل سنة وعن الزجاج انه قال هذا يدل على انه لما ظهر امرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور لان المساجد للمؤمنين به ثم انه تعالى اخبر انه سيقع نزاع فى عددهم وقد وقع ذلك لما وفد نصارى نجران على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية منهم كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقالت المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ولفظ يقولون فى المواضع الثلاثة بمعنى الاستقبال اما الاول فلكونه مصدرا بسين الاستقبال واما الآخران فلكونهما معطوفين على يقولون الاول فيكونان داخلين فى حكم السين وهو المتبادر من قوله اكتفاء بعطفه على ما هو فيه لان الواو لما كانت لمطلق الجمع كان معنى يقولون بعد سيقولون انه سيحصل منهم الاقوال الثلاثة فلو قيل سيقولون بعد سيقولون لكان تكرارا لما يدل على الاستقبال ويحتمل ان يكون الاخيران معطوفين على قوله سيقولون ويحملان ايضا على الاستقبال لاشتراك لفظ المضارع بين الحال والاستقبال واختصاصه فى هذا الموضع بالاستقبال بقرينة المقام كاختصاص الاول به بواسطة السين (قوله يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لا اطلاع لهم عليه واتيانا به) اشارة الى ان رجما منصوب مصدر من معناه اى يرجمون رجما والرجم معناه الرمى واستعارة للكلام والتكلم به من غير تدبر وعلم بحقيقة الكلام والاطلاع مصدر ميمى بمعنى الاطلاع ويحتمل ان يكون اسم فاعل من باب الافعال (قوله وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة) فان الجملة اذا وقعت صفة للنكرة جاز ان يدخلها الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف فان للصفة نوع اتصال بالموصوف فاذا اريد تأكيد ذلك الاتصال واللصوق وسط بينهما هذه الواو لتؤذن ان هذه الصفة غير منفكة عن الموصوف لازمة له غير مفارقة عنه كما تتوسط بين الجملة الحالية [illegible]

اللصوق والاتصال الا ترى ان ماوقع صفة للنكرة اذا تقدم عليها وهى بعينها تصير حالا ولو لم يكونا متحدتين معنى لما كان كذلك سوآء كان فى الصورة اى فى اعتبار المعرفة والنكرة اوفى المعنى ايضا لما ذكرنا فلما توسطت الواو بين الجملة والمعرفة التى قبلها لمجرد الربط وتأكيد الاتصال توسطت بين الجملة والنكرة ايضا لذلك وما قيل من ان دخول الواو بين الصفة والموصوف غير مستقيم لاتحاد الصفة والموصوف ذاتا وحكما وتأكيد اللصوق يقتضى شيئين مبنى على ان تكون الواو فى مثل هذا الموضع عاطفة مقتضية للمغايرة وليست كذلك بل هى تجردت لمحض الجمعية واللصوق فان واو العطف تقتضى المغايرة وتتضمن معنى الجمعية فاذا اريد منها معنى الجمعية دون المغايرة كان من باب اطلاق اسم الكل على الجزء كهمزة الاستفهام فى قوله تعالى سوآء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون فان الهمزة فيه مساوية الدلالة على معنى الاستفهام متمحضة لمجرد الاستوآء كتمحيض النداء فى قولك انا نفعل كذا ايتها العصابة فانه لمجرد الاختصاص ومسلوب عنه معنى طلب الاقبال وقيل انها واو الثمانية فان السبعة عند العرب كانت متميزة عن سائر اسماء العدد من حيث دلالتها على الكثرة والمبالغة فى العدد قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة على معنى ان تكثر الاستغفار لهم غاية الاكثار فاذا ذكروا سبعة جاؤا بالواو لتدل على ان السبعة دالة على الكثرة والمبالغة فى العدد وان مدخولها امر فلما كانت السبعة اصلا فى المبالغة فى العدد عندهم كانوا اذا وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظا يدل على الاستئناف فقالوا وثامنهم وكان قريش اذا عدوا يقولون واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة فيدخلون الواو على عقد الثمانية خاصة وكان العقد عندهم سبعة كانه اليوم عندنا عشرة فاذا جاوز السبعة جاؤا بواو على الاستئناف ونظيره قوله تعالى التائبون العابدون الى قوله والناهون عن المنكر وقوله تعالى فى حق ازواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات الى قوله وابكارا فان قوله والناهون عن المنكر هو الثامن ومنه قوله تعالى اذا جاؤها وفتحت ابوابها بالواو لان ابواب الجنة ثمانية وابواب النار سبعة وكذا قوله والذاكرات من ما تقدم ولم يذكر المصنف هذا الوجه لان هذه الواو لم تثبت فى اللغة وتمام ذكرها حيث فى التحاة (قيل واسماؤهم يمليخا ومكسلمينا ومشلمينا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره) وكان الملك يستشير هؤلاء الستة وكانوا يتصرفون فى مهماته والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس قبل اسمه كفشططيوش وروى عن ابن

وعن على رضى الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم واسماؤهم يمليخا ومكسلمينا ومشلمينا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعى الذى وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم (فلا تمار فيهم الا مرآء ظاهرا)

فلا تجادل في شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ﴿ ١٨ ﴾ ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم احدا) ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسئول عنه وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) نهي تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي (واذكر ربك) مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله (ص)

عباس ان اسماءهم مكسلمينا ويمليخا ومرطوش وينوش وساريونس ودونوارش وكفشططيوس قال عبد الله بن عمر اذا وقع الحريق في موضع فكتبت هذه الاسماء على قطعة ورق وطرحت في الحريق طفئ باذن الله تعالى (قوله فلا تجادل في شأن الفتية) قال الراء في اللغة الجدال يقال مارى يماري مماراة ومراء اي جادل والمراد يكون الجدال ظاهرا ان لا يتعمق بل يقتصر على ما اوحي اليه في القرآن وجوابه لا يعلم عددهم الا قليل فوجب التوقف وترك قطع النزاع ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ونقل عن الفراء انه اتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فريقان من نصارى نجران يعقوبي ونسطوري وسألهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن عدد اصحاب الكهف فنهي عنه بقوله تعالى ولا تستفت فيهم منهم احدا (قوله ولم يستثن) اي لم يقل ان شاء الله سمي قولك ان شاء الله كلمة استثناء لانه عبر عنها بقوله الا ان يشاء الله قيل احتبس الوحي بعده خمسة عشر يوما وفي رواية اربعين يوما ثم نزلت هذه الآية جعل قوله الا ان يشاء الله متعلقا بالنهي وذكر في تعلقه به وجهين الاول ان يجعل الا ان يشاء الله مستثنى مفرغا من اعم الاحوال بان يقدر المضاف بعد الباء المقدرة بعد الا ويحذف مفعول المشيئة وهو الضمير الراجع الى الفعل المدلول عليه بقوله اني فاعل ذلك اي لا تقولن اني فاعله غدا في حال من الاحوال الا في حال كونك ملتبسا بذكر مشيئة الله ثم اشار الى ان يجعل مستثنى مفرغا من اعم الاوقات اي لا تقولن ذلك من تلقاء نفسك في وقت ما الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه وجه ثالث وهو الا ان يشاء الله في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه من تلقاء نفسك ابدا فيحمل الاستثناء على تأكيد النهي والمبالغة على هذا الوجه فيه وجه تعلقه به (قوله ولا يجوز تعليقه بفاعل) لان قوله تعالى الا ان يشاء الله ان كان متصلا بقوله اني فاعل لا يخلو اما ان يكون المستثنى اقتران المشيئة بالفعل او اعتراضها دونه ولا وجه لشيء منهما اما الاول فلأن المشيئة المقترنة بالفعل سواء كانت مشيئة الفعل بان توجب الفعل ولا نافيه حتى يصح استثناؤه من قوله اني فاعل ذلك بكل حال ومشيئة الله تعالى بترك الفعل لا يمكن اقترانها بفعل العبد حتى يصح استثناؤها منه واما الثاني فلأنه لو كان المراد اني فاعل ذلك غدا بكل حال الا في حال ان تعترض مشيئة الله تعالى بترك الفعل لافاد كون هذا القول منهيا عنه ولا وجه لان ينهى العبد عن ان يقول اني فاعل ذلك فيما يستقبل الا ان يشاء الله تعالى ... ان تمكن العبد من الفعل متوقف على انتفاء مشيئة الترك وكيف ينهى عن تقييد النفي بانتفائها وتعليقه عليه فلما امتنع ... على احد الوجهين نهى الله تعالى

عن ان يعد الانسان عدة ولا يستثنى فيها لان العدة اضافة الفعل الى نفسه وهو لا يستقل في افعاله فلذلك امر بان يلحق الاستثناء بها لئلا يلحقه معرة الخلف في الوعد اذا لم يفعل ما وعد فقول الواعد ان شاء الله يدفع عنه حنث خلف الوعد على تقدير عدم وفائه بعهده . لان ارادة الله تعالى لا يقدر العبد على ابقاعها فلا يحنث بتركه الا انهم اختلفوا في ان الاستثناء هل يجب ان يكون متصلا بما قبله في اللفظ لدفع الحنث اولا يجب فذهب ابن عباس ومن تبعه انه لا يجب ان يكون متصلا به حتى اذا نسي ان يقول ان شاء الله ثم تذكر بعد سنة وقاله كفى في دفع الحنث واحتج عليه بقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وذلك لان الظاهر انه كلام متصل بما قبله والتقدير انه اذا نسي ان يقول ان شاء الله فليذكره اذا تذكر وقوله واذكر غير مخصص بوقت معين بل يتناول جميع الاوقات فوجب ان يكون دافعا للحنث في اي وقت ذكره واعلم ان استدلال ابن عباس ظاهر في ان الاستثناء لا يجب ان يكون متصلا واما الفقهاء فقالوا انا لو جوزنا ذلك لزم ان لا يستقر شيء من العهود والايمان حكي انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك فانك تأخذ البيعة بالايمان كما يقول المبايع ابايعك على السمع والطاعة ثم يؤكدها بالايمان بان يقول والله لا اخرج من هذه البيعة فلو جاز انفصال الاستثناء لجاز ان يخرج من عندك ويستثني بان يقول الا ان كذا اولا من كذا اوان نفعل كذا فاستحسن المنصور كلامه ورضي عنه قال الامام حاصل كلامهم يرجع الى تخصيص النص بالقياس وفيه ما فيه ايضا ولو قال ان شاء الله تعالى في نفسه خفية بلسانه بحيث لم يسمعه احد فهو معتبر ودافع للحنث بالاجماع مع ان المحذور الذي ذكروه حاصل فثبت ان الذي عولوا عليه ليس بقوي والاولى ان يحتج على وجوب كون الاستثناء متصلا بدليل آخر (قوله ولذلك جوز) اي لما ذكر من الآية ولما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان ان شاء الله لما نزل قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت ولما روى عن ابن عباس استدل المصنف بها على جواز تأخير الاستثناء عن القول السابق ثم ذكر دليل عامة الفقهاء على عدم جوازه على سبيل المعارضة لدليل المجوز ثم اجاب عن دليل المجوز بقوله وليس في الآية والخبر وتقريره ان معنى الآية قل ان شاء الله اذا سبق منك عن وفرط منك نسيان لذلك ثم تذكره وهو انما يدل على جواز تأخير الاستثناء عن القول السابق ان لو كان الاستثناء المتدارك به من القول السابق ولم يلزم ذلك لانه يجوز ان يكون الاستثناء من مقدر يدل عليه القول السابق مثلا اذا قال اكرمك فيما يستقبل ونسي الاستثناء ثم تذكره بعد زمان فقال ان شاء الله تعالى جاز ان لا يتعلق هذا الاستثناء بالوعد السابق بل بمقدر يدل عليه ذلك الوعد وكذا الحال فيما روي من الخبر فان قول

(اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه

عليه الصلاة والسلام ان شاء الله ليس متعلقا بقوله السابق وغيا خبركم بل
بعقد ربدل هو عليه ولم يندفع به حنث خلف الوعد الذى هو من قبيل ترك
الاولى والافضل (قوله ويجوز ان يكون المعنى) عطف على قوله مشيئة
ربك بحسب المعنى وهو جواب آخر من قبل عامة الفقهاء يشع ان يكون معنى
الآية واذكر مشيئة ربك واستثن اذا ذكرته وباحتمال عدم ارتباطها بما قبلها
وضبط ما ذكره من الوجوه ان قوله واذكر ربك اذا نسيت اما ان يكون متعلقا
بما قبله اولا بل يكون كلاما مستأنفا فان تعلقه بما قبله فيه احتمالان الاول ان يكون
المعنى اذا نسيت ان تقول ان شاء الله حين وعدت فقله اذا تذكرت والثانى
ان يكون المعنى اذا نسيت ذلك استغفر الله وتب اليه و يكون المقصود من الامر
بالاستغفار المبالغة فى الحث على الاستثناء على سبيل التغليظ والتشديد على تركه
بايهام ان تركه من الذنوب التى تجب فيها التوبة وان لم يتعلق بما قبله بل كان كلاما
مستأنفا ففيه قولان فعلى القول الاول يقدر مفعول تركت وهو قوله بعض
ما امرك به لا على الثانى بل يجرى مجرى اللازم فسر قوله اذا نسيت بقوله اذا تركت
بعض ما امرك به لان النسيان قد يستعمل فى الترك مجازا بطريق اطلاق المسبب
وارادة السبب لان الترك سبب للنسيان فالنسيان المذموم هو ما كان مستندا الى
السبب الاختيارى والمعذور منه هو ما روى فى الحديث رفع عن امتى الخطأ والنسيان
هو ما لم يستند الى سبب كذلك وهناك قول ثالث وهو ان يحمل قوله تعالى واذكر
ربك اذا نسيت على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها فيكون مفعول نسيت مقدرا
هو اداء الصلاة والظاهر هو الاحتمال الاول وان يكون واذكر ربك اذا نسيت
متعلقا بما قبله لانه على تقدير ان يكون كلاما مستأنفا يلزم جواز عدم ارتباط
بعض الآيات ببعضها وهو بعيد (قوله واظهر دلالة) عطف تفسير
لقوله اقرب رشدا فسر اقرب باظهر وفسر رشدا بقوله دلالة والرشد مصدر
رشد يرشد من باب علم ومعناه ضد الغواية لا الدلالة التى ارشاد الغير فتفسيره
بالدلالة يستلزم ان يكون الرشد بمعنى سبب الرشد وان يكون تسمية المعجزة بالرشد
للمبالغة فى كونها سببا له على تأويل انها ذو رشد وجعل لفظ هذا فى قوله لاقرب من هذا
رشدا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف فكان المعنى ايها المشركون انكم قد استعظمتم
الاخبار عن حالهم و بيان نبأهم وقصتهم وقد بينت لكم ما اوحى الى وانى لأطمع
من ربى ان يعطينى من الآيات الدالة على نبوتى ما هو اعظم فى الدلالة عليها
ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا
من آياتنا عجبا افتتح القصة بتقليل شأنها ثم اختتمها باطماع ما هو اعظم منها

(اواقرب)

ويجوز ان يكون المعنى
واذكر ربك بالتسبيح
والاستغفار اذا نسيت
الاستثناء مبالغة فى الحث
عليه او اذكر ربك وعقابه
اذا تركت بعض ما امرك به
ليبعثك على التدارك
او اذكره اذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسى
(وقل عسى ان يهدين
ربى) يدلنى (لأقرب من
هذا رشدا) لأقرب رشدا
واظهر دلالة على انى نبى
من نبأ اصحاب الكهف
وقد هدانى لاعظم من ذلك
كقصص الانبياء المتباعد
عنه ايامهم والاخبار
بالغيوب والحوادث النازلة
فى الاعصار المستقبلة
الى قيام الساعة

واقرب ارشادا للمسترشدين (قوله اولا اقرب رشدا او ادنى خيرا من المنسى) فعلى هذا يكون قوله تعالى وقل عسى مرتبطا بقوله واذكر ربك لا بمجموع القصة بان يكون معطوفا على ما هو العامل فى قوله تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف على معنى اذكر اذ أوى الفتية وقل عسى ان يهدين ربى ويكون المعنى على الوجه الثانى واذكر ربك اذا نسيت شيأ واطمع منه ان يهديك لشئ آخر بدل المنسى وقل عسى ان يهدين لشئ آخر وهو اقرب رشدا ومنفعة من المنسى فيكون لفظ هذا اشارة الى المنسى (قوله وهو بيان لما اجمله) اى بقوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا فانه تعالى اجمل قصتهم بقوله اذ أوى الفتية الى قوله نحن نقص عليك نبأهم ثم شرع فى تفصيلها بقوله نحن نقص وساق الكلام فى تفصيلها الى ان عين فى آخر مدة لبثهم فى كهفهم احيانا محفوظة اجسادهم (قوله على وضع الجمع موضع الواحد) فانه لا وجه لقرآءة الاضافة سوى ان يكون سنين مميزا وحق مائة ان يضاف الى مميزه مفردا و يقال ثلاثمائة سنة كما يقال ثلاثمائة رجل وثلاثمائة درهم قال ابن الحاجب ومميز مائة والف وتثنيتهما وجمعهما مخفوض مفرد فقد ظهر ان الاصل فى الاستعمال افراد مميز مائة لكن وضع الجمع مكانه مبالغة فى الدلالة على الكثرة كما وضع الجمع موضع الواحد فى قوله تعالى بالاخسرين اعمالا فان الاصل فيه بالاخسرين عملا لاستقلاله بحصول الفائدة مع كون المفرد اخف لكن اوثر الجمع مبالغة وتنصيصا على الانواع بان كل نوع كانه جنس مستقل يكفى لزيادة خسرانهم هذا هو الوجه العام لوضع الجمع موضع الواحد وسوغه ههنا امر ان الاول ان ما فى لفظ سنين من علامة الجمع ليست متمحضة لكونها علامة الجمع بل هى جبر لما حذف من لفظ سنة فكانت كانها من تمام بناء الواحد قيل اصل سنة سنهة مثل جبهة لانها من سنهت النخلة وتسنهت اذا اتت عليها السنون وقيل المحذوف منه الواو وتشهدا طلاقات العرب على كل واحد من القولين فانهم يقولون سنهت عنده وتسنيت عنده واستأجرته مساناة ومسانهة وتقول فى التصغير سنية وسنيهة والثانى ان الاصل اى القياس المرفوض فى العدد اضافته الى الجمع لكون المعدود جماعة اى فيما فوق الواحد والاثنين لان العدد المضاف ليس الا ما فوقهما الا انه قد يعدل عنه الى المفرد لغرض فلما اضافه الى الجمع استعمل على الاصل المرفوض وقوله ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث جعله صاحب الكشاف عطف بيان له وهو الظاهر لان جعله بدلا يستلزم ان لا يكون تعيين مدة لبثهم مقصودا وليس كذلك بل المقصود ذلك لانه لما قيل ثلاثمائة لم يعرف انها ايام اوشهور او سنون فبين انها سنون وقوله تسعا مفعول به لقوله ازدادوا على وزن

اولا اقرب رشدا واظهر خيرا من المنسى (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) يعنى لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة سنين وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائى ثلاثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث (قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض) له ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلهما فلا خلق يخفى عليه علما (أبصر به وأسمع) ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره فى الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شئ ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفى وجلى والهاء تعود الى الله

افتعلوا ابدلت تاء افتعل دالا لوقوعها بعد الزاى وقلبت الياء ألفا فصار ازدادوا وكان زاد متعديا الى اثنين نحو زادهم مرضا وزدناهم هدى فلما نقل الى باب الافتعال عدى الى واحد والاصل ازدادوا تسع سنين فحذف التمييز لدلالة ماتقدم عليه اذلا تقول عندى ثلاثمائة درهم وتسعة الا وانت تريد تسعة دراهم ولو اردت تسعة ثياب او نحوها لم يجز لانه ليس من جنس ماقبله حتى يدل عليه فلما نزل قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قالت نصارى نجران اما الثلاثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزل قوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اى انه تعالى اعلم بمقدار لبثهم من اهل الكتاب المختلفين فيه لانه المنفرد بعلم ماغاب فى السموات والارض عن العباد وادراكهم فيكون عالما بمدة لبثهم لامحالة (قوله ومحله الرفع على الفاعلية) فان المعنى ماابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع زيدت الباء فى الفاعل اصلاحا للفظ قال نجم الدين الاسترابادى فى شرح الكافية واما احسن بزيد فعند سيبويه لفظه فعل صورته الامر ومعناه الماضى من افعل اى صار ذا فعل كالحم اى صار ذالحم والباء بعده زائدة فى الفاعل وضعف قوله ان الامر بمعنى الماضى بانه مما لم يعهد بل جاء الماضى بمعنى الامر وباب افعل بمعنى صار ذا كذا قليل وبان زيادة الباء فى الفاعل قليل والمطرد زيادتها فى المفعول (قوله والنصب) اى محله النصب على المفعولية فان قولك احسن بزيد امر لكل احد ان يجعل زيدا حسنا اى بان يصفه بالحسن فكأنه قيل صفه بالحسن كيف شئت فان فيه كل مايمكن ان يكون فى الشخص وهذا معنى مناسب للتعجب بخلاف تقدير سيبويه وايضا همزة الجعل اكثر من همزة صار ذا كذا وان لم يكن شئ منهما قياسا مطردا هذا اصل هذا التركيب فالمعنى الامر والخطاب لكل واحد وصار ملخصه انشاء التعجب وهمزة فعل ان كانت للجعل والتعدية فالباء مزيدة فى المفعول وان كانت للصيرورة كانت الباء للتعدية (قوله وقرأ ابن عامر بالتاء) اى بتاء الخطاب والجزم عطفا على قوله ولا تقولن لشئ وقوله واذكر ربك اذا نسيت وقوله وقل عسى اى ولا تشرك انت ايها الانسان وقرأ الباقون بالياء التحتانية ورفع الفعل على انه نفى محض مسند الى ضمير البارى تعالى اى لايشرك الله فى حكمه وقضائه احدا من خلقه فلا يجوز ان يحكم حاكم بغير ماانزل الله وحكم به وليس لاحد ان يحكم من تلقاء نفسه فيكون شريكا لله تعالى فى حكمه (قوله امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه) فان كفار قريش لما سألوه عليه الصلاة والسلام عن قصة اصحاب الكهف وقالوا له ان اخبرتنا بها سألناك صدقناك وآمنا بك اخبرهم بما سألوا له عليه الصلاة والسلام فى ذلك اى نجالسك ماطرد

ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله أبصر اى صار ذابصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له اولزيادة الباء كما فى قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير اى أمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة (مالهم) الضمير لاهل السموات والارض (من دونه من ولى) يتولى امورهم (ولا يشرك فى حكمه) فى قضائه (احدا) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على انه وحى معجز امره ان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال (واتل مااوحى اليك من كتاب ربك) من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله (لامبدل لكلماته)

(عنك)

لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل اليه ان هممت به (واصبر نفسك) احبسها وثبتها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) فى مجامع اوقاتهم اوفى طرفى النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم فى الاكثر وتكون اللام فيه على تأويل ﴿٢٣﴾ التنكير (يريدون وجهه) رضى الله وطاعته (ولا تعد عيناك عنهم) ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا يقال نبت وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به والغرض فى هذا اعطاء معنيين اى لا تقتحمهم عيناك متجاوزتين الى غيرهم وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهى الرسول ان يزدرى بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زى الاغنياء (تريد زينة الحياة الدنيا) حال من الكاف فى القراءة المشهورة ومن المستكن فى الفعل فى غيرها (ولا تطع من اغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا (عن ذكرنا) كأمية بن خلف فى دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعى له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحسوسات حتى خفى عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله فى الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا هو مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها غير سمة اى لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر او لا بقوله (واتبع هواه) وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب

عنك هؤلاء الفقراء والسفلة الذين اجتمعوا عندك نتبعك فانزل الله تعالى واتل ما اوحى اليك حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا فقام عليه الصلاة والسلام يلتمسهم حتى اصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى فقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى امرنى ان اصبر نفسى مع رجال من امتى معكم المحيا ومعكم الممات قال الامام من هذه الآيات الى قصة موسى والخضر كلام واحد نزل فى قصة واحدة وهى ان اكابر قريش اجتمعوا وقالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اردت ان نؤمن بك فاطرد من عندك من هؤلاء الذين آمنوا بك فنهاه الله تعالى عن ذلك ومنعه منه وبين فى جملة هذه الآيات ان الذى اقترحوه والتمسوه مطلوب فاسد ثم قال قوله تعالى واتل ما اوحى الخ يتناول القرآءة ويتناول الاتباع ايضا فيكون المعنى الزم قرآءة الكتاب الذى اوحاه اليك ربك والزم العمل به (قوله لا احد يقدر على تبديلها) اى بطريق من طرق النسخ مع ان النسخ ليس بتبديل فى الحقيقة بل المنسوخ منتهى الى وقت طريان الناسخ فالنسخ كالغاية له فكيف يكون تبديلا (قوله وفيه ان غدوة علم فى الاكثر) والاعلام لا يدخلها الالف واللام الجوهرى الغد اصله غدو فحذفوا الواو بلا عوض قال لبيد

وما الناس الا كالديار واهلها ❊ فيوم بها حلوا وغدوا بلاقع

فجاء به على اصله والغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس يقال اتيته غدوة غير مصروفة لانها معرفة مثل سحر (قوله وتعديته بعن) جواب عما يقال من ان قوله ولا تعد نهى من عداه اذا جاوزه وهو يتعدى بنفسه كما اشار اليه بقوله ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وكان الظاهر ان يقال ولا تعدهم عيناك فلم جئ بكلمة عن واجاب عنه بان عدا لما ضمن معنى نبا عدى تعديته قال نبا الشئ عنه ينبو اى تجافى وتباعد ونبا بصرى عن الشئ اذا اقتحمه ولم يعلق به ويقال اقتحمته عينى اى ازدرته واعتبر التضمين لتحصيل مجموع المعنيين معنى المجاوزة ومعنى الاقتحام ولو قيل ولا تقتحم عيناك عنهم لفهم معنى الاقتحام ولم يفهم معنى المجاوزة فجمع بين مادة تعدو وكلمة عن لتحصيل مجموع المعنيين وذلك ابلغ من افادة المعنى الواحد (قوله والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال اليه تعالى) اعلم ان اصحابنا احتجوا بهذه الآية على انه تعالى هو الذى يخلق الجهل

والغفلة في قلوب الجهال لان قوله اغفلنا يدل على هذا المعنى فالمعنى من خلقنا
غفلة الكفر في قلبهم باختيارهم الكفر وقالت المعتزلة ليس المراد بقوله تعالى
اغفلنا خلق الغفلة وايجادها في القلب بل هو من قبيل قول عمرو بن معدي كرب لبني
سليم * قاتلناكم فما اجبناكم * وسألناكم فما ابخلناكم وهجوناكم فما افحمناكم *
اي ما وجدناكم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين فان الهمزة فيه للوجدان فكذا
في الآية ويحتمل ان تكون الهمزة في هذه الافعال لنسبة الفاعل الى اصل الفعل
وكذا في الآية واحتجوا على ان بناء الافعال في الآية ليس للايجاد والتكوين
بقوله تعالى بعده واتبع هواه فانه لو كان المعنى اوجدنا الغفلة في قلبه حقيقة لكان
المناسب ان يقال فاتبع هواه ليدل على ان الاغفال سبب في الاتباع فلما اسند
الاتباع الى شهوتهم لا الى مشيئة الله وقد مر مرارا ان القدرة المؤثرة ليست
الا لله تعالى فلذلك قال قل كل من عند الله وان العبد له قدرة كاسبة يصح اسناد
افعاله الاختيارية اليه بسببها والعامة قرأوا من اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى
المتكلم المعظم نفسه ونصب قلبه على انه مفعول به وقرئ اغفلنا قلبه بفتح اللام
ورفع قلبه على الفاعلية على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته
غافلا فدلت الآية على ان سبب اغفال الانسان ان يكون قلبه خاليا عن ذكر الحق
ويكون مملوأ من الهوى الداعي الى الاشتغال بالخلق (قوله اي تقدما على
الحق) يعني ان اصل الكلمة ينبئ عن العجلة والسبق يقال فرط منه قول
قبيح اي سبق وفرس فرط اي سريعة تتقدم الخيل وفي الصحاح فرط عليه
اي عجل وعدا ومنه قوله تعالى اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى
وفرط عليه سبق وفرطت القوم افرطهم فرطا اي سبقتهم الى الماء فانا
فارط والجمع فراط وفراط القطيع من الغنم متقدماتها الى الوادي
والماء وافرط في الامر اي جاوز فيه الحد والاسم منه الفرط بالسكون
والفرط بالتحريك الذي يتقدم الواردة فيهيء لهم الارسان والدلاء ويمدر
الحياض ويستقي لهم وهو فعل بمعنى فاعل مثل تبع بمعنى تابع ومنه قيل للطفل الميت
اللهم اجعله لنا فرطا اي اجرا يتقدمنا وامر فرط اي مجاوز فيه الحد ومنه
قوله تعالى وكان امره فرطا الى هنا كلام الجوهري فالفرط على الاول فعل
بمعنى الفاعل والمعنى لا تطع من [illegible] امره على الحق
بحيث كان نابذا له وراء ظهره (قوله ومنه الفرط) يجوز ان تكون الفاء
مفتوحة والراء ساكنة وان تكونا مفتوحتين (قوله الحق ما يكون
من جهة الله) يعني ان الحق مبتدا ومن ربكم خبره والجملة مقول القول ووجه
ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى لما امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

على معنى حسبنا قلبه
غافلين عن ذكرنا
بالمؤاخذة (وكان امره
فرطا) اي تقدما على الحق
ونبذا له وراء ظهره
يقال فرس فرط اي متقدم
للخيل ومنه الفرط (وقل
الحق من ربكم) الحق
ما يكون من جهة الله
لا ما يقتضيه الهوى

(الآية)

ان لايلتفت الى اولئك الاغنياء الذين قالوا ان طردت الفقراء من عندك وخليت لنا مجلسك نؤمن بك و نجالس معك امره بعد ذلك بان يقول لهؤلاء الحق ما يكون من عند الله لا ما يقتضيه الهوى فان خالفتم اهوآءكم و قبلتم الحق الذي جاءكم من عند الله اصبتم و عادنفعه عليكم و ان لم تقبلوه عادضرره عليكم و لا مدخل في اصابة الحق و الاهتدآء به لكون اهل مجلسكم فقرآء او اغنياء خاملين اومشهورين بالعزة والجاه ثم انه تعالى رتب عليه وعيد من كابره فلم وعاند به وترك الحق الصريح ووعد من اذعن للحق وآمن وعمل بمقتضاه بقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلل ذلك بقوله انا اعتدنا للظالمين نارا الى آخر الآيات (قوله ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف) نحو هذا الحق اوالذي أتيتكم به الحق كائنا من ربكم والحق هوالعامل في الظرف والمبتدأ المقدر عبارة عما ذكر من اول السورة الى هنا اوعما اوحى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وايا ما كان يكون قوله تعالى و قل الحق من ربكم كالفذلكة لما ذكر من مفتتح السورة اوالجميع ماجاء به عليه الصلاة والسلام ثم رتب ما بعده عليه بالفاء بالمعنى ما حدثكم به من حديث الكتاب القيم المبرى عن كل الاعوجاج المنادى بالاعجاز الكاشف عن السيئات المحرض على مكارم الاخلاق المبيح للدلائل والاعذار المزيل للريب والشبهات حق كائن من الرب العزيز الحكيم (قوله وهو لايقتضي استقلال العبد بفعله) جواب عن قول المعتزلة ان قوله فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر صريح في ان الايمان و الكفر والطاعة والمعصية مفوض الى العبد اختياره فمن انكر ذلك فقد خالف صريح القرآن وتقرير الجواب صريح الآية وصريح العقل ايضا وان دل على ان نحو الايمان والكفر وسائر الافعال الاختيارية يمتنع حصوله بدون مشيئة العبد وقصده اليه واختياره له الا ان تلك المشيئة والقصد ليست بمشيئة اخرى سابقة عليها والالزم ان يكون كل قصد ومشيئة مسبوقا بقصد آخر الى غير نهاية وهو محال فوجب انتهاء ذلك القصد الى قصد واختيار يخلقه الله تعالى من غير قصد سابق عليه واذاتوقف فعل العبد على ذلك القصد الذي لامدخل له فيه وكيف يصح ان يقال ان العبد مستقل في فعله بل يجب ان نقول بان الكل من عند الله (قوله شبه به مايحيط بهم من النار) فتكون الاضافة في سرادقها بمعنى من كما في خاتم فضة قال بعض العلماء الذين يتفاخرون في الدنيا تحيط بهم النار من الناس والطعام والشراب وغير ذلك كما قال سرابيلهم من قطران وقال لبس لهم طعام الا من ضريع وقال في حق شرابهم يشوي الوجوه بماء كالمهل والله اعلم والحجرة كل مكان محجور عن الغير اى ممنوع عنه من الحجر وهو المنع ابات الله تعالى للنار

ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) لاابالي بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست الا بمشيئته (انا اعتدنا) هيأنا (للظالمين نارا احاط بهم سرادقها) فسطاطها شبه به مايحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها

شبا شبيها بما يحيط بهم من جميع الجهات بحيث لا مخلص لهم منها ولا فرجة فيها يتفرجون بالنظر الى ماوراءها من النار بل هي محيطة بهم من كل الجوانب وقيل المراد من هذا السرادق الدخان الذي وصفه الله تعالى في قوله الى ظل ذي ثلاث شعب وقالوا هذه الاحاطة بهم انما تكون قبل دخولهم النار فيغشاهم هذا الدخان ويحيط بهم كالسرادق حول الفسطاط (قوله وقيل حائط من نار) روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال سرادق النار اربعة جدر كل جدار مسيرة اربعين سنة والمعنى انهم وراء هذه الجدر فهي بهم محيطة (قوله كالجسد المذاب) يعني قيل ان المهل كل شيء اذيبه من الاجساد السبعة المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها وقيل هو دردي الزيت (قوله وهو على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم) يعني قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وارد على طريق التهكم بهم وتحقيرهم حيث ذكرت الاغاثة مما هم فيه من شدة العطش واريد ما يضاد الاغاثة وهو ان يؤتى بماء كالمهل اذا قرب اليه يشوي وجهه وسقطت فروة رأسه واذا شرب منه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره فالمعنى ان يستغيثوا اي يطلبوا الغوث والمدد مما هم فيه من شدة العطش يؤتوا بماء كالمهل مكان ما يغاث به المستغيث من العطش فسمي ايتاء ذلك الماء اغاثة على سبيل التهكم والتحقير كما في قوله

غضبت تميم ان يقتل عامر ✽ يوم النثار فأعتبوا بالصيلم

والنثار بكسر النون ماء لبني عامر والصيلم الداهية والامر العظيم واعتبوا اي ارضوا وازيل غضبهم جعلت الداهية لهم مكان الاعتاب الذي يجري بين الاحبة تهكما بهم والشوي انضاج اللحم من غير مرقة تكون مع ذلك الشيء المشوي (قوله واصل الارتفاق نصب المرفق) وهو موصل الذراع والعضد فسر المرتفق في الآية بالمتكأ وهو موضع الاتكاء على مرفق يده بان ينصبه ويجعله دعامة نحره وذلك انما يكون للاستراحة ولا استراحة لاهل النار فلا اتكاء (قوله وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا) يعني اثبات المرتفق لاهل النار مع انه لا ارتفاق لهم مبني على المشاكلة لقوله تعالى في حق اولئك اهل الجنة وحسنت مرتفقا فان الآية التالية المقابلة لهذه الآية لما كانت مفصولة بذكر الارتفاق جعلت هذه الآية ايضا مفصولة بذكره لاجل المشاكلة لان اثبات المرتفق للكفار مبني على التهكم كاثبات الاغاثة لهم في قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الظالمين اردفه بوعد الصالحين فقال ان الذين آمنوا الآية وقوله تعالى انا لا نضيع اجر من احسن عملا يجوز ان يكون خبر ان الذين آمنوا بحذف العائد اي منهم او بتنزيل العموم

وقيل حائط من نار (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم (يشوي الوجوه) اذا قدم للشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية للماء او حال من المهل او الضمير في الكاف (بئس الشراب) المهل (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا) خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات

او خبرها (اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار) وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر
او خبر ثان (يحلون فيها من اساور من ذهب) ﴿٢٧﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم
حسنها عن الاحاطة به
وهو جمع اسورة او اسوار
في جمع سوار (ويلبسون
ثيابا خضرا) لان الخضرة
احسن الالوان واكثرها
طراوة (من سندس
واستبرق) مما رق من
الديباج وما غلظ منه جمع
بين للدلالة على ان فيها
ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين (متكئين فيها
على الارآئك) على السرر
كما هو هيئة المتنعمين (نعم
الثواب) الجنة ونعيمها
(وحسنت) الارآئك
(مرتفقا) متكأ (واضرب
لهم مثلا) للكافر والمؤمن
(رجلين) حال رجلين
مقدرين او موجودين
هما اخوان من بني
اسرآئيل كافر اسمه
قرطوس ومؤمن اسمه
يهودا ورثا من ابيهما
ثمانية آلاف دينار فتشاطرا
فاشترى الكافر بها ضياعا
وعقارا وصرفها المؤمن
في وجوه الخير وآل امرهما
الى ما حكاه الله تعالى وقيل
المثل بهما اخوان من بني
مخزوم كافر وهو الاسود بن
عبد الاسد ومؤمن وهو
ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (جعلنا لاحدهما جنتين) بستانين
(من اعناب) من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطة بهما

منزلة العائد كما في قولك نعم الرجل زيد على قول من يجعل المخصوص مرفوعا
بالابتداء وما قبله خبره وهو المختار فان قولك نعم الرجل جملة فعلية والجملة
الواقعة خبرا للمبتدأ لابد ان تكون مشتملة على الضمير العائد الى المبتدأ واستغنى
عنه في باب نعم لتنزيل استغراق الرجل وعمومه للمبتدأ او لقيامه منزلة العائد واما على
قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ويجعل الكلام مبنيا على تقدير سؤال
وهو انه لما قيل نعم الرجل مثلا قيل من هو فقيل زيد اي هو زيد فحينئذ يكون الكلام
جملتين ليس في شيء منهما خبر جملة حتى يحتاج الى العائد او باقامة قوله من
احسن عملا مقام الضمير لكونه عبارة عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ومتحدا معهم في المعنى كما في الجملة الواقعة خبرا عن ضمير الشأن فانها لما كانت
عبارة عن الضمير المذكور استغنى فيها عن العائد (قوله او خبرها اولئك)
عطف على قوله هي الثانية بما في حيزها (قوله او خبر ثان) عطف على
قوله استئناف (قوله وهو جمع اسورة) واسورة جمع سوار وهو زينة تلبس
في الزند من اليد وهو من زينة الملوك كانوا يسورون في ايديهم ويتوجون على
رؤسهم وقال ابو عبيدة اساور جمع اسوار على حذف الزيادة اصله اساوير وقوله
في جمع سوار احتراز عن قول من قال ان اساور جمع اسوار بكسر الهمزة اوضعها
في الصحاح فقد يكون اساور جمع اسوار واسوار قال تعالى يحلون فيها من اساور
من ذهب وقال ابو عمرو بن العلاء واحدها سوار قال الشاعر

والله لولا صبية صغار ✽ كأنما وجوههم اقمار ✽ اخاف ان يصيبهم اقتار
اولا طم ليس له سوار ✽ لما رآني ملك جبار

على كل واحد منهم ثلاث اسورة سوار من ذهب لاجل هذه الآية وسوار
من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى
ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير فان قيل ما السبب في انه تعالى قال في الحلي يحلون
على ما لم يسم فاعله وقال في السندس والاستبرق ويلبسون باسناد اللبس اليهم
قلنا يحتمل ان يكون اللبس اشارة الى ما استوجبوه بعملهم بمقتضى الوعد الالهي
وان يكون الحلي اشارة الى ما تفضل به عليهم ابتداء تفضلا زائدا على مقدار
الوعد ثم انه تعالى لما بين عاقبة الظالمين الذين اغتروا بزينة الدنيا وزخارفها
وافتخروا بها على فقرآء المسلمين وآثروها على ما عند الله تعالى من الثواب الجزيل
وبين ايضا عاقبة من آمن بالله وبالبعث والجزآء وعمل بمقتضى ايمانه شبه حال
الفريقين بحال رجلين موصوفين تصويرا للامر المعقول بصورة المحسوس

لزيادة الايضاح والبيان فقال واضرب لهم مثلا الآية متبين به ان كثرة الاموال والاتباع لاتصلح لان يفتخر بها لاحتمال ان يصير الفقير غنيا والغنى فقيرا بل الفخر انما هو بطاعة الله التى هى زينة المؤمنين وقوله تعالى جعلنا لاحدهما جنتين ان كان بيانا او تفسيرا للمثل لا يكون له محل من الاعراب وان كان صفة لجنتين يكون فى محل النصب (قوله مؤزرا بها) اى ملتفا وفى الاساس ومن المجاز الزرع يؤازر بعضه بعضا اذا التف وتأزر النبت اى التف وتلاصق (قوله ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه) لاشتماله على الكروم المحفوفة بالنخل وكون كل واحد منهما منتهيا فى احد جوانبه الى الارض المزروعة فيكون بذلك جامعا لما ذكر ومتواصل العمارة وتكون منفعته متواصلة لاتيانه فى كل وقت بمنفعة جديدة وثمرة مرغوبة (قوله وافراد الضمير) فى آتت والظاهر ان يقال آتتا بناء على رجوعه الى كلتا وهو مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى فاعتبر جانب لفظه والمعنى اعطت كل واحدة من الجنتين اكلها اى ثمرها ولم تظلم اى لم تنقص منه شيئا وظلم النقصان يقال ظلمه حقه اى نقصه ولما وصفهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقصان وصفهما بما يتواصل الخير ومادته وهو امر الشرب فقال وفجرنا خلالهما نهرا والعامة على تشديد الجيم لما فيه من المبالغة فى ريا شربهما فانه وان كان نهرا واحدا الا انه لما كان يتشعب ويصل الى جوانب كلتا الجنتين ويديم فى كل وقت دوام كان نهرا وقرئ بالتخفيف على الاصل لا [illegible] على [illegible] نهرا وقرئ بسكونها قرأ عاصم وكان له اى صاحب البستان ثمر بفتح الثاء والميم فيه وفى قوله واحيط بثمره وهو جمع ثمرة كشجر وشجرة وقرأ ابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم فيهما والباقون بضم الثاء والميم فيهما فمن ضمهما يقول انه جمع ثمار يقال ثمار وثمر مثل كتاب وكتب والحمار والحمر والكتاب والكتب ويجوز ان يكون ثمر جمع ثمرة كخشبة وخشب وبالسكون كاسد واسد وذكر اهل اللغة انه بالضم انواع المال من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح حمل الشجر وكان ابن عباس يقرأ بالضم ويقول هو انواع المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد ان الثمر هو الذهب والفضة خاصة وقيل هو المال والولد (قوله تعالى فقال لصاحبه) يعنى قال صاحب البستان للمؤمن وهو يحاوره يجوز ان يكون حالا من الفاعل او من المفعول مبينا للهيئة اذ لا يلزم من القول المحاورة وهى مراجعة الكلام من حار اى رجع قال تعالى انه ظن ان لن يحور وقال امرؤ القيس

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا احاطوا به وحففته بهم ﴿٢٨﴾ اذا جعلتهم حافين حوله فيزيد الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به (وجعلنا بينهما) وسطهما (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق (كلتا الجنتين آتت اكلها) ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله (ولم تظلم منه) ولم تنقص من اكلها (شيئا) يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص فى عام غالبا (وفجرنا خلالهما نهرا) ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف (وكان له ثمر) انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك واحيط بثمره (فقال لصاحبه وهو يحاوره) وهو يراجعه فى الكلام من حار اذا رجع (انا اكثر منك مالا واعز نفرا) حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويتباهى بها وافراد الجنة

لأن المراد ما هو جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى اولان الدخول يكون في واحدة واحدة (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بعجبه وكفره (قال ما اظن ان تبيد هذه) اى تفنى هذه الجنة (ابدا) لطول امله وتماديه على غفلته واغتراره بمهلته (وما اظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت الى ربى) بالبعث كما زعمت (لأجدن خيرا منها) من جنته وقرأ الحجازيان والشامى منهما اى من الجنتين (منقلبا) مرجعا وعاقبة ﴿ ٢٩ ﴾ لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما لقاه (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب) لانه اصل مادتك او مادة اصلك (ثم من نطفة) فانها مادتك القريبة (ثم سواك رجلا) ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر على ان يعيده منه (لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا) اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها عن الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربى خبره والجملة خبر انا والاستدراك من أكفرت كأنه قال انت كافر بالله لكنى مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربى ولكنا انا لا اله الا هو ربى (ولولا اذ دخلت جنتك قلت) وهلا قلت عند دخولها (ما شاء الله) الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اى شئ شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها (لا قوة الا بالله) وهلا قلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير

والنفر العشيرة الذين يذبون عن الرجل و ينفرون معه والمعنى ان الكافر ترفع على المؤمن بجاهه وماله ثم اراد ان يظهر للمؤمن كثرة ماله ويشوف ما ملكه مما يوجب البهجة والسرور فاخذ بيد اخيه المؤمن يطوف به فيها يريه بهجتها وحسنها وهو قوله تعالى ودخل جنته الخ (قوله لان المراد ما هو جنته) اى ما يقال له انه جنة فلان على ان التعريف فيها للعهد الذهنى والمعهود هو الفرد الملحوظ بالاضافة اليه مع قطع النظر عن كونهما قطعتين بينهما مزارع او بقعة واحدة من غير ان يراد بها ما ساعده وقت الدخول او يراد دخول كل واحدة منهما على حدة او باعتبار كونهما بمنزلة جنة واحدة نظرا الى اتصالهما وخلوهما عن نكتة تقييدها باحداهما (قوله تعالى وهو ظالم) حال من فاعل دخل ولنفسه مفعول ظالم واللام فيه مزيدة لتقوية العامل لكونه فرعا . قوله قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا لما رأى ... جيء به بيانا لسبب ظلمه فانه لما راقه واعجبه حسنها ورد تهما طال امله لانه ابدا وما اكتفى بهذا الكفر بل ضم اليه قوله وما اظن الساعة قائمة فجمع بين كفرين فان قيل هب انه شك فى البعث والقيامة وكيف قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا مع ان الحس يدل على ان ما فى الدنيا كلها فى معرض الزوال والفناء اجيب بان مراده انها لا تبيد مدة حياته (قوله وانما اقسم على ذلك) يعنى ان الكافر بنى حرمه بذلك على مقدمتين الاولى انه تعالى انما اعطاه الجاه والمال فى الدنيا لكونه اهلا مستحقا لذلك والثانية ان الاستحقاق باق بعد الموت والمقدمة الاولى كاذبة لان فتح باب الدنيا على الانسان كثيرا ما يكون للاستدراج (قوله لانه اصل مادتك) نظرا الى ان النطفة تتولد من الدم المتولد من الاغذية النباتية المتولدة من التراب فكان التراب مادة بعيدة للانسان والاغذية الحيوانية لابد ان تنتهى الى الغذاء النباتى المنتهى الى التراب (قوله او مادة اصلك) فان آدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من التراب وخلقه سبب فى خلق كل احد (قوله ولذلك) اى ولكون

أمرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من رأى شيأ فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره
(ان ترن انا اقل منك مالا وولدا) يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون ﴿ ٣٠ ﴾ تاكيد للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على
انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترنى وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد (فعسى ربى ان يؤتينى خيرا من جنتك) فى الدنيا او فى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط (ويرسل عليها) على جنتك لكفرك (حسبانا من السماء) مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة (فتصبح صعيدا زلقا) ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها (او يصبح ماؤها غورا) غائرا فى الارض مصدر وصف به كالزلق (فلن تستطيع له طلبا) للماء الغائر ترددا فى رده (واحيط بثمره) واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم (فاصبح يقلب كفيه) ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا (على ما انفق فيها) فى عمارتها وهو متعلق
بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فاصبح يندم او حال اى متحسرا على ما انفق فيها (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) ان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها (ويقول) عطف على يقلب

منشأ كفره بالبعث شكه فى كمال قدرة الله تعالى علل انكاره على كفره بالله تعالى باثبات قدرته تعالى لاثبات وجوده ثم ان المؤمن وبخ الكافر على كفره بان قال له ولولا اذ دخلت لما تقرر من ان حرف التحضيض اذا دخل على الماضى يكون للتوبيخ وكلمة ما ان كانت شرطية تكون فى محل النصب على انها مفعول شاء قدمت عليه وجوبا احتج اصحابنا بهذه الآية على ان كل ما اراده الله تعالى واقع وما لم يرده لم يقع فثبت انه تعالى لم يرد ايمان الكافر وطاعة العاصى فكانت حجة لنا على المعتزلة ومعنى الآية هلا قلت عند دخولك جنتك ورؤيتك ما انعم الله تعالى به عليك ما شاء الله من ابقائها وافنائها كان لا معارض لمشيئته وشكرت على انعامه اليك بدل الاشتغال والافتخار بالنعمة من لحم وملاحظة التمتع بها دهرا طويلا بناء على طول الامل وتماديا فى الغفلة والاغترار بالمهلة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من اعطى خيرا من اهل او مال فيقال عند ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم ير فيه مكروها كذا فى الكواشى (قوله يحتمل ان يكون انا فصلا) هذا الاحتمال على تقدير ان تكون الرؤية علمية لانها ان كانت بصرية تعين ان يكون انا تأكيدا لياء المتكلم لان ضمير الفصل يشترط ان يقع بين المبتدأ والخبر او بين ما اصله المبتدأ والخبر (قوله وهى الصواعق) وقيل الحسبان سهام صغار ترمى فى القسى الفارسية سميت حسبانا لكونها سهاما معدودة محسوبة تجمع فترمى بمرة واحدة وقيل الحسبان العذاب الا ان ابا بكر الاصم قال عذابا على حساب ما عملوا ويقال اصاب الارض حسبان اى جراد ولعل اصل الحسبان السهام التى ترمى واطلاقه على الصواعق على سبيل الاستعارة وهى القطع من النار تشبيها للصواعق بها ومن قال انه مصدر كالغفران والبطلان ينبغى ان يجعله بمعنى اسم المفعول اى شيأ مما يعد اى يدخل فى الحساب ويعتد به من انواع العذاب المرتبة على الكفر الا ان المتبادر من عبارة المصنف ان يكون المراد بالحساب الحكم الازلى والتقدير الالهى المتعلق بتخريب الجنة وبارساله وقوع المعلوم المقدر عند تعلق الارادة بوقوعه او يكون الحساب على اصل الاعمال السيئة ومقدارها على ان يكون او عذاب معطوفا على قوله التقدير وقوله حساب الاعمال منصوبا بنزع الخافض اى بحسابها والصعيد وجه الارض والزلق والغور فى الاصل مصدران وصف بهما مبالغة والمعنى عسى ان يصبح ماؤها وهو النهر الذى فى خلالها غائرا ذاهبا فى الارض بحيث لا يبقى له اثر حتى تقدر على ان تطلبه وترده الى موضعه وخلاصة كلام المؤمن ان رجوت ان ارزق ما هو خير وافضل من جنتك وان تهلك جنتك (قوله ظهرا لبطن) منصوب

أو حال من ضميره (يا ليتني لم اشرك بربي احدا) كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى انه لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه و يحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه (ولم تكن له فئة) وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه (ينصرونه) يقدرون ﴿٣١﴾ على نصره بدفع الاهلاك اورد المهلك او الاتيان بمثله (من دون الله) فانه القادر على ذلك وحده (وما كان منتصرا) ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه (هنالك) في ذلك المقام وتلك الحال (الولاية لله الحق) النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه و ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن و يعضده قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) اى لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي الولاية بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه و قيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) اذكر لهم ما تشبهه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة (كماء) هو كماء و يجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صيره (انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه

على انه مفعول مطلق اى يقلب كفيه تقليبا خاصا بالنادمين المتلهفين فان قوله يقلب كفيه كناية عن التندم لان النادم يفعل ذلك فلما كان قوله يقلب متضمنا لمعنى يندم عدى بعلى (قوله او حال) عطف على قوله متعلق بيقلب والمعنى او متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل يقلب اى متحسرا على ما انفق (قوله او حال من ضميره) على اعتبار حذف المبتدأ لتكون الجملة اسمية اى يقلب و هو يقول لما تقرر من ان الجملة الحالية ان كانت جملة فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع دخول الواو عليها (قوله كأنه تذكر موعظة اخيه) من قوله انت كافر بالله لكني مؤمن الى قوله ان ترني اقل منك فانا اتوقع من صنع الله تعالى ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى و يرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك و يسلبك لكفرك ما انعم به عليك و يخرب بستانك (قوله وقرأ حمزة والكسائي بالياء) اى بياء التذكير في لم يكن لتقدم الفعل ووجود الفصل واقامته مقام علامة التأنيث (قوله النصرة له وحده) يعني ان الولاية لي وهي بالفتح بمعنى تولي الامر والنصرة والمعنى في ذلك الموضع وتلك الحال يريد الله تعالى اظهار كرامة اوليائه واذلال اعدائه لا يتولى الامر احد غير الله تعالى ينصر من يشاء اعزازه ويذل من يشاء اذلاله وقرأ حمزة والكسائي الولاية بكسر الواو والمعنى هنالك السلطان والغلبة له تعالى لا يغلب او لا يعبد غيره بل يلتجئ اليه كل مضطر مغلوب فيه فلذلك قال الكافر يا ليتني لم اشرك بربي احدا جزعا مما ساقه اليه شؤم كفره ولو كان ندمه على الشرك ورغبته في التوحيد بناء على النظر في الادلة وامتثالا لامر الله وتصديقا لكتابه ونبيه لكان ايمانا مقبولا عند الله تعالى لكن كان ندمه وتوبته عند مشاهدة البأس مبنيا على اعتقاده انه لو كان موحدا غير مشرك ومتعظا بموعظة اخيه لبقيت عليه جنته فلم يقبل ولم يصر به مؤمنا لكونه لاجل طلب الدنيا لا خالصا لوجه الله تعالى فالآية بهذا المعنى تكون نظير قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (قوله وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد) فانه يؤكد مضمون الجملة التي لها محتمل غيره نحو زيد ابوك حقا وهنالك في محل النصب على انه ظرف معمول لما تعلق به خبر الولاية وهو قوله لله (قوله اذكر لهم) اى للمشركين الذين استكبروا على فقراء

او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته (فاصبح هشيما) مهشوما مكسورا (تذروه الرياح) تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن (وكان الله على كل شئ) من الانشاء والافناء (مقتدرا) قادرا (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) يتزين بها انسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب (والباقيات الصالحات) واعمال ﴿ ٣٢ ﴾ الخيرات تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب (خير عند ربك) من المال والبنين (ثوابا) عائدة (وخير املا) لان صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يأمل بها في الدنيا (ويوم نسير الجبال) واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت (وترى الارض بارزة) بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول (وحشرناهم) وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد (فلم نغادر) فلم نترك (منهم احدا) يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء (وعرضوا على ربك) شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم (صفا) مصطفين لا يحجب احد احدا (لقد جئتمونا) على اضمار القول

المسلمين وافتخروا باموالهم واعوانهم يريد انه يجوز ان يجعل اضرب بمعنى اذكر فيتعدى الى واحد فعلى هذا يكون كماء انزلناه خبر مبتدأ محذوف اى هو كماء وان يكون بمعنى صير فيكون كماء مفعولا ثانيا (قوله او نجع في النبات) اى نفذ فتكون الباء فيه للتعدية لا للسببية لان الماء لرقته هو الذى ينفذ في النبات ولا ينفذ النبات في الماء فكان حق العبارة فاختلط بنبات الارض ونجع فيه يقال نجع فيه الدواء اذا نفعه ونجع الطعام اذا هنئ ورف النبات رفيفا اذا اهتز نضارة وتلألأ (قوله مهشوما) من الهشم وهو كسر الشئ اليابس والهشيم من النبات اليابس المتكسر (قوله من الصلوات الخمس الخ) عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما رضى الله عنهم ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وهى الحسنات يذهبن السيئات وعن سعيد بن جبير انها الصلوات الخمس والجمعة ورمضان الى رمضان والحج الى الحج وعن الضحاك انها القرآن وفى رواية عن ابن عباس انها الكلام الطيب وفى رواية عنه انها جميع الاعمال الحسنة فان جميعها باقيات لبقاء اجرها ونفعها وسميت صالحات لانتفاء الفساد عنها وعن انس بن مالك عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لجلسائه خذوا جنتكم قالوا أحضر عدو قال جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فانهن المقدمات وهن المعقبات وهن الباقيات الصالحات وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه وعن العدو ان تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقولوها فانهن الباقيات الصالحات (قوله لا يحجب احدا احدا) اشارة الى ان اصطفافهم عبارة عن ظهورهم متميزين بحيث يرى جماعتهم كما يرى كل واحد وقوله تعالى صفا حال من مرفوع عرضوا وهو فى الاصل مصدر يقال صف صفا ثم يطلق على جماعة المصطفين واختلف

على وجه يكون حالا او عاملا فى يوم نسير (كما خلقناكم اول مرة) عراة لاشىء معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله ﴿ ٢٣ ﴾ (بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى (ووضع الكتاب) صحائف الاعمال فى الايمان والشمائل اوفى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون ياويلتنا) ينادون هلكتهم التى هلكوا بها من بين المهلكات (مالهذا الكتاب) تعجبا من شأنه (لايغادر صغيرة) هنة صغيرة (ولا كبيرة الا احصاها) الاعدها واحاط بها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مكتوبا فى الصحف (ولا يظلم ربك احدا) يعاقب عليه مالم يفعل او يزيد فى عقابه الملائم لعمله (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) كرره فى مواضع لكونه مقدمة للامر المقصود بيانه فى تلك المحال وهنا لما سبق من المفتخرين باموالهم [illegible] قرر ذلك بانه من سنخ ابليس اولا بين حاله [illegible] بعد [illegible] عنها [illegible] وكانت [illegible] (ما) [illegible] الشيطان [illegible] الاعمال الصالحة [illegible] الشيطان بتذكير

فى صفاهنا هل هو مفرد وقع موقع الجمع والمراد صفوفا بدليل ماورد فى الحديث الصحيح وهو انه يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد صفوفا وفى حديث آخر اهل الجنة مائة وعشرون صفا امتى منها ثمانون صفا ونظيره فى وقوع المفرد موقع الجمع قوله تعالى ثم يخرجكم طفلا اى اطفالا أوقيل بل الخلائق يكونون صفا واحدا وهو ابلغ فى القدرة واما الحديثان فيحملان على اختلاف الاحوال يوم القيامة لانه طويل مقداره خمسون الف سنة فتارة يكونون فيه صفا واحدا وتارة صفوفا وقيل صفاهنا معناه قياما لقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صواف اى قياما (قوله على وجه يكون حالا) اى عرضوا وقد قيل لهم لقد جئتمونا او عاملا فى يوم نسير الجبال اى نقول لهم يوم نسير الجبال لقد جئتمونا كما خلقناكم وليس المراد تشبيه حال البعث من القبور بحال النشأة الاولى من كل وجه لانهم خلقوا اصغار الاعقل لهم ولا قدرة بل المراد تقريع المشركين المنكرين للبعث المفتخرين على فقراء المسلمين المؤمنين بالاموال والاعوان بان يقال لهم لقد جئتم حفاة بغير اموال ولا اعوان ولقد بعثتم كما شاهدتم ثم ان البعث والقيامة حق واقع كما وقع خلقكم اول مرة (قوله وبل للخروج من قصة الى اخرى) يعنى ان الاضراب ههنا ليس لابطال القصة الاولى بل للانتقال الى ماهو اهم منها فانه تعالى لما بين خساسة الدنيا بتمثيل حالها بحال النبات الذى يكون بعد حدوثه اخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن اتبعه باحوال القيامة ثم اضرب عن بيانها وانتقل عنه الى تقريع الكفار الذين ينكرون البعث والحساب وان فى قوله ان لن نجعل مخففة من الثقيلة اى بل زعمتم انه الشأن لن نجعل لكم موعدا للبعث يحاسبون فيه وتحاسبون (قوله ينادون هلكتهم التى هلكوا بها) الويل والويلة الهلكة لما رأوا اعمالهم محصاة عليهم فى كتابهم علموا انهم محزونون بها وهلكتهم نادوا ياويل والهلكة فان كل من وقع فى مهلكة يدعو بها كما فى قوله تعالى ياحسرة على العباد فانه نداء للحسرة عليهم كأنه قيل لها تعالى ياحسرة فهذه من الاحوال التى ينبغى ان تحضرى فيها الا انهم ما نادوا الويل المضاف الى انفسهم حيث قالوا ياويلتنا كان المنادى هلكتهم التى هلكوا بها لاجنس الهلاك (قوله هنة صغيرة) الهنة بفتح الهاء عبارة عن الخصلة يقال فى فلان هنات اى خصلات شر ولا يقال ذلك فى الخير (قوله قرر ذلك) اى قرر قبح الكبر والافتخار بان اخبر انه من سنخ ابليس فانه امتنع عن السجود

لآدم استكبارا وافتخارا بان اصله نار واصل آدم تراب والنار علوى نورانى لطيف فيكون اشرف من التراب الذى هو سفلى ظلمانى كثيف واداه ذلك الكبر الى ان صار ملعونا مخلدا فى النار بعد ان كان رئيس الملائكة ومقدمهم ومعلمهم واشد هم اجتهادا فى العبادة حتى لم يبق فى سبع السموات ولا فى سبع الارضين موضع قدر شبر الاوقد سجدا للعين لله تعالى عليه سجدة حتى امتلأت من العجب نفسه حيث لم ير احد امثله فابى ان يسجد لآدم استكبارا فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فلعنه الله تعالى وطرده والملائكة لما خلقوا من النور الروحانى العلوى كان من طبعهم الانقياد لامر الله تعالى والطاعة والعبودية ولذلك لما امروا بالسجود لآدم لم يمتنعوا عن ذلك وسجدوا طوعا ورغبة امتثالا لامر الله تعالى وانقياد الحكمه كما قال تعالى لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون بخلاف ابليس فانه تعالى لما خلقه للضلالة والغواية والضلال والاغوآء خلق من النار التى طبعها الاستعلاء والاستكبار ونظمه الله فى سلك الملائكة منذ خلقه وكساه كسوة الملائكة تشبث باعمالهم تقليدا لاتحقيقا حتى عد من جملتهم وذكر فى زمرتهم بل زاد عليهم فى الاجتهاد بالاعتياد والاعتقاد فاتخذوه رئيسا ومعلما لما رأوا منه من الاشتداد والاستزادة فى الاجتهاد بالارادة فلما امتحن بالسجود لآدم فى جملة الملائكة ظهر ماتقتضيه الجبلة وخلع عنه كسوة اهل الرغبة والرهبة ليميز الله الخبيث من الطيب فطاشت تلك المجاهدات وتلاشت منه تلك العبادات وعاد المشوم الى طبعه حين تبين الرشد من اهله فسجدت الملائكة وأبى ابليس واستكبر من غيه وظهر انه كان من الجن كأنه قال ماكان ابليس من الملائكة قط طرفة عين بل كان من الجن الذين تولدوا من الجان وهو ابو الجن واصله واول من عصى ربه كما ان آدم عليه الصلاة والسلام اول الانس وابوهم روى انه تعالى لما خلق الارض خلق الجان من مارج من نار يعنى من لهب من نار لادخان لها فكثرنسله وهم الجن بنوا الجان فاسكنهم الارض فعبدوا الله دهرا طويلا فى الارض ثم ظهر فيهم البغى والحسد فاقتتلوا وافسدوا فبعث الله تعالى اليهم جندا من الملائكة فهبطوا الى الارض وحاربوا الجن وهزموهم وطردوهم من وجه الارض الى شعوب الجبال وجزائر البحور روى ان الملائكة سبوا ابليس من بين الجن ونشأ عند الملائكة وكان مغمورا مغلوبا بالالوف منهم فغلبوا عليه فلما كان ابليس داخلا فيهم بالتغليب تناوله امر الملائكة بالسجود لآدم فكان قوله تعالى فسجدوا الا ابليس استثناء متصلا نظرا الى دخوله فيهم بالتغليب ويجوز ان يكون منقطعا وقيل الاستثناء متصل بناء على انه قدكان ملكا من جملة الملائكة فمسخه الله تعالى

مابينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير فى القرءآن (كان من الجن) حال باضمار قد او استئناف للتعليل كأنه قيل ماله لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن امر ربه) فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لايعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا فى اصله والكلام المستقصى فيه فى سورة البقرة

(أفتتخذونه) اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب (وذريته) اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا (اولياء من دوني) فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي (وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) من الله تعالى ابليس وذريته ﴿٣٥﴾ (ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم) نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) اى اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه (ويوم يقول) اى الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون (نادوا شركائي الذين زعمتم) انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته (فدعوهم)

صورته وطبعه وصيره الى صورة الجن وطبعهم وصيرهم بعد ابائه واستكباره وكفره فصار ممسوخا كما مسخ الله تعالى بعض بني آدم فصاروا قردة وخنازير الا انه لما سأل النظرة الى قيام الساعة بقي وصار له نسل والحال ان سائر الممسوخات لا تبقى بعد ثلاثة ايام ولا يصير لها نسل فعلى هذا يكون قوله كان من الجن بمعنى صار من الجن بان مسخت صورته الى صورة الجن وكذا قوله وكان من الكافرين اى صار من الكافرين وقيل معناه كان في علمه الازلي انه يكون من الجن وقت عصيانه ربه وابائه السجود وكذا قوله وكان من الكافرين معناه كان في علم الله تعالى انه سيكون كافرا لان جمهور المحققين ذهبوا الى ان ابليس لم يكن كافرا من اول الامر بل انه كان مؤمنا ثم صار كافرا برده امر الله تعالى واستقباحه كما ان عبدة الاصنام كانوا كفرة وقت عبادتهم ثم صاروا مؤمنين بالآخرة منها الا انه لما كان الاعتبار في الايمان والكفر بالخواتيم وموافاة الموت قيل ان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة وان صلى وصام قبله اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهذه المقالات منسوبة الى الشيخ الاشعري رحمه الله تعالى (قوله أعقيب ما وجد منه تتخذونه) حكى الله تعالى اولا عداوة ابليس وذريته لاولاد آدم ثم انكر على الكفرة الذين افتخروا على فقراء المسلمين بشرف الانساب وكثرة الاموال والاتباع في تركهم الدين الحق بناء على التكبر والترفع فكأنه قال تعالى لهم انكم في هذا الفعل اقتديتم بابليس في تكبره على آدم وعلمتم ان ابليس عدو لكم فكيف تقتدون به في طريقته المذمومة وكل من كان غرضه من اظهار العلم والمناظرة التفاخر والتكبر فهو مقتد بابليس فيدخل في هذا الانكار والتعجب روى عن الشعبي انه قال كنت جالسا يوما اذ اقبل رجل فقال اخبرني هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك لعرس ما شهدته ثم تذكرت قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني فعلمت انه لا يكون له ذرية الا من زوجة فقلت نعم وعن قتادة انهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه او ذكره في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين والله اعلم ثم انه تعالى لما قرر ان القول الذي قالوه في الافتخار على الفقراء والاستكبار عليهم اقتداء بابليس عاد بعده الى تهويل احوال يوم القيامة فقال ويوم يقول اى اذكر لهم يوم يقول عطفا على

قوله وادةنا للملائكة ليعلموا احوالهم واحوال آلهتهم يوم القيامة اذ يقول الله لهم نادوا شركائى اى ادعوا من زعمتم انهم شركائى حتى اهلتموهم للعبادة (قوله فنادوهم للاغاثة) بان قالوا لهم انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار (قوله مهلكا يشتركون فيه) على ان يكون الموبق اسم مكان يعنى ان الله تعالى يدخل هؤلاء المشركين فى موضع الهلاك وهو النار ويجعل آلهتهم فى موضع آخر مثل ان يجعل عيسى عليه الصلاة والسلام فى الجنة ويجعل الملائكة الذين ادعوا انهم شركاء الله فى موضع آخر اراده الله تعالى من دار الكرامة فتكون جهنم موبقا بين هؤلاء الكفار وبين الملائكة وعيسى عليهم السلام (قوله او عداوة هى فى شدتها هلاك) على ان يكون الموبق مصدرا وعبر عن العداوة بالهلاك اما على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة فى استلزامها للهلاك واما على المجاز باعتبار ما يؤول اليه كأنه قيل جعلنا بينهم عداوة تجرهم وتؤديهم الى الهلاك والتلف كقوله * ولا يكن بغضك تلفا * اى ولا يكن بغضك بحيث يجر الى التلف والهلاك والكلف من كلفت بهذا الامر اى اولعت به وهو اشد الحب ونهاية الكلف الولوع بالشئ مع شغل قلب ومشقة ومنه قول عمر رضى الله تعالى عنه عثمان كلف باقاربه اى شديد الحب لهم (قوله وقيل البين الوصل) لا يكون ظرفا بل يكون مفعولا اولا لجعلنا ويكون موبقا مفعولا ثانيا وان جعل ظرفا يكون موبقا مفعولا اول لجعل ويكون الظرف المقدم مفعولا ثانيا له ويجوز ان يكون جعلنا بمعنى خلقنا فيتعدى الى واحد ويتعلق الظرف حينئذ بالجعل او بمحذوف على انه حال من موبقا (قوله مخالطوها) فسر المواقعة بالمخالطة لان مخالطة الشئ غيره اذا كانت قوية تامة يقال لها مواقعة (قوله من كل جنس يحتاجون اليه) لما كان لفظ المثل فى اصل اللغة بمعنى الشبه وفى عرف الناس بمعنى المثل السائر المشبه مضربه بمورده ويطلق مجازا على كل حال غريبة وصفة عجيبة وقصة بديعة تشبيها بالمثل السائر فى الغرابة والمثل الذى يكرر تقريره فى القرآن بوجوه مختلفة ليس المثل باحد هذه المعانى بل الذى يكرر فيه هو تقرير دلائل الوحدانية والنبوة وتحقيق احوال البعث والقيامة وبيان الاحكام والوعد والوعيد والقصص والامثال وهذه الامور ليست من قبيل المثل المعتبر باحد المعانى المذكورة الا انها لما كانت امورا مهمة يحتاج الانسان الى بيانها اشد الاحتياج صح اطلاق لفظ المثل عليها تشبيها لها بالمثل السائر ولذلك قال المصنف فى تفسير الآية من كل جنس يحتاجون اليه والظاهر ان مفعول صرفنا محذوف وقوله تعالى من كل مثل صفة لذلك المحذوف والمعنى ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس معنى من كل جنس يحتاجون اليه

فنادوهم للاغاثة (فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم) بين الكفار وآلهتهم (موبقا) مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هى فى شدتها هلاك كقول عمر رضى الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اى جعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيامة (ورأى المجرمون النار فظنوا) فايقنوا (انهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) انصرافا او مكانا ينصرفون اليه (ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل) من كل جنس يحتاجون اليه (وكان الانسان اكثر شئ) يتأتى منه الجدل

و يجوز ان يكون من كل مثل هو المفعول على ان تكون كلة من زآئدة على رأى الاخفش والكوفيين وشئ في قوله تعالى اكثر شئ جدلا وضع موضع الاشياء التي يتأتى منها الجدل اى افضلها واحدا واحدا والمعنى ان الانسان اكثر شئ جدلا من كل شئ يجادل والتفضيل مستفاد من اضافة افعل التفضيل الى النكرة فانه اذا اضيف الى النكرة المفردة وار يد بيان كون صاحب افعل زآئدا على ما اضيف اليه في المعنى المدلول عليه بالمصدر الذى اشتق منه افعل التفضيل يجب ان يكون المفضل داخلا فيمن اضيف اليهم فردا منهم ليحصل المقصود من المشركة والزيادة فاذا اضيف الى النكرة المفردة نحو زيد افضل رجل واكثر شئ جدلا يجب ان تكون النكرة بمعنى الجنس المتناول للمفضل وامثاله ليكون المفضل بعضا منهم ومشاركا معهم في اصل الفعل وزآئدا عليهم فيه فاذا قيل زيدا فضل رجل وهما افضل رجلين وهم افضل رجال كان معناه زيدا فضل من كل رجل وهما افضل من كل رجلين فيس فضلهما بعضلهما وذكر في شرح الرضى في بحث الاضافة ومذهب سيبويه ان اضافة افعل التفضيل حقيقية مطلقا وذلك انه في حال الاضافة على ضربين احدهما ان يكون بعض المضاف اليه فيدخل فيه اى فيما اضيف اليه والمعنى ان صاحبه مفضل في المعنى الذى وضع له المصدر المشتق هو منه على كل واحد مما بقى منهم بعده من اجزآء المضاف اليه فان زيدا في قولك زيدا ظرف الناس مفضل في الطرافة على كل واحد ممن بقى منهم بعده ولا يلزم منه تفضيل الشئ على نفسه لانك لم تفضله على جميع اجزآء المضاف اليه بل على ما بقى من المضاف اليه بعد خروج هذا المفضل منه فالاضافة في هذا المعنى بتقدير اللام كما في قولك بعض القوم وثلثهم وجزؤهم واحدهم فاذا كانت اضافته بهذا المعنى كاضافة بعض القوم تكون بتقدير اللام مثله فيكون بعضه بدليل قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين وثانيهما ان يكون صاحب افعل مفضلا على جميع افراد نوعه مطلقا ثم تضيفه الى شئ للتخصيص سوآء كان ذلك الشئ مشتملا على امثال المفضل نحو زيد افضل اخوته او لم يكن نحو زيد افضل بغداد اى افضل افراد نوع الانسان وله اختصاص ببغداد فالاضافة اليه لاجل التخصيص كان غلام زيد ومصارع مصر لا للتفضيل على اجزآء المضاف اليه فهذه الاضافة لاجل التخصيص حقيقة انه قا بمعنى اللام ثم نقول افعل بالمعنى الاول اما ان تضيفه الى المعرفة او النكرة فما اضفته الى المعرفة لم يجز ان تكون مفردة نحو افضل الرجل وافضل زيد اذ لا يمكن كونه بعض المضاف اليه بل اذا كان ذلك الواحد من اسماء الاجناس التي يقع لفظ مفردها على القليل والكثير نحو البرنى اطيب التمر حاز والرجل ليس جنسا بهذا المعنى فتقول زيد

افضل الرجلين اى احدهما المفضل على الآخر وافضل الرجال اى احدهم المفضل على كل واحد من الباقين واما اذا اضفته الى النكرة فيجوز اضافته الى الواحد والمثنى والمجموع نحو زيد افضل رجل والزيدان افضل رجلين والزيدون افضل رجال اى احدهم فيطابق صاحب افعل والمضاف اليه افراد اوتثنية وجمعا وانما جاز اى رجل هو واى رجلين هما واى رجالهم مع ان المجرور فى جميعها ليس فى الظاهر جملة معينة لكون المضاف بعضا منها لان المراد بكل واحد من هذه المجرورات الجنس المستغرق المجتمع من المسئول ومن امثاله فيكون فى الحقيقة مقسما الى المسئول وامثاله فمعنى اى رجل اى قسم من اقسام الرجال اذا قسموا رجلا رجلا واى رجلين اى اى قسم من اقسام هذا الجنس اذا قسم رجلين رجلين وكذا يجوز زيدا فضل رجل اى افضل اقسام هذا الجنس اذا قسم رجلا رجلا الى هنا كلام الرضى رحمه الله تعالى (قوله خصومة بالباطل) فان القرآن الكريم قد كرر الله فيه تقرير جميع مايحتاج اليه الانسان فى كل واحدة من النشأتين بوجوه مختلفة واساليب عجيبة يحير الناظرون فيها بالتأمل والاستبصار من اجل فضل الله تعالى ورحمته لعباده ومع هذا فانهم لا يتدبرون دلائله ومافيه من الهدى والبيان لكونهم مجبولين على المجادلة والمخاصمة والعناد وبها يقطعون الطريق على انفسهم فتارة يجادلون مع الانبياء ولا يقبلونهم بالنبوة والرسالة ويتاولونهم وتارة يجادلون فى الكتب المنزلة ويقولون ما انزل الله على بشر من شئ وتارة يجادلون فى متشابهاتها وتارة فى ناسخها ومنسوخها وتارة فى قدمها وحدوثها ونحو ذلك ولو تفرغوا من المجادلة الى المعادلة والمجاهدة ومن المنازعة الى التعليم والمطاوعة لامتلأت قلوبهم بنور المعرفة والهداية وتوصلوا بذلك الى عز الدارين وكان الانسان ظلوما جهولا (قوله من الايمان) اورد كلمة من لترضيح المعنى ولا ضرورة الى تقديرها لان منع قد يتعدى الى مفعوله الثانى بنفسه تقول اعطيته مالا ومنعته شرا فان قوله ان يؤمنوا منصوب المحل على انه مفعول ثان لمنع وقوله الا ان تأتيهم مرفوع المحل على الفاعلية والظرف لمنع (قوله وهو الاستئصال) اى سنة الله تعالى فى المصرين على الكفر والعناد بعد قيام الحجة وظهور الآيات ان يعذبوا بعذاب الاستئصال وذلك لم يتحقق بعد فى حقهم حتى يجعل مانعا من ايمانهم فوجب تقدير المضاف اذهم لايجعلون ايمانهم موقوفا على نزول عذاب الاستئصال اوعذاب الآخرة لان العاقل لايرضى بحصول هذين الامرين الا انه قيل فى حقهم انهم يزعمون ان الايمان متوقف على نزول احد الامرين وقد عدم حصول الموقوف عليه تشبيها لحالهم بحال من يعتقد توقف الايمان على احدهما ويترقب نزوله من عنده

(جدلا) خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز (وما منع الناس ان يؤمنوا) من الايمان (اذجاءهم الهدى) وهو الرسول الداعى والقرآن المبين (ويستغفروا ربهم) ومن الاستغفار من الذنوب (الا ان تأتيهم سنة الاولين) الاطلاب او انتظار اوتقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (اويأتيهم العذاب) عذاب الآخرة (قبلا) عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين

(ويحصول)

وه ولغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على
الحال من الضمير او العذاب (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) للمؤمنين والكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل)
باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا (ليدحضوا به) ليزيلوا بالجدال
(الحق) عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة
ونحو ذلك (واتخذوا آياتي) يعني ﴿٣٩﴾ القرآن (وما انذروا) وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب (هزوا) استهزاء
وقرئ هزأ بالسكون وهو ما يستهزأ به على التقديرين (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن (فاعرض عنها) فلم يتدبرها ولم يتذكر بها (ونسي ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها (انا جعلنا على قلوبهم اكنة) تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى (وفي آذانهم وقرا) يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا) تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على تقدير قوله مالي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه (وربك الغفور) البالغ المغفرة
(ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم
في عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر او يوم القيامة (لن يجدوا من دونه موئلا) منجى
ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه (وتلك القرى) يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره (اهلكناهم)
او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر (لما ظلموا) كقريش
بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي (وجعلنا لمهلكهم موعدا) لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون

ومحصول المعنى لم يمنع الناس من الايمان الا التعنت والعناد لانه قد ظهر لهم من الحجج والآيات ما لو لم يعاندوا ولا كابروا لالزمهم الايمان بها والتصديق لكن الذي منعهم من الايمان ما ذكر من عنادهم وقيل معنى الآية ما منع كفار مكة من الايمان بعد قيام البرهان الا ان قدرت في حقهم ما هو سنتي فيمن قبلهم من المكذبين من التعذيب فتكون الآية نازلة فيمن قتل من المشركين يوم بدر (قوله وهو لغة فيه) الجوهري رأيته قبلا وقبلا بالضم اي مقابلة وعيانا ورأيته قبلا بكسر القاف اي عيانا والقبيل الكفيل والجماعة من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب والجمع قبل وقوله تعالى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا قال الاخفش اي قبيلا وقال الحسن عيانا (قوله استهزاء) من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة والا فالقرآن وانذارهم العقاب المنذر به ليس شيء منهما استهزاء قائما بالمستهزئين الجوهري الهزء والهزؤ السخرية تقول هزئت منه وهزئت به واستهزأت به والهزأة بالتحريك من يهزأ بالناس (قوله على تقدير قوله مالي لا ادعوهم) متعلق بقوله وجواب وقوله فان حرصه على اسلامهم بيان لما يدل على المقدر يعني ان الجملة الشرطية جواب لقوله عليه الصلاة والسلام المدلول عليه بما هو عليه من حرصه على اسلامهم فانه عليه الصلاة والسلام لما قيل له انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا فهم منه انه قيل له انهم مأوفوا القلوب والآذان فاعرض عنهم واترك دعوتهم فنزل لكمال حرصه على اسلامهم منزلة من يسأل ويقول مالي لا ادعوهم وقد بعثت للدعوة فاجيب عن هذا السؤال المقدر بانك ان تدعهم الى الهدى فلن يتأثروا بدعوتك اذا اي في تلك الحال وهي كونهم مطبوعا على قلوبهم وآذانهم ولما اشتمل الجواب على الشرط الذي هو سبب كان ما بعد اذا جزاء مسببا عنه فصح ان اذا جواب وجزاء (قوله ولا بد من تقدير مضاف في احدهما) اي اما في تلك او في القرى اي اهل تلك القرى او تلك اصحاب القرى (قوله لاهلاكهم)

اشارة الى ان المهلك بضم الميم وفتح اللام على وزن اسم المفعول مصدر اهلك
ومن قرأ بفتحتين جعله مصدرا ميميا من الثلاثى على القياس (قوله مقدر باذكر)
عطف على قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اى واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين المتكبرين
على فقراء المسلمين قصة موسى عليه الصلاة والسلام وتواضعه للذى ذهب اليه
يتعلم منه وفيه تقريعهم على تكبرهم ومدح المؤمنين على تواضعهم وفيه ايضا
تعريف اهل الكتاب والمشركين ان اخفاء اصحاب الكهف وذى القرنين
عن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتأخر الوحى عنه لا يدل على انه ليس بنبى فان
موسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا اصطفاه الله تعالى بكلامه وبانزال التوراة
عليه ثم ذهب يتعلم من العلم ما علمه غيره واى بعد فى ان يكون العالم الكامل
فى اكثر العلوم يجهل بعض الاشياء فيحتاج فى تعلمها الى من دونه ولذلك
ارتحل موسى عليه الصلاة والسلام الى الخضر وقال له هل اتبعك على ان تعلمنى
مما علمت رشدا فظهر ان هذه القصة مع كونها قصة مستقلة فى نفسها فهى نافعة
فى تقرير المقصود من القصتين المتقدمتين (قوله وقوله حتى ابلغ) مجرور
بالعطف على المجرور بالاضافة فى قوله لدلالة حاله وقوله عليه اى على الخبر
متعلق بالدلالة وتوضيح المقام ان لا ابرح يجوز ان يكون من الافعال الناقصة
المستدعية خبرا منصوبا من قولهم لا ابرح افعل ذلك اى لا ازال افعله من زال
يزال وان يكون من الافعال التامة الغير المحتاجة الى الخبر من قولهم برح مكانه
اى زال عنه وصار الى البراح وهو المتسع من الارض لا زرع فيه ولا شجر من زال
يزول زوالا وازاله غيره فذكر المصنف اولا انه من الافعال الناقصة لكن حذف
خبره لان الحال والكلام يدلان عليه معا اما الحال فلانها كانت حال سفر و
اما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعى ما هى غاية
له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح ولا ازال اسير واسافر حتى ابلغ ثم ذكر وجها
آخر لكونه من الافعال الناقصة وهو ان فى الكلام حذف مضاف تقديره
لا يبرح سيرى ثم حذف المضاف واقيم ياء المتكلم مقامه فانقلبت مرفوعة مستترة
بعد ان كانت مجرورة المحل بارزة وكذا انقلب الفعل من لفظ الغائب الى لفظ
المتكلم وان حتى ابلغ هو الخبر وفيه بحث وهو ان هذه الجملة خالية عن ضمير
يرجع الى ما يعود الى قوله سيرى فكيف تكون هذه الجملة خبرا عن سيرى
فى الاصل والضمير الذى فيها يعود الى ضمير المتكلم الذى اضيف اليه السير
وذلك لا يكتفى به واما ان يقال انه حذف تقديره حتى ابلغ ساعة سيرى
او يقال جعل خبرا على طريق التوسع والمسامحة اقامة لما هو غاية الخبر مقام
الخبر والتقدير لا يبرح سيرى حاصلا او مستمرا حتى ابلغ وفرقه من الوجه الاول

فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اى اهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض (واذ قال موسى) مقدر باذكر (لفتاه) يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده (لا ابرح) اى لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله (حتى ابلغ مجمع البحرين) من حيث انها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق

(١ م اشترا ل)

وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر

الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع (او امضى حقبا) اواسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع اومضى الحقب اوحتى ابلغ الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روى ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام فريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى اوترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك اعلم منى فادلنى عليه

قال اعلم منك الخضر قال اين

اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان

مع اشتراك الوجهين فى حذف الخبر أى حذف الخبر فى الوجه الثانى متفرع على حذف المضاف من الاسم بخلاف الوجه الاول فهما متغايران فى التخريج النحوى وان اتحدا فى الاحتياج الى حذف الخبر ثم ذكر وجها آخر وهو ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول على حذف الصلة اى لا ازول عما انا عليه من المسير و لا افارقه و لا اتركه حتى ابلغ و على هذا الوجه وان لم يحذف الخبر لكن حذف المفعول الغير الصريح فالحذف لابد منه على كل واحد من التقديرين (قوله وعد لقاء الخضر فيه) روى ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى اوترده عن ردى فقال موسى ان كان فى عبادك من هو اعلم منى فادلنى عليه فقال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان حتى بلغا مجمع بينهما فرقد موسى فاضطرب الحوت عند الصخرة فطمر الى البحر وسار وقيل ان يوشع توضأ فى ذلك المكان من عين تسمى ماء الحياة لايصيب ذلك الماء شيأ الا يحيى فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب فى الماء وقيل انفجر هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة وهى فى المكتل فاضطربت وعاشت فوثبت فى البحر والحاصل انه تعالى بين لموسى عليه الصلاة والسلام ان هذا العالم موضعه مجمع البحرين وما عين له موضعا بعينه لكن جعل انقلاب الحوت حيا علامة دالة على مسكنه المعين (قوله والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضى الحقب) فحقبا منصوب على الظرفية (قوله اوحتى ابلغ الا ان) يعنى ان كلمة او بمعنى الا ان اى لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات مجمع البحرين (قوله فاعجب بها) اى استحسن تلك الخطبة لبلاغتها واشتمالها على المعارف والعلوم الكثيرة من قولهم اعجبنى هذا الشئ لحسنه (قوله وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر) وهو من اولاد سام بن نوح اتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فطاف الدنيا والخضر على مقدمته وسد يأجوج ومأجوج وبنى الاسكندرية واما ذو القرنين الاصغر فهو اليونانى الذى قتل دارى وسلب ملكه وتزوج ابنته واجتمع له ملك الروم وفارس وطاف فى الدنيا وبلغ الظلمات وقال الامام احتلف

الناس في ان ذا القرنين من هو وذكروا اقوالا الاول انه هو الاسكندر بن فيلبوس اليوناني قالوا والدليل عليه ان القرآن دل على ان الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه الى المغرب بدليل قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة وايضا بلغ ملكه اقصى المشرق وان يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون في اقصى الشمال بدليل ان السد المذكور في القرآن يقال في كتب التاريخ انه مبني في اقصى الشمال فهذا المسمى بذي القرنين قد دل القرآن على ان ملكه بلغ اقصى المشرق والمغرب والشمال وهذا هو تمام القدر المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لا شك انه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر وان لا يبقى مستترا والملك الذي اشتهر في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد ليس الا الاسكندر وذلك انه لما مات ابوه فيلبوس جمع ملوك الروم بعد ان كانوا طغاة ثم جمع ملوك الغرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحهم ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه الى دارى بن دارى وهزمه مرات الى ان قتله صاحب حرسه فاستولى الاسكندر على ممالك الفرس ثم قصد الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدائن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها فلما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او ما يقرب منها وثبت بعلم التواريخ ان الذي هذا شأنه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بان المراد بذي القرنين هو الاسكندر بن فيلبوس اليوناني ثم قال الامام الا ان فيه اشكالا قويا وهو انه كان تلميذ ارسطاطاليس الحكيم وهو على مذهبه فتعظيم الله تعالى اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطاطاليس حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه واجيب عنه بما روي من ان الخضر كان على مقدمة ذي القرنين فدعاه الخضر عليه السلام الى الاسلام فاسلم وكان على ملة الخليل عليه الصلاة والسلام وقد استوزره فلم يقبل منه وانقطع بسببه وبهذا يندفع الاشكال المذكور ان صح والله اعلم وروي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال كان الخضر ابن ملك من الملوك فاراد ابوه ان يستخلفه من بعده فلم يقبل وهرب منه ولحق بجزائر البحر وطلبه ابوه فلم يقدر عليه (قوله اي مجمع البحرين) يعني ان ضمير بينهما للبحرين وان حق الاجتماع ان يضاف الى البحرين لا الى البين وانما اضيف الى البين توسعا قال الامام اجمع المفسرون على ان المعنى انطلقا الى ان بلغا مجمع البحرين ارجاح

(فلما بلغا مجمع بينهما) اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل (نسيا حوتهما)

ضمير بينهما الى البحرين ويحتمل ان يرجع الى موسى والخضر عليهما السلام ويكون المعنى ولما بلغا الموضع الذى هو مجمع موسى وصاحبه الذى كان يقصده لان ذلك الموضع الذى وقع فيه نسيان الحوت هو الموضع الذى كان الخضر يسكن فيه او يسكن بقربه والظاهر ان لفظ البحرين على هذا الاحتمال باق على اصل معناه لا كما قيل من ان البحرين موسى والخضر عليهما السلام (قوله نسى موسى ان يطلبه ويتعرف حاله) قيل النسيان فعل يوشع وحده والكلام على حذف المضاف اى نسى احدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمصنف لم يرض به بل جعل النسيان مسندا اليهما على معنى نسيا امر الحوت نسى موسى ان يتعرف حاله ونسى يوشع ان يذكر لموسى ما شاهد من الحوت وهو اضطرابه ووثبته فى البحر ذهابا فيه وقدر المضاف ومن المعلوم انه ليس المراد من نسيان الحوت نسيان ذاته بل نسيان حاله قيل انهما خرجا من الشام وذهبا نحو ارمينية فانتهيا الى الصخرة التى قيل لموسى انك تجد عندها العبد الصالح الذى تطلبه فلما انتهيا اليها وضع موسى عليه الصلاة والسلام رأسه فنام فاضطرب الحوت ووثب فى البحر وشاهده يوشع ورآه ولم يره موسى ونسى يوشع ان يذكر امره لموسى وتوضيح الفرق بين قوله نسى موسى ان يطلبه وبين قوله وقيل نسيا تفقد امره الخ يتوقف على بيان مقدمة وهى انه تعالى بين لموسى عليه الصلاة والسلام ان موضع الخضر بمجمع البحرين ثم ان ذلك المجمع لما كان متسعا عريضا لا يتعين ان موضع ملاقاة الخضر من ذلك المكان المتسع اى موضع هو جعل فقدان الحوت المشوى علامة دالة على الظفر بالمطلوب وتعيين مكانه من بين ذلك المكان المتسع الذى عبر عنه بمجمع البحرين فلما بلغا ذلك المجمع الذى يتعين به مكان الخضر بنوع تعين كان على موسى عليه الصلاة والسلام ان يطلب ما به يتعين خصوص مسكنه ويتعرف حاله هل هو باق فى المكتل او مفقود ذاهب وكان على يوشع ان يذكر له ما رأى من حاله فنسى كل واحد منهما ما هو اللائق بحاله وارتحلا من ذلك الموضع من غير ان يطلب موسى عليه الصلاة والسلام الحوت ويتعرف حاله ومن غير ان يذكر يوشع ما رأى من حيات الحوت ودخوله البحر وهذا ما اختاره المصنف وذكره بقوله نسى موسى ان يطلبه الخ ولم يرض بقول من قال ان ما نسيه كل واحد منهما امر واحد وهو تفقد ما يكون امارة على الظفر بالمطلوب من احوال الحوت لان هذا هو الذى نسيه موسى واما يوشع فقد شاهد من الحوت هذه الامارة وانما نسى ان يذكرها لموسى (قوله مسلكا) على ان السرب مصدر كالطلب اريد به الموضع والمذهب يسرب فيه اى يسلك ويذهب فيه من قولهم سرب اى ذهب على

نسى موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه فى البحر روى ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوى ووثب فى البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب (فاتخذ سبيله فى البحر سربا) فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ (فلما جاوزا) مجمع البحرين

(قال لفتاه آتنا غدآءنا) ماتتغدى به (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر ألقى عليه الجوع والنصب. وقيل لم يعي موسى فى سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة (قال أرأيت اذ أوينا)
أرأيت مادهانى اذ أوينا (الى الصخرة) يعنى الصخرة التى ﴿ ٤٤ ﴾ رقد عندها موسى وقيل هى الصخرة التى

دون نهر الزيت (فانى نسيت الحوت) فقدته اونسيت ذكره بمارأيت منه (ومآأنسانيه الاالشيطان ان اذكره) اى وماانسانى ذكره الا الشيطان فان أن أذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكره وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه اولان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبها (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب اواتخاذا عجبا والمفعول

الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اى قال فى آخر كلامه اوموسى فى جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال (مصدر) وقيل الفعل لموسى اى اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا (قال ذلك) اى امر الحوت (ما كنا نبغ) نطلب لانه امارة المطلوب (فارتدا على آثارهما) فرجعا فى الطريق الذى جاآ فيه (قصصا) يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا

وجهه فى الارض والسرب ايضا بيت فى الارض لامنفذ له واذا كان له منفذ يقال له نفق الجوهرى النفق سرب فى الارض له مخلص الى مكان فقيل ومنه السرب فى الآية روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال معنى جعل سبيله فى البحر سربا انه دخل فى البحر كما يدخل فى السرب كأن الماء ارتفع بعضه فصار كالطاق والكوة فذهب الحوت فيه فصار الماء على الحوت كالطاق وصار الحوت فى البحر كأنه فى السرب (قوله ماتتغدى به) الغداء مايعد للاكل غدوة والعشاء مايعد للاكل عشية (قوله قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد) فيكون حكمة هذا الاشارة الى مسيرهما بعد المجاوزة وكان هذا المسير اتعب لهما مما سبق لان رجاء المطلوب يقرب البعيد والخيبة تبعد القريب ولهذا ورد فى الحديث ان موسى عليه الصلاة والسلام لم ينصب الا منذ جاوز الموضع الذى حده الله تعالى (قوله أرأيت مادهانى اذ أوينا) يعنى ان قوله ارأيت بمعنى اخبرنى حذف مفعوله الذى هو المستخبر عنه وهو الظروف قوله اذ أوينا وهو ايضا ظرف قوله فانى نسيت الحوت وحذف لدلالة مقام الحيرة عليه ونهر الزيت علم لنهر هناك سمى نهر الزيت لكثرة اشجار الزيت على شاطئه (قوله تعالى وماانسانيه الا الشيطان) قرأ حفص بضم الهاء فيه وفى قوله فى سورة الفتح عليه فى الوصل والباقون بكسرها فيهما وان اذكره فى محل النصب على انه بدل من هاء انسانيه بدل اشتمال اى انسانى ذكره (قوله سبيلا عجبا) على ان يكون فاعل اتخذ ضمير الحوت وسبيله اول مفعولى اتخذ وفى البحر يجوز ان يتعلق بقوله اتخذ وان يتعلق بمحذوف على انه حال من المفعول الاول اوالثانى وعجبا صفة محذوف هو ثانى المفعولين (قوله اواتخاذا عجبا) على ان عجبا صفة محذوف هو مفعول مطلق لاتخذ وفى البحر هو المفعول الثانى (قوله اوموسى فى جوابه) عطف على المستتر فى قال لقيام الفصل مقام التأكيد اى قال فتى موسى فى آخر كلامه تعجبا اى عجبت عجبا فحكى الله تعالى ذلك او قال موسى ذلك فى جوابه فحكى الله تعالى ذلك عنه وهذا الاحتمال الاخير ليس مما يعول عليه لان موسى عليه الصلاة والسلام لما قال يوشع آتنا غداءنا اجابه بقوله ارأيت اذ اوينا الى الصخرة وهى كلمة تعجب وقال واتخذ سبيله فى البحر تعجب فتى من موسى من ذلك فحكى الله تعالى تعجبه والارتياب فى نفسه بعيد من بلاغة التنزيل بل ينبغى ان يكون عجبا من فتى موسى (قوله يقصان قصصا) على ان قصصا

او مقتصين حتى أتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس (آتيناه رحمة من عندنا) هى الوحى والنبوة (وعلمناه من لدنا علما) مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن) على شرط ان تعلمنى وهو فى موضع الحال من الكاف (مما علمت رشدا) علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصرى بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمنى ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذى له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا ﴿٤٥﴾ فى ابواب الدين فان الرسول ينبغى ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى فى ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه (قال انك لن تستطيع معى صبرا) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) اى وكيف تصبر وانت نبى على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره (قال ستجدنى ان شاء الله صابرا) معك غير منكر عليك (ولا اعصى لك امرا) عطف على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاص او على ستجدنى وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى (قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ) فلا تفاتحنى بالسؤال عن شئ انكرته منى ولم تعلم وجه صحته (حتى احدث لك منه ذكرا) حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألنى بالنون الثقيلة (فانطلقا) على الساحل يطلبان السفينة (حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها) اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها (قال أخرقتها لتغرق اهلها) فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائى ليغرق اهلها على اسناده الى

مصدر منصوب بفعل مقدر من لفظه او مصدر لقوله فارتدا على آثارهما لان معناه اقتصا على آثارهما (قوله او مقتصين) على انه مصدر بمعنى اسم الفاعل فنصبه على الحال (قوله تعالى علما) مفعول ثان لعلمناه ولو كان مفعولا مطلقا لقيل تعليما وقوله من لدنا يجوز ان يتعلق بالفعل قبله او بمحذوف على انه حال من علما (قوله وهو فى موضع الحال من الكاف) فى اتبعك اى اتبعك باذلا لى علمك (قوله او مصدرا باضمار فعله) اى على ان تعلمنى وترشدنى رشدا او مما علمت وارشدت رشدا (قوله فاستجهل نفسه) فان قوله على ان تعلمنى اقرار منه على نفسه بالجهل وعلى استاذه بالعلم وقوله مما علمت كلمة من فيه للتبعيض فطلب تعليم بعض ما علم كأنه يقول لا اطلب منك ان تجعلنى مساويا لك فى العلم بل اطلب منك ان تفيدنى بعض ما علمت روى انه لما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا قال له الخضر كفى بالتوراة علما وبنى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله امرنى بهذا فحينئذ قال له انك لن تستطيع معى صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يرى امورا كثيرة منكرة بحسب الظاهر ولا يجوز للانبياء ان يصبروا على المنكرات ثم بين عذره فى ترك الصبر فقال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وخبرا تمييز لقوله لم تحط وهو منقول من الفاعلية اذ الاصل بما لم يحط به خبرك اى علمك ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا من غير لفظ الفعل لان قوله لم تحط به بمعنى لم تخبره خبرا الجوهرى من اين خبرت هذا الامر اى من اين علمت والاسم الخبر بالضم وهو العلم بالشئ وقولهم لاخبرن خبرك اى لاعلمن خبر علمك (قوله وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى) فان الصبر فى مقام التوقف واجب مأمور به ولو كان جميع ما امر الله به وأوجبه على العبد قد أراده الله تعالى لما كان لتعليق صبره بمشيئة الله فائدة فان كلمة ان تفيد الشك فقوله ستجدنى

الاهل (لقد جئت شيأ امرا) اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم (قال ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا) تذكيرا لما ذكره قبل (قال لا تؤاخذنى بما نسيت) بالذى نسيته او بشئ نسيته يعنى وصيته بان لا يعترض عليه او بنسيانى اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام ﴿ ٤٦ ﴾ المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شئ آخر نسيه (ولا ترهقنى من امرى عسرا) ولا تغشنى عسرا من امرى بالمضايقة والمؤاخذة على المنسى فان ذلك يعسر على متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين (فانطلقا) اى بعدما خرجا من السفينة (حتى اذا لقيا غلاما فقتله) قيل قتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك (قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس) اى طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضى قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل (من) انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا وفى الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل

ان شاء الله معناه ستجدنى صابرا ان شاء الله كونى صابرا وهذا يقتضى وقوع الشك فى ان الله تعالى هل يريد كونه صابرا اولا وكونه مشكوكا فيه يدل على انه تعالى قد لا يريد من العبد ما اوجبه عليه وانه تعالى قد يأمر بالشئ مع انه لا يريده لا كما زعمت المعتزلة من ان الامر يستلزم الارادة ولما كان تحقق مشيئة الله تعالى غيبا لا يعلم حصولها الا اذا علمنا حصول متعلقها كان تعليق ما التزمه من الصبر بحصولها موهما لكونه غير عازم عليه ومعلوم انه عازم على الصبر فيكون تعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر لا لكونه غير عازم على الصبر كتعليق من قال انت طالق ان شاء الله فانه لا يقع الطلاق ولا يكون الزوج عازما على الطلاق بهذا القول والمقصود من هذا الكلام دفع ما يقال من ان ما حكاه الله تعالى عن الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام يستلزم صدور الكذب من احدهما فان الخضر قال لموسى انك لن تستطيع معى صبرا وقال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا وكل واحد من هذين القولين يكذب الآخر فيلزم الحاق الكذب باحدهما وصدور الكذب من احدهما ينافى عصمة الانبياء وتقرير الجواب انه لم يحصل صدور الكذب من واحد منهما اما من الخضر فلتحقق عدم الصبر من موسى باستخباره عما رأى من الخضر وانكره نظرا الى ظاهره واما من موسى فانه قد استثنى فى جوابه وقال ستجدنى ان شاء الله صابرا فان التعليق بالمشيئة يدفع الحنث وينافى الكذب وقيل انه من معاريض الكلام بان لا يكون النسيان بمعنى الترك بل اراد به ما يقابل الذكر الا انه لا يراد به نسيان وصيته بل النسيان فى الجملة اذ الانسان لا يخلو عن نسيان لما روى عن ابن عباس انه سمى انسانا لانه عهد اليه فنسى والتعريض خلاف التصريح وذلك يكون بان تصرح بذكر شئ وتميل كلامك الى عرض وناحية لم تذكر كقولك ما اقبح البخل تعرض للمخاطب انه بخيل فعلى الاول قد كان موسى نسى وصية الخضر حقيقة ونهاه عن المؤاخذة معتذرا بالنسيان المانع عنها وعلى الثانى لم ينس فى نفس الامر بل نهاه عن اخذه بالنسيان موهما من قبيل المعاريض اوحمل النسيان على الترك لان المؤاخذة بالنسيان حقيقة مما لا يصدر من النبى فلا يحتاج الى النهى عنها وجعل صورة النهى فى الوجه الاول طريقا الى الاعتذار بالنسيان الناشئ عن قلة التحفظ (قوله ولذلك) اى ولكون القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فصله بقوله لقد جئت شيأ نكرا فان النكر اعظم

نجدة الكلام ولذلك فصله بقوله (لقد جئت شيأ نكرا) اى منكرا وقرأ نافع فى رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين (قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز ﴿ ٤٧ ﴾ والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد فى الاستنكار ثانى مرة

من الامر فى القبح لان مايشتد ويعظم من الامور لايلزم ان يكون منكرا والشئ انما يكون نكرا اذا انكرته العقول ونفرت عنه الطباع والنفوس (قوله قدنى من نصر الخبيبين قدى) اكتفى بتحريك الدال من قدى عن نون الوقاية والخبيبان عبد الله بن الزبير وابنه خبيب وقيل هو واخوه مصعب ومن روى الخبيبين على الجمع اراد ثلاثتهم وقرأ ابو بكر لدنى بضم الدال وتشديد النون وعن الزجاج قال اجود القرآآت تشديد النون لان اصل لدن الاسكان فاذا اضفته الى نفسك زدت نونا ليسلم سكون النون الاصلية فتقول من لدنى كما تقول منى وعنى ومن قال لدنى لم يجز له ان يقول منى وعنى بترك نون الوقاية لان لدن اسم غير متمكن فلا ضير فى تحريك آخره بخلاف من وعن فانهما حرفان والدليل على ان الاسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدى فى قدنى فان قد اسم غير متمكن قال الجوهرى بعد ماذكر ان كلمة قد حرف لاتدخل الا على الافعال واما قولهم قدك بمعنى حسبك فهو اسم وتقول قدى وقدنى ايضا بالنون على غير القياس لان هذه النون انما تزاد فى الافعال وقاية لها عن صورة الجر مثل ضربنى وشتمنى (قوله تعالى استطعما اهلها) اى سألاهم الطعام فان آخر كسب الجائع الاقدام على المسألة والاستطعام وهو امر مباح فى كل الشرائع وربما يجب ذلك عند خوف التلف والضرر الشديد عن ابى بن كعب ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال كانوا اهل قرية لئام قال الامام رأيت فى كتب الحكايات ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحمل من الذهب وقالوا يا رسول الله نشترى بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء حتى تصير القرآءة هكذا فأتوا أن يضيفوهما اى اتوا لأن يضيفوهما اى اتيان اهل تلك القرية اليهما لاجل الضيافة وقالوا غرضنا منه ان يدفع عنا هذا اللؤم فامتنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب فى كلام الله وذلك يوجب القدح فى الالهية فعلمنا به ان تغيير هذه النقطة الواحدة يوجب بطلان الربوبية والعبودية (قوله فاستعيرت الارادة) فانها لكونها من صفات الاحياء لايوصف الجدار بها حقيقة فشبه مشارفة الجدار الى الانقضاض بالارادة بجامع الميلان بينهما فاستعيرت لها فهى استعارة تبعية (قوله يلف شملى) اى يجمع ماتشتت من امرى وجمل اسم محبوبته يقول

(قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى) اى وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبنى اى تجعلنى صاحبك (قد بلغت من لدنى عذرا) قد وجدت عذرا من قبلى لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخى موسى استحيى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لأبصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع من لدنى بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدنى من نصر الخبيبين قدى وابو بكر لدنى بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد (فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية) قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل ارمينية (استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما من اضافة يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال (فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض) يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابى براء * ويعدل عن دماء بنى عقيل وقال آخر ان دهرا يلف شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض

ان دهرا يجمع بيني وبين محبوبي دهر همه الاحسان لا الاساءة شبه مساعدة الزمان لاجتماعه مع محبوبته بالهم فاستعيرلها (قوله وقرئ ان ينقض) على بناء المفعول من النقض بمعنى الهدم يقال نقض البناء ينقضه اذا هدمه وان ينقاص من قاصه يقيصه اي كسره وتقول العرب انقاصت السن اذا انشقت طولا (قوله لينتعشا) اى ليتقويا ويرتفعا عن انحطاط الضرورة يقال نعشه الله اي رفعه وانتعش العاثر اذا نهض من عثرته نفى عنه مشيئة اتخاذ الاجر على عمله تحريضا له على اخذه كأنه قال لم تشأ ذلك وقد علمت حالنا وحالهم (قوله اوتعريضا بانه) اى بان الاشتغال باصلاح الجدار فضول اى فعل زائد لايهمنا لانك لا تفعله لاخذ الاجر وليس لنا في نفس اقامة الجدار فائدة فهي من فضول العمل (قوله واتخذ افتعل من تخذ) على وزن علم والظاهر انه افتعل من اخذ اصله ائتخذ ابدلت الهمزة ياء ثم ابدلت الياء تاء وادغمت في التاء وذلك لان مادة تخذ لم يذكرها الجوهري بل قال الاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال الياء تاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل وقالوا تخذ يتخذ وقرئ لتخذت عليه اجرا وقولهم اخت كذا يبدلون الذال تاء فيدغمونها في التاء هذا كلامه الا ان البصريين يجعلونه من الاخذ بناء على انه لما جاء في بعض القراآت لتخذت دل على ان هذه اللغة واقعة في كلام العرب وكانت التاء الاولى في اتخذ دائرة بين الاصالة والانقلاب عن الهمزة ولا شك ان الاولى تحمل على الاصالة فلهذا قطعوا بانه ليس من الاخذ (قوله الاشارة الى الفراق الموعود) فان المشار اليه لايجب ان يكون موجودا حاضرا وقت الاشارة بل يكفي ان يكون موجودا ذهنا ويدل عليه قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهي معدومة وقت نزول القرآن ولما وعده موسى عليه الصلاة والسلام انه ان حدث منه مسألة ثالثة يفارقه ولا يلح عليه في المصاحبة فلما وقع منه الاعتراض على ترك الاجر وحل ميعاد الفراق الموعود تصور الخضر عليه الصلاة والسلام ذلك الفراق الموعود فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه على طريق قولك هذا اخوك فان لفظ هذا لا يشار به الى غير الاخ فكذا في الآية وخص الاعتراض الثالث بكونه سبب الفراق دون الاولين لان لموسى عليه الصلاة والسلام في السؤالين الاولين عذرا وهو كون الظاهر كان منكرا بخلاف الاعتراض الثالث فانه غير مبني على امر منكر وانما بناه على طمعه الذي هو منكر في نفسه فان الطمع اردى الخصال فلما نطق موسى عليه الصلاة والسلام بما ينبئ عن الطمع قال له الخضر هذا فراق بيني وبينك وجعله سببا للفراق واصله هذا فراق بيني وبينك

وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا (وأقامه) بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه (قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا) تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به اوتعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اى لأخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون (قال هذا فراق بيني وبينك) الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت اى هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل

(فاضيف)

ما اضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به (قوله سأنبئك بالخبر الباطن الخ) اى بالحكمة التى تخفى عليك فيما توليته من الامور سميت أويلا لكونها مرجعا ومصير التلك الامور من قولهم آل الامر الى كذا اى صار اليه وتلك الحكمة خفيت على موسى لان احكام الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبنية على الظواهر كما قال عليه الصلاة والسلام نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرآئر اى من يتولى سرآئر الامور وظواهرها هو الله تعالى والظاهر فى اموال الناس ونفوسهم ان لا يكون لغيرهم ولاية التصرف فيها من غير سبب والخضر لما تصرف فى اموال الناس ونفوسهم من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف كان ذلك التصرف منكرا فى حكم الشرع الا انه تعالى لما آتى الخضر قوة عقلية قدر بها ان يطلع على بواطن الامور ويقف على الاسرار الالهية التى هى اسباب معتبرة فى نفس الامر لما ذكر من التصرفات فعل ما فعل لتلك الاسرار الخفية والحكم الالهية فظهر بهذا تفاوت ما بين موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فى باب العلم وان مرتبة الخضر كانت فوق مرتبة موسى فيه فان قيل ظهر مما ذكر انه تعالى خص الخضر بما علمه من العلوم اللدنية فكانت مرتبته فوق مرتبة موسى باختصاصه بتلك العلوم والاطلاع على بواطن الاشياء وحقائقها وموسى لا يعلم هذا النوع من العلوم الالهية فكان من الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكنه تعلمه وهذه المسائل الثلاث علوم لا يمكن تعلمها فما الفائدة فى ذكرها واظهارها فالجواب ان العلم بالاسرار الالهية وان كان لا يمكن تعلمه بنفسه من البشر الا انه يمكن ان يتعلم طريق حصوله بتصفية الباطن وتجريد النفس وتطهير القلب من العلائق البدنية ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما استكمل بمعرفة الشرآئع الظاهرة بعثه الله تعالى الى هذا العالم ليعلم ان كمال الانسان بان ينتقل من علوم الشريعة المبنية على الظواهر الى علوم البواطن والحقائق المبنية على التنزه عما يشغل سره عن الحق والتوجه الى جناب القدس وعالم الغيب (قوله قدامهم اوخلفهم) اى ان لفظ ورآء من الاضداد يطلق على كل واحد من جهتى الامام والخلف قال تعالى من ورآئهم جهنم اى امامهم وقال ويذرون ورآءهم يوما ثقيلا وذلك ان ورآء وان كان ظرف مكان الا انه مأخوذ من التوارى وهو التستر والاختفاء يقال واريت الشئ اى اخفيته وتوارى هو اى تستر وكل ما غاب عنك فهو متوارى عنك وانت متوارى عنه فيصح ان يقال لكل ما غاب عنك انه ورآءك وما كان امام الشئ او قدامه اذا كان غائبا عنه لا يبعد ان يطلق عليه لفظة ورآء ولكون الورآء بمعنى القدام احتج بوروده فى القرآن بذلك المعنى وبقرآءة

(سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيأ اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر (فاردت ان اعيبها) اجعلها ذات عيب (وكان ورآءهم ملك) قدامهم اوخلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدى (يأخذ كل سفينة غصبا) من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان ورآءهم ملك لان ارادة التعيب مسبب عن خوف الغصب

وانما قدم للعناية اولان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزءين وادناهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها (وان الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما) ان يغشاهما (طغيانا وكفرا) لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله ﴿٥٠﴾ او بممالأته على طغيانه وكفره حباله وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى (فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه) ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه (زكاة) طهارة من الذنوب والاخلاق الردية (واقرب رحما) رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم قرأ نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور (وكان تحته كنز لهما) من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب

ابن عباس وكان امامهم ملك وان كان الملك غاصب في جهة خلفهم لا بد ان يكون مرجع السفينة عليه حتى يكون لخرقها فائدة وقوله تعالى غصبا يحتمل ان يكون مصدرا في موضع الحال وان يكون مفعولا مطلقا لبيان نوع الاخذ نحو رجع القهقرى (قوله وانما قدم للعناية) يعني قدم المسبب الذي هو ارادة تعييب على السبب وهو خوف الغصب مع ان حق المسبب ان يترتب على السبب ويتأخر عنه لوجهين احدهما العناية بتقديمه ووجه العناية ان موسى عليه الصلاة والسلام بنى انكاره على خرق السفينة على كون خرقها مؤديا الى اغراق اهلها في خرقها فانما يريد اغراق اهلها فكان الاهم بالنسبة الى الجواب ان يدفع ما بنى انكاره فدفعه بان خرقها لارادة تعييبها لا لاجل الاغراق وثانيهما ان السبب ليس مجرد خوف غصب السفينة الصحيحة بل كون السفينة للمساكين جزء سبب التعييب وذكر الجزء الآخر عقيبه على سبيل التقييد لانه حال من فاعل اردت باضمار قد (قوله او يقرن بايمانهما) عطف على قوله فيلحقهما شرا يعني ان اثبات الطغيان واغشاءه اياهما يحتمل ان يكون المراد به ان يؤذيهما ويلحقهما شرا بسبب عقوقه وان يجمع بين كفره وايمانهما في بيت واحد يقال قرنت الشيء بالشيء اي وصلته به ويقال غشيه غشيانا اذا جاءه واغشاه اياه غيره كذا في الصحاح (قوله او يعديهما بعلته) عطف على ماقبله ايضا وهو من العدوى بمعنى تجاوز نحو الجرب عن صاحبه الى غيره يقال اعدى فلان فلانا من خلقه او من علة به او جرب اي يحتمل ان يكون المراد باغشائه الطغيان اياهما ان يحملهما حبه على ان يتابعاه على دينه او يرتدا باضلاله والممالأة المساعدة يقال مالأته على الامر ممالأة اي ساعدته عليه وشايعته (قوله اي فكره كراهة من خاف) على ان يكون قوله فخاف استعارة تبعية متفرعة على المجاز المرسل حيث اطلق اسم السبب وهو خوف سوء العاقبة على المسبب الذي هو الكراهة واسندت الكراهة المبنية على الخوف اليه تعالى تشبيها لكراهيته تعالى بكراهية الخائف (قوله ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى) عطف على قوله وانما خشي ذلك والمعنى

كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وكان ابوهما صالحا)
تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه ﴿١٥﴾ وقيل كان بينهما و بين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا

ان الله تعالى اعلمه بحال الغلام واطلعه على سره وقال له اقتل الغلام لانا نكره كراهة من يخاف سوء العاقبة ان يغشى الغلام والديه طغيانا وكفرا ولما قال الخضر واما الغلام فكان ابواه مؤمنين درج قول الله تعالى فخشينا في اثناء كلامه ولم يقل فخشيت ايماء الى اضمحلال ارادته في ارادة الله تعالى واعلاما بان علمه مقتبس من المشكاة القدسية ولا شوب فيه لرأيه وتحقيقا لقوله تعالى وآتيناه من لدنا كما قال جبريل عليه الصلاة والسلام لمريم لاهب لك غلاما والواهب هو الله تعالى وهو مبلغ لكلام الله تعالى اياها (قوله وبين الاب الذي حفظا فيه) اى روعى جانبهما لاجله وكرامته وفي المغرب الحفظ خلاف النسيان وقد يجعل عبارة عن الصون وترك الابتذال (قوله ومبنى ذلك) اى مبنى ما فعله الخضر في المسائل الثلاث تحمل ادنى الضررين لدفع اعلاهما اما المسئلة الاولى فلأن الخضر علم انه لو لم يعب تلك السفينة بالخرق لغصبها ذلك الملك وفاتت منافعها على ملاكها بالكلية وان خرقها ينقص بعض ماليتها وهو اهون بالنسبة الى الضرر الاول فوجب تحمله دفعا لما هو اعظم منه فكذا المسئلة الثالثة لان المشقة الحاصلة بسبب الاقدام على اقامة ذلك الجدار اوسقط لضاع اولئك الايتام وفيه ضرر شديد قيل وقال الخضر لموسى عليه الصلاة والسلام حين قال له اخرقتها لتغرق اهلها قد القتك امك في اليم فلم تغرق ام خفت لغرق عليهم مع حفظ الله تعالى ولما قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس قال انك قتلت القبطي بالوكزة فلم تعاتبني بهذا ولما قال له لوشئت لتخذت عليه اجرا قال انك سقيت لابنتي شعيب فلم تطلب لذلك اجرا فلم امرني بذلك فكان له وجوه تنبيه في هذه القصة قال وهب ثم انطلق موسى والخضر حتى قعدا على الصخرة فاقبل طائر فغمس منقاره في البحر ثم اخرجه فمسحه على جناحيه فقال الخضر انه يقول ما علم الخلق في علم الله لاتقدر ما حملت بمنقاري وقال موسى للخضر حين اراد ان يفارقه اوصني قال لا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئ بخطيئته وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم لغد وروى ايضا ان موسى لما اراد ان يفارقه قال اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به (قوله يعني اسكندر الرومي) فيه نظر لان الاسكندر الرومي هو ذو القرنين الاول كان مؤمنا عبدا صالحا وقيل كان نبيا وقد اسلم على يدي ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان وزيره الخضر وهو اول التبابعة وكانت مدة ملكه الفي سنة لانه كان في دين الخليل الى ان ادركه سيل

واسمه كاشح (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) اى الحلم وكمال الرأى (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة اومصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لامدخل له في بلوغ الغلامين اولان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج اولاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط (وما فعلته) وما فعلت ما رأيته (عن امري) عن رأيي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) اى ما لم تستطع

فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه
وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره

ثم هاجر عنه (ويسألونك عن ذي القرنين) يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك
سمي ذا القرنين اولانه
طاف قرني الدنيا شرقها
وغربها وقيل لانه انقرض
في ايامه قرنان من الناس
وقيل كان له قرنان اى
ضفيرتان وقيل كان لتاجه
قرنان ويحتمل انه لقب بذلك
لشجاعته كما يقال الكبش
للشجاع كأنه ينطح اقرانه
واختلف في نبوته مع الاتفاق
على ايمانه وصلاحه
والسائلون هم اليهود
سألوه امتحانا او مشركوا
مكة (قل سأتلو عليكم منه
ذكرا) خطاب للسائلين
والهاء لذي القرنين وقيل
لله (انا مكنا له في الارض)
اى مكنا له امره من التصرف
فيها كيف شاء فحذف
المفعول (وآتيناه من كل
شيء) اراده وتوجه اليه
(سببا) وصلة توصله اليه
من العلم والقدرة والآلة
(فاتبع سببا) اى فاراد بلوغ
المغرب فاتبع سببا يوصله اليه
وقرأ الكوفيون وابن عامر
بقطع الالف مخففة التاء
(حتى اذا بلغ مغرب الشمس
وجدها تغرب في عين حمئة)
ذات حمأة من حمئت البئر
اذا صارت ذات حمأة وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر حامية اى حارة
ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ماقبلها (حارة)

العرم وما بعده وكانت امه رومية وكان يقال لها فيلسوف لعقلها وذو القرنين
الثاني كان فيلسوفا حكيما مشركا كافرا وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف
كذا نقل من تاريخ ابن كثير وفي تفسير الكواشي انه صلى الله تعالى عليه وسلم
سئل عن ذي القرنين فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه الله
وناصح الله فناصحه الله واسمه عبد الله او الاسكندر من القرون الاول من ولد
يونان بن يافث بن نوح او كان بعد ثمود قالوا وعاش الفا وستمائة سنة (قوله
قرنان من الناس) الجوهري القرن من الناس اهل زمان واحد ويطلق
القرن ايضا على ثمانين سنة وقيل على ثلثين سنة وعلى ما يماثلك في السن تقول
هو على قرني اى على سني وعلى جانب الرأس ايضا قيل ومنه سمي ذو القرنين
ذكر في اول هذه السورة ان اليهود امروا المشركين ان يسألوا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن الروح
فالمراد من قوله ويسألونك عن ذي القرنين هو ذلك السؤال عن عقبة بن عامر
قال ان نفرا من اهل الكتاب جاؤا بالصحف او الكتب فقالوا استأذن لنا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لندخل عليه فانصرفت اليه فاخبرته فقال عليه الصلاة
والسلام مالهم يسألونني عما لا اعلم انما انا عبد لا علم لي الا ما علمني ربي ثم قال ابغي
ابتغي وضوأ اتوضأ به ثم قام الى مسجد في بيته وركع ركعتين فانصرف حتى
بدا السرور في وجهه ثم قال اذهب فادخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابي
فادخلهم فلما رآهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم ان شئتم اخبرتكم بما
اردتم ان تسألوني عنه وان شئتم غير ذلك فافعلوا فهذا ان ثبت يدل على انه اتاه
نبأ ذي القرنين بخبره قبل ان يسألوا عنه واما اهل التأويل فانهم قالوا جميعا
انه سئل قبل ان ينزل عليه خبره ثم نزل ذلك بعد السؤال (قوله وصلة)
اى ما يتوصل به كالقربة بمعنى ما يتقرب به قالوا السبب في اصل اللغة عبارة عن
الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به الى المقصود فهو يتناول العلم والقدرة والآلة
فالمعنى واعطيناه من كل شيء مقاصده واغراضه والامور التي يتوصل بها الى
تحصيل ذلك الشيء فانه تعالى اعطاه من كل شيء يحتاج اليه في فتح الممالك
وضبطها وتدبير امرها ما يتوصل به الى اسباب تحصيل ذلك المراد فاي
مقصود اراده هيأ الله له ما يوصله اليه فاتبعه قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو
فاتبع سببا بوصل الهمزة وتشديد التاء وكذلك ثم اتبع اى سلك وسار وقرأ
الكوفيون وابن عامر فأتبع ثم أتبع في الثلاثة بقطع الهمزة وتخفيف التاء فقيل
هما بمعنى واحد فيتعديان الى مفعول واحد وقيل أتبع بالقطع متعد الى اثنين
حذف احدهما تقديره فاتبع سببا سببا (قوله او حمية) عطف على قوله

ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت
تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله (قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب) اى بالقتل على كفرهم (واما ان تتخذ فيهم حسنا) بالارشاد وتعليم الشرآئع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله (قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه انا ومن معى في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله (واما من امن وعمل صالحا) وهو ما يقتضيه الايمان (فله) في الدارين (جزآء الحسنى)

حارة اى يجوز ان يكون حامية بالالف بدون الهمزة بمعنى حارة من قولهم حمى النهار بالكسر وحمى التنور حميا اذا اشتد حره ويجوز ان يكون بمعنى حمئة بهمزة من غير الف اى ذات حمأة وهى الطين الاسود على ان تكون ياء حامية مقلوبة عن الهمزة فتكون قرآءة حمئة وحامية بمعنى واحد (قوله ولعله بلغ) جواب سؤال مقدر وهو ان يقال قد تقرر ان الشمس في السماء الرابعة ولها فلك خاص يدور بها في السماء فكيف يكون غروبها في عين حمئة وتقرير الجواب انه تعالى لم يخبر بان غروبها في الحقيقة في عين حمئة وانما اخبر بان ذا القرنين يجدها ويظن انها تغرب فيها حيث قال وجدها تغرب في عين حمئة فانه لما بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في هذه العين المظلمة وان لم يكن كذلك في الحقيقة اذ تغيب ورآء البحر ولا شك ان البحار الغربية قوية السخونة فهى حامية وهى ايضا حمئة لكثرة ما فيها من الماء ومن الحمأة السوداء فقوله تغرب في عين حمئة اشارة الى ان الجانب الغربى من الارض قد احاط البحر به وهو موضع شديد السخونة قال اهل الاخبار في صفة ذلك الموضع اشياء عجيبة قال ابن جريج هنالك مدينة لها اثنا عشر الف باب لولا اصوات اهلها لسمع الناس صوت الشمس حين تجر اسمها رومية وفى رواية لسمعوا صوت مرها في السماء كصوت المنشار في الخشب وروى ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب اسم الشرقية جابلق والغربية جابلص وهما اللتان يقول لهما الناس جابلقا وجابلصا وعلى كل مدينة منهما عشرة آلاف باب بين كل بابين مسيرة فرسخ يبيت كل ليلة على كل باب من هذه الابواب عشرة آلاف رجل لا يعودون بعد النوبة ابدا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لولا كثرة اصوات اهل هاتين المدينتين وضجتهم لسمع اهل الدنيا سقطة الشمس حين تسقط وحين تطلع ومن ورآء هاتين المدينتين اربع امم ناسك ومنسك وهائل وبائل ومن دونهما يأجوج ومأجوج وقد انطلق بى جبريل ليلة اسرى بى فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله فأبوا ان يجيبونى فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بى الى اهل المدينتين فدعوتهم الى الله فأجابونى فهم اخواننا في الدين من احسن منهم فهو مع محسنكم ومن اساء منهم فهو مع مسيئكم (قوله فبالهام) اى من غير واسطة وذلك يدل على انه كان غير نبى وحمل هذا اللفظ على ان المراد انه تعالى خاطبه على لسان بعض الانبياء عدول عن الظاهر والقول بان القول بمعنى الالهام لا يخلو عن بعد فنقل الامام الواحدى عن الانبارى انه قال ان كان ذو القرنين نبيا فان الله تعالى قال له كما يقول للانبياء اما بتكليم

فله جزاء الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اى يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي (وسنقول له من امرنا) مما نأمر به (يسرا) سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين (ثم اتبع سببا) ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر (وجدها تطلع ﴿٥٤﴾ على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية (كذلك) اى امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكانة وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم (وقد احطنا بما لديه) من الجنود والآلات والعدد والاسباب (خبرا) علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير (ثم اتبع سببا) يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال (حتى اذا بلغ بين السدين) بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه (قالوا يا ذا القرنين) اى قال مترجموهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم (ان يأجوج ومأجوج) قبيلتان من ولد يافث ابن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل

او بوحي اى لا بالهام (قوله فله الحسنى) اختار قراءة من عدا حفص وحمزة والكسائي وهي رفع جزاء من غير تنوين باضافته الى الحسنى وهي الايمان والعمل الصالح (قوله وتقديره ذا يسر) يعني ان يسرا صفة مصدر محذوف اى قولا ذا يسر وتقييده بقوله من امرنا للدلالة على انه من قول الله كما هو كذلك على تقدير ان يكون حكاية قول جبريل ثم ان ذا القرنين لما وصل الى قرب الاماكن المسكونة من مغرب الشمس انصرف وقصد اقرب الاماكن المسكونة من مطلع الشمس فاتبع طريقا يوصله اليه والعامة على كسر اللام من مطلع وهو اسم مكان بحسب استعمال العرب ومن فتح اللام لا يريد المكان لانه خلاف ما تواطأ عليه اهل اللغة بل يريد المصدر ويحمل الكلام حينئذ على اضمار المضاف الا ان عبارة ابي البقاء تشير الى انه لا فرق بين فتح اللام وكسرها في جواز حمل الكلمة على المعنيين حيث قال مطلع الشمس (قوله لغرابة لغتهم) اى لكونهم لا يعرفون غير لغة انفسهم فما كانوا يفقهون اللسان الذي يتكلم به ذو القرنين وقوله تعالى من دونهما بمعنى امام السدين (قوله اى قال مترجموهم) لما وصفهم الله تعالى بانهم لا يفقهون قولا ولا يفقهون غيرهم احتاج اى ذو القرنين في فهم كلامهم وتفهيم كلامه اياهم الى من يترجم بينه وبينهم ووجود ذلك المترجم من جملة الاسباب الذي آتاها الله تعالى اياه (قوله تعالى حتى اذا ساوى) فيه اضمار اى فأتوه بها فنضدها اى وضع تلك الزبر بعضها على بعض حتى صارت بحيث سدت ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ عليها فنفخ فيها حتى صارت كالنار ثم صب النحاس المذاب

منع الصرف وقيل عربيان من أج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع الصرف للتعريف والتأنيث (مفسدون فى الارض) اى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون فى الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس (فهل نجعل لك خرجا) جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر (على ان تجعل بيننا وبينهم سدا) يحجزدون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السد بن غير حمزة والكسائى (قال ما مكنى فيه ربى خير) ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة بى اليه وقرأ ابن كثير مكننى على الاصل (فاعينونى بقوة) اى بقوة فعلة او بما اتقوى به من الالات (اجعل بينكم وبينهم ردما) حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان فيه رقاع فوق رقاع (آتونى زبر الحديد) قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافى رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قرآءة ابى بكر ردما ائتونى بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها فى امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بين جانبى الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل (قال انفخوا) اى قال للعملة انفخوا فى الاكوار والحديد (حتى اذا جعله) جعل المنفوخ فيه (نارا) كالنار بالاحماء (قال آتونى افرغ عليه قطرا) ائتونى قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثانى من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتونى لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتونى موصولة الالف (فما اسطاعوا) بحذف التاء حذرا من تلاقى متقارب بين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا (ان يظهروه) ان يعلوه بالصعود لارتفاعه

على الحديد المحمى فالتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا بين جانبى الجبلين سمى كل جانب للجبلين صدفا لكونه مصادفا ومقابلا للآخر من قولك صادفت الرجل اى لاقيته وقابلته وصارت الزبر المنضودة مساوية لهما كالحشو فيما بينهما واعلم ان هذا معجز قاهر لان هذه الزبر الكثيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين عليها قيل كان بعد ما بين السدين مائة فرسخ وحفر له الاساس حتى بلغ الماء وجعل عرضه خمسين ذراعا وارتفاعه مائتى ذراع وجعل حشو الاساس الصخور وطينه النحاس يذاب فيصب عليها فصار كأنه عرق من جبل تحت الارض فلما ملأ حشو الاساس بهذا الوجه وبلغ وجه الارض جعل بناء السد من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم نضد الزبر صفا ووضع عليها الحطب والفحم صفا ثم نضد الزبر صفا آخر ونضد فوقها الحطب والفحم وهكذا الى ان بلغ ارتفاع السد مائتى ذراع فصار السد فى ارتفاعه مساويا للجبلين ثم قال للعملة انفخوا على الزبر المبنية بالكير ففعلوا فصارت كالنار فان الحديد اذا احمى يصير كالنار فاكلت النار ما فى خلال الحديد من الفحم والحطب وصب عليه القطر وهو النحاس المذاب الصالح لان يقطر كالماء فصار النحاس مكان الحطب وتخلل خلال الحديد والصق كل واحد منهما بالآخر ممتزجا بحيث صار المجموع جبلا صلدا ملسا (قوله وبه تمسك البصريون الخ) فانهم يقولون المختار اعمال ثانى المتنازعين مع تجويز اعمال الاول ايضا والكوفيون يختارون اعمال الاول مع تجويز اعمال الثانى ثم انهم اتفقوا على انه ان اعمل الاول واقتضى الثانى المفعول اضمر ذلك المفعول لعدم استلزامه الاضمار قبل الذكر مع انه يندفع به التباس

المفعول لغيره وان جاز الحذف ايضا كسائر المفاعيل فوجه استدلال البصريين
على مذهبهم بهذه الآية انه لو اعمل الاول لقيل آتونى افرغه بالضمير الراجع
الى قطرا بناء على ان المختار ان لا يحذف ضمير المفعول فى الثانى لانه يؤدى الى
اللبس وحذف المفعول وان جاز لكن لا يليق بفصاحة القرآن حمله على خلاف
المختار (قوله تعالى قال هذا رحمة من ربى الآية) يعلم منه ان الله تعالى
من كمال حكمته وقدرته ورأفته جعل لوجود كل سبب من اسباب السموات
والارض ولبلوغ كل احد الى مقام من مقامات الدنيا والآخرة والى قربة
من قربات الحضرة الالهية سببا مناسبا له فاذا اراد بلوغ احد الى مقام
او قربه او رفعة بسبب ذلك و وفقه لاتباع ذات السبب كما آتى ذا القرنين من كل
شئ سببا و وفقه لاتباع السبب فاتبع سببا حتى بلغ مشرق الارض
ومغربها وجوانبها كلها و سخر الحق له وحصل مقاصد الملك والسياسة
باتباع اسبابها كذلك آتى كل رسول ونبى وولى و مؤمن ومسلم وفاسق
ومنافق وكافر اسباب بلوغه الى الرسالة والنبوة والولاية والايمان
والاسلام والفسق والنفاق والكفر ووفقهم لاتباع الاسباب التى
بلغتهم اياها الى مقاماتهم ودرجاتهم ودركاتهم حتى يبلغ كل مقام
قربه من الجنة او النار (قوله تعالى ونفخ فى الصور) لما كان اندكاك السد
وخروج يأجوج ومأجوج من علامات قيام الساعة ذكر الله تعالى بعده النفخ
فى الصور لقيام الساعة قيل الصور قرن من نور يجعل فيه الارواح يقال ان فيه
من الثقب على عدد ارواح الخلائق عن مجاهد انه كالبوق ذكره البخارى فاذا نفخ
فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح الى جسده واذا هم من الاجداث
الى ربهم ينسلون اى من القبور ينسلون اى يخرجون سراعا وروى ان الله خلق
الصور حين فرغ من السموات والارض وان عظم كل دائرة فيه كغلظ السموات والارض
وفى حديث ابى هريرة والذى نفسى بيده ان عظم كل دائرة فيه كعرض السموات
والارض وروى ان له رأسين رأس بالمشرق ورأس بالمغرب والله اعلم واختلف فى عدد
النفخات [illegible] لهذه الفزع لقوله تعالى ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات
ومن فى الارض الا من شاء الله ونفخة الصعق [illegible] لقوله تعالى ونفخ فى الصور
فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
وهذا اختيار ابن العربى [illegible] الصعق للامرين
[illegible] اتفقت الروايات على [illegible]
[illegible] ماتفرق من الاجساد فى بطون السباع وحيوانات الماء
[illegible] الارض [illegible] بالحاق والمياه [illegible] الشمس [illegible] الرياح

[illegible]

المذاب والنيران من زبر
الحديد بينهما الحطب
والفحم حتى ساوى اعلى
الجبلين ثم وضع المنافيخ
حتى صار كالنار فصب
النحاس المذاب عليه فاختلط
والتصق بعضه ببعض
وصار جبلا صلدا وقيل
بناه من الصخور مربوطا
بعضها ببعض بكلاليب
من حديد ونحاس مذاب
فى تجويفها (قال هذا)
هذا السد او الاقدار
على تسويته (رحمة من
ربى) على عباده (فاذا جاء
وعد ربى) وقت وعده
بخروج يأجوج ومأجوج
او بقيام الساعة بان
شارف يوم القيامة (جعله
دكا) مدكوكا مبسوطا
مسوى بالارض مصدر
بمعنى المفعول [illegible]
[illegible]
[illegible] دكا بالمد اى
ارضا مستوية ([illegible]
وعد ربى حقا) كائنا
لامحالة وهو آخر حكاية
ذى القرنين (وتركنا
بعضهم [illegible]
[illegible]) [illegible]
يأجوج ومأجوج حين
يخرجون من وراء السد
يموجون [illegible]
مزدحمين فى البلاد
يأتون [illegible]

للحساب والجزاء (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وابرزناها واظهرناها لهم (الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى) عن آياتي التي ينظر اليها فأذكر بالتوحيد والتعظيم (وكانوا لا يستطيعون سمعا) استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصميت مسامعهم بالكلية (أفحسب الذين كفروا) أفظنوا والاستفهام للانكار (ان يتخذوا عبادي) ﴿٥٧﴾ اتخاذهم الملائكة والمسيح (من دوني اولياء) معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا اى أفكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له (انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا) نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم وآخرتهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال والجر على البدل او النصب على الذم (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق (اولئك الذين كفروا بآيات ربهم) بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة (ولقائه) بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه (فحبطت اعمالهم) بكفرهم فلا يثابون عليها (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا توزن به اعمالهم لانحباطها (ذلك) اى الامر ذلك وقوله (جزاؤهم جهنم)

فاذا جمعها واكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح جمع الارواح في الصور وامر اسرافيل عليه الصلاة والسلام فارسلها بنفخة من ثقب الصور فرجع كل روح الى جسده باذن الله تعالى وقد انكر بعض اهل الزيغ ان يكون الصور قرنا قال ابو الهيثم من انكر ان يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والميزان ويطلب لهما تأويلات (قوله عن آياتي التي ينظر اليها فأذكر) يعني ان نظر الآيات الدالة على الالوهية والمصنوعات الدالة على القدرة الباهرة كان سببا لذكر الله تعالى عند مشاهدتها كما يقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فأطلق المسبب واريد السبب وانما احتيج الى حمل الآية على المجاز المرسل لان المقصود وصف الكافرين بالعمى والصمم كما فهم من قوله الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى اذ الذكر لا يقال فيه اعينهم في غطاء بل انما يناسبه الصمم (قوله كأنهم اصميت مسامعهم) اى ابطلت وازيلت قواهم السامعة من قولهم اصميت الصيد اذا رميته فقتلته وانت تراه وفي بعض النسخ اصمت اى جعلت مصمتة لا جوف لها (قوله اتخاذهم الملائكة والمسيح) يعني ان قوله ان يتخذوا في محل النصب على انه اول مفعولي حسب وثانيهما محذوف واراد بقوله عبادي الملائكة وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقال ابن عباس يعني الشياطين تولوهم واطاعوهم من دون الله وقال مقاتل يعني الاصنام سماها عبادا كما في قوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم (قوله وقرئ أفحسب) بسكون السين ورفع الباء على انه مبتدأ وان مع ما في حيزها خبره فحسب مبتدأ مضاف الى الذين كفروا وان يتخذوا خبره ويجوز ان يكون حسب بمعنى المحسب والكافي وان يتخذوا فاعله بناء على ان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل (قوله وجمع لانه من اسماء الفاعلين) يعني ان اسم الجنس وان كان يتناول آحاد مدلوله لانه لا يدل على احد الاحاد ... اذا لم يتنوع مدلوله فجمع ليدل على احد الامرين (قوله الامر ذلك) على ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف والمشار اليه الامر الذي ذكرته من حبوط اعمالهم وخساسة اقدارهم ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ

جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ الجملة خبره والعائد محذوف اى جزاؤهم به اوجزاؤهم بدله وجهنم خبره اوجزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان الخبر (بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) اى بسبب ذلك (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل (خالدين فيها) حال مقدرة (لا يبغون عنها حولا) تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود (قل لو كان البحر مدادا) مايكتب به وهو اسم مايمد به وهو اسم مايمد به الشئ كالحبر للدواة والسليط للسراج (لكلمات ربى) لكلمات علمه وحكمته (لنفد البحر) لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه (قبل ان تنفد كلمات ربى) فانها غير متناهية لا تنفد كنفاد (ولو جئنا بمثله) بمثل البحر الموجود (مددا) زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع مايدخل فى الوجود من الاجسام لايكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهى الابعاد والمتناهى ينفد قبل ان ينفد غير المتناهى لامحالة (الكلمات)

مشارا به الى ماذكر من اعمالهم الباطلة وجزآؤهم مبتدأ ثانيا وجهنم خبره وهو مع خبره خبر الاول والعائد محذوف اى جزآؤهم به كذا ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ اشار به الى الجزآء الحاضر فى الذهن ويكون جزآؤهم بدلا منه وجهنم خبره لمابين الله تعالى سوء صنيعهم بقوله اولئك الى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا انتقل الذهن الى معنى الجزآء فاشير اليه بقوله ذلك وجعل خبره اوجعل بدل الجزآء وجعل جهنم خبره اوعطف بيان للخبر ثم انه تعالى لمابين وعيد الكفار وان جهنم نزل لهم اتبعه بوعد المؤمنين وبيان ان جنة الفردوس نزل لهم واضافة جنات الى الفردوس اضافة تبيين عن قتادة الفردوس وسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس فى الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى الجنة مائة درجة مابين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس من فوقها فاذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجرت انهار الجنة قال بعضهم انه تعالى جعل الجنة بكليتها نزلا للمؤمنين والكريم اذا اعطى النزل اولا فلابد ان يتبعه بالخلعة والكرامة الزآئدة وما بعد الجنة الا رؤيته تعالى وكذلك فى الآية الاولى لما جعل الله تعالى جهنم نزلا للكافرين لم يبق عذاب آخر بعد جهنم الا كونهم محجوبين عن رؤية الله تعالى كما قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (قوله وهو اسم مايمد به الشئ) اى يزاد يقال امددت الجيش بمدد ولا تستمد طلب المدد والحبر اسم خاص لما يوضع فى المحبرة ويكتب به والمداد يطلق على كل ما يمد به غيره كالحبر للدواة والزيت للسراج قال ابن الانبارى سمى الحبر مدادا لامداد الكاتب واصله من الزيادة ومجئ الشئ بعد الشئ ويقال للزيت الذى يوقد به السراج مداد لكونه يمد السراج ويزيد فى ضوئه بالاشتعال والمعنى لوكان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب كلمات الله وحكمته لنفد البحر قبل ان تنفد تلك الكلمات فان كلماته تعالى غير متناهية والبحر كيفما فرض فى الاتساع والعظمة متناه والمتناهى لا يبقى البتة بعد غير المتناهى قيل فى سبب نزول هذه الآية انهم لما سألوا عن الروح وعن كذا وكذا ونزل فى جواب الروح من آخر الآية وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود انه يقول انا قد اوتينا الحكمة ثم يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا وهذا وقد اوتيتم من العلم ما انزل ف نزلت هذه الآية اى وان كانت الحكمة هى التى من اوتيها فقد اوتى خيرا كثيرا لكنها بالنسبة الى ما يعلمه الله تعالى ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فانه كلماته غاية انها انه تعالى ان الكلمات كناية فى علمه وحكمته وقيل الاحاطة

وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرأون وما اوتيتم من العلم الا قليلا (قل انما انا بشر مثلكم) لا ادعي الاحاطة على كلماته (يوحى الي انما الهكم اله واحد) وانما تميزت عنكم بذلك (فمن كان يرجوا لقاء ربه) يأمل حسن لقائه (فليعمل عملا صالحا) ويرتضيه الله (ولا يشرك ﴿٥٩﴾ بعبادة ربه احدا) بان يرائيه او يطلب منه اجرا روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل ماشورك فيه ونزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ خاتمة الكهف عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(سورة مريم مكية الا آية السجدة وهي ثمان اوتسع وتسعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (كهيعص) أمال ابو عمرو الهاء لان ألفات اسماء التهجي يا آت

الكلمات الدالة عليها (قوله وقرئ بالياء) يعني ان حمزة والكسائي قرآ ينفد بالياء من تحت لكون تأنيث الكلمات غير حقيقي والباقون بالتاء من فوق لتأنيث اللفظ والعامة على قرآءة مددا بفتح الميم وقرئ بكسر الميم ونصب الكلمة على التمييز على انها جمع مدة وهي اسم ما استمد به من المداد على القلم وجواب ولوجئنا محذوف للعلم به تقديره لنفد (قوله يأمل حسن لقائه) الحسن فيه مستفاد من قوله يرجو لان الرجاء ظن المنافع الواصلة اليه كما ان الخوف ظن المضار الواصلة اليه (قوله ان الله لا يقبل ماشورك فيه) وروى انه عليه الصلاة والسلام قال في جواب جندب لك اجران اجر السر واجر العلانية فالرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد به الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به كما هو دأب الكاملين روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ستة ايام تكون وان خرج الدجال عصم منه وقدتمت سورة الكهف بحمد الله تعالى وعونه

(سورة مريم عليها السلام وهي مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله امال ابو عمرو الهاء) امالة الالف ضد تفخيمها واشباعها وهي ان ينحو بالالف نحو الياء وبالفتحة نحو الكسرة ليجانس الصوت فان سبب ذلك ان يقع بقرب الف كسرة سوآء كانت الكسرة متقدمة على الالف كما في عماد اومتأخرة كما في عالم وكذا تمال الالف اذا كانت الالف منقلبة عن حرف مكسور كما في خاف اوعن ياء كما في هاب وباع ورمى وكذا اذا كانت صائرة موضع ياء كما في دعوى فان الفها تصير ياء في دعويان وكما في حبلى كقولك حبليان ولاخلاف في الاسماء الثلاثة وهي كاف وعين وصاد فانها لاتمال بالاتفاق وذلك لان اسماء حروف التهجي على نوعين ثنائي وثلاثي وجرت عادة العرب على ان ينطقوا بالثنائيات مقطوعة عما بعدها فيقولون بايا طاها وكذلك امثالها وعلى ان ينطقوا بالثلاثيات التي وسطها الالف باشباع فتحتها فيقولون دال كاف صاد وكذلك

وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ذكر رحمة ربك اخبر ما قبله ان اول بالسورة او بالقرآن فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اى هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اى فيما يتلى عليكم ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضي وذكر على الامر (عبده) مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد (زكريا) بدل منه وعطف بيان له (اذ نادى ربه نداء خفيا) لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اباء واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في اوان الكبر اولئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم

امثالها واما اسم الزاى فقد اختلفوا في التلفظ به فمنهم من ظهر الياء بعد الالف وجعله ثلاثيا فهو لا يميله ومنهم من لم يظهر الياء و يجعله ثنائيا فهو يميله والاصل في جميع هذه المواضع اشباع الفتحة و لامالة فرع عليه وعلى هذا يجوز اشباع كل ممال ولا يجوز امالة كل مشبع من المفتوحات والعامة على تسكين اواخر اسماء هذه الحروف حتى ان بعضا من القرآء يقف عند كل واحد منها وقفة يسيرة و يفصل بعضها عن بعض بادنى سكتة مبالغة في تمييز بعضها عن بعض ثم انهم اختلفوا في امالة ياءها وتفخيمها مع كونهما ثنائيتين فاختار ابو عمرو امالة ها وتفخيم ياء بناء على ان اشباع الفتحة اصل والامالة وان كانت فرعا الا انه فرع مشهور كثير الاستعمال فاشبع احد الاسمين وامال الآخر ليكون القارى جامعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وهو احسن من مراعاة احدهما وتضييع الآخر وخصوا ها بالامالة فرقا بينها و بين ها التي للتنبيه فانها لا تمال قط و قول المصنف لان ألفات اسماء التهجي ياآت محل بحث لان هذه الاسماء لا اشتقاق لها حتى يحكم بأن ألفاتها ياآت في الاصل و ان هذا التعليل يستدعي امالة كلمة يا ايضا فلابد من الفرق بين كلمتي ها و يا حتى يخص الاول بالامالة دون الثاني لذلك الا ان يقال لما لم يكن لها اصل حملوها على المنقلبة من الواو تارة فلا يميلوها وحملوا المنقلبة عن الياء اخرى فاما لوها فجوزوا الامرين دفعا للتحكم وخصوا الاعتبار المؤدى الى الامالة بكلمة ها فرقا بينها و بين ها التنبيه (قوله وابن عامر وحمزة الياء) يعني انهما اما لا الياء وفخما الهاء جمعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وخصا الياء بالفرع لان الكسرة من جنس الياء فامالة حركة الياء الى ما يجانسها وهو الكسرة اولى من امالة حركة الهاء ومن امالهما جميعا نظر الى الوجه الذى اعتبره ابو عمرو وابن عامر وحمزة في ياءها ومن اشبع فتحهما فقد تمسك بالاصل (قوله ونافع بين بين) يعني انه امال الالف بجعلها بين مخرج الالف ومخرج الياء على السواء فيكون جمعا بين الامالة نحو الياء اكثر ثم ان نافعا وابن كثير وعاصما يظهرون دال صاد قبل ذال ذكر لانه الاصل وادغمها فيها الباقون (قوله فانه مشتمل عليه) اى ان ما قبله وهو كهيعص سواء اول بالسورة او بالقرآن مشتمل على ذكر رحمة الله عبده زكريا فصح ان يحكم عليه بانه الذكر [illegible] وهو كانه جواب عن قول من [illegible] ان قوله تعالى ذكر رحمة ربك خبر الحروف المقطعة [illegible] في المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة (في ذكر رحمة [illegible] ذكر [illegible] مضاف [illegible] الرحمة والرحمة في نفسها

مصدر ايضا مضاف الى فاعله و عبده مفعول رحمة و فاعل الذكر غير مذكور لفظا و تقديره ذكر الله رحمته عبده زكريا و قيل بل ذكر مضاف الى فاعله على الاتساع و يكون عبده منصوبا بنفس الذكر و التقدير ذكرت الرحمة عبده فجعلت الرحمة ذاكرة له مجازا و زكريا بدل او عطف بيان او منصوب باضمار اعنى هذا على قرآءة ذكر بصيغة المصدر وفيه قرآءة اخرى وهى ان يقرأ على صيغة الماضى بتخفيف الكاف وتشديدها وان يقرأ على صيغة الامر من باب التفعيل الا ان لفظ رحمة على قرآءة التشديد مفعول ثان قدم على الاول وهو عبده والفاعل اما ضمير القرآن او ضمير البارى تعالى و التقدير ذكر القرآن المتلو او ذكر الله عبده رحمته اى جعل العبد يذكر رحمته و يجوز على المجاز المتقدم ان يكون رحمة ربك هو المفعول الاول والمعنى ان الله جعل الرحمة ذاكرة للعبد وعلى قرآءة التخفيف يكون رحمة منصوبا على انه مفعول به وعبده مرفوعا على انه فاعل الفعل له وزكريا مرفوعا على انه بدل او بيان او على انه خبر مبتدأ محذوف وعلى قرآءة ذكر بلفظ الامر الظاهر ان يكون مفعوله الاول محذوفا ورحمة منصوبا على المفعول الثانى وعبده منصوبا على انه مفعول رحمة اى ذكر امتك رحمة ربك عبده زكريا و يكون كهيعص كلاما تاما والمراد بالرحمة اجابة الله تعالى دعاءه حين سأل الولد فى ابان الكبر و وقته و ابان الشئ بالكسر و التشديد وقته يقال كل الفاكهة فى ابانها اى فى وقتها (قوله اولان ضعف الهرم اخفى صوته) عطف على قوله لان الاخفاء و الجهر يعنى انه اتى باقصى ماقدر عليه من رفع الصوت الا ان ذلك الصوت كان خفيا فى الواقع لنهاية ضعفه بسبب الكبر وعلى هذا يكون قوله نادى ربه باقيا على ظاهره فان النداء هو طلب الاقبال بالجهر و رفع الصوت قال الجوهرى ناداه مناداة ونداء اى صاح به وما كان من زكريا كان صيحة ونداء نظرا الى قصده فعبر عنه بالنداء لذلك و وصف بكونه خفيا فى الواقع و اما ان قيل ان زكريا قصد اخفاء دعائه مع قومه السلام على طلب الولد فى زمان الكبر ومن مواليه الذين خافهم فلا وجه لتسمية ذلك الدعاء نداء مع انه لا جهر فيه قلنا الجهر لا يشترط فى ندائه تعالى بل هو مشروط فى نداء المخلوق الذى يحتاج فى الاطلاع على ضمير من يطلب اقباله الى ان يسمع منه صوتا دالا على ما فى ضميره واليه اشار المصنف بقوله لان الاخفاء والجهر عند الله سيان (قوله تفسير للنداء) انما لم يعطف على ما قبله لكمال اتصاله به من حيث كونه تفسيرا او بيانا له (قوله ولانه اصلب مافيه) الفرق بين الوجهين مع اشتراكهما فى ان كل واحد منهما كناية عن وهن جميع البدن و ضعفه ان الوجه الاول يستلزم ضعف جميع البدن من حيث كون العظم عماد جميع البدن واصل بنائه و الوجه الثانى

اولان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف فى سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس و سبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون (قال رب انى وهن العظم منى) تفسير للنداء والوهن الضعف و تخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن

يستلزمه من حيث كونه اصلب ما فى البدن مع قطع النظر عن كونه عماده واصل بنائه ولما كان كل واحد من كون العظم عماد البدن وكونه اشد ما فيه واصلبه ينتقل منه الى ضعف جميع البدن من غير ملاحظة الآخر كان كل واحد منهما دليلا مستقلا لتخصيص العظم بالذكر وقيل فى الفرق بينهما ان الاول كناية مترتبة على تشبيه البدن بالبيت وتشبيه العظم بالعمود كما يشعر به قوله لانه دعامة البدن واصل بنائه والثانى ليس كذلك ورد بان العظم عمود للبدن واصل لبنائه وقد ذكره علماء التشريح لا سيما عظام الصلب فليس الوجه الاول مبنيا على التشبيه (قوله وتوحيده لان المراد به الجنس) واذا كان العظم الذى هو عمود الجسد قد اصابه الوهن او الذى تقوم به الاعضاء او الذى هو اصلب الاجزاء كان اصابته لسائر الاجزاء والاعضاء اولى ولا دخل لجمع العظام فى افادة هذا المعنى ولو جمع لكان الغرض المسوق له الكلام حينئذ العدد لا الجنس ولا مدخل لاعتبار العدد فى هذا المقام (قوله شبه الشيب) اى تشبيها مضمرا فى النفس بشواظ النار اى لهبها الخالص عن الدخان واقتصر من طرفى التشبيه على ذكر المشبه وهو الشيب كما اقتصر على ذكر المشبه فى انشبت المنية اظفارها ودل على هذا التشبيه باثبات الاشتعال للشيب كما دل على تشبيه المنية بالسبع باثبات الاظفار لها فتشبيه الشيب بالشواظ استعارة بالكناية واثبات الاشتعال له استعارة تخييلية وشبه انتشار الشيب فى شعر الرأس باشتعال النار ودل عليه باثبات لازم المشبه به حيث اقتصر واخرج التشبيه الثانى مخرج الاستعارة المصرحة التبعية حيث اطلق اسم المشبه به وهو الاشتعال على هذا المعنى المجازى واشتق منه لفظ اشتعل فكان استعارة تصريحية تبعية وكانت هذه قرينة الاستعارة بالكناية فان قيل اللفظ المستعار فى الاستعارة التخييلية يجب ان لا يتحقق معناه لا حسا ولا عقلا بل يكون معناه صورة وهمية محضة كلفظ الاظفار فان الوهم اخترع للمنية صورة شبيهة بصورة الاظفار المحققة ثم عبر عن تلك الصورة الشبيهة باسم المشبه به وهو الاظفار فمعناه صورة وهمية لا تحقق لها حسا ولا عقلا والمعنى الذى عبر بلفظ اشتعل ليس صورة وهمية بل هو امر ثابت للشيب فالجواب ان الاشتعال بمعنى الانتشار والشيوع امر متحقق ثابت للشيب حسا الا ان الاشتعال الحقيقى الذى هو من لوازم المشبه به وهو الشواظ انما اثبت له باختراع الوهم وهذا القدر كاف فى كونها استعارة تخييلية وقرينة للاستعارة بالكناية وكونها صورة وهمية لا تحقق لها حسا ولا عقلا (قوله واسند الاشتعال الى الرأس) يعنى ان الاشتعال بمعنى الانتشار والشيوع حقه ان يسند الى الشيب لانه من الصفات القائمة به

وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث (واشتعل الرأس شيبا) شبه الشيب فى بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه فى الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذى هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا

لكنه اسند الى مكان الشعر الذي هو محل الشيب للمبالغة في الدلالة على شمول اشتعال الشيب واعلم ان اصل الكلام المتعارف الاوساط في هذا المقام ان يقال اني شخت عدل عنه الى ماهو ابلغ منه وهو شاب رأسي لانه كناية عن الشيخوخة والكناية ابلغ من التصريح ثم عدل عنه الى ماهو ابلغ وهو اشتعل شيب رأسي فانه ابلغ من شاب رأسي اذ ليس فيه تعرض لانتشار الشيب ثم عدل عنه الى ماهو ابلغ وهو اشتعل رأسي شيبا فانه ابلغ من قولك اشتعل شيب رأسي من جهات احداها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الاشتعال اذ وزن اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيبا وزن اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا والفرق بين وثانيتها ما في التمييز من التفصيل بعد الاجمال وثالثتها تنكير شيبا لافادة الكمال ثم عدل عنه الى ماهو ابلغ وهو اشتعل الرأس شيبا لما فيه من مزيد التقرير لان المعول فيه على شهادة العقل دون اللفظ فلما اشتمل الكلام على هذه اللطائف ترقى الى اعلى درجات البلاغة (قوله ايضاحا للمقصود) فان شيبا تمييز منقول عن الفاعلية اذ الاصل اشتعل شيب رأسي فلما قصد سلوك طريق التفصيل بعد الاجمال ابهم ماهو المشتعل حقيقة ثم ميز بقوله شيبا ليعين ان المشتعل هو الشيب (قوله بل كلما دعوتك) اشارة الى ان قوله بدعائك من اضافة المصدر الى مفعوله اي بدعائي اياك وقوله شقيا اي خائبا فان العرب تقول سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها (قوله يعني بني عمه) بناء على ان تعريف الموالي للعهد الخارجي وان المولى وان كان يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب الا ان المراد في الآية ابن العم قال الشاعر

مهلا بني عمنا مهلا موالينا ❊ لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

(قوله وان خفت الموالي) وان خرج على لفظ الماضي لكنه يستلزم الخوف في المستقبل ايضا كقولك ان خفت وخشيت ان يكون كذا تريد الآن ... قدر الله المؤلف في وكذا قوله وكانت امرأتي عاقرا (قوله وعن ابن كثير) قرأ الجمهور وراءي بالمد اي بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة وعن ابن كثير روايتان احداهما بالمد كالجمهور والاخرى بالقصر اي بدون الهمزة وفتح الياء وكل منهما من قراءتي المد والقصر (قوله وهو متعلق بمحذوف) يريد بالتعلق اي الطريقة لا التعلق المعنوية لان خفت اخذ مفعوله وهو الموالي فليس ظرفا لخفت لفساد المعنى وهو كون خوفه من الموالي في الحال واقعا بعد موته لان معنى من ورائي بعد موتي وعلى ان يكون ظرفا ...

ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعيين المراد يغني عن التقييد (ولم اكن بدعائك رب شقيا) بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه (واني خفت الموالي) يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم (من ورائي) بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر وفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالي اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون الامر من ورائي

الولاية يكون المعنى خفت الذين يلون الامر بعد موتى (قوله وقرئ خفت الموالى) بفتح الخاء والفاء المشددة من الخفة بمعنى القلة او بمعنى قدامى ويقال درج القوم اذا انقرضوا والدرج بمعنى الطى استعير للموت والموالى فى هذه القراءة مرفوع على انه فاعل خفت وفى قراءة العامة منصوب على انه مفعول به وقوله تعالى من لدنك يجوز ان يتعلق بهب ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من وليا لانه فى الاصل صفة للنكرة قدم عليها (قوله وليا من صلبى) قال بعض المفسرين طلب زكريا من يلى امر الدين ويقوم مقامه فى رعاية امره ولدا كان او غيره وقال الاكثرون انه طلب ولدا من صلبه استشهادا بقوله تعالى فى سورة آل عمران حكاية عنه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء واحتج ذلك البعض بعموم لفظ الولى وبانه لما بشر بالولد استعظمه وقال أنى يكون لى غلام ولو كان دعاؤه لان يهبه الله تعالى ولدا لما استعظم ذلك حين بشر به والظاهر ان هذا الدليل لا يعارض دليل الاكثرين لانه ليس استعظاما بل سؤال عن جهة حصول الولد كأنه قيل هل يهبه لى من امرأتى ونحن على حالنا من الهرم والضعف او بان يحولنا شابين او يهبه لى من امرأة غيرها فحصول دعائه هب لى ولدا وارثا منى ومن آل يعقوب فيه صلاح ونفع فى الدين وذلك يتناول النبوة والعلم والسيرة الحسنة والمنصب النافع فى الدين والمال الصالح ومن جزم الفعلين قصد السببية على معنى ان تهب يرث ومن رفعهما لم يقصدها وجعلهما صفة لوليا فعلى هذا يكون يرث من جملة المطلوب فلهذا لم يرض به صاحب المفتاح وجعله استئنافا لان الانبياء مستجابو الدعوة فلو دعا زكريا ربه ان يهبه وليا يرثه لاجاب الله دعاءه ووهب له ذلك ولم يوهب وليا كذلك لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما الصلاة والسلام ولو جعل يرث مستأنفا لا يكون من جملة المطلوب بل يكون بيانا للغرض وغرض الانبياء يجوز ان لا يحصل وجعله صاحب الكشاف صفة لان الثابت عنده هلاك زكريا قبل يحيى ذكره فى سورة بنى اسرائيل فى قوله لتفسدن فى الارض مرتين حيث قال اولاهما قتل زكريا والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقيل قتل عيسى بن مريم عليهم السلام وقيل لا غضاضة ان يستجاب للنبى بعض ما سأل دون بعض فانه روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت الله تعالى ثلاثا فاعطانى اثنين ومنعنى واحدة (قوله يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام) قال الامام اكثر المفسرين على ان يعقوب ههنا هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام لان زوجة زكريا عليه السلام هى ايشاع اخت مريم بنت عمران بن ماثان وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهودا بن يعقوب بن

وقرئ خفت الموالى من ورآئى اى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدى او خفوا ودرجوا قدامى فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت (وكانت امرأتى عاقرا) لا تلد (فهب لى من لدنك) فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فانى وامرأتى لا نصلح للولادة (وليا) من صلبى (يرثنى ويرث من آل يعقوب) صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائى على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثنى الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا وكان اخا عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وقرئ يرثنى وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين

اسحق وكان بين عمران بن ماثان وعمران بن يصهر الف وثمانمائة سنة صرح
به المصنف فى اول سورة آل عمران وكانت النبوة فى سبط يعقوب بن اسحق
عليهما الصلاة والسلام وقال بعض المفسرين ليس المراد من يعقوب ههنا
ولد اسحق بل هو اخو عمران بن ماثان وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا
لما روى ان ام يحيى هى بنت عمران بن ماثان فتكون قرابة آل يعقوب ليحيى
من قبل امه فيكونون اخواله وعلى تقدير ان يكون يعقوب اخا زكريا يكون آل
يعقوب اعماما ليحيى قال الكلبى كان بنوا ماثان رؤس بنى اسرآئيل وملوكهم
وكان زكريا رأس الاحبار يومئذ فاراد ان يرث ولده منه حبورته ويرث من بنى
ماثان ملكهم (قوله وأويرث) هو تصغير وارث والاصل وويرث بواوين
وجب قلب اولاهما همزة لاجتماعهما متحركتين فى اول الكلمة كما فى اويصل
اصله وويصل تصغير واصل والواو الثانية بدل من الف فاعل (قوله وهذا
يسمى التجريد) اى هذا الصنيع وهو ان ينتزع من امر ذى صفة آخر مثله
فيها ايذانا بكمالها فيه نحو ان تجرد من الولى وهو الوارث نفسه وارثا آخر ايذانا
بكمال الوراثة فيه وقد يكون التجريد بكلمة فى كما فى قوله تعالى فى صفة الجنة
لهم فيها دار الخلد واعلم ان زكريا عليه الصلاة والسلام قدم على سؤال الولد
امورا ثلاثة احدها استيلاء الضعف عليه وعلى امرأته وذلك مما يزيد الدعاء
تأكيدا لما فيه من الاتكال على حول الله وقوته والتبرى من الاسباب الظاهرة
وثانيها انه تعالى عوده بالاجابة ولم يرد دعاءه قط والكريم اذا عود احدا
بالاحسان لايقطعه بالآخرة لاسيما فى زمان كونه احوج اليه وثالثها كون
المطلوب منتفعا به فى امر الدين وهو قوله وانى خفت الموالى وفرع سؤال
الولد على هذه الامور الثلاثة وقوله تعالى يازكريا فيه اختصار اى فاستجيب دعاءه
وقلنا يازكريا فعلى هذا كان النداء من الله تعالى كما ذهب اليه اكثر المفسرين لانه
ذكر قبل هذه الآية ان زكريا نادى ربه نداء خفيا وسأله الولد وذكر بعدها
انه عليه الصلاة والسلام قال رب أنى يكون لى غلام ولما كان ماقبل هذه
الآية وما بعدها خطابا مع الله تعالى وجب ان يكون نداء زكريا من الله تعالى
والا لفسد النظم وقيل هو نداء الملك لقوله تعالى فى سورة آل عمران فنادته الملائكة
وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى والجواب ان حصول النداء
من الملائكة وهو قائم لاينافى حصوله من الله تعالى وقوله وهو شاهد اى مدح
يحيى بانه لم يكن له سمى قبل شاهد بان التسمية بالاسامى النادرة الغريبة تنويه
اى رفع لقدر المسمى يقال ناه الشئ ينوه اى ارتفع ونوهته تنويها اذا رفعته
ونوهت باسمه اذا رفعت ذكره (قوله كقوله تعالى هل تعلم له سميا) اى مثلا

واويرث بالتصغير اصغره
ووارث من آل يعقوب على
انه فاعل يرثنى وهذا يسمى
التجريد فى علم البيان لانه
جرد من المذكور اولا مع
انه المراد (واجعله رب
رضيا) ترضاه قولا وعملا
(يازكريا انا نبشرك بغلام
اسمه يحيى) جواب لندائه
ووعد باجابة دعائه وانما
تولى تسميته تشريفا له
(لم نجعل له من قبل سميا)
لم يسم احد بيحيى قبله
وهو شاهد بان التسمية
بالاسامى الغريبة تنويه
للمسمى وقيل سميا شبيها
كقوله تعالى هل تعلم له
سميا لان المتماثلين
يتشاركان فى الاسم
والاظهر انه اعجمى وان
كان عربيا فقول من فعل
كيعيش ويعمر وقيل سمى به

وشبها فى صفات الجلال والجمال فان اول الآية فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ومعلوم ان مجرد تفرده بالاسم لايوجب عبادته فان قيل اوكان السمى فى الآية بمعنى المثل للزم تفضيل يحيى على الانبياء الذين قبله كآدم ونوح وابراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام وذلك باطل اجيب بان المراد هل تعلم له شبيها فيما خص به من الاوصاف وهو ان كل الناس انما يسميهم آباؤهم وامهاتهم بعد دخولهم فى الوجود واما يحيى عليه الصلاة والسلام فان الله تعالى هو الذى سماه قبل دخوله فى الوجود فكان ذلك من خواصه ولم يكن له شبيه فى هذه الخاصة وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا الا يقرب النساء حصرا لنفسه اى منعا لها من الشهوات ولا يقرب اللعب واللهو (قوله لانه حيى به رحم امه) وزال عقرها الذى هو بمنزلة الموت للرحم وقيل سمى يحيى لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان والطاعة فانه تعالى سمى المطيع حيا والعاصى ميتا بقوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه قيل ان يحيى اول من آمن بعيسى فصار قلبه حيا بذلك وذلك ان ام يحيى كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها ام يحيى يامريم أحامل انت فقالت مريم لماذا تقولين كذا فقالت انى ارى مافى بطنى يسجد لما فى بطنك وقيل احياه الله تعالى بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مامن احد الا وقد عصى اوهم بمعصية الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعملها (قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا) حال من ياء المتكلم فى قوله أنى يكون لى غلام معطوفة على قوله وكانت امرأتى وقد مقدرة فيها والمعنى انى يكون لى غلام حين بلوغى عتيا مع ان العقر صفة قديمة لامرأتى لم يولد لى منها غلام حال شبابى وحال كهولتى لكون امرأتى عاقرا من ابتداء انشائها وكيف تلد حال شيخوختى مع قدم عقرها وعكس هذه الصفة فيها وضعف بدنى وبحو قوتى (قوله جساوة) اى يبسا وجمادا يقال جسا الشيخ جسوا اى بلغ غاية السن وقحل الشئ قحولا اى يبس وقحل الشيخ قحلا يبس جلده على عظمه (قوله ثم قلبت الثانية وادغمت) فصار عتيا بضم العين وكسر التاء وهى قرآءة غير حمزة والكسائى وحفص فانهم قرأوا عتيا وصليا وجثيا بكسر اوائلها للاتباع وقرأ حمزة والكسائى بكسر العين والباقون بضم اول ذلك كله (قوله وانما استعجب الولد الخ) جواب عما يقال الظاهر ان الاستفهام فى قوله تعالى أنى يكون لى ولد ليس استفهام انكار بل هو استفهام تعجب وما وجهه مع انه هو الذى طلب الولد فى حال كبره وعقر امرأته وطلبه ذلك يستلزم علمه بكونه تعالى قادرا على هبة الولد لهما فاوجه

لانه حيى به رحم امه اولان دين الله حيى بدعوته (قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) جساوة وقحولا فى المفاصل واصله عتو وكقعود فاستثقلوا توالى الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائى عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة

ولذلك (قال) اى الله او الملك ﴿ ٦٧ ﴾ المبلغ للبشارة تصديقا له (كذلك) الامر كذلك ويجوز
ان تكون الكاف منصوبة بقال فى (قال ربك) وذلك اشارة الى مبهم تفسيره (هو على هين) ويؤيد الاول قرآءة من قرأ وهو على هين اى الامر كما قلت اوكما وعدت وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف اى افعل ذلك وهو على هين (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ) بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشئ وقرأ حمزة والكسائى وقد خلقناك (قال رب اجعل لى آية) علامة اعلم بها وقوع ما بشرتنى به (قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) سوى الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالى ههنا والايام فى آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن (فخرج على قومه من المحراب) من المصلى اومن الغرفة (فاوحى اليهم)
ما (و) ما اليهم كقوله الا رمزا

تعجبه حال ما بشر به مع علمه بقدرة الله تعالى عليه وتقرير الجواب ان علمه بامكان حصول الولد من صلبهما لكونه تعالى قادرا على كل الممكنات لا ينافى ان يتعجب و يستعظم كمال قدرة الله تعالى على تكوين الاشياء من غير توسط الاسباب والوسائط (قوله ولذلك) اى ولكون قول زكريا عليه الصلاة والسلام انى يكون لى غلام اعترافا بكمال قدرة الله وبان تأثيرها لا يتوقف على الاسباب ان قال كذلك على ان محل الكاف رفع على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير الامر كذلك وقوله قال رب ابتداء كلام استؤنف به جوابا لما يقال فاذا قال الله تعالى بعد تصديقه زكريا فاجيب قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ وقد تقرر ان الكاف الذى بمعنى مثل فى كذلك تكون مقحمة للتأكيد المامر ان لفظ المثل فى قولهم مثلك لا يبخل بمعنى انت لا تبخل فالمعنى فى الآية انه تعالى قال مثل ذلك الكلام هو على هين ويكون الكاف بمعنى مثل زآئدا فى الآية اشارة الى ما سبق ذكره وهو قول زكريا رب انى يكون لى غلام الخ اوما وعدالله تعالى اياه بقوله يا زكريا انا نبشرك بغلام (قوله ويؤيد الاول) وهو ان يكون كذلك خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة مقول قال الاول على قرآءة من قرأ وهو على هين بالواو فان تخلل الواو فيه بين الجملة بذلك يمنع من كون ذلك اشارة الى مبهم وكون الجملة تفسيره الان المفسر يتعين ان يكون محله هو على هين وان جعلت الكاف منصوبة بقال الثانية تكون قال الثانية مع ما فى حيزها مقول قال الاولى واقحام القول الثانى على قرآءة الواو تكرارا (قوله اوكما وعدت) لا فائدة يعتد بها فيه غير ان الاول انمح التساء والموعود له هو ان يحصل له الغلام المبشر به فى المستقبل فيكون هين بمعنى تهون حصوله على والثانى نصم التساء والذى وعده الله تعالى بالنسبة اليه تعالى هين ازلا وابدا وان كان بالنسبة الى زكريا لا يهون عليه (قوله بل كنت معدوما) ومن قدر على الخلق والايجاد من العدم الصرف كان قادرا على تبديل صفات الشيخ الضعيف والشيخة العاقرة بان يعيد اليهما القوة التى منها يتولد المائآن اللذان يخلق من اجتماعهما الولد والمعدوم ليس بشئ عند اهل السنة وبعض المعتزلة خلافا لبعضهم ومنهم من قال المعدوم شئ (قوله علامة اعلم بها وقوع ما بشرتنى به) فان البشارة بالولد وقعت مطلقة فلا يعرف وقتها بمجرد البشارة فطلب آية يعلم بها وقت وقوع ذلك الغلام فى رحم امه ليزداد فى الشكر والدعاء السلامة واتفقوا على ان تلك الآية هى تعذر الكلام عليه فان مجرد السكوت مع القدرة على الكلام لا يكون معجزا ثم اختلفوا على قولين احدهما انه اعتقل لسانه اصلا والثانى انه امتنع عليه الكلام مع القوم على وجه

وقيل كتب لهم على الارض (ان سبحوا) صلوا او نزهوا ربكم (بكرة وعشيا) طرفى النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وأن يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة (يا يحيى) على تقدير القول (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) بجد واستظهار بالتوفيق (وآتيناه الحكم صبيا) يعنى الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة احكم الله عقله فى صباه واستنباه (وحنانا من لدنا) ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا فى قلبه على ﴿٦٨﴾ ابويه وغيرهما عطف على الحكم (وزكاة) وطهارة من الذنوب اوصدقة اى تصدق الله به على ابويه اومكنه اووفقه للتصدق على الناس (وكان تقيا) مطيعا متجنبا عن المعاصى (وبرا بوالديه) وبارا بهما (ولم يكن جبارا عصيا) عاقا اوعاصى ربه (وسلام عليه) من الله (يوم ولد) من ان يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم (ويوم يموت) من عذاب القبر (ويوم يبعث حيا) من عذاب النار وهول القيامة (واذكر فى الكتاب) فى القرآن (مريم) يعنى قصتها (اذ انتبذت) اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها او بالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمنى فتكون بدلا لا محالة (من اهلها مكانا شرقيا) شرقى بيت المقدس او شرقى دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة (ولم يكن) ومكانا ظرف اومفعول لان انتبذت متضمن معنى اتت (فاتخذت من دونهم حجابا) سترا (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) قيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هى فى مغتسلها اتاها جبرائيل متمثلا بصورة شاب امرد سوى الخلق

المخاطبة مع انه كان متمكنا من ذكر الله تعالى ومن قرآءة التوراة واختار المصنف هذا القول حيث قال والتجرد للذكر والشكر وقوله تعالى سويا حال من فاعل تكلم اى لا تكلم الناس فى هذه المدة حال كونك صحيحا سويا والمحراب يطلق على المسجد وعلى الغرفة وقوله ان سبحوا يجوز ان يكون تفسير الاوحى وان يكون بمعنى المصدر المنصوب على انه مفعول اوحينا وبكرة وعشيا ظرفان للتسبيح (قوله وقيل كتب لهم على الارض) لم يرض به لقوله تعالى فى سورة آل عمران آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الارمزا والرمز لا يطلق على الكتابة روى عن ابى العالية ان البكرة صلاة الفجر والعشى صلاة المغرب فيحتمل ان يكون المعنى انهم يصلون معه فى محرابه هاتين الصلاتين بان يخرج اليهم فيأذن لهم ملسانه فى دخول محرابه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم على عادته فاذن لهم بالاشارة بدل الكلام وفيه دلالة على ان الصلاة كانت فى الامم الماضية فى ختم الليل والنهار (قوله على تقدير القول) اى فوهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته فى حال طفوليته يا يحيى وصف الله تعالى اياه بهذه الصفات التسع كرامة له الصفة الاولى كونه مخاطبا من الله بقوله خذ الكتاب فدل ذلك على انه تعالى بلغ يحيى المبلغ الذى يجوز ان يخاطب فيه بذلك والصفة الثانية قوله وآتيناه الحكم صبيا اى مع صيرورة الصبى فى صغره عاقلا قوى القلب بحيث يقدر على قرآءة التوراة بالفهم والاستبصار وتجرى كلمات الحكمة على لسانه كما تجرى على ألسنة الحكماء ليس اغرب من انشقاق القمر وانفلاق البحر والصفة الثالثة قوله تعالى وحنانا من لدنا وزكاة وهو معطوف على الحكم اى وآتيناه تحننا والحنان الرحمة واللين وحنين الناقة صوتها اذا اشتاقت الى ولدها والصفة الرابعة قوله تعالى وزكاة اى وآتيناه زكاة اى عملا صالحا زاكيا اوكونه متصدقا به على ابويه والصفة الخامسة قوله تعالى وكان تقيا يتقى عما نهى الله تعالى عنه ويجتنبه واولى الناس بهذا الوصف من لم يعص الله تعالى والصفة السادسة قوله وبرا بوالديه ولا عبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين ولهذا قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا والصفة السابعة قوله

ولم يكن جبارا و المراد وصفه بالتواضع ولين الجانب و الصفة الثامنة قوله عصيا وهو ابلغ من العاصي كما ان العليم ابلغ من العالم و الصفة التاسعة قوله وسلام عليه اى امان من الله تعالى له و سلامة وهو عطف على آتيناه قيل اوحش ما يكون الخلق فيه ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه و يوم يموت فيرى مالم يشاهده قط و يوم يبعث حيا فيرى محشرا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى عليه الصلاة والسلام فخصه بالسلامة والسلام عليه فى هذه المواطن الثلاثة ثم انه تعالى لما ذكر ولادة يحيى عليه الصلاة والسلام من شيخ فان وعجوز عاقر ذكر ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام من غير اب وقدم القصة الاولى على الثانية على طريق الترقى مما هو اقرب الى العقل والعادة الى ما هو ابعد عنهما فقال واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت وذكر لكلمة اذ اربعة اوجه الاول كونها بدل اشتمال من المحذوف المضاف الى مريم والثانى كونها بدل كل منه بناء على ان يراد بالظرف ما وقع فيه والثالث ان يكون ظرفا للمضاف المقدر اى اذكر قصة مريم او خبرها او نبأها اذا انتبذت والرابع ان يكون بمعنى ان المصدرية فيكون بدل اشتمال اى واذكر مريم انتباذها وتقدير المثال لا اكرمك لان لم تكرمنى اى لعدم اكرامك ولا يجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان الذكر ليس فى ذلك الوقت والنبذ اصله الطرح والالقاء والانتباذ افتعال منه وانتبذت اى اعتزلت وتباعدت وانفردت على سرعة الى مكان هى ناحية الشرق من بيت المقدس او من دارها ثم انها لم تقتصر على ذلك بل اتخذت من دون اهلها حجابا اى حائلا يحول بينها وبينهم ثم لابد فى احتجابها من ان يكون لغرض صحيح وليس بمذكور فى القرآن واختلف المفسرون فيه على وجوه فقيل انها لما رأت الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد للعبادة تنتظر الطهر لتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل قعدت فى المشرقة وهو موضع قعود فى الشمس وضم الراء وفتحها لغة فيه وفيه لغتان اخريان مشراق وشرقة بفتح الشين وسكون الراء احتجبت عن اهلها لتخلى للعبادة ولا تشتغل عنها وقيل كان لها فى منزل زكريا محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها الباب فتمنت خلوة فى الجبل لتفلى رأسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست فى المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل عطشت فخرجت الى المفازة لتستقى والله اعلم (قوله لتستأنس بكلامه) فانه لو ظهر فى صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه (قوله ولعله) اى ولعل تمثله فى تلك الصورة الحسنة لتهيج شهوتها اطلق الروح على جبريل عليه الصلاة والسلام تشبيها له بالروح فى انه سبب لحياة الدين كما ان الروح سبب لحياة البدن وهذه استعارة فى مجرد

لتستأنس بكلامه ولعله لتهيج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها (قالت انى اعوذ بالرحمن منك) من غاية عفافها (ان كنت تقيا) تتقى الله

اوفلاتتعرض لى و يجوز ان يكون للمبالغة اى ان كنت تقيا متورعا فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك (قال انما انا رسول ربك) الذى استعذت به (لاهب لك غلاما) اى لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع و يجوز ان يكون حكاية لقوله سبحانه ويؤيده قرآءة ابى عمرو وابن كثير عن نافع ويعقوب بالياء (زكيا) طاهرا من الذنوب اونا ميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح (قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنى فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله (ولم اك بغيا) عليه وهو فعول من البغى قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت العين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسبة كطالق (قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله)

الروح ثم اضيف الروح الى ضمير المتكلم ليعلم ان المراد منه ليس روح البدن فهو قرينة الاستعارة (قوله وتحتفل) اى تتصرف وتذهب يقال حفلته فاحتفل اى جلوته عن مكانه فانجلى (قوله و يجوز ان يكون للمبالغة) اى فى عوذها بالرحمن عطف على ماقبله من حيث المعنى فان محصول ماقبله ان قوله ان كنت تقيا لتقييد الحكم المدلول عليه بما قدر جزاء ثم قال و يجوز ان لايكون المقصود منه تقييد الحكم بل يكون للمبالغة فى عوذها بالرحمن كأنها قالت انى عائذة منك ان كنت تقيا فكيف ان لم تتق كقوله عليه الصلاة والسلام نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه فان الشرط فيه للمبالغة فى نفى العصيان على انه لولم يخف منه تعالى لم يعصه فكيف اذا خاف منه ثم ان جبريل عليه الصلاة و السلام لما علم خوفها قال انما انا رسول ربك على طريق قصر الموصوف على الصفة ليزول عنها ذلك الخوف اى ليس بى ما تخافين منى لاجله وانما شأنى الرسالة من قبل ربك فى هبة الغلام واسند الهبة الى نفسه لكونه سببا فى هبته من حيث انه تعالى وهب الغلام لمريم بواسطة نفخ الملك فى درعها و يجوز ان يكون ضمير أهب لله تعالى على ان يكون الملك حاكيا لها كلام ربها بقول مضمر كأنه قال انما انا رسول ربك لابلغ اليك ماقاله الله تعالى فى حقك وهو قوله اهب لك غلاما (قوله ولم يباشرنى رجل بالحلال) جواب عما يقال قولها ولم يمسسنى بشر كاف فى مقصودها وهو ان تقول انما يكون بمس البشر وليس بى ذلك فلم قالت بعده ولم اك بغيا وتقرير الجواب انها حملت المس على المس المشروع وهو مايكون مسبوقا بالنكاح ولذلك احتاجت الى ان تقول ولم اك بغيا كأنها قالت الولد لايكون الا بنكاح اوسفاح ولم يتحقق شئ منهما عندى و نحو المس و المباشرة والقربان مما يكنى به عن الغشيان المشروع وان كان بحسب اللغة يعم المشروع وغيره الا ان المؤمن انما يطلق مثل هذه الكنايات على الوطئ المشروع ولا يكنى عن الزنى الا بما فيه تعيير وتقبيح نحو خبث بها وفجر (قوله ولذلك لم تلحقه التاء) اى ولكونه فعولا بمعنى الفاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال بغى للمذكر فاجر و المرأة التى تبغى الرجال لم تلحقه التاء وانما يفرق بينهما بالتاء اذا كان بمعنى المفعول فيقال ناقة حلوبة مثلا و ان جعل البغى فعيلا بمعنى فاعل ينبغى ان يكون بتاء التأنيث نحو امرأة بصيرة و قديرة الا انه لم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كذا قاله ابوالبقاء تبعه المصنف وجه التعليل بهما ان التاء انما تلحق اسماء الفاعلين حملا لها على الفعل وانما تحمل عليه اذا كانت جارية عليه وموافقة له لفظا ومعنى بان يكون للحال اوالاستقبال والفاعل الذى يكون للمبالغة والنسب يكون للدوام والثبوت لاللحال ولا الاستقبال فلما لم يجر

على الفعل لفظا ولامعنى لم تلحقه التاء فرقا بينه و بين مايجرى عليه لفظا ومعنى
وكذا لا تلحق التاء ما كان للنسب مما هو على فاعل نحو تامر و لابن و حائض
اذا اريد بها ذات تمر وذات ابن وذات حيض فكذا بغى اذا كان بمعنى ذات بغى
وتعليل الاستواء بكون الصفة للمبالغة مطلقا لا وجه له لانهم صرحوا بان ابنية
المبالغة من الثلاثى ثلاثة اقسام الاول مايفرق فيه بين المذكر و المؤنث مطلقا
اى سوآء كان جاريا على الموصوف او لا يكون كصبار و صديق وامير فجعلوا
نحو امير مما يلحقه التاء مطلقا و الثانى مايستويان فيه مع الموصوف و يفترقان
بدونه كطعام و مسكين وفعول الذى لا يكون بمعنى مفعول كناقة ركوبة
و الثالث ما يستويان فيه مطلقا كضحكة و علامة (قوله و نفعل ذلك
لنجعله) يعنى ان قوله و لنجعله علة لعلل محذوف و جملة التعليل مع المعلل
معطوفة على قوله هو على هين (قوله اولنبين به قدرتنا و لنجعله)
على ان يكون معطوفا على علة مضمرة عطف مفرد على مفرد و حمل الكلام
على اضمار المعلل اولى لان اضماره يغنى عن اضمار العلة بخلاف اضمار
العلة فانه لا يغنى عن اضمار المعلل اذ لم يذكر قبل العلة المضمرة ما يصح
تعليله بها اذ لا يصح ان يقال هو على هين لنبين به قدرتنا بل لا بد
ان يجعل التقدير هو على هين وفعلنا ذلك لنبين به قدرتنا والظاهر ان الضمير
فى قوله هو على هين راجع الى خلق ذلك الغلام بغير ذكر و كذا ضمير نجعله
آية فان ذلك الخلق آية على كمال قدرة الله تعالى لانه قد تقرر انه تعالى
لما خلق آدم من غير ذكر و لا انثى وخلق حوآء من ذكر بلا انثى ظهر انه
تعالى قادر على انواع الخلق يخلق كيف يشاء وانه على كل شئ قدير الا ان
عطف قوله ورحمة منا على قوله آية يستدعى ان يكون ضمير نجعله للغلام
لان من كان رحمة للعباد هو الغلام فانه النعمة لمن تبعه فى دنياه و آخرته
(قوله اى تعلق به قضاء الله) اى حكمه قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا
الا اياه وما حكم الله بوقوعه يجب وقوعه لانه لو لم يقع لانقلب علم الله جهلا
وهو محال (قوله او قدر وسطر فى اللوح) على ان يكون القضاء بمعنى
التقدير ومنه القضاء والقدر (قوله او كان امرا حقيقا بان يقضى و يفعل)
على ان يكون القضاء بمعنى الصنع والفراغ يقال قضيت حاجتى و قال تعالى
فقضاهن سبع سموات ولما كان نفس خلقه وايجاده رحمة للعباد وكان خلقه
على هذا الوجه علامة دالة على كمال قدرة الله تعالى كان امرا حقيقا بان يقضى
و يفعل فصار بذلك كانه امر مقضى ومفعول فلذلك قيل فى حقه قبل ان يولد
انه كان امرا مقضيا (قوله بان نفخ فى درعها) قيل ان جبريل عليه الصلاة

اى و نفعل ذلك لنجعله
اولنبين به قدرتنا ولنجعله
و قيل عطف على
لأهب على طريقة
الالتفات (آية للناس)
علامة لهم و برهانا على
كمال قدرتنا
(ورحمة منا) على
العباد يهتدون بارشاده
(وكان امرا مقضيا)
اى تعلق به قضاء الله
فى الازل اوقدر وسطر
فى اللوح او كان امرا
حقيقا بان يقضى و يفعل
لكونه آية ورحمة (فحملته)
بان نفخ فى درعها فدخلت
النفخة فى جوفها وكانت
مدة حملها سبعة اشهر
وقيل ستة وقيل ثمانية
ولم يعش مولود وضع لثمانية
غيره وقيل ساعة كما حملته
نبذته و سنها ثلاث
عشرة سنة وقيل عشر
سنين و قد حاضت
حيضتين (فانتبذت به)
فاعتزلت

والسلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبسته وقيل نفخ جبريل عليه
السلام من بعد فوصل الريح اليها فحملت بعيسى في الحال وقيل قدجيب درعها
باصبعه ثم نفخ في الجيب حتى وصلت النفخة الى الرحم وقيل نفخ في ذيلها قال السدى
اخذ بكميها فنفخ في جيب درعها فدخلت النفخة صدرها فحملت فجاءتها اختها
امرأة زكريا وهي حامل بيحيى تزورها فلما التزمتها عرفت انها حبلى وذكرت
مريم حالها فقالت امرأة زكريا اني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك
فذلك قوله تعالى في حق يحيى عليه الصلاة والسلام مصدقا بكلمة من الله وقيل
ان النفخة كانت في فيها فوصلت الى بطنها فحملت في الحال وعلى التقادير ظهر ان
في الكلام حذفا وهو وكان امرا مقضيا فنفخ فيها فحملته اى حملت عيسى
في بطنها (قوله وهو في بطنها) يريد ان الباء في به للملابسة وان الجار
والمجرور في محل النصب على انه حال من فاعل انتبذت كقوله تنبت بالدهن
اى تنبت والدهن فيها كما ان بنا في قول المتنبي حال من فاعل تدوس اى تدوس
الجماجم ونحن عليها والدوس الوطئ بالارجل واول البيت

كان خيولنا كانت قديما * تسقى في قحوفهم الحليبا
فمرت غير نافرة عليهم * تدوس بنا الجماجم والتريبا

القحوف جمع قحف وهو العظم الذى فوق الدماغ والحليب اللبن والضمير في قحوفهم
الاعداء والجماجم جمع جمجمة وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ والتريب عظم
الصدر والعرب تسقى اللبن كرام خيلها يقول كأن خيلنا كانت تسقى اللبن
في اقحاف رؤس الاعداء فألفت بها فكانت خيولنا تمر عليهم وتدوس اى تطأ
بأرجلها جماجمهم وترائبهم ونحن عليها ولم تنفر عنهم فان قلت لم لم تجعل الباء
في قوله فانتبذت به للتعدية فالجواب ان المفعول الذى يتعدى الفعل اليه بالباء
يجب ان يكون بحيث لا يستلزم صدور الفعل من الفاعل التعلق به كما في قولك
ذهبت بزيد وصدور الانتباذ من الفاعل يستلزم انتباذ ما في بطنها من الجنين
فلا فائدة في ايراد حرف التعدية والقصى البعيد يقال مكان قاص وقصى مثل عاص
وعصى واختلف في علة الانتباذ على وجوه احدها مارواه الثعلبي عن وهب انه
قال ان مريم لما حملت بعيسى عليه الصلاة والسلام كان لها ابن عم يسمى يوسف
النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون فكان مريم ويوسف
يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما احد اشد اجتهادا وعبادة منهما
واول من عرف بامر مريم يوسف فتحير في امرها فكلما اراد ان يتهمها ذكر
صلاحها وعبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا اراد ان يبرئها رأى الذى
ظهر بها من الحمل فاول ما تكلم ان قال لها انه قد وقع في نفسي شيء من امرك

وهو في بطنها كقوله *
تدوس بنا الجماجم والتريبا
والجار والمجرور في موضع
الحال (مكانا قصيا)
بعيدا من اهلها وراء
الجبل وقيل اقصى الدار
(فاجاءها المخاض)
فألجأها المخاض وهو
في الاصل منقول من جاء
لكنه خص به في الاستعمال
كآتى في اعطى وقرئ
المخاض بالكسر وهما
مصدر مخضت المرأة
اذا تحرك الولد في بطنها
للخروج (الى جذع النخلة)
لتستتر به وتعتمد عليه
عند الولادة وهو ما بين
العذق والغصن وكانت
نخلة يابسة لا رأس لها
ولا خضرة فيها وكان
الوقت شتاء والتعريف
اما للجنس او للعهد اذ لم يكن
ثمة غيرها وكانت

وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت ان الكلام فيه اشفى لصدرى فقالت
قل قولا جميلا فقال اخبرينى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة
من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع
يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر انما حصل من الزرع الذى انبته الله تعالى
من غير بذر أولم تعلم ان الله انبت الشجر بغير غيث و بالقدرة جعل الغيث حياة
الشجر بعدما خلق كل واحد منهما على حدة اولم تعلم ان الله تعالى خلق آدم
وامرأته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلب يوسف فكان ينوب
عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل و تضييق القلب
فلما دنا نفاسها اوحى الله تعالى اليها ان اخرجى من رض قومك لئلا يقتلوا ولدك
فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حماره فلما بلغت تلك البلاد وادركها النفاس
الجأها المخاض الى اصل نخلة وذلك فى زمان برد فاحتضنتها ووضعت عندها
وثانيها انها استحيت من زكريا فذهبت الى مكان بعيد لئلا يعلم بها زكريا عليه
الصلاة والسلام وثالثها انها لما كانت فى نهاية الشهرة استحيت من هذه الواقعة
ورابعها انها خافت على ولدها لو ولدته فيما بين اظهرهم واعلم ان هذه الوجوه كلها
محتملة و ليس فى القرآن ما يدل على شئ منها فالاولى السكوت عنها (قوله
كالمتعالم) مفعول من تعالم الجميع اى علموه (قوله من تحتها عيسى) عليه
الصلاة والسلام قدم هذا الاحتمال لان من تحتها بفتح الميم انما يستعمل
اذا كان قد علم قبل ذلك ان تحتها احدا و الذى علم كونه تحتها هو عيسى
عليه الصلاة والسلام فوجب ان يكون هو المراد به ولان ذلك الموضع موضع
اللوث والنظر الى العورة فلا يليق بالملك ان يكون فى ذلك الموضع بمنزلة القابلة
فالمعنى انه تعالى انطقه لها حين وضعته تطييبا لقلبها وازالة للوحشة عنها
حتى تشاهد فى اول الامر ما يسرها تطييبا لقلبها من علو شان ذلك الولد
ومن قال المنادى هو جبريل عليه الصلاة والسلام قال انه ارسل اليها ليناديها
بهذه الكلمات كما ارسل اليها فى اول الامر تذكيرا للبشارات المقدمة وكان
المراد بالنداء هنا الخطاب لا الصيحة برفع الصوت كما فى قوله تعالى اذ نادى ربه
نداء خفيا ولما كان هذا الكلام مبنيا على ان يكون المعنى من تحت مريم عطف
عليه احتمال ان يكون المعنى من تحت مكانها بان يكون المنادى فى مكان اسفل
من مكانها وفيه وجهان الاول ان يكونا معا فى مكان مستو ويكون هناك
مبدأ معين لتلك النخلة فكل من كان اقرب منها كان فوق و كل من كان
ابعد كان تحت وعلى هذا الوجه قال بعضهم انه ناداها من اقصى الوادى والثانى
ان يكون موضع احدهما اعلى من موضع الآخر فيكون صاحب العلو فوق

كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها و يطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها (قالت يا ليتنى مت قبل هذا) استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت (وكنت نسيا) ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب و نظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمى به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته (منسيا) منسى الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع (فناداها من تحتها) عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان فى نادى ضمير أحدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة

صاحب السفل وعلى هذا الوجه روى عن عكرمة انها كانت حين ولدت على
داسة و جبريل عليه السلام كان اسفل منها والداسة الاكمة المرتفعة عن الارض
(قوله ان لاتحزني اى لاتحزني) على ان تكون ان مفسرة لتقدمها ماهو بمعنى
القول وكلمة لا على هذا نافية و حذف نون تحزني للجزم و قوله اوبان لاتحزني
على ان تكون ان مصدرية و لانافية وحذف النون للنصب (قوله هكذا
روى مرفوعا) اى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن السرى فقال هو الجدول
وهو النهر الصغير وسمى سريا لان الماء يسرى فيه و يؤيد هذا التفسير قوله
تعالى فكلى واشربى فان تفريعه على ذكر السرى وتساقط الرطب الجنى
انما يحسن بان يراد بالسرى الجدول حتى يجمع فى تسليتها بين الماء والرطب
فتؤمر بان يقال فكلى واشربى قال صاحب الكشاف فان قلت ما كان حزنها
لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسرى والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث
انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل
العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قذفوها به بمعزل وان لها امورا خارجة
من العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل
ليس ببدع من شأنها (قوله وقيل سيدا من السرو) يقال سرا يسرو وسروا من
باب نصر وسرى يسرى سرى من باب علم وسر و يسرو سراوة من باب حسن والجميع
بمعنى صار سريا اى سيدا اوجمع السرى سراة وجمع السراة سروات والمراد بالسرى
ههنا عيسى عليه الصلاة والسلام و يؤيد هذا القول ان النهر لايكون تحت
الانسان بل يكون الى جنبه ومن قال السرى هو النهر استشهد بما روى
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ضرب عيسى او جبريل بعقبه الارض
فظهر ماء عذب فجرى النهر وقيل انه كان هناك ماء جار والاول اقرب يقينا
لان قوله قدجعل ربك تحتك سريا يشعر بالجدول فى ذلك الوقت ولان الله تعالى
ذكر ذلك تعظيما لشأنها وذلك لايثبت الاعلى الاول (قوله واميليه
اليك) اشارة الى ان الهز مضمن معنى الامالة لان الهز بمعنى التحريك لايتعدى
بالى بل يتعدى بنفسه فالباء زائدة فى المفعول كما فى قوله تعالى ولاتلقوا بايديكم الى
التهلكة و التقدير حركى جذع النخلة مميلة ذلك اليك (قوله او افعلى الهز
والامالة به) على ان ينزل الفعل المتعدى منزلة اللازم للمبالغة على طريق قولهم
فلان يعطى و يمنع ثم يعدى كما يعدى الفعل اللازم فتكون الباء للظرفية
ولاتكون زائدة بل تكون للتعدية كما فى قول الشاعر

فان تعتذر بالمحل عن ذى ضروعها * الى الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى

فانه جعل الجرح لازما ثم عداه بفى اراد ذى ضروعها اللبن الذى فى الضرع

(ان لاتحزني) اى لاتحزني وبان لاتحزني (قدجعل ربك تحتك سريا) جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى (وهزى اليك بجرع النخلة) واميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد اوافعلى الهز والامالة به

آوهزى الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ﴿ ٧٥ ﴾ ودفع (تساقط عليك) تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط ويسقط وتسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع (رطبا جنيا) تمييز او مفعول روى انها كانت نخلة يابسة لارأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبه لمن رآها عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال (فكلى واشربى) اى من الرطب وماء السرى او من الرطب وعصيره (وقرى عينا) وطيبى نفسك وارفضى عنها ما احزنك وقرئ وقرى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت مايسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه (فاما ترين من البشر احدا) فان ترى آدميا

والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا ويجرح جواب الشرط ونصلى فاعله والمراد بالنصل السيف والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب الغليظ فوق عقب الحيوان ومعنى البيت اذا اعتذرت الناقة الى الضيف من قلة اللبن بسبب المحل وخلو الارض من الكلا اذ بحها للضيفان (قوله اوهزى الثمرة بهزه) اى بهز الجذع على ان يكون مفعول الهز محذوفا وتكون الباء للاستعانة كما فى قولك كتبت بالقلم فان قلت ان الهز والتحريك يقع على الجذع اصالة وعلى الثمر تبعا فتقدم الثمر يستلزم ان يجعل الاصل تبعا والتبع اصلا فالاوجه لارتكابه مع قيام المعنى الصحيح الحاصل بان تجعل الباء صلة لتأكيد التعلق قلنا هز الثمر وان كان تابعا بحسب الوجود الا انه اصل بالنظر الى ان المقصود هو الثمر وقوله وحذفها حمزة اى قرأ تساقط بفتح التاء وتخفيف السين وفتح القاف والذى اختارها المصنف يساقط بفتح الياء التحتانية وادغام تاء التفاعل وقرأ حفص تساقط على انه مضارع ساقط بمعنى أسقط ذكره الجوهرى وقرئ تتساقط بظهار التاءين على الاصل وقرئ تسقط ويسقط بضم حرف المضارعة وهى التاء فى الاولى والياء فى الثانية وبسكون السين وكسر القاف من اسقط وقرئ تسقط ويسقط بفتح حرف المضارعة التى هى التاء فى الاولى والياء فى الثانية وسكون السين وضم القاف ورفع الرطب بالفاعلية بتأويله بالثمرة على قرآءة التاء فالمجموع تسع قرآآت (قوله لما فيه من المعجزات) اى لمريم على ان يراد بالمعجزة مطلق الامر الخارق للعادة فتتناول الكرامة ويحتمل ان يراد بها معجزات لعيسى عليه الصلاة والسلام على ماقيل انه عليه السلاة والسلام اعطى النبوة فى حال طفوليته والا فالاوجه ان يكون ذلك ارهاصا لنبوة عيسى وكرامة لامه لان المعجزة هى الفعل الخارق للعادة الصادر ممن يدعى النبوة على وجه التحدى ولادعوى ولا تحدى من احدهما والارهاص مايظهر على يد الانبياء قبل نبوتهم كاظلال الغمام لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى طريق الشام وارتجاج ايوان كسرى ليلة ولد (قوله او من الرطب وعصيره) على ان يراد بالسرى السيد والاول على ان يراد به الجدول (قوله او من القر) بضم القاف وهو البرد ويطلق على القرار ايضا والسخنة الحرارة (قوله تعالى فاما ترين) دخلت فيه ان الشرطية على ما الزائدة للتأكيد فادغمت فيها وكتبت النون متصلة بما وترين اصله ترأيين حذفت الهمزة كما فى ترى وقلبت الياء الفا ثم حذفت الالف لاجتماع الساكنين فلما دخلت نون التأكيد سقطت نون الاعراب فاجتمع ساكنان وكسرت ياء الضمير فصار فاما ترين (قوله

وقرئ ترئن) بقلب ياء الضمير همزة على لغة من يقول لبأت بالحج اصله لبيت بالحج تلبية اى قلت لبيك اللهم لبيك بنية الحج لجريان التآخى بين الهمزة وحروف اللين فى الابدال حيث قلبت الهمزة حرف لين تارة كما فى راس ولوم وبير وقلب حرف اللين همزة اخرى كما فى أخره وأقتت فلما استحكم التآخى بينهما فى الابدال ابدلت ياء ترين همزة ودخلت فيه ان الشرطية على ما الزائدة للتأكيد فدغمت النون وكتبت متصلة بهما وترين اصله ترأيين حذف الهمزة كما فى يرى وقلبت الياء الفا وحذفت الالف (قوله صمتا اوصياما) لاشك ان المعنى فاما ترين من البشر احدا وسألك الكلام معه فقولى كذا ولا تكلميه فى امرك شيأ فان الامساك عن الكلام مراد من الصوم لا محالة وذلك اما بان يكون الصوم عبارة عن الامساك عن الكلام فقط اويكون عبارة عن الامساك عن المفطرات الثلاث والكلام جميعا وكل واحد من المعنيين محتمل فى الآية فان الصوم فى اللغة هو الامساك عن الطعام والشراب والكلام فيصوم عن الكلام كما يصوم عن الطعام ولا يتكلم حتى يمسى فعلى هذا يكون النذر بالصوم نذرا بالامتناع عن الكلام صريحا وعلى الاول ضمنا (قوله بعد ان اخبرتكم بنذرى) اشارة الى جواب ما يقال لما التزمت الصمت كيف يصح منها ان تقول انى نذرت للرحمن صوما وهذا الكلام منها ترك لما نذرت من الصوم وحاصل الجواب انها كانت مأمورة بهذا الكلام عند رؤيتها اياهم يسألونها عن سبب ولدتها لقوله تعالى فقولى وبه تكون ناذرة بحسب السكوت عليها بعد هذا الكلام فهى ليست بمأمورة بان تنذر فى الحال بل هى مأمورة بان تصبر الى ان يأتيها قومها فيتهموها فتقول لهم حينئذ انى نذرت للرحمن صوما وقيل فى الجواب انها ما تكلمت معهم لانها كانت مأمورة بان تأتى بهذا النذر عند رؤيتهم فاوائت بهذا النذر وتكلمت معهم بعد ذلك لكانت تاركة للوفاء بنذرها وما تكلمت بل سكتت واشارت بانها نذرت الصوم فالمراد بالقول فى قوله تعالى فقولى انشاء النذر بالقول لاجواب القوم واعلامهم بنذرها (قوله وانما اكلم الملائكة واناجى ربى) مفهوم قوله لن اكلم اليوم انسيا حيث نفت عن نفسها التكلم المتعلق بالانس (قوله وامرها بذلك) يعنى امرها الله تعالى بان تنذر الصوم ولا تباشر الكلام بينهم لوجهين الاول كراهة مجادلة السفهاء فدل ذلك على ان السكوت عن السفيه واجب قيل اذل الناس سفيه لم يجد مسافهها والثانى الاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام لكون كلامه اقوى فى ازالة التهمة من كلامها (قوله مع ولدها) اشارة الى ان به فى محل النصب على انه حال من فاعل اتت اى أتت مصاحبة به نحو جاء بثيابه اى ملتبسا بها وقوله

وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج التآخى بين الهمزة وحرف اللين (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) صمتا وقد قرئ به اوصياما وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم (فلن اكلم اليوم انسيا) بعد ان اخبرتكم بنذرى وانما اكلم الملائكة واناجى ربى وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه كاف فى قطع الطاعن (فأتت به) مع ولدها (قومها) راجعة اليهم

حاملة اياه يحتمل ان يكون حالا ثانية من فاعل اتت وان يكون حالا من الهاء فى به (قوله بعد ماطهرت من النفاس) بناء على ماروى عن ابن عباس ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها وانتهى بهما الى غار فادخلهما فيه ومكثوا به اربعين يوما حتى طهرت من النفاس ثم أتت به قومها تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال اماه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه (قوله بديعا) من قولهم فلان يفرى الفرى اى يأتى بالعجب فى عمله وظاهر اللفظ يحتمل ان يراد انك قدجئت شيأ عجيبا خارجا عن العادة من غير قصد التعيير والذم الا ان المصنف حمله على الذم حيث اتبعه بقوله منكرا لقولهم بعد يا اخت هرون ماكان ابوك امرء سوء فان ظاهر هذا القول التوبيخ (قوله وكانت من اعقاب من كان معه) اى كانت مريم ممن يعقب هرون النبى عليه الصلاة والسلام فى طبقة الاخوة بان تكون مريم من نسل اخت هرون اواخيه وقيل ليست من نسل اخت هرون اواخيه بل كانت من نسل نفسه عليه السلام وانما قيل لها يااخت هرون بمعنى يا واحدة من قبيلة هرون بان يراد بهرون القبيلة التى هو ابوها كما يقال يااخا همدان اى ياواحدا منهم وهمدان اسم قبيلة (قوله اولما رأوا قبل من صلاحها) عطف على قوله تهكما يعنى انهم شبهوها بالرجل الصالح المسمى بهرون وسموها باسمه على سبيل الاستعارة التهكمية المبنية على تشبيه احد الضدين بالآخر بجامع الضدية تنزيلا للتضاد منزلة التناسب بواسطة التهكم اوعلى سبيل الاستعارة التحقيقية على معنى كنت عندنا مثله فى الصلاح (قوله اوشتموها به) عطف على قوله شبهوها به الاول نشر لقوله هو رجل صالح والثانى نشر لقوله اوطالح والمعنى انت والحال مثله والشخص يقال له ياشبه الفاسق سب له روى انه كان فى بنى اسرآئيل رجل صالح يسمى هرون نسب اليه كل من عرف بالصلاح وذلك ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمون بهرون تبركا به وباسمه (قوله وصبيا حال) اى وليس بخبر لكان لانها زائدة لاتنصب الخبر والمعنى كيف نكلم من استقر فى المهد حال كونه صبيا وقيل كان تامة بمعنى وجد وصبيا حال من الضمير فيه وقيل انها دائمة اى ناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضى من غير تعرض للانقطاع ولذلك يعبر عنها بانها ترادف مازال ولفظ كان وان كان يفيد تقييد مضمون الجملة بالزمان الماضى مطلقا الا ان المراد منه فى الآية الزمان القريب بقرينة المقام والمعنى كيف نكلم من كان بالامس وقريبا من هذا الوقت فى المهد وغرضهم من ذلك استمرار حال الصبى به وان عيسى لم يبرح بعد عنه ولو تكلم من هو بالمهد لم يكن فيه اهلية ذلك اوكالة من حيث ان حاله كالشاهد على ذلك

بعد ماطهرت من النفاس (تحمله) حاملة اياه (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) بديعا منكرا من فرى الجلد (يااخت هرون) يعنون هرون النبى عليه الصلاة والسلام وكانت من اعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح اوطالح كان فى زمانهم شبهوها به تهكما اولما رأوا قبل من صلاحها اوشتموها به (ماكان ابوك امرأ سوء وماكانت امك بغيا) تقرير لان ماجاءت به فرى وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش (فاشارت اليه) الى عيسى ان كلموه ليجيبكم (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) ولم نعهد صبيا فى المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه اوتامة اودائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما

اى لايصح له ذلك ولا ينبغى بل يستحيل واكد بقوله سبحانه ثم بين استحالة ذلك بقوله اذا قضى امرا فان قضى هنا بمعنى خلق كما فى قوله فقضاهن سبع سموات والمراد انه اذا اراد خلق شئ فانه يكون من غير توقف على سبب وآلة ووجه الدلالة ان من كان شأنه ذلك كان منزها عن اتخاذ الولد لعدم احتياجه حينئذ الى شئ (قوله والاضافه للبيان) اى هى من اضافة الموصوف الى الصفة اى القول الحق كقوله وعد الصدق اى الوعد الصدق والمحكوم عليه بانه القول الحق هو القول بان عيسى عليه الصلاة والسلام ابن مريم اوتمام قصة مريم الى هنا (قوله ومعناه كلمة الله) اى معنى قوله قول الحق سواء كان صفة عيسى او بدله كلمة الله وسمى عيسى عليه الصلاة والسلام قولا كما سمى كلمة لانه انما تكون بكلمة كن ونشأ عنها فسمى المسبب باسم سببه (قوله على انه مصدر مؤكد) اى لمضمون الجملة التى لها محتمل غيره اى اقول قول الحق كقولك هذا عبد الحق وقولك رجع القهقرى فان المصدر فى كليهما مؤكد لما يحتمل غيره الا ان المحتمل فى الاول جملة وفى الثانى مفردا عن مجرد الفعل عن نسبته الى الفاعل وقولك لا فعلنه البتة من قبيل الاول اى قطعت بالفعل وجزمت به قطعة واحدة اى ليس فيه تردد بحيث جزم به ثم تردد فيه ثم جزم به مرة اخرى فيكون قطعتين اواكثر بل هو قطعة واحدة لا يثنى فيها النظر ويحتمل ان يكون منصوبا على المدح ان جعل القول بمعنى الكلمة والحق من اسماء الله قال صاحب الكشاف ثم انه تعالى بين استحالة اتخاذ الولد على الله تعالى بانه اذا اراد شيأ من الاجناس كلها اوجده بكلمة كن وهو منزه عن شبه الحيوانات المتوالدة والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته للشئ يتبعها كونه لامحالة من غير توقف على سبب فشبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا اورد على المأمور الممتثل انتهى (قوله من) موصولة صلتها اذا اراد الخ وقوله اذا اراد شيأ تفسير لقوله اذا قضى اى اذا اراد قضاءه فالمعنى اذا اراد ايجاد شئ فكما اراده يكون لامحالة ولا يتوقف كونه على اسباب وادوات وقوله تعالى كن عبارة عن نفاذ قدرة الله تعالى ومشيئته فى الممكنات فان تعلق الارادة الازلية بالمراد من حيث كونه موجبا لوقوعه يجرى مجرى امر الآمر المطاع ووقوع المراد عقيب تعلق تلك الارادة به يجرى مجرى امتثال المأمور المنقاد لاوامر مولاه فعبر الله عن هذا المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة التمثيلية ومن الناس من اجرى الآية على ظاهرها وزعم انه تعالى اذا احدث شيأ قال له كن وهذا ضعيف لانه تعالى اما ان يقول له كن قبل حدوثه اوحال حدوثه فان كان الاول كان ذلك خطابا مع المعدوم وهو عبث وان كان الثانى فهو حال حدوثه قد وجد بالقدرة والارادة فاى تأثير لقوله كن

والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق اولتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله اوخبرثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول (الذى فيه يمترون) فى امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب (ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه) تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) تبكيت لهم بان من اذا اراد شيأ اوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب

فيه ومنهم من زعم ان المراد بقوله كن هو التخليق وهو التكوين وذلك لان القدرة على الشئ غير تكوين الشئ فانه تعالى قادر فى الازل وغير مكون فى الازل ولانه الآن قادر على المسوى هذا العالم وغير مكون لها فالقادر به غير المكونية والتكوين ليس نفس المكون لانا نقول المكون انما حدث لان الله تعالى كونه واوجده فلوكان التكوين نفس المكون لكان قولنا المكون انما وجد بتكوين الله بمنزلة قولنا المكون انما وجد بنفسه وذلك محال فثبت ان التكوين غير المكون فقوله كن اشارة الى الصفة المسماة بالتكوين (قوله سبق تفسيره) وهو ان المقصود من هذا الكلام دعوة الخلق الى الحق وهو الاستكمال بحسب القوة النظرية اصلا ويتفرع عليه الامر بالتوحيد فاشار الى الاستكمال بالاعتقاد الحق الذى عمدته الاعتقاد بوجود الاله المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال ووحدته فقال ان الله ربى وربكم وفرع عليه الاستكمال بحسب القوة العملية الكائن بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن النواهى فقال فاعبدوه فان قيل ان قائل ان الله ربى وربكم لا يصح ان يكون هو الله تعالى قلنا فيه قولان الاول ان قائله هو سيد المرسلين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اى قل يا محمد ان الله ربى وربكم بعد ظهور ان عيسى عبد الله المولود من مريم والثانى ان قائله هو عيسى وان الواو فى وان الله ربى عطفت ما بعدها على قوله انى عبد الله آتانى الكتاب وفيه ضعف لانه يقتضى وقوع قوله ذلك عيسى بن مريم الى قوله كن فيكون وهو كلام الله اعتراضا بين كلامى عيسى والاعتراض انما يكون من كلام المتكلم ومن قرأ وان الله بفتح الهمزة بناها على حذف حرف الجر متعلقا بما بعده والتقدير ولان الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله اى ولان المساجد لله فلا تدعوا واللام متعلقة بلا تدعوا والتقدير ولا تدعوا مع الله احدا فى المساجد لان المساجد لله فعلى هذا يعمل ما بعد الفاء السببية فيما قبلها بخلاف الجزائية وقيل فى وجه هذه القراءة انه معطوف على الصلاة فى قول عيسى اى اوصانى بالصلاة وبان الله ربى ويؤيده ما فى مصحف ابى وبان الله ربى باظهار الباء اقول هذا القول ضعيف لكثرة الفواصل بين المتعاطفين ولا يؤيده ظهور الباء فى مصحف ابى لان الباء باء السببية والمعنى وبسبب ان الله ربى وربكم فاعبدوه فهى كاللام ومن قرأ وان بكسر الهمزة جعله كلاما مستأنفا ويؤيدها قراءة ابى ان الله بكسر الهمزة بدون الواو وترتيب الامر بالعبادة على وصف الربوبية فى قوله تعالى هو ربى وربكم فاعبدوه يدل على انه انما لزمنا عبادة الله تعالى لكونه ربا لنا ومنعما علينا بانواع النعم لما تقرر من ان ترتيب الحكم على الوصف المشتق مشعر بالعلية لاسيما اذا كان

(وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان ان بالفتحة على ولان وقيل انه معطوف على الصلاة (فاختلف الاحزاب من بينهم)

الترتيب بالفاء السببية وسمى القول بالتوحيد ونفى الولد والصاحبة صراطا مستقيما تشبيهاله بالطريق من حيث انه يؤدى الى الجنة (قوله اليهود والنصارى) قالت اليهود انه ساحر كذاب ولد لغير رشدة وانه ابن يوسف النجار والنصارى يختلفون فيما بينهم فى شانه عليه الصلاة والسلام قال قتادة بنوا اسرائيل بعدما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام الى السماء افترقوا اربع فرق فاخرج كل قوم عالمهم فاختلفوا فى شانه فقال احدهم هو الله هبط الارض فاحيى من احيى وامات من امات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة له كذبت ثم قال الثانى للثالث قل فيه فقال هو ابن الله اظهره ماشاء ثم رفعه الى السماء وهم النسطورية فقال له الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين منهم للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله اله وامه اله وهو نفسه الثالث وهم الاسرائيلية ملوك النصارى وقال الرابع هو عبد الله ورسوله وكلمته وهو المسلم الموحد قال اماتعلمون ان عيسى كان يطعم وينام وان الله تعالى لايجوز ذلك عليه فخاصمهم فقام لكل رجل منهم اتباع على ما قال فاقتتلوا فظهروا على المسلمين منهم (قوله من شهود يوم عظيم هوله) يعنى ان مشهد امامن الشهود بمعنى الحضور اومن الشهادة واياما كان فاما ان يكون مصدرا ميميا اواسم مكان او اسم زمان واذا كان من الشهادة فالمراد اما الشهادة عليهم اوشهادتهم فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام فهذه تسعة اوجه واضافة مشهد الى يوم فى الجميع بمعنى فى كضرب اليوم (قوله اومن وقت الشهود اومن مكانه) اى من زمان شهودهم هول الحساب فى يوم القيامة اومن مكان شهودهم اياه فى ذلك اليوم (قوله وقيل هو ماشهدوا به) اى قيل المراد بالمشهد المأخوذ من الشهادة ماشهدوا به فى حق عيسى وامه لاماشهد به عليهم الملائكة والانبياء وجوارحهم وعلى هذا ان كان المشهد مصدرا ميميا يكون المعنى وبل لهم من عقوبة شهادتهم فى حقهما فى ذلك اليوم ولا وجه لان يكون اسم زمان اومكان حينئذ الا بتكلف بعيد وعلى تقدير جعله مصدرا ميميا وان كان يصح المعنى الا ان المصنف لم يرض به لان تخصيص المشهود به بما شهدوا به فى حق عيسى وامه لايناسب التعبير عنهم بقوله للذين كفروا فانه يشعر بان استحقاقهم للويل لاجل مطلق الكفر (قوله تعجب) فان التعجب له صيغتان احداهما ما افعله والثانية افعل به فقوله تعالى أسمع وقوله وأبصر معناه الظاهر مااسمعهم وما ابصرهم والتعجب يجوز عليه الجهل وذكر لتوجيه هذه الصيغة فى هذا المقام ثلاثة اوجه الاول ان يرجع التعجب الى العباد والمعنى ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ماكانوا

اليهود والنصارى اوفرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو ثالث ثلاثة وموحدون قالوا هو عبد الله ونبيه (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم هوله وحسابه عظيم وجزاؤه وهو يوم القيامة اومن وقت الشهود اومن مكانه اومن شهادة ذلك اليوم عليهم وهوان يشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر والفسوق اومن وقت الشهادة اومن مكانها وقيل هو ماشهدوا به فى عيسى وامه (اسمع بهم وابصر) تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم (يوم يأتوننا) اى يوم القيامة جدير بان يتعجب منهما بعد ماكانوا صما عميا فى الدنيا والتهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه

صما عميا فى الدنيا والثانى انه ليس المراد التعجب بل المراد التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ مما يسوءهم فعلى الوجه الاول متعلق الاسماع والابصار منسى ليعم كل مايصح ان يسمع ويبصر وعلى هذا الوجه منوى وهو مايسوءهم ويصدع قلوبهم والثالث ان هذه الصيغة وان اشتهر استعمالها فى معنى التعجب الا انها فى الاصل لفظ امر وقد استعملت ههنا فى اصل معناها والمأمور هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمعنى اسمع الناس وابصرهم مواعيد ذلك اليوم والباء زائدة فى المفعول كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة (قوله والجار والمجرور على الاول) اى على ان تكون هذه الصيغة للتعجب على احد الوجهين فى موضع الرفع على الفاعلية وذلك لان اكرم زيد مثلا اصله اكرم زيد اى صار زيد ذا كرم كأغد البعير بمعنى صار ذا غدة الا انه اخرج لفظ الماضى الذى معناه الخبر على لفظ الامر كما اخرج على لفظ الخبر ما معناه الامر والدعاء كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن والمراد الامر وقولهم رحمه الله والمراد الدعاء والباء زائدة لازمة اصلاحا للفظ لانه لولم تزد الباء لكان ماهو على لفظ الامر الحاضر مسندا الى الاسم الظاهر وقد تقرر ان فاعله لايكون الا ضميرا مستترا وللتنبيه على نقله الى معنى انشاء التعجب فالباء زائدة فى المرفوع كما فى قوله تعالى وكفى بالله شهيدا فيكون الجار والمجرور فى موضع الرفع على الفاعلية (قوله وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين) فان لكن استدراك على قوله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا فالمعنى لكن هم اليوم صم عمى لايسمعون ولا ينظرون فعبر عن اغفالهم هذا بالضلال المبين (قوله يوم تحسر الناس) الظاهر ان يوم الحسرة مفعول انذرهم لاظرف اذليس المعنى انذرهم فى هذا اليوم وما يقع فيه مما لا تطيق سماعه الاذان ولا تسع تصوره الاذهان ويوم الحسرة قيل يوم الموت وقيل هو يوم القيامة وقيل هو يوم يذبح فيه الموت وقيل هو حين يخرج آخر فريق من المسلمين من النار ثم تسد طبقاتها وكل من هذه الايام يصدق عليه انه حين قضى الامر اى اتم وامضى وفرغ منه فان يوم الموت قد صار الامر بحيث لايتدارك ويوم القيامة يستقر كل احد فى مقره الذى هو موضع الخلود وحين يذبح الموت ينقطع ما يؤمله الكفار من انتهاء عذابهم بطريان الموت عليهم كما يدهى عذاب الدنيا بذلك وبذبحه يتم الامر وينقطع الامل وكذا حين اخرج آخر المؤمنين والظاهر ان الموت عرض لايصير جسما حيوانيا والمراد بذبحه بمحضر الفريقين اعلامهما انه لاموت بعد ذلك البتة وطريق الاعلام غير معلوم لنا (قوله ملك ولا ملك) الملك بالضم هو التصرف فى المملكة بالامر والنهى ومنه اشتق الملك على وزن كتف

والجار والمجرور على الاول فى موضع الرفع وعلى الثانى فى موضع النصب (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالها بانه ضلال بين (وأنذرهم يوم الحسرة) يوم تحسر الناس المسئ على اساءته والمحسن على قلة احسانه (اذقضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة (وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) حال متعلقة بقوله فى ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بأنذرهم اى أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل (انا نحن نرث الارض ومن عليها) لايبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه (والينا يرجعون) يردون للجزاء (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا)

ملازماً للصدق كثير الصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله (نبيا) استنبأه الله تعالى (اذقال) بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض اومتعلق بكان او بصديقا نبيا (لابيه ياابت) التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لايقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك

كررها (لم تعبد مالايسمع ولايبصر) فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خشوعك (ولايغني عنك شيأ) في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولاتحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لايسمع ولايبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا (عطف) من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال (يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا) ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولانفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه

وهو المتصرف بالامر والنهي والملك بالكسر اختصاص رقبة الغير بالانسان بحيث يستقل في منافعها ويتمكن من التصرف فيها والوراثة الاستقلال بالملك والتصرف خلافة عن الغير وحاصل الوجه الاول ان الارث مجاز عن الاختصاص الملكي اي ان الملك بقي مقتصرا على الله تعالى بحيث لم يبق لاحد على الارض ولا على من عليها ملك ولا ملك كما كان يدعى في دار التكليف ان لفلان ملكا ولفلان ملكا وحاصل الوجه الثاني انه مجاز عن توفي الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه وعلى الوجهين الظاهر ان تعريف الارض محمول على العموم لا العهد (قوله ملازما للصدق كثير التصديق) يعني ان الصديق من ابنية المبالغة للصادق وكون الشخص مبالغا في الصدق يكون بحسب الكم وبحسب الكيف ومن لازم الصدق في اقواله وافعاله واخلاقه ولم يصدر عنه الا ما يطابق الحق والواقع وكثر ايضا تصديقه بجميع ما ورد من عند الله تعالى قولا وعملا بحيث لم يقع منه توقف ومهلة في قبول شيء مما ظهر له من الحقوق كان مبالغا في الصدق كما وكيفا فلذلك قال تعالى في حقه انه كان صديقا وقال ايضا وابراهيم الذي وفى وقال واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والصدق اصل كل فضيلة وملاك كل كمال وخير ولما كان الصديق اعم من النبي لان كل نبي يجب ان يكون صديقا ولا يجب ان يكون كل صديق نبيا انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا على سبيل التصديق على قوله ملازما للصدق بل جعلهما جميعا تفسيرا للصدق على سبيل الترقي لما ذكر الله تعالى النصارى فيما زعموه في حق عيسى عليه الصلاة والسلام بين ضلال عبدة الاصنام بالشروع في قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه كان ابا للعرب وكانوا مقرين بعلو شانه وحقية دينه على ما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم فكأنه تعالى قال للعرب ان كنتم من المقلدين لآبائكم كما تقولون انا وجدنا آباءنا على امة فمعلوم ان اشرف آبائكم واجلهم قدرا هو ابراهيم فقلدوه في ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدلين فانظروا فيما اقام من الدليل الدال على بطلان الشرك لتعرفوا فساد عبادة الاوثان (قوله ولايقال يا ابتي) اي لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه ويقال يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء (قوله دعاه الى الهدى واحتج عليه وثم دعاه وثم ثبطه) امور متعاطفة (قوله ابلغ احتجاج) منصوب على انه مفعول مطلق للنوع وقوله وارشده

لا تعبد الشيطان) واستهجن ذلك و بين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) ومعلوم ان المطاوع للعاصى عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم و ينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال (يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا فى اللعن او العذاب تليه ويليك او ثابتا على موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب و ذكر الخوف و المس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته فى الربانية اولانه ملاكها اولانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها (قال أراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم) قابل استعطافه ولطفه فى الارشاد بالفظاظة وغلظة

العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بنى وأخره

عطف عليه والرشاقة اللطافة يقال رجل رشيق القد اى لطيفه والركون الميل اليسير والعبادة الخضوع لمن هو فى غاية الفضل والافضال وقوله يا ابت لا تعبد الشيطان بمعنى لا تطعه فيما يوسوس اليك و يقول لك واشار المصنف اليه بقوله ومعلوم ان المطاوع للعاصى عاص حيث عبر عن عبادة الشيطان بطاوعته لما امر به واشار الى ان قوله عصيا للمبالغة بقوله ان الشيطان مستعص اى بالغ فى العصيان كأنه يطلب من نفسه ان يعصى ربه وعبدة الاوثان وان كانوا يعتذرون فى عبادتها بانها تماثيل الكواكب المدبرة لهذا العالم او انها تماثيل اشخاص معظمة عند الله يصلحون لان يكونوا شفعاء ونحو ذلك من الاعذار الفاسدة فما ذكره ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى حق التماثيل بانها لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عن عابدها شيأ من الاغناء لا يبطل اعذارهم بحسب الظاهر الا انه عليه الصلاة والسلام احتج عليهم بذلك بناء على انهم يزعمون ان عبادتها تنفعهم وان طريقتهم مقبوله مستحسنة فبين عليه الصلاة والسلام فساد زعمهم (قوله اوثابتا على موالاته) اى على الدخول فى جملة اعوانه واولاده وعدم الخروج عنهم بالدخول فى زمرة اولياء الله فالثبات على موالاة الشيطان عبارة عن ثبات حكم الموالاة الواقعة بينهما فى الدنيا وثباتها بهذا المعنى لا ينافى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو (قوله فانه اكبر) جواب عما يقال رتب الله تعالى كونه وليا للشيطان على مس العذاب بالفاء السببية وهوان يكون ولاية الشيطان اسوأ حالا واعظم عقوبة من مس العذاب نفسه حيث جعل هو موصلا اليها اوجعلت هى نتيجة له والظاهران الامر بالعكس فان الموالاة مؤدية اليه معنى لانه مقابل الرضوان وقد قال الله تعالى فى حق الرضوان انه اكبر من الثواب نفسه فيكون مايقابله اسوأ حالا من العقاب نفسه فلذلك رتب ولاية الشيطان على العذاب نفسه بالفاء السببية وجعلها اعظم محذورا واسوأ حالا منه (قوله وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب) جواب عما يقال المقام يقتضى ان يقال اعلم واثق لان عذاب المشرك مقطوع به وان المس والتنكير يدلان على تقليل عذاب المشرك مع ان عذابه غليظ واجاب عنه بان ذلك مبنى على المقابلة بالجميل وترك التغليظ او على عدم علمه بان اباه سيموت على الكفر فانه يجوز ان يؤمن فيصير من اهل الثواب وهذا الجواب يمنع القطع فى حقه (قوله ولعل اقتصاره الخ) جواب عما يقال للشيطان صفتان كل واحد منهما يصلح علة للنهى عن عبادته احدهما عصيانه لله تعالى بترك سجوده لآدم استعظاما لامره تعالى اياه بذلك وثانيهما عداوته للانسان قال تعالى فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو

وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال (لئن لم تنته) عن مقالك فيها اوالرغبة عنها (لأرجمنك) بلسانى يعنى الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت اوتبعد عنى (واهجرنى) عطف على مادل عليه لأرجمنك اى فاحذرنى واهجرنى (مليا) زمانا طويلا من الملاوة اومليا بالذهاب عنى (قال سلام عليك) توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اى لااصيبك بمكروه ولاأقول لك بعد ما يؤذيك ولكن (سأستغفر لك ربى) لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار ﴿٨٦﴾ للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته

وقدمر تقريره فى سورة التوبة (انه كان بى حفيا) بليغا فى البر والالطاف (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) بالمهاجرة بدينى (وادعو ربى) واعبده وحده (عسى ان لااكون بدعاء ربى شقيا) خائبا ضائع السعى مثلكم فى دعاء آلهتكم وفى تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) بالهجرة الى الشام (وهبنا له اسحق ويعقوب) بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء اولانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد (وكلا جعلنا نبيا) (باللسان)
وكلا منهما اومنهم (ووهبنا لهم من رحمتنا) النبوة والاموال والاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والمراد باللسان مايوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لاتخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) موحدا اخلص

فلم اقتصر ابراهيم عليه الصلاة والسلام من هذين الوصفين على ذكر العصيان واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه عليه الصلاة والسلام لم يلتفت الى معاداته لآدم وذريته بل اقتصر من جناياته على ذكر مايختص منها برب العزة لعلو درجته فى كونه ربانيا اى متألها عارفا بالله وبما يليق بشانه فلم يرض بما ارتكبه الشيطان فى حق الله تعالى جناية والثانى ان عصيانه للرحمن ملاك جناياته كلها واصلها الذى يتفرع عليه غيره فان ملاك الشئ مايتفرع عليه الشئ ويتقوم به والثالث ان عصيانه منبه على معاداته لآدم عليه الصلاة والسلام من حيث انه نشأ من حسده لآدم ومعاداته اباه (قوله وقدم الخبر على المبتدأ) جعل قوله أراغب خبرا مقدما وانت مبتدأ مؤخرا وان جاز ان يكون اراغب مبتدأ لاعتماده على همزة الاستفهام وانت فاعل سدمسد الخبر بل هو الاولى لوجهين احدهما انه ليس فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الفاعل التأخير عن رافعه والثانى انه لايلزم منه الفصل بين العامل ومعموله بما ليس معمولا للعامل وذلك لان قوله عن آلهتى متعلق بأراغب فاذا جعل انت فاعلا فقد حصل الفصل بما هو كالجزء من العامل بخلاف جعله خبرا واما لوجعل مبتدأ فانه حينئذ يكون اجنبيا غير معمول لأراغب ولعل المصنف اراد بالخبر المحكوم به وبالمبتدأ المحكوم عليه فان أراغب ان جعل مبتدأ لايكون مسندا اليه بل يكون المسند اليه فاعله ويكون هومحكوما به مفيدا فائدة الخبر والمعنى انت معرض عن آلهتى وعبادتها (قوله زمانا طويلا) على ان مليا منصوب على انه ظرف زمان والملاوة يجوز فى ميمها الحركات الثلاث يقال اقمت عنده ملاوة من الدهر اى حينا وبرهة ومضى ملى من النهار اى ساعة طويلة (قوله اومليا بالذهاب عنى) اى سليما مطيقا به من قولهم فلان ملى بكذا اى مطيق به قادر عليه فيكون منصوبا على انه حال من فاعل اهجرنى اى اتركنى حسبما تقدر عليه والا اصبتك بما لا تقدر عليه (قوله واضافته الى الصدق) على طريق اضافة الموصوف الى الصفة فان المراد

عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه
(وكان رسولا نبيا) ارسله الله ﴿٨٧﴾ الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى

باللسان مايوجد به من الاثنية بطريق ذكر السبب وارادة المسبب او ذكر المحل وارادة الحال وتلك الاثنية لكونها صادقة لا كذب فيها توصف بالصدق مبالغة كأنه قيل وجعلنا لهم ثناء صادقا يذكرهم الامم كلها الى قيام الساعة بما لهم من الخصائل المرضية ويصلون على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آل ابراهيم في الصلوات الى قيام الساعة وعلو تلك الاثنية عبارة عن امتدادها واقتفائها الى قيام الساعة فالكلام نشر على ترتيب اللف (قوله ولذلك) اى ولكون الانباء متفرعا على الارسال فى الوجود سواء كان الارسال ارسال نفس النبى اوارسال من هو اقدم فان الرسول هو الذى ينزل عليه الوحى والكتاب والنبى ينبى من غير عكس مع اشتراكهما فى ان كل واحد منهما صاحب وحى اى يوحى اليه (قوله وهى التى تلى يمين موسى) يعنى ان الايمن صفة للجانب والمراد بالجانب الايمن يمين موسى عليه الصلاة والسلام لان الطور جبل بين مصر ومدين وليس للجبل يمين ولايسار فوجب ان يكون اليمين راجعا الى يمين الذى يأتيه والمعنى وناديناه من الجانب الذى كان على يمين موسى وهو متوجه الى الطور واضيف الجانب الايمن الى الطور للملابسة (قوله شبهه بمن قربه الملك) لما كان الاصل فى القرب قرب المكان ولايتصور القرب المكانى بالنسبة الى الله تعالى شبه تقريبه وتكليمه اياه بان كلمه بما لم يكلم به غيره مناجيا بحيث لم يطلع على ذلك غيرهما بتقريب الملك بعض خواصه لمناجاته فاطلق اسم التقريب عليه استعارة اصلية وسرت الاستعارة الى المشتق (قوله من النجو) الجوهرى النجو والنجوة المكان المرتفع الذى تظن انه نجاؤك لانه لا يعلوه السيل (قوله صرير القلم) اى صوته يقال صر القلم والباب يصر صريرا اى صوت وصرير البكرة صوتها عند الاستقاء وكذلك صرير الباب وصرير العير وفى الكشاف حتى سمع صرير القلم الذى كتب به التوراة والواح التوراة كتبت قبل خلق آدم باربعين سنة على ما فى الحديث الصحيح الوارد فى شان محاجة آدم موسى عليهما الصلاة والسلام وكتبتها فى اللوح المحفوظ اقدم وايضا لعل الكتبة التى سمع موسى صريرها كتبة ثالثة ولايبعد (قوله فانه كان اسن) علة لتقدير المضاف فى قوله معاضدة اخيه لان هرون لما كان اسن من موسى عليهما الصلاة والسلام لزم ان لايكون نفس هرون موهوبا لموسى لان الموهوب يجب ان يكون اقل سنا من الموهوب له كما فى قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب (قوله وعد الصبر على الذبح فوفى)

(وناديناه من جانب الطور الايمن) من ناحيته اليمنى من اليمين وهى التى تلى يمين موسى اومن جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة (وقربناه) تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته (نجيا) مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم (ووهبنا له من رحمتنا) من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا (اخاه) معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لى وزيرا من اهلى فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل (هرون) عطف بيان له (نبيا) حال منه (واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد) ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء فى هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فوفى (وكان رسولا نبيا) يدل على ان الرسول لايلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته (وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة)

اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم (وكان عند ربه مرضيا) لاستقامة اقواله وافعاله (واذكر فى الكتاب ادريس) وهو سبط شيث وجد ابى ﴿ ٨٨ ﴾ نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب (انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) يعنى شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة (اولئك) اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس (الذين انعم الله عليهم) بانواع النعم الدينية والدنيوية (من النبيين) بيان للموصول (من ذرية آدم) بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية (وممن حملنا مع نوح) اى ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) الباقون (واسرائيل) عطف على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل اى يعقوب وكان منهم موسى (ان يكون) وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية (وممن هدينا) ومن جملة من هديناهم الى الحق (واجتبينا) للنبوة والكرامة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته

يروى عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره فى مكان فانتظره سنة ويروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام قال له رجل انتظرنى آتك قال عيسى عليه الصلاة والسلام نعم وانطلق الرجل ونسى الميعاد ثم جاء الى ذلك المكان وعيسى هناك للميعاد وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعد رجلا ونسى ذلك الرجل الميعاد فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبى عن الرجل يعد ميعادا الى اى وقت ينتظر قال ان واعده نهارا فكل النهار وان واعده ليلا فكل الليل (قوله اشتغالا بالاهم) تعليل للابتداء باهله فى الامر بالعبادة البدنية والمالية فان المقصود من ذكر الاحكام المفيدة ليس بيان صدور الفعل من فاعله بل المقصود بيان كونه مقيدا بالقيد المذكور فالمقصود بقوله تعالى وكان يأمر اهله بيان انه عليه الصلاة والسلام يبدأ بمن هو اقرب الناس اليه فى الامر بالعبادة لكون تكميلهم اهم بالنسبة اليه لكثرة حقهم عليه بالنسبة الى حق سائر امته فيكملهم ليجعلهم قدوة لمن سواهم ولم يرض بما قيل من ان المراد باهله جميع امته التى هو خيرهم فانه عليه الصلاة والسلام كان رسولا اليهم لانه خلاف الظاهر (قوله وهو سبط شيث) اى من نسله وولد اولاده فان ادريس هو اخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم وينتهى اليه نسب نوح عليه الصلاة والسلام فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ الذى هو ادريس وكان خياطا واول من خاط الثياب فلبسها وكان من قبله يلبسون الجلود واول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار (قوله يعنى شرف النبوة) يعنى قيل المراد بالمكان العلى رفعة المكانة والمنزلة عند الله تعالى وقيل المراد به المكان الرفيع وذلك المكان اما الجنة واما السماء السادسة ومن قال بالاول فانه اذيق الموت ساعة ثم احيى ثم ادخل الجنة ولم يخرج منها فهو حى هناك لا يموت بعد واختلف الذين قالوا انه فى السماء أهو حى فى السماء ام ميت فقيل هو ميت وقيل حى قيل اربعة من الانبياء احياء اثنان فى الارض الخضر والياس واثنان فى السماء ادريس وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقصة ادريس آخر القصص ثم انه تعالى اثنى على كل من تقدم ذكره من الانبياء بالثناء الشامل لهم بعد ما اثنى على كل واحد منهم بما يخصه من الثناء (قوله بيان للموصول) يعنى ان كلمة من فى من الذين بيانية لان المنعم عليه يجوز

ان يكون نبيا وغير نبي والانبياء كلهم منعم عليهم والخاص بين العام وحملها على التبعيض
باطل لان المنعم عليهم ليس بعض النبيين بل كلهم الا ان المنعم عليهم بعض
من ذرية آدم فجاز ان تكون من الثانية للتبعيض كما جاز ان تكون للبيان بدلا من
النبيين في قوله من النبيين فوجب ان يحمل تعريف الموصول على الجنس للمبالغة كما في
قوله ذلك الكتاب وان يقدر مضاف بان يقال اولئك بعض الذين انعم الله عليهم
من النبيين وجمعهم في كونهم من ذرية آدم ثم خص بعضهم بانهم ممن حمله الله
تعالى في السفينة مع نوح فقال وممن حملنا مع نوح والذي اختص بكونه
من ذرية آدم من غير ان يكون ممن حمل مع نوح هو ادريس عليهما الصلاة والسلام
فانه كان سابقا على نوح لما مر من انه جد أب نوح واسمعيل واسحق ويعقوب من ذرية
ابراهيم كما قال ومن ذرية ابراهيم ثم خص بعضهم بانهم من ولد اسرائيل وهو يعقوب
عليه الصلاة والسلام وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى من قبل الام
كما قال تعالى واسرائيل عطفا على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكلهم من
ذرية آدم ولكن حصل من قرب من آدم من ذريته وحصل من بعد منه من ذرية
من قرب منه تشريفا لكل واحد بأن يقرب منه فرتب الله احوال الانبياء الذين ذكرهم
على هذا الترتيب تنبيها بذلك على انهم كما فضلوا بأعمالهم فلهم في منزلة افضل
لولادتهم من هؤلاء الانبياء ثم قال وممن هدينا اي الى الحق واجتبينا اي اصطفينا تنبيها
بذلك على انهم كما اختصوا بهذه المنازل اختصوا بهداية الله تعالى لهم
وانه تعالى اختارهم للرسالة وقوله تعالى وممن هدينا يحتمل العطف على
من الاولى والثانية والمعنى على الاول انعم الله عليهم من النبيين ومن هدينا
واجتبينا وعلى الثاني انعم الله عليهم من النبيين الذين هم بعض ذرية آدم
وبعض من حملنا مع نوح وبعض من هدينا واجتبينا وقوله وبكيا جمع باك
على خلاف القياس والقياس في جمع اسم الفاعل من الناقص ان يجمع على
فعلة نحو قاض وقضاة ورام ورماة ولم يسمع بكاة في جمع باك بل المستعمل في جمعه
بكي واصله بكوي مثل ساجد وسجود وشاهد وشهود قاعد وقعود ومن قال انه مصدر
فقد اخطأ لان سجدا جمع ساجد وبكيا معطوف عليه و [illegible] حال مقدرة
لانهم حال خروا لم يكونوا ساجدين والمراد بآيات الله تعالى ما خصهم الله تعالى
به من الكتب المنزلة عليهم مما تضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب
والمعنى ان الانبياء المذكورين مع ما انعم الله عليهم من انواع النعم كان شأنهم
اذا تتلى عليهم آيات الله وكتبه المنزلة عليهم [illegible] سجدا خضوعا
وخشوعا ويبكون طمعا [illegible]
[illegible]

واستئناف آن جملة خبره
لبيان خشيتهم من الله
واخباتهم له مع ما لهم من
علو الطبقة في شرف
النسب وكمال النفس والزلفى
من الله عزوجل وعن النبي
عليه الصلاة والسلام
اتلوا القرآن وابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا والبكي
جمع الباكي كالسجود في جمع
ساجد وقرئ يتلى بالياء
لان التأنيث غير حقيقي
وقرأ حمزة والكسائي بكيا
بكسر الباء (فخلف من
بعدهم خلف) فعقبهم
وجاء بعدهم عقب سوء
يقال خلف صدق بالفتح
وخلف سوء بالسكون
(اضاعوا الصلاة)
تركوها او اخروها عن
وقتها (واتبعوا الشهوات)
كشرب الخمر واستحلال
نكاح الاخت من الاب
والانهماك في المعاصي
وعن علي رضي الله عنه
هو واتبعوا الشهوات
من بناء المشيد وركوب
المنظور ولبس المشهور
(فسوف يلقون غيا)
شرا [illegible]

من بعدهم خلف اى جاء من بعد هؤلاء الانبياء خلف من اولادهم يقال خلفه اذا عقبه ثم قيل فى عقب الخير خلف بفتح اللام وفى عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا فى جانب الشر وعيد وفى جانب الخير وعد قال الشاعر

خلفت خلفا ولم تدع خلفا ٭ ليت بهم كان لابك التلفا

(قوله كشرب الخمر) عن ابن عباس قال الذين اتبعوا الشهوات هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب (قوله وركوب المنظور) اى الفرس والبغل لا للجهاد بل لاجل ما ينظر اليه (قوله كقوله فمن يلق خيرا) قابل الغى بالخير فدل على انه اراد بالغى الشر وما قبل البيت

أمن حلم اصبحت تنكت واجما ٭ وقد تعتري الاحلام من كان نائما

يقال نكت فى الارض اذا جعل يخط ويقر باصبعه وهو كناية عن المتهم لان المهموم يفعل ذلك والواجم الحزين يقول أمن اضغاث احلام تصبح حزينا تنكت فى الارض ومن كان نائما تعتريه الاحلام ثم قال

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ٭ ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

اى ومن يفعل الشر لا يعدم من يلومه عليه ومن يغو بالكسر من غوى وبالفتح من غوى يغوى غيا وغواية فهو غاو وقوله الامن تاب وآمن يدل على ان الآية فى الكفرة لانه لا يقال آمن الالمن كان كافرا بحسب التغليظ كما روى عن قتادة ان المراد بالخلف المذكور بقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اليهود وعن مجاهد انهم النصارى وقيل هم مشركوا العرب وهم اولاد اسماعيل عليه الصلاة والسلام وقيل الآية نزلت فى حق المسلمين الذين يؤخرون الصلوات عن اوقاتها وعلى قول من حمل الآية على الكفار يكون قوله تعالى الامن تاب وآمن استثناء متصلا والمعنى الامن رجع عن كفر وآمن على شرطه وعمل صالحا بعد ايمانه وعلى قول من حملها على المسلمين يكون منقطعا ويكون المعنى الامن تاب عن ذنوبه ودام على ايمانه فاولئك يدخلون الجنة فان قيل الاستثناء دل على ان التوبة والايمان والعمل الصالح لابد منها جميعا لدخول الجنة والنجاة من النار وهو محل بحث لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة اوكانت المرأة حائضا فانه لا يجب عليهما الصلاة والزكاة ايضا غير واجبة وكذا الصوم فهما لوماتا فى ذلك الوقت كانا من اهل النجاة مع انه لم يصدر منهما عمل فما وجه ترتيب النجاة على العمل الصالح حيث ان هذه الصورة نادرة والاحكام انما تبنى بالاعم الاغلب (قوله ولا ينقصون شيأ من جزاء اعمالهم) لفظ شيأ فى هذا التركيب منصوب على انه مفعول على اقامة المفعول به المنصوب بنزع الخافض مقام الفاعل بان نقص

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ٭ ومن يغو لا يعدم على الغى لائما اوجزاء غى كقوله يلق اثاما ارغيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها (الا من تاب وآمن وعمل صالحا) يدل على ان الآية فى الكفرة (فاولئك يدخلون الجنة) وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل (ولا يظلمون شيأ) ولا ينقصون شيأ من جزاء اعمالهم

فقد يستعمل لازما وقد يستعمل متعديا الى واحد يقال نقص الشيء نقصا ونقصانا ونقصته انا وقد يتعدى الى ثان بواسطة حرف الجر فيقال نقصت من زيد حقه وقد تقرر في النحو انه اذا وجد المفعول به تعين للقيام مقام الفاعل واذا لم يوجد فالجميع سواء ويجوز قيام المنصوب بنزع الخافض مع وجود المفعول به بدون حرف الجر مقام الفاعل ذكر في الرضي منع نيابة المنصوب بسقوط الجار كما في امرتك الخير والوجه الجواز لالحاقه بالمفعول به الصريح انتهى (قوله ويجوز ان ينتصب شيأ على المصدر) اى شيأ من الظلم وفي قوله شيأ منكرا في سياق النفي اشارة الى ان اعمال الخير التي فعلوها في حال الكفر يثيبهم الله تعالى عليها مثل الصدقة وصلة الرحم قال محيي السنة في شرح السنة اذا اسلم الكافر يثيبه الله تعالى على اعمال الخير التي عملها في حال الكفر كما يجاوز عنه ويعفو عما فعل في حال الكفر من السيئات (قوله وعدن علم) لما جعل جنات بدلا من المعرفة ولا يحسن ابدال النكرة من المعرفة الا موصوفة كما في قوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وايضا لما وصف جنات بقوله التي وعد الرحمن عباده ولا توصف النكرات بالمعارف احتيج الى تعريف جنات عدن ولا سبيل الى تعريفها الا بتعريف عدن ولفظ عدن ليس فيه شيء من التعريف سوى العلمية وسوى وقوعه مضافا اليه في العلم فان ما كان مضافا اليه في العلم لابد ان يكون معرفة مثل عبدالله وعبد مناف وعلل علمية عدن اولا بوقوعه مضافا اليه في العلم وثانيا بكونه علما للعدن بمعنى الاقامة اى الحقيقة معنى الاقامة وحسبما ان اعلام الاجناس موضوعة للحقائق الذهنية المتعينة كاسامة فانه علم الحقيقة الذهنية الاسدية وكفطرة فانه اسم للمرة المعرف بلام الجنس وكذا لفظ عدن فانه علم معنى العدن المعرفة بلام الجنس (قوله اى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم) على ان الباء في قوله بالغيب للملابسة كما فرض كون الغيوب من جنس الغيب وهو حال من المفعول المحذوف اوعد اى وعدها وهى غائبة عنهم او من المفعول الثاني وهو عباده (قوله اووعدهم بايمانهم) على ان الباء فيه للسببية بتقدير المضاف والمعنى وعدها عباده بسبب تصديقهم بالغيب وايمانهم به (قوله وعده الذى هو الجنة) جعل الوعد بمعنى الموعود فلا يحتاج الى جعل المأتى بمعنى الآتى فانه لو جعل الوعد بمعنى المصدر لاحتيج اليه لان الوعد بمعنى المصدر معناه ان وعدالله آت لامحالة وبمعنى المفعول معناه ان الموعود وهو الجنة مأتى اى يأتونها العباد لامحالة او المأتى اسم مفعول على بابه من اتى اليه احسانا اذا فعله والمعنى ان الرحمن كان وعده لعباده بالجنة مفعولا منجزا لامتناع الخلف في وعده يقال انجز وعده اذا وفى به فهو تعالى وان وعدهم بامر غائب عنهم وذلك

ويجوز ان ينتصب شيأ على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم (جنات عدن) بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) اى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم او وهم غائبون عنها اووعدهم بايمانهم بالغيب (انه) ان الله (كان وعده) الذى هو الجنة (مأتيا) يأتيها اهلها الموعود لهم لامحالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اى مفعولا منجزا (لا يسمعون فيها لغوا)

اوتسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب اوعلى ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث التشديد (وما نتنزل الا بامر ربك)

الامر كأنه حاضر حاصل لهم (قوله فضول كلام) وهو الكلام الذي سبيله ان يلغى ويطرح لخلوه عن الفائدة نزه الله تعالى داره التي وعدها عباده عن العيب والنقيصة اذلا تكليف فيها وجعل الاستثناء اولا منقطعا لان السلام سواء كان بمعنى التسليم او بمعنى القول الذي لايتطرق اليهم الغير بسببه ليس من جنس اللغو ثم يستثنى منه اصوات العصافير ونحوها من الطيور قال المبرد السلام دعاء الانسان لصاحبه بان يسلم من يسلم من الآفات في دينه وبدنه ويتخلص من المكروه ثم فشا استعماله في الاكرام حتى لايفهم منه غيره ولهذا لوتركته لحملك صاحبك على الاهانة (قوله على عادة المتنعمين) جواب عن سؤال مقدر وهو ان المقصود من هذه الآيات وصف الجنة باحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة فما الوجه في مدح الجنة به واجاب عنه بوجهين الاول ماروى عن الحسن من انه تعالى اراد ان يرغب كل قوم بما احبوه في الدنيا فلذلك ذكر اساور الذهب والفضة ولبس الحرير وهي من عادة العجم والارائك التي هي الحجال المضروبة على الاسرة وكانت عادة اشراف اليمن ولا شيء كان احب الى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك والثاني انه كناية عن اعتدال احوال اهل الجنة من حيث المطاعم والمشارب فان اعدل احوال المطاعم وابعدها عن الضرر هو الغدي والعشي وهي عادة محمودة متوسطة بين الزهادة من الطعام والمبالغة فيه بالاكل في اليوم والليلة مرة وبين الرغابة والافراط فيه وهي الاكل متى وجده ومرة بعد اخرى ثم نقل جوابا ثالثا وهو ان ذكر البكرة والعشي لبيان دوام رزق اهل الجنة لالبيان ان الرزق انما يحصل لهم في هذين الوقتين المعلومين كما يقال انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا ويراد دوام الحضور عنده في كل وقت فان قيل كيف يتحقق البكرة والعشي المستلزمة [illegible] لاهل الجنة ولا صباح ولا مساء ولا ليل ولا نهار بالنسبة اليهم قال تعالى لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقال عليه الصلاة والسلام لاصباح عند ربك ولا مساء بل هم في نور ابدا واجيب بان المراد انهم يأكلون طعاما لا ان في الجنة غدوة وعشيا اذ قيل انهم فيها يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها [illegible] ست ساعات (قوله نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم) شبه [illegible] الورث [illegible] ثمرة تلك الاعمال [illegible] الورث [illegible] للوارث [illegible] كذلك اعمال المتقين تنقضي وتبقى [illegible] ابقاء [illegible] لا يرث واستـ [illegible] على [illegible]

وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحى (له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك) وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان اولا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته (وما كان ربك نسيا) تاركا لك اى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل ان الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من

تلك والآية تدل على ان المتقى يدخل الجنة وليس فيها دلالة على ان غير المتقى لا يدخلها وايضا صاحب الكبيرة يصدق عليه انه متق لكونه متقيا عن الكفر فيدخلها (قوله حكاية قول جبريل عليه السلام) ولاشك ان قوله تعالى تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله تعالى فلا وجه لعطف هذه الجملة المحكية عليه بل هى معطوفة على ما تقدم من اول السورة الى هنا عطف القصة على القصة واللازم فى مثله تناسب القصتين المتعاطفتين فى الغرض الذى سيق الكلام لاجله وذلك التناسب موجود ههنا فان المقصود من ذكر اقاصيص الانبياء عليهم الصلاة والسلام تسلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتثبيته وهى المقصودة من هذه الحكاية ايضا فانه تعالى لما فرغ من اقاصيص الانبياء وذنبهم ببيان ما احدث الخلف بعدهم وحكم عليهم بانهم سوف يلقون غيا واستثنى اهل الهداية والتوفيق منهم وقال فى حقهم فاولئك يدخلون الجنة عقب ذلك بذكر حكاية نزول جبريل عليه السلام كانه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك وان اشتقت الى وانكى اليك اشوق الا ان امرنا موكول الى الله عز وجل يتصرف فينا بحسب مشيئته وارادته وحكمته لا اعتراض لاحد عليه وليس احتباسى عنك لاجل ان ربك ودعك وقلاك كما يقول المشركون وما كان ربك نسيا تاركا لك ولاشك ان فى ذكرها زيادة التسلية له عليه الصلاة والسلام (قوله ثم نزل ببيان ذلك) اى ثم نزل جبريل ببيان ما يجيب لمن سأل عن قصة اصحاب الكهف وغيرها ونزل حينئذ قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وقوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة الضحى (قوله وقيل ان الآية حكاية قول المتقين الخ) القائل له اختاره ليناسب ما قبله ويظهر عطفه عليه والتنزل هنا من النزول فى المكان اى ما نحلها ونتخذها منازل كما اشار اليه بقوله ننزل الجنة لكنه خلاف الظاهر وايضا مقتضاه بامر ربنا لان خطاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الوجه الاول غير ظاهر الا ان يكون حكاه الله على المعنى لان ربهم وربه واحد ولو حكاه على لفظهم لقال ربنا وانما حكى كذلك ليحصل تمهيدا لما بعده وكذا وما كان ربك نسيا ادلم يقل ربهم ومرضه لانه لا يوافق سبب النزول واما كون الخطاب من جماعة المتقين او واحد منهم فبعيد (قوله ولطفه) اشارة الى ان الامر هنا امر تكريم ولطف كقولك للمسافر انزل هنا (قوله ما كان ربك ناسيا لاعمال العاملين) اشارة الى ان النفى اصل النسيان لا زيادته حتى يقتضى ثبوت اصله وانما المبالغة باعتبار كثرة من فرض

وقوله (رب السموات والارض وما بينهما) بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك (فاعبده واصطبر لعبادته) خطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مرتب عليه اى لما عرفت ربك بانه لا ينبغى له ان ينساك او اعمال العمال فأقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحى وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر قرنك (هل تعلم له سميا) مثلا يستحق ان يسمى الها او أحدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها (ويقول الانسان

تعلقه به كافى وما ربك بظلام للعبيد فى احد الوجوه وقوله بيان لامتناع النسيان لان رب هذه المخلوقات العظيمة المدبر لامرها والممسك لها فى كل حال لا يمكن ان يجرى عليه الغفلة والنسيان على مامر فى قوله لا تأخذه سنة ولا نوم له مافى السموات ومافى الارض (قوله وهو خبر محذوف او بدل من ربك) فى قوله وما كان ربك نسيا وفى الكشاف هو بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو رب السموات والارض كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين ومابعده من كلام رب العزة انتهى وانما لم يجز على البدل ان يكون من كلامهم لانه لا يظهر اذ ذاك ترتب قوله فاعبده الخ عليه لانه من كلام الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا بلاشك وجعله جواب شرط محذوف على تقدير اذا عرفت احوال اهل الجنة واقوالهم فأقبل على العمل لا يلائم فصاحة التنزيل للعدول عن السبب الظاهر الى الخفى كذا فى الكشف ولم يذكره المصنف لما فيه من التكلف بل جعله من كلام الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم كامر (قوله خطاب للرسول الخ) الترتب مأخوذ من الفاء وقوله لما عرفت الخ اشارة الى وجه الترتب وقوله او اعمال بالنصب عطف على مفعول ينساك اشارة الى تفسيره على كونه حكاية قول المتقين وقوله فأقبل لم يقل فاستمر لان الاقبال كان حاصلا قبل لئلا يتكرر مع ما بعده لان معناه الثبات والاستمرار ولا يتوهم ما ذكر كما قيل (قوله وانما عدى باللام الخ) اى والمعروف تعديته بعلى لما فيه من معنى الثبوت المعدى بها كأنه قيل اصبر ثابتا على طريق التضمين وجعل العبادة بمنزلة القرن اشارة الى قوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقيل انه استعارة تبعية ملوحة الى مكنية بجعل العبادة بمنزلة القرن والصبر والمداومة عليها بمنزلة اثبات له ولو كان تضمينا لم يحتج الى ان العبادة بمنزلة القرن وفيه نظر (قوله مثلا يستحق ان يسمى الها الخ) يعنى ان اصل السمى المشارك فى الاسم وذلك يقتضى المماثلة خصوصا فى اسماء الاجناس فاريد بنفى السمى نفى المثل على طريق الكناية بنفى السمى فيجوز ان يراد به نفى المشاركة فيما يطلق عليه مطلقا كاله لان الكفرة وان سموا اصنامهم آلهة لكنها تسمية باطلة لا اعتداد بها وان يراد به نفى المشاركة فيما يختص به كالله والرحمن كما نقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما واشار اليه المصنف رحمه الله بقوله او احدا يسمى الله وقوله فان المشركين الخ تعليل الاول اولهما لان الله اصله الاله كمامر فتأمل (قوله لظهور احديته) اى احديته الذاتية المقتضية للتفرد باسمائه العلية وتعالى بكسر اللام اسم مصدر مضاف وقوله وهو تقرير للامر

(اى كونه)

اى كونه لايفعل الا باذنه وامره وقوله ولايستحق العبادة اى التى هى غاية الخضوع
اذلا تليق بغيره المتعدد الامثال وهذا يعلم من ذكره بعد الامر بعبادته فلا يرد ان
التفرد بالتسمية لايدل على التفرد بالعبادة (قوله المراد به الجنس بأسره الخ)
لما كان هذا القول لم يصدر الامن الكفار المنكرين للبعث اختلف فى تفسيره
فقيل ال فيه للعهد والمراد شخص وهو ابى بن خلف لعنه الله او جماعة معينون
وهم هؤلاء الكفرة وقيل انها للجنس وهو حينئذ مجاز اما فى الطرف بان اطلق
جنس الانسان واريد بعض افراده كما يطلق الكل على اجزائه او فى الاسناد
بان يسند الى الكل ماصدر عن البعض كما يقال بنوا فلان قتلوا قتيلا والقاتل
واحد منهم ولا منافاة بين كون التعريف للجنس المفيد للعموم وارادة البعض
كما توهم وانما الكلام فى انه هل يشترط فى مثله صحته اوحسنه رضى الباقين به
اومطاوعتهم ومساعدتهم حتى يعد كأنه صدر منهم اولا فان قلنا بالاول ورد
عليه الاعتراض بان بقية الناس من المؤمنين لم يرضوه وايضا صرح المصنف
رحمه الله باشتراطه فى سورة السجدة فان لم يقل به هنا تناقض كلامه وان وفق
بينهما بعض اهل العصر بما لاطائل تحته فيحتاج الى تكلف ماقيل ان الاستغراب
مركوز فى طبائع الكل قبل النظر فى الدليل فالرضى حاصل بالنظر الى الطبع
والجبلة لكن كلام المصنف لايساعده كما ستراه والحق عدم اشتراط ذلك وانما
يشترط لحسنه نكتة يقتضيها مقام الكلام حتى يعد كأنه صدر عن الجميع
فقد تكون الرضى وقد تكون المظاهرة وقد تكون عدم الغوث والمدد واذا
اوجب الشرع القسامة والدية وقد تكون غير ذلك فذكر المصنف رحمه الله
وجها فى محل لايقتضى تعينه فكانت النكتة هنا انه لما وقع بينهم اعلان قول
لاينبغى ان يقال مثله واذا قيل لاينبغى ان يترك قائله بدون منع اوقتل جعل ذلك
بمنزلة الرضى حثالهم على انكاره قولا وفعلا فتأمل واعلم ان ماذكره لا يختص
بالنسبة الاسنادية بل يجرى فى الاضافة كقوله * فسيف بنى عبس وقد ضربوا به *
كما فى الكشاف وقوله على الخبر المراد به مايقابل الانشاء الذى منه الاستفهام
ولبعض الناس هنا كلام مختل لاحاجة الى ايراده وقيل ان المراد بكونه على الخبر
بحسب الظاهر والا فالهمزة مقدرة فيه وليس بمتعين كما ذكره المعرب وقوله من
الارض فالخروج حقيقى اومن حال الموت فهو مجاز عن الانتقال من حال الى اخرى
(قوله لان المنكر كون مابعد الموت وقت الحياة الخ) يعنى ان تقديم الظرف لان
الاخراج الى الحياة ليس بمنكر مطلقا وانما المنكر كونه بعد الموت فقدم الظرف
لانه محل الانكار والاصل فى المنكر ان يلى الهمزة ويحتمل انه اريد انكاره وقدمه لمنه
مبالغة لانه بعد انكاره بطريق برهانى كما ذكره الطيبى ولما كان وقت احيائه

المراد به الجنس بأسره
فان المقول مقول فيما بينهم
وان لم يقل كلهم كقولك
بنوا فلان قتلوا فلانا
والقائل واحد منهم
او بعضهم المعهود وهم
الكفرة اوابى بن خلف
فانه اخذ عظاما بالية
ففتها وقال يزعم محمد
انا نبعث بعدالموت (ائذا
مامت لسوف اخرج حيا)
من الارض او من حال
الموت وتقديم الظرف
وايلاؤه حرف الانكار
لان المنكر كون ما بعد
الموت وقت الحياة

وخروج الروح ليس وقت اخراجه حيا بل بعده بزمان طويل قال الرضى ان فيه
معطوفا محذوفا لقيام القرينة عليه والمعنى ائذا مامت وصرت رميما ابعث اى مع اجتماع
الامرين كقوله ائذا متنا وكنا عظاما ورفاتا ابعث خلقا جديدا فمن قال انه لاحاجة
اليه لم يصب اللهم الا ان يراد بحال الموت زمان ممتد الى اول زهوق الروح كما هو
المتبادر منه وربما يكون فى كلام المصنف رحمه الله اشارة اليه او يقال انهم
اذا احالوه فى تلك الحال علم احالته اذا كانوا رفاتا بالطريق الاولى وفى كلام
الفاضل المحشى هنا شئ فتأمل (قوله وانتصابه بفعل دل عليه اخرج)
سوآء كان من لفظه او معناه كابعث ونحوه وعد المانع اللام وحدها دون سوف
لانها لا تمنع على الصحيح خلافا لابن عطية قيل ان الرضى ذكر ان كلمة الشرط
تدل على لزوم الجزآء للشرط ولتحصل هذا الغرض عمل فى اذا جزآؤه مع كونه
بعد حرف لايعمل مابعده فيما قبله كالفاء فى فسبح وان فى قوله فقولك ان جئتنى
فانى مكرم ولام الابتدآء فى قوله ائذا مامت لسوف اخرج حيا انتهى فان قلت
هذا مبناه على ان العامل الجواب والجمهور على انه الشرط كما فى المغنى قلت ذلك
فى اذا الشرطية وهذه ظرفية انتهى ولا يخفى ان كلام الرضى ليس بمتفق عليه
كما فى كتب العربية واما ما ذكره من السؤال والجواب فانه لا يصح ان يكون على
كلام الرضى فانه مخالف لصريح كلامه من جعلها شرطية ولا من قبل المصنف
رحمه الله بانه لايعارض كلام الرضى ولاحاجة لايراده ر... وسياقه يأباه فتدبر
(قوله وهى هنا مخلصة الخ) هذا بناء على ان اللام اذا دخلت على المضارع
خلصته للحال وهو قول للنحاة ومن قال انها لا تخلصه يحتج بمثل هذه الآية
ولا يحتاج الى دعوى تجريدها للتوكيد وقوله كما خلصت بصيغة المجهول وهذا
ايضا بناء على ان اصله الاله وال فيه للتعريف والتعويض عن الهمزة المحذوفة
فانها اذا اجتمعت مع حرف النداء جعلت لمحض التعويض لئلا يجتمع ... بقال
وهذا احد الاقوال المشهورة فيه ايضا ولذا قطعت همزته وقوله ساغ الخ
تعليل لما نحن فيه (قوله مع ان الاصل ان يتقدمهما الخ) تبع فى هذا الزمخشرى
حيث قال وسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى أيقول
ذلك ولايذكر حال النشأة الاولى حتى لاينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب الخ
وهو مخالف للمذهبين فى مثله بحسب الظاهر من انها مقدمة من تأخير فاصله
ولايذكر الخ والداخلة على مقدر واصله ايقول كذا ولا الخ واما كونها مؤخرة
من تقديم فلا يقوله احد مع انه قيل عليه ان الهمزة ليست من المعطوف لتتقدمها
عليه ولا من المعطوف عليه لتتأخر عنه ... يدخل الانكار على يقول
مع تأخر الهمزة عنه ... عدارتها ... الا ان يقال لا يذكر معطوف

وانتصابه بفعل دل عليه
اخرج لا به فان مابعد اللام
لا يعمل فيما قبلها وهى
ههنا مخلصة للتوكيد
مجردة عن معنى الحال
كما خلصت الهمزة واللام
فى يا الله للتعويض فساغ
اقترانها بحرف الاستقبال
وروى عن ابن ذكوان
اذا مامت بهمزة واحدة
مكسورة على الخبر (اولا
يذكر الانسان) عطف
على يقول وتوسط همزة
الانكار بينه وبين العطف
مع ان الاصل ان يتقدمهما
للدلالة على ان المنكر
بالذات هو المعطوف وان
المعطوف عليه انما نشأ منه

على مقول مقدر بعد الهمزة لدلالة الاول عليه فيرتفع الاشكال ان وقيل لايخلو اما ان يعطف لا يذكر على يقول المذكور اوعلى المقدر فعلى الاول لايستقيم تقريره المعنى بقوله ايقول ذلك ولا يذكر لان التقدير حينئذ اولا يذكر وعلى الثاني لايصح قوله ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قيل ويمكن ان يجاب باختيار الاول وقوله ايقول ذلك ولايذكر بيان لحصل المعنى لالتقدير اللفظ وذلك لان الهمزة افادت انكار الجمع لدخولها على الواو المفيدة له وكانه قيل اينكر الجمع بين القول وعدم التذكر فصح قوله ايقول ذلك ولايذكر واما السؤال ببطلان صدارة الهمزة فلاوجه له لماثبت من التوسع فيها خاصة انتهى ❊ اقول في هذا كله تكلف مالاحاجة اليه مع خروجه كله عن القانون النحوي اما الاول فلأن كلامهم غير محتاج لما ذكره كما ستسمعه عن كتب واما الثاني فلمخالفته لماذهب اليه النحاة من المذهبين لانه لم يقل احد انها مؤخرة من تقديم وايضا صدارتها انماهو بالنسبة الى جملتها بالاتفاق وتقدمها على الواو أتم فيه كما صرح به في المغني فلا حاجة الى التوسع المذكور كانه لاحاجة الى ماقيل ان وجوب التصدير انما هو اذا بقيت على معناها الاصلي الاستفهامي اما اذا تراد منها معنى آخر كالانكار والتوبيخ فلا يتعين وجوب التصدير ولذا قال المصنف رحمه الله مع ان الاصل الخ اذا عرفت هذا فمعنى كلام الشيخين هنا وهو بيان لمعنى [illegible] على الاول بعدم التقدير [illegible] لادخل حرف الانكار على العاطف فتوسط في الكلام مع ان القول المذكور معطوف عدم التذكر فاجابوا بانه وان كان اصل المعنى المراد [illegible] هذا ومقتضاه ان يقال ايقول اذا الخ الا انه عدل عنه للدلالة على ان المنكر بالذات عدم الذكر والقول [illegible] عنه ولا وجه لما قاله المحشي فانه لوتأمل لم يقله ﴿ قوله بل كان عدما صرفا الخ) بناء على ان الشئ يختص بالموجود وقد تقدم تفصيله وقوله فانه اى الخلق المفهوم من خلقنا واعاد كون التعجب [illegible] قال المحشي [illegible] له [illegible] على احد المذهبين المعروفين في المعاد كما اشار اليه المصنف رحمه الله وقوله على الاصل [illegible] فانه خلافه والمعظم لشأنه صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] تعظيم كبيت الله وقوله الساري الخ تأييد للمعية لا تصريح بها في الحديث وقوله مخصوصا بهم اى الكفرة وقوله ساغ العين المعجمة اى جاز [illegible] الى الجنس باسره نسبة مجازية [illegible] وقوله فالذم [illegible] فيه وقوله [illegible] بيان لحكمة [illegible] حسن [illegible] باسره وقوله [illegible] الظاهر ان يقول [illegible]

فانه لوتذكروتأمل ﴿ انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) بل كان عدماصرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ماكان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل ﴿ فوربك لنحشرنهم) اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ والشياطين) عطف اومفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانه اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا [illegible] ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم) ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم ﴿ جثيا) على ركبهم [illegible]

علقه بعقدر اى مقاطين عليهم وقوله يدعهم بالدال المهملة اى يعجلهم وهذا
بناء على العموم فى الانسان فالمؤمن يجثوا اذا قرب منها والكفار مستمرون على
الجثى لعدم استطاعة القيام فلا ينافى جمع ضمير نحشرهم ان يراد بالانسان واحد
كما تقدم والعدة بضم العين المهملة مايعد للامر (قوله اولانه من توابع التواقف)
اى من لوازمه والتواقف تفاعل من الوقوف والتقاول تفاعل من القول والمفاعلة فيه
حقيقية بخلاف اخواته فانها فيه للمشاكلة يعنى ان الجثى وهو جلوس المستوفز
على ركبه شان من يجيئ لمجلس امير وقوله قبل التواصل الخ اى قبل الوصول
الى جزآء ماهو سبب له وهذا عام لجميع اهل الموقف كما فى الآية المذكورة على احد
تفسيريها لا خاص كما قيل وانما الفرق ان المؤمنين يقومون بعد تلك الحالة
والكفار يبقون على هيأتهم الاولى فليس فى تقريره سوء ترتيب وقوله على المعتاد
اى فى الحساب حال من ضمير جاثون اومتعلق به وقوله وان كان الظاهر الفاء
لانه لف ونشر وقوله فلعلهم عبر به لانه من المغيبات وقوله جثاة اى للهول كما مر
على ان جثيا حال مقدرة بخلافه على ماقبله لان قوله لنحضرنهم حول
جهنم جثيا يقتضى ان يكونوا فى الاحضار وهو امر ممتد كذلك فان اريد العموم
لايكون كذلك لان منهم السعداء وهم يمشون على اقدامهم فاذا وصلوا الى
شاطئ النار تجاثوا فان قلت جثيا حال مقدرة بالنسبة الى السعداء وغير مقدرة
بالنسبة الى الاشقياء فكيف يصح التقدير وعدمه فى حالة واحدة قلت ان اريد
بالجثى الجثى حول جهنم فهى مقدرة بالنسبة الى الكل ويجوز ان يكون من اسناد
ماللبعض الى الكل كما مر وكل منهما مجاز فتأمل والقرآءة بكسر الجيم للاتباع
قرأ حمزة والكسائى وحفص جثيا بكسر الجيم اتباعا والباقون بالضم ووقع
فى النسخ هنا تحريف (قوله من كل امة شايعت دينا) اى تبعت دينا
من الاديان وفى نسخة رئيسا فيكون تفسيرا للاشد عتيا مقدما عليه كما سيأتى
والاولى هى المشهورة وهذا بناء على ابقاء الشيعة على معناها المتبادر منها
وهى الفرقة والفئة مطلقا فتشمل المؤمنين كما اشار اليه بقوله واوخص الخ وقوله
تنبيه ولم يفسره بما فى الكشاف بطائفة تبعت غاويا من الغواة لان المقام يقتضى
التخصيص وان كان عاما للاتباع بحسب الوضع لكنه اورد عليه ان قوله
اشد عتيا يقتضى اشتراكهم فى العتى بل فى اشديته وهو لا يناسب المؤمنين واجيب
عنه بانه يكتفى بالتقدير او يجعل من نسبة ماللبعض الى الكل وهذا اظهر ولابعد
فيه من جهة العربية لان التفضيل على طائفة لايقتضى مشاركة كل فرد فرد كما اذا قلت
هو اشجع العرب لا يلزمه وجود الشجاعة فى جميع افرادهم وقوله اعصى
اشارة الى ان العتو على هذا بمعنى العصيان لانه كما فسره الراغب النبو عن الطاعة

اولانه من توابع التواقف
للحساب قبل التواصل الى
الثواب والعقاب واهل
الموقف جاثون لقوله
وترى كل امة جاثية على
المعتاد فى مواقف التقاول
وان كان المراد بالانسان
الكفرة فلعلهم يساقون
جثاة من الموقف الى
شاطئ جهنم اهانة
بهم او لعجزهم عن القيام
لما عراهم من الشدة وقرأ
حمزة والكسائى وحفص
جثيا بالكسر (ثم لننزعن
من كل شيعة) من كل امة
شايعت دينا (ايهم اشد على
الرحمن عتيا) من كان
اعصى واعتى منهم فنطرحهم
فيها وفى ذكر الاشد
تنبيه على انه تعالى يعفو
عن كثير من اهل العصيان
ولو خص ذلك بالكفرة
فالمراد انه يميز طوائفهم
اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم
فى النار على الترتيب
او يدخل كلا طبقتها
التى تليق بهم

(وبه)

وبه يهون فامر ووجه التنبيه على هذا انه خص العذاب بالاشد معصية ففيه ايماء الى التجاوز عن كثير منهم فلاوجه لما قيل انه لادلالة له عليه وقوله ولنطرحهم اوبدخل فيه اشارة الى ان فى النظم حذفا وايجازا وكثيرا منصوب على نزع الخافض وهو عن لااللام وقوله طبقاتها وفى نسخة طبقتها اى النار (قوله وايهم مبنى على الضم عند سيبويه) أى المشددة تكون موصولة واستفهامية او شرطية وا ختلف فيها وفى اعرابها هنا فذهب سيبويه الى انها موصولة وكان حقها ان تبنى كسائر الموصولات لشبهها بالحرف بافتقارها لمابعدها من الصلة لكنها لما لزمت الاضافة الفرد لفظا نحوايهم اوتقدير انحوايا وهى من خواص الاسماء بعد الشبه فرجعت الى الاصل فى الاسماء وهو الاعراب ولانها اذا اضيفت الى نكرة كانت بمعنى كل نحو اى رجل واذ اضيفت الى معرفة كانت بمعنى بعض نحو اى الرجلين كاذكره النحاة فخمات فى الاعراب على ماهى بمعناه كاذكره المصنف رحمه الله لكنها اذا حذف صدر صلتها عنده ازداد نقصها المعنوى وهو الابهام والافتقار الى الصلة بنقص الصلة التى هى كجزئها فقوى مشابهتها للحرف فعادت الى ماهو حق الموصول وهو البناء فهى على هذا منصوبة محلا والجملة بعدها المحذوفة المبتدأ لامحل لها من الاعراب والقرآءة بالنصب عن طلحة تقتضى انها مفعول ننزعن وقدخطئ فى هذا بانه لم يسمع مثله وبانه يقول باعرابها اذا افردت عن الاضافة فكيف اذا اضيفت كما فى المغنى وهو مفصل فى محله وقوله ومرفوع معطوف على قوله منصوب المحل (قوله والجملة محكية) اى بالقول الذى هو صلة الموصول المحذوف الذى هو مفعول لننزعن واى استفهامية لاموصولة كما بينه وهذا قول الخليل رحمه الله ولما كان لامعنى لجعل النزع لمن يسأل عنه بهذا الاستفهام اوله بعضهم بانه مجاز عن تقارب احوالهم وتشابهها فى العتو حتى يستحق ان يسأل عنها اوالمراد الذين يجاب بهم عن هذا السؤال وهومع تكلفه فيه حذف الموصول مع بعض الصلة وهوتكلف على تكلف ومثله لاينقاس وقوله اومعلق عنها فالجملة فى محل نصب والمعنى لننزعن جواب من يسأل عنه بهذا ولما كان التعليق عندالجمهور يختص بافعال القلوب اجاب عنه بانه نزع شئ عن شئ يقتضى افرازه وتمييزه عنه وهوسبب للعلم به فهو لتضمنه معنى يلزمه العلم عومل معاملته والاولى ان يقال انه مستلزم العلم لعلم من يراهم بذلك ومن لايرى التعليق مختصا بافعال القلوب كيونس لايحتاج الى التأويل (قوله اومستأنفة) اى استئنافا نحويا او بيانيا ان كانت اى موصولة كأنه قيل من المنزوعون فقيل هم الذين هم اشد واما اذا كانت استئنافية فالظاهر الاول ويجوز الثانى على التأويل السابق وجعل من زائدة

وايهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زادنقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتدآء على انه استفهامى وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشدا ومعلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم اومستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من اوعلى معنى لننزعن بعض كل شيعة

على مذهب الاخفش الذى يجوز زيادتها فى الاثبات وكونها مفعولا لتبأ وعلمها باسم وهو بعض قيل هو على تقدير تخصيصه بالكفرة وفيه نظر (قوله واما بشيعة) معطوف على قوله بالابتداء وهذا منقول عن المبرد فى الاعراب فمن قال انه لم يقله غير المصنف لم يصب قال ابو البقاء يعنى ان ايهم فاعل لما تضمنه شيعة من معنى الفعل والتقدير لننزعن من كل فريق يشيع ايهم اشد واى موصولة بمعنى الذى فتأمل وقيل اى هنا شرطية (قوله وعلى للبيان الخ) يعنى ان الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف او بمصدر مبين لان المعنى على من والصلى بماذا كما فى سقياله ورعياله كانه قيل على من عتوا فقال عتوا على الرحمن و بماذا يصلون فقيل يصلون بالنار لا بالمصدر المذكور لان معمول المصدر لا يتقدم عليه فمن جوزه مطلقا او فى الجار والمجرور للتوسع فيه جوزه هنا وكذا من قال ان عتيا وصليا جمع عات وصال وهو منصوب على الحالية (قوله لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى الخ) قيل هذا على كون صليا تمييزا عن النسبة التى بين اولى والمجرور ومابعده على انه تمييز عن النسبة التى بين المبتدأ والخبر وقيل ان الاول على تقدير كونه للبيان ومابعده على تعلقه بالفعل فتأمل وقوله وقرأ حمزة الخ وقع فى بعض النسخ وقد قرأوا به فى جثيا كما مر وهو اتباع وكذا فى عتيا فالاولى ذكره ايضا وقوله ويجوز وكان المراد اولا الفرق بجمعها (قوله التفات) اى من الغيبة للحضور وهو جار على التفسيرين فى الانسان بالعموم والخصوص وعلى الثانى الورود بين ويجوز ان يكون خطابا للناس دون التفات لما مر كما فى الكشاف وقوله الا واصلها الخ يعنى ان المراد بالورود اما دخولها حقيقة لكنها لا تحرقهم بل تصير عليهم بردا وسلاما كنار ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ورد فى الحديث وعليه كثير من سلف المفسرين واهل السنة او المراد به الجواز على الصراط او القرب منها او الجثو حولها ورجحه الشيخان كغيرهما لانه يلائم قوله ثم ننجى الذين الخ لان الظاهر منه انه تفصيل وتفريق بعدما اشتركوا فيه ويقدر فيه مضاف ايضا اى نذر الظالمين فيها حولها بقرينة قوله لنحضرنهم حول جهنم والمراد المرور على الصراط بعده واما على التفسير الاول فلا يحتاج الى تأويله فتأمله وقوله خامدة بالخاء المعجمة والجيم والاول اولى اى ساكنة وتنهار اى تسقط وتقع والمراد انها تحرقهم وتشعل كما يقال وقع فى البلد حريق (قوله واجبا) اى كالواجب فى تحتم وقوعه والمقصود المبالغة اذ لا يجب على الله شئ عند اهل السنة واليه اشار بقوله وقضى الخ وهو تفسير مقضيا كما ان ماقبله تفسير حتما (قوله وقيل اقسم عليه) اى معنى كان حتما مقضيا كان قسما لازما والمقصود منه انشاء القسم وقد يقال ان على ربك المقصود منه اليمين كما تقول لله على كذا اذ لا معنى له

(الا تأكيدا)

واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى البيان او متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) اى لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص صليا بكسر الصاد (وان منكم) وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم (الا واردها) الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها (كان على ربك حتما مقضيا) كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه

الا نا كد اللزوم والقسم لا بذكر الامثله وعلى ورد فى كلامهم كثيرا للقسم كقوله

على اذا ماجئت ليلى ازورها ❊ زيارة بيت الله رجلان حافيا

فان صيغة النذر قد يراد بها اليمين كما صرح به او المراد بهذه الجملة القسم كقولهم عزمت عليك الا ما فعلت كذا وورد فى الحديث لايموت لاحدكم ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قال ابو عبيد وتبعه جماعة من المفسرين ان المراد بالقسم فى الحديث قوله وان منكم الا واردها الآية واعترض الازهرى فى التهذيب بانه لا قسم فيها فكيف يكون له تحلة وقيل ان هذا اصل معناه ولكن لما كان ما يحلل به يكون امرا قليلا ان اريد به ايقاع شئ من المحلوف عليه كبر قسمه اوذكر ما يمنعه من الحنث وهو قوله ان شاء الله فعبر به عن القلة كقول كعب وقعهن الارض تحليل ❊ قال ابن هشام فى شرح بانت سعاد اللهم الا ان يقال ان قوله تعالى وان منكم الا واردها معطوف على ما اجيب به القسم فى قوله فوربك لنحشرنهم الخ وهذا مراد من قال ان الواو للقسم وفيه بعد وقال السبكى هذا عجيب فان القسم مقدر فى قوله وان منكم ويدل عليه شيئان احدهما قوله كان على ربك حتما مقضيا قال الحسن وقتادة قسما واجبا وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه والثانى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهم منه القسم كما مر الحديث ولك ان تقول انه لا تقدير فيه والمعنى ماقررناه كما مر او يقال الجملة معطوفة على جواب القسم اوحال وحديث البعد غير مسموع لعدم تخلل الفاصل (قوله وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو الخ) وجه الدلالة انه لما ذكر ان الجميع واردوها ثم قسمهم الى ناج والى متروك على حاله فى الجثى علم ان مقابله حاث لكنه غير متروك على جثيه فجاء ماذكر وهو ظاهر والدليل هو قوله ونذر الظالمين الخ وقد بين ايضا بان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة فى مكانهم جاثين والتركيب يدل على انجاء المتقين من الورطة التى تبقى الظالمون فيها لتقابل بينهما فدل على ان تلك الورطة هى الجثو حوالها وانهما يشتركان فيها وقد كانا اشتركا فى الورود فدل هذا على ان المراد بالورود هو الجثو وهذا انما يتأتى بتقدير مضاف فى قوله فيها اى فى حواليها بقرينة الجثو كما اشار اليه المصنف رحمه الله فمن قال انه لا يجرى فى كلام المصنف رحمه الله لم يصب لكنه قيل على ان الجثو انما يصلح قرينة ان ثبت انه لا جثو فى النار وهو غير معلوم وايد بان الظالمين لا يتركون حولها بل يدخلون النار ورد بان الجثو حول جهنم علم من الآية السابقة فرد هذا اليها والتفصيل بالمعلوم اولى وليس المراد بالدلالة الدلالة القطعية حتى يخل بها الاحتمال

(ثم ننجى الذين اتقوا) فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائى ويعقوب ننجى بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اى هناك (ونذر الظالمين فيها جثيا) منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارة بهم على هيئاتهم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) مرتلات الالفاظ مبينات المعانى بنفسها

او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او واضحات الاعجاز (قال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم اومعهم (اى الفريقين) المؤمنين والكافرين (خير مقاما) موضع قيام اومكانا وقرأ ابن كثير بالضم اى موضع اقامة ومنزل (واحسن نديا) مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا فى الافتخار بمالهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نصا بقوله (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا) وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمى اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعده وهم احسن صفة لكم [illegible] من النعمة وهو متاع البيت وقيل هو ماجد منه والخرثى مارث منه

وقوله لايتركون الخ لادليل فيه ولايخفى ان ما ادعاه من الاولوية الظاهر خلافه لان جثيا نكرة اعيدت فالظاهر انها غير الاولى لاسيما وقد وقعت فاصلة وهى كالقافية لا يحسن تكرارها سامع ما فيها من التقدير المخالف للظاهر فتأمل (قوله او ببيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الخ) اوهنا لمنع الجمع لان ما هو بين اللفظ والمعنى بنفسه لا يكون مبينا ببيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كالمجمل ونحوه لاسيما ومبينة على الاول بمعنى متبينة بصيغة اسم الفاعل وهذا بمعنى مبينة بصيغة اسم المفعول فلا حاجة الى اقول بانها لمنع الخلو حتى يقال ان فيه تغليبا اذا اريد بالآيات جميعها لخروج المتشابهات وقوله واضحات الاعجاز فهو من بان بمعنى ظهر كالاول فلوقدمه كان اظهر وعلى هذا فالاسناد اليها مجازا وبتقدير مضاف وقوله لاجلهم فاللام للتعليل وقوله او معهم فاللام صلة القول كقلت له كذا اذا خاطبته به وماوقع فى بعض النسخ ارمعهم تحريف (قوله موضع قيام اومكانا) كان الظاهر اى مكانا لان اصل معناه الاول ثم استعمل لمطلق المكان كما فى الكشاف وما قيل ان او للتخيير فى التعبير والتفسير لا يجدى لا نهما ليسا متة دفين فالظاهر انه اراد ان المقام محل القيام فان المقام بمعنى المعاش كما ذكره الراغب فى قوله قياما للناس فهو على ظاهره وان كان مقابل القعود فهو خاص اريد به عام ففيه زيادة على ما فى الكشاف وهو على الاول بمعنى المنزل فتتوافق القرآءتان ولايتكرر مع قوله نديا ولذا قدمه والندى كالنادى مجتمع لندوة القوم ومحادثتهم ومنزل ان كان بضم الميم بمعنى النزول فهو عطف على اقامة وان كان بفتحها فهو عطف على موضع وكان الظاهر تقديمه حينئذ (قوله والمعنى الخ) ناظر الى ما مر فى تفسير بينات وعلمهم معطوف على الحال والظاهر متعلق به لابقصور حتى يكون الظاهر ابدال الباء بعلى كما قيل وقوله ايضا اى كما رد عليهم انكار الحشر بقوله اولا يذكر الخ والتهديد بما فيه من الاشارة لاهلاكهم والنقض هنا لما استدلوا به من حسن حالهم فى الدنيا على حسن حالهم فى الآخرة اخذه مما قبلهم من القرون وهو نقض اجمالى كما بين فى آداب البحث اوهو بمعناه اللغوى وهو الابطال وكم خبرية اواستفهامية [illegible] على كل حال [illegible] الصدر [illegible] وقرن اهل كل عصر وقد اختلف فى [illegible] سمى به لتقدمه كما اشار اليه وقرن الشمس [illegible] [illegible] قوله وهم احسن صفة لكم [illegible] على انه تجوز وصفها [illegible] وردوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وورد عليه كم من رجل تام كم من قرية اهلكناها [illegible]

والرءى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والحبر وقرأ قالون وابن ذكوان رياعلى قلب الهمزة وادغامها او على انه من الرى الذى هو النعمة وابو بكر رئيا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وريا من الزى وهو الجمع فانها محاسن مجموعة ثم بين ان تمتعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل و النقص ما يكون فى الآخرة بقوله (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا)

تعلقه محذوف هو صفة لكم كما ادعى بعضهم ان الرضى اشار اليه لانه يجوز فى الجار والمجرور ان يكون خبر المبتدأ محذوف والجملة مفسرة لامحل لها فما ادعاه غير مسلم عنده و الحرثى بضم الحاء المعجمة وسكون الراء المهملة و ثاء مثلثة ومثناة تحتية مارث اى قدم و بلى وقيل مالبس وقيل اردأ المتاع (قوله والرءى المنظر فعل من الرؤية الخ) يعنى انه على هذا فعل بمعنى مفعول واما على القراءة الاخرى فيحتمل انه منه ايضا لكن ابدلت همزته ياء وادغمت ويحتمل انه لاابدال فيه وانه من روى من الماء يروى ريا ضد عطش ولما كان الرى به النضارة والحسن استعمل فيه كما يقال هو ريان من النعيم كما قال * ريان من ماء النعيم بلفه ورق الشباب * وقوله على انه من الرى ان كان بفتح الراء فهو ظاهر لان الرى اسم مأخوذ من ذلك المصدر وان كان بالكسر كما ضبط بالقلم فى اكثرها فهو مصدر والنعمة بفتح النون و يجوز كسرها التنعم والترفه وأنى بمن الابتدائية المقتضية لمغايرتهما كما فى الكشاف مع اتحادهما لفظا ومعنى لان مدلول من معناه الحقيقى هو الترفه و المراد به على طريق المجاز او الكناية المنظر الجميل و الهيئة الحسنة هذا قيل انه نظر الى المغايرة باعتبار كونه مذكورا فى النظم ومنقولا عن اهل اللغة اولى ان الثانى مصدر وما فى النظم اسم فانه كذلك فى القاموس وهذا اولى تكلف بارد وقوله على القلب اى القلب المكانى بتقديم اللام على العين فوزنه فلع كما يقال فى رأى رآء (قوله كالطحن) بكسر الطاء وسكون الحاء المهملتين ونون الحب المطحون والخبر بكسر الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وراء مهملة من خبر الارض اذا زرعها و هو مصدر بمعنى المزارعة و بمعنى مايزارع عليه اسم كالطحن كما ذكره ابن السيد فى مثلثاته (قوله وقرئ ريا بحذف الهمزة) اى والقصر وهى قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقد قرئ ايضا بالمد وجعلها مرآة بعضهم تعضا كما فى الدر المصون واما هذه القراءة فقد خرجت على وجهين احدهما ان يكون اصلها ريا بتشديد الياء فخففت بحذف احدى الياءين و هى الثانية لانها التى حصل بها الثقل ولان الآخر محل التغير والثانى ان يكون اصلها رئيا بياء ساكنة بعدها همزة فنقلت حركة الهمزة الى الياء ثم حذفت على القاعدة المعروفة (قوله وزيا من الزى الخ) الزى بالفتح مصدر زواه بمعنى جمعه لان الزى بمعنى الهيئة و يكون بمعنى [illegible] كما ذكره المبرد فى قول الثقفى

أشاقتك الظعائن يوم بانوا * بذى الزى الجميل من الاثاث

[illegible] وزارى لايأتى كما فى القاموس وقوله فانها اى الزى بالكسر (قوله ثم بين الخ) اى بين بعد الدحض الجواب عما تمسكوا به بقوله وانما العيار [illegible] قواصم عارت

فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بأن ﴿١٠٤﴾ امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا

وقطع المعاذير كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما كقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر (حتى اذا رأوا ما يوعدون) غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير حتى اذا رأوا ما يوعدون (اما العذاب واما الساعة) تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال (فسيعلمون من هو شر مكانا) من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى (واضعف جندا) اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله

بين المكيال والميزان اذا امتحنته وعداه بعلى لتضمنه معنى الدلالة والفضل هنا بمعنى الزيادة ولذا قابله بالنقص (قوله فيمده ويمهله بطول العمر) اشارة الى ان معنى المد هو تطويل الحبل ونحوه اريد به تطويل العمر وقوله وانما اخرجه الخ اشارة الى ان صيغة الامر مستعارة للخبر كما يستعار الخبر للامر وقد اشار اليه بقوله اولانه لكونه كائنا لا محالة كالمأمور به الممتثل لينقطع اعذارهم وتقوم عليهم الحجة كما في الآيتين المذكورتين اوهو دعاء بامهالهم وتنفيس مدة حياتهم كما في الكشاف (قوله غاية المد) فيه تسمح لان الغاية مجموع الشرط وجوابه ان قلنا ان المجموع هو الكلام او مفهوم الجواب ان قلنا انه هو الكلام والشرط قيد له وعلى القول الثاني فما بينهما اعتراض ومرضه لبعده وصاحب الكشاف اختار هذا وقدمه (قوله تفصيل للموعود) التفصيل مستفاد من اما كما ذكره النحاة ولا كلام فيه وانما الكلام في قوله يوم القيامة فان قيل ان المد والقول ينقطعان حين الموت وعند معاينة العذاب ولذلك يؤمن عنده كل كافر فالمراد بالساعة ما يشمله ومن مات فقد قامت قيامته ولا يخفى ان ما ذكره من التأويل لتتصل الغاية بالمغيا لا يناسب ما في النظم لان الساعة لا تطلق عليه كيوم القيامة والحاصل ان الاول اولى وهذه الدار لزوال [illegible] لقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا والمناسب وعيدهم بما يشاهدونه في الدارين لانه الدال على الخزي (قوله والجملة محكية بعد حتى) وهي مستأنفة وحتى ليست جارة ولا عاطفة وهكذا هي حيث دخلت على اذا الشرطية عند الجمهور وهي منصوبة بالشرط او الجزاء على الخلاف المشهور وذهب ابن مالك الى انها جارة كما في المغني وقوله محكية اشارة الى انها غاية [illegible]

[illegible]

(قوله عطف على الشرطية المحكية بعد القول الخ) في هذه [illegible] انها مستأنفة لا محل لها وقيل انها معطوفة على جواب [illegible] واختاره الكشاف واعترض انه غير مناسب معنى [illegible] الذين اهتدوا هدى ولا اعرابا [illegible] الجزاء [illegible] شرطا [illegible] الجزاء [illegible] القسمين [illegible]

([illegible])

من كان فى الضــلا لة زيد فى ضلا لته وزيد فى هداية اعدآئه لانه مما يغيظه ومن شرطية لاموصولة واشــتراط ضمير يعود من الجزآء على اسم الشرط غير الظرفى ممنوع فانه غير متفق عليه عند النحــاة كما فى الدر المصون مع انه مقدر كما سمعته وفى كلام المصنف اشــارة اليه لكنه لمــا كان لا يخلو من تكلف لم يختره والثالث ما اختاره المصنف وهو انه عطف على مجموع الجملة الشرطية ليتم التقابل فانه صلى الله تعالى عليه وسلم امر ان يجيبهم فليؤت بذكر القسمين اصالة كما فى الاول وهذا اولى كما فى الكشــف (قوله اراد ان يبين الخ) ارادة الخير والتعويض من قوله والبــاقيات الصالحــات الخ فهذا بدل من قصور حظوظه الدنيوية التى كانت لغيره للاستدراج وقطع المعاذير وقوله وقيل قد علمت وجه تمريضه وقوله كأنه قيل الخ فلا يلزم عطف الخبر على الانشاء ولا عدم الربط المعنوى واللفظى كما مر وانه وضع فيه الظاهر موضع الضمير (قوله الطاعات التى تبقى عائدتها) اى فائدتها فبقاؤها ببقاء ثوابها وقوله ويدخل اشارة الى ان المراد بهــا ماذكر وان ما وقع فى بعض التفاسير المأثورة من تفسيرها بما ذكر على سبيل التمثيل لا للتخصيص والحصر (قوله المخدجة) اى الناقصة وقوله سيما بحذف لا مما اجازه الرضى وقال ابو حيــان انه لم يسمع فى كلام العرب وقوله كما اشــار اليــه الخ لان المرد مايرد اليه والمراد به العــاقبة وهى بمعنى المآل وقيل انها بمعنى المنفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهو قريب منه (قوله والخير ههنــا اما لمجرد الزيادة الخ) جواب عمــا قيل كيف فضلوا عليهم فى خيرية الثواب والعاقبة والتفضيل يقتضى المشاركة فيه وهم لا ثواب لهم وعاقبتهم لا خير فيها وهو ظاهر وقوله ههنا اى فى هذه الآية اى فى المحلين كما صرح به بعض ارباب الحواشى لا فى قوله خير مردا فقط لانه لمــا فسر الثواب بالعائدة الشــاملة للعائدة الدنيوية لا بالثواب المتعــارف لم يحتج الى تأويل الخيرية فيه كما قيل وستسمع تتمة له فاجاب اولا بان المقصــود مجرد الزيادة بقطع النظر عن مفضــل عليه مخصــوص يشاركه فى ذلك وتحقيقه كما ذكره بعض علماء العربية ان لافعل التفضيل حالات ثلاثا هى الاصل ان يدل على ثلاثة امور اتصاف من هو له بالحدث الذى اشتق منه وبهذا كان وصفا ومشاركة مصحوبه فى تلك الصفة ومزيد موصوفه على مصحوبه فيها وبالاخيرين فارق غيره من الصفات والثانية ان يخلع عنه ما امتاز به عن الصفات ويتجرد للمعنى الوصفى والثالثة ان تبقى عليه معانيه الثلاثة ولكن يخلع عنه المعنى الثانى ويخلفه قيد آخر فان الاشــتراك مقيد بتلك الصفة التى هى المعنى الاول فيصير مقيدا بالثالث وهو الزيادة لكن لا فى المعنى المشتق منه كقولهم العسل احلى من الخل فان للعسل زيادة فى حلاوته وهى اكثر من زيادة الخل فى حموضته

اراد أن يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر كأنه قيل من كان فى الضــلالة يزيد الله فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية (والباقيات الصالحات) الطاعات التى تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيهــا ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر (خير عند ربك ثوابا) عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها سيما ومآلهــا النعيم المقيم ومآل هــذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله (وخير مردا) والخير ههنــا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيــف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره منه فى برده (افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) نزلت فى العاص بن وائل

قال ابن هشام في شرح التسهيل وهو بديع جدا والرابع ان يخلع عنه المعنى الثالث وهو المشاركة وقيد المعنى الثالث وهو كون الزيادة على مصاحبه فيكون للدلالة على الاتصاف بالحدث وعلى الزيادة مطلقا لامقيدة وذلك نحو يوسف احسن اخوته انتهى وهذا الاخير هو الذي اراده المصنف رحمه الله بجوابه الاول فالمعنى ان ثوابهم ومردهم متصف بالزيادة في الخيرية على من اتصف بها بقطع النظر عن هؤلاء المفتخرين بدنياهم فلا يلزم مشاركتهم في الخيرية حتى يرد السؤال وثانيا بانه على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء يعني ليس المراد تفضيل نفس الباقيات على ما انتفع به الكفرة من حيث المنفعة بل في الكلام حذف واضمار والمعنى ان كل واحد من ثواب المؤمنين وعقاب الكفرة وان كان بالغا الى ماهو غاية الكمال في بابه لكن بلوغ الثواب غايته ازيد واكثر من بلوغ العقاب غايته كيف لا وفي الجنة من الضعف والاضعاف مالا يقدر قدره والنار من عدله تعالى لا يزيد عقاب العاصي على مقدار معصيته والمقصود من بيان حال ثواب المؤمنين ليس تهديدا لاضدادهم بل هو في نفسه مقصود بالبيان فلا يرد ان يقال هذا الجواب غير مناسب لمقام التهديد مع انه في حيز المنع ايضا (قوله كان لخباب عليه مال فتقاضاه) اي خباب بن الارت قال كنت في الجاهلية اي في حال الجاهلية فعملت للعاص بن وائل فاجتمع لي عنده مال فاتيته اتقاضاه فقال لي الخ (قوله ولما كانت الرؤية) يعني ان الرؤية مجاز عن الاخبار في الاعلام لجامع السببية والاستفهام مجاز عن الامر لجامع الطلب فكان ارأيت بمعنى اخبر بعد ذلك اي عقيب ذلك عن قائل ائذا مامت لسوف اخرج حيا فانه تعالى حكى اولا قول منكري الحشر على وجه الانكار عليهم ثم اقام الدليل على صحته ثم قال افرأيت وعطف قصة هذا الكافر على الحكاية السابقة بقوله اولا يذكر الانسان ثم هدد المنكرين وساق الكلام الى ههنا فحكى ههنا كلام من قال على سبيل الاستهزاء والطعن في القول بالبعث لاوتين مالا وولدا (قوله تعالى اطلع) بهمزة واحدة مفتوحة لانها هي همزة الاستفهام وهمزة الوصل محذوفة للوصل ومثله أفترى على الله كذبا (قوله وتألى عليه) اي حلف عليه قال الجوهري آلى يؤلي ايلاء حلف وتألى وائتلى مثله فان قوله لاوتين جواب قسم محذوف وجملة القسمية في محل النصب على انها مقول القول (قوله الا باحد هذين الطريقين) وهو ان يبلغ المرء من شأنه ان يرتقي الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار او يتخذ عهدا بان يؤتيه في الآخرة مالا وولدا (قوله فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد) في الخازن اتخذ عند الرحمن عهدا او بوجه قول عبد الرحمن وعده الله بذلك ووعده عنده وسمى العمل الذي

(م. الله)

كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد او لغة فيه كالعرب والعرب (أطلع الغيب) أقد بلغ من عظمة شأنه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتألى عليه (ام اتخذ عند الرحمن عهدا) او اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه (كلا) ردع وتنبيه على انه مخطئ في تصوره لنفسه (سنكتب ما يقول)

عهد الله عاءله بالثواب عهدا لكونه سببا لنيل عهد الله (قوله سنظهر له) يعنى ان سين التسويف وان دخلت فعل الكتبة التى لا تتأخر عما يصدر من المكلف من القول والعمل كما قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان المراد بتسويف الكتبة تسويف تبيينها وظهورها على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة ❊ ولم تجدى من ان تقرى بها بدا فان قوله لم تلدنى جواب واذ ظرف لما يستقبل من الزمان وليس المراد عدم الولادة فى المستقبل لان الولادة قد وقعت قبل الانتساب بل المراد ان يتبين و يظهر فى المستقبل انه لم تلده فى الماضى لئيمة وقوله لم تجدى بدا اى فراقا وخلاصا يقال لابد من كذا اى لا فراق منه يقول اذا انتسبنا وعين كل واحد منا من اتصلت نسبته اليه علمت بالولادة انى لست بابن لئيمة وظهر لك ما تضطرى الى الاقرار بذلك اقتصر الشاعر على ذكر الام لان الام اذا كانت من الكرام فالاب اولى و يجوز ان يريد به التعريض بكون ام المخاطبة لئيمة (قوله او سننتقم منه) على ان يراد بالكتبة المسوفة التى هى عبارة عن اثبات العمل فى الصحيفة ما يؤدى ذلك اليه من المجازاة والانتقام على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب (قوله ونطول له من العذاب) على ان يكون المد بمعنى تطويل مدة العذاب والخلود فيه كما يقال مد الله فى عمره ومده فى عيشه اى امهله وطول له فيكون من المد لا من المدد واشار بقوله ما يستأهله الى ان قوله من العذاب صفة موصوف محذوف اى نطول له شيأ من العذاب اى نوعا من العذاب يستحقه هذا الكافر الذى قال لأوتين مالا وولدا (قوله او نزيد عذابه) على ان يكون قوله نمد من المدد وتضعيف العذاب كما قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فان مده وامده يستعملان بمعنى واحد اى زاده وألحق به ما يقويه و يقال مد الجيش اذا ألحق به المدد (قوله تعالى ونرثه ما يقول) يجوز ان يكون الضمير فيه فى محل النصب بنزع الخافض فيكون ما يقول مفعولا به والتقدير ونرث منه ما يقول اى مسمى ما يقوله ومدلوله لا نفس قوله و يجوز ان يكون ضمير نرثه مفعولا صريحا وما يقول بدلا منه بدل اشتمال فالمعنى نرث ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه و يأتينا فردا قد سلب منه ما كان له فى الدنيا من علاقة الابوة والمالية ويذا القول انما يقوله مادام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقول و يأتينا فردا غير قائل به ثم انه تعالى لما بالغ فى تحقيق الحشر والنشر والرد على من انكرهما شرع بعده فى الرد على عباد الاصنام فقال واتخذوا من دون الله آلهة والمراد بالفردية الانقطاع عما فى العاقبة بالكلية ولاشك ان مثل هذه الفردية لا يحصل الا للكافر والا فالمؤمن والكافر سوآء بعد الموت فى كونهما منفردين عن المال والولد فانه تعالى ولقد جئتمونا

سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة ❊ اى تبين انى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (ونمد له من العذاب مدا) ونطول له من العذاب ما يستأهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه (ونرثه بموته ما يقول) يعنى المال والولد ويأتينا يوم القيامة (فردا) لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده (كلا) ردع وانكار لتعززهم بها (سيكفرون بعبادتهم)

فرادى كما خلقناكم اول مرة ثم يتفاوتون بعد ذلك فالمؤمن يلاقى احبابه واولاده وما اشتهاه والكافر يحال بينه و بين مايشتهيه و ينفرد عنه ابدا (قوله سيجحد الآلهة الى قوله اوسيذكر الكفرة) يعنى ان ضمير يكون يجوز ان يرجع الى الآلهة لانه اقرب مذكور قيل انه تعالى يحيى الاصنام يوم القيامة حتى يجحوا عبادهم ويتبرأ وامنهم فيكون ذلك اعظم لحسرتهم و يجوز ان يرجع الى المشركين وقوله بعبادتهم مصدر مضاف الى فاعله ان عاد الضمير المجرور فيه الى المشركين العابدين والى المفعول ان عاد الى الآلهة وضمير يكونون يتعين ان يكون الآلهة على تقدير ان يفسر الضد بضد العز وكذا على تقدير ان يفسر بالعون لان ما يكون ذلا على المتخذين المشركين ومايكون عونا فى عذابهم هم الآلهة والعاون قد يسمى ضدا لانه يضاد العدو وينافيه باعانته عليه واما ان فسر الضد بالكفر وترك العبادة فضمير يكونون حينئذ يكون للمشركين و يكون عليهم بمعنى اعدآئهم وضد اخبر بعد خبر والمعنى و يكون المشركين اعدآء الآلهة و يكفرون بهم بعد ان كانوا يعبدونها فقول المصنف اوجعل الواو للكفرة قسيم لجملة قوله يؤيد الاول اذا فسر الضد الخ (قوله وتوحيده) جواب عما يقال كيف افرد قوله ضدا مع انه خبر عن جمع و تقريرا لجواب انهم و ان كانوا اضدادا فى نفس الامر الا انهم كشئ واحد من حيث اشتراك الجميع فى المعنى الذى به مضادتهم فلذلك جعلوا ضدا واحدا او نظيره انه عليه الصلاة والسلام جعل المؤمنين مع كثرتهم يدا واحدة لاتفاق كلمتهم وفرط تضامهم و موافقتهم فجعلهم كشئ واحد اذلك واول الحديث المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم قوله عليه الصلاة و السلام تتكافأ دماؤهم اى يتساوون فى القصاص و الديات والكفؤ النظير و المساوى وقوله وهم يد على من سواهم اى هم مجتمعون على اعدآئهم لا يسعهم التخاذل بل يعاون بعضها على جميع الاديان كانه جعل ايديهم يدا واحدة و فعلهم فعلا واحدا او نظيره اجعل الفساق لدا بدا اى فرق بينهم فان افردت اليد فى مقام الجمع دل على الاتفاق و الاجتماع وان جمعت اريد الشتات والافتراق (قوله وقرئ كلا) بفتح الكاف والتنوين على انها كلا التى للردع و التنوين الذى فيها للترنم وهذا التنوين يلحق آخر الابيات والانصاف المصرعة و يلحق الفعل و الاسم المعرف باللام قال

اقلى اللوم عاذل و العتابن ۞ وقولى ان اصبت لقد اصابن

الاصل لقد اصابا والعتابا باشباع فتحة لبناء للوزن ثم قلب الاشباع نونا وهذا التنوين فى الحقيقة لترك الترنم لانه انما يؤتى به اشعارا بترك الترنم وذلك لان الالف والواو

سيجحد الآلهة عبادتهم و يقولون ماعبدتمونا لقوله اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا او سيذكر الكفرة اسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ماكنا مشركين (و يكونون عليهم ضدا) يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اى و يكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة فى عذابهم بان توقد بها نيرانهم اوجعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله أقلى اللوم عاذل والعتابن ۞ اوعلى معنى كل هذا الرأى كلا

والياء فى القوافى تصلح للترنم لما فيها من المد فيدل منها التنوين اذا قصد الاشعار بترك الترنم لخلو التنوين من المد فيجوز ان يكون تنوين كلا من التنوين الذى لترك الترنم وان يكون تنوين التنكير ومثل هذا التنوين يسمى التنوين النائب مناب حرف الاطلاق على ان يكون كلا مصدرا مؤكد الفعله المحذوف كأنه تعالى لما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا قال تعالى ردا عليهم كل هذا الرأى كلا وتكون هذه الجملة مستأنفة ويكون قوله سيكفرون استئنافا آخر (قوله وكلا) اى وقرئ كلا بضم الكاف والتنوين على انه من باب ما ضمر عامله على شريطة التفسير منصوب بفعل يدل عليه سيكفرون مناسب لهذا المفعول لان المراد من سيكفرون انكار الآلهة وكل ما نسب المشركون اليها من الشفاعة والنصرة والابعاد من النار الدال عليه ليكونوا لهم عزا فلذلك قدر انما صب سيجحدون لكونه مناسباله ثم انه تعالى لما ذكر حال المشركين مع الاصنام فى الآخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين فى الدنيا وانهم يتولونهم وينقادون فقال الم تر انا ارسلنا الشياطين الآية قيل فى تفسير ارسلناهم سلطناهم اى قيضناهم لهم كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهوله قرين وهما فى المعنى واحد لانه تعالى اذا ارسلهم عليهم وسلطهم فقد اتصلوا بهم واذا اتصلوا بهم قيضوا او قرن بعضهم ببعض قال الامام احتج الاصحاب بهذه الآية على انه تعالى مريد لجميع الكائنات فقالوا قول القائل ارسلت فلانا على فلان موضوع لافادة انه سلطه عليه لارادة ان يستولى عليه قال عليه افضل الصلاة والسلام قل باسم الله وارسل كلبك عليه فقوله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين يفيد ان الله تعالى سلطهم عليهم لارادة ان يستولوا عليهم وذلك يفيد المقصود ويتأكد هذا بقوله تعالى تؤزهم أزا فان معناه لتؤزهم ازا ويتأكد هذا بقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم ثم قال لا يجوز ان يكون المراد بالارسال التخلية لانه تعالى كما خلى بين الشياطين والكفرة فقد خلى بين الصالحين من عباده وبينهم ثم انه تعالى خص الكفار بانه ارسل الشياطين عليه فلابد لتخصيص الكافر بالذكر من فائدة زائدة ههنا ولابد ان يكون من الله تعالى معنى فى الكفار ليس ذلك المعنى فى المؤمنين ومعنى فى المؤمنين ليس ذلك المعنى فى الكفار وهو انه تعالى اذا علم من المؤمنين الرغبة فى الاجابة وفقهم لذلك وهداهم واذا علم من الكفار اباءهم لما ذكر سلطهم عليهم والأز والهز والاغراء اخوات معناها التهييج وشدة الازعاج (قوله فانه لم يبق لهم) اى لم يبق بينك وبين ما تطلبه من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة والعد كناية عن سرعة تقضى

وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم (الم ترانا ارسلنا الشياطين على الكافرين) بان سلطناهم عليهم اوقيضنالهم قرناء (تؤزهم أزا) تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة (فلا تعجل عليهم) بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم (انما نعدلهم) ايام آجالهم (عدا) والمعنى لاتعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الاايام محصورة وانفاس معدودة

في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها (وفدا) وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكراماتهم وانعاماتهم (ونسوق المجرمين) كما يساق البهائم (الى جهنم وردا) عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التى ترد الماء (لا يملكون الشفاعة) الضمير فيه للعباد المدلول عليه بذكر القسمين وهو الناصب لليوم (الامن اتخذ عند الرحمن عهدا) الامن تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله والامن اخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اى الاشفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة

آجالهم وقلة ايامهم هذا لان الكثير ربما يستغرق عده لكثرته (قوله تعالى يوم نحشر) منصوب باضمار اذكر او بقوله ويكونون عليهم ضدا او بما بعده من قوله لا يملكون الشفاعة قال ابن عباس هم الذين اتقوا بطاعته واجتناب معاصيه وقوله تعالى الى الرحمن اى الى جنته ودار كرامته ويدل عليه ما ذكر بعده وهو قوله ونسوق المجرمين الى جهنم لانه مقابله (قوله ولعله لان مساق الكلام فى هذه السورة لتعداد نعمه الجسام) فدل بذكر اسمه الرحمن على انه انما انعم بها تفضلا ورحمة لعباده وذكره له عند شرح احوال الكافرين بها توبيخا لهم بتمكينهم لما ينبغى فان حق من تفرد بانعام اصول النعم وفروعها ان يختص بغاية التعظيم والاكرام ولا اشكر غيره وهم به كفروا وضيعوا حقوقه وعبدوا غيره (قوله كما يفد الوفاد على الملوك) اى ركبانا على هيئة حسنة ومجالس مجموعة عن على رضى الله تعالى عنه انه قرأ هذه الآية فقال لا والله ما على ارجلهم يحشرون ولكن يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحال من ذهب وازمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربون ابواب الجنة (قوله عطاشا الخ) الورد جمع وارد وهو الذى يسير الى الماء ولما كان العطش لازما للورود صح ارادة عطاشا اى طلابا للماء من لفظ وردا على انه مجاز مرسل بطريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم (قوله الضمير فيه للعباد) اى لاهل المحشر كلهم واختلف فى ان المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم او شفاعة الغير لهم والمصنف قدم الاحتمال الاول وقرره على وجهين الاول مبنى على ان يراد بالعهد الايمان وما يتفرع عليه من الاعمال التى وعد الله تعالى اصحابها سعادة الآخرة وكراماتها والمعنى لا يملك احد من اهل المحشر ان يشفع احدا بشفاعته الا ان يكون الشافع ممن قدم اعمالا صالحة خالصة لوجه الله تعالى مسماة بالعهد لكون عاملها موعودا من قبله تعالى بالكرامات الاخروية التى من جملتها ان يستأهل صاحبها بسببها لان يشفع فى العصاة وقوله على ما وعد الله متعلق بقوله يستعد به ويستأهل والوجه الثانى مبنى على ان يكون العهد بمعنى الامر والاذن والعهد بهذا المعنى يتعدى بالباء وهى محذوفة فى الآية كما فى قوله امرتك الخير (قوله ومحله الرفع) اى ومحل قوله تعالى من اتخذ الرفع على انه بدل من ضمير لا يملكون او النصب على احد الوجهين اى على انه بدل من الشفاعة بتقدير المضاف او على انه مستثنى من ضمير لا يملكون او من الشفاعة على تقدير المضاف فان قوله تعالى لا يملكون الشفاعة كلام تام غير موجب وقد تقرر ان المستثنى من مثل هذا الكلام يجوز فيه النصب والبدل كقولك ما جاءنى احد الا زيد والا زيدا (قوله وقيل الضمير للمجرمين)

فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) (عهف)

عطف على قوله الضمير فيه للعباد فعلى هذا يكون المراد بالشفاعة شفاعة غيرهم
لهم لاشفاعتهم لغيرهم لان المجرم لايستأهل ان يشفع فى مجرم مثله وقوله بالاسلام
عطف بيان لقوله به موضح له اشارة الى ان المجرم يستعد أن يشفع له بمجرد ايمانه
وان كان من اصحاب الكبائر لما قيل المجرمون لا يستحقون ان يشفع لهم غيرهم
الا اذا كانوا قد اتخذوا عندالله عهدا فيدخل فيه صاحب الكبيرة لانه باقراره
واعتقاده بالتوحيد والرسالة يصدق عليه انه قد اتخذ عند الرحمن عهدا
فيستحق ان يشفع له كما يستحق اصحاب الصغائر لذلك فان كل واحد منهما مجرم
موكول امره الى مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه تفضلا او بشفاعة
الشافعين فان الشفاعة انما تكون فيمن استحق التعذيب فعلى هذا التأويل تكون
الآية دليلا على بطلان قول المعتزلة من ان صاحب الكبيرة لا يغفر له وصاحب
الصغيرة مغفور له ومن كان مغفور الذنب لامعنى للشفاعة فيه فلم يبق للشفاعة
متعلق على مذهبهم ومما يدل على ان المجرم يستحق الشفاعة بمجرد الايمان والاقرار
بالشهادتين ماروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من قال كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة انى اعهد اليك فى هذه الحياة الدنيا بانى اشهد ان لا اله الا
انت وحدك لاشريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلنى الى نفسى طرفة
عين فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا اثق الا
برحمتك فاجعل لى عندك عهدا تؤديه الى يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد طبع الله
عليه طبعا ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم
عندالله عهد فيدخلون الجنة هذه رواية الامام الواحدى فى الوسيط والطبع
الختم وهو التأثير فى الطين ونحوه يقال طبع الكتاب وعلى الكتاب طبعا اذا ختمه
والطابع بالفتح الخاتم يريد به انه يختم عليه ويوضع كما يفعله الانسان بما يعز عليه
وقال الامام الرازى ظهر بهذا الحديث ان المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر
وجه دلالة الآية على ثبوت الشفاعة لاهل الكبائر (قوله الضمير يحتمل الوجهين)
يعنى قالوا يحتمل ان يكون للعباد كلهم وان يكون للمجرمين كما يحتملهما ضمير
لايملكون ثم لما رد الله تعالى على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا كما
قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة
بنات الله والكل داخلون فى هذه الآية (قوله مرة) اشارة الى ان بناء التفعل
للتكثير نحو تبضع الرجل اى خرج بضعه قليلا قليلا والبضع العرق ووجه
التكثير فيه انه مطاوع فعل وهو يكون للتكثير نحو غلقت الابواب وموتت
الدواب ويكثر مايطاوعه ضرورة فلذلك كان يتفطرن ابلغ من ينفطرن لان الانفطار

الضمير يحتمل الوجهين لان
هذا لما كان مقولا فيما بين
الناس جاز ان ينسب اليهم
(لقد جئتم شيأ ادا) على
الالتفات للمبالغة فى الذم
والتسجيل عليهم بالجرأة
على الله والاد بالفتح والكسر
العظيم المنكر والادة الشدة
وأدنى الامر وعادنى اثقلنى
وعظم على (تكاد السموات)
قرأ نافع والكسائى بالياء
(يتفطرن منه) يتشققن
مرة بعد اخرى وقرأ ابو
عمرو وابن عامر وحمزة
وابو بكر ويعقوب ينفطرن
والاول ابلغ لان التفعل
مطاوع فعل والانفعال
مطاوع فعل ولان اصل
التفعل للتكلف (وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا)
تهد هدا او مهدودة او لانها
تهد اى تكسر وهو تقرير
لكونه ادا والمعنى ان هول
هذه الكلمة وعظمها
بحيث لو تصور بصورة
محسوسة لم تحملها هذه
الاجرام العظام وتفتت
من شدتها او لان فظاعتها
مجلبة لغضب الله بحيث
لولا حلمه لخرب العالم وبدد
قوائمه غضبا على
من تفوه بها

(ان دعوا للرحمن ولدا) يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه

جر باضمار اللام اوبالابدال من الهاء فى منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اى هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكل مادعى له ولدا اومن دعا بمعنى نسب الذى هو مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه (وما ينبغى الرحمن ان يتخذ ولدا) ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لوطلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ماعداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به فى قوله (ان كل من فى السموات والارض) اى ما منهم (الا آتى الرحمن عبدا) الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل (لقد احصاهم) حصرهم واحاط بهم بحيث لايخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته (وعدهم عدا) اى عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده بمقدار

مطاوع فطر الثلاثى ولا دلالة فيه على الكثرة والمبالغة ولان بناء التفعل لما كان للتكلف دل قوله يتفطرن على ان السموات شققت وتكلفت فى حصول التشقق فيهن من شؤم مقالة هؤلاء الكفرة وليس فى بناء الانفعال دلالة على هذا المعنى ولاشك ان ما حصل بالجد والاهتمام يكون ابلغ فان قيل كيف يؤثر القول باثبات الولد لله تعالى فى انفطار السموات وسقوطها عليهم وانشقاق الارض وخسفها بهم وخرور الجبال وانطباقها عليهم اجيب بان الله تعالى يقول كدت افعل بالسموات والارض والجبال هذه الافاعيل عند صدور هذه الكلمة منهم غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى وانى لااعجل بالعقوبة ويجوز ان يكون المعنى ان السموات والارض والجبال تكاد تفعل كذلك لوكانت تعقل من فظاعة هذا القول وهدمه لاركان الدين وقواعده وقوله تعالى يتفطرن فى محل النصب على انه خبر تكاد وقوله هدا الظاهر انه مصدر على غير لفظ الفعل لتقاربهما معنى اذ الخرور والسقوط والهد الانهدام من قولك هد الحائط يهد هدا وقوله اى مكسر تفسير لقوله تعالى تخر وبيان لوجه انتصاب هدا الابيان الاحتياج الى تقدير العامل اذلا حاجة الى تقدير العامل اومصدر من المتعدى واقع موقع الحال اى مهدودة مهدومة يقال هد زيد الحائط يهده هدا اى هدمه وضعضعه والثانى ان يكون مفعولا من اجله اى لانها تهد والهد ليس فعل الجبال الذى لافاعل الا انه فعلها الذاتى للفعول فصح ان يكون مفعولا له واليه اشار بقوله اولانها تهداى تكسر (قوله يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام) اى ويحتمل النصب بنزع الخافض الدال على العلية وليس مفعولا له صريحا لانتفاء شرط النصب وهو اتحاده مع الفعل المعلل وفاعل المفعول له والفرق بين حذف اللام واضمارها هو ان المضمر مقدر فيصير كالملفوظ ولذلك يظهر اثره بخلاف المحذوف فانه متروك بالكلية اى صورة وحكما (قوله وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين) يقال دعوته زيدا بمعنى سميته زيدا ودعوته بمعنى ناديته وهذا المعنى غير مراد فى هذا المقام وهو ظاهر ولابد ان يكون دعوا بمعنى سموا الا انه حذف المفعول الاول ليعم كل من سماه المشركون ولد الرحمن من عزير وعيسى وغيرهما او بمعنى نسبوا قال الشاعر

دعتنى اخاها بعد ما كان بيننا ﷺ من الفعل ما لايفعل الاخوان

وقد قرئ فيهما بالنصب (قوله ولا ينطلب له) اى لايحصل له ولوطلب فرضا على طريق فرض المحال يعنى ان ينبغى لشئ مطاوع لقولك بغيت الشئ اى طلبته يقال بغيت الشئ فانبغى كما يقال طلبت الشئ فانطلب (قوله تعالى ان كل من فى السموات والارض) كلمة من فيه نكرة موصوفة وصفتها الجار ابعدها

(وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبدا يقول لجبرآئيل احببت فلانا فأحبه فيحبه جبرآئيل فينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة ﴿ ١١٣ ﴾ فوعده ذلك اذا دجا الاسلام اولان الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل (فانما يسرناه بلسانك) بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا اي انزلناه بلغتك (لتبشر به المتقين) الصائرين الى التقوى (وتنذر به قوما لدا) اشداء الخصومة آخذين في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على انذارهم (هل تحس منهم من احد) هل تشعر باحد منهم وتراه (او تسمع لهم ركزا) وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون ❊ عن (١٥) رسول الله صلى الله تعالى (عنا) عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع ﴿ سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلاثون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طه) فخمها ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل [illegible] ابو عمرو وورش [illegible] لاستعلاء [illegible] الباقون [illegible]

ويجوز ان تكون موصولة واضافة كل اليها لا ينافي كونها موصولة لان تعريف الموصولات كما يجوز ان يشار به الى المعهود للشخص يجوز ايضا ان يراد به العموم والاستغراق فيصح ان يضاف الى الاسم الموصول كما في قوله ❊ وكل الذي حملتني اتحمل ❊ والفاء في قوله تعالى فانما يسرناه فصيحة تفصح عن مقدر عطف بها ما بعدها عليه والتقدير بلغ هذا المنزل فانما يسرناه على لسانك بانزاله على لغة العرب او فانما انزلناه بلغتك على ان اللسان بمعنى اللغة لتبشر ببشاراته المتقين وتنذر وتخوف بانذاراته قوما لدا وهو جمع ألد وهو الخصم المجادل بالباطل الآخذ في كل لديد اي جانب من الخصومة ولديدا الوادي جانباه ويجوز ان يكون الضمير في قوله تعالى يسرناه لتبشر به وتنذر به لهذه السورة الكريمة المشتملة على ذكر التوحيد والنبوة والحشر والرد على فرق المبطلين بتأويل المنزل وان يكون للقرآن كله وضمير قبلهم لهؤلاء القوم اللد وهم اهل مكة هل تحس اي هل تعاين وتشاهد من هؤلاء الهالكين من احد ومنهم حال من احد وهو في الاصل صفة له فلما قدم عليه انقلب حالا ومن احد مفعول زيدت فيه من وقرئ تسمع بضم التاء وفتح الميم مبنيا للمفعول والركز الصوت الخفي من غير ان ينطق بفم ويتحرك من حروف مثل صوت ما يركز في الارض تم هنا ما يتعلق بسورة مريم عليهما السلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين آمين

(سورة طه عليه الصلاة والسلام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله لاستعلائه) فيناسبه التفخيم [illegible] المنخفضة [illegible] الامالة والاستعلاء ارتفاع اللسان الى الحنك [illegible] الانخفاض [illegible] وحروف الاستعلاء سبعة احرف [illegible] الضاد والطاء والظاء [illegible] غير مطبقة وهي الغين والخاء [illegible] لا [illegible] الى الحرف

مخارفان الاستعلاء بالحقيقة انما يكون للسان لا للحرف والاطباق ان تطبق على مخرج الحرف من اللسان ما حاذاه من الحنك والانفتاح بخلافه (قوله على لغة عك) وهي قبيلة باليمن الجوهري عك بن عدنان اخو معد وهو اليوم في اليمن ولم يرض المصنف بهذا القول حيث حكاه بقوله وقيل ثم قال فان صح الخ اى احتاج في توجيهه الى ارتكاب البعد فان ابدال حرف النداء بلفظ طا والاقتصار على ها التنبيه من هذا بعيد غير معهود في لسان العرب وان سلم انه معهود في لغة عك فلا يخلو من البعد فان خطابه تعالى نبيه القرشي بلغة غير قريش بعيد ومعنى البيت ان السفاهة يا هؤلاء في خلقتكم وهو جمع خليقة بمعنى الطبيعة لاقدس الله اى لاطهر الله طيبا نعكم فانكم ملاعين فوضع الظاهر موضع الضمير للتعليل (قوله وقرئ طه) اى على وزن هب باسقاط الالف بعد الطاء وبالهاء الساكنة على انه امر له عليه الصلاة والسلام بان يطأ الارض بقدميه معا ولا يقوم قياما يتعب فيه كل التعب لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما انزل عليه الوحي اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في تهجده اطول قيامه في الصلاة وكان يصلى الليل كله وكان يقوم على احدى رجليه تخفيفا على الاخرى اذا طال القيام ثم قيل انه مأخوذ من يطأ وكان اصله طأ كالخذع من يدع وقلبت همزته هاء كما في اراهيك في اياك وهرقت في ارقت فالهاء في طه ليست هاء السكت على هذا بل مبدلة من لام الفعل وقيل قلبت الهمزة في يطأ الفا كما قلبت في لاهناك المرتع اصله لاهنأك ولما كان قلب الهمزة المتحركة الفا نادرا اورده مثالا فاذا بنى منه الامر يكون ط كما يكون الامر من يرى ر ثم الحق به هاء السكت فصار طه كما قال فره (قوله وعلى هذا) اى على الوجه الثانى وهو ان يكون طه بسكون الهاء مأخوذا من يطأ بعد قلب همزته الفا يحتمل ان يكون اصله بألفين طاها فلما جاز قلب الهمزة المتحركة الفا في يطأ كان قلب الساكنة اولى فقلبت وصار طه الان فوس الكتابة الكاتب دلائل الالفاظ ووجب ان يكون هيئة الخط مشتملة على ما يدل على كل واحد من الحروف المفردة وجب ان يكون الرسم حينئذ طاها بألفين مرسومتين سواء قيل ان اصله طأها او طاها وعلى تقدير كون طه من اسماء الحروف كتبت على صورة الحرفين اللذين هما مسميا طا ها لا على صورة اسميهما لمعنى يختص باسامى الحروف وهو ما ذكره صاحب الكشاف في اول سورة البقرة وهو قوله الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها حملت على شاكلة الملفوظ في كتابة هذه الفواتح انتهى كلامه ومن المعلوم ان اللفظ بالاسماء ورسم اسم المسميات امر مخصوص بحروف

(التهجى)

وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصل يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها في خلائقكم لاقدس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت من يطأ ألفا كقوله لاهناك المرتع ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتابتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل

او اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مأول بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له

التهجى لايجرى فى الكلمات المفيدة (قوله او اكتفى) عطف على قوله على انه امر اى او على انه ليس بامر بل هما من اسماء حروف التهجى كما فى القراءة المشهورة واصله طاها فاكتفى من الاسم الاول وهو طا بجزئه الاول ومن الاسم الثانى وهو ها بجزئه الاول ايضا فصار طه ثم سكن الهاء لاجل الوقف فصار طه (قوله ومنه اشقى من رآئض المهر) اى اتعب ممن يجعل المهر وهو ولد الفرس صالحا للركوب بان تزول عنه الصعوبة وينقاد لصاحبه وفى ذلك العمل مشقة وتعب للرآئض ولذلك يضرب به المثل (قوله ولعله عدل اليه) جواب عما يقال الشقاء وان شاع فى معنى التعب الا انه فى الاصل مقابل للسعادة فلو ذكر التعب هنا لتوهم خلاف المراد وهو سعادة الدارين فاختياره هذا دون ذلك لدفع هذا التوهم والله اعلم فتأمل اى فلو ذكره هنا لتوهم خلاف المراد بالنكتة فى اختياره (قوله ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين) اى جنسى التذكرة والشقاوة فانهما مختلفان غاية الاختلاف فان احدهما ليست هى عين الاخرى ولا بعضها ولا مشتملة عليها فلا يتصور جعل التذكرة بدل كل ولا بعض ولا اشتمال من الشقاوة ضرورة ان مايقوم مقام الشئ يجب ان يكون بينهما مجانسة بوجه ما ومناسبة ما ولو كانت بدلا منها لكانت بدل الغلط وهو لايصدر عن قصد وروية فلايوجد فى كلام بليغ فضلا عن ان يوجد فى كلامه تعالى (قوله فان الفعل الواحد لايتعدى الى علتين) فان انزلنا يتعدى الى مفعول له وهو لتشقى فلا يتعدى الى آخر من جنسه الا بالبدلية او العطف وفيه بحث وهو ان ماذكره انما يدل على عدم جواز كونه مفعولا له لنفس انزلنا مع قطع النظر عن كونه معللا بالعلة الاولى ولا يلزم منه ان لايكون مفعولا له لانزلنا مطلقا لجواز ان يكون الانزال المعلل بالشقاء معللا بالتذكرة بطريق الحصر بالنفى والاستثناء بان لايكون مجئ اداة النفى لنفى علية التعب للانزال بل لمجيئها لتفيد ان علة الانزال المعلل بتعب المخاطب ليست الا الموعظة وتذكير الاحكام على طريق قولك ماضربت غلامى للتأديب الا لمعذرة الى ربى فلا حاجة الى ان يجعل لتشقى متعلقا بمحذوف كما قيل وليس فيه ايضا تعدية الفعل الواحد الى علتين ذكر لانتصاب تنزيلا اربعة اوجه الاول ان يكون منصوبا باضمار فعله اى نزل تنزيلا والثانى ان يكون مفعولا به لقوله يخشى اى انزله للتذكرة لمن يخشى تنزيل الله تعالى والثالث انتصابه على المدح والاختصاص والرابع انتصابه على انه بدل من تذكرة على ان يكون مصدرا

ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رآئض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به (الا تذكرة) لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لايتعدى الى علتين وقيل هو مصدر فى موقع الحال من الكاف او القرآن او المفعول له على ان لتشقى متعلق

بمحذوف هو صفة القرآن اى ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة (لمن يخشى) لمن فى قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به

(تنزيلا) نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشئ لا يعلل بنفسه ولا بنوعه (ممن خلق الارض والسموات العلى) مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التى هى اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال (الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى)

واما موقع الحال فيكون تنزيلا مصدرا بمعنى المفعول اى ما انزلناه الا مذكرا منزلا فيكون منزلا بدل الكل من مذكر الكونهما متحدين ذاتا (قوله او معنى) اى على تقدير كونه منصوبا على الاستثناء المنقطع فان جعل تذكرة مفعولا له على احد الوجهين وجعل تنزيلا بدلا منه يكون المعنى ما انزلنا القرآن الا تنزيلا وهو تعليل للشئ بنفسه ان جعل الانزال والتنزيل بمعنى واحد وبنوعه ان جعل التنزيل عبارة عن الانزال على التدريج فانه نوع من مطلق انزال (قوله بعرض تعظيم المنزل) اى باظهار مايدل على تعظيمه الجوهرى عرضت الشئ فعرض اى اظهرته فظهر وهو من النوادر قال تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا قال الفراء اى ابرزناها حتى تظهر اليها الكفار فخم القرآن المنزل بذكر مايدل على عظمة منزله ترغيبا فى تدبره والعمل بمدلوله فان قيل لم عطف الجمع على المفرد فى قوله تعالى ممن خلق الارض والسموات مع ان الاولى رعاية التطابق بين المعطوف والمعطوف عليه اجيب بان الالف واللام اذا دخل فى اسم غير علم مفردا كان او جمعا يصرف التعريف الى الجنس اذا لم يمكن حمله على المعهود وان امكن فلا ولا جهة لحمل تعريف السموات على الآحاد المعدودة فتعين صرفه الى الجنس فليس فى الكلام عطف الجمع على المفرد بل فيه عطف الجنس على الجنس وفيه رعاية التطابق (قوله ثم اشار الى وجه احداث الكائنات) بين وجه ارتباط قوله تعالى الرحمن على العرش استوى بقوله خلق الارض والسموات وجعل قوله الرحمن على العرش استئنافا فاسيا طريق خلق ما ذكره وقوله بان قصد العرش متعلق بقوله احداث الكائنات وتدبيرا مرها على طريق التنازع وهو يشعر بانه حمل العرش على الذى تحمله الملائكة ويحفون حوله وحمل الاستواء على العرش على القصد اليه الا انه عدى بعلى لتضمنه معنى الاستيلاء والظهور كما قيل فى قوله تعالى ثم استوى الى السماء معناه ثم قصد واشار الى وجه تخصيص العرش بالذكر مع ان الاستيلاء حاصل بالنسبة الى جميع الكائنات بقوله بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام وانزل منه الاسباب والقصد المسند الى الله تعالى ليس المراد به حقيقة القصد لانه اسم للارادة باعتبار الحدوث وارادته تعالى منزهة عنه بل هو استعارة تبعية شبه خلق السماء بعد خلق ما ذكر قبله بمباشرة الخلق فعلا بعد فعل آخر فانها تكون مسبوقة بالقصد الحادث فعبر عن تعلق الارادة الازلية بخلق السماء بالاستواء بمعنى القصد فاشتق منه لفظ استوى وفى الصحاح الاستواء بين الشيئين المماثلة بينهما تقول سويت الشئ فاستوى اى عدلته فاعتدل واستوى على ظهر دابته اى استعلى واستقر عليه واستوى الى السماء اى قصد واستوى على كذا ظهر قال الشاعر

فداستوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

انتهى وقد تمسك المشبهة بهذه الآية في ان معبود هم جالس مستقر على العرش وهو باطل بالعقل والنقل واختلف اهل الحق في تأويل هذه الآية فقال بعضهم انا نقطع بان الله تعالى منزه عن المكان والجهة وانه تعالى لم يرد من الاستوآء الجلوس والاستقرار بل مراده به شيء آخر الا انا لا نشتغل بتعيين ذلك المراد خوفا من الخطأ وقال البعض الآخر لما قامت الادلة العقلية على امتناع الاستقرار ودل ظاهر لفظ الاستوآء على معنى الاستقرار لم يمكن العمل بمقتضى الدليلين ضرورة استحالة كون الشيء الواحد منزها عن المكان وحاصلا فيه معا ولا سبيل ايضا الى ترك العمل بهما لانه يستلزم ارتفاع النقيضين معا وهو باطل ولا الى ترجيح النقل على العقل لان العقل اصل للنقل فانه ما لم يثبت بالدلائل العقلية وجود الصانع وعلمه وقدرته وبعثه للرسول لم يثبت النقل فالقدح في العقل لاجل تصحيح النقل يقتضي القدح في العقل والنقل معا فلم يبق الا ان نقطع بصحة العقل ونشتغل بتأويل النقل ثم انهم اختلفوا في تأويله فقال بعض العلماء المراد من الاستوآء الاستيلاء والاقتدار كما في قول الشاعر قد استوى بشر على العراق * والمراد من العرش هو الذي تحمله الملائكة وقال صاحب الكشاف العرش سرير الملك والاستيلاء عليه كناية عن الملك لانه من توابع الملك وروادفه فانه يقال استوى فلان على العرش قصدا للاخبار عنه بانه ملك وان لم يقعد على العرش البتة والتعبير عن الشيء بطريق الكناية ابلغ واوقع من الايضاح بذكره لانك مع الكناية كمدعي الشيء بالبينة (قوله ليدل بذلك على كمال قدرته) فان ما في السموات من الملك والنجم وغيرهما وما في الارض من المعدن والنبات والحيوان والانسان وما بينهما من العناصر وما تحت الثرى مما لا يعلمه الا الله اذا كان لله تعالى ملكا وملكا تحت قدرته وامره لا يمتنع شيء منه عن نفاذ قدرته وارادته فيه دل ذلك على كمال قدرته وارادته فان قيل الثرى هو السطح الاخير من العالم فلا يكون تحته شيء فكيف يكون الله تعالى مالكا له اجاب الامام عنه بان الثرى في اللغة التراب الندي فيحتمل ان يكون تحته شيء وهو اما الثور او الحوت او الصخرة او البحر او الهوآء على اختلاف الروايات وقوله وما تحت الثرى معناه وما تحت الارض لان ظاهر الارض تراب جاف وما هو اسفل منه فهو تراب مبتل وهو الثرى اي يعلم ما تحت الارض مما اطلع عليه كما يعلم ما ظهر منها وما بينها وبين السماء وعن السدي ما تحت الثرى هو الصخرة التي تحت الارض السابعة والمفسرون يقولون اراد الثرى الذي تحت الصخرة التي على الثور الذي تحت الارض ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى كما لا يعلم احد سواه وق

ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سوآء فقال

(وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى) اى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غنى عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتقرير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال ﴿ ١١٨ ﴾ (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) ومن فى ممن خلق الارض صلة لتنزيلا اوصفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبرآئيل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذلك ان رفع الرحمن على المدح دون الابتدآء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهى آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف المعانى وافضلها (وهل أتاك حديث موسى) (لتشقى)

فى تمهيد نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به فى تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدآئد فان هذه السورة من اوآئل ما نزل (اذرأى نارا) ظرف للحديث لانه حدث اومفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليه الصلاة والسلام فى الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولدله ابن

السدرة الا هو وقيل السدرة شجرة فى السماء السابعة مما يلى الجنة عروقها تحت الكرسى واغصانها تحت العرش الى ما ينتهى علم الخلائق كل ورقة منها تظل امة من الامم تغشاها الملائكة كأنهم فراش من ذهب عليها الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه الصلاة والسلام فى وسطها (قوله اى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غنى عن جهرك) جواب ما يقال ان قوله تعالى فانه يعلم السر واخفى جزآء الشرط ومن شرط الجزآء ان يكون مسببا عن الشرط وعلمه تعالى بشئ ما ليس مسببا عن شئ من الممكنات فكيف يكون مسببا عن جهر المخاطب بالقول وتقرير الجواب ان جزآء الشرط لا يكون الا جملة والمشروط المسبب عن الشرط قد يكون نفس مضمون تلك الجملة التى هى وقوع نسبة تلك الجملة اولا وقوعها كما فى قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم وهو ثبوت الاجر لهم عنده تعالى وقد يكون المشروط اعلام المخاطب بمضمون تلك الجملة لا نفس مضمونها كما فى قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فان الشرط فيه وهو استقرار النعمة عندنا ليس سببا لنفس كونها من الله تعالى بل هو سبب للاخبار بانها من الله وما نحن فيه من هذا القبيل فان الجهر بالقول ليس سببا لنفس مضمون جملة الجزآء بل هو سبب للاعلام به وعلى هذا الظاهر ان يقول فاعلم انه يعلم السر واخفى الا انه عدل عنه الى ما اختاره للاشارة الى ان ما هو جزآء حقيقة حذف فى الآية واقيم مقامه ما يدل عليه فان علم السر والاخفى مستلزم للغنى عن الجهر وتحقق الملزوم دليل على تحقق اللازم ولذلك اطلق الملزوم واريد اللازم (قوله وهو ضمير النفس) اى المراد بالاخفى ما تضمره النفس ولم تظهره لاحد لا سرا ولا جهرا وبالسر ما اسررته الى غيرك وبالجهر ما ترفع به صوتك (قوله ففى تمهيد نبوته بقصة موسى) اى اتبع الله تعالى ما ذكره تمهيدا لنبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى لآية قصة موسى عليه الصلاة والسلام يقال قفوت فلانا اى اتبعته وقفيته بفلان اى اتبعته اياه يريد به ان قوله وهل اتاك حديث الى آخر الآية جملة معطوفة على قوله ما انزلنا عليك القرآن

فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا

(فقال لاهله امكثوا) اقيموا بمكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها) فيه (انى آنست نارا) ابصرتها ابصارا لاشبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به (لعلى آتيكم منها بقبس) بشعلة من النار وقيل جمرة (او اجد على النار هدى) هاديا يدلنى على الطريق او يهدينى ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها فى كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بالبوط والانفسهم عليه ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه (فلما أتاها) اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء (نودى ياموسى انى انا ربك) فتحها ابن كثير وابو عمرو اى بأنى وكسرها الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجرى القول وتكرير الضمير

للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال ماعرفت

انشق على طريق عطف القصة على القصة ليكون بمثاله و حملا على الاقتداء بموسى عليه الصلاة و السلام فى تحمل اعباء النبوة فان هذه السورة من اوائل ما نزل فاحتيج فيها الى ارشاد طريق التبليغ وتقوية قلبه و تسليته عما ناله من عناد المعاندين والمعنى انا انزلنا عليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقابلتهم وغير ذلك كما انزلنا على موسى عليه الصلاة والسلام التوراة وقوله تعالى وهل اتاك يحتمل ان يكون اول ما اخبر الله تعالى به من امر موسى عليه الصلاة والسلام فيكون الاستفهام فى هل اتاك للانكار اى لم يأتك الى الآن وقد اتاك الآن فتنبه له وهذا قول الكلبى ويحتمل ان يكون قد اتاه ذلك سابقا فيكون الاستفهام تقريرا فكأنه قال أليس قد اتاك (قوله فى ليلة شاتية) اى ذات برد وشتاء يقال شتوت بموضع كذا اى اقمت به الشتاء (قوله مثلجة) اى ذات ثلج وفى الكشاف انه قدح فصلد زنده اى صوت ولم يخرج نارا يقال صلد الزند يصلد بالكسر صلودا اذا صوت ولم يخرج نارا قيل كان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا غيورا لايصحب الرفقة لئلا ترى امرأته فلذلك اخطأ الطريق (قوله بشعلة من النار) اى بشئ فيه لهب مقتبس من معظم النار وقيل القبس الجمرة الغير المشتعلة يقال قبست منه نارا فى رأس عود او فتيلة او غيرها قال اكثر المفسرين ان الذى رآه موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن نارا بل كان نور الرب تعالى ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا فلما دنا منه رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كأنها نار بيضاء فوقف متعجبا من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها و لا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما قال الامام والصحيح انه رأى نارا ليكون صادقا فى خبره اذ الكذب لايجوز على الانبياء (قوله ولما كان حصولهما) اى حصول الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين ومتوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع فقال لعلى ولم يقطع بان يقول انى آتيكم لئلا يعد ما لم يتيقن الوفاء به وانظر كيف احترز موسى عن شائبة الكذب قبل نبوته حيث لم يقل آتيكم بل قال لعلى آتيكم واذا قال او اجد على النار هدى لان النار قلما تخلو من اهلها وناس عندها (قوله كما قال سيبويه فى مررت بزيد) تأكيد لقوله او مستعلون المكان القريب منها فانه جعل اللصوق بمكان يقرب من النار بمثابة استعلاء نفس النار (قوله قيل انه لما نودى قال من المتكلم) قال وهب لما نودى موسى اجاب سريعا وهو لا يدرى من دعاه فقال انى اسمع كلامك ولا ارى مكانك فاين انت قال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك و قرب

اليك من نفسك فعلم ان ذلك لاينبغي الا به فايقن بان المنادى هو الله تعالى وايضا لما سمعه من جميع الجهات بحيث لاتتفاوت سماعه من بعض الجهات على سماعه من الجهات الاخر علم بذلك انه ليس بكلام المخلوقين وعلم ذلك ايضا بسماعه ذلك الكلام وانه لما رأى النار في الشجرة الخضرآء بحيث لاتضر خضرة الشجرة ورأى خضرتها بحيث لاتطفئ تلك النار وكل واحد من هذه الامور لايقدر عليه احد الا الله علم بذلك علما استدلاليا ان ما سمعه كلام الله تعالى وقال اصحابنا يجوز ان يخلق الله له علما ضروريا بذلك ومنع المعتزلة ذلك وقالوا لو حصل العلم الضرورى بكون هذا النداء كلام الله تعالى لحصل العلم الضرورى بوجود الصانع لاستحالة ان تكون الصفة معلومة بالضرورة وتكون الذات معلومة بالاستدلال ولو حصل العلم الضرورى بوجود الصانع لخرج موسى عن كونه مكلفا لان حصول العلم الضرورى ينافى التكليف وقد علم قطعا انه عليه الصلاة والسلام لم يخرج عن التكليف فعلمنا ان الله تعالى عرفه ذلك بان نصب له من الدلائل ما يدل عليه (قوله وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه) اى كلامه القديم الذى ليس من جنس الحروف والاصوات وذلك الكلام لا يتلقف منه تعالى تلقفا حسيا لان الحاسة الجسمانية لاتتلقف الكلام القديم القائم بذات الله تعالى وانما تتلقف تلقفا روحانيا وهو ان يلهم الله تعالى به من خصه بكلامه بشرا كان او ملكا والمعتزلة لما انكروا وجود ذلك الكلام قالوا انه تعالى خلق ذلك النداء فى جسم من الاجسام كالشجرة اوغيرها لان صريح القرآن دل على ان الله تعالى ناداه بكلامه ولا كلام له سوى ما يتلقف بالحاسة الجسمانية وذلك الكلام حادث فيمتنع ان يقوم بذاته تعالى فلاجرم يكون نداؤه تعالى عبارة عن خلقه اياه فى جسم وانه تعالى قادر عليه يفعله متى شاء واهل السنة لما اثبتوا الكلام النفسى الازلى قالوا انه تعالى اسمعه ذلك الكلام اسماعا روحانيا معنويا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما قال عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء دل على ان ذلك الكلام تمثل لبدنه (قوله وقيل معناه فرغ قلبك) يعنى مال اهل الاشارة الى ان النعل فى النوم يعبر بالزوجة فيكون قوله فاخلع نعليك اشارة الى ان لايلتفت بخاطره الى اهله وماله وان لايبقى مشغول القلب بامرهما (قوله والمقدس يحتمل المعنيين) وهما طهارة القلب عن العلائق وطهارة القلب عما ينافى التواضع والادب يعنى ان قوله تعالى انك بالوادى المقدس يصلح ان يكون تعليلا لقوله تعالى فاخلع نعليك على كل واحد من الاحتمالات المذكورة فى وجه الامر (قوله بتأويل المكان) فان طوى يكون منصرفا على تقدير ان يأول بالمكان اذ ليس فيه حينئذ سوى العلمية وان اول بالبقعة كان غير منصرف للتأنيث والعلمية فلا بد خله التنوين

(حينئذ)

انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه فانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة (فاخلع نعليك) امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال (انك بالواد المقدس) تعليل الامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين (طوى) عطف بيان للوادى ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى او المقدس اى نودى نداءين اوقدس مرتين (وانا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة واناا خترناك (فاستمع لما يوحى) للذى يوحى اليك اوللوحى

حينئذ فابن عامر والكوفيون قرأوا طوى بضم الطاء والتنوين والباقون بضمها من غير تنوين وقرئ بكسر الطاء منونا وبكسرها غير منون فان كان اسما فهو نظير عنب وان كان صفة فهو نظير عدى وسوى وعن الحسن البصرى انه بمعنى الثنى بالكسر والقصر والثنى المكرر مرتين فيكون المعنى على هذه القرآءة انه طهر مرتين فيكون منصوبا بلفظ المقدس لانه بمعناه كأنه قيل المقدس مرتين من التقديس اومنصوبا بلفظ نودى الجوهرى قال بعضهم طوى بالضم مثل طوى بالكسر وهو الشئ المثنى وقالوا فى قوله تعالى بالوادى المقدس طوى اى قدس مرتين (قوله تعالى وانا اخترتك) عطف على قوله انا ربك اى نودى وقيل انى انا ربك وانا اخترتك وقرأ حمزة وانا اخترناك بفتح الهمزة وبضمير المتكلم المعظم نفسه عطفا على قوله انى انا ربك فان قوله انى هنا بهمزة مفتوحة على تقدير الباء اى بانى لان النداء يوصله بها تقول ناديته بكذا ففتحت همزة ماعطف عليه ايضا وجوز ابوالبقاء ان يكون الفتح على تقدير ولانا اخترناك فاستمع فعلقه باستمع قال الواحدى ويجوز واخترناك بالكسر ولم يقرأ به وقال شهاب الدين وقرأ السلمى والاعمش وابن هرمز وانااخترناك بكسر الهمزة (قوله واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين) بان يكون الكلام من باب التنازع بين اخترتك وبين استمع كأنه قيل اخترتك لما يوحى واستمع لما يوحى والظاهر تعلقه باستمع واللام مزيدة فى المفعول كما فى ردف لكم (قوله دال على انه) اى ان مايوحى مقصور على تقرير التوحيد والامر بالعبادة وجه الدلالة ان البدل هو المقصود بالنسبة وانه كالتفسير والبيان للمبدل منه (قوله وهى تذكر المعبود) فقوله لذكرى من اضافة المصدر الى مفعوله اى أقمها لتذكرنى وتكون ذاكرالى فان ذكرالله تعالى عبارة عن الاشتغال بعبادته باللسان والجنان والاركان فكأنه قيل اقم الصلاة لتكون بملابستها ذاكرالى ويكون من قبيل اضافة المصدر الى فاعله على تقدير ان يكون المعنى لانى ذكرتها فى كل كتاب ولم اخل منها شريعة وامرت بها كل امة وكذا على تقدير ان يكون المعنى لان اذكرك بالمدح والثناء كما قيل فى تفسير قوله تعالى ولذكرالله اكبر اى ذكرالله العبد اكبر من ذكر العبد اياه والفرق بينهما ان المذكور على الاول هو الصلاة وعلى الثانى هو العبد (قوله لاوقات ذكرى) على ان تكون اللام فى قوله تعالى لذكرى لام التاريخ بمعنى فى كما فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى اى قدمت الخيرات او الطاعات فى اوقات حياتى فى الدنيا ولام التاريخ لاتدخل الاعلى الوقت ظاهرا اومقدرا فلذلك قال لاوقات ذكرى اى صلاتى (قوله اولذكر صلاتى) اما على تقدير المضاف او على ان يكون المضاف ذكرالله مجازا عن ذكر الصلاة على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب

واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين (انى انا الله لااله الاانافاعبدنى) بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل (وأقم الصلاة لذكرى) خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التى اناطها اقامتها وهى تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها اولان اذكرك بالثناء اولذكرى خاصة لاترآئى بها ولاتشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهو مواقيت الصلاة اولذكر صلاتى لماروى انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة اونسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكرى (ان الساعة آتية) كائنة لامحالة (اكاد اخفيها)

فان ذكر الصلاة سبب لذكر الله تعالى فيكون المعنى اقم الصلاة اذا ذكرتهـا بعد نسيانها اى ان نسيت صلاة فاقضها اذا ذكرتها وقد نقل هذا التفسير عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الواحدى اقم الصلاة لذكرى معناه اقم الصلاة متى ذكرت ان عليك صلاة كنت فى وقتها اولم تكن وهذا قول عامة المفسرين و روى ذلك مرفوعا وذكر باسناد عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبى عليه الصلاة والسلام قال من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها غيره وقرأ أقم الصلاة لذكرى رواه مسلم قال الخطابى هذا الحديث يحتمل وجهين احدهما انه لا يكفرها غير قضائهـا والاخر انه لا يلزمه ونسيانها غرامة ولا كفارة كما تلزم الكفارة فى ترك صوم رمضان من غير عذر وكما تلزم المحرم اذا ترك شيأ من نسكه فدية من دم او طعام وليس عليه الا ان يصـلى ما ترك فقط قال ابو حنيفة من فاته صلوات يجب الترتيب فى قضـائها ما لم ترد على صـلاة يوم وليلة واحتج عليه بقوله تعالى اقم الصلاة لذكرى اى لتذكرهـا واللام بمعنى عند كما فى قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس اى عند دلوكهـا فمعنى الآية اقم الصلاة المتذكرة عند تذكرها وذلك يقتضى رعاية الترتيب كذا ذكره الامام وقوله تعالى ان الساعة آتية كالتعليل للامر بالعبـادة واقامة الصلوات واعلام بان القيامة التى هى موعد جزاء الاعمال آتيـة وان كل امرئ مجزى بعمله ان خيرا فخـير وان شرا فشر (قوله اريد اخفاء وقتهـا) كاد وان كان موضوعا للمقـاربة الا انه من الله تعـالى للتحقيق والوجوب والمعنى انا اخفى وقتهـا عن الخلق ليكونوا على حذر منها كل وقت كما ان عسى فى قوله تعـالى قل عسى ان يكون قريبا للقطع بقربه اى هو قريب وقيل المراد اخفاء نفس وقوعهـا والمعنى اكاد اخفيهـا فلا اقول هى آتية لفرط ارادتى اخفاءها ولولا ما فى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من الله تعالى للمـاد لما اخبرت به وقيل المعنى اكاد اخفى الساعة واتيانهـا واخفى احوال الجنة ونعيمهـا واحوال النار وعذاب جهنم لئلا تكون متى دتى مشوبة بطمع الجنة وخوف النار بل تكون خالصة لوجهى كما قال تعالى وما امروا الا ليعبـدوا الله مخلصين له الدين وقوله اكاد اخفيهـا على ان تكون همزة اخفيهـا للازالة والسلب اى ازيل خفـاءها نحو اعجمت الكتاب اى ازلت عجمته، واشكيته اى ازلت شـكواه والمعنى انهـا لتحقق وقوعها وقربها اكاد اظهرهـا واقرب ظهـورهـا كما قال تعالى اقتربت السـاعة وان اقتضت الحكمة تأخيرهـا برهة من الزمان وقرئ اخفيهـا بفتح الهمزة من خفـاه يخفيه اذا اظهره (قوله عن تصديق الساعة) على ان ضمير عنها للسـاعة والمراد التصديق باتيانهـا فيكون ضمير لا يؤمن بها ايضا للساعة وعلى تقدير ان يكون ضمير عنها الصلاة

اريد اخفاء وقتها واقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما فى الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره (لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية او اخفيها على المعنى الاخير (فلا يصدنك عنها) عن تصديق الساعة او عن الصلاة (من لا يؤمن بها) نهى الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغى ان يكون راسخا فى دينه

فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه (واتبع هواه) ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها (فتردى) فتهلك بالانصداد بصده (وما تلك) استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيهامن العجائب (بيمينك) حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك (ياموسى) تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه (قال هي عصاى) وقرئ عصى على لغة هذيل (اتوكأ عليها) اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع

يكون ضمير بهـا للساعة والمعنى لايصدنك عن الصلاة من لايؤمن بالساعة والاول اولى لان الاصل فى الضمير ان يرجع الى اقرب مذكور وهو الساعة ومن جعل ضمير عنهـا للصلاة نظر الى انهـا هى المقصودة بالذكر وقوله تعالى ان الساعة آتية انما ذكر على وجه التعليل للامر بها (قوله فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه) اى فى دينه علة لكون نظم الآية مبنيا على انه ينبغى ان يكون ثابتا قويا فى دينه يعنى ان ضعف الرجل فى دينه لما كان سببا لصد الكافر اياه عن دينه كأنه نهى الكافر عن الصد المسبب عن الضعف تنبيها ودليلا على نهى الرجل عن الضعف الذى هو سبب لصد الكافر فكأنه قيل لا تكونن رخوا ضعيفا فى امر دينك فيصدك عنه الكافر فالآية من قبيل قولهم لا اريتك ههنا فان المتكلم نهى نفسه عن ان يرى المخاطب واراد النهى عن ان يحضر عنده ويكون مرءاه وذكر المسبب الذى هو ان يرى المخاطب واراد السبب وهو ان يحضر المخاطب عنده واشار الى ان النكتة فى العدول الى المجاز التنبيه على انه لا ينصد عن الحق بنفسه وان سلامة فطرته تحمله على ترجيح الحق واختياره وان موضع الاحتياط ليس الا ما يأتيه من الصد الخارجى (قوله استفهام يتضمن استيقاظا) يعنى ان حقيقة الاستفهام ممتنعة فى حقه تعالى فوجب ان يكون الاستفهام الواقع فى كلامه تعالى لحكمة وهى ههنا ايقاظ السامع وتنبيهه على معظم ما يخترعه ويبتدعه فى الخشبة اليابسة فانه عليه الصلاة والسلام لما شاهد ما تلك بيمينك اجاب عنها بانها قطعة خشبة يابسة لا تصلح الا لما يصلح له امثالها فقرر شانها وحقارتها فاذا اظهر الله تعالى منها تلك الآيات العظيمة ..... عظيمة و ..... قدرة الله تعالى ..... لمباينة البعيدة بين قلوب ..... والمقلوب اليه وتقرر فى قلبه بمشاهدة هذه المعجزة الباهرة انه تعالى ينصره ولا يخذله بين يدى الاعداء وما فى قوله تعالى وما تلك بيمينك استفهامية مبتدأ وتلك خبرها وبيمينك متعلق بمحذوف منصوب على انه حال عامله معنى الاشارة فى تلك كقوله هذا بعلى شيخا والتقدير ما هى قارة و مأخوذة بيمينك وجوز الزمخشرى ان يكون تلك موصولة اى ..... بيمينك ..... التى ..... بيمينك وهذا ليس مذهب البصريين لانهم لم يجعلوا شيأ من اسماء الاشارة موصولا الا كلمة ذا واما الكوفيون فيجوزون ..... ولم يقل ..... لاحتمال ان يكون فى يده اليسار شئ من الخاتم ونحوه ..... لحصر فى الجواب (قوله على لغة هذيل) فانهم ارادوا ..... ماقبل ياء المتكلم فلم يقدروا ..... لمكان الالف فقلبوها الى الياء لكونها اخت الكسرة ..... فى ياء المتكلم فقالوا عصى وبشرى والتوكؤ على العصا الاتكاء عليها سواء كان

(وأهش بها على غنمي) وأخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ أهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها (ولى فيها مآرب اخرى) حاجات اخر مثل ان كان اذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم ان المقصود من السؤال ان يتذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان يشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصى تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه (قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى) قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى باسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان (قال خذها ولا تخف) فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها (سنعيدها سيرتها الاولى) هيئتها وحالتها المتقدمة

حال المشي او حال الوقوف على رأس الماشية ويقال هش الورق اذا خبطه اى ضربه بالعصا ليسقط والهشاشة الارتياح والخفة للمعروف وشئ هش وهشيش اى رخو لين وهش الخبز يهش بكسر الهاء اى صار هشا (قوله وقرئ اهش) اى بكسر الهاء فقيل هو بمعنى اهش بالضم والمفعول محذوف اى اهش الورق او الشجر اى اضرب بها او راق الشجر واغصانها ليسقط ورقها على غنمي لتأكله وقرئ اهس بضم الهاء والسين المهملة وهو السوق والزجر (قوله انحى) يقال انحى عليه بالسوط اذا رفعه موهما ضربه به والمراد ما يفعله الرعاة لاغنامهم (قوله فعلق بها ادواته) الادوات جمع اداة وهى الآلة كالقوس والكنانة والحلاب ونحوها وفى اكثر النسخ اداوته وهى المطهرة وتجمع على اداوى على وزن مطايا (قوله وعرض الزندين) اى وضعهما على شعبتى العصا عرضا من قولهم عرضت العود على الاناء والزند العود الذى تقدح به النار وهو الاعلى والزندة السفلى وفيها ثقب فاذا اجتمعا قيل زندان ولم يقل زندتان وفى المثل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كذا فى الصحاح والعرض والالقاء عاربة واحدة الاستظلال روى عن وهب انه قال كانت عصا موسى عليه الصلاة والسلام ذات شعبتين ومحجن فاذا طالت الشجرة حناها بالمحجن واذا حاول شيأ لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق فيها اداوته من القوس والكنانة والحلاب واذا كان فى البرية ركزها وألقى كساءه عليها فكان ظلا وفيها من المعجزات انه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت وتغصنت واثمرت وكانت تحمل زاده وسقاءه فتماشيه ويركزها فينبع الماء من تحتها واذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام وقوله وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم الخ جواب عما يقال لما قال هى عصاى تم الجواب لانه سئل بما تلك عن حقيقة ما فى يده وماهيته الموجودة فلما قال هى عصاى تم الجواب فلم ذكر منافعها مفصلا ومجملا وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام فهم ان هذا السؤال لا للاستفهام لانه تعالى منزه عن ذلك بل المقصود منه ان يتذكر ويستحضر حقيقتها وما يعلم من منافعها وقوله علم ان ذلك آيات باهرة جواب اذا فى قوله حتى اذا رآها وقوله فذكر حقيقتها عطف على قوله فهم ان المقصود وقوله فيلما ألقاها جواب عما يقال كيف ذكر الذى انقلب اليه العصا بالفاظ

مختلفة وهى الحية والثعبان والجان فان الحية وان كان اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير الا ان الجان والثعبان متباينان فان الثعبان اكبر ما يكون من الحيات والجان الحية الصغيرة الخفيفة السريعة الحركة والسعى المشى بسرعة وخفة حركة قيل انه لما القاها فاذا هى اعظم ثعبان نظر اليه الناظرون تمشى بسرعة ولها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا لها وعيناها يتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الحقة من الابل فتبتلعها وتطعن بنابها فى اصل الشجرة العظيمة فتقتلعها وتهتز فيسمع لها صريف عظيم فلما عاين موسى ذلك اخذه من الفزع ما يأخذ البشر عند الاهوال والمخاوف فهرب فعارضه ملك فقال أما تستحى من ربك يكلمك وتهرب فرجع ولعل الحكمة فى قلب العصا حية فى ذلك الزمان وهو اول زمان الوحى وتحمل الرسالة ان يشاهد انقلابها اولا ويزول مايطرأ للطبيعة البشرية من الخوف والفزع الحاصل بمعاينة مثل ذلك حتى لايطرأ عليه الخوف بمشاهدة ذلك عند فرعون (قوله تجوز بها للطريقة) يعنى ان بناء السيرة فى الاصل لنوع من السير ثم اتسع فيها فعبر بها عن المذهب والهيئة مطلقا وذكر اولا ان سيرتها منصوب على انه مفعول به غير صريح اى سنعيدها الى سيرتها الاولى وثانيا انه مفعول به صريح على انه مفعول ثان لقوله نعيد لان عاد لما كان متعديا الى واحد عدى بالهمزة الى ثان وثالثا انه ظرف اى سنعيدها فى الهيئة التى كانت عليها قبل ورابعا انه مفعول مطلق لفعله المقدر فعلى هذا الوجه يكون انقلاب الحية عصا مفهوما من مجرد قوله سنعيدها لان المعنى حينئذ سنعيد العصا بعدما ذهبت وبطلت صورة العصا فيها بانقلابها الى صورة الحية وقوله تسير سيرتها الاولى له معنى زائد على انقلاب الحية عصا وهو ان تعود المنافع الفائتة بانقلاب العصا حية بخلاف الوجوه الاخر فان انقلاب الحية عصا يفهم من مجموع قوله سنعيدها سيرتها الاولى اى على تلك الوجوه (قوله قيل لما قال له ربه ذلك) اى لما قال له ربه لاتخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه الى ان ادخل يده فى فم الحية واخذ بلحييها فاذا هى عصا كما كانت ويده فى شعبتيها فى الموضع الذى يضعها فيه اذا اتكأ واعلم ان ادخاله يده فى فم الحية واخذه بلحييها من غير ان يتضرر به معجزة وانقلاب العصا حية معجزة اخرى ففيها توالى معجزات مع المآرب التى تقدمت (قوله لانه يجنحهما) اى يميلهما كما قال الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها (قوله كأنها مشعة) اى ذات شعاع واعلم ان معنى ضم اليد الى الجناح ما قال فى آية اخرى وأدخل يدك فى جيبك وروى انه عليه الصلاة والسلام كان شديد الادمة فكان اذا ادخل

وهى فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض اوعلى ان اعاد منقول من عاد بمعنى عاد اليه اوعلى الظرف اى سنعيدها فى طريقتها اوعلى تقدير فعلها اى سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنفعه قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده فى فمها واخذ بلحييها (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر استعارة من جناحى الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران (تخرج بيضاء) كانها مشعة (من غير سوء) من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه (آية اخرى) معجزة ثانية وهى حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك (لنريك من آياتنا الكبرى) متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه الآية او القصة

يده اليمنى في جيبه وادخلها تحت ابطه الايسر واخرجها كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس و القمر او اشد ضوأ ثم اذا ردها الى جيبه صارت الى لونها الاول بلا نور و بريق واتفق المفسرون على ان السوء كان كناية عن البرص فانه ابغض شيء الى العرب ولهم منه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه ماجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا يصرح باسمه وقوله من غير سوء يجوزان يتعلق ببيضاء لكونها صفة مشبهة فيها معنى الفعل كأنه قال تبيض من غير سوء و يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير في بيضاء (قوله اى دللنا بها او فعلنا ذلك) نشر على ترتيب قوله او بما دل عليه الآية اوالقصة اى خذ هذه الآية بعد الآية التي هي قلب العصا حية او دللنا بها او فعلنا ما فعلنا بك من ندائك واستماع كلامي اياك واختيارك للنبوة و اظهار المعجزة القاهرة لنريك بعض آياتنا الكبرى اولنريك الآية الكبرى حال كونها من آياتنا على ان يكون الكبرى مفعولا ثانيا لنريك ومن آياتنا حال منها وعلى الاول يكون المفعول الثاني وهو ضعيف لانه ليس في اليد الا تغيرا للون اما العصا ففيها تغيرا للون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع الشجر والحجر ثم عودها بعد ذلك عصا كما كانت فهي اعظم قطعا ولابد ان يكون المعنى خذه الآية ايضا بعد قلب العصا لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى اولنريك بهما الكبرى من آياتنا ولنريك من آياتنا الكبر، فعلنا ذلك فلا دلالة على كون اليد كبرى بالنسبة الى العصا ثم انه تعالى لما اظهر له هذه الآيات عقبها بان امره بالذهاب الى فرعون و بين العلة في ذلك بانه طغى اى جاوز حد العبودية بدعوى الربوبية ثم جاوز اللعين الحد في تلك المجاوزة حيث لم يقنع بدعوى المشاركة فيها حتى قال انا ربكم الاعلى روى عن وهب انه قال قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام استمع لما يوحى من كلامي واحفظ وصيتي و انطلق برسالتي و انك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البسك جبة سلطاني تستكمل بها القوة في امري ابعثك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي اقسم بعزتي لولا الحجة والعهد الذي وضعت بيني و بين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالاتي وادعه الى عبادتي و حذره من نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي ولا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي فكلمه كلاما طويلا قال فسكت موسى عليه الصلاة و السلام سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري الآية (قوله ويفسح قلبه) اشارة الى ان المراد بالصدر القلب كما في قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وان كان قد يراد به العضو

اى دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها (اذهب الى فرعون) بهاتين الآيتين ادعه الى العبادة (انه طغى) عصى وتكبر (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري) لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره و يفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه و يسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع

وفائدتى ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تأكيدا ومبالغة (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى)
فانما يحسن التبليغ من البليغ ﴿ ١٢٧ ﴾ وكان فى لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما
فاخذ لحيته ونتفها فغضب
وامر بقتله فقالت آسية
انه صبى لا يفرق بين الجمر
والياقوت فاحضرا بين
يديه فاخذ الجمرة ووضعها
فى فيه ولعل تبييض يده
كان لذلك وقيل احترقت
يده واجتهد فرعون
فى علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه
قال الى اى رب تدعونى
قال الى الذى ابرأ يدى
وقد عجزت عنه واختلف
فى زوال العقدة بكمالها
فمن قال به تمسك بقوله
قد اوتيت سؤلك ومن
لم يقل احتج بقوله هو افصح
منى لسانا وقوله ولا يكاد
يبين واجاب عن الاول
بانه لم يسأل حل عقدة
لسانه مطلقا بل عقدة تمنع
الافهام ولذلك نكرها
وجعل يفقهوا جواب
الامر ومن لسانى يحتمل
ان يكون صفة عقدة
وان يكون صلة احلل
(واجعل لى وزيرا من اهلى
هرون اخى) يعيننى على
ما كلفتنى به واشتقاق
الوزير اما من الوزر لانه
يحمل الثقل عن اميره
او من الوزر وهو الملجأ
الاسير ينضم اليه [illegible]
ا[illegible] وره ومنه الموازرة) وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته
زايا كقلبها فى موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولى صلة او حال اولى وزيرا وهرون عطف

الذى فيه القلب كما فى قوله تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التى فى الصدور وان المراد بشرح القلب توسيعه حتى لايضيق بسفاهة المعاندين
ولجاجهم ولايخاف من شوكتهم وكثرتهم ويجترئ على مخاطبة فرعون
ومحاجته فانه تعالى اذا وسع قلبه وعلم ان احدا لايقدر على مضرته الا باذن الله
تعالى لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده وايضا سأل الله تعالى
ان يوسع قلبه ليفهم ما نزل عليه من الوحى كأنه قال رب اشرح لى صدرى
لافهم عنك ما انزلت على من الوحى (قوله وفائدة لى) جواب عما يقال
ما فائدة لى فى قوله اشرح لى صدرى ويسر لى امرى مع ان الكلام يستقيم
بدونه وتقرير الجواب انه ابهم الكلام اولا فقال اشرح لى ويسر لى فعلم ان ثمة
مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكر المشروح والميسر وهما الصدر
والامر فكان الرفع بعد الابهام آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره
من ان يقول اشرح صدرى ويسر امرى على التصريح بالمراد ابتداء لان الرفع
بعد الابهام تكرار للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل (قوله ولعل تبييض
يده كان لذلك) اى لكونها سببا لخلاص موسى من اذية فرعون او لكونها آلة لاخذ
لحية فرعون ونتفها (قوله كقلبها فى موازر) اصله مؤازر قلبت همزته واوا لانضمام
ماقبلها فصار موازر وقلبت فى الازير ايضا وان لم ينضم ماقبلها حملا للنظير على
النظير فانهما اخوان فى المعنى فيكون كل واحد منهما نظيرا للآخر من حيث المعنى وحملا
على المضارع وهو يوازر (قوله ومفعولا اجعل) مبتدأ اضيف فيه التثنية الى لفظ
اجعل وقوله وزيرا وهرون خبره ووجه العناية بالمفعول الثانى ان المقصود الاهم طلب
الوزير (قوله ولى صلة) اى يجوز ان يكون قوله لى صلة لفعل الجعل متعلقا به
ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من وزيرا لانه فى الاصل صفة لوزيرا
فلما قدم عليه انتصب حالا (قوله اولى وزيرا) عطف على قوله وزيرا
وهرون اى يجوز ان يكون مفعولا اجعل قوله لى وزيرا فيكون الثانى مقدما
على المفعول الاول وهو وزيرا ومن اهلى يجوز ان يكون صفة لوزيرا وان يتعلق
باجعل (قوله وهرون عطف بيان لوزير) فيه ان عطف البيان يشترط
فيه التوافق بينه وبين متبوعه تعريفا وتنكيرا وقوله وزيرا نكرة فكيف يكون
هرون عطف بيان له والظاهر ان يجعل هرون بدلا من وزيرا (قوله او وزيرا
من اهلى) اى يجوز ان يكون مفعولاه وزيرا من اهلى فيكون وزيرا مفعولا
اولا ومن اهلى مفعولا ثانيا وفيه ان شرط المفعولين فى باب [illegible] صحة

انعقاد الجملة الاسمية منهما وانت لوابتدأت بوزيرا واخبرت عنه بقولك من اهلى لم يجز اذ لامسوغ للابتداء به (قوله وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر) فانه قرأ اشدد بفتح الهمزة واشركه بضمها على معنى الخبر عن نفسه اى انا افعل ذلك وجزم كل واحد من الفعلين على انهما جواب الامر وان قرئ اشدد على لفظ الامر يكون المعنى قو به ظهرى واجعله شريكا فى امر الرسالة (قوله اى أنعمنا عليك) يعنى انه من قولهم من عليه منا بمعنى انعم عليه لامن قولهم من عليه منة بمعنى امتن عليه لان المنة تهدم الصنيعة والمقام مقام التلطف بناء على انه تعالى راعى مصلحته قبل من غيران يسألها موسى فكيف لايعطيه مراده بعد السؤال والمعنى مننا عليك الآن باتيانك سؤلك وقد سلفت لنامنن عليك اخرى (قوله فى وقت آخر) اشارة الى ان مرة ظرف مننا اى مننا عليك فى وقت آخر ذى مرة والمرة واحدة المر الذى هو مصدر قوله مر يمر مرا ومرورا اى ذهب فان قيل لم قال مرة اخرى مع انه تعالى ذكر مننا كثيرة اجيب بانه ليس المراد مرة واحدة من المنن لان ذلك قد يقال فى القليل والكثير والمنن المذكورة ههنا ثمان الاولى قوله اذ أوحينا الى امك مايوحى والثانية قوله وألقيت عليك محبة والثالثة قوله لتصنع على عينى والرابعة قوله اذتمشى اختك والخامسة قوله تعالى وقتلت نفسافنجيناك من الغم والسادسة قوله وفتناك فتونا والسابعة قوله فلبثت سنين فى اهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى والثامنة قوله واصطنعتك لنفسى (بالهام او فى منام) يعنى ان المراد من هذا الوحى ليس هو الوحى الواصل الى الانبياء لان ام موسى ما كانت من الانبياء فان المرأة لاتصلح للامارة والقضاء فكيف تصلح للنبوة ويدل عليه قوله تعالى ومارسلنا قبلك الارجالا يوحى اليهم فلذلك اختلف فى المراد من هذا الوحى على وجوه احدها ان ام موسى رأت رؤيا تأويلها وضع موسى عليه الصلاة والسلام فى التابوت وقذفه فى البحر وان الله يرده اليها وثانيها ان المراد بالوحى الالهام بان اوقع الله تعالى فى قلبها عزيمة جازمة على ان تلقيه فى التابوت ثم تقذف التابوت فى اليم وهونيل مصر فى قول جميع المفسرين فان اليم يقع على البحر والنهر العظيم وثالثها ان المراد بالوحى اليها انه تعالى اوحى ذلك الى بعض الانبياء المبعوث فى ذلك الزمان كشعيب عليه الصلاة والسلام اوغيره ثم ان ذلك النبى عرفها ماوحى اليه اما مشافهة او مراسلة ورابعها انه تعالى بعث اليها ملكا لاعلى وجه النبوة بل على طريق بعثه جبريل الى مريم فى قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا فاخبر ذلك الملك اليها مااوحى اليه (قوله ولايخل به) بضم الياء وفتح الخاء من اخل الفارس بمركبه اذا ترك تعهده الذى عين له الامير وقوله لعظم شأنه تعليل لقوله

بيان للوزير اووزيرا ومن اهلى ولى تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخى على الوجوه بدل من هرون اومبتدأ خبره (أشدد به ازرى وأشركه فى امرى) على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر (كى نسبحك كثيرا و نذكرك كثيرا) فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدى الى تكاثر الخير وتزايده (انك كنت بنا بصيرا) عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لى فيما امرتنى به (قال قد اوتيت سؤلك ياموسى) اى مسئولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول (ولقد مننا عليك مرة اخرى) اى انعمنا عليك فى وقت آخر (اذ أوحينا الى امك) بالهام او فى منام اوعلى لسان نبى فى وقتها اوملك لاعلى وجه النبوة كما اوحى الى مريم (ما يوحى) مالايعلم الا بالوحى اومما ينبغى ان يوحى ولايخل به لعظم شأنه

وفرط الاهتمام به (أن اقذفيه ﴿ ١٢٩ ﴾ فى التابوت) بأن اقذفيه او اى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول (فاقذفيه

فى اليم) القذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا (فليلقه اليم بالساحل) لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض (يأخذه عدو لى وعدو له) جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال (وألقيت عليك محبة منى) محبة كائنة

منى قد زرعتها فى القلوب بحيث (١٧) لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق منى بألقيت

لايعلم الا بالوحى (قوله وفرط الاهتمام به) تعليل لقوله ينبغى ان يوحى على طريق اللف والنشر المرتب وان فى قوله ان اقذفيه يحتمل ان تكون مصدرية ومفسرة والمراد بقذفه فى التابوت جعله فيه كما فى قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب (قوله غلام رماه الله بالحسن يافعا) تمامه له سيمياء لا تشق على البصر فقوله غلام اى هو غلام ورماه الله صفة غلام اى هو غلام حصل الله فيه الحسن ووضعه فيه ويافعا اى شابا واليافع من اليفاع وهو ما ارتفع من الارض وايفع الغلام اى ارتفع فهو يافع ولا يقال موفع وهو من النوادر والسيمياء العلامة والمراد بها ههنا الحسن وقوله لا يشق على البصر اى يفرح به من ينظر اليه ولا يمل من تكرار النظر اليه لكونه فى غاية الحسن (قوله لما كان القاء البحر اياه الى الساحل) جواب عما يقال جعل الله البحر مأمورا بامتثال امره مع ان الامر لا يكون الا للمميز العاقل والبحر ليس كذلك وتقرير الجواب ان قوله فليلقه اليم وان كان امرا صورة الا ان معناه الخبر اى ان تفعلى ما امرت به يلقه اليم بالساحل لتعلق ارادتى بذلك واخرج الكلام على سبيل الاستعارة المكنية والتخييلية حيث شبه اليم فى النفس بمأمور ذى تمييز امره آمره مطاع بالانقياد من حيث كون القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول كحصول المأمور به من المأمور المطيع وجعل امر اليم بقوله فليلقه اليم قرينة التشبيه المضمر وفائدة اخراج الكلام على هذه الصورة التأكيد والمبالغة فى حصول الالقاء (قوله والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى عليه الصلاة والسلام) لانه لو جعل ضميرا ان اقذفيه ويأخذه وعدو له لموسى وضمير فاقذفيه وفليلقه اليم للتابوت لزم تفكيك الضمائر وتنافر النظم فان قيل المقذوف فى البحر وكذا الملقى الى الساحل هو التابوت قلنا نعم ان المقذوف بالذات والملقى بالذات هو التابوت الا ان موسى عليه الصلاة والسلام مقذوف ومُلقى بالتبع لكونه فى جوف التابوت فينبغى ان يجعل ضمير فاقذفيه وفليلقه اليم ايضا لموسى حتى لا تفترق الضمائر ولما كان فليلقه اليم امرا من حيث اللفظ انجزم جوابه فى قوله يأخذه (قوله او لان الاول) وهو كون فرعون عدو الله تعالى حال اخذه موسى امر واقع حينئذ وكونه عدوا لموسى عليه الصلاة والسلام حينئذ غير واقع لان موسى فى ذلك الوقت لم يكن بحيث يعاديه احد ولو بحيث يؤول امره الى المعاداة معه ولو قيل أخذه عدو لى وله لفهم ان عداوته لموسى من قبيل عداوته لله تعالى (قوله ثم قيرته) اى طلته بالقير وهو الزفت (قوله وكان يشرع) اى يدخل من اليم يقال شرعت الدواب فى الماء شرعا وشروعا اى دخلت (قوله اصبح الناس) اى اكثرهم صباحة اى جمالا يقال صبح بالضم صباحة فهو صبيح اى جميل حسن (قوله او محبة كائنة منى) على ان منى

ظرف مستقر متعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اى محبة حاصلة منى وعلى الثانى
يكون ظرفا لغوا متعلقا بألقيت وعلى التقديرين كلمة من ابتدائية والفرق بين
الاحتمالين ان الملقى على الاحتمال الاول محبة الناس اياه لكن لما كانت
المحبة حاصلة واقعة بخلق الله تعالى من حيث انه تعالى ركزها فى القلوب وصفها
بقوله كائنة منى فلذلك احبه عدو الله فرعون وكل من ابصره وعلى الاحتمال
الثانى يكون الملقى بالذات هو محبة الله تعالى واما محبة الخلق اياه فانما نشأت
وتفرعت عن محبة الله تعالى اياه واليه اشار بقوله اى احببتك ومن احبه الله تعالى
احبته القلوب وقد روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال اذا احب الله العبد نادى جبريل ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه
اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض (قوله وظاهر اللفظ) جواب
عما يقال ان ما قيل مخالف لما يفهم من ظاهر لفظ القرآن فان ظاهره يدل
على ان اليم ألقاه بساحله وان موسى عليه الصلاة والسلام التقط من الساحل
لا من البركة وان ما قيل يدل على ان أم موسى ألقته فى اليم فقذفه اليم الى النهر المتشعب
منه الشارع الى بستان فرعون فاداه النهر الى بركة فى البستان فاخذ من البركة لا من الساحل
واشار الى وجه التوفيق بينهما بان حمل لفظ القرآن على ان معناه ألقاه اليم بساحل
فيه فوهة نهر فرعون فجرى منه الى البركة (قوله لان الماء يسحله) تعليل
لما دل عليه المعنى كأنه قال سمى الشاطئ ساحلا لان الماء يسحله اى يقشره
وينزع عنه ما هو بمنزلة القشر على ظاهره فان السحل فى اللغة القشر يقال
قشرت العود وغيره اقشره قشرا اى نزعت عنه قشره والمطرة القاشرة هى التى
على وجه الارض (قوله ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك ورا قبك)
فسر قوله لتصنع بقوله لتربى ويحسن اليك من قولهم صنع اليه معروفا اذا
احسن اليه وفسر قوله على عينى بقوله وانا راعيك اشارة الى انه حال من الضمير
المستتر فى لتصنع لا صلة له وقوله لتصنع منصوب باضمار ان بعد لام كى وهذه العلة
معطوفة على علة مقدرة قبلها والفعل المعلل هو قوله تعالى وألقيت اى ألقيت
عليك المحبة اى ليتعطف عليك ولتصنع ويجوز ان يكون هذه اللام متعلقة
بمعلل محذوف وجملة المعلل مع علته معطوفة على الجملة السابقة اى ألقيت عليك
محبة منى ولتصنع على عينى فعلت ذلك والعين مجاز عن الرعاية والحراسة بطريق
اطلاق اسم السبب على المسبب فان الناظر الى الشئ يحرسه عما لا يريد فى حقه
ويراعيه حسبما يريد فيه (قوله وقرئ ولتصنع بكسر اللام وبسكونها)
على انها ليست لام كى بل هى لام امر الغائب والاصل فيها ان تكون مكسورة
ويجوز سكونها بعد الواو والفاء للخفة وذلك فى القرآن كثير نحو وليوفوا نذورهم

(وليطوفوا)

اى احببتك ومن احبه الله
احبته القلوب وظاهر
اللفظ ان اليم ألقاه بساحله
وهو شاطئه لان الماء
يسحله فالتقط منه
لكن لا يبعد ان يتأول
الساحل بجنب فوهة
نهره (ولتصنع على عينى)
ولتربى ويحسن اليك
وانا راعيك ورا قبك
والعطف على علة مضمرة
مثل ليتعطف عليك
او على الجملة السابقة باضمار
فعل معلل مثل فعلت ذلك
وقرئ ولتصنع بكسر
اللام وسكونها والجزم
على انه امر ولتصنع
بالنصب وفتح التاء اى
وليكون عملك على عين
منى لئلا تخالف به عن
امرى (اذ تمشى اختك)

 (فتقول هل ادلكم على

وليطووا وقرأ العامة بكسر اللام وضم التاء وفتح النون على البناء للمفعول ونصب الفعل باضمار ان بعد لام كي وقرئ ولتصنع بالنصب وفتح التاء (قوله ظرف لألقيت او لتصنع) والمعنى على الاول وألقيت عليك محبة مني وقت مشي اختك وعلى الثاني لتربى ويحسن اليك في هذا الوقت وكونه ظرفا لتصنع اولى لان تقييد التربية بزمان مشي اخته صحيح لان التربية انما وقعت زمان مشي اخته ورده الى امه بخلاف القاء المحبة عليه فانه وقع قبل ذلك من اول ما التقطه فرعون فلا وجه لكونه ظرفا لألقيت الا باعتبار الاتساع في زمان المشي (قوله او بدل من اذ أوحينا) والمعنى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ أوحينا الى امك اذ تمشي اختك (قوله على ان المراد بها وقت متسع) جواب لما يقال كيف يكون اذ تمشي اختك بدلا من اذ أوحينا مع ان احد الزمانين غير متحد مع الآخر ضد قابل هما مختلفان متباعدان وليس احدهما بعضا من الاخر ولا مشتملا عليه ايضا واذا اريد بكلمة اذ وقت يسع كل واحد من الفعلين يتحد الزمانان ولا يختلفان الا باعتبار اختلاف الفعل الواقع فيهما فيصح ابدال احدهما من الآخر ومعنى يكفله يضمه اليه ويحضنه ويربيه وتذكير الضمير في يكفله للفظ من وان كان عبارة عن المؤنث ولما التقطه آل فرعون وأحبوه وعزموا على تربيته عندهم طلبوا امرأة ترضعه وتربيه فلم يقبل ثدي امرأة منهن لان الله تعالى قد حرم عليه المراضع غير امه وجعل ذلك طريقا لرده الى امه فاضطروا الى الاستقصاء في تتبع النساء وبذلك فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما من النيل وانه لا يقبل ثدي كل امرأة يؤدى اليه بها فلما علمت ذلك اخت موسى جاءت اليهم متنكرة فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم (قوله غم قتله) فانه عليه الصلاة والسلام لما قتل القبطي خطأ بان وكزه اي ضربه بجمع يده على ذقنه حين استغاثه الاسرائيلي عليه حصل له الغم من وجهين احدهما من عذاب الدنيا وهو اقتصاص فرعون منه على ما حكاه الله تعالى عنه بقوله فأصبح في المدينة خائفا يترقب والآخر من عقاب الله تعالى حيث قتله لا بامر الله فنجاه الله تعالى من الغمين اما من فرعون فبأن وفقه الله تعالى للمهاجرة الى مدين واما من عقاب الآخرة فبأن غفر الله تعالى له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له (قوله وابتليناك ابتلاء) على ان فتونا مصدر كالعكوف والجلوس جيء به تأكيد الفعله كأنه قيل وفتناك فتنا والفتنة الامتحان والاختبار تقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ما جودته كذا في الصحاح قال صاحب الكواشي وفتناك فتونا اي اختبرناك اختبارا بايقاعك في المحن وتخليصك منها وقال صاحب الكشاف الفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال تعالى ونبلوكم بالشر

على من يكفله) وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها (فرجعناك الى امك) وفاء بقولنا انا رادوه اليك (كي تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) هي بفراقك او انت بفراقها وفقد اشفاقها (وقتلت نفسا) نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي (فنجيناك من الغم) غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين (وفتناك فتونا) وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجور وبدور في حجرة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير

ذلك اوله ولما سبق ذكره (فلبثت سنين في اهل مدين) لبث فيهم عشر سنين

والخبر فتنة سأل سعيد بن جبير ابن عباس عن قوله وفتناك فتونا فقال خلصناك من محنة بعد محنة اولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يقتل فيها الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير ثم ألقته امه في البحر وهو في التابوت ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه ثم اخذ بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناول الجمرة بيده بدل الدرة ثم قتل قبطيا وخرج الى مدين هاربا خائفا بلا زاد ولادليل واجر نفسه عشر سنين مهر الصفوراء ابنة شعيب وضل الطريق وتفرق غنمه في ليلة مظلمة وكان ابن عباس يقول عند ذكر كل واحدة من هذه المحن فهذه فتنة يا ابن جبير فعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن كما فتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث فلابد في قوله تعالى وفتناك فتونا من ملاحظة التخليص من المحنة اما بان يجعل فتناك بمعنى خلصناك من قولهم فتنت الذهب اذا اردت تخليصه او بان يكون فتناك بمعنى اختبرناك ولم يذكر صلته والتقدير اختبرناك اختبارا بايقاعك في المحن وتخليصك منها وذلك لانه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام ولقد مننا عليك مرة اخرى ثم عد المنن وذكر منها قوله وفتناك فتونا والفتنة بمعنى المحنة ليست من قبيل الانعام الا ان يقال انها لكونها موجبة للثواب من قبيل النعم والمصنف جعل قوله تعالى وفتناك فتونا اجمالا لما ناله في سفر هجرته من مصر الى مدين ثم جوز ان يكون اجمالا له ولما سبق ذكره من وضع امه اياه في التابوت وقذفه في اليم الى غير ذلك وقدم الاحتمال الاول لان عدما نال الطفل فتنة في حقه لايخلو من بعد (قوله قضاء لأوفى الاجلين) اى اللذين خيره شعيب عليهما الصلاة والسلام في قضاء ايهما شاء مهرا في تزويج بنته اياه قال تعالى حكاية عنه اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك فقضى موسى عليه الصلاة والسلام اوفاهما وهذا صريح في ان موسى لما قضى الاجل المشروط سار باهله الى مصر ولم يمكث في اهل مدين بعد قضائه و يدل عليه قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله وهو الاجل المشروط عليه في تزوجه صفوراء بنت شعيب وروى عن وهب انه قال لبث موسى عند شعيب ثماني وعشرين سنة منها عشر سنين مهر امرأته والباقي ليستكمل الوقت الذي يوحى فيه الى الانبياء بناء على انه جاء مدين وهو ابن ثنتي عشرة سنة فمكث فيه ثماني عشرين سنة ليبلغ سنه اربعين سنة وتقدير الآية وفتناك فتونا فخرجت هاربا الى اهل مدين فلبثت سنين فيهم ثم جئت من عندهم مستقرا او كائنا على قدر معين فقوله على قدر متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من فاعل جئت (قوله على قدر او على مقدار من السن) اشارة الى ان قوله على قدر لابد فيه من تقدير مضاف اليه لان القدر لايكون الالامر من الامور اى

قضاء لأوفى الاجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر (ثم جئت على قدر) قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر اوعلى مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء (ياموسى) كرره عقيب ماهو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك

على قدري الذي قدرته لان اكلك اوعلى مقدار سن فالقدر على الاول عبارة عن تعلق الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص بالاشياء فى اوقات حدوثها وتلك الارادة الازلية هى المسماة بالقضاء وعلى الثانى القدر بمعنى المقدار قال عليه الصلاة والسلام مابعث الله نبيا الاعلى رأس اربعين سنة (قوله واصطفيتك لمحبتى) اى اخترتك لمحبتى لتتصرف على ارادتى وتشتغل بما امرتك به من اقامة حجتى وتبليغ رسالتى وان تكون فى حركاتك وسكناتك لوجهى لالنفسك ولالغيرك والاصطناع افتعال من الصنع بالضم وهو مصدر قولك صنع اليه معروفا واصطناع فلان لفلان اتخاذه صنيعا محسنا اليه بتقريب منزلته وتخصيصه بالتكريم والاجلال عن القفال قال اصطنعتك اصله من قولهم اصطنع فلان فلانا اذا احسن اليه حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع فلان كما يقال هذا جريح فلان (قوله مثله فيما خوله) اى اعطاه جواب عما يقال كيف قال لنفسى مع انه تعالى غنى عنه فلا يجوز حمل الكلام على ظاهره فلذلك حمله على الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال موسى فيما خوله الله تعالى من التقريب والتكليم والتكريم بحال من قربه الملك واستخلصه لنفسه ووجه الشبه منتزع من عدة امور فكانت الاستعارة تمثيلية (قوله ولاتنيا) يعنى انه ونى يني ونيا مثل وعد يعد وعدا بمعنى فتر يفتر فتورا والحكمة فى هذا التكليف ان من ذكر جلال الله تعالى وعظمته استحقر غيره فلا يخاف احدا غيره ويتقوى روحه بذلك الذكر فلا يضعف فى مقصده (قوله وقيل فى تبليغ ذكرى) على ان يكون المراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع فى كل العبادات وتبليغ الرسالة من اعظمها قدرا فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روى انه تعالى لما نادى موسى عليه الصلاة والسلام بالوادى المقدس واعطاه سؤله وارسله الى فرعون انطلق من ذلك الموضع الى فرعون وشيعته الملائكة يصافحونه وخلف اهله فى الموضع الذى تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين به حتى مربهم راعى من اهل مدين فعرفهم فحملهم الى شعيب فمكثوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعد ماجاز ببنى اسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعث بهم شعيب الى موسى بمصر ولما انطلق موسى من الطور الى جانب مصر كان لاعلم له بالطريق وليس له زاد ولاحمولة ولاصحبة شئ الاالعصا تظل صائما ويبيت طاويا يصيب من ثمار الارض ومن الصيد شيأ قليلا حتى ورد ارض مصر الى تمام الامر (قوله قيل اوحى الى هرون) جواب عما يقال كيف اجتمع مع هرون حتى يخاطبا بقوله اذهبا الى فرعون روى انه تعالى اوحى الى هرون انه قد استنبأ موسى وارسله الى فرعون وقومه وانه جعلك وزيرا وشريكا له

(واصطنعتك لنفسى) واصطفتك لمحبتى مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه (اذهب انت واخوك بآياتى) بمعجزاتى ولاتنيا ولاتفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء (فى ذكرى) لاتنسيانى حيثما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الى (اذهبا الى فرعون انه طغى) امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلاتكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله (فقولا له قولالينا) مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشورة حذرا ان يحمله الحماقة على ان يسطو عليكما اواحترا ما لماله من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابوالعباس وابوالوليد وابو مرة

وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت (لعله يتذكر او يخشى) متعلق اذهبا او قولا اى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجى مجتهد والآيس متكلف والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث فى تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى (قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا) ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اى نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسى او جنى على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط فى الاذية (او ان يطغى) ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغى لجراءته وقساوته

فى رسالته فاذا كان يوم السبت لغرة ذى الحجة فاخرج قبل طلوع الشمس الى شط النيل فانها الساعة التى تلتقى انت واخوك فيها فاقبل موسى فى ذلك الوقت وخرج هرون من عسكر بنى اسرائيل حتى التقيا على شط النيل (قوله وقيل عداه) هو تثنية امر الحاضر من وعد يعد يعنى قيل المراد بالقول اللين ان موسى اتاه ووعده على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فاعجبه ذلك وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غائبا حينئذ فلما قدم اخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت ارى لك عقلا ورأيا انت رب وتريد ان تكون مربوبا وانت تعبد وتريد ان تعبد فقلبه عن رأيه وحكى عن عمرو بن دينار انه قال بلغنى ان فرعون عمر اربعمائة سنة وتسع سنين فقال له موسى ان اطعتنى عمرت مثل ما عمرت فاذا مت دخلت الجنة (قوله على رجائكما وطمعكما) يعنى لعل للترجى الا انه بالنسبة الى المرسل وهو موسى وهرون اى اذهبا وقولا مترجيين وطامعين فلاحه دون اليأس منه ويستحيل ان يكون ذلك الترجى بالنسبة الى الله تعالى اذ هو عالم بعواقب الامور (قوله فان الراجى مجتهد) علة لكون الذهاب والقول اللين مقيدين بكونهما فى حال الرجاء دون اليأس يعنى انهما تكلما بالتبليغ على هذا الوجه لانه ابلغ لهما فى دعائه الى الحق فان الرسل انما يبعثون لان يدعوا وهم يرجون ويطمعون ان يقبل منهم (قوله والتذكر للمتحقق) اى للمتيقن بالحق الجوهرى حققت الامر واحققته ايضا اذا تحققته وصرت منه على يقين وحققت قوله وظنه تحقيقا اى صدقت والمعنى فولاه ذلك راجيين ان يترك الاصرار على انكار الحق وتكذيبه اما بان يتذكر اى يتعظ ويقبل الحق قلبا وقالبا او بان يتوهم انه حق فيخشى بذلك من ان يصر على الانكار ويبقى مترددا ومتوقفا بين الامرين وذلك خير بالنسبة الى الانكار والاصرار عليه (قوله ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة) فيتعطل المطلوب من الارسال اليه فان قيل كيف يخاف موسى وقد آتاه الله تعالى سؤله وشرح صدره وشرح الصدر ينافى حصول الخوف قلنا لا نسلم ذلك لانه قد مر ان السؤل ان يوسع الله قلبه ليتحمل اعباء دعوة فرعون الى عبادة الله تعالى وللصبر على مشاقه والتلقى ما يوحى اليه على وجه لا يتطرق اليه السهو والتحريف وحصول الشرح بهذا المعنى لا ينافى حصول الخوف من استعجال فرعون فى عقوبتهما قبل اتمام الدعوة واظهار المعجزة وان تفوت الفائدة المطلوبة من ارسالهما اليه من الزام الحجة

(وقطع)

وقطع المعذرة ونحو ذلك (قوله واطلاقه) اى عدم تقييد قوله او ان يطغى بذكر متعلقه بان يقال اوان يطغى عليك كما ذكر متعلق يفرط وهو علينا فى قوله ان يفرط علينا لان تجريده عن القيد من حسن الادب والتحاشى عن النطق بالقبيح فان المعنى اوان يطغى بالتخطى الى ان يقول فيك مالاينبغى لجرأته عليك (قوله تعالى لاتخافا) ليس المراد منه النهى عن الخوف لانه من حيث كونه امرا طبيعيا لامدخل للاختيار فيه لايدخل تحت التكليف ثبوتا وانتفاء بل المراد التسلى بوعد الحفظ والنصرة فانه ليس المراد من المعية المعية المكانية بل المراد منها مايلزمها من الحفظ والنصرة كأنه قيل اننى حافظكما وناصركما (قوله أسمع وارى مايجرى بينكما وبينه) يعنى ان قوله تعالى اسمع وأرى فعلان متعديان لم يذكر مفعولهما وليسا منزلين منزلة اللازم بل قصد تعلقهما بالمفعول الغير المذكور فوجب تقديره على حسب تعيين القرينة ان عاما فعام وان خاصا فخاص والقرينة تقتضى تقدير العام اى أسمع وارى جميع مايجرى بينكما وبينه من قول وفعل الخ وذلك لان قوله تعالى اسمع وارى ذكر تأكيد القوله اننى معكما اخبر اولا بانه حافظهما وناصرهما ثم اخبر بانه يسمع ويرى للدلالة على انه يفعل بهما مايوجب حفظهما ونصرتهما على اتم الوجوه واكملها والحفظ والنصرة انما يتمان ويكملان اذا كان الحافظ والناصر عالما بجميع ماينال من اراد حفظه وهذا يقتضى ان يقدر المفعول عاما بان يقال اسمع وارى جميع مايجرى بينكما وبينه ليتم الحفظ ويكمل ويزول خوفهما بالكلية فحذف المفعول قصدا للتعميم مع الاختصار (قوله ويجوز ان لايقدر شئ) بان ينزل الفعلان منزلة اللازم ولايقصد تعلقهما بالمفعول فضلا عن عمومه وخصوصه وان يكون القصد الى شان الحفظ والنصرة والى مايتأتيان بسببه من السمع والبصر مع قطع النظر عن تعلقهما بالمسموع والمبصر لانهما انما ذكرا تتميما لقوله اننى معكما لكونهما ممايتم به الحفظ والنصرة ولامدخل فى ذلك الاعتبار لتعلقهما بالمفعول والتتميم ان يؤتى فى كلام لايوهم خلاف المقصود بفضلة مثل مفعول اوحال اونحوهما مما ليس بجملة مستقلة ولا ركن كلام لنكتة وهى الفصيل فى الكلام وان اوتى بها فى كلام يوهم خلاف المقصود ليدفع ذلك الايهام سمى اتيانها تكميلا كقوله

فسقى ديارك غير مفسدها ❊ صوب الربيع وديمة تهمى

اى أسيل والديمة المطر الذى يدوم يوما وليلة فان قوله غير مفسدها منصوب على انه حال من فاعل سقى وهو صوب الربيع اى مطره جئ بها ليدفع مايوهمه قوله فسقى ديارك امطار الربيع والديم من كونها مخربة للديار فان المطر قد يؤول

وأطلاقه من حسن الادب (قال لاتخافا اننى معكما) بالحفظ والنصرة (اسمع وارى) مايجرى بينكما وبينه من قول وفعل فأحدث فى كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتى لكما ويجوز ان لايقدر شئ على معنى اننى حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادراسميعابصيراتم الحفظ فائتياه فقولا انا رسولا ربك (فارسل معنا بنى اسرآئيل) اطلقهم (ولا تعذبهم) بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوافى ايدى القبط يستخدمونهم ويتعبونهم فى العمل ويقتلون ذكور أولادهم فى عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دال على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون التدرج فى الدعوة (قدجئناك بآية من ربك) جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق

من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لاالاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قدجئتكم ببينة فأت بآية او اوجئتك بشئ مبين (والسلام على من اتبع الهدى) سلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين اوالسلامة فى الدارين لهم (انا قد اوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغييرا لنظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى اول الامر أهم وانجع والواقع أليق (قال فمن ربكما ياموسى) اى بعد ما أتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا امر بشئ فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه اولانه عرف ان له رتة ولاحسنه وفصاحة فاراد أن يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين

الى خرابها وعلى هذا الوجه يكون قوله أسمع وارى حالا من المستكن فى قوله تعالى معكما فلذلك قال على معنى انى حافظكما سامعا مبصرا (قوله من دعوى الرسالة) بيان للكلام السابق والمراد بما تضمنه الكلام السابق هو المجئ بالآية فان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التى هى اظهار المعجزة وكانت دعوى الرسالة متضمنة لدعوى بينتها (قوله لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها) يعنى ان المراد بقوله بآية جنس مايكون برهانا لدعوى الرسالة مع قطع النظر عن وحدته وتعدده فلذلك وحدها وقوله سلام الملائكة جعل السلام بمعنى التحية من الملائكة وخزنة الجنة للمهتدين فيكون المقصود من الكلام ترغيب المخاطبين فى الاهتداء بتصديق الرسول واتباع ماجاء به من التكاليف والاحكام وبشارة المهتدين بكونهم من اهل الجنة ثم جوز ان يكون السلام بمعنى السلامة كالرضاع والرضاعة قال بعض المفسرين قوله والسلام على من اتبع الهدى قول الله تعالى لهما كأنه قال فقولا له انا رسولا ربك وقولا له السلام على من اتبع الهدى وقال آخرون بل كلام الله تعالى تم عند قوله وجئناك بآية من ربك وقوله بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى وعد من قبلهما لمن آمن وصدق بالسلامة له من عقوبات الدنيا والآخرة فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ويكون على بمعنى اللام اى والسلام لمن اتبع الهدى كما ان اللام تكون بمعنى على كما فى قوله تعالى ولهم اللعنة ولهم سوء الدار اى عليهم اللعنة وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ويكون قوله انا قد اوحى الينا اسندنا فالتعليل كأنه قيل السلامة من العذاب للمهتدين لانه اوحى الينا ان العذاب على المكذبين للرسل (قوله ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل) يعنى ان تعريف العذاب فى قوله تعالى ان العذاب للعهد والمعهود هو العذاب المختص بالمشركين وهو عذاب الخلد فى النار وما يوجد فى اكثر النسخ وهو ان عذاب المنزلين اى القبر والنار لا يليق ان ينسب الى المصنف (قوله ولعل تغيير النظم) يعنى هذه الجملة ذكرت فى مقابلة قوله والسلام على من اتبع الهدى وكان الظاهر ان تذكر على اسلوب تلك الجملة بان يقال والعذاب على من كذب وتولى بل أن يقال وعدم السلام عليه لانه هو المقابل للسلامة لكنه صرح بالوعيد وصدرت الجملة بان وجعل مضمون الجملة مما اوحى اليهما لكون التخلية عن الرذائل فى اول الامر أهم بالنسبة الى التحلية بالفضائل كما ان همة من يعالج البدن مصروفة فى اول الامر الى تنقية البدن من فضول الاخلاط ثم الى تقويته بالاغذية الصالحة وهكذا الحال فيمن يعالج النفوس فان اللائق بشأنه الاهتمام بالتخلية اولا

(قوله اعطى كل شئ من الانواع) على ان كل شئ مفعول اول لأعطى وخلقه بمعنى مخلوقه ثانيهما وضمير خلقه لكل شئ والمعنى اعطى كل شئ من انواع المخلوقات مخلوقه الذى هو صورته وشكله المطابق للكمال المودع فيه فالمراد بمخلوق كل شئ المخلوق الذى يختص بذلك الشئ ويناسبه ويليق به ويتم به الغرض الذى خلق لاجله يدل عليه اضافة الخلق الى الشئ (قوله اواعطى خليقته) على ان خلقه اول المفعولين وكل شئ ثانيهما قدم على الاول لان الغرض منوط بذكر اعطاء كل شئ فلذلك صار المفعول الثانى اهم فقدم على الاول والخليقة الخلائق يقال هم خليقة الله وهم خلق الله ايضا فالخلق ايضا بمعنى المخلوق الا ان ضمير خلقه يرجع الى الذى وهو الرب تعالى وحينئذ يجب ان يختص كل شئ بما يحتاج اليه المخلوقات وينتفعون به فان الارتفاق هو الانتفاع (قوله وقيل اعطى كل حيوان نظيره) على ان كل شئ مفعول اول الا انه خص بالحيوان وخلقه بمعنى مخلوقه هو الثانى وضميره لكل شئ ويراد بمخلوق كل حيوان زوجه ومعنى الاختصاص مستفاد من الاضافة كونه نظيراله فى الخلقة (قوله وقرئ خلقه) اى اتبع اللام فعلا ماضيا وهذه الجملة يحتمل ان تكون فى محل النصب على انها صفة كل او فى محل الجر على انها صفة شئ وعلى هذه القراءة يكون المفعول الثانى محذوفا اما على وجه الاختصار اعتمادا على دلالة المقام عليه والمعنى اعطى كل شئ خلقه ما يحتاج اليه واما على وجه الاقتصار والمعنى ان كل شئ خلقه الله لم يخله من اعطائه وانعامه واقتصر الامام الواحدى فى البسيط على هذا الوجه ولم يتعرض للاول كما اقتصر المصنف على الاول ولم يتعرض للثانى (قوله وبذلك بهت الذى كفر) لاتفاق العقلاء على ان العاقل لايجوز ان يعتقد فى نفسه انه خالق هذه السموات والارضين والشمس والقمر وانه خالق نفسه لانه يعلم بالضرورة عجزه عنها ويعلم بالضرورة انها كانت موجودة قبله فلذلك افحم فرعون ولم يتأت له ان يتعرض للدليل الذى اقامه موسى عليه الصلاة والسلام على وجود الصانع القادر على كل شئ يدل على كون هذه القضية مسلمة معلومة بالضرورة قول موسى ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى فان كلمة الذى تقتضى وصف المعرفة بجملة معلومة الانتساب اليه ولا بد ان يكون مضمون الصلة معلوما مسلما عند فرعون الا انه كان يظهر الانكار تكبرا وزورا وبهتانا ويحتمل ان يكون ما هلك به بناء على كونه دهريا نافيا للصانع مدعى الدهر اصلا ويكون ادعاؤه الربوبية لنفسه بمعنى انه يجب على ... طاعته والانقياد له والاعراض عن طاعة غيره ثم ان موسى ...

(قال ربنا الذى اعطى كل شئ) من الانواع (خلقه) صورته وشكله الذى يطابق كماله الممكن له اواعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقدم المفعول الثانى لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا اى اعطى كل مخلوق مايصلحه (ثم هدى) ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا وطبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على ان الغنى القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه فى حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذى كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم يرالا صرف الكلام عنه (قال فما بال القرون الاولى) فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة

ذكر دليلا ظاهرا و برهانا باهرا على وجود الا له العليم القادر على كل شئ وافحم فرعون عن الدخل عليه قال معترضا على موسى فما بال القرون الاولى كقوم نوح وعاد وثمود فان اكثرهم لم يقروا بالله وبما دعوا اليه وانما عبدوا الاوثان فلو كان ماذكرته من الدليل حقا لوجب على اهل القرون الماضية ان لا يغفلوا عنه فعارض الحجة بالتقليد وقال معترضا على موسى هكذا وهو اعتراض فاسد مبنى على التقليد المحض غير مستند الى حجة ودليل فلذلك لم يلتفت موسى الى قوله وقال علمها عند ربى ولم يتعلق غرضى باحوالهم ثم عاد الى تقوية كلامه الاول وابراز سائر الدلائل فقال الذى جعل لكم الارض الآية (قوله علمها عند ربى) جملة اسمية وقوله فى كتاب متعلق بمحذوف على انه خبر ثان اى علمها مستقر عند ربى مثبت فى اللوح المحفوظ ثبته فيه ليكون ما كتب فيه ظاهرا للملائكة فيكون ذلك زيادة لهم فى الاستدلال على انه تعالى عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة فان قيل علم الله تعالى صفة قائمة بذاته فكيف يكون مثبتا فى كتاب والصفة القائمة بالشئ لا تكون مثبتة فى غيره فالجواب ان المراد باثباته اثبات متعلقاته التى هى الاحكام المعلومة به واشار المصنف الى جوابه بقوله ويجوز ان يكون تمثيلا اى يجوز ان لا يكون المعنى ان علمها مثبت فى الكتاب حقيقة بل يكون قوله انه مثبت فى الكتاب استعارة تمثيلية شبه تمكن بال القرون الماضية فى علمه ببقاء المكتوب فى الكتاب فكأنه قيل ان الها فى استقرار علمه عند الله بحيث لا يزول شئ منها عن علمه تعالى كالشئ الذى استحفظه العالم وقيده بالكتبة فيكون المقصود بقوله فى كتاب تأكيد قوله علمها عند ربى (قوله ويؤيده لا يضل ربى ولا ينسى) فان الظاهر انه استئناف لامحل له من الاعراب جئ به تعليلا لما سبق من استقرار حال القرون الاولى عنده تعالى استقرار الشئ المكتوب فى الكتاب ووجه التعليل انه عليه الصلاة والسلام لم يذكر مفعول لا يضل ولا ينسى ليعم الاشياء كلها فلما كان تعالى بحيث لا يضل ولا يخطئ شيأ من الاشياء بحيث لا يهتدى اليه بل كانت بأسرها حاضرة عنده ولا تهالا يغيب عنه شئ منها وما علم من ذلك لا ينساه ابدا ثبت بذلك ان علم احوال القرون الاولى مستقر عنده كأنه فى كتاب فيكون انتظام الكلام هكذا ان فرعون طالب بقوله فما بال القرون الاولى تفصيل ما سبق من قوله والسلام على من اتبع الهدى وان العذاب على من كذب وتولى فأجابه موسى بقوله علمها عند ربى انها مع ذلك مثبتة فى اللوح المحفوظ ايضا لحكمة لا يعلمها الا هو او بقوله علمها عند ربى كأنها فى كتاب ثم علل احاطة علمه تعالى بها بقوله لا يضل ربى اى لا يخطئ ربى شيأ من الاشياء يعنى انه عالم بكل المعلومات وما علم منها لم ينسه

(قال علمها عند ربى) اى انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرنى به (فى كتاب) مثبت فى اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه فى علمه بما تحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده (لا يضل ربى ولا ينسى) والضلال ان تخطئ الشئ فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات

(ابدا)

ابدا بل يبقى ذلك العلم ابدا الآباد وهذا على تقدير كون قوله لا يضل ربى ولا ينسى مستأنفا لا محل له من الاعراب ويحتمل ان يكون فى محل الجر على انه صفة الكتاب والعائد محذوف والتقدير فى كتاب لا يضله ربى بحيث لا يهتدى اليه اى لا يخطئ ذلك الكتاب ربى ولا ينساه اى لا ينسى ما فيه يقال ضللت الشئ اضله من باب ضرب وضللت الشئ اضله من باب علم وكلاهما لغتان مشهورتان واللغة الاولى اشهر (قوله ويجوز ان يكون سؤاله دخلا) عطف على قوله ثم ان الاصرف الكلام عنه اى عن السؤال عن ربهما من هو الى ان يسأل عن تفصيل حال الامم الماضية فانه لما سأل عن الاله بقوله فمن ربكما وكان سبيل الجواب عنه الاستدلال على وجوده بما يدل عليه من الآثار التى لا يقدر عليها الا من كان واجب الوجود لذاته مستجمعا لجميع صفات الاجلال والاكرام منزها عن سمات الحدوث والامكان واجاب عليه الصلاة والسلام بالاستدلال عليه بهت الكافر وافحم عن الدخل على ما قامه من الدليل وصرف الكلام الى وجه آخر على كونه مفحما غير قادر على الدخل وقيل ما بال القرون الاولى ليس مبنيا على كونه مفحما عن الدخل بل اورده على طريق الدخل على قوله عليه الصلاة والسلام ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتقرير الدخل ظاهر من تقرير المصنف (قوله اى كالمهد تتمهدونها) التعريف فيه للعهد الذهنى فلذلك وصف بالجملة كما فى قوله ولقد أمر على اللئيم يسبنى وصفه بها تنبيها على ان المهد وان كان بمعنى الممهود وهو المفروش المبسوط الا انه مخصوص بما بسطه العباد ليقعدوا او ينا موا عليه فلذلك كان قوله جعل لكم الارض مهدا من باب التشبيه البليغ والمهد والمهاد واحد من حيث ان المراد بكل واحد منهما ما يمهد ويفرش ولا فرق بينهما الا بان المهد فى الاصل مصدر بمعنى الفرش والبسط سمى به الممهود والمهاد اسم فى الاصل ويجوز ان يكون جمع مهد مثل كعب وكعاب وفرخ وفراخ (قوله وجعل لكم فيها) فان السلك ادخال الشئ فى الشئ فالمعنى ادخل فى الارض لاجلكم طرقا لتسلكوها لتبلغوا الى مقاصدكم (قوله عدل به من لفظ الغيبة) يعنى ان قوله فأخرجنا به من كلام موسى لكونه معطوفا على ما قبله بالفاء وما قبله من كلام موسى عليه الصلاة والسلام فيجب ان يكون ما عطف عليه من كلامه فلما كان من كلامه كان ينبغى ان يكون جاريا على اسلوب ما قبله بان يقال فأخرج به الا انه عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم بناء على ان موسى سمع هذه الكلمات من الله تعالى بعينها فأدرجها فى كلامه فحكاها كما هى على طريق الاقتباس ونكتة العدول عن مقتضى الظاهر الى طريق حكاية كلام الله تعالى بعينه كون

وبجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادى مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم وباحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى (الذى جعل لكم الارض مهدا) مرفوع صفة لربى او خبر لمحذوف او منصوب على المدح قرأ الكوفيون مهدا اى كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمى به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد (وسلك لكم فيها سبلا) وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها (وانزل من السماء ماء) مطرا (فاخرجنا به) عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته

وعلى هذا نظائره كقوله ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق (ازواجا) اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض (من نبات) بيان وصفة لازواجا وكذلك (شتى) ويحتمل ان يكون صفة النبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اى متفرقات فى الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال (كلوا وارعوا انعامكم) وهو حال من ضمير فأخرجنا على ارادة القول اى فاخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية (منها خلقناكم) فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم (وفيها نعيدكم) بالموت وتفكيك الاجزاء (ومنها نخرجكم تارة اخرى) بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها (ولقد أريناه آياتنا) بصرناه اياها او عرفناه صحتها (الارض

هذا العدول ادل على كمال القدرة والحكمة بالنسبة الى ان يقال فأخرج به وايضا لما كان هذا العدول مشتملا على وضع ضمير الجمع موضع المفرد كما هو عادة الملوك فى التعبير عن انفسهم وعلى وصف النبات الخارج به بالاختلاف والتشتت دل الكلام على انه ملك مطاع تنقاد المخلوقات على اختلافها وتفرقها لارادته ولما عدل موسى الى طريق الحكاية لكلام الله تعالى حكى الله تعالى كلامه لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوجه الذى ورد من موسى (قوله وعلى هذا نظائره) اى وعلى كون العدول من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم للتنبيه والايذان المذكورين قوله تعالى لاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها وقوله فأنبتنا به حدائق بلفظ التكلم بعد التعبير بلفظ الغيبة وان لم يكن العدول الى التكلم فيهما على وجه الحكاية لكلام الله والوجه فى كون العدول الى التكلم فى مثل هذا المقام دالا على كمال القدرة والحكمة ان من اشتهر بالقدرة الفائقة والحذاقة الظاهرة اذا قال من يفعل كذا يفهم منه ان اثر القدرة الباهرة لا يقدر عليه غير المتكلم والامر كذلك ههنا فان الماء واحد والارض واحدة والمخرج مختلف ألوانها فلا يكون ذلك الا بايجاد قادر مختار لا يمتنع شئ من ارادته ومشيئته (قوله فانه من حيث انه مصدر) جواب ما يقال شتى جمع شتيت فكيف يصح ان يكون صفة للنبات وتقرير الجواب ان النبت والنبات وان سمى بكل واحد منهما النابت الا ان كل واحد منهما مصدر فى الاصل الخ (قوله لذوى العقول) اشارة الى ان النهى جمع نهية كغرفة وغرف وفى الصحاح النهية بالضم واحدة النهى وهى العقول لانها تنهى عن القبيح (قوله واول مواد ابدانكم) فان بنى آدم انما يتولدون من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الاغذية والغذاء اما حيوانى او نباتى والحيوان ينتهى الى النبات والنبات انما يحدث من امتزاج الماء والتراب فصح انه تعالى خلقنا منها وذلك لا ينافى كوننا مخلوقين من النطفة (قوله بصرناه اياها او عرفناه صحتها) يعنى يجوز ان يكون اريناه من الرؤية بمعنى الابصار وان يكون من الرؤية بمعنى المعرفة وعلى التقديرين اذا نقل الى باب الافعال يتعدى الى مفعولين لكن التزم على الوجه الثانى حذف المضاف حيث قال عرفناه صحتها اوضحنا له وجه الدلالة فيها ولا ضرورة الى ارتكاب الحذف اذ لو قيل عرفناه آياتنا لا ستقام المعنى ولا يجوز ان يكون اريناه من الرؤية بمعنى العلم والا لزم حذف المفعول الثالث من باب اعلمت وهو غير جائز والآيات تتناول ما يدل على الوحدانية وما يدل على النبوة فالذى يدل على التوحيد ما ذكر فى هذه السورة من قوله ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله الذى جعل لكم

الارض مهدا الى قوله فى سورة الشعراء قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما والذى يدل على صدق مدعى النبوة هى الآيات التسع المختصة بموسى عليه الصلاة والسلام وهى العصا واليد وفلق البحر والحجر والقمل والجراد والضفادع والدم ونتق الجبل واضاف تعالى اراءة الآيات الى نفسه مع ان المظهر لها هو موسى بناء على انه تعالى هو الذى اجراها على يده كما اضاف نفخ الروح الى نفسه حيث قال فنفخنا فيه من روحنا مع ان النفخ كان من جبريل عليه السلام (قوله كلها تأكيد لشمول الانواع) فان الجمع المضاف يفيد الشمول والاستغراق وكلها تأكيد لذلك الشمول والآيات انواع منها ايجاد المعدوم كايجاد الضوء من اليد ومنها اعدام الموجود كاعدام حبال السحرة ومنها تغيير الموجود كقلب العصا حية واعادتها عصا ولما ورد ان يقال ان قوله كلها يفيد العموم والله تعالى ما اراه جميع الآيات لان من الآيات ما اظهرها على يد الانبياء الذين كانوا قبل موسى والذين كانوا بعده اجاب عنه اولا بان التعريف الحاصل باضافة الآيات للعهد والمعهود الآيات التسع المختصة بموسى عليه الصلاة والسلام فيكون كلها لشمول تلك الآيات وثانيا بانه عليه الصلاة والسلام اراه الآيات المختصة به واخبره بآيات غيره من الانبياء اجمالا وتفصيلا وما اخبر به فكأنه اراه لانه نبى صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يراه عيانا وفيه بعد لان الاخبار بالشئ لا يسمى اراءة الا بمجاز بعيد الا ان تجعل الاراءة بمعنى التقريب (قوله فكذب موسى وابى الايمان والطاعة) حذف مفعول كل واحد من كذب وابى اختصار الكونه معلوما بدلالة المقام عليه (قوله فان الاخلاف لا يلائم الزمان) علة لتفسير الموعد بالمصدر يعنى ان الموعد اما زمان او مكان او مصدر والاولان باطلان فتعين الثالث اما بطلانهما فلان قوله لا نخلفه صفة لموعدا فلو كان اسم زمان او مكان للزم ان يتعلق الاخلاف بالزمان او المكان والاخلاف انما يتعلق بالوعد لا بالزمان والمكان يقال اخلف وعده ولا يقال اخلف زمانه او مكانه والجعل ههنا بمعنى التصيير وموعدا مفعول اول والظرف هو الثانى والجملة التى هى لا نخلفه نحن ولا انت صفة لموعد او نحن تأكيد مصحح للعطف على الضمير المرفوع المستتر فى نخلفه ومكانا منصوب بفعل دل عليه المصدر كأنه قيل اجعل بيننا وبينك وعدا ثم قيل عدنا مكانه (قوله لابه) اى لا يجوز انتصاب مكانا بنفس المصدر لانه وصف قبل العمل بقوله لا نخلفه والمصدر اذا وصف قبل العمل لا يعمل عند الجمهور لان معمول المصدر من تتمته ولا يوصف الشئ الا بعد تمامه (قوله وعلى هذا) اى على تقدير ان ينتصب مكانا سوى بكونه بدلا من موعدا بل بتقدير مكان مضاف الى موعدا

(كلها) تأكيد لشمول الانواع ولشمول الافراد على ان المراد بالآيات معهودة هى الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه آياته وعدد عليه ما اوتى غيره من المعجزات (فكذب) موسى من فرط عناده (وابى) الايمان والطاعة لعتوه (قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا) ارض مصر (بسحرك ياموسى) هذا تعلل وتحير دليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه (فلنأتينك بسحر مثله) مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) وعدا لقوله (لا نخلفه نحن ولا انت) فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب (مكانا سوى) بفعل دل عليه المصدر لا به لانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب فى قوله (قال موعدكم يوم الزينة) من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة

يكون سؤال فرعون بقوله اجعل بيننا و بينك موعدا طباق جواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة والمساورد ان يقال انه ليس بمطابق لسؤال فرعون لان الموعد المذكور في الجواب بمعنى زمان الوعد والمناسب ان يخبر عنه بقوله يوم الزينة فقوله زمان وعدكم يوم الزينة كيف يطابق قول فرعون اجعل بيننا و بينك مكان وعد ذكر المصنف في وجه صحة المطابقة احتمالين الاول ان الجواب وان لم يطابق السؤال لفظا الا انه يطابقه من حيث المعنى لانه عليه الصلاة والسلام لما اجابه بتعيين زمان الوعد بانه يوم الزينة فقد اجابه بتعيين مكانه ايضا لانهم لابد لهم ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فالجواب بتعيين زمان الوعد بيان لمكانه ايضا كما اذا قلت لصاحبك اين القاك فقال يوم عرفة فقد اجابك بتعيين مكان الرؤية من حيث المعنى فكأنه قال تراني في عرفات والاحتمال الثاني ان يقدر مضاف في الجواب كما يقدر في السؤال فكان فرعون لما قال اجعل بيننا مكان موعد اجاب بقوله مكان موعدكم مكان يوم الزينة وقدر المكان في الخبر ايضا ليصح الاخبار عن مكان الوعد بانه يوم الزينة (قوله كما هو على الاول) اى كما ان انطباق الجواب على التقدير الاول باضمار والمراد بالوجه الاول ان يراد بقوله اجعل موعدا المصدر ولا يقدر مكان مضاف ان ينتصب مكانا سوى بفعل دل عليه موعدا اى عدنا مكانا سوى فيكون سؤال فرعون على هذا الوجه ايضا مكان الوعد وايضا فجواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة لا يطابق على مسؤله الا باعتبار الاضمار ثم ان نظر الى قول فرعون عدنا مكانا فالطباق بان يقدر مكان موعدكم [illegible] وان نظر الى قوله فاجعل بيننا و بينك موعدا فالطباق بان يقدر وعدكم وعد يوم الزينة وهذا اولى فليتأمل (قوله وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر) اذ لو كان الموعد زمانا اومكانا لكان المعنى زمان وعدكم او مكانه واقع يوم الزينة فيلزم حصول الزمان او المكان في الزمان وهو محال فتعين انه مصدر وحينئذ لابد من ان يقدر المضاف في قبل موعدكم اذ ليس المراد ان نفس وعدكم واقع يوم الزينة لانه وقع قبل ذلك بل المراد ان انجاز موعدكم وقع يوم الزينة فيكون الجواب بالزمان والمطابقة من حيث المعنى لان المسئول عنه تعيين المكان من حيث ان قوله مكانا سوى منصوب بالفعل المدلول عليه بالمصدر (قوله وهو في النعت) وفي الصحاح العدى بكسر العين الاعداء وهو جمع لانظيرله قال ابن السكيت ولم يأت فعل في النعوت الا حرف واحد يقال هؤلاء قوم عدى وقوم عدى اى اعداء مثل سوى وسوى بكسر [illegible] وضمها (قوله عطف على [illegible] او على الزينة) فعلى الاول يكون في محل الرفع ويكون التقدير موعدكم يوم كذا وموعدكم ان يحشر الناس اى حشرهم

كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام وعاينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار (وان يحشر الناس ضحى) عطف على اليوم او على الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه

وعلى الثانى يكون فى محل الجر اى موعدكم يوم الزينة و يوم ان يحشر الناس اى حشرهم وضحى منصوب على انه ظرف يحشر (قوله تعالى فتولى فرعون اى اعرض عن قبول الحق وقيل ترك ما كان فيه من الشئون الا هذا الامر ويجوز ان يكون المعنى رجع عن المكان الذى وقع فيه المواعدة (قوله بأن تدعوا) اى تسموا آياته ومعجزته سحرا فان من سماها سحرا فقد جعل الله تعالى ساحرا فيكون هذا افتراء على الله تعالى بان يفعل السحر وانه ساحر تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (قوله فيهلككم و يستأصلكم) يقال سحته الله سحتا من باب فتح وأسحته الله اسحاتا اذا اهلكه واستأصله واصل هذه المادة الدلالة على الاستقصاء والنفاد ومنه سحت الحالق الشعر اى استقصاه ولم يترك منه شيأ ويستعمل فى الاهلاك والاذهاب (قوله حين سمعوا كلامه) وهو قوله لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ۞ واسرار السحرة نجواهم اخفاؤهم ما تناجوا بينهم عن فرعون قيل نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل هو قولهم ان كان موسى ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء كما قال فله الامر وقيل هو قولهم ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم والنجوى المناجاة والمكالمة سرا (قوله وقيل الضمير لفرعون وقومه) اى من السحرة وغيرهم وهو عطف على قوله اى تنازعت السحرة ۞ وتلفيق الحديث ضم كلماته الى بعضها اختراعا من عند انفسهم من غير قصد الى حكاية ما فى الواقع واظهاره وبناء التفعيل فيه للتكلف يقال لفقت الثوب ألفقه اذا ضممت شقة منه الى اخرى فخطتهما واحاديث ملفقة اى اكاذيب مزخرفة (قوله على لغة بلحارث) بفتح الباء وسكون اللام اصله بنى الحارث حذف النون للتخفيف واوصل الباء بالحارث واعلم ان القرآء اختلفوا فى قرآءة قوله تعالى ان هذان لساحران فقرء ابن كثير وحده ان هذان بتخفيف ان وتشديد النون من هذان وحفص كذلك لانه خفف نون هذان وقرأ ابو عمرو ان بالتشديد وهذين بالياء وتخفيف نون هذين والباقون كذلك الا انهم قرأوا هذان بالالف فاما القرآءة الاولى وهى قرآءة ابن كثير وحفص فاصح معنى ولفظا وخطا وذلك انهما جعلا ان المخففة من الثقيلة فاهملت على ما هو الافصح لانها لا تعمل الا لشابهة الفعل من وجوه ولما خففت زال الشبه اللفظى فلا تعمل ولا اشكال فى رفع هذان ولما اهملت كما هو الافصح من وجهيها حيث التباسها بالنافية فجئ بالام فارقة فى الخبر وهذان مبتدأ ولساحران خبره ووافقت خط المصحف فان رسم هذن بدون الالف قال ابو عبيدة رأيتها فى مصحف الامام عثمان هذن ليس فيها الف وهكذا رأيت رفع الاثنين فى ذلك المصحف باسقاط الالف واذا كتبوا النصب والجر كتبوه بالياء ولا يسقطونه

(فتولى فرعون فجمع كيده) ما يكاد به يعنى السحرة وآلاتهم (ثم اتى) بالموعد (قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا) بان تدعوا آياته سحرا (فيسحتكم بعذاب) فيهلككم ويستأصلكم وقرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز (وقد خاب من افترى) كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه (فتنازعوا امرهم بينهم) اى تنازعت السحرة فى امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم هذا ليس من كلام السحرة (وأسروا النجوى) بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله (قالوا ان هذان لساحران) تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا فى تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية

وتشديد نون هذان من ابن كثير للفرق بين الاسماء المتمكنة وغير المتمكنة
واما الكوفيون فعلى ان ان هنا نافية بمعنى ما هذان الا ساحران و اللام بمعنى
الا وهو خلاف مشهور وقد وافق تخريجهم هذا قرآءة بعضهم ما هذان الا ساحران
واما قرآءة ابي عمرو فواضحة من حيث الاعراب و المعنى اما الاعراب فهذين اسم
ان المشددة وعلامة نصبه الياء ولساحران خبرها ودخلت اللام تأكيدا
واما من حيث المعنى فانهم اثبتوا لهما السحر بالحاق اداة التأكيد لكل واحد
من طرفي الجملة لكن فيها اشكال من حيث الخط وذلك انه رسم هذن بدون
الف ولاياء فاثباته بالياء زيادة على خط المصحف واما قرآءة الباقين ان هذان
فقد ذكر المصنف لها وجوها الاول ان هذان اسم ان ولساحران خبرها وعلى
هذا كان الظاهر ان يقرأ هذين كقرآءة ابي عمرو الا انه قرئ بالالف على لغة
بني الحارث فانهم يجعلون الاسم المثنى كالمقصور فيثبتون ألفه في جميع الاحوال
ويقدرون اعرابه بالحركات ويقولون رأيت رجلان واشتريت ثوبان ويقلبون
كل ياء ينفتح ماقبلها ألفا قال شاعرهم

ان اباها و ابا اباها ❊ قد بلغا في المجد غايتاها

اي غايتيها وقيل انهم يفعلون ذلك فرارا الى الالف التي هي اخف حروف
المد ويقولون ضربت يداه وركبت علاه يعني يديه وعليه والوجه الثاني ان قوله
هذان ليس اسم ان بل اسمها ضمير الشأن المحذوف وقوله هذان لساحران جملة
اسمية في محل الرفع على انها خبران اي ان الشان هذان لساحران وفيه ضعف
من حيث انه يؤدي الى دخول لام الابتدآء على خبر المبتدأ من غير ان يؤكد
مضمون الجملة بان المكسورة ومثله لايقع الا في الضرورة كقوله

ام الحليس لعجوز شهربه ❊ ترضى من اللحم بعظم الرقبه

والوجه الثالث ان ان هذا ليست هي التي تنصب الاسم بل هي بمعنى نعم وهذان
مبتدأ ولساحران خبره وقد ورد ان بمعنى نعم قوله

بكر العواذل في الشباب ❊ يلمنني و ألومهنه
ويقلن شيب قد علاك ❊ وقد كبرت فقلت انه

اي فقلت نعم و الهاء للسكت وروى ان اعرابيا اتى ابن الزبير يستجديه فلم
يعطه شيأ فقال الاعرابي لعن الله ناقة حملتني اليك فقال ابن الزبير ان وراكبها
اي نعم وراكبها وهذا مروي عن المبرد (قوله وفيها) اي وفي الوجه الثاني
و [illegible] ان لام الابتدآء لاتدخل خبر المبتدأ وانما تدخل على المبتدأ لكونها
موضوعة لتأكيد مضمون نسبة المبتدأ بالخبر وتلك المنسوبة لما كانت من احوال
المبتدأ وجب ان يختص ماتدل عليها بالمبتدأ لان العلة الموجبة لحكم في محل لابد

واعرب المعنى تقديرا وقيل
اسمها ضمير الشان المحذوف
وهذان ساحران خبرها
وقيل ان بمعنى نعم وهذان
مبتدأ وساحران خبره وفيهما
ان اللام [illegible] من خبر
المبتدأ

(ان تكون)

ان تكون مختصة بذلك المحل فوجب ان تختص لام الابتدآء بالمبتدأ ولا تدخل على الخبر ولا يرد ان يقال هذا الدليل يستلزم ان لا تدخل اللام على الخبر فيما اذا دخلت ان على المبتدأ لان ذلك لاجل الضرورة وهى امتناع اجتماع حرفى التأكيد على المبتدأ ولا ضرورة فيما اذا لم تدخل ان على المبتدأ (قوله وقيل اصله) اى قيل فى جواب ما اورد على الوجهين الاخيرين ان اللام ليست داخلة على خبر المبتدأ بل هى داخلة على المبتدأ المقدر وتقدير الكلام على الوجه الثانى ان الشان هذان لهما ساحران وعلى الوجه الثالث نعم هذان لهما ساحران وتقدير قوله ام الحليس لعجوز ام الحليس لهى عجوز ورد المصنف هذا الجواب بان المؤكد بلام الابتدآء لا يليق به الحذف لان الحذف ينافى الغرض المطلوب من التأكيد (قوله بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب) يعنى ان المثلى تأنيث الامثل وهو الافضل الاشبه بالحق وان المراد بالطريقة المذهب الذى يسلكونه ويتدينون به وسموه بالطريقة المثلى والسنة الفضلى بناء على زعمهم فان كل حزب بما لديهم فرحون والزجاج جعل الآية من باب حذف المضاف اى ويذهبا باهل طريقتكم المثلى ويجعلاهم اتباعا لانفسهما وقال الفراء الطريقة الرجال الاشراف الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه ومنه قوله تعالى كنا طرآئق قددا اى كنا فرقا مختلفة الاهوآء الجوهرى القدد ايضا الطريقة والفرقة من الناس اذا كان هوى كل واحد على حدة والمقصود على التقديرين ان ينفروا قومهم عن موسى وهرون بانهما يريدان ان يذهبا باشراف قومكم واكابركم وهم بنوا اسرآئيل واخذوا هذا من قول موسى عليه الصلاة والسلام ارسل معنا بنى اسرآئيل وسموا بنى اسرآئيل بذلك لانهم كانوا اكثر القوم يومئذ علما وعددا واموالا وعلى التقادير الباء فى قوله بطريقتكم للتعدية واعلم انه تعالى لما ذكر ما أسروه من النجوى حكى عنهم ما اظهروه ومجموعه يدل على التنفير عن موسى ومتابعة دينه من وجوه احدها قولهم هذان لساحران وهذا طعن منهم فى معجزة موسى مبالغة فى التنفير عنه لان كل طبع سليم ينفر عن السحر ويستكره رؤية الساحر من حيث ان الانسان يعلم ان السحر تمويه وتلبيس لا بقاء له ومن كان السحر مبنى امره يأبى كل احد عن اتباعه وثانيها قولهم يريدان ان يخرجاكم من ارضكم وهو يفيد نفرة عظيمة لان مفارقة المولد والمنشأ شديدة على القلوب وهذا هو الذى حكاه الله تعالى عن فرعون بقوله أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ياموسى فكأن السحرة تلقفوا هذه الشبهة من فرعون ثم اعادوها على قومهم وثالثها قولهم ويذهبا بطريقتكم المثلى وهذا ايضا له تأثير شديد فى تنفير القلوب فان العدو

وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هى المخففة واللام هى الفارقة او النافية واللام بمعنى الا (يريدان ان يخرجاكم من ارضكم) بالاستيلاء عليها (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله انى اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنوا اسرآئيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بنى اسرآئيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم (فاجمعوا كيدكم)

فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يخالف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله
فجمع كيده والضمير في قالوا
ان كان للسحرة فهو قول
بعضهم لبعض (ثم ائتوا
صفا) مصطفين لانه أهيب
في صدور الرائين قيل
كانوا سبعين ألفا مع كل
منهم حبل وعصا وأقبلوا
عليه اقبالة واحدة (وقد
افلح اليوم من استعلى)
فاز بالمطلوب من غلب
وهو اعتراض (قالوا ياموسى
اما ان تلقي واما ان نكون
اول من ألقى) اى بعد
ما اتوا مراعاة الادب وأن
بما بعده منصوب بفعل مضمر
او مرفوع بخبر محذوف
اى اختر القاءك اولا او القاءنا
او الامر القاؤك او القاؤنا
(قال بل ألقوا) مقابلة
أدب بأدب وعدم مبالاة
بسحرهم واسعافا الى ما
اوهموا من الميل الى البدء
بذكر الاول في شقهم وتغيير
النظم الى وجه ابلغ ولان
يبرزوا ما معهم ويستنفدوا
اقصى وسعهم ثم يظهر الله
سلطانه فيقذف بالحق على
الباطل فيدمغه (فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من
سحرهم انها تسعى) اى
فألقوا فاذا حبالهم وهي
للمفاجأة والتحقيق انها ظرفية
تستدعي متعلقا ينصبها
وجملة تضاف اليها لكنها
خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعي حبالهم (اذا

اذا جاء واستولى على جمع ما يعزز به القوم من الذهب والشرائف وما يضعون فيه ايكون ذلك في نهاية الشدة على القلب (قوله فأزمعوا) اى فاعزموا عليه فان كل واحد من العزم والاجماع يتعدى بعلى يقال عزمت على كذا عزما وعزما بالضم والفتح وعزيمة وعزما اذا اردت فعله وقطعت عليه الا انه حذف صلة أجمعوا في نظم التنزيل كما حذف صلة العزم في قوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح فلذلك حذفها المصنف في قوله فازمعوه اي اعزموه واما ان قرئ فاجمعوا بوصل الهمزة وفتح الميم من الجمع بمعنى لاتدعوا شيأ من كيدكم الا جئتم به فحينئذ لاحاجة الى اعتبار حذف الصلة فان جمع يتعدى بنفسه (قوله مصطفين) فيكون من قبيل تسمية المحل باسم الحال (قوله وهو اعتراض) يعني ان قوله قد افلح اليوم من كلام الله تعالى جيء به بين كلامهم وقولهم فهو اعتراض باعتبار كونه اجنبيا وقع بين كلامهم وفيه بحث لان الظاهر انه من كلامهم قالوا ذلك تحريضا لقومهم على الاجماع والاتفاق على كيدهم بالجد والاهتمام فلا اعتراض حينئذ (قوله تعالى قالوا ياموسى) استئناف جيء به لبيان ما ادى اليه تواصيهم بالاجماع على كيدهم واتيان مكان الوعد ذوي صف اى فأتوا المكان وقالوا اما ان تلقي ما معك قبلنا واما ان نلقي ما معنا قبلك وهذا التخيير مع تقديمه عليه الصلاة والسلام في الذكر حسن ادب منهم فلا جرم رزقهم الله تعالى الايمان ببركته ثم انه عليه الصلاة والسلام قابل ادبهم بأدب فقال بل ألقوا والظاهر انه عليه الصلاة والسلام امرهم بذلك ليظهر الفرق بين السحر وبين المعجزة الالهية كأنه قال ألقوا فسترون عاقبة سحركم وأن الله سيبطله وينصر رسوله ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه (قوله وتغيير النظم) مجرور بالعطف على قوله بذكر الاول فان ما في شقهم من الكلام ابلغ مما في شقه عليه الصلاة والسلام من حيث ان زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى علل المصنف قوله عليه الصلاة والسلام بل ألقوا باربع علل والاسعاف بالحاجة قضاؤها (قوله ويستنفدوا) اى ويستفرغوا من نفد الشيء بالكسر نفادا اى فنى (قوله فيدمغه) تخييل لتشبيه الباطل بالخصم المنتصب في مقام المجادلة يقال دمغه دمغا اذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ واسمها الدامغة (قوله اى فألقوا فاذا حبالهم) يعني ان الفاء في قوله تعالى فاذا حبالهم عطف بها عامل الظرف على جملة محذوفة دل عليها سوق الكلام فهي فاء فصيحة وقوله فألقوا معطوف على قوله قال بل ألقوا (قوله والتحقيق انها ظرفية) اى ان اذا المفاجأة كاذا الظرفية ظرف بمعنى الوقت لكنها خصت باسم آخر لاختصاصها بكون عاملها فعل المفاجأة فاضافة

وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم ﴿ ١٤٧ ﴾ لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تحركت وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل (فأوجس في نفسه خيفة موسى) وأضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لاتخف) ما توهمت (انك انت الاعلى) تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل (وألق ما في يمينك) ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة التي في يدك او تعظيما لها اي لاتحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فألقه (تلقف ما صنعوا) تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التاءين وتاء المضارعة يحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته (ان ما صنعوا) ان الذي زوروا وافتعلوا (كيد ساحر)

اذا الى المفاجأة للملابسة بينهما وبين المفاجأة يقال فاجأه الموت اى اخذه بغتة وفاجأه السبع اى اتاه بغتة والجملة التى يضاف اليها اذا المفاجأة ابتدائية اى اسمية فانه لا يقع بعدها الا المبتدأ والخبر فقوله حبالهم وعصيهم مبتدأ ويخيل خبره وانها تسعى مفعول يخيل اقيم مقام الفاعل اى يخيل اليه سعيها فان قرآءة الجمهور يخيل بضم الياء الاولى وفتح الثانية مبنيا للمفعول وقوله حبالهم وعصيهم يخيل لما اضيف اليه كلمة اذا صار فى حكم المفرد وهو يخيل حبالهم وعصيهم وكذا قوله انها تسعى لما كان مفعول يخيل صار فى معنى سعيها فاذا قدر فاجأ قبل كلمة اذا عاملا فيها صار التقدير فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل حبالهم وعصيهم سعيها الا ان المصنف قال فى تقدير المعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم وأضاف تخيل الى مفعوله ولم يذكر فاعله واضاف السعى الى لفظ حبالهم وعصيهم بدل اضافته الى ضمير سعيها وهذا تصوير لاعراب نظم الآية والمعنى على تخييل مفاجأة موسى بالحبال والعصى مخيلة سعيها وعلق فعل المفاجأة فى تصوير المصنف بظرفه تعلقه بالمفعول به اتساعا فى التعلق مثل الاتساع فى اضافة اسم الفاعل الى الظرف فى قوله تعالى مالك يوم الدين اى انه تعالى مالك الامور كلها فى يوم الدين (قوله وقرأ ابن عامر) اى برواية ابن ذكوان تخيل بضم التاء الفوقانية على معنى تخيل الحبال والعصى وانها تسعى بدل اشتمال من المستكن فى تخيل وقرئ نخيل بنون العظمة على ان الله تعالى هو المخيل لاجل الامتحان والابتلاء وتخيل بفتح التاء والياء اصله تتخيل فحذف احدى التاءين كما فى قوله تعالى تنزل الملائكة اسند الفعل الى ضمير الحبال وانث لتأنيث جماعة الحبال والعصى وقوله انها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير كما فى قرآءة تخيل بضم التاء وفتح الياء (قوله مؤكدا بالاستئناف) كأنه لما قيل له لاتخف سأل كيف لا اخاف والحال يقتضى استشعار الخوف فاجيب انك انت الاعلى ووجه دلالة الاستئناف على التأكيد انه يدل على الاهتمام بشان المستأنف منه ووجه دلالة تعريف الخبر عليه ان اللام لتعريف الجنس وقد دخلت على الخبر فأفادت ان حقيقة العلو والغلبة مختصة بك لاتتعدى الى غيرك (قوله تحقيرا لها) كأنها لحقارتها لم يوضع لها اسم بل اكتفى فى التعبير عنها بلفظ اسم الجنس او النوع ووجه دلالة الابهام على التعظيم انه يدل على ان العصا بلغت فى الكمال وعظم الشان الى الغاية التى تعجز العبارة عن بيان ماهيتها المخصوصة وانما يتأتى ان يعبر عنها بشئ من عوارضها العامة (قوله تلقف) قرآءة العامة بفتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاء على انه جواب الامر وقرآءة حفص بسكون اللام وتخفيف القاف وقرئ تلقف بالرفع اما على الحال او الاستئناف وانث

وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال (ولا يفلح الساحر) اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت * في سعي دنيا طالما قد مدت كأنه قيل ان ما صنعوا كيد سحري (حيث اتى) حيث كان واين اقبل (فالقي السحرة سجدا) اي فالقي فتلقف فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته

الفعل في تلقف حملا على معنى ما لان معناها العصا ويحتمل ان يكون تلقف صيغة المفرد المذكر المخاطب ويكون المستتر فيه موسى ويسند اليه التلقف باعتبار كونه سببا له بالقاء العصا (قوله على ان ما كافة). تكف وتمنع الحروف المشبهة عن العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها مادامت عاملة لاتدخل على الفعل ويحتمل ان تكون ما مصدرية والتقدير ان صنعهم كيد ساحر وذكر لقرآءة كيد ساحر ثلاثة اوجه الاول تقدير المضاف اى كيد ذى سحر والثاني تسمية الساحر سحرا على المبالغة فانه لكثرة ملابسة السحر وتوغله فيه صار كأنه نفس السحر والثالث انه من قبيل اضافة المبهم الى مميزه نحو مائة درهم وألف دينار او اضافة الجنس الى نوعه للبيان نحو علم فقه وعلم نحو فان الكيد وهو الحيلة تكون سحرا وغيره فأضيف الى السحر للبيان فكأنه قيل كيد هو سحر (قوله وتنكير الاول) مع ان القصد فيه ايضا الى الجنس وهو يقتضي تعريفه الا انه لو عرف لصار المضاف ايضا معرفة والمقصود تنكيره لان المراد به نوع من الكيد وهو السحر فنكر ليتوسل بتنكيره الى تنكير المضاف وتنكيره لاينافي ان يراد به الجنس كما نكر دنيا في قوله في سعي دنيا مع ان المراد بها المعلوم المعين لتنكير السعي اذ لو عرف الدنيا لصار السعي معرفة والمراد تنكيره اذ المعنى في سعي ما دنيوي واوله

الحمد لله الذي استقلت * باذنه السماء واطمأنت
باذنه الارض وما تعنت * اوحى لها القرار فاستقرت
وشدها بالراسيات الثبت * والجاعل الغيث غياث المسنت
والجامع الناس ليوم الوقت * بعد الممات وهو محيي الموت
يوم ترى النفوس ما اعدت * من نزل اذا الامور غبت
في سعي دنيا طالما قد مدت

فقوله ما تعنت اى ما تعبت الارض بالمخالفة لله تعالى بل اطاعته حيث اوحى اليها القرار يقال عنى بالكسر يعنى عناء اى تعب ونصب وعنته انا تعنية فتعنى ويجوز ان يكون من تعنت وتصلب بمعنى قابل غيره طالبا زلته وقوله وما اعدت اى ما جعلته عدة وقوله من نزل بيان ما اعدت وغبت الامور اى بلغت غايتها وآخرها والمعنى اذا الامور بلغت اواخرها وقوله في سعي دنيا طرف غبت اوطرف طال ان كانت ما في طالما مصدرية اى مدت في سعي دنيا يقول يوم القيامة ترى النفوس ما جعلته عدة من نزل يوم القيامة * حين تبلغ الامور اواخرها وقد مدت * اى امهلت في جمعها وتهيئة اسبابها (قوله حيث كان واين اقبل) فان الذهاب والاتيان يعبر بهما عن الكون والاقبال يقال

ايما ذهبت واتيت فانت كذا اى ايما كنت واقبلت (قوله فألقاهم ذلك) اى تحقق ان ما اظهره موسى عليه الصلاة والسلام ليس بسحر بل هو معجزة الهية والاعتاب الرجوع عما كان عليه من الاساءة الى الاسترضاء والاطاعة ❁ والروى آخر الحروف من فواصل الآية قيل لما ألقى موسى عصاه فاذا هى اعظم من حبالهم ثم اخذت تزداد عظما حتى ملأت الوادى ثم صعدت حتى علقت ذنبها بطرف القبة وكانت ضربت لفرعون قبة يجلس فيها وينظر اليهم وكان طول القبة سبعين ذراعا ثم هبطت فأكلت كل ما عملوا من الكيد والناس ينظرون اليها لا يحسبون الا انها سحر ثم اقبلت نحو فرعون لتبتلعه فاتحة فاها ثمانين ذراعا فصاح فرعون بموسى فاخذها فاذا هى عصا كما كانت ونظر السحرة فاذا هى لم تدع من حبالهم وعصيهم شيأ الا اكلته فعرفوا بذلك انه ليس بسحر وقالوا لو كانت سحرا لبقيت الاشياء واستدلوا بتغير احوال الاجسام على وجود الصانع العالم القادر فان كل عاقل يعلم بالضرورة انه لا يقدر على ايجاد الحيوان من الجماد وتعظيم جثتها جملة واحدة ثم تصغيرها وتصييرها كما كانت جملة واحدة الا الاله القادر على كل شئ واستدلوا بظهورها على يد موسى على كونه رسولا صادقا من عنده تعالى فلاجرم تابوا وآمنوا وأتوا بما هو النهاية فى الخضوع وهو السجود قال الزمخشرى ما اعجب امرهم ألقوا حبالهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود ولما خاف فرعون ان يصير ذلك سببا لاقتداء سائر الناس بهم فى الايمان بالله ورسوله ألقى اليهم فى الحال شبهتين الشبهة الاولى قوله لهم آمنتم له قبل ان آذن لكم يعنى انكم اعتمدتم فى الايمان به والاتباع له على اول خاطر خطر بالكم من غير بحث ومناظرة وامعان مرة بعد اخرى فى امره فلم يكن ايمانكم عن بصيرة والشبهة الثانية انه لكبيركم فى علم السحر فاصطلحتم على ان تظهروا العجز عن معارضته ترويجا لامره وتعظيما لشأنه ثم هددهم صرفا لهم عن الايمان وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم فقال لاقطعن ايديكم الآية وبناء التقطيع والتصليب لتكثير المفعول (قوله كأن القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو) فان القطع لما ابتدئ من العضو الذى هو موضع الخلاف صار كأنه قد ابتدئ من نفس الخلاف لما بين الخلاف وموضعه من الملابسة (قوله بالتخفيف) اى تخفيف عين الفعل على انه ثلاثى لا بتثقيله للتكثير (قوله شبه تمكن المصلوب الجذوع) اى فى الجذوع جواب عما يقال ان فعل الصلب يتعدى الى المفعول الثانى بعلى فلم عدى ههنا بكلمة فى وتقرير الجواب ان الكلام هنا من قبيل الاستعارة التبعية شبه متعلق كلمة على وهو التمكن بطريق الاستعلاء بمتعلق كلمة فى وهو

قدم هرون لكبر سنه او لروى الآية ولأن فرعون ربى موسى فى صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى انهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها (قال آمنتم له) اى لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع (قبل ان آذن لكم) فى الايمان له (انه لكبيركم) لعظيمكم فى فنكم واعلمكم به او لأستاذكم (الذى علمكم السحر) وانتم تواطأتم على ما فعلتم (فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهى مع المجرور بها فى موضع النصب على الحال اى لأقطعنها مختلفات وقرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) شبه تمكن المصلوب بالجذوع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب (ولتعلمن ايـنا) يريد

وقيل رب موسى الذى آمنوا به (اشد عذابا وابقى) وأدوم عذابا (قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاءنا) موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما (من البينات) المعجزات او صحات (والذى فطرنا) عطف على ماجاءنا اوقسم (فاقض ما انت قاض) ما انت قاضيه اى صانعه او حاكم به (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) انما تصنع ماتهواه او تحكم بما تراه فى هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لمابعده وقرئ تقضى هذه الحياة كقولك صيم يوم الجمعة (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) من الكفر والمعاصى (وما اكرهتنا عليه من السحر) فى معارضة المعجزة روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ماهذا بسحر فان الساحر اذانام بطل سحره فأبى الا ان يعارضوه (والله خير وابقى) جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا (انه) ان الامر (من يأت ربه مجرما)

التمكن بطريق الظرفية ثم استعير التمكن المشبه به للتمكن المشبه استعارة اصلية فاستعمل فى التمكن المشبه كلمة فى الموضوعة للدلالة على تمكن الظرفية الذى هو المشبه به فجرت الاستعارة اولا واصالة فى تمكن الظرفية وتبعية فى كلمة فى الدالة عليه (قوله لقوله آمنتم له) يعنى انه يدل على ان المراد من قوله اينا اشد نفسه الخبيثة وموسى عليه الصلاة والسلام لان معنى آمنتم له اى لاجله و بسببه لا نكم خفتم على انفسكم ان يعذبكم ان لم تؤمنوا له (قوله وقيل رب موسى) اى قيل يريد نفسه ورب موسى فالمعنى ولتعلمن ايها السحرة اينا انا على ايمانكم برب موسى اورب موسى على ترككم الايمان به اشد عذابا لكم وأدوم فان قيل كيف يعقل من فرعون ان يهدد السحرة و يبالغ فى وعيدهم الى هذا الحد و يستهزئ بموسى و يقول اينا اشد عذابا مع قرب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية ومالها من الآثار الهائلة حتى انها قصدت ابتلاع قبة فرعون واضطر هو الى ان استغاث بموسى من شر ذلك الثعبان فمع قرب عهده بذلك يبعد منه ان يتجاسر على ماذكر من التهور اجيب بانه يجوز ان يكون اشد الخوف فى قلبه ومع ذلك كان يظهر الجلادة والوقاحة تمشية لناموسه وترويجا لامره (قوله لن نختارك) اى لن نختار طاعتك والايمان بك وهذا يدل على ان فرعون طلب منهم الرجوع عن الايمان والافعل بهم ماوعدهم به فأجابوه بما يدل على حصول اليقين التام والبصيرة الكاملة فى اصول الدين وانهم لايؤثرون رضى المخلوق المستوجب معصية الخالق وعقابه الدائم اذ مضار الدنيا لا تصد العاقل عن الثبات على ما يؤدى الى سعادة الآخرة (قوله وقرئ تقضى) على البناء للمفعول و رفع الحياة ووجهها ان الحياة فى القرآءة المشهورة لما انتصب على الظرفية اتسع فى الظرف باجرآئه مجرى المفعول به كقولك فى صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة لما علم السحرة انهم متى أصروا على الايمان اوقع بهم فرعون ما أوعدهم به قالوا اقض ما انت قاض لا على وجه الامر لكن اظهروا به ان ذلك الوعيد لايصدهم عن الايمان البتة ثم بينوا ماالاجله يسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا انما تقضى هذه الحياة الدنيا اى قضاؤك وحكمك انما يكون فى هذه الحياة الدنيا وهى فانية تزول عن قريب و مطلوبنا سعادة الآخرة وهى باقية والعقل يقتضى تحمل الضرر [illegible] التوصل الى السعادة الباقية (قوله وما اكرهتنا عليه من السحر فى معارضة المعجزة) يعنى انهم وان كانوا سحرة يعملون السحر باختيارهم الا انهم كانوا مكرهين فى الحضور واظهار السحر على طريق معارضة المعجزة به لقوله وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فانه يدل على انهم حضروا وعملوا مافعلوا بالحشر والاكراه وايضا انهم

بن يموت على كفره وعصيانه (فان له جهنم لايموت فيها فيستريح (ولا يحيى) (لمارأوا)

لما رأوا ان العصا تحفظه وهو نائم أبوا أن يعارضوه وقالوا ما هذا سحر فحملهم فرعون كرها على ان يعارضوه (قوله حياة مهنأة) اى حياة تعد نعمة فيهنأ بها (قوله قد عمل الصالحات) يدل على ان الجزاء الموعود انما يكون ان كان آتيا بكل الصالحات و ذلك غير معتبر بالاتفاق ولا ممكن فينبغي ان يحمل ذلك على اداء الواجبات (قوله والآيات الثلاث) وهي قوله تعالى انه من يأت ربه مجرما الى قوله تزكى يحتمل ان تكون من تمام قول السحرة ختموا كلامهم بشرح احوال المجرمين واحوال المؤمنين في عرصة القيامة والهاء في انه ضمير الشان والجملة الشرطية خبرها و مجرما حال من فاعل يأت و قوله لا يموت يجوز ان يكون حالا من الهاء في له و ان يكون حالا من جهنم لاشتماله على ضمير كل واحد منهما ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما بالغ في دعوة فرعون وأراه الآيات المتتابعة التي اظهرها الله تعالى على يده فلم يزد الا عتوا وعنادا اوحى الله اليه ان أخرج بني اسرآئيل ليلا فان اسرى سيرا لليل والاسرآء مثله (قوله فاجعل لهم) يعني ان طريقا منصوب على انه مفعول به لقوله فاضرب بناء على انه بمعنى اجعل او اتخذ والمعنى اجعل لاجلهم و رهم طريقا في البحر يبسا ليس فيه ماء ولا طين ولا ندوة (قوله وصف به الواحد مبالغة) جعل الطريق لفرط يبسها كأشياء يابسة كما جعل المعى لفرط جوعه كجماعة جياع اولان المراد بقوله طريقا الجنس وهو في حكم الجمع لتعدده معنى لا صيغة على ما روى ان البحر انفلق فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق (قوله كان قتود رحلي حين ضمت * حوالب غرزا ومعى جياعا) و بعده قوله

على وحشية خذلت خلوج * وكان لها طلا طفل فضاعا

فكرت تبتغيه فصادفته * على دمه ومصرعه السباعا

القتود جمع قتد على خلاف القياس و القتد خشب الرحل و الحوالب عروق الضرع وهما حالبان اى عرقان مكتنفان بالسرة و ضمت بفتح الضاد ى ضربت يقال ضمه بالعصا اذا ضربه بها و حوالب مفعول ضمت و غرزا صفة حوالب بتقدير المضاف اى ضربت ذات حوالب و الغرز بتقديم المهملة على المعجمة جمع غارزة و هي من النوق القليلة اللبن و الغرز بتقديم المعجمة هي التي كز لبنها وعلى وحشية خبر كان وخذلت اى تأخرت قال الاصمعي اذ تخلف الظبي عن القطيع قيل خذل و الخلوج من النوق التي اختلج عنها ولدها فقل لذلك لبنها و الطلا الولد من ذوات الظلف والسباع منصوب بمضمر يفسره قوله صادفته شبه حالة قتود رحله حين وضعت على ناقته الموصوفة بالضمور بحالة ضمها على و حشية فقدت ولدها على طريق تشبيه الهيئة بالهيئة

حياة مهنأة (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات) في الدنيا (فاولئك لهم الدرجات العلى) المنازل الرفيعة (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار (وذلك جزآء من تزكى) تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والآيات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتدآء كلام الله (ولقد اوحينا الى موسى ان أسر بعبادي) اى من مصر (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله (في البحر يبسا) يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا و يبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلي حين ضمت * حوالب غرزا ومعى جياعا او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا (لا تخاف دركا)

حال من المأمور اى آمنا من ان يدركم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لاتخف على انه جواب الامر (ولا تخشى) استئناف اى وانت لاتخشى اوعطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لاتخشى الغرق (فأتبعهم فرعون بجنوده) وذلك ان موسى ﴿ ١٥٣ ﴾ خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى وقيل فأتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعهم جنوده وذادهم خلفهم (فغشيهم من اليم ماغشيهم) الضمير لجنوده اوله ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ماسمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ماغشاهم اى غطاهم ماغطاهم والفاعل هو الله تعالى او ماغشاهم او فرعون لانه الذى ورطهم للهلاك (واضل فرعون قومه وما هدى) اى اضلهم فى الدين وما هداهم وهو تهكم به فى قوله وما اهديكم الاسبيل الرشاد او أضلهم فى البحر وما نجا (يابنى اسرائيل) خطاب لهم بعد انجائهم من البحر

(قوله حال من المأمور) اى من فاعل اضرب اى اضرب غيرخائف اوصفة ثانية لطريقا والعائد محذوف اى لاتخاف فيه والدرك والدرك اسمان من ادرك اى لايدركك فرعون وجنوده ومن قرأ لاتخاف مرفوعا جعل قوله ولاتخشى باثبات الالف معطوفا عليه اى لا تخاف ادراك فرعون ولا تخشى الغرق واما من قرأ لاتخف مجزوما فانه لم يقرأ قوله ولاتخشى الا باثبات الالف فذكر المصنف فى توجيه اثباتها ثلاثة اوجه الاول انه كلام مستأنف منقطع عما قبله اخبرالله تعالى بانه لايحصل له خوف والواو لابتداء الآية والثانى انه مجزوم بالعطف على المجزوم قبله وعلى جزمه سقوط لام الفعل المعتلة وهذه الالف ليست لام الكلمة وانما هى الف اشباع اتى بها موافقة للفواصل ورؤوس الآى فهى كالالف فى قوله الرسولا والسبيلا والظنونا والثالث انه حال من فاعل لاتخف على حذف المبتدأ اى وانت لاتخشى الغرق وانما احتيج الى تأويل الجملة الحالية بالاسمية لان المضارع المنفى بلا كالمثبت فى عدم مباشرة الواو له (قوله والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه) على ان أتبع متعدى الى اثنين حذف ماهو الثانى فى الذكر واللفظ والباء فى قوله بجنوده للملابسة والمصاحبة وهى مع المجرور فى محل النصب على انه حال من المفعول المحذوف وقرئ فاتبعهم بتشديد التاء فيتعدى بنفسه الى واحد ويتعدى بالباء الى آخر وقيل الباء زائدة فى المفعول الثانى والتقدير فأتبعهم فرعون جنوده كما فى قوله لا تأخذ بلحيتى وقوله أسرى بعبده (قوله وذادهم خلفهم) اى ساق جنوده خلف موسى وقومه فان الذود السوق يقال ذدت الابل اى سقتها (قوله وفيه) اى فى ابهام فاعل غشيهم مبالغة وتعظيم لما اصابهم وسترهم من اليم مع وجازة اللفظ واختصاره ومن فى قوله من اليم للتبعيض ولا ينافيه تعظيم ماغشيهم وقيل بل المعنى علاهم وسترهم من ماء البحر قدر ما غرقهم فيكون الابهام للتحقير (قوله والفاعل هو الله اوفرعون) وعلى هذين التقديرين يكون ماغشاهم مفعولا ثانيا (قوله وهو تهكم به) التهكم الاستهزاء ببشارة والمقصود عكس معناها فقوله تعالى وماهدى اى ماهدى قومه يدل على كونه مهتديا عالما بطريق الهداية الا ان هدايته لم تتعلق بقومه وفرعون مع كونه رئيس الضالين كيف يتوهم كونه مهتديا عالما بطريق الهداية فيكون ماقيل فى ذلك تهكما وحقيقة روى عن ابن عباس رضى الله تعالى

، الهلاك فرعون على اصحابه فقالوا اولياؤه منهم فى عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عنهما)

بما عمل بآبائهم (قد انجيناكم من عدوكم) فرعون وقومه (وواعدناكم جانب الطور الايمن) لما جاء من بعد انزال التوراة عليه واعدناه المواعدة اليهم وهى لموسى اوله وللسبعين المختارين

عنهما انه قال لما امر الله تعالى موسى ان يقطع بقومه البحر وكان بنوا اسرائيل
استعاروا من قوم فرعون الحلي والدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا وهم
ستمائة الف وثلاثة آلاف ونيف ليس فيهم ابن ستين ولا عشرين وقد كان
يوسف عليه الصلاة والسلام عهد اليهم عند موته ان يخرجوا بعظامه معهم
من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز على موضع العظام فأخذوها وقال
موسى عليه الصلاة والسلام للعجوز احتكمي فقالت اكون معك في الجنة
فلما خرجوا تبعهم فرعون وعلى مقدمته ألف الف وخمسمائة ألف سوى الجناحين
والقلب فلما انتهى موسى الى البحر قال هنا امرت فأوحى الله تعالى اليه
ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقال لهم موسى ادخلوا فيه فقالوا كيف
وهي طرق رطبة فدعا ربه فهبت الصبا فجفت فقالوا نخاف الغرق في بعضنا
فجعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا واقبل فرعون الى
تلك الطرق فقال قومه له ان موسى قد سحر البحر فصار البحر كما ترى وكان على
فرس حصان واقبل جبريل عليه الصلاة والسلام بين يدي فرعون على
فرس حجر وهي الانثى من الخيل فابصر الحصان الحجر فاقتحم بفرعون على اثرها
وصاحت الملائكة في الناس الحقوا فرعون حتى اذا دخل آخرهم وكاد اولهم
يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فسمع بنوا اسرائيل خفقة البحر عليهم فقالوا
ماهذا يا موسى قال اغرق الله فرعون وقومه فرجعوا حتى ينظروا اليهم وقالوا
يا موسى ادع الله حتى يخرجهم لنا فننظر اليهم فدعا فلفظهم البحر الى الساحل
واصابوا من سلاحهم وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام لما ضرب بعصاه
البحر حصل اثنا عشر طريقا باستواء الماء قائما بين كل طريقين كالطود
العظيم وهو الجبل فاخذ كل سبط من بني اسرائيل في طريق من هذه الطرق
كما قال تعالى فصار كل فرق كالطود العظيم ومنهم من قال انما حصل طريق
واحدة لقوله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا ويمكن حمله على الجنس وقوله
الايمن منصوب على انه نعت للجانب وجانب مفعول ثان لواعدنا على حذف
المضاف اي اتيان جانبه الذي هو على يمين السالك من مصر الى الشام فانه
المفسر ون ليس للجبل يمين ولا يسار بل المراد ان الطور كان عن يمين من انطلق
من مصر الى الشام وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب او على
انه نعت للطور وصف بذلك لما فيه من اليمن (قوله للملابسة) اي
الملابسة المواعدة لهم من حيث انه تعالى وعد موسى وحده او وعده مع السبعين
السبعين ادبا واجابنا الطور الايمن ليكلم موسى ويعطيه التوراة لاجل بني اسرائيل
وبيان دينهم وشرح شريعتهم لما نعم الله تعالى على قوم موسى بانواع النعم

للملابسة (وانزلنا عليكم المن والسلوى) يعني في التيه (كلوا من طيبات ما رزقناكم

لذاذه او حلاله وقرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم مارزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب (ولا تطغوا فيه) فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق (فيحل عليكم غضبي) فيلزمكم عذابي ﴿ ١٥٤ ﴾ ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه

(ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل (واني لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا ثم اهتدى) ثم استقام على الهدى المذكور (وما اعجلك عن قومك يا موسى) سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم (قال هم اولاء على اثري) ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم الرفقة بها بعضهم بعضا (وعجلت اليك رب لترضى) فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا (واضلهم السامري) باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا ولعلهم انما قاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها اربعين وقالوا قد اكملنا

ذكرهم تلك النعم وحثهم على شكرها وقدم منها ازالة المضرة لكون المنافع لا ينتفع بها مع المضرة فقال قد انجيناكم من عدوكم ثم ثنى بذكر المنفعة الدينية وهو قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية وهي قوله وانزلنا عليكم المن والسلوى ثم زجرهم عن العصيان بقوله ولا تطغوا فيه ثم بين ان من عصى ثم تاب كان مقبولا عند الله (قوله لذاذه) يعني المراد بالطيبات اما ما يستطيبه الطبع من لذائذ الاطعمة كالمن والسلوى او يستطيبه الشرع كالحلالات التي من جملتها المن والسلوى فانهما قد انزلهما الله تعالى عليهم ولم تمسهما يد آدميين (قوله فيلزمكم عذابي) هذا المعنى على ان يقرأ يحل بكسر الحاء فان قراءة العامة بكسر الحاء في الاول وكسر اللام الاولى في الثانية على انهما من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن قرأهما بالضم جعلهما من حل بمعنى نزل وقوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى متصل بقوله وواعدناكم جانب الطور الايمن واضمر ههنا فتعجل موسى وقلنا له وما اعجلك دلت الآية على انه تعالى امره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين فقال المفسرون هم السبعون الذين اختارهم الله تعالى من جملة بني اسرائيل يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم موسى عليه الصلاة والسلام ثم تعجل من بينهم شوقا الى مناجاة ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فالمراد بقوله اولاء السبعون وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن ممنوعا عن التقدم عليهم وما وجد نص يدل على المنع عن ذلك ولا عن الاجتماع معهم في المجيء ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه بناء على اجتهاده ان ذلك اقرب الى رضى الله تعالى فاخطأ في ذلك الاجتهاد من حيث ان العجلة نقيصة في نفسها وقد انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فاستوجب العتاب لذلك يقال اغفلت الشيء اذا تركته على ذكر منك ولما ورد ان يقال قوله وما اعجلك عن قومك سؤال عن سبب العجلة فكان المطابق في الجواب ان يقال عجلت اليك طلبا لزيادة رضاك اوشوقا الى كلامك اومسارعة الى تنجيز موعودك الذي هو اتيان الجانب الايمن من الطور ونحو ذلك والجواب بقوله هم اولاء على اثري لا يطابقه فظاهرا اشار الى الجواب عنه بقوله سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها يعني انه لما تضمن الانكار قدم العذر عما انكر عليه فابتدأ به لكون الاعتذار عنه اهم بالنسبة الى بيان السبب (قوله ابتليناهم بعبادة العجل) يعني ان المراد بالفتنة المحنة التي فيها شدائد

المدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى الى قومه) بعدما استوفى الاربعين واخذ التوراة (غضبان) عليهم (اسفا) حزينا بما فعلوا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور (أفطال عليكم العهد) اى الزمان يعني زمان مفارقته لهم (ام اردتم ان يحل عليكم) يجب عليكم (غضب من ربكم) بعبادة ما هو مثل في الغباوة (فأخلفتم موعدي) وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اى فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له (قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا) بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلاثتها في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء

وبلايا والمعنى ابتلينا قومك الذين خلفتهم مع هرون في محنة وفتنة بعبادة العجل وخلقنا فيهم الكفر والضلال لسوء اختيارهم وميلهم الى جانب التقليد والهوى وعدم اتباعهم الدلائل القاطعة التي اقامها صاحب المعجزات القاهرة واسند الاضلال الى السامري لانه كان سبب ضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم الى عبادته وقال هذا الهكم واله موسى والا لم يملك احد اضلال احد واسند الفتن الى نفسه لانه خالق الاعيان والاعراض باسرها والسامري انما باشر ما يؤدي الى تكون العجل من الذهب والحلي والله تعالى هو الذي جعله جسدا ملتبسا بالجمود ونفخ فيه الروح وجعل له خوارا فلذلك وجه اضافة الفتن اليه تعالى * قرأ العامة واضلهم السامري على انه فعل ماض مسند الى السامري وقرئ واضلهم مرفوعا بالابتداء وهو افعل تفضيل بمعنى اشدهم ضلالا والسامري خبره (قوله اذ ليس في الآية ما يدل عليه) تعليل لعدم القطع بصحة ما ذكر من الامرين اللذين اولهما انهم اقاموا على الدين الذي تركهم موسى عليه الصلاة والسلام عليه حين انطلق الى الجبل عشرين ليلة ثم ارتدوا بعبادة العجل وثانيهما كون خطاب قد فتنا قومك متوجها اليه عند قدومه الى الطور قبل وقوع المخبر به ثم قال ان صح هذان الامران وكان خطاب قد فتنا قومك بلفظ الماضي واقعا قبل وقوع الفتن عشرين ليلة كان وجه التوفيق بينهما انه تعالى اخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته كقوله ونادى اصحاب الجنة (قوله وكان منافقا) اى آمن بموسى ظاهرا وكان من قوم يعبدون البقر فكان حب عبادة البقر راسخا في نفسه والظاهر ان كلمة ام في قوله تعالى ام اردتم متصلة معادلة للهمزة الداخلة على ما قبلها والمعنى أطال عليكم زمان مفارقتي فنسيتم ما امرتكم به ووعدتم اياي من الثبات على ديني الى ان ارجع اليكم من الطور بسبب طول الزمان ام تعمدتم فعل ما يكون سببا لمعصية ربكم اى لعقابه فأخلفتم لذلك موعدكم اياي فكأنه قيل انسيتم ذلك الوعد ام تعمدتم المعصية المؤدية الى غضب ربكم وقوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان احدا لا يريد ذلك ولكن المعصية لما كانت توجب ذلك ومريد السبب مريد للمسبب بالعرض صح هذا الكلام والمصنف حمل الوعد في قوله فأخلفتم موعدي مصدرا مضافا الى مفعوله ولم يرض احتمال كونه مضافا الى فاعله على معنى فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين ذي القعدة تمامه وعشر ذي الحجة ملتبسا بكتاب منزل من ربكم فيه شرح دينكم وبيان الفرائض والاحكام بناء على ان هذا الاحتمال لا يناسب ترتيب قوله فأخلفتم موعدي على ما ذكره من الترديد لطلب السبب [illegible] في اللغة [illegible] المصدر مضافا الى فاعله لما كان في الترديد لطلب سبب [illegible]

(ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم) حملنا احمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هى ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربى (فقذفناها) اى فى النار (فكذلك ألقى السامرى) اى ما كان معه منها روى انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامرى انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم فالرأى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف (فأخرج لهم عجلا جسدا) من تلك الحلى المذابة (له خوار) صوت العجل (فقالوا) يعنى السامرى ومن افتتن به اول ما رأوه (هذا الهكم واله موسى فنسى)

الاحتمال لا يناسب قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فان تعمدهم المعصية لا يصلح سببا لكونه عليه الصلاة والسلام مخلفا وعده اياهم بالعود بعد الاربعين وايضا ذلك الاحتمال لا يناسب جوابهم بقولهم ما اخلفنا موعدك بملكنا فانه اعتذار عن خلفهم فيما وعدوا اياه عليه الصلاة والسلام لا عن وجدانهم الخلف فى وعده اياهم بالعود بعد اربعين (قوله حملنا احمالا) الظاهر ان المصنف اختار قرآءة من قرأ حملنا بفتح الحاء والميم الخفيفة حيث تعرض لكون انفسهم حاملين ومستقرين بلم يعرض لبعضهم على الاستعارة والحمل فان نافعا وابن كثير وابن عامر وحفصا قرأوا حملنا بضم الحاء وكسر الميم شديدة والباقون بفتحهما مع تخفيف الميم ونسبة الفعل الى انفسهم وعلى القرآءة الاولى نسبوا الفعل الى غيرهم فقيل ذلك الغير هو موسى عليه الصلاة والسلام حيث امرهم باستعارة الحلى والخروج بها فكأنه ألزمهم بذلك والاوزار الاحمال والاثقال وسموا الحلى التى استعاروها من القبط اوزارا لانها آثام من حيث انها تلبس للفخر والخيلاء والترفع على الفقرآء ولانها مادام اصحابها احياء وتصرفوا فيها باذن اصحابها حل لهم الانتفاع بها فلما هلك اصحابها صار حكمها حكم الغنيمة ولم يحل لهم الانتفاع بالغنائم بعد فأثموا بسببها لان بنى اسرآئيل كانوا مستأمنين بالنسبة الى القبط وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربى اى ليس له ان يأخذه الا باذنه حتى لو اخذه بطريق الربا حل عند ابى حنيفة وان جرى ذلك بينه وبين مسلم اسلم هناك كما يجوز للمسلم المستأمن اخذه من الحربى برضاه وقوله من زينة يجوز ان يتعلق بحملنا وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لاوزارا وقوله فكذلك نعت لمصدر محذوف اى فالقى السامرى ما كان معه من الحلى او من التراب الذى اخذه من حافر فرس جبريل حين عبر البحر وذلك انه رأى ما تحت حافره تخضر فعلم ان له شأنا فاخذ منه شيأ فجعله فى عمامته وألقاه فى الحلى المقذوف فى النار القاء مثل القاء بنى اسرآئيل ما معهم من الحلى المقذوف فى النار قال الامام قولهم فى حق ذلك العجل الجسد هذا الهكم فيه اشكال لان القوم ان كانوا فى الجهالة بحيث اعتقدوا ان ذلك العجل المعمول فى تلك الساعة هو الخالق للسموات والارض فهم مجانين وليسوا مكلفين ولان مثل هذه السفاهة على مثل ذلك الجمع العظيم محال وان لم يعتقدوا ذلك فكيف قالوا هذا الهكم واله موسى واجاب بان القوم لعلهم كانوا من الحلولية الذين يجوزون حلول الاله او حلول صفة من صفاته فى ذلك الجسم وان كان ذلك ايضا فى غاية البعد لان ظهور الخوار لا يناسب الالهية لكن لعل القوم كانوا فى نهاية البلادة كيف لا وانهم قالوا لنبيهم بعد ما رأوا الآيات العظام اجعل لنا الها كما لهم آلهة قالوا ذلك والحال

اى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسى السامرى اى ترك ماكان عليه من اظهار الايمان (أفلا يرون) أفلا يعلمون (ان لا يرجع اليهم قولا) انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان أن الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم (ولقد قال لهم هرون من قبل) ﴿ ١٥٧ ﴾ من قبل رجوع موسى او قول السامرى كانه اول ماوقع عليه

ان اقدامهم ماجفت من ماء البحر (قوله فنسيه موسى) فيكون هذا من كلام السامرى وان كان ضمير فنسى للسامرى يكون هذا من كلام الله تعالى ويكون النسيان مجازا عن لازمه الذى هو الترك كانه تعالى اخبر عن السامرى انه ترك ماكان عليه من اظهار الايمان او انه استدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ ثم بين مايستدل به على ذلك بقوله أفلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اى استدل على انه لا يصلح ان يكون الها بأن من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر كيف يكون الها والحال ان الاله ينبغى ان يكون سامعا بدعاء عابده نافعا له دافعا عنه المضار مثيبا ومعاقبا كما قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ وقرأ العامة ان لا يرجع برفع يرجع على أن كلمة ان هى المخففة من الثقيلة ويدل على ذلك وقوع اصلها وهى الثقيلة فى قوله ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا روى عن الزجاج انه قال الاختيار الرفع بمعنى انه لا يرجع كقوله وحسبوا ان لا تكون فتنة بمعنى انه لا تكون ولا وجه لكون الرؤية ههنا بصرية لان عدم رده عليهم جوابا ليس مما يبصر وأن الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين لانها تجعل الجملة فى تأويل المفرد فيلزم الاقتصار على احد المفعولين وهو غير جائز فى هذه الافعال (قوله يؤيد الوجه الاول) وهو ان يكون هرون عليه الصلاة والسلام قال لهم ذلك بعد ماشاهدوه من افتتانهم بعبادة العجل قبل مجئ موسى عليه الصلاة والسلام وبعد ما قال السامرى ماقال ووجه التأييد ان جوابهم بان قالوا لن نبرح مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى انما يلائم وجه الاول دون الثانى (قوله ان تتبعنى فى الغضب) يعنى ان المراد باتباع هرون اياه اما اتباع فى اخلاق اخيه ودينه واللحوق به وترك المقام بين اظهر المرتدين ❊ والمراغمة المخاصمة والمغاضبة يقال رغمت عليه بالكسر اذا غضبت واعلم ان المصنف حمل الامر فى قول موسى عليه الصلاة والسلام لاخيه أفعصيت امرى على امره اياه بالصلابة فى الدين واظهار البغض والخصومة مع المخالفين وحمل القول فى قول هرون له ولم ترقب قولى على قول موسى له اخلفنى فى قومى واصلح لئلا يرد مايقال قول موسى له

اسمعه حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم (ياقوم انما فتنتم به) بالعجل (فان ربكم الرحمن) لا غير (فاتبعونى واطيعوا امرى) فى الثبات على الدين (قالوا لن نبرح عليه) على العجل وعبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول (قال ياهرون) اى قال له موسى لما رجع (مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (ألا تتبعن) ان تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تأتى عقبى وتلحقنى ولا مزيدة كما فى قوله مامنعك ان لا تسجد (أفعصيت امرى) بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه (قال يابن ام) خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) اى بشعر رأسى قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه

وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام حديدا خشنا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل (انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل) لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض (ولم ترقب قولى) حين قلت اخلفنى فى قومى وأصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك (قال فما خطبك ياسامرى) اى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك

افعصيت أمري يدل على انه امره بشئ وان اخاه لم يمتثل امره فكيف يحسن ان يقول اخوه في جوابه انما لم امتثل قولك خوفا من ان تقول لم ترقب قولي فهل يصدر مثله من العاقل وعلى تقدير المصنف يكون حاصل الجواب خالفت امرك اياي بالصلابة في الدين والمقاتلة عليه خوفا من ان تقول لم ترقب قولي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح ولا محذور في هذا الجواب غاية ما في الباب انه هرون قيد امر موسى اياه بالصلابة في الدين بان لا تكون تلك الصلابة مؤدية الى تفرقة الدهماء بين بني اسرآئيل واختلال انتظامهم (قوله اى ماطلبك له) اى اى شئ طلبك له فهو استفهام انكار والمعنى على انكار الطلب واستقباحه وقوله بما لم يبصروا به ان قرئ بالتاء المعجمة من فوق يكون الخطاب لموسى وقومه اوله وحده على طريق التعظيم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وان قرئ بياء الغيبة يكون مسندا الى بني اسرآئيل يقال بصر بالشئ اى علمه وابصره اى نظر اليه وقيل بصر بالشئ وابصره بمعنى علمه والعامة على ضم الصاد في الماضي والمضارع وقرئ بكسر الصاد في الماضي والمضارع على بناء المفعول اى اعلمت بما لم يعلموا به وذهب عامة المفسرين الى ان المراد بالرسول جبريل عليه الصلاة والسلام وبأثره التراب الذى اخذه من حافر فرسه والتقدير من اثر حافر فرس الرسول ثم اختلفوا في انه متى رآه فقال الاكثرون انه رآه يوم فلق البحر وقيل ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامرى من بين الناس ولعله لم يسمه جبريل او روح القدس او نحوهما من الالفاظ الدالة عليه بخصوصه بناء على انه لم يعرف انه جبريل انما عرف بانه رسول روحاني فلاجرم يكون للتراب الذى اصابه حافر فرسه خاصة احياء ما لصق به فلذلك قال في جواب موسى قبضت قبضة من اثر فرس المرسل اليك حين حل ميقات الذهاب الى الطور والعامة على فتح القاف من قبضة وهي المرة من القبض فهي مصدر سمى به المقبوض على طريق تسمية المفعول بالمصدر وقرئ قبضة بضم القاف وهي اسم لما يقبض وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة وهو الاخذ باطراف الاصابع والاول بجميع الكف ونحوهما الخضم والقضم فان القضم الاكل باطراف الاسنان والخضم الاكل بجميع الفم (قوله وقيل انما عرفه) عطف على ماقبله من حيث المعنى فانه دل على انه انما عرفه بالامر العرضي الذى يعمه وغيره وهو انه رسول روحاني جاءه ليذهب به الى حيث امره الله تعالى روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان السامرى اختص رؤية جبريل ومعرفته من بين الناس بناء على انه رآه في صغره بسبب ان فرعون كان قد امر بذبح اولاد بني اسرآئيل فكانت المرأة تلد تطرح ولدها بحيث لا يشعر به آل فرعون فأخذ الملائكة الولدان

اى ماطلبك له اوما الذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه (قال بصرت بما لم يبصروا به) وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب اى علمت بما لم تعلموه فطنت لما لم تفطنوا له وهو أن الرسول الذى جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيأ الا احياه او رأيت مالم تروه وهو أن جبرآئيل جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان امه ألقته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبرآئيل

يغذوه حتى استقل (فقبضت قبضة من اثر الرسول) من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض
كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول الاخذ بجميع الكف والثاني الاخذ باطراف الاصابع

ويربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري ممن اخذه جبريل
وجعل كف نفسه في فيه فارتضع مثل العسل واللبن ولم يزل يختلف اليه وهو
يربيه فلذلك عرفه حين رآه راكب حيزوم وقد ارسله الله تعالى اليه ليربيه
لما قضى على يديه من الفتنة (قوله يغذوه حتى استقل) اي يربيه حتى
استغنى عن تربية الغير والغذاء ما يغتذى به من الطعام والشراب والوطئ موضع
القدم من وطئت الشئ برجلي (قوله ان تقول لامساس) اي لا يمس
بعضنا بعضا فكان بعد ذلك يعيش في البرية مع السباع والوحوش لا يمس
ولا يمس وان اتفق ان يمس احدا رجلا كان او امرأة حم الماس والممسوس فتحامى
الناس وتحاموه وصار في الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي
النافر في البرية فان من لزمه القتل في الحل فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له عند ابي
حنيفة الا انه لا يطعم ولا يسقى ولا يباع حتى يضطر الى الخروج فيقتل هنالك فاذا
اراد احد ان يمسه يصيح قائلا لامساس اي لا امس ولا امس خوفا من الحمى ثم قيل
المراد من المماسة المنفية المس الحقيقي وقيل ما يعم جميع انواع المعاملة من المكالمة
والمواكلة ونحوهما قرأ العامة لامساس بكسر الميم وفتح السين الاخيرة وهو
مصدر فاعل كالقتال مصدر قاتل وقرئ بفتح الميم وكسر السين وهو علم للمسة وهي
المرة الواحدة من المس كالفجار علم للفجرة فان فعال على اربعة اقسام اسم كنزال وصفة
للمؤنث كفساق بمعنى فاسقة وعلم الاعيان المؤنثة كقطام وعلم المصدر كفجار وعباب
واباب فانها اعلام للفجرة [illegible] ثم قال موسى عليه الصلاة والسلام للسامري
ان لك مع هذا النوع من عذاب الدنيا [illegible] موعدا لك في الآخرة لن تخلفه
بضم التاء وفتح اللام وهي قرآءة الجمهور اسند الفعل الى المفعول الاول وترك
الثاني على حاله اي لن يخلفك الله الوعد وينجزه لك على شركك وفسادك
وقرئ لن تخلفه بكسر اللام وذكر المصنف لها وجهين الاول ان لا يكون
الاخلاف على اصل معناه ويكون المفعول الاول محذوفا فكما ان الواعد
يجوز ان يخلف الوعد لمن وعده فكذا يجوز ان يخلف الموعود له الواعد
وعده بان لا يجيء اليه [illegible] منه بالهرب والفرار والثاني ان يكون همزة
اخلف للوجدان بمعنى لن تجده مخلفا [illegible]
وكسر اللام على اسناد الفعل الى الله تعالى وحذف المفعول الاول اي لن نخلفكه
فموسى انما يقول ذلك على حكاية قول الله تعالى عنده كما قال جبريل لاهب لك
(قوله ظلت على عبادته) اي امضيت نهارك انت واصحابك مقيمين على عبادته

ونحوهما الخضم والقضم
والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله
لم يسمه لانه لم يعرف انه
جبرائيل او اراد ان ينبه على
الوقت وهو حين ارسل
اليه ليذهب به الى الطور
(فنبذتها) في الحلي المذاب
او في جوف العجل حتى حيي
(وكذلك سولت لي نفسي)
زينته وحسنته لي (قال
فاذهب فان لك في الحياة)
عقوبة على ما فعلت (ان
تقول لامساس) خوفا من ان
يمسك احد فتأخذك الحمى
ومن يمسك فتتحامى الناس
ويحاموك وتكون طريدا
وحيدا كالوحشي النافر
وقرئ لامساس كفجار
وهو علم للمسة (وان لك
موعدا) في الآخرة (لن
تخلفه) لن يخلفكه الله
وينجزه لك في الآخرة بعد
ما عاقبك في الدنيا وقرأ ابن
كثير والبصريان بكسر
اللام اي لن تخلف الواعد
اياه وستأتيه لا محالة فحذف
المفعول الاول لان المقصود
هو الموعد ويجوز ان يكون
من اخلفت الموعد اذا
وجدته خلفا وقرئ بالنون
على حكاية قول الله (انظر

الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا) ظلت على عبادته مقيما فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على
نقل حركة اللام اليها (لنحرقنه) اي بالنار ويؤيده قرآءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد

ويعضده قرآءة لنحرقنه (ثم لننسفنه) ثم لنذرينه رمادا ومبرودا وقرئ بضم السين (في اليم نسفا) فلا يصادف منه بشئ
والمقصود من ذلك زيادة عقوبته وظهار غباوة المفتتنين به لمن له ﴿١٦٠﴾ ادنى نظر (انما الهكم) المستحق لعبادتكم

(الله الذي لا اله الا هو)
اذ لا احد يماثله او يدانيه
في كمال العلم والقدرة (وسع
كل شئ علما) وسع علمه
كل ما يصح ان يعلم لا العجل
الذي يصاغ ويحرق
وان كان حيا في نفسه كان
مثلا في الغباوة وقرئ وسع
فيكون انتصاب علما على
المفعولية لانه وان انتصب
على التميز في المشهورة
لكنه فاعل في المعنى فلما
عدى الفعل بالتضعيف
الى المفعولين صار مفعولا
(كذلك) مثل ذلك
الاقتصاص يعني اقتصاص
قصة موسى (نقص عليك
من انباء ما قد سبق) من
اخبار الامور الماضية
والامم السالفة تبصرة
لك زيادة في علمك وتكثيرا
لمعجزاتك وتنبيها وتذكرا
للمستبصرين من امتك
(وقد آتيناك من لدنا ذكرا)
كتابا مشتملا على هذه
الاقاصيص والاخبار
حقيقا بالتفكر والاعتبار
والتاء كيرفيه عظم قدره
ذكرا جميلا وصيتا عظيما
بين الناس (من اعرض
عنه) عن الذكر الذي

يقال طلت اعمل كذا اذا عملته بالنهار دون الليل قرأ العامة بحذف احدى
اللامين للتخفيف وابقاء الظاء مفتوحة على حالها وقوله لنحرقنه جواب قسم
محذوف اي والله لنحرقنه والعامة على ضم النون وكسر الرآء مشددة من حرقه
يحرقه بالتشديد بمعنى احرقه بالنار وشدد للكثرة والمبالغة او برده بالمبرد على
ان يكون من حرق الشئ يحرقه ويحرقه بضم الرآء وكسرها اذا برده بالمبرد
ويؤيد الاحتمال الاول قرآءة لنحرقنه بضم النون وسكون الحاء وكسر الرآء
من الاحراق ويعضد الثاني قرآءة لنحرقنه بفتح النون وكسر الرآء وضمها
حقيقة اي لنبردنه ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما فرغ من ابطال ما ذهب
اليه السامري عاد الى بيان الدين الحق فقال انما الهكم الله (قوله فلما عدى
الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا) اي صار ما هو فاعل في المعنى
مفعولا لان من شان التعدية ان يصير الفاعل مفعولا كما اذا قلت في خاف زيد عمرا
خوفت زيدا عمرا بتصيير الفاعل مفعولا وعلما في القرآءة المشهورة كان تمييزا
من نسبة وسع الى الضمير المستتر وهو في المعنى فاعل فصار مفعولا بنقل الفعل
الى باب التفعيل (قوله مثل ذلك الاقتصاص) اشارة الى ان محل الكاف
نصب على انه نعت للمصدر المحذوف (قوله من انباء) صفة للمحذوف
الذي هو مفعول نقص فالتقدير نقص عليك شيأ من انباء ما قد سبق قصا مثل
اقتصاص قصة موسى مع فرعون اولا ثم مع السامري ثانيا (قوله تبصرة لك
الخ) بيان لفائدة ذكر الاقاصيص في القرآن الكريم فان اشتماله على ما فيه
من الاقاصيص كما هي عليه من جملة وجوه كونه معجزا الى غير ذلك من الفوائد
(قوله كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص) اشارة الى ان القرآن يسمى ذكرا على
طريق تسمية الذات بالمصدر للمبالغة في اتصافه بها فان القرآن العظيم كما انه
معجز بنظمه الفائق معجز باشتماله على ذكر اقاصيص الاولين على الوجه المطابق
لما ذكر في الكتب الالهية المتقدمة مع انه عليه الصلاة والسلام ما سمعها
من احد ولا قرأها في كتاب وعلى ذكر جميع ما يحتاج اليه الناس من امور دينهم
ودنياهم وايضا سمي ذكرا لكونه حقيقا بالذكر والتذكر والايقاظ والتفكر
والاعتبار قال تعالى وهذا ذكر مبارك وقال يا ايها الذي نزل عليه الذكر ثم نقل
ان يكون المراد بالذكر الذكر الجميل والصيت الحسن وفي الصحاح الصيت الذكر
الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح يقال ذهب صيته في الناس قال تعالى
وانه لذكر لك ولقومك (قوله سماها وزرا) يعني استعير لها الحمل الثقيل وينقض

هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة فادحة (ظهره)
على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما

ظهره اى بثقله (قوله والجمع فيه) اى جمع ضمير خالدين وتوحيد ضميرا عرض مع انهما عبارتان عما عبر عنه بكلمة من لحمل الاول على معنى من والثاني على لفظه (قوله اى بئس لهم) يعني ان ساء هذه هي التي بمعنى بئس لا التي بمعنى احزن ومن شرط افعال المدح والذم ان يكون فاعلها معرفا باللام او مضافا الى المعرف به او مضمرا مفسرا بنكرة منصوبة وان يذكر بعد ذلك المخصوص وههنا لم يذكر فاعل ساء فلابد ان يكون مستترا فيه مميزا بقوله حملا فيكون المستتر فيه مميزا عبارة عن مميزه ولم يذكر المخصوص ايضا فوجب ان يكون محذوفا وتقديره ساء الحمل حملا وزرهم (قوله اشكل امر اللام) اذ لا يقال احزن لهم بل يقال احزنهم وقال ساء يسوؤه سوأ بالفتح نقيض سره واشكل ايضا نصب حملا كما في قولك احزن لهم الوزر حملا اذ لا وجه لكون حملا تمييز الوزر وغير التمييز لا وجه له ايضا قيل يمكن ان يقال اللام للبيان كما اذا كان ساء بمعنى بئس وحملا تمييز من النسبة والمعنى احزنهم حمل الوزر وثقله (قوله تعالى يوم ينفخ في الصور) بدل من يوم القيامة او بيان له او منصوب بتخافتون او باضمار اذكر قرأ الجمهور ينفخ بضم الياء وفتح الفاء على بناء المفعول والقائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور بعده وقرئ ننفخ بفتح نون العظمة على بناء الفاعل على طريق اسناد الفعل الى الآمر وهو الباري تعالى والعدول عن المباشر للنفخ وهو اسرافيل مجاز والنكتة في المجاز ما تعظيم الآمر بأن لا يجري في ملكه الا ما يشاء ولا يحدث حادث الا بامره وتكوينه او تعظيم النافخ بانه ملك مقرب مكرم عند الله بالغ في قربه منه تعالى ومكانته لديه الى حيث يصح ان يسند ما يصدر عنه من العمل الى ذاته تعالى قرأ الجمهور في الصور بسكون الواو وقيل انه قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للحشر وقيل انه جمع صورة والنفخ نفخ الروح فيه ويؤيده قراءة من قرأ الصور بفتح الواو والاول اولى لقوله تعالى فاذا نقر في الناقور والله تعالى يعرف الناس احوال الآخرة بامثال ما شاهدوه في الدنيا فان عادة الناس النفخ في البوق عند ارادة الاجتماع في الاسفار وفي العساكر والمراد من هذه النفخة هو النفخة الثانية لقوله بعد ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فانه يدل على ان النفخ في الصور يكون سببا لحشرهم فهو كقوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا (قوله اسود الكبد) كأنه لشدة عداوته احرق كبده والسبال جمع سبلة وهي الشارب و[illegible] حمرة يعلوها سواد وهي [illegible] [illegible] لخاصة الشعر يقال الرجل اصهب والمرأة صهباء ويقال زرقت عينه بالكسر زرقا وزرقة و[illegible] زرقا فيكون الزرقة من العيوب [illegible] [illegible] [illegible] ان [illegible] لزرق بمعنى زرق العين [illegible] محارا [illegible] [illegible] [illegible] زرقة [illegible]

حملا) اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى (يوم ينفخ في الصور) وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك (ونحشر المجرمين يومئذ) وقرئ ويحشر المجرمون (زرقا) زرق العين وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق العين ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزرق (يتخافتون بينهم) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

لكون صورتهم منكرة فاطلق الملزوم واريد اللازم فكأنه قيل نحشرهم على اقبح الصورة وان كان بمعنى العمى يكون كناية لان الزرقة من لوازم العمى (قوله اى فى الدنيا او فى القبر) يؤيد الاول قوله تعالى قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ويؤيد الثانى قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فان اللبث المضاف الى يوم البعث هو لبثهم فى القبور لا لبثهم فى الدنيا (قوله يستقصرون مدة لبثهم فيها) اى فى الدنيا فانهم عالمون بمقدار عمرهم فيها لكنهم قالوا ذلك استقلالا لمدة لبثهم فيها اما لزوالها ولأن الزائل وان طالت مدته قصير بالانتهاء والزوال واما لانهم لما قابلوا اعمارهم فى الدنيا بأعمار الآخرة وجدوها فى نهاية القلة وقال بعضهم ما لبثنا فى الدنيا الا عشرة ايام وقال اعدلهم ما لبثنا الا يوما واحدا اى قدر لبثنا فى الدنيا بالقياس الى لبثنا فى الآخرة كعشرة ايام او كاليوم الواحد بل كالعدم وانما خص العشرة والواحد بالذكر لان القليل فى امثال هذه المواضع لا يعبر عنه الا بالعشرة والواحد واما لانهم لما عاينوا الشدآئد تذكروا ايام النعمة والسرور وتأسفوا عليها ووصفوها بالقصر لان ايام السرور قصار قال الشاعر

تمتع بأيام السرور فانها ❊ قصار وايام الهموم طوال

(قوله اشد تقالا) اى استقلالا وهو تفاعل من تقال بمعنى استقل اى عد قليلا رجح الله تعالى قول من بالغ فى التقليل لانه انسب على الحكم المذكور ثم انه تعالى لما وصف امر يوم القيامة وبين عظم ما نال المجرمين من الحيرة التى تخافتوا بها بل هذا الجنس من المقال حكى سؤال من لا يؤمن بالحشر فقال ويسألونك عن الجبال روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فنزلت والنسف القلع ومنه نسف البعير النبت اذا اقتلعه بفيه من اصله والنسف ايضا التذرية ومنه قوله تعالى ثم لننسفنه فى اليم نسفا قال الخليل [illegible] دستأ اصلها ويطيرها كالقطن [illegible] الجبال [illegible] (قوله [illegible]) [illegible] قاعا [illegible] الاحساس [illegible] المدارك [illegible] ترى فيها عوجا [illegible] ثم لا يحصل بالمراجعة الى الحس وانما يحصل برأى المهندس [illegible] اقسامها [illegible] قوله لا ترى فيها عوجا العوج الذى لا يدرك [illegible] بالمعانى [illegible] بالكسر والا كان

و علموا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات او فى القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات (نحن اعلم بما يقولون) وهو مدة لبثهم (اذ يقول امثلهم طريقة) اعدلهم رأيا وعمرا (ان لبثتم الا يوما) استرجاح القول من يكون اشد تقالا منهم (ويسألونك عن الجبال) عن حالها امرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف (فقل ينسفها ربى نسفا) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها (فيذرها) فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ماترك على ظهرها من دابة (قاعا) خاليا (صفصفا) مستويا كأن اجزاءه على صف واحد (لا ترى فيها عوجا ولا امتا) عوجا [illegible] ان تأملت فيها بالقياس الهندسى [illegible] احوالا [illegible] باعتبار الاحساس [illegible] باعتبار القياس والادراك ذكر عوج بالكسر وهو يختص بالمعانى ولا امت

اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة (يتبعون الداعى) داعى الله الى المحشر وهو اسرافيل يدعوا الناس قائما على صخرة بيت المقدس يتبعونه ومن كل اوب الى صوبه (لاعوج له) لايعوج له مدعو ولا يعدل عنه (وخشعت الاصوات للرحمن) خفضت او سكتت (فلا تسمع الا همسا) صوتا خفيا منه الهمس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن) الا شفاعة من اذن له اى الاشفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اى الا من اذن فى ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع [illegible] وعلى الثانى منصوب على المفعولية ودل [illegible] ان يكون من الاذن او من اذن (ورضى له قولا) اى ورضى لمكانه عنده قوله فى الشفاعة ورضى لاجله قول الشافع [illegible] وقوله لاجله وفى شانه (يعلم ما بين ايديهم) ماتقدمهم من الاحوال (وما خلفهم) وما بعدهم [illegible]

الظاهر ان يقال عوجا بالفتح لان الارض من قبيل الاعيان وما فيها من الاعوجاج من الكيفيات المحسوسة فقوله لا ترى فيها عوجا بالكسر المبالغ فى وصف الارض بالاستواء بالنسبة الى ان يقال عوجا بالفتح وهذا التوجيه يخدشه قوله تعالى لا ترى فان الظاهر منه رؤية العين وهى لا تتعلق بالعوج بالكسر وجعلها من رؤية القلب لا يناسب عموم الخطاب لان كل احد لا يعلم الهندسة حتى يتأتى منه علم ذلك (قوله وهو النتوء) اى الارتفاع يقال فى تفسير الكعب هو العظم الناتئ (قوله على اضافة اليوم) ذكر لانتصاب قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعى وجهين الاول ان يكون ظرفا ليتبعون والتقدير يوم اذ نسفت الجبال يتبعون والثانى ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة من قوله تعالى وساء لهم يوم القيامة حملا البدل الاول يوم ينفخ والثانى يومئذ وحينئذ يكون العامل فيه ساء لانه هو العامل فى المبدل منه والتقدير ساء لهم حملا يوم اذ نسفت الجبال ولم يجعل بدلا من يوم ينفخ لان البدل لا يكون له بدل لانه يفضى الى ان يكون المبدل مقصودا وغير مقصود معا الا ان هذا الوجه لا يختار عن بعد للفصل الكثير ولان لزامه ان يكون يتبعون غير مرتبط بما قبله وقيل انه اوجه لمجئ قوله يومئذ لا تنفع الشفاعة بدلا ثانيا على الترقى اى ساء لهم حملا يوم اذ يتبعون الداعى وان قلت اضافة يوم الى اذ اضافة زمان الى زمان يلزم ان يكون للزمان زمان وانه محال اجيب بان المراد بالزمان المضاف المسمى وبالزمان المضاف اليه الاسم كما فى شهر رمضان ويوم الخميس وذات يوم وذات ليلة وذات اليمين وذات الشمال والظاهر انه من اضافة العام الى الخاص كما فى شجر الاراك (قوله يدعوا الناس قائما) فيقول يا ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون من كل اوب الى صوبه وصوبه [illegible] (قوله لايعوج له) اى لدعائه اى يستوون اليه من غير انحراف (قوله او من اعم المفاعيل) اى لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن فى ان يشفع فمن على هذا عبارة عن المشفوع وعلى الاول عن الشافع (قوله بخفق اقدامهم) او الضرب بها على الارض [illegible] الخفق صوت شيء عريض خفيف (قوله اى ورضى لمكانه) على تقدير ان يكون الاستثناء من الشفاعة فلام اذن له صلة اذن ولام رضى له للتعليل وقوله او رضى لاجله على تقدير ان يكون الاستثناء من اعم المفاعيل وان تكون اللام فى رضى له صلة رضى وعلى الثانى تكون [illegible] قولا والمعنى الا من اذن له الرحمن فى ان يشفع له ورضى قول الشافع لاجله وفى شانه (قوله ماتقدمهم من الاحوال) اى

(ولا يحيطون به علما) ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه (وعنت الوجوه للحي ﴿ ١٦٤ ﴾ القيوم) ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده (وقد خاب من حمل ظلما) وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم (ومن يعمل من الصالحات) بعض الطاعات (وهو مؤمن) لان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات (فلا يخاف ظلما) منع ثواب مستحق بالوعد (ولا هضما) ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي (وكذلك) عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد (انزلناه قرآنا عربيا) كله على هذا النمط (وصرفنا فيه من الوعيد) مكررين فيه آيات الوعيد (لعلهم يتقون) المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة (او يحدث لهم ذكرا) عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن (فتعالى الله) في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم (الملك) النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده

ما تقدم من احوال الذين يتبعون الداعي ولو فسر قوله ما بين ايديهم بما يستقبلونه من الاحوال وقوله وما خلفهم بما مضى منها لكان قريبا في الشائع (قوله ولا يحيط علمهم بمعلوماته) اشارة الى ان التمييز محول من الفاعلية وان قوله به فيه مضاف مقدر ليكون قوله ولا يحيطون به علما مقابلا لقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لانه اذا لم يقدر المضاف قيل المعنى ولا يحيطون بذاته لم يصح التقابل وقيل في اظهار التقابل من غير تقدير المضاف ان الضمير في به يرجع الى ما في ايديهم وما خلفهم بتقدير احدهما لا على التعيين او مجموعهما فيؤول المعنى الى ان الخلق لا يحيطون بمعلوم الله علما الا بما شاء * العناة جمع عان وهو الاسير ويسمى الاسير عانيا لخضوعه وذلته لمن هو في يده (قوله وظاهرها يقتضي العموم) وذلك لانه تعالى لما اجاب عن سؤال من قال كيف تكون الجبال يوم القيامة شرح احوال ذلك اليوم في حق عامة الخلائق فقال اولا يومئذ يتبعون وقال ثانيا وخشعت الاصوات للرحمن وقال ثالثا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن وقال رابعا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وقال خامسا وعنت الوجوه فالظاهر ان المراد ذوات المكلفين وانفسهم ذكر الوجوه واريد اصحاب الوجوه لان قوله عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه كما في قوله وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية وخص الوجوه بالذكر لان اثر الخضوع والذلة يظهر فيها ويتبين بها فالظاهر ان جملة قوله وقد خاب من حمل ظلما حال من الوجوه بحذف العائد اي من حمل ظلما منهم وان خص الوجوه بوجوه المجرمين تكون الجملة حالا منهم يكون قوله من حمل ظلما قائما مقام العائد لكونه عبارة عنهم وقوله ولا يخاف في موضع الجزم على انه موضع جواب الشرط والتقدير فهو لا يخاف والجملة اليأس من كل خير (قوله اي مثل ذلك الانزال) المشتمل على بيان الغيوب مما كان وما يكون انزلناه يعني الكتاب قرآنا عربيا بلسان العرب ولغتهم وصرفنا فيه من الوعيد من كل ما يلحق بالقرون الماضية وما يتبع الامم المكذبة الانبياء والكتب النازلة عليهم ليتقوا ويحذروا ما يوجب سخط الله تعالى (قوله مكررين فيه آيات الوعيد) يدل على انه جعل قوله وصرفنا فيه من الوعيد حالا وقيد الانزال وهذا لان كون انزال القرآن كله على ما ذكر فيه من الآيات متضمنا للوعيد انما هو باعتبار ان اكثر آيات الوعيد فيه لا مطلقا لان قوله لعلهم يتقون متعلق بالانزال المقيد بالتصريف لا مطلقا ولا بالتصريف كذلك ولا بد من التقييد (قوله ولهذه النكتة

النكتة) وهى كون المراد بالاتقاء الاستمرار على التقوى الحاصل قبل تكرير آيات الوعيد وهو جواب عما يقال لم اضيف الذكر الى القرآن ولم تضف التقوى اليه ومحصل الجواب انه لما كان المقصود ان يقال انزلناه كذلك ليستمر المتقون على تقواهم وان لم يوجد المتقى فلا اقل من ان يحدث لهم القرآن عظة واعتبارا حين يستمعونه وجب ان يضاف التقوى اليهم والاحداث الى القرآن المنزل حال تكرير آيات الوعيد فيه (قوله الحق فى ملكوته) اى الثابت فى مالكيته يستحق تلك المالكية لذاته وتذكير ضمير الملكوت لكونه مصدرا مقدرا بان مع الفعل (قوله نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى) روى انه عليه الصلاة والسلام كان يتعلم وبتدرج جبريل عليه الصلاة والسلام بالقراءة عند تبليغ القرآن خيفة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال لا تعجل بالقرآن (قوله ومساوقته) اى متابعته يقال فلان فى ساقة العسكر اى فى آخره وهو جمع سائق وهو يساوقه اى يتابعه وتساوقت الابل اى تتابعت والمساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا (قوله على سبيل الاستطراد) جعل النهى المذكور استطرادا لكونه اجنبيا بالنسبة الى ما سيق له الكلام فان الكلام مسوق لبيان ان اصلاح بنى آدم يتوقف على ذكره مرة بعد اخرى بتكرير آيات الوعيد وتجديد ما يدعوه الى اجابة الرب المجيد كما قال وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد الخ ولا شك ان النهى اجنبى بالنسبة الى هذا المقصود وذكر فى اثنائه لادنى ذكر شان القرآن الى تذكره ولم يجعله اعتراضا لانه ليس له فائدة ترجع الى تأكيد مضمون الكلام السابق واللاحق (قوله وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا) لم يرض به لما فيه من تقييد المطلق وهو القرآن فى قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن ولانه يأبى عنه قوله من قبل ان يقضى اليك وحيه (قوله تقدم الملك اليه) الراغب قدمت اليه بكذا امرته قبل وقت الحاجة الى الفعل اى قبل ان يدهمه الامر او النساس واوعزت عليه فى كذا اى قدمت وكذلك وعزت عليه توعيزا وقد يخفف فيقال وعزت عليه وعزا (قوله وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه) يعنى انه معطوف على الجملة التى قبلها على طريق عطف القصة على القصة والجملة الثانية وان كانت انشائية والاولى خبرية لكن الانشائية مستتبعة على ذيل وقصة فى حكم الخبرية فعطفت على الخبرية كما تعطف الخبرية على مثلها ووجه المناسبة بين القصتين انه تعالى بين بالجملة الاولى ان لانسان انما ينقطع عن المعاصى والمنكرات بتكرير آيات الوعيد وتجديد تهديدات حيث قال وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا ثم اردفه بقصة آدم كأنه قال ان طاعة بنى آدم للشيطان وتركهم التحفظ من وساوس الشيطان امر قديم فانا قد عهدنا الى آدم من قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم الوعيد وبالغنا

(الحق) فى ملكوته يستحقه لذاته او الثابت فى ذاته وصفاته (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه) نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى من جبريل ومساوقته فى القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتى بيانه (وقل رب زدنى علما) اى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحى اليك تناله لا محالة (ولقد عهدنا الى آدم) ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز عليه وعهد عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بنى آدم على العصيان وعزمهم راسخ فى النسيان (من قبل) من قبل هذا الزمن (فنسى) العهد

ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة (ولم نجد له عزما) تصميم رأى وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان فى بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو وزنت ۞ ١٦٦ ۞ احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود الذى بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) مقدر باذكر اى اذكر حاله فى ذلك الوقت ليتبين لك انه نسى ولم يكن من اولى العزيمة والثبات (فسجدوا الا ابليس) قد سبق فيه القول (أبى) جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما) فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما (من الجنة فتشقى) فرده باسناد الشقاء اليه (باضمار) بعد اشراكهما فى الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها او محافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب فى طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله

فى تنبيهه حيث قلنا له ان هذا عدو لك ولزوجك ثم انه مع ذلك نسى وترك ذلك العهد فظهر ان امر البشر فى ترك التحفظ امر قديم (قوله ولم يعن به) اى لم يهتم به ولم يعتد به الاعتداد الصادق يقال عنيت بحاجتك بضم اوله اعنى بها عناية قال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه اى يهمه (قوله تصميم رأى) معنى العزم فى اللغة توطين النفس على الفعل فالمعنى لم نجد له رأيا معزوما عليه حيث جرى على ما وسوس اليه ابليس اللعين الذى حسده وابى ان يسجد له وقيل لم نجد له حفظا لما امر به وقيل صبرا عما نهى عنه (قوله ويذوق شريها واريها) الشرى بفتح الشين وسكون الراء المهملة الحنظل والارى بفتح الهمزة وسكون الراء العسل اى لعله كان ما وقع منه من نسيان العهد وعدم الثبات على الامر قبل ان يذوق مر الامور وحلوها لا من نقصان عقله وقصور حلمه فانه ارجح الناس عقلا واوفرهم حلما لما روى من الحديث وقال الحسن كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده ثم قال تعالى ولم نجد له عزما ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام مع ذلك اثر فيه وسوسته فكيف فى غيره (قوله وعلى هذا لا يقدر له مفعول) لان قوله ابى السجود لا يصلح جوابا لقول من قال لم لم يسجد بخلاف ابى بمعنى انه فعل الاباء واظهره وانه من اهل الاباء عن طاعة المولى ولا فائدة فى افادة هذا الغرض لبيان تعلقه بمفعوله فلذلك نزل منزلة اللازم ثم انه تعالى اشار بقوله فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك الى علة اخرى لعصيانه وهو حسده الذى هو سبب عداوته لهما فان اللعين كان حسودا فلما رأى آثار نعم الله فى حق آدم حسده فصار عدوا له فكيف يقدم على ان يسجد له مع عداوته اياه وفيه اشارة الى ان كل من حسد احدا يكون عدوا له ويريد هلاكه ويسعى فى فساد حاله ثم لما كان المخرج من الجنة حقيقة هو الله تعالى كان قوله فلا يخرجنكما من الجنة من قبيل اسناد الفعل الى السبب فان اللعين بوسوسته يكون سببا لخروجهما من الجنة ثم ان ظاهر الآية وان كان نهى الشيطان عن ان يكون سببا لاخراجهما الا ان المراد نهيهما عن ان يكون فيهما ما يكون سببا لطمع الشيطان فى ان يغويهما ويسعى فيما يؤدى الى خروجهما من الجنة كأنه قيل كونا شديدى الشكيمة قويى العزيمة فى رعاية ما كلفتما به والاحتراز عما نهيتما عنه بحيث ييأس الشيطان خائبا من ان يطمع فى زلتكما ويقدم على اغوائكما قوله تعالى فتشقى منصوب

﴿ أن لك أن لاتجوع فيها ولاتعرى وانك لاتظمأ فيها ولاتضحى ﴾ فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية
واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى
ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق ﴿ ١٦٧ ﴾ سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه

باضمار ان في جواب النهي اي لاتباشرا اسباب الخروج فيحصل الشقاء وهو الكد
والتعب الدنيوي خاصة مثل الحرث والزرع والطحن والعجن والخبز ونحو ذلك
مما لايخلو الناس عنه في امر معيشتهم (قوله تعالى ان لك ان لاتجوع فيها)
لك خبر ان وان لاتجوع في محل النصب على انه اسم ان والتقدير ان لك عدم
الجوع والعري وهو تجرد الجلد عما يستره يقال عري يعرى عريا (قوله
ولاتضحى) اي وان لايصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس يقال ضحى
الرجل للشمس اذا برز وتعرض لها الجوهري ضحيت للشمس بالكسر ضحاء
بالمد اذا برزت لها وضحيت بالفتح مثله والمستقبل اضحى في اللغتين جميعا والكن
السترة الحائلة من الشمس والجمع اكنان قال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا
فبين تعالى لما ذكر ماله في الجنة من الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان
بذكر نقائضها كان ذكرها على هذا الوجه كأنه تفسير للشقاء المذكور في قوله فتشقى
(قوله والعاطف وان ناب عن ان) اي المكسورة جواب عما يقال ان المكسورة
لاتدخل على ان المفتوحة كراهة اجتماع الحرفين بمعنى واحد وهو التحقيق
وكراهة اجتماع عاملين يعملان عملا واحدا فلا يقال ان أن زيدا منطلق والواو نائبة
عن ان المكسورة وقائمة مقامها كما في قولك ان زيدا في الدار وعمرا فلم ادخلت
عليها في قوله تعالى وانك لاتظمأ فيها وتقرير الجواب ان الواو ليست موضوعة
للتحقيق حتى يجتمع حرفان بمعنى واحد بل المفتوحة مع مافي حيزها لما كانت
في تأويل المفرد جاز اجتماعها مع الواو النائبة عن العامل (قوله او عن المأمور به)
وهو التباعد عن الشجرة فانه مأمور به في ضمن قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة
والظاهر ان يقال فغوى وضل عن الانتهاء عما نهي عنه بقوله ولاتقربا الا ان النهي
عن الشيء لما تضمن الامر بضده عند الشافعية كان معنى قوله لاتقربا هذه
الشجرة ابعدا عنها قال او عن المأمور به قرأ الجمهور فغوى بفتح الواو بعدها
الف بمعنى ضل وقرئ بكسر الواو وفتح الياء بمعنى بشم (قوله وفي النعي
عليه بالعصيان) اي وفي تشهيره يقال نعى فلان على فلان ذنوبه اي اظهر
ذنوبه وشهره بها والعصيان ترك الامر وارتكاب المنهي عنه فان كان عمدا
يسمى ذنبا وان كان خطأ يسمى زلة والآية دالة على انه عليه الصلاة والسلام
صدر عنه عمد المعصية والمصنف سماها زلة بناء على انه عليه الصلاة والسلام

من حيث انه عامل لامن
حيث انه حرف تحقيق
فلا يمتنع دخوله على
ان امتناع دخول ان عليه
وقرأ نافع وابو بكر وانك
لاتظمأ بكسر الهمزة
والباقون بفتحها
(فوسوس اليه الشيطان)
فانهى اليه وسوسته (قال
يا آدم هل ادلك على شجرة
الخلد) الشجرة التي
من اكل منها خلد ولم يمت
اصلا فاضافها الى الخلد
وهو الخلود لانه سببه
بزعمه (وملك لايبلى)
لايزول ولا يضعف
(فأكلا منها فبدت لهما
سوءاتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة)
اخذا يلزقان الورق على
سوءاتهما للتستر وهو ورق
التين (وعصى آدم ربه)
باكل الشجرة (فغوى)
فضل عن المطلوب وخاب
حيث طلب الخلد باكل
الخلد باكل الشجرة
او عن المأمور به
او عن الرشد حيث
اغتر بقول العدو وقرئ
فغوى من غوي الفصيل

اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها (ثم اجتباه ربه) اصطفاه
وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع (فتاب
عليه) فقبل توبته لما تاب (وهدى) الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة (قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم

وحوآء اوله ولابليس ولما كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال (بعضكم لبعض عدو) لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب اولاختلال حال كل من النوعين بواسطة الاخر و يؤيد الاول قوله (فاما يأتينكم مني هدى) كتاب ورسول (فمن اتبع هداى فلا يضل) في الدنيا (ولا يشقى) في الاخرة (ومن اعرض عن ذكرى) عن الهدى الذاكرلي والداعي الى عبادتي (فان له معيشة ضنكا) ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر (ونحشره) قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطف على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط (يوم القيامة اعمى) اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول (قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا) وقد امالهما حمزة والكسائي لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول رأس الاية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير (قال كذلك) (لانه)

انما ترك الانتهاء عن اكل الشجرة اجتهادا لا بان تعمد المعصية ووجه الاجتهاد انه عليه الصلاة والسلام حمل النهي على التنزيه دون التحريم او حمل قوله تعالى هذه الشجرة على شجرة بعينها دون جنسها ومع ذلك الظاهر ان هذه الواقعة انما كانت قبل نبوته عليه الصلاة والسلام ثم اجتباه ربه اى اختاره واصطفاه وتاب عليه بالعفو عنه وهداه الى التوبة حين قال ربنا ظلمنا انفسنا روى عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود عليه الصلاة والسلام لكان بكاؤه اكثر ولو جمع ذلك الى بكاء نوح عليه الصلاة والسلام لكان بكاء نوح اكثر وانما سمي نوحا لنوحه على نفسه ولو جمع ذلك كله الى بكاء آدم عليه الصلاة والسلام على خطيئته لكان بكاء آدم اكثر قال وهب انه لما كثر بكاؤه امره الله تعالى بان يقول لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفرلي انك خير الغافرين فقالها آدم ثم قال قل لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني وانت ارحم الراحمين فقالها آدم ثم قال له قل سبحانك لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم قال ابن عباس هن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه (قوله ولما كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم) جواب عما قال خطاب اهبطا للمثنى وهما آدم وحواء او آدم وابليس وما بعده من الخطاب للجمع فكيف جاز ان يخاطب شخصان بما يخاطب به الجماعة وتقرير الجواب انهما وان كانا شخصين معينين في انفسهما الا انهما لما كانا اصلي ما تفرع منهما من الذرية جعلا بمنزلة الجماعة فخوطبا بما يخاطب به الجماعة فقال بعضكم لبعض عدو فان ذرية آدم وحواء يتعادون لامر المعاش وكذا ذرية آدم وابليس يتعادون لاختلال حال كل واحد من نوعي البشر والشياطين بواسطة الاخر فان نوع البشر اخرجوا من النعيم المقيم بسبب وسوسة ابليس وان ابليس طرد من بين المقدسين ومقام العليين بسبب ابائه عن السجود لآدم وهذا معنى اختلال كل من النوعين بواسطة الآخر (قوله ويؤيد الاول) وهو ان يكون الخطاب لآدم وحواء لا له وابليس ووجه التأييد ان خطاب يأتينكم لا يدخل فيه ابليس وذريته لانهم آيسون من رحمة الله وملعونون الى يوم القيامة (قوله مصدر وصف به) مبالغة او بتقدير ذات ضنك يقال ضنك عيشه يضنك ضناكة وضنكا من باب نصر ينصر وخلاصة المعنى ان من اتبع كتاب الله تعالى ومواعظ رسوله هداه الله تعالى فلا يضل في امر دينه مادام حيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب ومن اعرض عنه ضاق عيشه في الدنيا

لانه لايجد الخلف والانفاق فى الدنيا ولا المثوبة فى العقبى فلاجرم يضيق الانفاق ويلازم الشح فيكون محروما من الخلف فى الدنيا والمثوبة فى الآخرة بخلاف من اتبع الهدى فانه يتسع قلبه فى ذلك لرجاء الخلف والاجر وتطيب نفسه بالقناعة التى هى كنز لا يفنى فيكون فى سعة الدنيا والآخرة فيكون المراد بضيق معيشة المعرض ضيق قلبه فى شان اعراض الدنيا وان كثر مافى يده منها مع انه يضيق على الكافر ويوسع على المؤمن قال الله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء وقيل المراد بالمعيشة الضنك عذاب الآخرة فى جهنم فان طعام اهلها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون وقيل المراد بها عذاب القبر روى عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين ذراعا وينور له قبره كالقمر ليلة البدر ثم قال أتدرون فيم انزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا وأتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر فى قبره والذى نفسى بيده انه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ينفخون فى جسده ويلدغونه ويلسعونه ويخدشونه الى يوم القيامة قرآءة العامة ونحشره بالنون ورفع الفعل على الاستئناف تخفيفا وقوله اعمى منصوب على الحال والظاهر ان المراد بالعمى عمى البصر كما فى قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى وقيل المعنى نحشره اعمى عن الحجة بمعنى انه لا حجة له يهتدى بها الى ما كان عليه من الضلالة قال الفرآء انه يبعث بصيرا ثم يعمى اذا حشر الى جهنم وقيل يكون ذلك بعد ما حوسب وقرأ الكتاب (قوله اى مثل ذلك فعلت) على ان الكاف فى محل النصب على انه مفعول به اى مثل ذلك الفعل الذى فعلنا بك فعلت انت بنفسك (قوله من ضنك العيش) ان كان المراد بالمفضل الحشر على العمى الذى لا يزول ابدا يكون المفضل عليه ضنك العيش فانه يزول وينقضى وان كان المراد بالمفضل عذاب النار يكون المفضل عليه ضنك العيش والحشر على العمى جميعا فان عذاب النار اشد من كل واحد منهما اما من ضنك العيش فظاهر واما من العمى فلقوله ولعله اذا دخل النار زال عماه ويحتمل ان يكون المعنى وتركنا اياه فى العمى او فى عذاب النار اشد وابقى من تركه لآياتنا ثم انه تعالى لما بين ان من اعرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة اتبعه بما يعتبر به المكلف من الاحوال الواقعة فى الدنيا ممن كذب الرسل فقال افلم يهد لهم اى افلم يتبين لهم وان كان قوله يهد مسندا الى ضمير الله تعالى او ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام يكون كم اهلكنا سادا مسد مفعوليه لان كم

اى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال (أتتك آياتنا) واضحة نيرة (فنسيتها) فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها (وكذلك) ومثل تركك اياها (اليوم تنسى) تترك فى العمى والعذاب (وكذلك نجزى من اسرف) بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها وخالفها (ولعذاب الآخرة) وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اى والنار بعد ذلك (اشد وابقى) من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها (أفلم يهد لهم) مسند الى الله او الرسول

الاستفهامية معلقة له فلا يعمل فيها والتعليق وان كان من خصائص افعال القلوب ومعنى الهداية ليس منها الا انه جار مجرى اعلمت لان الهداية وهي الدلالة على ما يوصل الى المطلوب فيها معنى الاعلام والتبيين ومعنى الاستفهام فيه التقرير اى بين الله تعالى لكفار مكة كثرة اهلاكه القرون للاعتبار او بين الرسول كثرة اهلاكنا ولو اعملت معنى الهداية واظهرت مفاعيله الثلاثة لقلت افلم يعلمهم كثيرا من القرون مهلكا (قوله او ما دل عليه كم اهلكنا) قال ابو البقاء ويحتمل ان يكون الفاعل ما دل عليه اهلكنا اى اهلاكنا والجملة مفسرة له انتهى فيكون مفعوله محذوفا . المعنى فلم يبين لهم اهلاكنا القرون المكذبين طريق الاعتبار والايقاظ ولا يكون كم في كم اهلكنا فاعلا ولا مفعولا لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله بل هو منصوب باهلكنا وهو مفعول مقدم اى وكثيرا من القرون اهلكنا (قوله او الجملة بمضمونها) اى ويحتمل ان يكون فاعله هذا الكلام الذى بعده وهو كم اهلكنا الخ بناء على ان المراد لفظه الدال على معناه كما اريد بآمنوا في قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا اللفظ الدال على معناه لا مجرد لفظه بل باعتبار دلالته على معناه وهو كثرة ما هلك من القرون جعله هاديا لهم كما جعل واعظا وزاجرا ويمشون في موضع الحال من الضمير في لهم والضمير فيه لكفار مكة والمعنى انهم يمشون في مساكن الهالكين من القرون المكذبين في متاجرهم الى الشام ذاهبين وراجعين ويشاهدون كون منازلهم خرابا بلقعا فينبغي ان يعتبروا بهم ويحترزوا من امر اداهم الى العذاب لاستئصال لئلا يحل بهم ما حل بهؤلاء وقرئ يمشون بالتشديد للكثرة ما مشوا في مساكنهم (قوله تعالى ان في ذلك) اى في اهلاكهم بسبب كفرهم بالانبياء (قوله لكان مثل ما نزل بعاد) يريد ان اسم كان في قوله لكان لزاما ضمير راجع الى الاهلاك المدلول عليه بقوله اهلكنا على حذف المضاف اى لكان مثل اهلاكنا اياهم لازما لهؤلاء الكفرة اما على ان لزاما مصدر لازم وصف به او اسم آلة على انه فعال بمعنى مفعل سمى به اللازم تشبيها له بآلة اللزوم لفرط للزومه فان اللازم لا ينفك عن الملزوم كما ان الآلة لا تنفك عما عملت آلة له وكون فعال بمعنى مفعل واطلاقه على الفاعل مثل قولهم فلان لزاز خصم اى ملح شديد الخصومة يقال لزه لزا اذا لزمه ولاصقه ورجل ملز اى شديد الخصومة لزوم لمطالبه ولازم له لاصق به (قوله عطف على كلمة) فيكون الكلام على التقديم والتأخير كما اشار اليه بقوله ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لكان العذاب لزاما ثم بين نكتة الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بتقديم جواب لولا عليه والفصل للدلالة الخ ثم انه لا شك في ان الكلمة اخبار الله تعالى ملائكته وكتبه في اللوح المحفوظ ان امه

اوما دل عليه (كم اهلكنا قبلهم من القرون) اى اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاول اين معلق بجرى مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون (يمشون في مساكنهم) ويشاهدون آثار هلاكهم (ان في ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة (لكان لزاما) لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم (واجل مسمى) عطف على كلمة اى ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب

ويجـوز عطفه عـلى المستكن فى كان اى لكان الاخذ العـاجل واجل مسمى لازمين لهم (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك) وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ... حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها (قبل طلوع الشمس) يعنى الفجر (وقبل غروبها) يعنى الظهر والعصر لانهما من آخر النهار او العصر وحده (ومن آناء الليل) ومن ساعاته ... (فسبح) يعنى المغرب والعشاء ... فيه زمان الليل فيه ... الى الاستراحة ... العادة ... قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا (واطراف النهار) تكرير لصلاتى الصبح والمغرب ...

محمد وان كذبوا فسيؤخرون ولايفعل بهم مايفعل بغيرهم من الاستيصال واختلفوا فيما لاجله لم يفعل ذلك بامة محمد عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لانه علم ان فيهم من يؤمن وقال آخرون علم ان فى نسلهم من يؤمن ولو نزل بهم العذاب لعمهم الهلاك وقال آخرون المصلحة فيه خفية لايعلمها الا الله تعالى وقال اهل السنة له تعالى بحكم المالكية ان يخص من يشاء بفضله ومن يشاء بقهره وعدله من غير لمية تقتضى ذلك (قوله ويجوز عطفه) اى عطف قوله واجل مسمى على الضمير المستتر فى كان العائد على الاخذ العاجل المدلول عليه بالسياق فيكون الفصل بالخبر للاهتمام ببيان لزوم الاخذ العاجل لانتفاء المدة وتأخير العذاب عن هذه الامة والمعنى ولولا عدة سبقت من ربك بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لمذنبهم لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود واضرابهما ولم يفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل الا ان هذا الاحتمال انما يكون على تقدير كون قوله لزاما مصدرا وصف به لان المصدر لايثنى ولايجمع بل يفرد على كل حال بخلاف ما اذا كان اسم آلة بمعنى ملزم فانه حينئذ كان ينبغى ان يطابق فى التثنية فيقال لزامين ... ويجوز ... ان يكون لزاما جمع لازم كقيام جمع قائم ثم انه تعالى لما اخبر نبيه عليه الصلاة والسلام بانه لايهلك احدا ولا استيصالهم قبل مجىء اجله امره بالصبر على مايقولون مما يحصل له ... مثل تكذيبهم اياه فيما يدعوهم اليه من النبوة فقال فاصبر على ما يقولون اى على ... وتسبيحهم مما يؤدى الى ان يحكم الله فيهم وهذه الآية منسوخة بآية القتال ثم امره بالتسبيح عقب امره بالصبر لان التسبيح سواء كان بمعنى التنزيه والاجلال او بمعنى الصلاة بطريق اطلاق الجزء على الكل من قبيل ذكر الله تعالى بعد الصلوة والراحة ... جميع ما يصاب من الهموم والاحزان ألا بذكر الله تطمئن القلوب (قوله معترفا بانه مولى النعم كلها) الاعتراف به مستفاد من لفظ الحمد لان الحمد ... اصطلاحى انما يكون فى مقابلة النعم ... عموم النعم كلها مستفاد من اطلاق الحمد حيث لم يقيد بكونه فى مقابلة شئ من النعم (قوله ومن ساعاته) اى فسبح بعض ساعاته والآناء جمع انى بالكسر وقيل جمع أنى كرحى وقال ابن أبى ... (قوله وانما قدم زمان الليل) اى الزمان الذى هو الليل يعنى قدم قوله ومن آناء الليل على عامله واخر عنه قوله قبل طلوع الشمس وقبل غروبها اهتماما بشأن الليل حيث ان ... بالليل ... افضل مما كان بالنهار لان اشتغال الداعية لكنه يقل الخواطر فى الليل ... ما وقع فيه من ... العصر ... وموجب القلب اللسان فيكون ... فى ... الاجر ... النفس

وبجيئه بلفظ الجمع لامن الالتباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين اوامر بصلاة الظهر فانها نهاية

النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخر وجمعه باعتبار النصفين اولان النهار جنس اوبالتطوع فى اجزاء النهار (لعلك ترضى) متعلق بسبح اى سبح فى هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله مابه ترضى نفسك وقرأ الكسائى وابو بكر بالبناء للمفعول اى يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) اى نظر عينيك (الى ما متعنا به) استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله (ازواجا منهم) اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم اى الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم اوناسا منهم (زهرة الحياة الدنيا) منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به اومن ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهى لغة كالجهرة فى الجهرة اوجمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ماعليه المؤمنون الزهاد (لنفتنهم فيه) لنبلوهم ونختبرهم فيه

فيه اميل الى الاستراحة وان العبادة الناشئة اى الحادثة فى الليل اشدوطئا اى كلفة اوثبات قدم واقوم قيلا اى اشد قراءة لانتفاء الشواغل (قوله وبجيئه بلفظ الجمع) جواب عما يقال النهار له طرفان فكيف قيل واطراف النهار والظاهر اراد لفظ التثنية كما قال واقم الصلاة طرفى النهار وتقرير الجواب انه ذكر لفظ الجمع فى موضع ذكر لفظ التثنية لعدم التباس المراد فانه لايلتبس على احد ان النهار له طرفا لاغير وذكر لفظ التثنية فى آية اخرى للتنصيص على المراد وزيادة البيان كما عبر الشاعر عن الامرين تارة بلفظ التثنية واخرى بلفظ الجمع فى قوله

* ظهراهما مثل ظهور الترسين * لذلك وقبله ومهمهين قذفين مرتين *

* وبعده جبتهما بالنعت لابالنعتين * المهمه المفازة البعيدة والقذف الارض المستوية والمرت بسكون الراء المفازة التى لانبات بها ولاماء وجبتهما اى قطعتهما ولم يتعانى الامرة واحدة بنعت واحد لابنعتين ليتميز كل واحد من المهمهين من الآخر يصف الشاعر نفسه بالفطانة والخبرة فى سلوك المفاوز وبالجرأة والاقدام على المهالك وانما قال ظهور الترسين كراهة الجمع بين التثنيتين احداهما فى المضاف وثانيتهما فى المضاف اليه كقوله تعالى فقد صغت قلوبكما (قوله اوامر بصلاة الظهر) عطف على قوله تعالى تكرير لصلاتى الصبح والمغرب فان قوله واطراف النهار منصوب بالعطف على محل قوله ومن آناء الليل كانه قيل وسبح اطراف النهار التى هى مابعد الزوال وماقبله وعبر بلفظ اطراف باعتبار انه ذو حظ من طرفى النهار ولابد مع هذا الاعتبار من الذهاب الى قول من قال اقل الجمع اثنان (قوله فانها نهاية النصف الاول) اى فانها تصلى عند الزوال الذى هو نهاية النصف الاول الخ (قوله اولان النهار جنس) يتناول كل فرد من افراد النهار فلما كانت صلاة الظهر تتكرر فى كل نهار جمع وفقه لتعدد النهر التى اضيف هو اليها لالتعدده فى نفسه (قوله اوبالتطوع فى اجزاء النهار) عطف على قوله بصلاة الظهر فى قوله اوامر بصلاة الظهر فقوله تعالى واطراف النهار فيه ثلاثة اوجه (قوله اى نظر عينيك) ومد النظر تطويله وان لايكاد يرده استحسانا للمنظور وتمنيا ان يكون له مثله وفيه دليل على ان النظر الغير الممدود معفو عنه لانه لا يمكن الاحتراز عنه ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز فى الطباع وان من ابصر منها شيأ احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل له عليه السلام ولا تمدن عينيك اى لا تفعل ما عليه جبلت البشر ولقد شدد المتقون فى وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة واختيال الفسقة فى اللباس والمركب وغير ذلك لانهم اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظار فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها روى عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله

او لنعذبهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) وما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة (خير) مما منحهم في الدنيا (وابقى) فانه لا ينقطع (وامر اهلك بالصلاة) امر بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلاة بعد ما امر بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة (واصطبر عليها) وداوم عليها (لا نسألك رزقا) ان ترزق نفسك ولا اهلك (نحن نرزقك) واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة (والعاقبة) المحمودة (للتقوى) لذوي التقوى روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وانفعها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال (اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى) من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها قرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف

يقول لك يعني كذا وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب فابيته فقلت له ذلك فقال لا والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لو باعني او اسلفني لقضيته واني لامين في السماء وامين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الآية تسلية له عن الدنيا قال ابو الدرداء الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا حمق الناس لخربت الدنيا وعن عيسى بن مريم لا تتخذوا الدنيا دارا فتتخذكم عبيدا او ازواجا منصوب على انه مفعول متعنا او على انه حال من الهاء به روعي لفظ ما مرة فافرد الراجع اليها ومعناها اخرى فجمع ما كانت عبارة عنه ومنهم مفعول متعنا على ان من فيه للتبعيض اي بعضهم اوناسا منهم وذكر لانتصاب زهرة ستة اوجه الاول ان يكون منصوبا بفعل مضمر دل عليه متعنا تقديره جعلنا لهم زهرة والثاني ان يكون مفعولا ثانيا لمتعنا على تضمينه معنى اعطينا وازواجا مفعوله الاول وزهرة هو الثاني والثالث ان ينتصب على انه بدل من محل به والرابع والخامس ان يكون بدلا من ازواجا على حذف المضاف اي ذوي زهرة اومن غير حذفه بان يجعل اصناف الكفرة نفس الزهرة على المبالغة والسادس ان يكون منصوبا على الذم وهو النصب على الاختصاص بتقدير اعني والمذموم الموصول او ضميره ذمه لكونه زينة الدنيا لا الآخرة وعلى تقدير ان تكون زهرة بفتح الهاء جمع زاهر كفاجر وفجرة وبار وبررة تكون صفة ازواجا اي اصنافا زاهري الدنيا اي مشرقي الوجوه متلألئي الالوان والهيئات يقال زهرت النار زهورا اي اضاءت وازهرتها انا والازهر النير ورجل ازهر اي نير ابيض مشرق الوجه والمرأة زهراء وصف المتمتعون بانهم زاهروا هذه الحياة الدنيا لصفاء الوانهم وتهلل وجوههم بخلاف ما عليه الصلحاء من تغير الالوان والتبلغ بالقوت والاكتفاء بالمرقعات من الثياب (قوله او لنعذبهم) يؤيده قوله تعالى ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا (قوله على خصاصتهم) قال في النهاية الخصاصة الجوع والضعف واصلها الفقر والحاجة الى الشيء (قوله انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به

(ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن (لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل) ﴿١٧٤﴾ بالقتل والسبي في الدنيا (ونخزى) بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما (قل كل) اى كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم (فتربصوا) وقرئ فتمتعوا (فستعلمون من اصحاب الصراط السوى) المستقيم وقرئ السواء اى الوسط الجيد والسوء اى الشر والسوى وهو تصغيره (ومن اهتدى) من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي عليه الصلاة والسلام وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ طه اعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار

(سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اقترب للناس حسابهم) بالاضافة الى مامضى اوعند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن (بالاقتراب) يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون اولان كل ماهو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى

تعنتا) يعنى ان قول الكفار هلا يأتينا محمد عليه الصلاة والسلام بآية يجوز ان يكون طلبا لآية تدل على صدقه أية كانت انكارا لما جاء به مما يدل عليه وان يكون طلبا لآية مقترحة مثل العصا والناقة مع اعتدادهم بما جاء به تعنتا وعنادا ويحتمل ان يكون قوله تعالى فاصبر على مايقولون توطئة لحكاية هذه المقالة من الكفرة ويكون المراد بما يقولون مقالتهم هذه قرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بتأنيث الفعل لتأنيث فاعله والباقون بالياء من تحت لكون التأنيث غير حقيقى وقرأ العامة بينة ما باضافة بينة الى ما مرفوعة وهى واضحة وقرئ بتنوين بينة مرفوعة فعلى هذه القرآءة تكون ما بدلا من بينة بدل كل من كل او خبر مبتدأ محذوف اى هى ما فى الصحف الاولى كالتوراة والانجيل من البشارة بنبينا محمد بارساله نبيا عربيا موصوفا بما فيه من النعوت الكريمة (قوله تعالى ولو أنا اهلكناهم بعذاب الآية) بيان انه لاعذر لهم فى ترك الشرائع وسلوك طريق الضلال بوجه ما ثم انه تعالى ختم السورة بضرب من الوعيد ونوع من الزجر والتهديد فقال قل كل متربص الآية قرأ العامة السوى على وزن فعيل بمعنى الدين المستوى المستقيم وقرئ السواء بفتح السين والمد بمعنى الوسط الجيد وقرئ السوءى نقيض الحسنى لان الصراط لكونه بمعنى السبيل يجوز تأنيثه وقرئ الصراط السوء بفتح السين وسكون الواو بمعنى الشر وقرئ السوى بضم السين وفتح الواو تشديد الياء تصغير سوء والمعنى على القراءآت الثلاث الاخيرة فستعلمون من اصحاب الطريق المعوج والدين الباطر (قوله ومحلها الرفع على الابتداء) وما بعدها الخبر والجملة فى محل النصب سادة مسد المفعولين ومن لما كانت استفهامية بمعنى اينا لم يعمل فيها فستعلمون (قوله على ان العلم بمعنى المعرفة) اذ لوكان على بابه لاحتيج الى تقدير مفعول ثان لعدم جواز الاقتصار على احد مفعوليه وعلى تقدير ان تكون من الثانية موصولة تكون فى حيز مفعول فستعلمون على معنى فستعلمون الذى اهتدى او فى حيز خبر من الاستفهامية على معنى اينا اصحاب الصراط السوى والذى اهتدى او فى حيز المجرور باضافة اصحاب اليه على معنى اينا اصحاب الصراط السوى واصحاب الذى اهتدى على ان المراد بالذى اهتدى النبى عليه الصلاة والسلام

(سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله بالاضافة الى مامضى) جواب عما يقال كيف وصف وقت الحساب

بالاقتراب مع انه قد مضى من بعد نزول هذا القول اكثر من تسعمائة سنة يقال قرب الشئ واقترب اذا دنا والحساب بمعنى المحاسبة وهو اظهار ما للعبد و ما عليه ليجازى على ذلك فقيل المراد به وقت حسابهم و هو يوم القيامة كما قال اقتربت الساعة فسمى يوم القيامة بيوم الحساب تسمية للزمان بأعظم ماوقع فيه واشده وقعا فى القلوب فان الحساب هو الكاشف عن حال المرء وفى تسميته به تخويف عظيم للمكلفين (قوله واللام صلة لاقترب) الفرق بين كونها صلة وكونها تأكيدا للاضافة ان اللام الجارة اذا كانت صلة لاقترب كان المقترب له اى المدنو منه مذكورا و كان المعنى دنا من الناس حسابهم واذا كانت تأكيد الاضافة لم يكن المقترب له اى المدنو منه مذكورا للعلم به فيصير المعنى كما قيل اقترب حساب الناس اى الحساب الذى للناس فلما كانت اللام لتأكيد الاختصاص المستفاد من الاضافة كان اصل المعنى اقترب حساب الناس لان المقصود بيان دنو وقت حسابهم و هو يحصل من هذا التركيب ثم قدم المضاف اليه وادخل عليه اللام الجارة المفيدة لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بالاضافة وعرف الحساب تعريف الجنس فصار اقترب للناس الحساب على ان للناس ظرف مستقر قدم على الحساب لكون العناية مصروفة الى ذكر المقترب له و بيان ان الحساب لهم لا لغيرهم و فى التقديم والتصريح باللام وتعريف الحساب مبالغات ليست فى قولك اقترب حساب الناس ثم حذف لام التعريف من الحساب واضيف الى ضمير الناس تأكيدا لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بلام الاختصاص فان قيل اذا كان اقترب للناس مقدما فى الاعتبار على ان يقال اقترب للناس حسابهم لم يكن اللام تأكيدا للاضافة بل يكون الامر بالعكس فالجواب انه اذا كان احدهما تأكيدا للآخر كان كل واحد منهما مؤكدا بالآخر فصح جعل اللام تأكيدا للاضافة ومعنى التأكيد ان كل واحدة من اللام الجارة والاضافة مغنية عن الاخرى فاذا جمع بينهما كانت احداهما تأكيدا للاخرى (قوله معرضون عن التفكر فيه) فان العقول السليمة حاكمة بانه لابد من الحساب والجزاء والا لزم التسوية بين المطيع والعاصى والمتقين والفجار وهى بعيدة عن مقتضى الحكمة والعدالة (قوله محدث تنزيله) يعنى ان المراد بالذكر كلام الله تعالى الذى يذكرهم مالهم وما عليهم وهو صفة ازلية قديمة الا انه تعالى انزله بالتفاريق واحدث تنزيله فى كل وقت على حسب المصالح وقدر الحاجة فذات المنزل ازلى قديم والمحدث انما هو تنزيله فظهر الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان القرآن محدث قائلين ان القرآن ذكر لقوله تعالى فى صفة القرآن ان هو الا ذكر للعالمين والذكر محدث بهذه الآية فالقرآن محدث واجيب عنه ايضا بان الموصوف بالاتيان و بانه ذكر هو المركب

والللام صلة لاقترب او تأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله (وهم فى غفلة معرضون) اى فى غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن فى معرضون (ما يأتيهم من ذكر) ينبههم من سنة الغفلة والجهالة (من ربهم) صفة لذكر او صلة يأتيهم (محدث) تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كى يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزئون به ويسخرون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكر فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك

(لاهية قلوبهم) اى استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير (وأسروا النجوى) بالغوا ﴿١٧٦﴾ في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها (الذين ظلموا) بدل من واو وأسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به اوفاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وانتم تبصرون) بأسره في موضع النصب بدلا من النجوى او [illegible] كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا [illegible] من الخوارق [illegible] سحر [illegible] حضوره [illegible] السحر [illegible] في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده [illegible] (قل ربي يعلم القول) [illegible] جهرا كان او سرا [illegible] عما أسروا به [illegible] السمع [illegible] واثبات [illegible] الاشارة [illegible]

قوله (وأسروا النجوى في السماء [illegible]) ولا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون (بل قالوا أضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر)

من الحروف والاصوات وحدوثه مما لا نزاع فيه وانما النزاع في قدم كلام الله تعالى عز وجل بمعنى آخر فقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر الآية بيان لكونهم معرضين وذلك لان الله تعالى يجدد لهم الذكر كل وقت ويظهر لهم الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم الموعظة ليتعظوا فما يزيدهم ذلك الا استكبارا قرأ العامة محدث بالجر على انه صفة الذكر محمول على اللفظ وقرئ مرفوعا حملا على محله لان من مزيدة فيه كما في ما جاءني من احد (قوله لاهية قلوبهم) اى متشاغلة عن التأمل فيه من لهيت عن الشئ الهى لهيا ولهيانا بالضم من باب علم اذا غفلت عنه فقدم ذكر اللعب على اللهو كما في قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو تنبيها على ان اشتغالهم باللعب الذي معناه السخرية والاستهزاء معلل باللهو الذي معناه الذهول والغفلة فانهم انما اقدموا على اللعب لذهولهم عن الحق (قوله اى استمعوه جامعين) على تقدير ان يكونا حالين مترادفين من [illegible] استمعوه وان كان لاهية حالا من واو يلعبون يكون من قبيل الا[illegible] المتداخلة [illegible] (قوله بالغوا في اخفائها)

جواب عما [illegible] فانه يقتضي [illegible] قوله [illegible] وأسروا النجوى [illegible] باخفائها [illegible] جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم [illegible] (قوله بدل من واو أسروا) [illegible] المذكورة [illegible] المقصود [illegible] الذين ظلموا من اوا الاسلام [illegible] الذين ظلموا [illegible] الابدال وان كان الذين ظلموا [illegible] يكون [illegible] على ان الفاعل جمع [illegible] على [illegible] (قوله [illegible] اسروا به تشاورا) لما كان هذا الحديث منهم على طريق [illegible] طلب [illegible] لاجرم اسروا به [illegible] (قوله [illegible]) اشارة [illegible] وأسروا النجوى وتقريره [illegible] بالسر وزيادة فكان [illegible] الاطلاع على [illegible] [illegible]

هو ما اضمروه فى نفوسهم من غير ان يتكلموا به لا سرا ولا جهرا لقوله تعالى يعلم السر واخفى قال الامام قدم السمع على العلم لانه لابد من سماع الكلام اولا ثم حصول العلم بمعناه ولا يخفى ان هذا التوجيه لا يصح فيما اسند اليه تعالى من السماع (قوله اضرابهم) يعنى ان الاضرابات المذكورة فى هذه الآية واقعة فى كلام الذين ظلموا حكاها الله تعالى عنهم كما وقعت فى كلامهم للدلالة على كونهم متحيرين خابطين خبط عشواء لا يميزون بين مضرب عنه ومضرب منه لا يدرون ما يقولون ولا يجدون متمسكا ينفعهم فى هدم امره واظهار فساد ما ادعاه من الرسالة ولما كان هذا التوجيه مشكلا من حيث ان الاضرابات المذكورة لو كانت واقعة فى كلام الكفرة وانه تعالى حكاها عنهم كما وقعت لوجب ان يكون قالوا مقدما على بل بأن يقال قالوا بل اضغاث احلام ليفيد الكلام حكاية اضرابهم وتقديم بل على قالوا لا يفيد ذلك قال المصنف والاظهر ان يكون بل الاولى اضرابا منه تعالى عن حكاية قولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون الى حكاية قولهم فى حق القرآن انه اضغاث احلام او يكون اضرابا عن محكى اى عن التحاور فى شانه عليه الصلاة والسلام وفى شان ما جاء به من الخوارق الى التقاول فى امر القرآن وان يكون بل الثانية والثالثة من كلام الكفرة اضربوا بهما عن قولهم فى امر القرآن انه اضغاث احلام الى انه مفترى الى انه كلام شعرى ثم جوز ان تكون كلها بل من كلام الله تعالى لا محكية عن الكفرة لان الكلام المحكى ما يقع بعد القول فيفيد الكلام ان قولهم الثانى افسد من الاول والثالث من الثانى والرابع من الثالث ووجه افادة بل هذا المعنى ان الاضراب قد يكون لابطال الكلام الاول وقد يكون للانتقال منه الى خبر آخر اهم من الاول والاضراب الواقع فى كلام الله تعالى لا يحمل على الاول لانه يستلزم ان يكون الاول باطلا ونفسه او غلطا والله تعالى منزه عن ذلك فلابد ان يكون الاضراب الواقع فيه للانتقال الى الاهم والاهم فى مقام بطلان مقالة القوم بيان ما هو افسد بالنسبة الى الاول فيكون ما عدل فى مثل هذا المقام افسد بالنسبة الى ما قبلها (قوله وليس فيه ما يناسب قول الشعراء) لان الشعر تخيلات ملفقة وتمويهات مزخرفة يدعو الى الهوى والشيطان والقرآن يدعو الى الهدى وطاعة الرحمن وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وقولهم انه كلام مفترى من عند نفسه مع كونه باطلا فى نفسه لان القرآن البشرية وان استفرغت طوقها لا تطيق اتيان مثله فهو ابعد من قولهم انه اضغاث احلام مع كونه فاسدا فى نفسه من حيث ان الكتاب الذى احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير كيف يتصور كونه من تخاليط الاحلام فهو

الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم فى شان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم فى امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعرى يخيل الى السامع معانى لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم فى درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق (فليأتنا بآية كما ارسل الاولون)

اى كما ارسل به الاولون مثل (٢٣) اليد البيضاء والعصا (١٣) وابراء الاكمه واحياء الموتى

اشد فساداً بالنسبة الى قولهم انه سحر لان تشبيه النظم المعجز الفائق بالسحر اقرب من جعله من تخاليط الاحلام لقوله عليه الصلاة والسلام ان من البيان لسحرا والاضغاث الحزم من النبات وغيره فاستعير للتخاليط والاباطيل شبهت تخاليط الاحلام واباطيلها بحزم من اخلاط النبات فى كونها مخلوطة من اشياء غير متناسبة ثم استعملت فى الاباطيل بقرينة اضافتها الى الاخلاط والحلم بضم الحاء وسكون اللام هو الرؤيا وضم اللام ايضا لغة فيه فالاحلام بمعنى المنامات سواء كانت باطلة او حقة واضيف الاضغاث بمعنى الاباطيل اليها على طريق اضافة الخاص الى العام اضافة بمعنى من وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما فى قوله عليه الصلاة والسلام الرؤيا من الله تعالى والحلم من الشيطان (قوله وصحة التشبيه) جواب عما يقال محل الكاف فى قوله كما ارسل الاولون اما جر على انه صفة آية اونصب على انه صفة مصدر محذوف فالتقدير على الاول بآية مثل ارسال الاولين وعلى الثانى اتيانا مثل ارسال الاولين وما مصدرية على الوجهين ولا وجه لتشبيه الآية ولا لتشبيه اتيانها بارسال الاولين وتقرير الجواب ان الارسال يتضمن اتيان الآية ويستلزمه فذكر الارسال الذى هو ملزوم لاتيان الآية واريد لازمه مجازا فكأنه قيل بآية مثل آية الاولين اواتيانا مثل اتيان الاولين واشار المصنف بقوله كما ارسل الاولون الى جواب آخر وهو ان كلمة ما فى قوله تعالى كما ارسل الاولون موصولة وعائدها محذوف والمعنى بآية مثل الآية التى ارسل بها الاولون وتشبيه الآية بالآية تشبيه واضح لاخفاء فيه ثم ان مشركى مكة لما اقترحوا آية شبيهة بآية الاولين فى انها لا يتطرق اليها احتمال انها اضغاث احلام اوكلام مفترى اوقول شاعر اجابهم الله تعالى بان الامم التى اهلكناهم باصرارهم على التكذيب بعد ما اتتهم الآيات التى اقترحوها لم يؤمنوا باتيانها فاو أتاهم ما اقترحوه لما آمنوا ايضا لكونهم اعتى منهم فاستوجبوا عذاب الاستئصال مثلهم لان الحكمة الالهية قد اقتضت ان من كذبوا بعد الاجابة الى ما اقترحوه لابد ان ينزل بهم عذاب الاستئصال وقد سبق وعده فى حق هذه الامة ان يؤخر عذابهم الى يوم القيامة فلذلك لم يجابوا الى مااقترحوه للابقاء عليهم اى للترحم بهم يقال ابقى على فلان اذارحمه (قوله والاحالة اليهم) اى احالة المشركين الى اليهود والنصارى فى استعلام ان البشرية لاتنافى الرسالة اما للالزام والاسكات لا لاثبات الحكم المتعلق بالاعتقادات عما تقول الكفرة فان اليهود والنصارى وان انكروا نبوة رسول الله عليه الصلاة والسلام الا انهم لاينكرون ان الرسل كانوا بشرا ثم انهم لما كانوا يوافقون المشركين فى معاداته عليه الصلاة والسلام كان المشركون لايكذبونهم

(فيما قالوا)

وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية (ما آمنت قبلهم من قرية) من اهل قرية (اهلكناها) باقتراح الآيات لما جاءتهم (أفهم يؤمنون) لوجئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو أتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم (وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) جواب لقولهم هل هذا الابشر مثلكم يأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم فى امر النبى عليه الصلاة والسلام ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا

فيما قالوا في حق الرسل واما لانه لافرق بين المؤمنين والكفار في حصول العلم بخبرهم اذا بلغ حد التواتر (قوله وقرأ حفص نوحى بالنون) اى بنون العظمة مبنيا للفاعل اى نوحى نحن والباقون بالياء وفتح الحاء مبنيا للمفعول وهذه الجملة في محل النصب على انها صفة لرجالا (قوله نفى لما اعتقدوا انها) انث العائد الى ما لكونها عبارة عن الخاصة فان عدم الاحتياج الى الطعام والخلود بمعنى عدم طريان الموت من خواص الملائكة نفاها عن الرسل تحقيقا لكونهم ابشارا جمع بشر مثلهم وابطالا لزعم ان البشرية تنافى الرسالة فان نفى الخاصة اللازمة للملكية يستلزم نفى الملزوم فتحقق كونهم ابشارا مثلهم (قوله وقيل جواب) عطف على قوله نفى لما اعتقدوا وتوضيح هذا القول ان الكفرة كانوا يطعنون في الرسالة باشياء منها قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فألزمهم الله تعالى بان الرسل الذين صدقهم آباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر وان رسالتهم صحت بما اظهر الله تعالى على ايديهم من الخوارق والمعجزات فلما صحت رسالتهم بذلك فقد صحت رسالة سيد المرسلين بما يظهره الله تعالى على يديه من الآيات الباهرة فلا يعاب عليه بكونه بشرا ومنها قولهم ان الذى يدعى الرسالة يأكل الطعام ويشرب وينكح ويمشى في الاسواق كغيره من الناس كما اخبر الله تعالى عنهم ذلك بقوله مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق ونحوه فألزمهم واخبرهم ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا يأكلون الطعام ويشربون ويمشون في الاسواق ويقضون حوائجهم فقال وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين اى في الدنيا وقال في آية اخرى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث اليكم كسائر الرسل الذين كانوا من قبل ممن كان يأكل ويشرب وينكح وانه بشر وهو رسول كسائر الرسل ولم يرض المصنف بهذا التأويل لان جعل الكلام اجنبيا عما سبق له الكلام مع امكان ربطه بالمقام لايخلو عن بعد (قوله وتوحيد الجسد) جواب عما يرد من ان جعل في الاية الظاهر انه بمعنى صير فيتعدى الى مفعولين ثانيهما جسدا ومفعوله الاول وهو هم جمع فكيف يصح ان يخبر عن الجمع بالفرد وايضا الظاهر ان قوله لا يأكلون في محل النصب على انه صفة لجسد فكيف يصح ان يرجع اليه ضمير الجمع وان جعل تقدير الكلام وماجعلناهم ذوى جسد غيرطاعمين اووماجعلنا كل واحد منهم جسدا كقوله ثم نخرجكم طفلا اى نخرج كل واحد منكم طفلا سقط الايراد وفي الصحاح الجسد البدن والجسم والجسد ايضا الزعفران او نحوه من الصبغ وهو الدم ايضا والجسد ايضا مصدر قولك جسد به يجسد

وقرأ حفص نوحى بالنون (وما جعلناهم جسدا لايأكلون الطعام وماكانوا خالدين) نفى لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا امثالهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق وماكانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس اولانه مصدر في الاصل اوعلى حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذولون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذوتركيب لان اصله لجمع الشئ واشتداده

(ثم صدقناهم الوعد) اى فى الوعد (فأنجيناهم ومن نشاء) يعنى ﴿ ١٨٠ ﴾ المؤمنين بهم ومن فى ابقائه حكمة كمن سيؤمن

هو أو أحد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال (واهلكنا المسرفين) فى الكفر والمعاصى (لقد انزلنا اليكم) ياقريش (كتابا) يعنى القرآن (فيه ذكركم) صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق (أفلا تعقلون) فتؤمنون به (وكم قصمنا من قرية) واردة من غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم (كانت ظالمة) صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه (وانشأنا بعدها) بعد اهلاك اهلها (قوما آخرين) مكانهم (فلما أحسوا بأسنا) فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف (اذاهم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم (لاتركضوا) على ارادة القول اى قيل لهم استهزاء لاتركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك اوممن ثمة من المؤمنين

اذ لصق فهو جاسد وجسيد ويقال الجسد لما اشبع صبغه من الثياب ويقال للزعفران الجساد (قوله اى فى الوعد) يعنى ان صدق يتعدى الى مفعولين الى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف ويقال صدقتك الحديث اى فى الحديث كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه اى من قومه وضمير صدقناهم للرسل وقد وعدهم الله تعالى بانجائهم وانجاء من صدقهم وآمن بهم واهلاك من كذبهم ويدل عليه قوله تعالى فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين اى بعذاب الاستئصال وليس المراد عذاب الآخرة لانه اخبار عما مضى ❋ والصيت الذكر الجميل الذى ينتشر فى الناس دون القبيح يقال له ذكر فى الناس اى صيت وشرف وفى القرآن صيت لقريش لانه بلسانهم ولغتهم منزل على نبى منهم يشتهرون بشهرته ويشرفون بشرفه لانهم حملته والمرجوع اليهم فى حل معاقده وقد يكون الذكر بمعنى التذكرة والموعظة بالوعد والوعيد فيكون من قبيل قوله تعالى كلا انها تذكرة وقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ويجوز ان يراد بالذكر مايكون سببا للذكر الجميل من مكارم الاخلاق التى من تخلق بها ينتشر صيته فى الناس وقوله تعالى فيه ذكركم معناه فى علمه والعمل بما فيه جميع ماتحتاجون اليه فى امر دينكم ودنياكم من حسن الجوار وصلة الرحم وتعظيم امر الله والشفقة على عباده وصدق الحديث واداء الامانة والوفاء بالعهد وغير ذلك من كرائم المكارم ونفائس الاخلاق الموجبة للثناء الحسن فيكون من باب ذكر المسبب وارادة السبب على ان قوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على قوله وما ارسلنا قبلك اى قد ارسلنا قبلك رجالا يوحى اليهم امثالك ثم صدقناهم الوعد فمحمد عليه الصلاة والسلام نبى كسائر الانبياء سيره سيرهم ولابد ان يصدقه الله تعالى فى وعده فاحذروا ياقريش سوء العاقبة ونزول البلاء على تكذيبه ثم قال تعالى لقد انزلنا واجاب عن قولهم فليأتنا بآية بقوله ماآمنت ثم اجاب عن قولهم هل هذا الا بشر مثلكم بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وادرج فيه التهديد ايضا بقوله ثم صدقناهم الوعد ثم بالغ فى تبكيتهم بقوله لقد انزلنا الخ يعنى كيف تقترحون الآيات ويوجب انسانكم به وهو الكتاب الذى فيه ذكركم افلا تعقلون فتؤمنون به وتردعون عن اقتراح الآيات وعن القدح فيه بما لايليق به وتقضى بداهة العقول ببطلانه (قوله فلما ادركوا الخ) لما لم يجب ان يكون ما اصاب المهلكين من الباس محسوسا باحدى الحواس الظاهرة حمل قوله تعالى أحسوا استعارة تبعية بان شبه ادراكهم الباس بادراك المحسوس واطلق عليه اسم الاحساس ثم اشتق منه قوله أحسوا (قوله راكضين دوابهم او مشبهين بهم) يعنى ان الركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يكون اركضوا

(وارجعوا الى ما أترفتم فيه) من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة (ومساكنكم) التي كانت لكم (لعلكم تسألون) غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال ﴿١٨١﴾ من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل

(قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين) لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك (فما زالت تلك دعواهم) فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كأنه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع (خامدين) ميتين من خمدت النار ومجموع حصيدا خامدين بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسببا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال (لو اردنا ان نتخذ لهوا) ما يتلهى به ويلعب (لاتخذناه من لدنا) من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من

دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكضين لدوابهم (قوله تعالى الى ما أترفتم فيه) اى الى نعمكم التي خولتموها وتوسعتم فيها حتى بطرتم بها فكفرتم واعرضتم عن من جعلها لكم اى عن حمده وشكره قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه والمعنى ارجعوا الى نعمكم والى مساكنكم التي تسكنون بها لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او ارجعوا اليها واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون كعادة المخدومين اولها الناس يسألونكم عما في ايديكم ويستشيرونكم في المهمات والنوازل او ارجعوا الى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم وعلى اموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة (قوله يا لثارات الانبياء) اللام فيه للاستغاثة والثار الانتقام من القاتل بقتله مكان المقتول يقال ثأر القتيل بالقتيل اى قتل قاتله وابه دمع والمقصود من نداء الثارات الاخبار عن موجب دعائهم على انفسهم بالويل حيث قالوا يا ويلنا وبدوا حين استحقاقهم به بان قالوا انا كنا ظالمين على انفسنا بتكذيب الرسل قال تعالى فما زالت تلك الكلمة وهي يا ويلنا دعواهم اى دعاءهم فتلك مرفوع على انه اسم مازالت ودعواهم الدعوى منصوبة المحل على الخبرية او منصوب على انه خبر وان الدعوى اسم وكل واحد من الوجهين جيد لما عرفت ❊ وحصيدا من باب تشبيه البليغ اى مثل ذلك الزرع المحصود والفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث (قوله ومجموع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني) وليس كل واحد منهما مفعولا على حدة لان جعل لا يتعدى الى ثلاثة مفاعيل فانه قد يتعدى الى مفعوله الاول وهو ضمير الجمع ولا يتعدى به الى مفعولين آخرين فلذلك جعل حصيدا خامدين بمنزلة مفعول واحد كما اذا قلت جعلته حلوا حامضا فانه في معنى جعلته جامعا للطعمين وكذلك ما نحن فيه فان معناه جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود (قوله او صفة له) عطف على قوله بمنزلة المفعول الثاني اى يجوز ان يكون خامدين صفة لحصيدا فانه مفرد في معنى الجمع وان يكون حالا من الضمير المستتر في حصيدا وقوله خامدين استعارة تبعية شبه الموت بخمود النار واطفائها فالمعنى فيه اسم الخمود ثم اشتق منه خامدين (قوله فينبغي ان يتسلقوا بها) اى ان يرتقوا بها الى ما هو فوقها فان تسلق مطاوع لقولك سلقته سلقا اذا القيته

على ظهره وربما يقال سلقيه سلقاء بزيادة الياء واشار المصنف به الى وجه تعلق هذه الاية بما قبلها وهو انه تعالى لما بين اهلاك القرى لاجل تكذيبهم انبيهم بما يدل على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على مافعلوه وهو انهم ضيعوا ما خلقه الله تعالى لفوائد دينية ودنيوية اما الدينية فهى ان يتفكر المكلفون فيها ويستدلوا بها على عظمة الله وكبريائه وكمال قدرته وحكمته واما الدنيوية فهى مايتعلق بها من المنافع التى لاتعد ولاتحصى فمن اغتر بزخارفها ولم يتسلق بها الى الاستكمال بالكمالات العلمية والعملية فجدير بان يهلك ويجعل نكالا وعبرة لغيره ثم انه تعالى لما ذكر انه لم يخلق هذا السقف المرفوع والمهاد المبسوط ومابينهما من بدائع الموجودات وغرائب المصنوعات لان يتلهى به ويلعب بين انه لم يتخذ مايتلهى به ويلعب من حيث ان الحكمة صارفة عنه لامن جهة عدم القدرة على اتخاذه فقال لو اردنا ان نتخذ لهوا اى مايتلهى به على انه مصدر بمعنى المفعول يقال لهوت بالشئ بالفتح ألهو لهوا اذا لعبت به لاتخذناه من جهة قدرتنا عليه لكننا لم نتخذه لعدم ارادتنا اتخاذه ومن فسر اللهو بالولد والمرأة فقد اخرج الكلام عن الالتئام بما قبله قال الامام الواحدى اللهو طلب الترويح للنفس ثم المرأة تسمى لهوا وكذا الولد لانه يتروح بكل واحد منهما ولهذا يقال لامرأة الرجل وولده ريحانتاه والمعنى لواردنا ان نتخذ امرأة ذات لهو وولدا ذا لهو لاتخذناه من لدنا اى مما نصطفيه ونختاره مما نشاء من خلقنا كقوله لواراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء وقال المفسرون اى من الحور العين وهذا رد لقول اليهود فى عزير وقول النصارى فى المسيح وامه من كونهما ولدا وصاحبة ومعنى من لدنا من عندنا اى بحيث لايجرى لاحد فيه تصرف لان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لاعند غيره انتهى (قوله ويدل على جوابه) يعنى ان كلمة ان فى الاية شرطية وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب لو عليه والتقدير ان كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعله لانه لايليق بالربوبية وفائدة تكرير كلمة الشرط ان الاولى لتعلق الاتخاذ بالارادة والثانية لتعلق الاتخاذ المرتب على الارادة بكونه ممن يفعل ذلك وتقتضيه حكمته (قوله والجملة كالنتيجة للشرطية) كأنه قيل لو اردنا لفعلناه ولكن لم نرده فما كنا فاعلين ثم انه تعالى اضرب عن حديث تعليق اتخاذ مايتلهى به على تعلق ارادته بذلك وعلى كونه ممن يجوزله ان يفعل ذلك وجعله كالمسكوت عنه الى بيان ماهو اهم بالنسبة الى ماقبله وهو ان شانه تعالى ان يسلط الحق ويورده على الباطل حتى يذهبه فيهلكه (قوله وانما استعار القذف) اى استعار القذف للتغليب والتسليط واستعار الدمغ للمحق والمحو بان شبه الحق بالجرم الصلب الثقيل وشبه الباطل

الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على النصارى (ان كنا فاعلين) ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية (بل نقذف بالحق على الباطل) اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب اى بل من شاننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من عداده اللهو (فيدمغه) فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله
سأترك منزلى لبنى تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا
ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق (فاذا هو زاهق) هالك والزهوق ذهاب الروح

(بالجرم)

و ذكره الترشيح المجاز (ولكم الويل مما تصفون) مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة (وله من فى السموات والارض) خلقا وملكا (ومن عنده)

بالجرم الرخو الاجوف فيقذف بذلك الجرم الثقيل عليه فيدمغه على طريق تشبيه المعقول بالمحسوس فان كل واحد من الحق والباطل من قبيل المعقول والجرم الصلب والرخو من قبيل المحسوس وعبر عن هذه الصورة المعقولة بما يدل على الهيئة المحسوسة لتتمكن تلك الهيئة المعقولة فى ذهن السامع فضل تمكن قال صاحب المفتاح اصل استعمال القذف والدمغ فى الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل ومحوه فالمستعار منه حسى والمستعار له عقلى وقرآءة فيدمغه بالنصب ضعيفة لما تقرر فى النحو من ان ما بعد الفاء انما ينصب باضمار ان فى جواب الاشياء الستة الامر والنهى والنفى والاستفهام والتمنى والعرض وقوله فيدمغه لم يقع بعد احد هذه الاشياء ولعل من نصبه نظر الى ان المضارع فيه شبه النفى ولهذا قيل انه فى الآية اضعف مما فى البيت لان المضارع فيها للاستمرار وقيل فى توجيه النصب ان المضارع كالتمنى والترجى فى كونهما مترقبين وانما شرطوا فى نصب مابعد الفاء السببية كون ماقبلها احد الاشياء المذكورة لان الفاء السببية تقتضى ان يكون ماقبلها سببا لما بعدها والسببية لا تتحقق الا عند تحقق احد هذه الامور ولذا لم يجز النصب فى الموجب الا فى ضرورة الشعر كما فى البيت المذكور وذلك لان الاشياء الستة مأولة بالمصادر فيكون ما قبل الفاء كالشرط المحقق الوقوع ويكون مابعد الفاء كجزآئه المسبب عنه ولما كان المضارع المنصوب بان مفردا وما قبل الفاء المذكورة جملة ولا يجوز عطف المفرد على الجملة جعلوا مابعد الفاء بتقدير مصدر معطوف على مصدر الفعل المقدم فتقدير زرنى فاكرمك ليكن منك زيارة فاكرام منى وكذا المنصوب بعد الواو فانه ايضا معطوف على المصدر المقدر من الفعل قبله فتقدير قولك زرنى وازورك ليكن منك زيارة وزيارة منى فاذا تقرر هذا ظهر ان مراد المصنف بقوله ووجهه مع بعده ان وجه انتصاب فيدمغه مع كون النصب بعيدا لعدم وقوع الفاء بعد احد الاشياء المذكورة ان تجعل الجملة التى قبل الفاء فى تأويل المفرد كالتى بعدها فانها فى تأويل المفرد بأن المضمرة فاذا اول ماقبل الفاء ايضا بالمفرد تطابق المعطوفان فى الافراد فتأويل الكلام بل نريد قذف الحق على الباطل فدمغه بعطف قوله فدمغه على القذف المحصل من الجملة قبله وجعله ابو البقاء معطوفا على الحق اى بل نقذف بالحق فالدمغ وكذا تأويل البيت واريد اللحوق بالحجاز فالاستراحة (قوله وذكره الترشيح المجاز فان قوله فيدمغه استعير من الشجة التى بلغت الدماغ للمحو والبطلان وقرنت الاستعارة بما يلائم المستعار منه فان ذهاب الروح انما يلائم المعنى الاصلى للدمغ فان الدماغ مجمع الحواس فاذا بلغت الشجة اليه يموت الحيوان (قوله وهو فى موضع الحال)

اى قوله مما تصفون حال من الويل والعامل الاستقرار الذى تعلق به الخبر اى استقر لكم الويل واقعا مما تصفون اى مما تصفون الله تعالى به مما لا يليق به من الصاحبة والولد وتصفون كلامه بانه سحر وأضغاث احلام ونحو ذلك من الاباطيل ثم انه تعالى لما حكى كلام الطاعنين فى النبوات وتعنتهم باقتراح الآيات واجاب عن شبههم بانواع التهديدات بين انه منزه عن طاعتهم لانه هو المالك لجميع المحدثات والمخلوقات والملائكة المقربون مع كرامتهم وعلو قدرهم عند الله اذا كانوا خاضعين له تعالى خائفين منه تعالى فالبشر مع ضعفه اولى ان يطيعوه فقال وله من فى السموات والارض (قوله يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم الخ) يعنى ان المراد من العندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة وعند وان كان من ظروف المكانية الا انه شبه قرب الشرف والمنزلة بقرب المكان والمسافة وعبر عن المشبه بلفظ المشبه به (قوله وافراده للتعظيم) يعنى ان قوله ومن عنده معطوف على من فى السموات والمراد به الملائكة باجماع المفسرين فيكون عطفه على من فى السموات من قبيل عطف الخاص على العام تنبيها على شرفه لان من فى السموات يتناول من عنده لا محالة وقوله لا يستكبرون حال من قوله من فى السموات وما عطف عليه ان جعل مرفوعا على انه فاعل الظرف على رأى الاخفش وان جعل مرفوعا على الابتداء وله خبره فحينئذ لا ينتصب الحال الا على رأى من يجوز مجيء الحال من المبتدأ لا عند غيره فيكون اما من الضمير المستكن فى عنده الواقع صلة او من الضمير المستكن فى له الواقع خبرا ويختار ان يكون من عنده مبتدأ ولا يستكبرون خبره وتكون هذه الجملة معطوفة على الجملة التى قبلها (قوله اولانه أعم منه من وجه) عطف على قوله من عنده يعنى المكرم عنده وفى منزلته كما يتناول ملائكة السموات والارض يتناول الملائكة الذين لا يتبوأون فى المكان فان ملائكة السموات عنصريون مخلوقون مما خلق منه السموات ومن الملائكة نوع متعال عن التبوء فى السماء والارض لتجردهم من المواد العنصرية فلا يكون من عنده اخص مطلقا بالنسبة الى من فى السموات والارض بل يكون اخص منه من وجه ويجوز ان يكون عطفه لان يراد به النوع المتعالى عن التبوء (قوله وانما جئ بالاستحسار) جواب عما يقال المناسب لمقام توصيف الملائكة بالاجتهاد فى العبادة ونفى ضعفهم عنها ان يقال لا يحسرون بمعنى انهم لا يطرأ عليهم شئ من الاعياء والفتور ولا يستحسرون لا يفيد هذا المعنى لانه يدل على انه لا يطرأ عليهم غاية الحسور واقصاه وهذا المعنى لا يلائم المقام فقال حسر البعير يحسر حسورا اذا اعيى واحسره غيره واستحسر ابلغ منهما فيكون استعماله بمعنى [illegible] ولا للسؤال لاجل السجع

يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم اولانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء فى السماء والارض او مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) ولا يعيون منها وانما جئ بالاستحسار الذى هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون (يسبحون الليل والنهار) ينزهونه ويعظمونه دائما (لا يفترون) حال من الواو فى يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير له (ام اتخذوا آلهة)

بالنسبة الى الملائكة كالتنفس بالنسبة الينا فكما ان قيامنا وقعودنا وتكلمنا وغير ذلك من افعالنا لايشغلنا عن التنفس فكذلك الملائكة لايشغلهم عن التسبيح شئ من افعالهم ولاتلحقهم فترة الفراغ منه (قوله بل اتخذوا) اشارة الى ان أم هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة حكى الله تعالى عنهم اولا قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وثانيا قولهم بل قالوا اضغاث احلام الى قوله كما ارسل الاولون ثم اجاب عن كل واحد منهما بضرب من التهديد والوعيد وساق الكلام الى هذا ثم اضرب عن الحكاية المذكورة وجوابها الى انكار فعلهم الذى هو اشنع من قولهم فقال ام اتخذوا آلهة وقوله من الارض يجوز ان يتعلق بمحذوف هو صفة الالهة اى عملوا وصنعوا آلهة كائنة من الارض ومنسوبة اليها كما قال فلان من مكة بمعنى انه منسوب اليها ومعنى نسبتها الى الارض اما انها مستقرة عليها وموجودة وهى عليها ويجوز ان يتعلق باتخذوا بمعنى ابتدأوا اتخاذها من الارض بان صنعوا ونحتوها من بعض الحجارة اومن بعض جواهرها كالفضة والصفر والمقصود منه على التقديرين تحقير المتخذ دون تخصيصه لان المنكر حينئذ يكون عدم اتخاذهم لالهة السماوية اى المستقرة عليها او المعمولة من اجزائها لا رحه ل وقوله هم ينشرون جملة منصوبة المحل على انها صفة آلهة اى آلهة لايقدرون على احياء اونى الاهم وحدهم وقرأ العامة ينشرون بضم الياء وكسر الشين وقرئ بفتح الياء وضم الشين ونشر يكون لازما ومتعديا يقال انشر الله الميت اى احياه فنشر نشورا ونشره نشرا بمعنى انشره انشارا والانكار عليهم باتخاذهم الالهة التى تنفرد باحياء الموتى يدل على انهم يعتقدون ان آلهتهم تحى الموتى لن تستقل فى ذلك وهم لايعتقدون ذلك كيف وانهم ينكرون البعث أصلا فضلا عن ان تكون الاصنام قادرة عليه مستقلة عليه الا ان ادعاءهم الالهية فيها يستلزم اعتقادهم بذلك صح ان ينكر عليهم بذلك الالزام على طريق التجهيل والتهكم ثم انه تعالى لما انكر عليهم اتخاذهم الآلهة استدل على بطلانه بقوله لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اى لوفرض ذلك وقدر كما قدر المستحيلات لفسدتا ماحاقتا بالحق كما قال وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين قال اهل النحو فى قوله تعالى الا الله لفسدتا الاهنا بمعنى غير صفة للنكرة قبلها الا انه لما تعذر الاعراب فيها جعل ما استحقته من الرفع على مابعدها والمعنى لوكان يتولاهم ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرهما لفسدتا ولايجوز ان يكون الا للاستثناء لانا لوحملناها على الاستثناء لكان المعنى لوكان فيهما آلهة مستثنى منهم الله لفسدتا وهذا يوجب بطلان مفهومه انه لوكان فيهما آلهة معهم الله لايحصل الفساد وذلك باطل

بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم وقوله (من الارض) صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص (هم ينشرون) الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم من ادعائهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم

(لو كان فيهما آلهة الا الله) غير الله وصفت بالا لتعذر الاستثناء لعدم شمول ماقبلها لمابعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثنى بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب (لفسدتا) لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تمانعت عنه (فسبحان الله رب العرش) المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير (عما يصفون) من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد

لانه لو كان فيهما آلهة سواء كان الله معهم او لم يكن معهم فالفساد لازم والباطل حملها على الاستثناء ثبت ماذكرنا وهو ان المعنى لو كان في السماء والارض آلهة غير الله لخربتا وهلك من فيهما لوجود التمانع من الآلهة فان كل امر صدر عن اثنين فصاعدا لايبقى على نظام واحد وانتفاء الفساد اللازم للتعدد دليل على انتفاء الملزوم وهو التعدد لكن في هذه الملازمة وفي انتفاء الثاني نوع خفاء لانه ان اريد بالفساد الفساد بالفعل اى خروجهما بالفعل عن هذا النمط المشاهد فهذا لايلزم من مجرد التعدد بل يلزم من تحقق التخالف والتمانع ومجرد التعدد لايقتضي التمانع لجواز التوافق وان اريد امكان الفساد فالملازمة مسلمة ضرورة ان اجتماع القادرين على معلول واحد يستلزم امكان تمانعهما المستلزم لامكان فساد المعلول لكن لانسلم بطلان التالي اذ لادليل على امتناع الفساد بل النصوص شاهدة على وقوعه كقوله تعالى اذا السماء انشقت واذا النجوم انكدرت ويوم تبدل الارض غير الارض فظهر ان حجية الآية اقناعية والملازمة عادية على ماهو اللائق بالخطابيات فان العادة جارية بتحقق التغالب والتمانع عند تعدد الحكام والملوك على ما اشير اليه بقوله ولعلا بعضهم على بعض واشار المصنف الى ان المراد بالفساد الفساد بالفعل وجعل الملازمة مبنية على امتناع التوافق بناء على انه يستلزم اجتماع قدرتين مستقلتين على مقدور واحد وقد بين استحالته في الكلام (قوله لتعذر الاستثناء لعدم شمول ماقبلها لمابعدها) فان ماقبلها جمع منكر والجمع اذا كان نكرة لايستثنى منه عند جماعة من المحققين اذ لاعموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء ثم استدل على تعذر الاستثناء بانه يدل على خلاف المراد وبيانه ان الاستثناء قيد للحكم المتعلق بالمستثنى منه فيكون الشرط كون آلهة فيهما بقيد ان لاتكون معه تعالى فيكون الفساد لازما لكون الآلهة فيهما دونه تعالى (قوله حملا لها) علة لقوله وصف بالا يعني ان الاصل في الا الاستثناء وفي غير الصفة وقد يحمل كل واحد منهما على الآخر (قوله لانه متفرع على الاستثناء) اى لان البدل فيما بعد الا مشروط بصحة الاستثناء وقد ثبت تعذر الاستثناء ولانه قد تقرر ان الواقع بعد الا غير الصفة اذا وقع في كلام موجب يجب نصبه وان البدل انما يجوز في كلام غير موجب وكلمة لو اذا دخلت في الكلام الموجب لاتجعله منفيا كما لاتجعله كلمة ان منفيا من حيث ان كل واحدة منهما لمجرد الملازمة فلما لم يكن الكلام غير منفي بدخول لو عليه لم يجز البدل فيما بعد الا الواقع فيه والسر فيه ان مابعد الا لو جعل بدلا في الكلام لكان الاستثناء من اعم العام في طرف الاثبات وهو ممتنع فيه ولا يمتنع في طرف النفي فانه يصح ان يقال مافي الدار الا زيد ولا يصح ان يقال كان في الدار الا زيد بدلا لانه يستلزم ان يكون في الدار جميع الاشياء الا زيد وهو ممتنع

(فلو جعل)

فلوحمل مابعد الا فى هذه الآية على البدل لرجع المعنى الى قولنا لو كان فيهما آلهة الا الله فسد تالان المبدل منه فى حكم المطروح فيقع الاستثناء من اعم العام فى طرف الاثبات ثم انه تعالى لما اقام الدليل الدال على وحدانيته فرع عليه كونه منزها عما يصفه المشركون فقال فسبحان الله وادرج فيه تبعيدهم فى زعمهم ان الجماد الذى لا يعقل ولا يحس شريكا فى الالهية لرب العرش العظيم ولمن هو القاهر فوق عباده (قوله لايسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه) وكون افعاله مبنية على القدرة الكاملة والحكمة البالغة فلا مساغ لسائل ان يقول له لم فعلت هذا على طريق طلب حكمة فعله وذلك لانه تعالى حكيم بذاته لا يخرج فعله عن الحكمة وانما يسأل عن حكمة فعله من يحتمل فعله السفه واما من لا يحتمل فعله الا الحكمة فانه لا يمكن ان يسأل لم فعلت وقيل معناه لا يسأل عما يفعل على وجه الاحتجاج عليه وان جاز ان يسأل على وجه استكشاف الحكمة كقوله تعالى رب لم حشرتنى اعمى واستدل اهل السنة على انه تعالى لا يسأل عما يفعل بانه تعالى فاعل كل شئ ولا علة لفعله لانه لو فعل لغرض لا يخلوا ما ان يكون وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه على السوآء اولا يكون فان كان على السوآء استحال ان يكون غرضا وان لم يكن السوآء لزم كونه تعالى ناقصا فى ذاته وكاملا بغيره وذلك محال فان قلت وجود ذلك الغرض وعدمه وان كان بالنسبة اليه على السوآء الا ان وجوده اولى من عدمه بالنسبة الى العباد فالجواب ان تحصيل ما هو الاولى فى حق العباد ان كان مساويا لعدم تحصيله بالنسبة اليه لا يكون غرضا له وان كان تحصيله اولى يكون مستكملا بالغير وهو محال (قوله من الكتب السماوية) حال من قوله تعالى ذكر من معى وذكر من قبلى والعامل فيه معنى التنبيه او الاشارة المدلول عليهما بقوله هذا واراد به الاشارة الى الموجود بين اظهرهم من الكتب الثلاثة القرآن والتوراة والانجيل والقرآن ذكر وعظة لمن اتبعه عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة والتوراة والانجيل ذكر للامم المتقدمة استدل بهذه الكتب على صحة التوحيد وهى انما تتوقف على وجود الاله فلا دور (قوله وقرئ بالتنوين والاعمال) العامة على اضافة ذكر الى من الموصولة اضافة المصدر الى مفعوله كقوله بسؤال نعجتك وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن بفتح الميم وسكون النون منصوب بانه مفعول له بالمصدر كقوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن بكسر الميم وهو قول المصنف وبه وبمن الجارة على ان معى اسم بمعنى عندى ومن قبلى اى جئت به كما جاء به الانبياء من قبلى (قوله وبعد مها) او وقرئ هذا ذكر معى وذكر قبلى بالتنوين فيهما بدون من

(لايسأل عما يفعل) لعظمته وقوة ١٨٧ سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية (وهم يسألون) لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد (ام اتخذوا من دونه آلهة) كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم اوضما لانكار مايكون لهم سندا من النقل الى انكار مايكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا فى الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول مايدل على فساده عقلا وعلى الثانى مايدل على فساده نقلا (قل هاتوا برهانكم) على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا (هذا ذكر من معى وذكر من قبلى) من الكتب السماوية فانظروا هل تجدوا فيها الا الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معى امته ومن قبلى الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم

وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما و بعدهما (بل اكثرهم لايعلمون الحق) ولايميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه ﴿١٨٨﴾ خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب (فهم معرضون) عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك (وما ارسلنا من قبلك من رسول الانوحى اليه انه لااله الاانا فاعبدون) تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة قرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له عن ذلك (بل عباد) بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا بأولاد (مكرمون) مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد (لا يسبقونه بالقول) لايقولون شيأ حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لايسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله مالم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجانبا عن تكرير الضمير وقرئ لايسبقونه بالضم من سابقته (وقرئ) فسبقه (وهم بامره يعملون) لايعملون قط مالم يأمرهم به (يعلم مابين ايديهم وماخلفهم) لايخفى عليه خافية مما قدموا واخروا

(قوله تعالى بل اكثرهم لايعلمون الحق) اى رأسا اضراب عن قوله قل هاتوا برهانكم لكونه ادخل في تضليلهم فان من انتفى عنه العلم رأسا وكان بحيث لايميز بين الحق والباطل مطلقا لايقبل الالزام بان يقال له لايصح القول بلادليل عليه فان من يبرهن يدل على صحة مذهبه والافلايحكم حول ذلك (قوله وسط للتأكيد) يعنى ان قوله هو الحق جملة معترضة وسطت بين السبب الذى هو الجهل والمسبب الذى هو الاعراض تأكيدا لسببية الاول للثاني والحكم بالسببية مستفاد من الفاء في قوله فهم معرضون كأنه حكم اولا بان اعراضهم بسبب الجهل ثم قال الحكم بان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل والعامة على نصب الحق على انه مفعول به للفعل الذى قبله ويجوز ان يكون انتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التى قبله كما تقول هذا عبد الله الحق وعلى قرآءة الرفع يكون قوله لايعلمون مطلقا غير مقيد بالتعلق على طريق قولك فلان يعطى ويمنع فاذا وقف على قوله لا يعلمون كان جائزا من حيث اللفظ واذا وقف على معرضون كان الوقف تاما من حيث المعنى لان السبب والمسبب كالشئ الواحد وقرأ حمزة والكسائي وحفص نوحي بالنون وكسر الحاء على التعظيم وفق قوله ارسلنا وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على البناء للمفعول وهذه الآية مقررة لماسبق من آيات التوحيد لكونها من قبيل التعميم بعد التخصيص (قوله الملائكة بنات الله) واضافوا الى ذلك انه تعالى صاهر سروات الجن فولدت له الملائكة (قوله على مدحض القوم) اى على موضع زلة من زعم انهم بنات الله فانهم لما رأوهم مكرمين مقربين لهم صفات فاضلة ليست لغيرهم زلقت ارجلهم من هذا الموضع وزعموا انهم اولاد الله وغفلوا عن كونهم عبادا مقربين منقادين الله تعالى وانه تعالى منزه عن اتخاذ الصاحبة والولد كما انه منزه عن ان يكون له شريك في ملكه وألوهيته (قوله تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين) وجه التعريض انه تعالى لما قال لايسبقونه بالقول فهم منه بقرينة السياق والمقام ان هناك من صدر منه السبق بالقول وهم الذين قالوا على الله ما لم يقله احد له ادنى علم وعقل من ان له تعالى شريكا وولدا ونحو ذلك ونسب السبق المنفى اليه تعالى واليهم تنبيها على ان السبق المثبت المعرض به وان كان سبق قولهم قوله الاانه بمنزلة سبق انفسهم عليه تعالى في الهجنة والقباحة والذى يدل على هذا التهجين ان يقال لايسبقونه بقولهم الاانه انيب اللام عن الاضافه اختصارا في المعنى بترك التعرض للمضاف اليه

وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم (ولا يشفعون الالمن ارتضى) ان يشفع له مهابة منه (وهم من خشيته) عظمته ومهابته (مشفقون) مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدى بعلى فبالعكس (ومن يقل منهم) من الملائكة او من الخلائق (انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم) يريد به نفى النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعى الربوبية (كذلك نجزى الظالمين) من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية (اولم ير الذين كفروا) اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو (ان السموات والارض كانتا رتقا) ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اى كانتا شيأ واحدا وحقيقة متحدة (ففتقناهما) بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات

وقرئ لايسبقونه بضم الباء على انه مضارع سبقه اى غلبه فى السبق ومضارع فعل المبالغة مضموم العين مطلقا يقال سابقه فسبقه يسبقه فالسبق المنفى على هذه القراءة هو السبق على طريق المبالغة على معنى ان تكلفوا بان يغلبوه فى السبق بالقول لا تساعدهم فيه نفوسهم وتأبى عنه عقولهم لما ركز فى قلوبهم من الخشية المسببة عن معرفة جلال الله وعظمته ثم انه تعالى بعد ما بين ان قولهم تابع لقوله وانه لا يسبق قولهم قوله بين ان عملهم ايضا تابع لامره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به ومن كانوا فى نهاية الخضوع وكمال العبودية بهذا الحد كيف يكونون آلهة واولادا وكذا الخشية والاشفاق المذكور ان يعد ان من صفات العبيد فلا يكون الموصوف بهما الها واحدا (قوله وهو كالعلة لما قبله) يعنى انه استئناف لبيان ما دعاهم الى ما ذكر من كمال الخضوع بحيث يكون قولهم تابعا لقوله وعملهم تابعا لامره والمعنى انهم لما علموا كونه تعالى عالما بجميع المعلومات يجازى كل نفس حسب عملها علموا كونه تعالى عالما بظواهرهم وبواطنهم فكان ذلك داعيا لهم الى ما ذكر من كمال الخضوع ومراقبة الاقوال والاعمال وهو ايضا كالتمهيد لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى لان علمهم بذلك يقتضى كمال التأدب وقوله يعلم ما بين ايديهم اى ما قدموه من اعمالهم وما خلفهم اى وما هم عاملون اياه بعد وقيل على العكس (قوله تعالى وهم من خشيته) اى من خشيتهم منه فاضيف المصدر الى مفعوله مشفقون وجلون خائفون فلا يقصرون فى عبادة الله تعالى والمؤمنون يخافون الله تعالى من كثرة ذنوبهم روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله تعالى والخشية والاشفاق متقاربان فى المعنى والفرق بينهما ان المنظور اليه فى الخشية جانب المخشى منه وهو عظمته ومهابته وفى الاشفاق جانب الخائف وهو الاعتناء بشأنه وعدم الامن من ان يصيبه مكروه ثم ان الاشفاق يتعدى بكل واحد من كلمتى من وعلى يقال اشفق عليه وهو مشفق منه اى حذر فان عدى بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر من معنى الاعتناء وان عدى بعلى يكون معنى الاعتناء اظهر من معنى الخوف (قوله اولم يعلموا) يعنى ان الرؤية قلبية وان مع ما فى حيزها سادة مسد المفعولين وليست بصرية لانهم ما رأوها كذلك البتة قال تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض اورد الله تعالى ههنا ستة انواع من الدلائل الدالة على كمال قدرته وباهر حكمته تأكيد الدليل وحدانيته وتقرير البرهان تنزهه عن الشركاء والانداد فان من قدر على تحصيل هذا الترتيب العجيب فى هذا العالم كيف يصح ان يكون له شريك فى الوهيته وملكه ۞ والرتق مصدر بمعنى الضم والالتحام فقوله السموات والارض رتق من قبيل رجل

عدل ولذلك قال ذات رتق اومرتوقتين ولم يقل كانتا رتقين لان المصدر لايثنى ولايجمع كقوله وماجعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام واختلف المفسرون فى وجه فتقهما بعد الالتحام * روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المعنى كانتا شيأ واحدا ماتزقة احداهما بالاخرى ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هى واقر الارض واشار المصنف اليه بقوله كانتا بحيث لافرجة بينهما ففرج وهو ماقيل انه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس على هيئة الفهر عليها دخان لازق بها فاصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعه وخلق منه الارض وبسطها قال كعب خلق الله السموات والارض متصقتين ثم خلق ريحا توسطهما ففتقهما به وقيل المعنى كانت السموات طبقة واحدة ففتقها بالتحريكات المختلفة فجعلها سبع سموات وكذلك كانت الارض طبقة واحدة ففتقها باختلاف كيفياتها واحوالها فجعلها سبع ارضين وقيل المعنى كانت شيأ واحدا وحقيقة متحدة ففتقها بالهيبة كما جاء فى الحديث المشهور اول مانظر اليها نظر الرحمة ارتعدت فجمد نصفها فخلق منه العرش واضطرب فكتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء يرتعد على حالته الى يوم القيامة وذلك قوله وكان عرشه على الماء ثم حصل من تلاطم الماء ادخنة متراكمة بعضها على بعض وزبد فخلق منه السموات والارض طباقا وكانتا رتقا فخلق الريح ففتق بين طباق السموات وطباق الارض ثم جمد ذلك الزبد على وجه الماء ودحى فصارا رضا بقدرته وقيل المعنى ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لاتمطر وكذا الارض كانت رتقا لاتنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ففتق السماء وهى اشد الاشياء واصلبها بألين الاشياء وهو الماء وكذلك فتق الارض بألين الاشياء وهو النبات مع شدتها وصلابتها فالآية على هذا القول نظير قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ويرجح هذا القول بقوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شئ حى فذلك لايليق الا اذا كان للماء تعلق بما تقدم ولايكون كذلك الا اذا كان المراد بالرتق والفتق ما ذكرنا فان قيل هذا الوجه مرجوح لان المطر لاينزل من السموات بل من سماء واحدة وهى سماء الدنيا اجيب بانه اطلق لفظ الجمع على سماء الدنيا لان كل قطعة منها سما كما يقال ثوب اخلاق وبرمة اعشار ويجوز ان يراد بلفظ الجمع السموات بأسرها وجعلها مفتوحة منشوقة بالمطر مبنى على ان لها مدخلا فى الامطار ففتق السموات والارض بعدما كانا رتقا على ان معنى كان هو الدليل الاول من الدلائل الستة المذكورة فى هذه الآية (قوله فان الفتق عارض) لانه من جملة الحركات والسكنات باسرها حادثة مفتقرة الى مخصص يخصص احد طرفيها بالوقوع والمراد وبنا

سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق والسموات بأسرها على ان لها مدخلا ما فى الامطار والكفرة ان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما

(قال)

قال كانتا) يعنى ثنى الضمير الراجع الى الجمع باعتبار ان المرجوع اليه جماعتان
(قوله وقرئ رتقا بالفتح) اى بفتح التاء فان كان مصدرا على وزن طلب
فوجه الاخبار به عن المثنى ظاهر واختار المصنف انه فعل بمعنى مفعول كالقبض
بمعنى المقبوض والنقض بمعنى المنقوض فكان ينبغى ان يطابق المخبر عنه فى التثنية
الا انه افرد بناء على انه صفة موصوف محذوف مفرد فى اللفظ والتقدير كانتا
اشياء رتقا وقوله تعالى وجعلنا يحتمل ان يكون بمعنى خلقنا فيتعدى الى واحد وهو
كل شئ وحى صفة شئ ومن ابتدائية متعلقة بالفعل المذكور قبلها فان اريد
بالماء النطفة يكون جعلها مبدأ خلق الحيوان ظاهرا كما فى قوله تعالى والله خلق
كل دابة من ماء وان اريد بالماء حقيقة الماء الذى هو احد العناصر يكون جعلها
مبدأ مجاز كما فى قوله تعالى خلق الانسان من عجل بان شبه جعل الله تعالى كل حيوان
مفرط الاحتياج الى الماء محبا له قليل الصبر عنه بخلقه اياه من الماء ثم قيل جعلناه
وانشأناه منه بمعنى جعلناه شديد الاحتياج اليه بحيث لا يعيش بدونه فيكون جعلنا
استعارة تصريحية تبعية ويحتمل ان يكون بمعنى صيرنا فيتعدى الى اثنين ثانيهما
من الماء فعلى هذا كلمة من اتصالية والمعنى صيرنا كل حى متصلا بالماء ملابسا له كما
فى قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى مشتبك بعض متصل به
لا ينفك عنه وانما جعلت اتصالية لان من الماء اذا جعل مفعولا ثانيا لجعل وجب
ان يكون مفعوله الاول متصلا بالثانى ولا يتأتى ذلك الا بكونها اتصالية يقال
هذا بسبب منه اى ملابسه ومخالطه لا ينفك عنه ولكون الشئ بسبب امر
يستلزم الملابسة والاتصال القوى بينهما فسر المصنف قوله تعالى من الماء
بقوله بسبب من الماء الا ان من فى كلامه بيانية لا اتصالية وكذا
يحتمل الامرين على تقدير ان يكون حيا منصوبا على انه صفة كل وان نصب
على انه مفعول ثان يتعين كونه بمعنى صيرنا وكون الشئ مخصوصا بالحيوان سواء
اريد به الجسم الحساس المتحرك بالارادة او ما يعم النبات لانه يصيرنا ماياذ رطوبة
وخضرة ونور وثمر بسبب الماء ويدل عليه قوله تعالى كيف يحيى الارض بعد موتها
. هذا هو الدليل الثانى من الدلائل المذكورة فى هذه الآية أخبر الله تعالى
ان السموات والارض كانتا رتقا ففتق منهما ارزاقهم ثم ذكر انه جعل بالماء حياتهم
ثم ذكر انه جعل لهم الارض بحيث تقر بامالها وتسكن بهم بان اثبت عليها الجبال
الراسيات ثم ذكر انه جعل لهم فيها سبلا فجاجا ليهتدوا بها الى مصالحهم التى
جعلت لهم فى البلاد النائية وذكر ايضا نعمته فى رفع السماء بلا عمد وحفظها
من ان تسقط عليهم ذكر ايضا نعمته فيما جعل لهم من الليل والنهار والشمس
والقمر وما فيها من انواع النعم الراجعة اليهم ليتذكروا ان من قدر على هذه الامور

قال كانتا ولم يقل كن
لان المراد جماعة السموات
وجماعة الارض وقرئ رتقا
بالفتح على تقدير شيأ رتقا اى
مرتوقا كالرفض بمعنى
المرفوض (وجعلنا من الماء
كل شئ حى) وخلقنا من الماء
كل حيوان كقوله والله خلق
كل دابة من ماء وذلك لانه
من اعظم مواده فى التركيب
او لفرط احتياجه اليه
وانتفاعه به بعينه او صيرنا
كل شئ حى بسبب من الماء
لا يحيى دونه وقرئ حيا
على انه صفة كل او مفعول
ثان والظرف لغو والشئ
مخصوص بالحيوان (أفلا
يؤمنون) مع ظهور الآيات
(وجعلنا فى الارض رواسى)
ثابتات من رسا الشئ اذا
ثبت (ان تميد بهم)

كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لأمن الالباس (وجعلنا فيها) في الارض

اوالرواسي (فجاجا سبلا) مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك اوليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد (لعلهم يهتدون) الى مصالحهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرته اوالفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب (وهم عن آياتها) احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة (معرضون) غير متفكرين (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر) بيان لبعض تلك الآيات (كل) اي كل واحد منهم والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة (فى فلك يسبحون) يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال

العطية وأنعم عليهم بأتم النعم البديعة منزه عن الشريك والولد وانه اله واحد وسلطان عزيز صمد (قوله كراهة ان تميل) يعني ان قوله ان تميد مفعول له اما بتقدير المضاف او بحذف لام العلة ولا النافية فحذف ماحذف لعدم الالتباس قال ابن عباس ان الارض بسطت على وجه الماء فكانت تميد باهلها كما تميد السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال الثوابت كما ترسى السفينة بالمرساة (قوله مسالك واسعة) يعني ان اصل التركيب وجعلنا فيها سبلا فجاجا على ان سبلا هو المفعول وفجاجا صفة فلما قدم عليه انتصب حالا ليدل على انه تعالى حين خلق السبل فيها خلقها واسعة وذلك لان الحال يدل على هيئة ذي الحال حين تعلق العامل به (قوله اوليبدل منها) اي يجوز ان يكون فجاجا هو المفعول وسبلا بدلا منه تفسير للفجاج بيانا لكونها نافذة فانه لو كانت الفجاج قد يكون غير نافذ مع ما في البدل من التأكيد والسابلة ابناء السبيل المختلفة في الطرقات (قوله بيان لبعض تلك الآيات) فان خلق الليل والنهار متعاقبين وخلق الشمس والقمر والنجوم ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب آيات باهرة دالة على وجود الصانع المدبر الحكيم (قوله والمراد بالفلك الجنس) جواب عما يقال كيف يصح ان يقال كل واحد من الشمس والقمر يسبح في فلك مع ان لكل واحد منهما فلكا على حدة فان قولنا كلهم في دار [illegible] وان احتمل ان يكون المراد منه كل واحد منهم في دار على حدة الا انه خلاف المتبادر والمتبادر ان يكونوا مجتمعين في دار واحدة وتبادر هذا المعنى الى الفهم امارة لكون اللفظ حقيقة فيه وتقرير الجواب ان كل واحد منهما في فلك على حدة لما كان ثابتا بالرصد كان ذلك قرينة صارفة عن حمل اللفظ على الواحد بالشخص فتعين حمله على الواحد بالجنس كما يحمل عليه اللفظ حالة بقية امتاع ان يكسى الجماعة حلة واحدة بالشخص وقوله يسبحون استعارة تبعية شبه الاسراع كل واحد منهما على سطح الفلك باسراع السابح على سطح الماء وضمير الجمع فيه لكل واحد منهما وان كان واحدا بالشخص لانه [illegible] ضمير الجمع لتعدده باعتبار المطالع واحتج [illegible] على [illegible] على كون الكواكب احياء ناطقة بقوله تعالى يسبحون وبقوله اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين [illegible] الجمع [illegible] والنون لا يكون [illegible] الا [illegible] العالمين والجواب عنه [illegible] الذي اشار اليه المصنف من [illegible] ما هو [illegible] الافعال [illegible] بضمير العقلاء [illegible] والسجود نزلت منزلة العقلاء [illegible] الضمير [illegible] وللما [illegible] يسبحون خبر كل [illegible] حالة كل [illegible] يسبحون [illegible] من الشمس والقمر [illegible]

من الشمس والقمر ويجاز ان يراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء (ان ينال)

او يقال كيف جاز ان يخص المعطوف بكونه ذا حال مع ان الحال قيد في متعلق
العامل في ذي الحال والعامل كما تعلق بالشمس والقمر تعلق بالليل والنهار ايضا
فينبغي ان يكون مضمون الجملة الحالية قيدا في المتعلق بالجميع فاجاب عنه بقوله
وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس لظهور ان السباحة في الفلك انما تكون للشمس
والقمر دون الليل والنهار كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة اي مظهرة زينتها
واختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة فانه اما
ان يكون الفلك ساكنا والكواكب تتحرك فيه كحركة السمك في الماء الراكد واما
ان يكون الفلك متحركا والكواكب تتحرك فيه ايضا اما مخالفة لجهة حركته
او موافقة لها واما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء او مخالفة
واما ان يكون الفلك متحركا والكواكب ساكنة فيه قالت الفلاسفة الرأي الاول
باطل لانه يوجب خرق الفلك وهو محال وكذا الرأي الثاني فانه ايضا باطل لعين
ما ذكر فلم يبق الا الاحتمال الثالث وهو ان يكون الكوكب مغروزا في الفلك واقفا
فيه والفلك يتحرك فيتحرك الكوكب تبعا لحركة الفلك قال الامام واعلم ان مدار
هذا الكلام على امتناع الخرق وهو باطل بل الحق ان الاحتمالات كلها ممكنة
والله تعالى قادر على كل الممكنات والذي يدل عليه لفظ القرآن ان تكون الافلاك
واقفة والكواكب جارية فيها كما يسبح السمك في الماء (قوله قالوا نتربص
به ريب المنون) الريب ما يريبك من المكاره والمنون الموت والمعنى ننتظر به
ان تصيبه مكاره وحوادث تؤديه الى الموت فريب المنون الحوادث المهلكة
من حوادث الدهر والشماتة الفرح ببلية العدو ولما كانوا يتمنون موته عليه الصلاة
والسلام ابطل الله تعالى شماتتهم بهذه الآية اي قضى الله ان لا يخلد بشرا
في الدنيا فكل من فيها عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى
هؤلاء فالهمزة في المعنى دخلت على الخلود لانه هو المنكر بعد تقرر ذلك أي أفانت
أفهم الخالدون فجيء بالهمزة لانكار هذا المعنى اكده تعالى هذا الانكار بقوله
كل نفس ذائقة الموت واشار المصنف الى ان المراد بالنفس النفس الناطقة التي
هي الروح الانساني ان موتها عبارة عن مفارقتها جسدها وقدر المرارة استعارة
لما يجده النفس من ألم المفارقة تشبيها له بالكيفية المطعومة وجعل الذوق ترشيحا
الاستعارة ولا يرد ما ذكره الامام من ان عموم كل نفس لابد ان يراد منه الخصوص
فان لله تعالى نفسا كما قال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك مع ان الموت لا يجوز
ا... وكذا الجمادات لها نفوس وهي لا تموت فانه انما يتجه ان لو كان النفس
... ذات رأس كذا ... عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ...

لان السباحة فعلهم
(وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد أفان مت
فهم الخالدون) نزلت
حين قالوا نتربص به ريب
المنون وفي معناه قوله فقل
للشامتين بنا افيقوا * سيلقى
الشامتون كما لقينا والفاء
لتعلق الشرط بما قبله
والهمزة لانكاره بعدما تقرر
ذلك (كل نفس ذائقة
الموت) ذائقة مرارة
مفارقتها جسدها وهو
برهان على ما انكره
(ونبلوكم) ونعاملكم معاملة
المختبر (بالشر والخير)
بالبلايا والنعم (فتنة) ابتلاء
مصدر من غير لفظه
(والينا ترجعون) فنجازيكم
حسب ما يوجد منكم
من الصبر والشكر وفيه
ايماء بان المقصود من هذه
الحياة الابتلاء والتعريض
للثواب والعقاب تقريرا لما
سبق (واذا رآك الذين
كفروا ان يتخذونك الا هزوا)
ما يتخذونك الا هزوا
مهزوا به ويقولون
(أهذا الذي يذكر آلهتكم)
اي بسوء وانما اطلقه

ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مات وسجى عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يده على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه صدق الله ورسوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ثم خرج الى الناس فخطب وقال فى خطبته من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فان رب محمد حى لايموت ثم قرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية ثم انه تعالى قرر القضاء بتسوية الامر بين الخلق وبين وجه الحكمة فيه بان المقصود من هذه الدنيا الابتلاء بالمكاره التى تسمى شرا وهى المضار الدنيوية من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات والشهوات العاجلة التى تسمى خيرا كالنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ليظهر ما فى علمه من شكر الشاكرين على المنح وصبر الصابرين على المحن ويتميزوا من اضدادهما ويجازى كل احد على حسب ماوجد منه من الصبر والشكر ويعاقب على ماقصر فيه بترك ماوجب عليه منهما وهذه المجازاة لما لم تسعها دار التكليف فلابد من دار اخرى لايصار اليها الا بالموت والنشور فلا بد لكل نفس ان تموت ثم تبعث فقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ثم انه تعالى رجع الى تهجينهم وتقبيح حالهم التى هى استهزاؤهم بمن بعث صارفا عن الغواية والعذاب الاليم داعيا الى الهدى والنعيم المقيم مع انهم مستهزؤن لان يهزأبهم فقال واذا رآك الذين كفروا الخ وان فى قوله ان يتخذونك نافية وهى مع مافى حيزها جواب ان الشرطية وهزؤا مصدر وقع موقع اسم المفعول اى مهزوأبه والهزؤ السخرية والجملة الاستفهامية بعده محكية بقول مضمر معطوف على جواب الشرط اى ويقولون أهذا الذى يذكر (قوله لدلالة الحال) فانه يقال فلان يذكر الناس ويراد انه يغتابهم ويذكرهم بالعيوب ويقال فلان يذكر الله ويراد انه يصف الله تعالى بالعظمة والجلال ويثنى عليه بما هو اهله ويطلقون فعل الذكر اعتمادا على دلالة الحال والمقام وجملة قوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون فى موضع النصب على انها حال من فاعل القول المقدر او من فاعل يتخذونك اى يقولون ذلك وهم على هذه الحالة اويتخذونك هزؤا وهم على حال هى اصل الهزؤ والسخرية وهى الكفر بالله الموجب للهزؤ والسخرية والمصنف اختار الثانى حيث قال فهم احق بان يهزأبهم وهم الاولى مبتدأ وكافرون خبره ويذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون منكرون لذكر الرحمن وهم الثانية تأكيد لفظى للاولى ليفيد الاختصاص

لدلالة الحال فان ذكر العدو لايكون الا بسوء (وهم بذكر الرحمن) بالتوحيد اوبارشاده الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن (هم كافرون) منكرون فهم احق بان يهزأبهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر (خلق الانسان من عجل) كأنه منه خلق لفرط استعجاله وقلة تأنيه كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له

ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته ﴿ ١٩٥ ﴾ مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روى انها نزلت في النضر بن الحرث حين استعجل العذاب (سأريكم آياتي) نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار (فلا تستعجلون) بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها (ويقولون متى هذا الوعد) وقت وعد العذاب او القيامة (ان كنتم صادقين) يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) محذوف الجواب وحين مفعول به ليعلم اى لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك (بل تأتيهم) العدة او النار او الساعة (بغتة) فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين (فتبهتهم) فتغلبهم او تحيرهم

ووقوع الفصل بين المبتدأ والخبر بمعمول الخبر واضافة الذكر الى الرحمن اما من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله اى وهم بان يذكروا الرحمن بما يجب من الوحدانية والتنزيه عن اتخاذ الشريك والصاحبة والولد ونحو ذلك واما من قبيل اضافته الى الفاعل اى بان يذكر الرحمن عباده بارشادهم الى الصراط المستقيم ببعث الرسل وانزال الكتب ويحتمل ان يكون المراد بالذكر القرآن المنزل الذي هو ذكر للعالمين وموعظة لهم (قوله ولذلك) اى ولاحتياج الى التأويل في جعل العجل مبدأ لخلق الانسان قيل انه على القلب والمعنى خلق العجل من الانسان كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى تعرض النار عليهم وهو بعيد لانه لما امكن حمل الكلام على معنى صحيح فهو على تقديره لا وجه لان يقال انه مقلوب روى عن ابن عباس انه قال نزلت الآية في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله والنهي عما جبلت عليه نفوسهم) جواب عما يقال كيف نهى عن الاستعجال الذي جبل عليه الانسان والامور الجبلية لا تنفك عن الانسان فالنهي عنها من قبيل تكليف ما لا يطاق وهو لا يقع بالنص وتقرير الجواب ان الامور الجبلية انما تكون من لوازم الانسان اذا خلي الانسان ونفسه وهو لا ينافي ان يكون تركها مقدورا له بان يتهم نفسه الامارة بالسوء ويخالف هواها ويتبع الادلة العقلية والسمعية الاترى انه تعالى ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها بما اعطاه من القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ونحوهما من الامور الجبلية فانه تعالى جعل في وسعه رياضة نفسه حتى يصير صبورا حليما بالرياضة وهو كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا الآية اخبر انه تعالى خلقه جزوعا منوعا شحيحا ثم قال الا المصلين فان استثناء المصلين منهم يدل على ان الانسان يتحول بالرياضة عن الحالة التي خلقه الله تعالى عليها الى حالة اخرى (قوله وقت وعد العذاب) اى وقت العذاب الموعود على ان الوقت المقدر مبتدأ ومتى خبره قدم عليه فانهم كانوا يستعجلون العذاب الموعود لمن اصر على الكفر والتكذيب ويقولون متى هذا الوعد فاراد الله تعالى نهيهم عن الاستعجال وبيان انه نازل بهم في الوقت المقدر له فجعل ذم الانسان على افراط العجلة وبيان انه مطبوع عليها ذريعة الى نهيه وزجره عن الاستعجال فقولهم متى هذا الوعد هو الاستعجال المذموم الذي اريد نهيهم عنه (قوله تحيط بهم النار من كل جانب) اشارة الى ان قوله عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم عبارة عن جميع الجوانب كأنه قيل من قدامهم وخلفهم وقوله لما استعجلوا جواب لو المقدر وحسن حذفه لان ما تقدم يدل عليه والمعنى لكنهم استعجلوا لجهلهم بهول ذلك الحين وما فيه

وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله (فلا يستطيعون ردها)

من العذاب المهين (قوله ويجوز ان يترك مفعول يعلم) او مفعول لفظ يعلم
الذي هو اسم علم لجنس الذي هو اللفظ الدال على معنى في نفسه مقترن باحد
الازمنة الثلاثة لانه لو اريد به مسمى لفظ يعلم لما وقع مضافا اليه لان الاضافة
من خواص الاسم وقد نص المحققون على ان كل لفظ وضع بازاء معنى اسما كان
او فعلا او حرفا فله اسم علم هو نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على اللفظ الذي
يصدق عليه حد الاسم او الفعل او الحرف الا ترى انك تقول ضرب فعل ومن حرف
فيجعل كل واحد من ضرب ومن محكوما عليه مع استحالة كون الفعل والحرف
مخبرا عنه وبالتأمل ويجوز ان ينزل يعلم منزلة اللازم مبالغة في تجهيل المستعجلين
على معنى لو كانوا من اولي العلم لما استعجلوا ولكنهم استعجلوا لفرط جهلهم وعظم
الجهل مستفاد من تنزيل يعلم منزلة اللازم فانه يدل على انهم لا يعلمون شيأ وعلى
هذا الوجه يكون حين منصوبا بفعل مضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار
يعلمون انهم كانوا مبطلين في استعجالهم [illegible] هذا الحال العظيم فيكون
هذه الجملة كلاما مستأنفا [illegible] العلم [illegible] قال او يعلم الذين كفروا
ان قال متى يعلمون [illegible] هذا الجهل العظيم فاجيب بقوله حين لا يكفون [illegible]
[illegible] وحين [illegible] متى يعلمون (قوله بل تأتيهم العدة) على
ان يكون الضمير للمؤنث [illegible] تأتيهم الوعد [illegible] بمعنى العدة او النار او الحين لانه في معنى
[illegible] على [illegible] الاتيان [illegible]
[illegible] العاجلة قوله تعالى بل
تأتيهم [illegible] ويقولون متى
هذا الوعد [illegible]
من العذاب الشديد ثم اضرب [illegible] الى بيان [illegible]
الموعود [illegible] تأتيهم [illegible] ولما كان استعجالهم ذلك بطريق الاستهزاء
[illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible] ويتحرج من [illegible] قوله تعالى
ولقد استهزئ [illegible] الصلاة والسلام [illegible] لا [illegible] الذين
[illegible] الآية لا يخلو [illegible] قال [illegible]
هذا الاستهزاء من العذاب اشد [illegible]
(قوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن [illegible] جزاء ما كانوا [illegible]
[illegible] جزاء استهزائهم [illegible] بالاستهزاء [illegible]
[illegible] لما اصاب [illegible]
[illegible] عدم [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] رحمة [illegible]

لان الوعد بمعنى النار او العدة
والحين بمعنى الساعة
ويجوز ان يكون النار
او البغتة (ولا هم ينظرون)
يمهلون وفيه تذكير
بامهالهم في الدنيا
(ولقد استهزئ برسل
من قبلك) تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
فحاق بالذين سخروا منهم
ما كانوا به يستهزؤن)
وعده بأن ما يفعلونه به
يحيق بهم كما حاق المستهزئين
بالانبياء [illegible] جزاءه
(قل) يا محمد للمستهزئين
(من يكلؤكم) يحفظكم
(بالليل والنهار من الرحمن)
من بأسه ان اراد بكم وفي لفظ
الرحمن تنبيه على ان لا كالئ
غير رحمته العامة وان
اندفاعه بمهلة (بل هم
عن ذكر ربهم معرضون)
لا يخطرونه ببالهم
فضلا عن ان يخافوا بأسه
حتى اذا كلئوا منه عرفوا
الكالئ وصلحوا للسؤال
عنه (ام لهم آلهة تمنعهم
من دوننا) بل ألهم آلهة
تمنعهم من العذاب تجاوز
منعنا او من عذاب يكون
من عندنا [illegible] والاضراب
[illegible] والسؤال على
الترتيب فانه عن المرض [illegible] عن الشئ بعيد وعن [illegible] ابعد (لا يستطيعون نصر انفسهم (البارزة)

الباهرة امره عليه الصلاة والسلام ان يسألهم عن الكالئ ليقروا وينتبهوا على أنهم في قبضة قدرة الله تعالى مسخرون لحكمته ومشيئته لينتهوا عن الاستهزاء والتكذيب ويتمسكوا بحبل الطاعة والتصديق ثم اضرب عن ذلك الامر بقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى دعهم عن هذا السؤال لانهم لا يصلحون له لاعراضهم عن ذكر الله تعالى فلا يخطرونه ببالهم حتى يخافوا بأسه ثم اذا رزقوا الكلاءة من عذابه عرفوا ان الحافظ هو الله تعالى وحده وصلحوا للسؤال عنه ثم أضرب عن امر التسجيل عليهم بانهم لا يصلحون للسؤال الى ما هو أهم وهو الانكار عليهم فيما زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتمنعهم مما استحقوا من العذاب فقال أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا اى بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب متجاوزة منعنا وحفظنا على ان قوله تعالى من دوننا صفة مصدر محذوف والذى اضيف اليه دون ايضا محذوف وتقدير الكلام تمنعهم منعا كائنا من دون منعنا اى من غير منعنا ويحتمل ان يكون من دوننا بمعنى من عندنا فيكون صفة لمحذوف يتعلق بقوله تمنعهم والتقدير تمنعهم من عذاب كائن من عندنا كأنه قيل دعهم عن هذا السؤال لا عتقادهم واعراضهم عن ذكر ربهم بل لاعتقادهم ان لهم آلهة تستقل في حفظهم وانظر الى من اعرضوا عن ذكر ربهم اليها من هذا غريب وغرب لان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله عز وجل كيف ينصر غيره ثم أضرب عما توهموه من ان ما هم فيه من الكلاءة من جهة ان لهم آلهة تمنعهم من تطرق البأس اليهم فقال بل متعنا هؤلاء وآباءهم الآية كأنه قيل دع ما زعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم بل ما هم فيه من الحفظ انما هو منا لا من غيرنا حفظناهم من البأساء ومتعناهم بانواع السراء لكونهم من اهل الاستدراج والانهماك فيما يؤديهم الى العذاب العظيم واعقاب الاليم ويحتمل ان يكون اضرابا عن الاستئناف السابق كأنه قيل دع ما بينت بطلان ما اعتقدوه من ان يكون لهم آلهة تمنعهم واعلم انهم انما وقعوا في ورطة ذلك التوهم الباطل بسبب انه تعالى متعهم بما يشتهون فحسبوا ان ذلك يدوم عليهم فاغتروا واعرضوا عن التأمل في قول الرسول المبلغ عن الله وتبعوا ما سولت لهم انفسهم من الاوهام الباطلة لقساوة قلوبهم وغشاوة على ابصارهم والافئدة فصح الحق من الباطل وبين الرشد من الغي فما بقى الا ان يدفعهم على سبيل التدريج بان يعاجلهم بخمار المنافع يضطرهم الى عذاب النار في العقبى واشار الى هذا المعنى بقوله عز من قائل أفلا يرون اى أفلا ينظرون فيرون كيف شرعنا في ذلك بان ننقص دار الكفر من حواليها بفتح بلادها من حوالى مكة فلما رأى ذلك نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بعد ما فتح من المشركين واحدا بعد واحد بتسليط المسلمين عليها واظهارهم

ولاهم منا يصحبون) استئناف بابطال ما اعتقدوه فان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعى الى حفظهم وهو الاستدراج بالتمتع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال (أفلا يرون انا نأتى الارض) ارض الكفرة (ننقصها من اطرافها) بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدى المسلمين (أفهم الغالبون) رسول الله والمؤمنين (قل انما انذركم بالوحى) بما اوحى الى (ولا يسمع الصم الدعاء)

وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون (اذا ما ينذرون) منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام فى الانذار او للمبالغة فى تصامهم وتجاسرهم (ولئن مستهم نفحة) ادنى شئ وفيه مبالغات ذكر المس وما فى النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشئ والبناء الدال على المرة (من عذاب ربك) من الذى ينذرون به (ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين) لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم (ونضع الموازين القسط) العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة (ليوم القيامة)

على اهلها بحيث لا يقدر ون على دفعهم عن انفسهم وديارهم أفهم الغالبون ام المغلوبون فالفاء فى أفلا يرون لعطف الجملة على المقدر والتى فى قوله افهم الغالبون لعطفها على الملفوظ والعبارة الظاهرة فى تأدية هذا المعنى ان يقال أفلا يرون ان عساكر الموحدين المطيعين يأتون ارض المشركين وينقصونها من اطرافها الا انه تعالى اسند عمل المسلمين الى ذاته تنبيها على ان المجازى والمنتقم والمخرب هو الله تعالى حقيقة وان ظهر ذلك بتسليط المسلمين وتمكينهم من التخريب والاهلاك والذى ورد عليه نظم التنزيل تصوير الامر على ما هو عليه فى نفس الامر ثم انه تعالى لما بالغ فى تهديد الكفرة المستهزئين المستعجلين وانذارهم بانواع العذاب قرر ذلك واكد بقوله قل انما انذركم بالوحى الى من القرآن الكريم (قوله وقرأ ابن عامر ولا تسمع) اى بضم تاء الخطاب وكسر الميم ونصب الصم الدعاء على انهما المفعولان وقرأ الحسن على قرآءة ابن عامر الا انه يضم ياء الغيبة على ان فيه ضميره عليه الصلاة والسلام وقرأ باقى السبعة بفتح ياء الغيبة والميم ورفع الصم ونصب الدعاء (قوله للدلالة على تصامهم) وجه الدلالة ان تعريف الصم للعهد والمعهود هؤلاء المنذرون وهم ليسوا بصم حقيقة فلما سموا صما دل على انهم شبهوا بالصم لتصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون ثم انه تعالى بين ان حالهم ستصير الى ان يصيروا بحيث اذا شاهدوا اليسير مما انذروا به كمس ريح الشئ بدون مس جسمه فعند ذلك يسمعون ويعتذرون ويعترفون على انفسهم بالظلم حيث لا ينتفعون فقال ولئن مستهم نفحة اى ادنى شئ مما انذروا به بسبب شركهم وتكذيبهم الرسول واصل النفح هبوب الريح يقال نفحت الريح اى هبت هبوبا لينا ونفحه بنائل اى بشئ يسير من العطاء (قوله توزن بها صحائف الاعمال) يعنى ان الله تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال وقد روى انه ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه الصلاة والسلام فان قيل كيف توزن الاعمال وانما هى اعراض لا توصف بالخفة والثقل المختصين بالجواهر اجيب بان فى كيفية وزنها وجهين الاول ان توزن صحائف الاعمال والثانى انه تعالى يعطيها صور الجواهر فيضع فى كفة الحسنات جواهر بيضاء مشرقة وفى كفة السيئات جواهر سوداء مظلمة والمعتزلة عن آخرهم انكروا وضع الموازين الحقيقية وقالوا يجب ان يحمل ما ورد فى القرآن من الوزن والميزان على رعاية العدل والانصاف بحيث لا يقع منه تعالى ظلم فوضع الموازين عندهم عبارة عن اعداد المحاسبات السوية والاجزية على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين الحقيقية لتوزن بها الموزونات للعدل وتسوية الحقوق وعامة اهل السنة على انه تعالى يضع الموازين

(الحقيقية)

الحقيقية ويزن بها صحف الاعمال وجمع الموازين مع ان الميزان الموضوع واحد نظرا الى تعدد مايوزن فيه اولتعظيم شانه فمن احاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه بمعنى ان حسناته تذهب سيئاته ومن احاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه اى اذهبت حسناته سيئاته كذا روى عن ابن عباس وهو اوفق لما ذهب اليه المعتزلة (قوله لجزاء يوم القيامة) يعنى ان اللام فيه اما للتعليل على حذف المضاف اوهى لام التوقيت بمعنى فى كما فى قولك جئت لخمس خلون اى مضين وذهب صاحب الكشاف الى انها لام الاختصاص ومعنى المثال اختصاص المجئ بذلك الزمان ومعنى الآية اختصاص وضع الميزان بيوم القيامة (قوله شيأ من حقه اومن الظلم) الاول على ان يكون شيأ مفعولا ثانيا لتظلم لانه بمعنى لاتنقص ونقص يتعدى الى مفعولين يقال نقصه حقه وقال تعالى لا ينقصوكم شيأ والثانى على ان يكون مفعولا مطلقا وقرأ العامة اتينا بها بقصر الهمزة من الاتيان بمعنى احضرنا وقرئ بمد الهمزة فيحتمل ان يكون وزنه افعلنا من آتى يؤتى ايتاء اوفاعلنا ويؤيده قوله بها لان ماهو بوزن افعلنا يتعدى الى مفعوليه بنفسه قال تعالى وآتينا ثمود الناقة ثم انه تعالى شرع فى قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام على اداء الرسالة وتسلية له بانه ليس اول من بعث لدعوة المستكبرين ووجه ربط قصة موسى بماقبلها انه تعالى لما امر رسوله عليه الصلاة والسلام ان يقول انما انذركم) بالوحى اتبعه بانه عادة الله تعالى فى الانبياء قبله فقال ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وهو مصدر وصف به الكتاب الالهى لكونه فارقا بين الحق والباطل ومابعده معطوف عليه على طريق عطف الصفات والمراد بالجميع شئ واحد هو التوراة فالمعنى ولقد آتيناهما الكتاب الجامع لهذه الاوصاف وقيل المراد بالفرقان النصر على الاعداء كما فى قوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعنى يوم بدر حين يفرق بين الحق والباطل (قوله حال من الفاعل) يعنى يخشون ربهم وعذاب ربهم وهم غائبون عنه لم يروه فيأتمرون باوامره وينتهون عن نواهيه اوهم غائبون عن الآخرة لم يروا ما فيها من الاهوال اوهم غائبون عن الناس لاكالذين يجتنبون المعاصى بحضر الناس ويرتكبونها فى الخلوات اومن المفعول يعنى يخشون عذاب ربهم وهو غائب لم يشاهد بعد ويخشون ربهم وهو غائب عن الحس لاتدركه الابصار وانما يؤمنون به ايمانا غيبيا استدلاليا (قوله مبالغة وتعريض) من حيث انه حصر الخوف من الساعة فى المتقين والحصر ليس اصل الخوف بل هو الخوف الكامل والحكم بانحصاره فيهم يتضمن الحكم بانتفائه عن غيرهم وهو وجه التعريض بغيرهم (قوله استفهام توبيخ) عير الله اهل مكة بان القرآن

لجزاء يوم القيامة اولاهله اوفيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر (فلا تظلم نفس شيأ) من حقه اومن الظلم (وان كان مثقال حبة من خردل) اى وان كان العمل اوالظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة (أتينا بها) احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من أعطينا اومن المؤاتاة فانهم أتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء اثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة (وكفى بنا حاسبين) اذلامزيد على علمنا وعدلنا (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) اى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان (الذين يخشون ربهم) صفة للمتقين اومدح لهم منصوب اومرفوع (بالغيب) حال من الفاعل او المفعول (وهم من الساعة مشفقون) خائفون وفى تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض (وهذا ذكر) يعنى القرآن (مبارك) كثير خيره (انزلناه) على محمد (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ (ولقد آتينا ابراهيم رشده) الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد

مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة (من قبل) من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال انى وجهت (وكنا به عالمين) علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات (اذ قال لابيه وقومه) متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله (ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون) تحقير لشانها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها (قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين) منخرطين في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق (قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين) كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله انما قاله على وجه الملاعبة فقالوا [illegible] تقوله ام تلعب به (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم (وانا على ذلكم) [illegible] الذى ذكرته من التوحيد

مع اشتماله على جميع ما اشتمل عليه التوراة من الاوصاف مشتمل على امر زائد على ما فيهما وهو كونه معجزا لاشتماله على الامور العجيبة والبلاغة البديعة وعلى الادلة العقلية وبيان الشرائع الحكمية فمثل هذا الكتاب لا يجترئ على انكاره من له ادنى تمييز (قوله وقرئ رشده) بفتح الراء والشين والعامة على ضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالعدم والعدم يقال رشد بالفتح يرشد رشدا ورشد بالكسر يرشد رشدا كلاهما بمعنى والاضافة فيه بمعنى اللام والاختصاص والمعنى ولقد آتينا بجلالنا وعظم شأننا ابراهيم رشدا يليق بمثله وبحال من انتصب للرسالة وخلة الرحمن ولو قيل الرشد او ترك اللام وصير الجملة [illegible] لما افاد الكلام هذا المعنى فان الرشد وان كان حالا [illegible] من رشد المؤمنين والرشد الذى اوتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام نوعا زائدا (قوله علمنا انه اهل لما آتيناه) اى من الرشد المفسر بالاهتداء الى وجوه الصلاح فى امور الدين والدنيا فيكون تعليلا لقوله [illegible] لان ايتاء الاهتداء المذكور والعلم بكونه جامعا لمحاسن الاوصاف والخصال بمعنى واحد ومثل هذا التركيب يستعمل فى المعنى [illegible] فى حق احد من افاضل [illegible] وقوات هذا فى الدلالة على كونه جامعا وجوه الفضائل اشد [illegible] مما اذا وصلت صفات كاملة (قوله فان التمثال) يعنى انه اسم لشئ [illegible] مشبه الخالق من خلق الله [illegible] واصله من مثلت الشئ بالشئ اذا شبهته به واسم ذلك المثل التمثال [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible] هذا الكلام [illegible] (قوله ويجوز ان يؤول) اى [illegible] بجعل اللام بمنزلة [illegible] (قوله جواب عما لزم الاستفهام) اى جواب عما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام سؤالا عن حقيقة التماثيل المعكوف عليها وهم [illegible] على عادتها فلا انطباق بين السؤال والجواب [illegible] الجواب انه ليس جوابا لنفس الاستفهام بل عما لزمه من السؤال عن المقتضى [illegible] السؤال اللازم [illegible] على عبادتهم [illegible] من الحجارة [illegible] فى جوابه الا طريقة التقليد [illegible] هذا [illegible] (قال لقد كنتم انتم وآباؤكم [illegible] فى ضلال مبين) [illegible]

بين العاقلات وغيرها قال تعالى منها اربعة حرم ثم قال فلا تظلموا فيهن انفسكم لماسمع ابراهيم عليه الصلاة والسلام مقالة القوم وعلم ان استفهامهم ذلك مبنى على انهم حسبوا انه عليه الصلاة والسلام انما انكر عليهم دينهم القديم مع كثرتهم وشوكتهم على وجه المزاح واللعب قال بل ربكم رب السموات الآية كانه قال ما قلته لكم انما قلته على سبيل الجد واظهار الحق ولى برهان على ذلك كانه ليس المراد من الشهادة فى قوله وانا على ذلكم من الشاهدين حقيقة الشهادة لانه لاشهادة من المدعى بل استعيرت الشهادة لتحقق الدعوى بالحجة والبرهان اى لست من اللاعبين فى الدعاوى بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة بمنزلة الشاهد الذى تقطع به الدعاوى (قوله من المحققين) اى من المتيقنين له يقال تحققت الشيء اذا صرت منه على يقين والشاهد من تحقق الشيء وحققه فقوله من الشاهدين من باب التشبيه البليغ اظهر عليه الصلاة والسلام كونه صادقا جادا فيما خاطبهم به فى حق اصنامهم اولا بقوله بل ربكم رب السموات والارض فدل بذلك على ان من خلقهما على هذا الوجه البديع لنا فع العباد هو الذى يحسن ان يعبد لان من يقدر على ذلك يقدر على ان يضر وينفع فى الدار الآخرة بالعقاب والثواب واظهره ثانيا بالطريقة الفعلية المدلول عليها بقوله وتالله لاكيدن اصنامكم فان قيل لماذا قال لاكيدن اصنامكم والكيد هو الاحتيال على الغير فى ضرر لايشعر به والاصنام جمادات لاتتضرر بالكسر ونحوه وايضا ليست هى مما يحتال فى ايقاع الكسر عليها لان الاحتيال انما يكون فى حق من له شعور اجيب بان ذلك من قبيل التوسع فى الكلام فان القوم كانوا يزعمون ان الاصنام لهن شعور ويجوز عليهن التضرر فقال ذلك بناء على زعمهم وقيل المراد لاكيدنكم فى اصنامكم لانه بذلك الفعل قد ازال عنهم الغم وقرأ العامة تالله بالتاء المثناة من فوق وقرئ بالباء الموحدة والاصل فى حروف القسم الباء لان تلك الحروف انما تدخل على المقسم به لان تلصق فعل القسم بالمقسم به والاصل فى تأدية معنى الالصاق هو الباء وابدلت الواو من الباء للمناسبة بينهما من حيث كونهما شفويتين ومن حيث ان الواو تفيد معنى الجمعية القريبة من معنى الالصاق والتاء بدل من الواو كما فى تراث وفى التاء معنى زائد ليس فى اختيها وهو التعجب ودلك لان المقسم عليه بالتاء يجب ان يكون امرا نادر الوقوع وان الشيء المتعجب لايكثر وقوعه والالم يكن معجبا ومن ثمة قيل استعمال التاء لايكون الامع اسم الله تعالى فكانه عليه الصلاة والسلام تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه منه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته لاسيما فى زمن نمرود مع عتوه وقوة سلطانه وبعد منصوب بلاكيدن ومدبرين حال مؤكدة لان التولى والادبار بمعنى واحد قرأ العامة

(من الشاهدين) من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه (وتالله) وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب (لاكيدن اصنامكم) لاجتهدن فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل (بعد ان تولوا) عنها (مدبرين) الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا (فجعلهم جذاذا) قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذ جمع جذة (الا كبيرا لهم) للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه (لعلهم اليه يرجعون) لانه غلب على ظنه انهم لايرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم اولانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم بذلك اوالى الله اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم (قالوا) حين رجعوا (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) بجرأته على الآلهة الحقيقة

تولوا بضم التاء واللام مضارع ولى مشددا وقرئ تولوا بفتحهما مضارع تولى واصله تتولوا فحذف احدى التاءين ويؤيده قراءة الجمع فتولوا عنه مدبرين والمعنى بعد غيبتكم عنى وذهابكم الى عيدكم قال السدى كان لهم فى كل سنة عيد يجتمعون فيه وكانوا اذا اجتمعوا فيه ورجعوا منه دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابنه ابراهيم عليه الصلاة والسلام لو خرجت معنا الى عيدنا لاعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى فلما مضوا وبقى ضعفاء الناس نادى فى آخرهم وقال تالله لأكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين اى الى عيدكم فسمعوها منه واحتج هذا القائل عليه بقوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقال الكلبي كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام من اهل بيت ينظرون فى النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بكسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه اراني اشتكى غدا وهو قوله فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم واصبح فى الغد معصوبا رأسه فخرج القوم الى عيدهم ولم يتخلف احد غيره وانتشر ذلك فى جماعة فلذلك قال تعالى سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام دخل بيت الاصنام وكانت فى بيت بهى عظيم وهو بيت المقدس امام البيوت فوجد فيه سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس فى يده حتى لم يبق الا الكبير ثم علق الفاس فى عنقه ولم يكسره فقوله الا كبيرا لهم استثناء من مفعول قوله فجعلهم ولهم صفة للكبير وضمير اليه يرجع الى ابراهيم والمعنى انه فعل ذلك ثم قال فى نفسه لعلهم يرجعون الى فى هذه الحادثة فأبكتهم بان اقول لهم بل فعله كبيرهم هذا ويجوز ان يرجع الى الكبير والمعنى لعلهم يرجعون الى الكبير قائلين ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس فى عنقك وانما قال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم اولعلهم كانوا يعتقدون فيها انها تجيب وتتكلم ويحتمل انه عليه الصلاة والسلام قال ذلك مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم ومن فى قوله تعالى من فعل هذا بآلهتنا يحتمل ان تكون استفهامية وهو الظاهر فعلى هذا يكون قوله انه لمن الظالمين استئنافا لا محل له من الاعراب ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى وعلى هذا يكون قوله انه لمن الظالمين فى محل الرفع على انه خبر الموصول (قوله ويذكر ثانى مفعولى سمع) لان سمع انما يتعدى الى واحد اذا تعلق بالكيفية المسموعة كقولك سمعت قرآته واما اذا تعلق بالاعيان التى لا يتعلق بها السماع فحينئذ يتعدى الى اثنين فيكون فتى مفعولا اولا ويذكرهم فى محل النصب على انه مفعول ثان فانه لا يجوز لك

بالاعظام او بافراطه فى حطمها او بتوريط نفسه للهلاك (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ فى نسبة الذكر اليه

ان تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع وجعله صفة اولى ادخل في نسبة الذكر اليه لاستواء الوجهين والاشتمال على نسبة الفعل الى الفاعل واختصاص الوجه الثاني بنسبة الوصفية فيكون قوله يقال له ابراهيم صفة ثانية لفتى الا ان المفعول الثاني لابد منه لسمع لما مر من انك لاتقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما سمعت (قوله هو ابراهيم) على ان يكون ارتفاع ابراهيم على انه خبر محذوف ثم جوز ان يكون نائب فاعل مالم يسم فاعله بمعنى يقال له ويطلق عليه الاسم ولو اريد به المعنى المجاز قيامه مقام الفاعل لان مفعول القول لايكون الاجملة بخلاف ما اذا اريد لفظ ابراهيم فانه حينئذ يجوز ان يقوم مقام الفاعل لان اللفظ في حكم الجملة في جواز كونه مقول القول فيؤدى ليكون القول حينئذ بمعنى التسمية كأنه قيل يسمى ابراهيم واختلف النحاة في جواز تسلط القول على المفرد الذي لايؤدى معنى جملة ولاهو مقتطع من جملة ولاهو مصدر القال ولاصفة لمصدره نحو قلت زيدا اى قلت هذا اللفظ فأجازه جماعة منهم الزمخشري ومنعه آخرون واما اذا كان المفرد مؤديا معنى جملة كقولك قلت خطبة وقصيدة اوشعرا اومقتطع من جملة كقوله

اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة ✵ معتقة مما يجيء به التجر

اوكان مصدرا نحو قلت قولا اوصفة له نحو قلت حقا او باطلا فانه يتسلط عليه القول اجماعا (قوله بمرأى منهم) يعنى ان قوله على اعين الناس في محل النصب على انه حال من الهاء في به اى ائتوابه وجيئوا به ظاهرا مكشوفا بمرأى منهم ومنظر واورد حرف الاستعلاء بناء على طريق التشبيه اى تشبيه تمثيل صورته في اعينهم باستعلاء الراكب على مركبه وتوضيح المقام ان المعنى فائتوابه مستقرا على اعين الناس مستعليا عليها وذلك باب تشبيه انطباع صورة المرئى في القوة الباصرة باستعلاء الراكب على المركب ثم ذكر كلمة على واريد الاستعلاء فهو استعارة تبعية وقرينتها اعين الناس فالمراد بالاتيان مثاله لما سمع بعض القوم قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتالله لأكيدن اصنامكم وسمعوا سبه لآلهتهم غلب على ظنهم انه الفاعل لذلك فلذلك قالوا سمعنا فتى يذكرهم اى يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم فهو الذي يظن انه الذي فعل هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه فقالوا فيما بينهم فائتوابه على اعين الناس لعلهم يشهدون عليه انه الذي فعل قيل كرهوا ان يأخذوه بغير بينة وقيل انه ليس من الشهادة بل هو من الشهود وهو الحضور والمعنى لعلهم يحضرون عقوبتنا اياه (قوله حين احضروه) اشارة الى ان في الكلام حذفا والتقدير فائتوابه فلما شاهدوه قالوا منكرين عليه فعله

(يقال له ابراهيم) هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل لان اراد به الاسم (قالوا فأتوا به على اعين الناس) بمرأى منهم بحيث يتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب (لعلهم يشهدون) بفعله اوقوله او يحضرون عقوبتنا له (قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم) حين احضروه (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون)

مو بخين له ءانت فعلت هذا و فى قوله ءانت وجهان الاول انه فاعل فعل مقدر يفسره الظاهر بعده و التقدير أفعلت هذا بآلهتنا فلما حذف الفعل انفصل الضمير فعلى هذا لا محل لفعلت الملفوظ بها لانها مفسرة و الثانى انه مبتدأ والجملة التى بعده فى محل الرفع على الخبرية و بين الوجهين فرق من حيث المعنى وهوأن اداة الاستفهام اذادخلت على الفعل يكون الشك فى انه هل وقع اولا ولا شك فى فاعله واذادخلت على الاسم لايكون الشك فى وقوع الفعل بل يكون وقوعه مقطوعابه و يكون المشكوك فيه هو الاسم الذى دخلت عليه اداة الاستفهام ويشك فى انه هل هو الفاعل اوغيره فاذا قلت أقام زيد كان الشك فى قيامه واذا قلت أزيد قام وجعلته مبتدأ كان الشك فى ان الفعل هل صدر منه اومن غيره والوجه الاول هو المختار عند النحاة لان الفعل تقدم ما يطلبه وهو اداة الاستفهام (قوله اسند الفعل اليه) جواب عما يقال كيف اسند الفعل الى كبيرهم وانه كذب لا يليق بالنبى المعصوم فاجاب عنه اولا بان اسناد الفعل اليه من قبيل اسناده الى السبب الحامل فانه عليه الصلاة والسلام لما رأى الاصنام مصطفة مزينة يعظمها المشركون ورأى على الكبير مايدل على زيادة تعظيمهم له وتخصيصهم اياه بمزيد التواضع والخضوع اشتد بغضه وغيظه له فحمله ذلك البغض على مافعل بتلك الاصنام فلذلك اسند الفعل الى الكبير لا لانه هو المباشر للفعل الا انه ابقى الكبير مع انه هو السبب الحامل له على استهانة الاصنام وكسرها ليورد عليهم هذا القول الموهم لكون الاسناد اليه حقيقيا ليظهر جهلهم فى عبادة الاصنام وثانيا بانه عليه الصلاة والسلام لم يقصد باسناد الفعل الى الكبير ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم الكبير بل قصد به تقرير الفعل لنفسه و اثباته لها على اسلوب تعريضى مع الاستهزاء بالكبير لان اثبات الفعل الدائر بين شخصين احدهما هو العاجز منهما استهزاء بالعاجز واثبات القادر منهما كما اذا خاطبك من قال لك انت كتبت هذا وانت شهير بحسن الخط وهو امى لايحسن الخط ولايقدر الا على الخربشة الفاسدة بل كتبته انت فانك قصدت بهذا الجواب تقرير الكتبة لك مع الاستهزاء بالامى لانفيه عنك و اثباته الامى وثالثا بانه لم يسند الفعل اليه اعتقادا بل اسنده حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه كانه قال كيف تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد و يدعى انها ان يقدر على هذا الفعل وعلى ماهو اعظم منه و يؤيد هذا الجواب ما حكى انه قال لهم بل فعله كبيرهم بناء على انه غضب من ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها هيئة واشرف جوهرا فانه لاوجه لهذا القول الا بان يكون على سبيل الحكاية لما يلزم من مذهبهم وربما بان اسناد الفعل الى الكبير مشروط بقوله ان كانوا ينطقون جعل النطق شرطا

اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه المراد من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضى كما لوقال لك من لايحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق ءأنت كتبته فقلت بل كتبته اوحكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض اوالى ضمير فتى اوابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله ومايروى انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته (فرجعوا الى انفسهم) وراجعوا عقولهم (فقالوا) فقال بعضهم لبعض (انكم انتم الظالمون) بهذا السؤال او بعبادة مالاينطق ولايضر ولاينفع لامن ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين (ثم نكسوا على رؤسهم) انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم

بالفعل واراد به انهم ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فلما ظهر عجزهم عن النطق تبين عجزهم عن الفعل ايضا وقوله فاسألوهم اعتراض بين الشرط والجزاء وهذا الجواب يتضمن تجهيل القوم واسناد الفعل الى نفسه ولم يرض المصنف بحمل جوابه عليه الصلاة والسلام على هذا المعنى لكونه تعسفا ومخالفا لظاهر النظم وخامسا بان الكذب انما يلزم على تقدير ان يكون الفعل مسندا الى كبيرهم ولانسلم ذلك لم لايجوز ان يكون مسندا الى ضمير فتى او ابراهيم ولما ظهر بهذه الاجوبة ان قوله بل فعله كبيرهم ليس بكذب ورد ان يقال فكيف ثبت عليه صلوات الله وسلامه لابراهيم ثلاث كذبات وهي قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختى فاجاب المصنف عنه بانه عليه الصلاة والسلام سماها كذبات تشبيها لها بالكذبات لكونها على صورة الكذبات ولما قال لهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام الزاما للحجة عليهم فاسألوهم ان كانوا ينطقون رجعوا الى انفسهم اى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال تسألون هذا الرجل وآلهتكم حضور فانكروا واسألوا آلهتكم التي بحضرتكم وقرأ الجمهور نكسوا مبنيا للمفعول مخفف الكاف وقوله على رؤسهم حال اى كائنين على رؤسهم ويجوز ان يتعلق بالفعل المذكور قبله والنكس والتنكيس لغتان بمعنى وهو قلب الشئ وردّ آخره على اوله وقرئ نكسوا بالتشديد وليس التشديد فيه للتعدية ولا للتكثير بل هو لغة بمعنى المخفف وقرئ نكسوا مخففا مبنيا للفاعل وعلى هذا يكون المفعول محذوفا تقديره نكسوا انفسهم على رؤسهم قال المفسرون اجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة فردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم شبه نقلهم الى الكفر والمجادلة بالباطل بعد اذعان الحق بصيرورة اسفل الشئ منقلبا الى اعلاه فعبر عنه بالنكس ثم اشتق منه نكسوا فهو استعارة تبعية وقيل المعنى انهم طأطؤا عن رؤسهم حقيقة لفرط حيرتهم خجلا وانكسارا مما بهتهم به ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم حيث قالوا فى جواب قوله فاسألوهم ان كانوا ينطقون لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالهم فاقروا بهذا للحيرة التي لحقتهم جملة قوله لقد علمت جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمول لقول مضمر وذلك القول المضمر حال من مرفوع نكسوا اى نكسوا قائلين والله لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قيل كيفية القصة انه لما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم عليه الصلاة والسلام حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم ثم جمعوا الحطب الكثير حتى ان المرأة لو مرضت قالت ان عافاني الله تعالى لأجمعن

الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا اى نكسوا انفسهم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمر بسؤالها وهو على ارادة القول (قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم) انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين وأف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له (أفلا تعقلون) قبح صنيعكم (قالوا) اخذوا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة (حرقوه) فان النار اهول ما يعاقب به (وانصروا آلهتكم) بالانتقام لها (ان كنتم فاعلين) ان كنتم ناصريها نصرا مؤزرا والقائل منهم رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف به الارض وقيل نمرود (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما) ذات برد وسلام

حطبا لابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها وتلقيه فى ذلك البنيان احتسابا فى دينها قيل جمعوا له الحطب من اصناف الخشب على ظهر الدواب اربعين يوما ثم اوقدوها فلما اشتعلت النار صار الهواء بحيث لو مر الطير فى قصى الجو لاحترق من شدة وهجها روى انهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها لعدم تأتى القرب فجاء ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد وكان اول من صنع المنجنيق فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين صيحة واحدة اى ربنا مافى ارضك احد يعبدك غير ابراهيم وانه يحرق فيك فائذن لنا فى نصرته فقال تعالى ان استغاث باحد منكم فلينصره فقد اذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بينى وبينه فانه خليلى ليس له خليل غيرى وانا اله ليس له اله غيرى فلما ارادوا القاءه فى النار أتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء وأتاه خازن المياه فقال ان شئت اخمدت النار فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد فى السماء وانا الواحد فى الارض ليس فى الارض من يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل وحين ألقى فى النار قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم وضعوه فى المنجنيق ورموا به الى النار فأتاه جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قيل فبردت نار الدنيا كلها يومئذ فلم ينتفع بها احد من اهلها ولو لم يقل على ابراهيم لبقيت ذات برد ابدا ولو لم يقل وسلاما لمات قوله بردا لمات ابراهيم من بردها وقيل ان كل شئ يصون عنه النار الا الوزغ فانها كانت تنفخ النار وروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه امر بقتل الوزغة وقال كانت تنفخ النار على ابراهيم قيل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى فى النار كان فيها اربعين يوما او خمسين يوما وقال ماكنت اطيب عيشا منى فى الايام التى كنت فيها فى النار قيل لما رموه الى النار اخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه قال ابن اسحق فبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم جالسا فقعد جنب ابراهيم يؤنسه واتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لاتضر احبائى ثم نظر نمرود من صرح له واشرف على ابراهيم فرآه جالسا فى روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه

اى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا ورموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال انى مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من معجزاته

وحوله نار تحرق الحطب فناداه نمرود يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشي حتى خرج منها قال نمرود من الرجل الذي رأيته معك في صورتك قال ذاك ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فيها فقال له نمرود اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك واني ذابح له اربعة آلاف بقرة فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال نمرود لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له ثم ذبحها وكف عن ابراهيم وروى انهم لما رأوه سالما لم يحترق منه غير وثاقه قال هاران ابو لوط عليه الصلاة والسلام ان النار لم تحرقه لانه سحر النار لكن اجعلوه على شئ واوقدوا تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق تبن واوقدوا تحته فطارت شررة في لحية ابي لوط فاحرقته وروى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام القي في النار وهو ابن ست عشرة سنة وقيل في تفسير قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا المعنى انه سبحانه وتعالى جعل النار باردة لا تضر ببردها من غير ان يكون هناك قول وخطاب كقوله تعالى ان يقول له كن فيكون اي تكونه وذهب اكثر المفسرين الى ان ذلك القول قد وجد والقائل اما جبريل عليه الصلاة والسلام قاله بامر الله تعالى او القائل هو الله تعالى والمصنف مال الى القول الاول حيث قال وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة اي في ورود التمثيل على هذا النظم مبالغات في اظهار عظمة الله تعالى وكمال قدرته ونفاذ مشيئته وارادته حيث عبر عن تأثير قدرته في تدبير النار بما يدل على جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة مع انا ليس هناك امر وامتثال بل ليس هناك الا تسخيرها للقدرة والارادة لان اثر القدرة هو كون النار باردة لا كونها نفس كيفية البرد والعبارة الدالة على هذا المعنى ان يقال ابردي لانه اقيم كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للمبالغة في الدلالة على زوال كيفية الحرارة والاحراق من النار بحيث تكون ذاتها كانها برد وسلام كان قوله

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت ❋ فانما هي اقبال وادبار

اي ذات اقبال وادبار (قوله وقيل كانت النار بحالها) الا انه تعالى خلق في جسم ابراهيم عليه الصلاة والسلام كيفية مانعة من وصول اذى النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم في الآخرة وكما انه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار ولم يرتضه لان ظاهر قوله تعالى يا نار كوني بردا يقتضي ان نفس النار صارت باردة حتى سلم ابراهيم من تأثيرها لا ان النار بقيت بحالها (قوله من العراق الى الشام) قيل كانت

وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله (على ابراهيم واراد وابه كيدا) مكرا في اضراره (فجعلناهم الاخسرين) اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب (ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه نزل بفلسطين ولوطا بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة)

واقعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع نمرود بكوثى فى حدود بابل من ارض العراق فنجاه الله تعالى من تلك الفقعة الى الارض المباركة ثم قيل انها مكة وقيل هى ارض الشام لقوله تعالى الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيها الجراب بدرهم وقد كان لوط النبى عليه الصلاة والسلام آمن بابراهيم بن تارخ عليهما الصلاة والسلام كما قال تعالى فآمن له لوط وكان ابن اخيه هاران بن تارخ يقال بالحاء وهو لوط بن هاران بن تارخ بن ناخور وآزر لقب تارخ ابى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهاران هذا غير هاران وابراهيم اخوين وامرأته ايضا سارة بنت عم ابراهيم وهى سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم فخرج من كوثى مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة يلتمس الفرار بدينه والتخلص الى عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله تعالى ثم ارتحل منها ونزل بفلسطين وهى برية الشام ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر وعاد الى ارض الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وبعثه الله نبيا الى اهلها روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر ابراهيم عليه الصلاة والسلام فالهجرة الثانية الهجرة الى الشام والمقصود ترغيب الناس فى المقام بها (قوله عطية) قال الجوهرى النفل والنافلة عطية التطوع من حيث لا يجب ومنه نافلة الصلاة والنافلة ايضا ولد الولد والنوافل العطايا والنوفل الرجل الكثير العطاء فالنافلة المذكورة فى الآية يجوز ان تحمل على العطية او وقعة تفضلا من غير ان تكون جزاء مستحقا مترتبا على ما يدعو الى ان تكون حالا من المفعول وما عطف عليه جميعا اى وهبناهما حال كون كل واحد منهما عطية متبرعا بها وقيل انه منصوب على انه مصدر وهبناه من غير لفظه يعنى وهبناه هبة مبتدأة ويجوز ان يحمل على ولد الولد لان يعقوب ولد اسحق عليهم الصلاة والسلام وعلى الزيادة على ما سأل كما فى قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اى زيادة على الفرائض فانه عليه الصلاة والسلام سأل الله ولدا حيث قال رب هب لى من الصالحين وهو سؤال الولد فاجاب الله تعالى دعاءه ووهب له اسحق ولدا ليستأنس به من وحشة الغربة واعطاه يعقوب من اسحق من غير دعائه فكان ذلك نافلة كالشئ المتطوع به وزيادة على الولد لكونه ولد الولد فعلى هذين الوجهين يكون حالا من المعطوف عليه فقط كما مر فى قوله تعالى كل فى فلك يسبحون من انه حال من الشمس والقمر فقط لعدم الالتباس (قوله ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم) تعليل لما ذكر ثالثا فى وجوه مدحهم فانه تعالى مدحهم اولا بصلاحهم فى انفسهم وكونهم عاملين

عطية فهى حال منهما او ولدا او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة (وكلا) يعنى الاربعة (جعلنا صالحين) بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة يقتدى بهم) يهدون الناس الى الحق (بأمرنا) لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين (واوحينا اليهم فعل الخيرات) ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله (واقام الصلاة وايتاء الزكاة) وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل

بطاعة الله تعالى ثم باصلاحهم غيرهم بامر ربهم وارساله اياهم لتكميل عباده
ثم بان علمهم واوحى اليهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتى الزكاة ليتم كمالهم
بانضمام العمل الى العلم فالظاهر ان يقول بدل قوله ليحثوا عليه ليكون صلاحهم
واصلاحهم مبنيا على العلم الا ان ترتب العلم على الايحاء لما كان ظاهرا مكشوفا
لم يتعرض له بل جعل فائدة الايحاء اليهم حث الامة على فعلها فان معظم ما يوحى
الى الانبياء هو التكاليف المتعلقة بالامة ولذلك جعل فعل الخيرات مصدرا من المبنى
للمفعول فانه لو جعل من المبنى للفاعل وكان مضافا من حيث المعنى الى ضمير الموحى
اليهم وكان التقدير فعلهم الخيرات واقامتهم الصلاة وايتاءهم الزكاة لفهم ان يكون
هذه المذكورات من الاحكام المختصة بالموحى اليهم وليس كذلك بل هي من التكاليف
العامة التي يشترك فيها الانبياء والامم فلا [illegible] ان يقال [illegible] وحينئذ الاصل ان تفعل
الخيرات وتقام الصلاة وتؤتى الزكاة ثم فعل الخيرات لانه في معنى الاول لان ان مع
الفعل في معنى المصدر ثم فعل الخيرات اى صيغ ذلك الحرف المصدرى مع ما بعده
مصدرا منونا ناصبا لما بعده ثم اضيف ذلك المصدر الى مفعوله ثم خص من بين
الخيرات اقامة الصلاة وايتاء الزكاة تنبيها على مزيد فضلهما وشرفهما بالنسبة
الى سائر الخيرات (قوله وحذف تا الاقامة المعوضة عن احدى الالفين)
[illegible] الاعلال [illegible] الالف [illegible] دوام [illegible] مصدر
[illegible] على [illegible] فان [illegible] عمل
[illegible] احدى الالفين وعوض [illegible]
[illegible] الصلاة [illegible]
[illegible] تعالى [illegible]
[illegible] والعبادة [illegible]
[illegible] منصوب
[illegible] آتينا [illegible] معطوفة على قوله
[illegible]
[illegible] على كل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قوم
[illegible]
[illegible] على الا [illegible]
[illegible]

وحذف تاء الاقامة المعوضة
عن احدى الالفين لقيام
المضاف اليه مقامها
(وكانوا لنا عابدين)
موحدين مخلصين في العبادة
ولذلك قدم الصلة (ولوطا
آتيناه حكما) حكمة او نبوة
او فصلا بين الخصوم
(وعلما) بما ينبغي علمه
للانبياء (ونجيناه من القرية)
قرية سدوم (التي كانت
تعمل الخبائث) يعني اللواطة
وصفها بصفة اهلها
او اسندها اليها على حذف
المضاف واقامتها مقامه
ويدل عليه (انهم كانوا
قوم سوء فاسقين) فانه
كالتعليل له (وادخلناه
في رحمتنا) في اهل رحمتنا
او في جنتنا (انه من الصالحين)
الذين سبقت لهم منا الحسنى

(فاستجبنا له) دعاءه (فنجيناه واهله من الكرب العظيم (من الطوفان او أذى قومه والكرب الغم الشديد (ونصرناه) مطاوعه انتصر اى جعلناه منتصرا (من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم اجمعين) لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك فى الشر ولم يجتمعا فى قوم الا واهلكهم الله (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) فى الزرع وقيل فى كرم تدلت عنا قيده (اذ نفشت فيه غنم القوم) رعته ليلا (وكنا لحكمهم شاهدين) لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما عالمين (ففهمناها سليمان) الضمير للحكومة او للفتوى وقرئ فافهمناها روى ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غيرهذا ارفق بهما فأمر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بألبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ماكان ثم يترادان

عاما بها سافلها (قوله تعالى ونوحا) منصوب على العطف على لوطا فيكون مشتركا معه فى عامله الذى هو آتينا المفسر باتيناه الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقدير ونوحا آتيناه حكما وعلما وداود وسليمان آتينا هما وعلى هذا يكون اذ بدلا من نوحا ومن داود وسليمان بدل اشتمال ويجوز ان يكون نوحا منصوبا باضمار اذكر اى اذكر نوحا وداود وسليمان اى اذكر خبرهم وقصتهم وعلى هذا تكون اذ منصوبة بنفس المضاف المقدر اى خبرهم الواقع فى وقت كذا وكذا (قوله ونصرناه مطاوعه انتصر) يعنى ان نصرنا هنا بمعنى منعنا الذى يطاوعه انتصر بمعنى امتنع قال الله تعالى هل ينصرونكم او ينتصرون اى هل يمنعونكم او يمتنعون والحاصل ان نصر ههنا بمعنى منع لا بمعنى اعان ويدل عليه تعديته بمن فان نصر بمعنى اعان يتعدى بعلى يقال نصره الله على عدوه فلما قيل ههنا ونصرناه من القوم علم ان المعنى ومنعناه وحميناه منهم ومنه قوله تعالى فمن ينصرنا من بأس الله اى يعصمنا من عذابه والانتصار كما يكون بمعنى الامتناع يكون بمعنى الانتقام ايضا (قوله رعته ليلا) النفش ان تنتشر الغنم ليلا وترعى بلا راع من باب دخل وضرب جميعا وانفشها صاحبها اذا تركها ترعى كذلك قال الشاعر ❊ فما ابها الليلة من انفاش ❊ قال المفسرون دخلا رجلان على داود عليه الصلاة والسلام وعنده ابنه سليمان احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انفلتت غنمه فوقعت فى حرثى فلم تبق منه شيأ فقال لك رقاب الغنم فقال سليمان غيرهذا ارفق بهما ينطلق اصحاب الحرث بالغنم فيصيبون من ألبانها ومنافعها وتقوم اصحاب الغنم على الحرث حتى اذا كان كليلة نفشت فيه دفع هؤلاء الى هؤلاء غنمهم ودفع هؤلاء الى هؤلاء حرثهم فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك واكثر المفسرين على ان الحرث كان كرما قد تدلت عنا قيده وقال قتادة كان زرعا كذا فى البسيط وجمع الضمير فى حكمهم لكونه عبارة عن الحاكمين والمتحاكمين وهو يستلزم اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهو انما يضاف الى احدهما فقط لان اضافته الى الفاعل على سبيل القيام به واضافته الى المفعول على سبيل الوقوع عليه فهما معنيان مختلفان فلا يكون اللفظ الواحد مستعملا فيهما معا وايضا انه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان اضافته الى الفاعل حقيقة والى المفعول مجاز فالجواب ان هذه الاضافة لمجرد الاختصاص مع قطع النظر عن كون المضاف اليه فاعلا او مفعولا على طريق عموم المجاز كأنه قيل كنا شاهدين للقضية الواقعة بينهم من اصابة احد الحاكمين وخطأ الآخر واستيفاء كل واحد

(من الحاكمين)

من الحاكين حفظ على النهج المستقيم (قوله واما هما قالا اجتهادا) فان بعض العلماء قال بجواز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين لعموم قوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار والانبياء ائمة اولى الابصار وافضلهم فكيف لايجوز لهم الاعتبار مع ان الاستنباط ارفع درجات العلماء فوجب انه يكون للانبياء نصيب منه والا لكان كل واحد من المجتهدين افضل منهم فى هذا الباب ويدل عليه ايضا قوله عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء فيستلزم ان تكون درجة الاجتهاد ثابتة للانبياء ليرث العلماء عنهم ذلك ومنهم من لايجوز لهم الحكم بالاجتهاد ويقول انهم مستغنون عنه بالوحى فان الاجتهاد انما يصار اليه عند فقد النص والنص ليس بمفقود فى حق الانبياء فلايجوز لهم الاجتهاد عند اكثر العلماء بخلاف اهل السنة فانهم يجوزون لهم الحكم بالاجتهاد فجاز ان يجتهدوا ويكون اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فيرجع ابوه داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه لان الحكم الواقع بالاجتهاد لاينقض باجتهاد آخر ويجوز ان يكون الثانى وحيا وحينئذ ينقض الحكم بالاجتهاد وقيل حكما جميعا بالوحى الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان واختار المصنف انهما حكما بالاجتهاد لا بالوحى لانهما لو حكما بالوحى لما اختص سليمان بقوله تعالى ففهمناها سليمان بخلاف ما اذا قالا بالاجتهاد فكان اجتهاد سليمان صوابا او اصوب فانه يجوز ان يقال فى حقه ففهمناها سليمان ولما كان الاجتهاد فى نفسه مفتقرا الى العلم ولايصح بدونه قيل وكلا آتينا حكما وعلما وقيل او كانا باجتهاد لما نقض حكم سليمان حكم داود لان الاجتهاد لاينقض الاجتهاد فتعين انهما كانا بالوحى والجواب ما مر من انهما مجتهد وكان اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فرجع داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه فقد روى فى الاخبار الكثيرة ان داود لم يكن بين الحكم فى ذلك حتى سمع من سليمان ان غير ذلك اولى وروى ان داود ناشده وقال له بحق البنوة والابوة الا اخبرتنى بالذى هو اوفق بالفريقين فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث الخ (قوله والاول) اى حكم داود بالغنم لصاحب الحرث نظير قول ابى حنيفة فى العبد الجانى انه اذا جنى على النفس يدفعه المولى الى ولى الجناية او يعطى ارش الجناية فان موجب جناية العبد عنده صيرورة العبد جزاء جنايته قلت الجناية او كثرت وللمولى ان يختار الفداء بالارش فكذا الحال فى حادثة الحرث فان الغنم فيه بمنزلة العبد الجانى فكانت نفس الغنم جزاء لجنايتها وقال سليمان لايزال ملك المالك عن الغنم بل يحال بينه وبين ملكه بان يدفع الغنم الى اهل الحرث لينتفعوا بها بازاء مافات عنهم من الانتفاع بالحرث الى ان يزول ماطرأ على الحرث من النقص والضرر ويصير كما كان ونظيره قول الامام الشافعى فيمن غصب عبدا فأبق من يده فانه يوجب على الغاصب غرم الحيلولة ويقول انه يضمن

واما هما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه فى شرعنا عند الشافعى وجوب ضمان المتلف بالليل اذا اعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابى حنيفة لا ضمان

قيمة العبد ويحال بينه وبين القيمة لينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد رد لانتفاء ملك كل واحد منهما فيما فات عنه وحيل بينه وبينه (قوله الا ان يكون معها حافظ) اى الا ان يكون مع البهيمة سائقها اوقائدها فانه يضمن ما تلفته وهو سائقها اوقائدها والذى اتلفته بعد انتهاء سوقها اوقودها فلا يضمنه لقوله عليه الصلاة والسلام جرح العجماء جبار اى هدر والامام الشافعى يوجب ضمان ما تلفته ليلا لما روى فى الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ان ناقة لرجل عاربة دخلت حائط رجل فافسدت ما فيه فحكم النبى عليه الصلاة والسلام فيها تقتضى ان حفظ الحوائط بالنهار على اهلها وان حفظ المواشى بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل وقد روى ايضا انه عليه الصلاة والسلام قال ما اصابت الماشية بالليل فعلى اهلها وما اصابت بالنهار فليس على اهلها منه شئ ولعل الحنيفة يجعله منسوخا بقوله جرح العجماء جبار (قوله دليل على ان خطأ المجتهد لايقدح فيه) اى لايجعله آثما من حيث انه تعالى وان اثنى على سليمان باصابته حيث قال ففهمناها سليمان لكنه تعالى اثنى على المخطئ ايضا بعد المؤدى الى الاجتهاد الى اثم مخطأ حيث اثنى عليه بقوله وكلا آتينا حكما وعلما فان العلم المؤدى الى الاثم والعصيان لايكون سببا للاثناء عليه والمدح بسببه اختار المصنف قول من ذهب الى ان المجتهد يخطئ ويصيب وان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام قالا بالاجتهاد الا ان داود اخطأ واصاب سليمان وانه يجوز الخطأ على الانبياء الا انهم لايقرون واما العلماء فلهم الاجتهاد فى الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب او سنة فاذا اخطأوا فلا اثم عليهم روى انه عليه الصلاة والسلام قال اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم واجتهد فاخطأ فله اجر واحد فانه يؤجر على اجتهاده فى الحق لان الاجتهاد عبادة لانه يؤجر على الخطأ لان الاثم فى الخطأ مرفوع عنه اذ بذل جهده فى اصابة الحق والحاصل ان فى كل حادثة حكما معينا عند الله تعالى وعليه دليل قطعى او ظنى فمن وجده اصاب ومن فقده اخطأ ولم يأثم فان قيل او تعين الحكم فالمخالف له لم يحكم بما انزل الله فيفسق او يكفر لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله الآية فالجواب انه لما امر بالحكم بما ظنه وان اخطأ فقد حكم بما انزل الله وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لاينافى ان يكون البعض منهم مخطئا لان خطأ المجتهد لايوجب ان لايكون له علم وحكم وان كل مجتهد لابد ان يكون عالما قادرا على استنباط الاحكام من النصوص اذ ولم يبلغ عالما بالغا الى مرتبة الاجتهاد اذ لايجوز له ان يجتهد

الا ان يكون معها حافظ
لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على ان خطأ المجتهد لايقدح فيه

(ويحرم)

ويحكم بالاجتهاد (قوله وقيل على ان كل مجتهد مصيب) فيما عليه
من الاجتهاد في الحادثة كما ذهب اليه ابو يوسف و محمد رحمهما الله تعالى
قال صاحب الكشاف وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع
سليمان وفي قوله وكلا وآتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا على الصواب
ووجه الاستدلال انه لو كان المصيب واحدا منهما وكان مخالفه مخطئا لما صح
ان يقال وكلا آتينا حكما وعلما وفيه انه انما يكون دليلا على كونهما من اهل
الاجتهاد ولا يدل على كون كل واحد منهما مصيبا وانما يدل عليه ان لو قيل
وكلا آتينا حكما وعلما بما حكم الله تعالى به في تلك الحادثة وليس نظم التنزيل
هكذا فيجوز ان يكون المراد به آتيناه علما بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام
وهو لا يستلزم كونه مصيبا للحكم الذي [illegible] الله تعالى ليدل على ما حكم به
في تلك الحادثة وايضا [illegible] مخطئ [illegible]
تعالى ففهمناها سليمان بما يدل بطريق المفهوم على ان داود لم يفهم الحكم
الذي هو الحكم عند الله وانه تعالى لم يفهمه ذلك فكيف يكون مصيبا [illegible]
واجد [illegible] ولا [illegible] الى جواب ما يقال لا نسلم ان الاول
[illegible] سليمان انما يخالفه ان لو كان داود سليمان
[illegible] في الحكم وليس كذلك [illegible] قال فهما [illegible]
في الحكم [illegible] الحكم الى [illegible] سليمان [illegible] ذلك
الحكم [illegible] لو اتفقا [illegible] لله [illegible] ذلك [illegible] ان
يقال [illegible] بتخصيص سليمان بالذكر [illegible]
ففهمناها اياهما لان سليمان [illegible]
وافهمناه [illegible] بالذكر [illegible]
[illegible] ولولا النقل لاحتمل [illegible] ان تخصيص
سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره [illegible] لاجل [illegible]
عليه في صغره ينفيه ما نقل انهما قد اختلفا في [illegible] الحكومة وان الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين قد اتفقوا على ان داود قال لصاحب الحرث اذهب
فان الغنم لك فلما خرج [illegible] سليمان فقال كيف [illegible]
بكما فاخبره بما قضى به فقال عليه الصلاة والسلام لو كنت انا [illegible] لقضيت
[illegible] الصلاة والسلام [illegible] ما هو ارفق بالفريقين [illegible]
داود بذلك فدعاه فقال كيف كنت تقضي بينهما وعلى الرواية الثانية انه دعا
سليمان فقال بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال
ان [illegible] الغنم الى صاحب الحرث حتى ينتفع [illegible] صاحب [illegible]

وقيل على ان كل مجتهد
مصيب وهو خلاف
مفهوم قوله ففهمناها
ولولا النقل لاحتمل
توافقهما على ان قوله
ففهمناها لاظهار
ما تفضل عليه [illegible]
(وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن) يقدسن الله معه
اما بلسان الحال او [illegible]
[illegible] او بخلق الله [illegible]

فى اصلاح الحرث حتى يصير كما كان ثم ترد الغنم الى صاحبها والحرث الى صاحبه ولايخفى ان اجماع الصحابة فى بيان كيفية القصة على الوجه المذكور ينفى احتمال توافقهما فى الحكم لما بين الله تعالى ما آتاه داود وسليمان عليهما السلام ذكر ما خص به داود فقال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن وهو العامل فى مع وهو نظير قوله تعالى يا جبال اوبى معه ويسبحن حال من الجبال والطير معطوف على الجبال وقيل الواو فيه بمعنى مع كذا اعرب ابو البقاء وان جعل يسبحن استئنافا جوابا لمن قال كيف سخرهن يكون قوله مع داود حالا من الجبال اى سخرنا الجبال كائنة مع داود والمراد بكونها معه اما تسبيحها مع تسبيحه واما سيرها مع سيره على ان يكون يسبحن اشتقاقا بمعنى يسبحن الذى هو من السبح الذى هو السباحة نقل الى باب التفعيل للتكثير ولو لم يقصد الكثرة لقيل يسبحن وان كان من التسبيح بمعنى التقديس فالمراد بتسبيح الجبال معه تسبيح دلالة فانهن يسبحن الله تعالى ويذكرنه بدلالة الحال قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الا ان التسبيح بهذا المعنى لا يختص بكونه مع داود ولعل وجه التخصيص انه عليه الصلاة والسلام كان يفهم تسبيح الجبال ومافيها من الاحجار والاشجار فيزداد يقينا وتعظيما ونشاطا فى التسبيح والتقديس والاشتياق اليه ويدل عليه ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر وهذا التخصيص انما يتأتى اذا لم يدل على ان الحكم [illegible] ويجوز ان يكون المراد بتسبيح الجبال معه ان يتمثل له صوت التسبيح من جهتها بطريق انعكاس الصدى من الاجرام الصقيلة العالية كما روى عن ابى وهب انه قال كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح ويجوز ان يكون تسبيح الجبال بان يخلق الله تعالى فيها الكلام فان المتكلم المسبح عند اهل السنة من يقوم به الكلام والتسبيح ويكون محلا لهما لا من يوجدهما بخلاف المعتزلة فان المتكلم عندهم من يوجد الكلام والجبال جمادات لا يصح منها الفعل ولا يصح اسناد التكلم اليها بان يخلق الله تعالى فيها الكلام لان المتكلم هو الله تعالى لا الجبال على زعمهم (قوله وقيل يسرن معه) عطف على قوله بقدسن (قوله وقرئ بالرفع) اى برفع الطير على انه مبتدأ حذف خبره اى والطير مسخرات ايضا او على انه معطوف على الضمير المرفوع المتصل فى يسبحن وهو ضعيف لانه لم يؤكد ولم يفصل بينهما واجاز الكوفيون مثله من غير استقباح [illegible] البصريون ايضا [illegible] (قوله [illegible]) [illegible] اصل [illegible] كما قال الاخفش حتى استعمل [illegible] [illegible] اللباس [illegible] بكسر الهمزة وفتح [illegible] والبست [illegible] بكسر [illegible] من باب علم لا من قولك لبست عليه الامر لبسا بفتح اللام من باب ضرب [illegible]

وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة به او بسخرنا (والطير) عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف (وكنا فاعلين) لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس) عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس [illegible] لكل ما يلبس [illegible] [illegible] فى ماله [illegible] (لكم) متعلق بعلم او صفة للبوس (لتحصنكم من بأسكم)

(حلفت)

خلطت وتمام البيت اما نعيمها واما بوسها * اى البس فى كل حالة مايلائمها
ويصلح لها وليس المراد لبس ماهو ثوب حقيقة بل المراد عند لكل زمان مايليق به
وكانت الدرع قبل داود صفائح اى قطع حديد عراضا فاول من سردها وحلقها
داود عليه الصلاة والسلام فجمعت بين الخفة والتحصين ووجه المعجزة فيه انه
عليه الصلاة والسلام فعل ذلك من غير استعانة باداة وآلة من نحو الكير والنار
والمطرقة كما قال تعالى وألناله الحديد (قوله بدل منه) اى ان لام كى
فى قوله لتحصنكم متعلقة بعلمنا كما تعلقت به اللام التى فى لكم فلما ورد ان يقال كيف
يجوز ان يتعلق حرفا جر متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد اجاب عنه بانه بدل
منه كما فى قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وهو بدل اشتمال لان
لتحصنكم فى تأويل لاحصانكم وبين الاحصان وضمير لكم ملابسة الاشتمال
قرأ نافع وابن كثير وحمزة والكسائى وابوعمرو ليحصنكم بالياء من تحت وباسناد
الفعل الى داود او اللبوس . وقرأ حفص وابن عامر بالتاء من فوق على اسناده الى
الصنعة او اللبوس على تأويله بالدرع وقرأ ابو بكر ورويس بنون العظمة
جريا على طريقة علمناه والبأس ههنا الحرب وان وقع على السوء كله والمعنى
ليحرزكم ويحرسكم من مكاره بأسكم كالقتل والجرح بنحو السيف والسهم والرمح
الجوهرى البأس العذاب والبأس الشدة فى الحرب تقول منه بؤس الرجل يبؤس
بأسا اذا كان شديد البأس والخطاب المدلول عليه بقوله تعالى لكم ليحصنكم
من بأسكم فهل انتم لهذه الامة من اهل مكة ومن بعدهم الى يوم القيامة اخبر الله
تعالى ان اول من عمل الدرع داود ثم تعلم الناس منه فتوارثها الناس فعمت النعمة
بها كل المحاربين من الخلق الى آخر الدهر فلزمهم شكر الله تعالى على هذه النعمة
فلذلك اوجب عليهم الشكر فقال فهل انتم شاكرون اى اشكروا الله تعالى على
مايسر الله عليكم هذه الصنعة وحرسكم بها من مضار البأس والحرب قال محيى
السنة يقول لداود واهل بيته وقيل يقول لاهل مكة فهل انتم شاكرون نعمتى
بطاعة الرسول انتهى كلامه يريد ان الخطاب المذكور يجوز ان يكون لداود
واهل بيته بتقدير القول اى فقلنا لهم بعدما انعمنا عليهم بهذه النعم فهل انتم
شاكرون ما اعطى من النعم التى ذكرت من تسخير الجبال والطير والانة الحديد
وتعليم صنعة اللبوس (قوله امر اخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع)
[illegible] الاستفهام عن مباشرة الفعل عندبيان مايوجب مباشرته ابلغ فى [illegible]
من الايجاب بصورة الامر لتضمنه التقريع على تركه بعد تحقق ماوجبه ومثله
كثير منه قوله تعالى فهل انتم منتهون قيل ان داود عليه الصلاة والسلام خرج
يوما متنكرا ليطلب من يسأله عن سيرته فى مملكته فاستقبله جبريل عليه الصلاة

بدل منه بدل الاشتمال
باعادة الجار والضمير لداود
او اللبوس وفى قراءة ابن
عامر وحفص بالتاء للصنعة
او اللبوس على تأويل الدرع
وفى قراءة ابى بكر ورويس
بالنون لله عز وجل
(فهل انتم شاكرون)
ذلك امر اخرجه فى صورة
الاستفهام للمبالغة والتقريع
(ولسليمان الريح) وسخرناله
الريح

والسلام على صورة آدمي ولم يعرفه داود عليه الصلاة والسلام فقال له كيف ترى سيرة داود في مملكته فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام نعم الرجل هو لولا ان فيه خصلة واحدة قال وما هي قال بلغني انه يأكل من بيت المال وليس شيء افضل من ان يأكل الرجل من كد يده فرجع داود عليه الصلاة والسلام وسأل الله تعالى ان يجعل رزقه من كد يده فألان له الحديد وكان يتخذ الدرع من الحديد ويبيعها ويأكل من ذلك ومنه قوله تعالى وعلمناه اي ألهمناه ويقال علمناه بالوحي صنعة لبوس لكم لتحصنكم [illegible] الذكر النعم التي خص بها داود ذكر بعدها النعم التي خص سليمان بها بانه تعالى ورث سليمان داود ملكه ونبوته وزاد عليه امرين سخر له الريح والشياطين فقال ولسليمان الريح عاصفة بنصب الريح بعامل مقدر اي وسخرنا الريح لسليمان وقرئ الريح على الابتداء والجملة الجار فيه وعاصفة حال من مفعول سخرنا المقدر على قراءة من نصب او من فاعل الاستقرار الذي تعلق به الخبر على قراءة من رفع والعاصفة الشديدة الهبوب والرخاء اللينة (قوله واصل الكلام فيه دون الاول) جواب عما يقال ما الفائدة [illegible] مع سليمان [illegible] الكلام حيث قال في حق داود وسخرنا مع داود الجبال وقال في حق سليمان وسخرنا لسليمان الريح راعى هذا الاسلوب [illegible] في قوله [illegible] [illegible] قال [illegible] الريح [illegible] امره [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الا ان سليمان لما كانت [illegible] [illegible] تصرفه من حيث [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التمليك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (قوله [illegible]) [illegible] [illegible] الريح العاصفة [illegible] [illegible] [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible] وتسير الريح [illegible] [illegible] الارض [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

(قوله واصل الكلام فيه دون الاول) الحاصل [illegible] سليمان [illegible] وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود بالاضافة اليه (عاصفة) شديدة الهبوب من حيث [illegible] [illegible] في مدة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رخاء [illegible] طيبة [illegible] كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى بحسب ارادته [illegible] بامره بمشيئة [illegible] [illegible] [illegible] (الى الارض التي باركنا فيها) [illegible] [illegible] (وكنا بكل شيء عالمين) [illegible] (ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسها)

الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ من ذهب فى ابريسم وكان يوضع له
منبر من ذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب
وفضة تقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس
وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه الشمس
وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الغروب وكان
عليه الصلاة والسلام امرأ قلما يقعد عن الغزو لايسمع فى ناحية من الارض ملكا
الا اتاه ودعاه الى الحق (قوله ومن عطف) يعنى ان من فى قوله من يغوصون
سواء كانت موصولة او نكرة موصوفة يجوز ان تكون فى محل النصب بالعطف
على الريح اى سخرنا له من يغوصون ويدخلون تحت البحر وان تكون فى محل
الرفع على الابتداء والخبر الجار والمجرور قبله ورجع الضمير اليه [illegible] حملا على
معناه وحسن ذلك تقدم الجمع فى قوله الشياطين وقوله دون ذلك صفة عملا
والمراد بحفظ الشياطين حفظهم من ان يعصوا ويتمردوا عليه كما قال ومن يزغ
منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وقيل المراد حفظهم من ان يفسدوا ما عملوا
روى ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله
قبل الليل اجعله مشغولا بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله وكان من عادة الشياطين
انهم اذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوه وافسدوه قال
الامام الرازى فى تفسيره ان الجبائى سأل نفسه فقال كيف تهيأ لهم هذه الاعمال
واجسامهم رقيقة لطيفة لايقدرون على عمل الثقيل [illegible] رحاب
عنه بانه سبحانه كثف اجسامهم وقواهم وزاد فى عظمهم ليكون ذلك معجزة
لسليمان عليه الصلاة والسلام فلما مات سليمان ردهم الله الى الخلقة الاولى
لان تقويتهم [illegible] الحكمة لئلا يؤدى الى [illegible] ثم قال الامام الرازى واعلم ان هذا
الكلام ساقط من وجوه احدها انه لم يثبت ان الجن من الاجسام فلم لايجوز وجود
محدث ليس بمتحيز ولا قائم بالمتحيز ويكون الجن منهم فان قلت لو كان الامر
كذلك لكان مثلا للبارى تعالى قال ما يجب ان يتميز البارى [illegible] عنهم يلزم
ترك الواجب قلت هذا ضعيف لان الاشتراك فى اللوازم الثبوتية لايدل على اشتراك
الملزومات فكيف فى اللوازم السلبية سلمنا انه جسم لكن لم لايجوز حصول القوة
على هذه الاعمال الشاقة فى الجسم الضعيف [illegible] اشترط
فيه [illegible] فى بدنه الا الاستقرآء الضعيف سلمنا انه لابد من تكثيف اجسامهم
لكن لم قلت انه لابد من ردها الى الخلقة الاولى بعد موت سليمان فان زعمت
ان ابقاءهم على الخلقة الثانية يفضى الى التلبيس اى تلبيس المتنبى على الخلق
[illegible] يحصل ذلك معجزة [illegible] قلت [illegible] يفضى الى التلبيس

ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ماقبله وهى نكرة موصوفة (ويعملون عملا دون ذلك) ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل (وكنا لهم حافظين) ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ماهو مقتضى جبلتهم

والخلق ان يقولوا انا لا يجوز ان يكونوا مخالفين كذلك او تكون قوة اجسامهم معجزة لنبي آخر ومع قيام هذا الاحتمال لا يتمكن النبي من الاستدلال به على نبوته ﴿ قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه ﴾ كقوله ونوحا وما بعده في الوجهين المذكورين اى وكذلك آتينا ايوب حكما وعلما او اذكر ايوب اى اذكر خبره اذ نادى وقد كان تعالى قد اصطفى ايوب واستنبأه وبسط له اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير والبساتين ولم يكن في اهل عصره افضل منه في كثرة الاموال والاهل والاولاد من الرجال والنساء وكان رحيما بالمساكين يكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وعرفوا فضله وكان احدهم من اليمن اسمه النقن ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما بلدد والآخر صنافر وكانوا كهولا فابتلاه الله تعالى باهلاك ماله من الابل مع رعاتها بان اصابها من تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منه احد الا احترق فأحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها فجاء ابليس عليه اللعنة في زي بعض الرعاة الى ايوب فوجده قائما يصلي فلما فرغ من الصلاة قال يا ايوب هل تدرى ما صنع ربك الذى اخترته احرق ابلك ورعاتها فقال ايوب انها مال اعارنيه فهو اولى به اذا شاء نزعه قال ابليس صار الناس مبهوتين متعجبين منها فمنهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيأ وما كان في غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر على شئ لمنع من وليه ومنهم من يقول هو الذى فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطانى وحين نزع منى عريانا خرجت من بطن امى وعريانا اكون في التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لقبض روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا واجارنى منك ولكنه علم منك شرا فاخرك ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك ماله من الغنم ورعاتها بان سلط عليها من صاح صيحة فماتت جميعا ومات رعاتها ثم جاء ابليس متمثلا بصورة قهرمان الرعاة الى ايوب فقال له مثل قوله الاول ورد عليه ايوب مثل الاول فرجع ابليس صاغرا ذليلا ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك سائر امواله من الخيل والحمير والبقر والبساتين وحراسها ومن يقوم عليها حتى اهلك اهله واولاده جميعا قيل كان له سبعة بنين وثلاث بنات وقيل سبعة بنين وسبع بنات وكلما هلك صنف منها جاء ابليس الى ايوب عليه الصلاة والسلام واخبره بذلك واجتهد في ترقيق قلبه وحمله على الجزع والشكوى وترك الصبر فصبر ولم يجزع واسترجع وفوض الامر الى مالك الملك وقيل لما سمع بهلاك اهله واولاده رق قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب ووضعها على رأسه وقال ليت امى لم تلدنى فتدارك الامر من

(وايوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر) بأنى مسنى الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال (وانت ارحم الراحمين) وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر أهله وماله فابتلاه ربه بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روى ان امرأته ماخر بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحيى من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) بالشفاء من مرضه (وآتيناه اهله ومثلهم معهم) بان ولد له ضعف ما كان او أحيى ولده وولد له منهم نوافل

سا عنه فندم على ما فعل واستغفر وتاب ثم ابتلاه الله تعالى بالمرض في بدنه
حتى خرج من قرنه الى قدميه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها
وكان يحك باظفاره حتى سقطت اظفاره كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى
اذا لم يجد منها شيأ حكها بالفخار والحجارة الخشنة ثم تقطع لحمه وتغير وانتن
فاخرجه اهل القرية منها وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا هناك ورفضه
الناس كلهم خوفا من العدوى الا امرأته فهي التي كانت تصلح اموره وتختلف
اليه بما يصلحه ويحتاج اليه قيل ان ابليس لما رأى ان ايوب عليه الصلاة والسلام
كلما اشتد عليه انواع المكاره والبلايا لم يزدد بذلك الا صبرا وحمد الله انطلق
حتى اتى امرأته فتمثل لها في صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك
المقروح الذي تتردد الدود في جسده فلما سمع منها هذه الكلمة طمع ان تكون
كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كان لها من النعيم والمال وذكرها جمال
زوجها ايوب وشبابه فصرخت فلما صرخت علم ان قد جزعت واتاها بسخلة
فقال ليذبح هذه ايوب لي فيبرأ فجاءت الى ايوب تصرخ فقالت يا ايوب الى
متى يعذبك ربك ألا يرحمك اين المال اين الماشية اين الولد اين الصديق اين
اللون الحسن اين جسمك الذي قد بلي وصار مثل الرماد وتردد فيه الديدان
اذبح هذه السخلة لابليس واسترح قال ايوب عليه الصلاة والسلام اياك
وعدو الله ونفخ فيه فاخنسه ترين ما ابتلينا به من البلايا ولا تذكرين ما كنا فيه
من الرخاء فكم متعنا الله تعالى بنعمائه قالت ثمانين سنة قال فكم مدة ابتلائنا
بهذا البلاء قالت سبع سنين واشهرا قال ويلك ما انصفت ربك ألا صبرت في البلايا
ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة
جلدة امرتني ان اذبح لغير الله وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيأ من طعامك
وشرابك الذي تأتيني به فطردها فذهبت فلما نظر ايوب في شأنه وليس عنده
طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خر ساجدا وقال رب اني مسني
الضر وانت ارحم الراحمين فقال الله عز وجل يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت
رحمتي غضبي ارفع رأسك فقد استجبت لك ورددت لك مالك وولدك ومثلهم
معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وقدوة للصابرين اركض
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء لك وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم
فانهم قد عصوني فيك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق
في ظاهر بدنه دابة ولا جراحة الا سقطت منه وبرئ ثم ضرب برجله مرة اخرى فنبعت
عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وقام صحيحا وعاد اليه
شبابه وجماله حتى صار احسن ما كان عليه ثم كسي حلة فلما قام جعل يلتفت

فلا يرى شيأ مما كان له من الاهل والمال الاوقد ضعفه الله تعالى حتى ذكر ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صورة جراد من ذهب فجعل يضمه بيده الى نفسه فأوحى الله تعالى اليه يا ايوب الم اغنك عما تفعله قال بلى ولكنه لايشبع من نعمك فخرج من ذلك الموضع حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هب انه قد طردنى أفأتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لأرجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحالة التى كانت ورأت الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وكان ذلك بعين ايوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأل منه فأرسل اليها ايوب ودعاها فقال لها ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذى كان ملقى على الكناسة قال لها ايوب ما كان منك ذلك المبتلى وبكت قالت بلى فقال أتعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على احد رآه الذى كان فى حد منه ثمانين سنة وتبسم ايوب فقال انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال لها انك امرتنى ان اذبح سخلة الناس وانى اطعت الله وعصيت الشيطان فدعوت الله فرد على ما ترين وفى هذه القصة روايات كثيرة والله اعلم بما هو الاصح كما قالت العلماء قول ايوب انى مسنى الضر لم يكن جزعا من ايوب لانه تعالى وصفه بالصبر حيث قال انا وجدناه صابرا فى قوله مسنى الضر او قوله تعالى فاستجبنا له اى اجبناه واليه اشار المصنف بقوله واتى بدل ثم عن مرض المعذب اطلقا فى السؤال قيل لبعض العلماء الرضى بالله لم يسأل ربه تعالى مرض ى يسأل صاحب الكناية قيل له مثل انس قال مثل قول ايوب رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين على ان الجزع ما هو الشكوى الى الخلق واما من شكا الى الله فليس بجازع الا ترى الى قول يعقوب عليه الصلاة والسلام انما اشكو بثى وحزنى الى الله قال ابن مسعود وقتادة والحسن فى قوله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم انه تعالى احيى اولاده الذين هلكوا فى بلائه واتى مثلهم فى الدنيا وعن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم فقال يا ابن عباس رد الله امرأته وزاد فى شبابها حتى ولدت ستة وعشرين ذكرا واهبط الله تعالى اليه ملكا فقال يا ايوب ان الله يقرئك السلام بصبرك على البلاء فاخرج الى اندرك فبعث الله سحابة حمراء فهطرت الجراد الذهب والملك قائم معه وكانت الجرادة تذهب فى الاندر [illegible] فقال الملك يا ايوب اماتشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال ان هذه بركة من بركات ربى ولست اشبع منها [illegible] رحمة على ايوب وتذكرة لغيره [illegible] رحمة وذكرى متنازعين فى العابدين [illegible] متعلق لرحمة محذوفا وهو ايوب [illegible]

(رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما يثاب اولرحمتنا العابدين بانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم (واسماعيل وادريس وذا الكفل) يعنى الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمى به لانه [illegible] ذا حظ من [illegible]

الكلام فيه وعلى الثانى يتوجه كل واحد منهما الى العابدين على سبيل التنازع ولا يخفى ان عدم تخصيص الرحمة بايوب وجعلها متوجهة الى عامة العابدين لدخول ايوب فيهم دخولا اوليا اوفق للواقع وأنسب للمقام من تخصيص الرحمة بايوب والذكرى بغيره والذكرى على الاول بمعنى التذكرة وعلى الثانى بمعنى الذكر ولعل الوجه فى اظهار اللام فى الوجه الثانى مع تحقق شرائط نصب المفعول له فى كل واحد من الوجهين الاشارة الى ترجيحه فان تصريح لام التخصيص مع صحة تعدية الفعل الى العلة بدونها يشعر بان تلك العلة لها مزيد اختصاص باستدعاء الفعل (قوله او تكفل منه) اى او لانه كان ذا كفالة متقبلة له تعالى من حيث كون المكفول به مما يبتغى به وجه الله تعالى كما قيل انه رجل كفل مائة من الانبياء اى ضمهم الى نفسه حتى نجاهم من القتل وقيل انه رجل تكفل ان يصلى بالليل ولا يفتر وان يصوم النهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب ووفى به فشكر الله تعالى له وجعله نبيا وقيل انه زكريا سمى به لكفالته مريم وبالجملة ان كان الكفل بمعنى الكفالة فالمراد بذى الكفل رجل كان ذا تكفل متقبل له تعالى وان كان بمعنى النصيب او الضعف فالمراد به من كان ذا نصيب من ثواب الله تعالى [illegible] فى زمانه وضعف ثوابهم لما ذكر الله تعالى صبر ايوب والتفت اليه تبعه بذكر هؤلاء لانهم ايضا كانوا من الصابرين على طاعة الله وعن معاصيه فان اسمعيل صبر على الانقياد للذبح وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء وصبر فى بناء البيت على [illegible] فلاجرم اكرمه الله تعالى واخرج من صلبه خاتم النبيين صلى الله تعالى عليه وعليهم اجمعين وكذا الآخران (قوله وصاحب الحوت) يعنى ان ذا النون بمعنى صاحب النون والنون الحوت والمراد به يونس عليه الصلاة والسلام سمى بذلك لانه التقمه الحوت قيل خمسة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ذو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل وعيسى والمسيح يونس وذو النون ومحمد واحمد عليهم الصلاة والسلام (قوله لما برم) اى مل [illegible] دعوتهم [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible] فى بطن الحوت [illegible] باداء الرسالة [illegible] انه وقع فى بطن الحوت قبل اشتغاله باداء الرسالة بناء على ما روى عن ابن عباس انه قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيب النبى عليه الصلاة والسلام ان اذهب الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا امينا فانى القى فى قلوب اولئك ان يرسلوا بنى اسرائيل [illegible] الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء

او تكفل منه او له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجىء بمعنى النصيب والكفالة والضعف (كل) كل هؤلاء (من الصابرين) على مشاق التكاليف وشدائد النوائب (وادخلناهم فى رحمتنا) يعنى النبوة ونعمة الآخرة (انهم من الصالحين) الكاملين فى الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد (وذا النون) وصاحب الحوت يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة اولانه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا (فظن ان لن نقدر عليه)

فقال يونس بن متى فانه قوى امين فدعاه الملك وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله تعالى باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا فقال يونس وههنا انبياء غيرى فالحوا عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه فأتى بحر الروم فوجد قوما هيئوا سفينة فركب معهم فلما لجت السفينة تكفأت بهم فكادوا يغرقون فقال الملاحون ههنا رجل عاص او عبد آبق لان السفينة لا تفعل هذا الا وفيها رجل عاص ومن رسمنا اذا ابتلينا بهذا البلاء ان نقترع فمن وقعت عليه القرعة القيناه فى البحر ولأن يغرق واحد خير من ان تغرق السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلها على يونس عليه الصلاة و السلام فقال انا الرجل العاصى والعبد الآبق فألقى نفسه فى البحر فجاء حوت وابتلعه فاوحى الله تعالى الى الحوت أن لا تؤذ منه شعرة فانى جعلت بطنك سجناله و لم اجعله طعاما مالم لما نجاه الله تعالى من بطن الحوت ونبذه بالعراء كالفرخ المنتوف ليس به شعر و لا جلد انبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها و يأكل من ثمرها حتى اشتد فيبست فحزن عليها يونس عليه الصلاة و السلام فقيل له أتحزن على شجرة و لم تحزن على مائة الف او يزيدون حيث لم تذهب اليهم و لم تطلب راحتهم ثم اوحى تعالى اليه وامره ان يذهب اليهم فتوجه اليهم حتى دخل ارضهم وهم منه غير بعيد فأتاهم يونس وقال لملكهم ان الله تعالى ارسلنى اليك فارسل معى بنى اسرآئيل قالوا مانعرف ما تقول ولو علمنا انك صادق لفعلنا وقد أتيناكم فى دياركم وسبيناكم ولو كان الامر كما تقول لمنعنا الله عنكم فطاف بهم ثلاثة ايام يدعوهم الى ذلك فأبوا عليه فاوحى الله تعالى اليه قل لهم ان لم يؤمنوا جاءهم العذاب فأبلغهم فأبوا فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه ثم ذكروا امرهم و امر يونس للعلماء الذين عندهم فقالوا انظروا واطلبوه فى المدينة فان كان فيها فليس مما ذكر من نزول العذاب شئ وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فقيل لهم انه خرج العشية فلما ايسوا اغلقوا باب مدينتهم فلم يدخلها دوابهم ولا غنمهم وعزلوا كل والدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات ثم قاموا ينتظرون الصبح فلما انشق الصبح رأوا العذاب نزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل مافى بطونها وصاح الصبيان ونعقت الاغنام والبقر فرفع الله العذاب عنهم فبعثوا الى يونس فآمنوا به وبعثوا معه بنى اسرآئيل فعلى هذه الرواية كانت رسالة يونس بعد نبذ الحوت ودليل هذا القول قوله تعالى فى سورة والصافات فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون واكثر العلماء على ان قصة الحوت وذهاب يونس مغاضبا انما وقعت بعد ان ارسله الله اليهم و بعد ان رفع

العذاب عنهم بسبب توبتهم واخلاصهم فى الدعاء وذكر المصنف فى سبب خروجه وغضبه امرين الاول انه غضب عليهم لطول ما ذكرهم وانهماكهم على كفرهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصبر وينتظر الاذن من الله تعالى فى المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت والثانى انه لما اخبر قومه ان الله تعالى ينزل العذاب بهم لأجل معلوم وفارقهم ثم بلغه بعد مضى الاجل انه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم الا سبب لم يعذبهم فخشى ان ينسب الى الكذب ويعير به فقال لا ارجع الى قومى كذابا فذهب مغاضبا للرجوع اليهم كارها له والغضب والكراهة وان كان من قبله خاصة الا انه اخرج على بناء المفاعلة للدلالة على كمال غضبه والمبالغة فيه لان اكثر استعمال بناء المفاعلة فى المبالغة ولا شك ان ما صدر بطريق المبالغة يكون اتم ويحتمل ان يكون البناء على بابه من باب المشاركة من حيث انه اغضب قومه حين لم يؤمنوا بدعوته وأصروا على الكفر مدة وأغضبوا اياه حين خرج من بينهم لخوفهم لحوق العذاب بهم عند خروجه من بينهم (قوله لن نضيق عليه) فان قدر قد يكون بمعنى ضيق يقال قدر على عياله قدرا قال تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق ومن قدر عليه رزقه اى ومن ضيق وقد يكون بمعنى قضى يقال قدر الله الشئ وقدره اى قضاه فالمعنى فظن ان لن نقدر عليه بشدة وعقوبة روى ان ابن عباس مر على معوية يوما فقال له معوية لقد ضربتنى امواج القرآن البارحة فغرقت فيها ولم اجد لنفسى خلاصا الا بك فقال وما هى يا معوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبى الله ان لا يقدر عليه تعالى فقال ابن عباس هذا من القدر لا من القدرة وقوله او ان نعمل فيه قدرتنا على ان يكون نقدر من القدرة التى هى مجاز عن اعمال القدرة ومباشرة الفعل بها على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب فان بين القدرة والفعل علاقة السببية فلا يبعد جعل احدهما مجازا عن الآخر ويحتمل ان يكون قوله فظن ان لن نقدر استعارة تبعية واردة على طريق الاستعارة التمثيلية بان يشبه حاله فى خروجه عن قومه من غير انتظار لامر الله تعالى بحال من ظن انه تعالى لا يقدر عليه والمراغمة المغاضبة يقال راغم فلان قومه اذا نابذهم وخرج عنهم وأن فى قوله ان لن نقدر عليه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف ولن نقدر هو الخبر والعامة على نقدر بنون العظمة مفتوحة وتخفيف الدال وقرئ نقدر بضم النون وتشديد الدال يقال قدر الشئ تقديرا وقدره يقدر قدرا بمعنى واحد وقرئ بفتح الياء التحتانية وكسر الدال الخفيفة وبضم الياء وفتح الدال الخفيفة على بناء المفعول واسمها ضمير شان محذوف والجملة المنفية بعدها خبرها ويجوز ان تكون مفسرة

لن نضيق عليه اولن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا اولن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمى ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا (فنادى فى الظلمات) فى الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل (ان لا اله الا انت) بانه لا اله الا انت (سبحانك) من ان يعجزك شئ (انى كنت من الظالمين) لنفسى بالبادرة الى المهاجرة وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة

لورودها بعدما هو بمعنى القول نزهه عليه الصلاة والسلام ربه عن كل النقائص
التي من جملتها العجز مثل ان يفعل ما فعله ظلما او عن شهوة الانتقام وان يعجز
عن تخليص المكروب او عن مؤاخذة الجاني ولعل قوله ان يعجزك شيء مبني على انه
اختار من محتملات معنى نقدر الاحتمال الاخير وهو ان يكون المراد باطن الخطرة
الوهمية وان يكون هذا التسبيح استغفارا منه عن توهم العجز به تعالى (قوله
تعالى وكذلك) اى وكما انجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت اذ دعانا ننجي
المؤمنين من كربهم اذا استغاثوا بنا فالكاف فيه صفة مصدر محذوف (قوله
وفي الامام نجي) لا يدل الا على ان هذه الكلمة رسمت بنون واحدة
ولا دلالة فيه على ان القراءة بتشديد النون وجعله جوابا لاخفاء جماعة القراء
النون الثانية من ننجي بضم النون الاولى وسكون الثانية من نجي بالاخفاء الحرف
حالة بين الاظهار والادغام [illegible] لا يكون الا ساكنا وقد يطلق الاخفاء على
اختلاس حركة الحرف وهو عدم اتمام الحركة كالاخفاء في قوله تعالى مالك لا تأمنا على
يوسف حركة النون الاولى والمراد بالاخفاء ههنا تلفظ النون الساكنة على حالة
شبيهة بادغامها في الجيم ثم ذكر ان ابن عامر وابا بكر قرآ نجي بنون واحدة وتشديد
الجيم وسكون الياء قال الزجاج هذه القراءة لحن لا وجه لها وقال بعضهم
راوي هذه الرواية غلط في الرواية لانها ننجي بنونين كما هي قراءة العامة لكن
النون الثانية من ننجي تخفى مع الجيم ولا يجوز تبيينها فالتبس على السامع
الاخفاء بالادغام فظن انه ادغام [illegible] المصنف ان اصلها ننجي بضم النون
الاولى وفتح الثانية وتشديد الجيم ساكنة الياء فحذفت الثانية كما في قوله
تعالى تنزل الملائكة وكما حذفت في قوله تذكرون تظاهرون [illegible]
[illegible] استشعر هذا الترجيح بوجهين الاول ان النون الثانية اصل لانها فاء
الكلمة فحذفها بعيد جدا الثاني ان حركتها غير حركة النون الاولى فلا يستثقل
الجمع بينهما بخلاف تظاهرون [illegible] حذف التاء
الثانية [illegible] المصنف اجاب عن كل واحد مما ذكره في بيان الاستضعاف وهو حذف
احد المثلين عند اختلاف الحركة في نحو تجافى [illegible] تقرير الجواب ظاهر
(قوله وقيل) اي وقيل في توجيه قراءة نجي انه فعل ماض مبني للمفعول
[illegible] سكنت ياؤه تخفيفا كما سكنت فيما بقي من الربا في القراءة الشاذة واسند هذا
الفعل الى ضمير المصدر [illegible] كما في قراءة من قرأ ليجزي
قوما [illegible] وقد ذهب الى جوازه الكوفيون والاخفش قال ابو البقاء
وهو ضعيف من جهتين احدهما تسكين آخر الفعل الماضي والآخر اقامة
المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به الصريح فان الفعل المبني للمفعول [illegible]

(وكذلك ننجي المؤمنين) من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا رد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره

(اي يسند)

ان يسند الى المفعول به كما يسند الفعل المبنى للفاعل الى الفاعل وانما يسند الى غيره اذا لم يذكر المفعول به (قوله لاتذرنى) وان كان على صورة النهى الا ان مثل هذه العبارة اذا كان من العبد للسيد يكون تضرعا وتعوذا ودعاء ولما بلغ عمر زكريا عليه الصلاة والسلام مائة سنة وبلغ عمر زوجته تسعا وتسعين ولم يرزقا بهما ولدا أحب ان يرزقه الله تعالى من يؤنسه ويقويه على امر دينه ودنياه ويكون قائما مقامه بعد موته فدعا ربه بان لايتركه وحيدا بلا ولد وهو كقوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى ثم رد الامر الى مولاه مستسلما منقادا لمشيئته فقال وانت خير الوارثين اى ان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى به والمراد باصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بازالة عقرها قال الكلبى كانت عقيما فولدت وهى بنت تسع وتسعين سنة واما تحسين خلقها وكانت حردة اى غضبانة سيئة الخلق فمعنى قوله واصلحنا له على الوجه الاول اصلحناها للولادة لاجل دعاء زكريا وعلى الثانى اصلحناها لصحبة زكريا او حسن المعاشرة ويجوز ان يراد باصلاحها جعلها ذات هيئة حسنة ومنظر بهى بحيث رغب فيها زوجها لان النساء اذا بلغن سن زوجة زكريا يكن من القواعد اللاتى لا يرغب فيهن احد (قوله يعنى المتوالدين) بلفظ الجمع ليتناول زكريا وامرأته ويحيى عليه الصلاة والسلام على استجابة دعاء زكريا واصلاح زوجته وما يترتب عليهما من هبة المولود الصالح بقوله انهم كانوا يسارعون الاية وذكر فى التعليل ثلاثة شروط احدها المسارعة فى الخيرات لان الوسيلة متقدمة على المطلب وثانيها ان يكون الداعى بين الخوف والرجاء يخاف تقصيره فلايعتمد على عمله لان العمل بالخواتم ويرجو مع ذلك رحمة الله الواسعة وثالثها ان يكون مخلصا لامر آتيا كما قال ابراهيم النخعى الخشوع ان يرى الله تعالى من ابواب الاخلاص اذا ارخى العبد ستره واغلق بابه فالخشوع انما يكون بالقلب لابالجوارح بان يأكل العبد خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه ولا يرائى ويتصنع وان كان المراد بقوله انهم المذكورين سابقا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام يكون المقصود تعليل استجابة جميعهم مثل اتيان موسى وهرون الفرقان وتبريد النار وانطفائها لابراهيم وانجائه ونجاة لوط من العراق الى الشام ثم انجائه مما نزل بقومه وانجاء نوح ومن كان معه فى السفينة من كرب الطوفان وغير ذلك مما تفضل به على الانبياء المذكورين والمراد بمسارعتهم فى الخيرات مبادرتهم الى طاعة الله مراعين لحدود الشرع فهى محمودة والعجلة المذمومة المباشرة من غير محافظة الحدود والآداب وقرئ اماما رغبا ورهبا بفتح الغين والهاء وهما اما مصدران تعليل وزن طلب رقد او وقع الحال من فاعل يدعون بتقدير المضاف اى يدعون ذوى رغب ورهب واما جمعا لراغب وراهب

(وزكريا اذنادى ربه رب لاتذرنى فردا) وحيدا بلا ولد يرثنى (وانت خير الوارثين) فان لم ترزقنى من يرثنى فلا أبالى (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه) اى اصلحناها للولادة بعد عقرها اولزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة (انهم) يعنى المتوالدين اوالمذكورين من الانبياء عليهم السلام (كانوا يسارعون فى الخيرات) يبادرون الى ابواب الخيرات (ويدعوننا رغبا ورهبا) ذوى رغب او راغبين فى الثواب راجين للاجابة او فى الطاعة وخائفين من العقاب او المعصية (وكانوا لنا خاشعين)

من الحلال والحرام يعني مريم (فنفخنا فيها) في عيسى فيها اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها (من روحنا) من الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرائيل (وجعلناها وابنها) اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله (آية للعالمين) فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى (ان هذه أمتكم) ان ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها (امة واحدة) غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران (وانا ربكم) لا اله لكم غيري (فاعبدون) لا غير (وتقطعوا امرهم بينهم) صرف الكلام الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم (كل) من الفرق المتحزبة (الينا راجعون) فنجازيهم

مثل خادم وخدم اي راجين وخائفين (قوله مخبتين) اي متواضعين قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم للقلب (قوله تعالى والتي احصنت فرجها) يجوز ان ينتصب بالعطف على ما قبله وان ينتصب باضمار اذكر وان يرتفع بالابتداء والخبر محذوف اي ومما يتلى عليكم التي احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا ولما كان نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه كما في قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته كان المفهوم من قوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا فاحييناها وليس المراد احياء مريم فلذلك جعل تقدير الكلام فنفخنا الروح في عيسى فيها والمعنى فاحيينا عيسى في جوفها فيكون قوله فيها حالا من المفعول المحذوف وهو عيسى فانه مفعول من جهة ان المعنى احيينا عيسى كائنا في جوف مريم فالمراد بالروح روح الانسان الذي هو من امر الله وحده والمراد بنفخه في عيسى ادخاله في بدنه تشبيها لادخال الروح في البدن بنفخ الريح في الشيء فيكون نفخنا استعارة تبعية (قوله وقيل) اي ويجوز ان يراد فعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا الذي هو جبريل عليه الصلاة والسلام فلا يكون المراد بالنفخ ايراد الروح في البدن بل يكون المراد به معناه الحقيقي وينزل نفخنا منزلة اللازم ويكون اسناد النفخ الى الباري تعالى من قبيل اسناد الفعل الى السبب الآمر فان جبريل هو الذي نفخ في درع مريم بامر الله تعالى فوصل اثر النفخ الى جوف مريم فحملت بعيسى عليهما الصلاة والسلام ثم انه تعالى لما فرغ من قصص الانبياء وتعرض لما عليه هو عليه الصلاة والسلام [illegible] الرسالة وتسلية له بان الانبياء اول من بعث للدعوة الى الدين خاطب [illegible] فقال ان هذه امتكم امة واحدة والامة الملة واصلها القوم الذين يجتمعون على دين واحد ثم اتسع فيها فاطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين [illegible] من أم بمعنى قصد والقوم هم الجماعة انما صارت امة لانهم اجتمعوا عليه [illegible] قال تعالى انا وجدنا آباءنا على امة اي على دين ومنه قرأ الجمهور امتكم [illegible] على انه خبر ان امة واحدة منصوب على انه حال من الامة الاولى اي اشير اليها امة واحدة غير مختلفة فيها اي لا دين سوى دينكم ولا [illegible] فلا تعبدوا غيري (قوله وتقطعوا امرهم) يعني ان اصل الكلام وتقطعتم [illegible] الا انه صرف الكلام الى طريق الالتفات كأنه ينعى عليهم ما افسدوه [illegible] آخرين [illegible] وجعلوا امرهم [illegible] [illegible] ثم [illegible]

(فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) بالله ورسوله (فلا كفران لسعيه) فلا تضييع لسعيه [illegible]

ومجازيهم روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال تفرقت بنوا اسرآئيل على احدى وسبعين فرقة فهلك سبعون وخلصت فرقة وان امتى ستفرق على اثنين وسبعين فرقة تهلك احدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة قالوا يارسول الله من تلك الفرقة قال الجماعة اى الجماعة المعهودة المتمسكة بما بدءالله تعالى ورسوله من غير ان يشوبوا ذلك شيأ من الهوى وطعن بعضهم فى صحة هذا الخبر بان قال ان اراد بالثنين والسبعين فرقة اصول الاديان فهى لم تبلغ هذا القدر قال الامام فى الجواب عنه المراد ستفترق امتى فى حال ماوليس فيه دلالة على ان فترقها فى سائر الاحوال لا يجوز ان يزيد وينقص (قوله استعير لمنع الثواب) يعنى ان الكفران مصدر بمعنى الكفر الذى هو الجحود والانكار كما ان الشكر عبارة عن تعظيم المنعم والاقرار بفضله وافضاله شبه قبول العمل واعطاء الثواب عليه بشكر المنعم عليه المنعم فاطلق عليه الشكر مجازا فقال الله تعالى فسكر ربهذا لمعنى قال تعالى من اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا اى مقبولا مثابا عليه وكذا شبه رد العمل ومنع ثوابه بالكفر والجحود فاطلق عليه الكفران كما ... تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اى لن تحرموا ثوابه وان تعدموه (قوله ونفى نفى الجنس) يعنى ان مجازاة الكاملين وانابتهم على اعمالهم وحرمانهم من الثواب لا يتولى على شئ من ذلك سوى الله فانه مالك يوم الدين وكان الظاهر ان يقال ولا نكفر سعيه الا انه نفى جنس الكفران للمبالغة لان نفى الماهية يستلزم نفى جميع افرادها فالتعبير عن المراد بنفى الجنس بمنزلة اثبات المطلوب بالبينة (قوله وممتنع على اهلها) جعل الحرم مستعارا للممتنع الوجود بجامع ان كل واحد منهما غير مرجو الحصول القدر حمله على معناه الحقيقى وهو فعل مقدور للمكلف منع الشارع تناوله الا ان اقتطع ورجوع من قضى الله باهلاكه الى التوبة وكذا رجوع من جعله الله تعالى هالكا الى الحياة الدنيوية ليس حراما بهذا المعنى هذا على تقدير ان تكون كلمة لا فى قوله تعالى لا يرجعون زآئدة كما فى قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وان لم تكن صلة وكان المعنى حرام على القرية اهلكناها عدم رجوعهم الى دار الجزآء فالمقصود ابطال قول من ينكر البعث فان عدم رجوعهم اليه ليس حراما حقيقة وانما هو حرام بمعنى انه ممتنع الوجود (قوله وقرئ حرم) اى بكسر الحاء وسكون الرآء وهما لغتان كالحل والحلال (قوله وهو مبتدأ) يعنى ان قوله انهم لا يرجعون مبتدأ خبره حرام على معنى رجوعهم او عدم رجوعهم ممتنع الوجود ولا يجوز ان يكون حرام مبتدأ لا خبر له لفظا ولا تقديرا لكونه صفة مشتقة كحاشان رافعة للماسا ... بعدها على الفاعلية وذلك الظاهر قائم مقام خبره وهو قول

استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفى نفى الجنس للمبالغة (وانا له) لسعيه (كاتبون) مثبتون فى صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما (وحرام على قرية) وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم (اهلكناها حكمنا بهلاكها او وجدناها هالكة (انهم لا يرجعون) رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزآء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره

أو دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم تثبتهم اولانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اى وحرام عليها ذلك وهو المذكور فى الآية ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اى يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وحتى هى التى يحكى الكلام بعدها والمحكى هى الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد (وهم) يعنى يأجوج ومأجوج او الناس كلهم (من كل حدب) نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر (ينسلون) يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين (واقترب الوعد الحق) وهو القيامة (فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا) جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون واذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد

المصنف او فاعل له ساد مسد خبره وفيه بحث فان الصفة انما ترفع الظاهر الذى بعدها على الفاعلية بشرط الاعتماد لا بدونه الا على رأى الاخفش فانه لا يشترط ذلك (قوله او دليل عليه) اى ويجوز ان يكون حرام مبتدأ وما بعده خبره دليل على الفاعل كأنه قيل حرام عليهم توبتهم او حياتهم على ان تكون لا صلة او عدم تثبتهم على ان لا تكون صلة (قوله او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون) عطف على قوله رجوعهم الى التوبة الخ فيجوز ان يكون قوله وحرام خبر مبتدأ محذوف اى ذلك الذى ذكر من العمل الصالح المقرون بالايمان حرام عليهم وما بعده علة له بحذف لام التعليل مع انهم ويؤيده قراءة انهم بكسر الهمزة فان كسرها يقتضى ان يتم الكلام قبله ولا بد لتمامه من تقدير المحذوف (قوله وقيل حرام عزم) اى معزوم يعنى قد يعبر بالحرام عن معنى الواجب فانه قد يستعمل بمعنى الواجب كما فى قوله تعالى أتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا فان ترك الشرك واجب ويدل عليه ايضا قول الخنساء

وان حراما لا ارى الدهر باكيا * على شجوه الا بكيت على صخر

اى وان واجبا وايضا كثيرا ما يطلق احد الضدين على الآخر مجازا (قوله اى يستمر الامتناع الى قيام الساعة) على ان تكون حتى غاية لقوله حرام والمعنى ويمتنع على قوم قدرنا اهلاكهم رجوعهم الى التوبة الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا الآية اى يمتنع على الذين اهلكناهم [illegible] رجوعهم الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويحاسبون (قوله او الهلاك) على ان تكون حتى غاية للمحذوف كأنه قيل حرام على الهالكين رجوعهم الى الحياة بل يستمر بهم الهلاك الى قيام الساعة (قوله او عدم الرجوع) على ان تكون حتى غاية لقوله لا يرجعون وذلك بان يكون حرام خبر مبتدأ محذوف [illegible] ذلك المذكور من العمل الصالح ممتنع على قرية اهلكناهم [illegible] الكفر الى قيام الساعة [illegible] لا يمتنع عليهم ذلك [illegible] والمراد [illegible] يأجوج ومأجوج [illegible] فحذف المضاف كما حذف المضاف الى القرية [illegible] اى على اهلها (قوله وحتى هى التى) [illegible] مبتدأ خبرها [illegible] قوله تعالى هم من كل حدب ينسلون [illegible] يأجوج ومأجوج [illegible] تسد مسد الفاء الجزائية [illegible] جواب شرط [illegible] دخول الفاء [illegible] مسد الفاء [illegible] على وصل الجزاء بالشرط [illegible]

والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار (يا ويلنا) مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول (قد كنا في غفلة من هذا) لم نعلم انه حق (بل كنا ظالمين) لانفسنا بالاخلال بالنظر ولا عتداد بالنذر (انكم وما تعبدون من دون الله) يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن اعلم ويدل عليه ما روى ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز والتخصيص تأخر عن الخطاب (حصب جهنم)

ما بينهما من الاتصال (قوله والضمير للقصة) يعني ان لفظ هي ضمير القصة وشاخصة خبر مقدم وابصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر ضمير القصة لانه لا يفسر الا بجملة يخبر بها ويحتمل ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار كما فسر ضمير اسروا بقوله الذين ظلموا في قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا فهو بدل من واو اسروا تفسيرا وعطف اقترب الوعد الحق على فتح سد يأجوج يدل على ان قيام الساعة لا يتأخر عن خروج يأجوج ومأجوج كما روى عن حذيفة انه قال لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة والفلو المهر ولد الفرس فان قيل الشرط هو مجموع فتح سد يأجوج ومأجوج واقتراب الوعد الحق وهذا المجموع انما يحصل في آخر ايام الدنيا والجزاء وهو شخوص ابصار الذين كفروا وارتفاعها من شدة الاهوال بحيث لا تكاد تطرف انما يحصل يوم القيامة والشرط والجزاء لا بد ان يكونا متقاربين فاجيب بان المقاربة اقيمت مجرى العدم (قوله يحتمل الاوثان) اي يعمها ادعى ان ما يعم العقلاء وغيرهم واستدل عليه بانه عليه الصلاة والسلام لم يرد على ابن الزبعرى في تعميمه ما تعبدون للعقلاء بل سلم له ذلك واجابه بوجه آخر الا ان جوابه محل تأمل لانه لا ينفي كون عيسى وعزير عبدوا هؤلاء المكرمين وانما يدل على انهم عبدوا الشياطين باطاعتهم للشياطين فيما امرهم به من عبادة هؤلاء المكرمين فكيف صلح جوابا عن قول ابن الزبعرى ويمكن ان يقال من عبد من غير ان يستحق العبادة لذاته ومن غير ان يأمر بها فانه يحب ويرضى ان يعبد لا يكون معبودا له حقيقة وانما يكون معبودا صورة بحسب الظاهر ويكون المعبود في الحقيقة من امر بذلك لان العبادة عبارة عن الطاعة والانقياد وليس ذلك الا لمن امر بها فلذلك نفى عيسى عليه الصلاة والسلام كون هؤلاء المكرمين تحت قوله وما تعبدون فقال بل هم عبدوا الشياطين (قوله وعلى هذا) اي على تقدير ان يحمل ما تعبدون من دون الله على ما يعم الاوثان وغيرها يكون الخطاب في قوله تعالى انكم وما تعبدون متناولا للمشركين وغيرهم كاليهود والنصارى ومن عبد الملائكة وهم بنو مليح من خزاعة قالوا صاهر الله تعالى سروات الجن فولدت له الملائكة بخلاف ما اذا حمل ما تعبدون على الاصنام خاصة فان الخطاب يختص بالمشركين (قوله أليس اليهود عبدوا عزيرا) لا وجه لسؤال ابن الزبعرى لان كلمة ما لا تتناول من يعقل فقوله تعالى وما تعبدون لا يتناول الملائكة فان الملائكة من العقلاء بل يقتصر على الاصنام لكنه عليه الصلاة والسلام جاراه وألزمه بجواب آخر بناء على ان الدفع شبهته لم تزل مقيدة (قوله بيانا للتجوز والتخصيص المتأخر عن الخطاب) لانه على تقدير ان يكون المقصود من قوله

تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان تناول الحكم لغير اهل الحسنى من العقلاء والثانى على تقدير ان يكون المقصود تخصيص ماتعبدون بغير اهل الحسنى مع كونه فى نفسه يعم اهل الحسنى وغيرهم وعلى التقديرين يكون قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى من قبيل بيان التغيير ومثل هذا البيان لايجوز تأخيره عن وقت الحاجة الى العمل بالاتفاق لانه تكليف ما لايطاق واما جواز تأخيره عن وقت الخطاب فهو مختلف فيه بين الحنفية والشافعية جوزه الشافعية استدلالا بهذه الآية ووجه الاستدلال ما اشار به المصنف من انه تعالى انزل قوله انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون اى تحصبون فيها وترمون وتأخر عنه نزول قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهو بيان لما نزل قبله بيان تجوز او بيان تخصيص حتى جرى بين ابن الزبعرى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجرى واجاب الحنفية عن هذا الاستدلال بان قوله وماتعبدون لم يتناول عيسى عليه الصلاة والسلام وعزيرا والملائكة حقيقة لان ما لغير العقلاء الاترى ماروى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام انه قال له ماجهلك بلغة قومك ياغلام اماعلمت ان ما لما لايعقل فيكون قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى على هذا بيان تقرير وبيان التقرير يصح متراخيا وسؤال ابن الزبعرى وارد على طريق التعنت بناء على انه جعل ماسستعملة بمعنى من مجازا اوحمله على التغليب فسأل بناء على ظنه الفاسد ثم انه عليه الصلاة والسلام اجابه بقوله ماجهلك فقد رد عليه بان ما لما لايعقل فلا يرد ما اورده على الآية من النقض بالملائكة ونحوهم وان صح انه عليه الصلاة والسلام اجاب بان قال انهم ماعبدوا ما ذكرته من اهل الحسنى وانما عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك فهو جواب بطريق التسليم اى لوسلم ان قوله تعالى ماتعبدون يتناول العقلاء الفضلاء لكن لانسلم انهم عبدوا اولئك المكرمين فى الحقيقة بل عبدوا الشياطين الذين امروا بذلك والتعبير عنهم بلفظ ماليس مبنيا على حمله على المعنى المجازى بل مبنى على عدهم اى على عد الشياطين فى عداد الاصنام الجامدة التى تبعد بمراحل عن العقل والتمييز وكذا قوله عليه الصلاة والسلام بل الكل من عبد من دون الله ان صح ذلك عنه مبنى على التسليم ايضا والحاصل ان المراد بقوله ماتعبدون الشياطين وعلى التقديرين لم يكن قوله وماتعبدون مستعملا فى العقلاء مجازا ولامتناولا لاهل الحسنى حتى يقال قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان للتجوز اوالتخصيص تأخر عن الخطاب كما قاله الشافعية بل ليس ذلك الا بيان تقرير يصح متراخيا عن الخطاب فليس فى الآية ما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب على جميع الروايات فليتأمل فان المقام

مايرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر (انتم لها واردون)
استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها (لو كان
هؤلاء آلهة ما وردوها) لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها (وكل فيها خالدون) لاخلاص لهم عنها (لهم فيها زفير)
انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام
(وهم فيها لايسمعون)
من الهول وشدة العذاب
وقيل لايسمعون ما يسرهم
(ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى) الخصلة الحسنى
وهى السعادة اوالتوفيق
للطاعة اوالبشرى بالجنة
(اولئك عنها مبعدون)
لانهم يرفعون الى اعلى
عليين روى ان عليا كرم الله
وجهه خطب وقرأ هذه
الآية ثم قال انا منهم
وابو بكر وعمر وعثمان
وطلحة والزبير وسعد وسعيد
وعبد الرحمن بن عوف
وابن الجراح ثم اقيمت الصلاة
فقام يجرر داءه ويقول
(لا يسمعون حسيسها)
وهو بدل من مبعدون
او حال من ضميره سيق
للمبالغة فى ابعادهم عنها
والحسيس صوت يحس به
(وهم فيما اشتهت انفسهم
خالدون) دائمون فى غاية
التنعم وتقديم الظرف
للاختصاص والاهتمام به
لايحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض اوالانصراف
الى النار اوحين يطبق على النار او يذبح الموت على صورة كبش املح (وتتلقاهم الملائكة) تستقبلهم مهنئين (هذا
يومكم) يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول (الذى كنتم توعدون) فى الدنيا (يوم نطوى السماء) مقدر باذكر
اوظرف لايحزنهم اوتتلقاهم

محل الالتفات (قوله مايرمى به) يعنى ان الحصب بفتح الحاء والصاد
اسم لما يحصب اى يرمى فى النار ولايقال له حصب الا وهو فى النار فاما قبل ذلك
فيقال له حطب وشجر وخشب ونحو ذلك (قوله اوبدل من حصب جهنم)
ويجوز ابدال الجملة من المفرد اذا كانا بمعنى واحد والتقدير انكم انتم لها واردون
والحصب بسكون الصاد مصدر بمعنى الرمى (قوله لان المؤاخذ المعذب
لايكون الها) هذا الكلام بالشياطين أليق لان المؤاخذة لاتليق بالاصنام
الا ان يقال عباد الاصنام فى الحقيقة عباد الشياطين الذين امروا بعبادتها فكأنهم
اتخذوا الشياطين آلهة والضمير فى قوله تعالى وهم فيها لايسمعون قيل يرجع الى
المعبودين اى لايسمعون صراخهم وشكواهم ومعناه انهم لايغيثونهم ولاينفعونهم
كما يقال سمع الله لمن حمده اى اجاب الله دعاءه وقيل يرجع الى الكفار والمعنى انهم
لايسمعون شيأ اصلا من حيث انهم يحشرون صما عميا زيادة فى عذابهم اوانهم
لايسمعون ماينفعهم لانهم انما يسمعون اصوات المعذبين اوكلام من يتولى تعذيبهم
من الملائكة ثم انه تعالى لما شرح عقاب الكفار اردفه بشرح ثواب الابرار فقال
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فهى عامة فى حق كل المؤمنين وشرح من احوال
ثوابهم خمسة امور احدها قوله اولئك عنها مبعدون وثانيها قوله لايسمعون
حسيسها والمراد به تأكيد بعدهم عنها لان من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع
حسيسها وثالثها قوله وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ورابعها قوله لايحزنهم
الفزع الاكبر وفسره المصنف باربعة اوجه الاول انها النفخة الاخيرة والثانى
ان يؤمر بالعبد الى النار والثالث اطباق جهنم على اهلها اى وضع الطبق عليها
بعد ما اخرج منها من اخرج فيفزع اهلها حينئذ فزعا شديدا لم يفزعوا فزعا
اشد منه والرابع ذبح الموت بين الفريقين والنداء يااهل الجنة خلود بلا موت
ويااهل النار خلود بلا موت وخامسها قوله وتتلقاهم الملائكة اى تستقبلهم
ملائكة الرحمة عند خروجهم من القبور اوعند باب الجنة (قوله اوتتلقاهم)
فان قيل تلقى الملائكة عند باب الجنة وطى السماء متقدم عليه بزمان كثير فكيف
يكونان فى يوم واحد والجواب ان اسم يوم الطى يطلق على الزمان الممتد الذى

مبدأه زمان الطى ومنتهاه زمان دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار (قوله اوحال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون) اى توعدون ذلك اليوم مقدرا كونه يوم نطوى السماء طيا مثل طى الرجل ما فى يده من الطومار لاجل الكتابة لان الكتاب مصدر كالكتابة وما فيه من اللام للتعليل فان قلت نشر الطومار شرط لاجل الكتابة فكيف يصح طيه علة لها قلت انه يطوى اولا ويحفظ مطويا لاجل ان ينشر ويكتب فيه وقت الحاجة فالمراد من طيه هذا الطى السابق (قوله اولما يكتب اوكتب فيه) على ان الكتاب بمعنى المكتوب (قوله السجل ملك يطوى كتب الاعمال) اى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه قال السدى السجل ملك موكل بالصحف فاذا مات الانسان رفع اليه كتابه فيطويه فعلى هذا الكتاب والكتب على اختلاف القراءتين هى الصحائف واللام فيه زائدة كما فى قوله ردف لكم (قوله اوكاتب كان لرسول الله عليه الصلاة والسلام) وهو بعيد لان كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كانوا رجالا معروفين وليس فيهم من سمى بهذا الاسم (قوله فى كونهما ايجادا عن العدم اوجمعا من الاجزاء) ذكر الامام انهم اختلفوا فى كيفية الاعادة فنهم من قال ان الله تعالى يفرق اجزاء الاجسام ولايعدمها ثم انه يعيد تركيبها فذلك هو الاعادة ومنهم من قال انه تعالى يعدمها بالكلية ثم انه يوجدها بعينها مرة اخرى وهذه الآية تدل على هذا الوجه لانه تعالى شبه الاعادة بالابتداء ولما كان الابتداء ليس عبارة عن تركيب الاجزاء المتفرقة بل عن الايجاد بعد العدم وجب ان تكون الاعادة كذلك واحتج القائلون بالمذهب الاول بقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فانه يدل على ان السموات حال كونها مطوية تكون موجودة وبقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض فهذا يدل على ان اجزاء الارض باقية لكنها جعلت غير هذه الارض ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما وصف يوم القيامة بانه يوم تطوى فيه السماء كطى السجل وصفه ايضا بانه يعاد فيه الاشياء الهالكة من السماء والارض واهلهما (قوله وما كافة) تكف الكاف عن العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها على تقدير كونها زائدة تكون كافة عن العمل نحو انما زيد منطلق وغير كافة كما فى قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فان الباء فيه لو كانت مكفوفة لما كان لفظ الرحمة مجرورا بها فلما لم تكن الباء مكفوفة كان مجرورها مفعولا به والمفعول به لابد له من عامل فعلا كان اومعناه فلابد ان يكون للباء ما تتعلق هى به بخلاف الكاف المكفوفة هنا فانها لاتستدعى ما تتعلق هى به لان مجرورها لم يكن مفعولا به حتى تستدعى ما ينصبه من فعل اوما فى معناه والفرق بين كون ما كافة وبين

اوحال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطى ضد النشر او المحو من قولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبنى آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء وبالتاء والبناء للمفعول (كطى السجل للكتاب) طيا كطى الطومار لاجل الكتابة اولما يكتب اوكتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص على الجمع اى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه اوكاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه (كما بدأنا اول خلق نعيده) اى نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجادا عن العدم اوجمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة اومصدرية

واول مفعول لبدأنا او فعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل
الذى بدأناه واول خلق
ظرف لبدأنا او حال من
ضمير الموصول المحذوف
(وعدا) مقدر بفعله
تأكيدا لنعيده او منصوب به
لانه عدة بالاعادة (علينا)
اى علينا انجازه (انا كنا
فاعلين) ذلك لامحالة (ولقد
كتبنا فى الزبور) كتاب
داود (من بعد الذكر)
اى التوراة وقيل المراد
بالزبور جنس الكتب
المنزلة وبالذكر اللوح
المحفوظ (ان الارض)
ارض الجنة اوالارض
المقدسة (يرثها عبادى
الصالحون) يعنى عامة
المؤمنين اوالذين كانوا
يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وامة محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم
(ان فى هذا) فيما ذكرنا من
الاخبار والمواعظ والمواعيد
(لبلاغا) لكفاية اوسبب
بلوغ الى البغية (لقوم
عابدين) همهم العبادة
دون العادة (وما ارسلناك
الارحمة للعالمين) لان
مابعثت به سبب لاسعادهم
وموجب اصلاح معاشهم
ومعادهم وقيل كونه رحمة
للكفار امنهم به من الخسف
والمسخ وعذاب الاستئصال
(قل انما يوحى الى انما الهكم
اله وحد) اى مايوحى الى الا انه لا اله (٣٠) لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود (سا) الاصلى من بعثته مقصور على التوحيد

كونها مصدرية فانها على تقدير كونها كافة يكون قوله اول خلق نعيده كلاما
تاما ويكون قوله كما بدأنا جملة منقطعة عن ذلك على معنى تحقق الاعادة مثل تحقق
البدء وليس المعنى على اعادة مثل البدء ومحل الكاف فى مثله الرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف (قوله واول مفعول لبدأنا) ظاهر نظم التنزيل وان كان
يساعد هذا الاحتمال الا انه محل تأمل لان الظاهر ان ليس المراد باول الخلق
من سبق وجوده وجود الآخرين فى نشأة الدنيا لان الكلام ليس فى اعادتهم
وابدائهم خاصة بل الكلام فى ابداء مجموع المكونات واعادتها فان هذا المجموع
اذا هلك ثم تعلقت الاعادة به يوصف بالاولية بالنسبة الى ماتعلق به من الايجاد ثانيا
فهذا المجموع ام الموصوف بالاولية كيف يكون مفعول بدأنا مع ان ايقاع البدء
عليه متفرع على اعادته لانه قبل تعلق الاعادة به لا يوصف بالاولية اصلا
فالظاهر ان يكون الكاف فى محل النصب على انه من قبيل ما اضمر عامله على
شريطة التفسير والتقدير نعيد اول الخلق اى الخلائق الاولين نعيد ويتم
الكلام هنا ان جعلت ما كافة وان جعلت مصدرية يكون التقدير نعيد اول الخلق
اعادة مثل بدئنا اياه نعيده وكلمة ما ان كانت موصولة تكون الكاف متعلقة
بمحذوف يفسره نعيده بخلاف ما اذا جعلت مصدرية فان مفعول نعيد حينئذ
اول خلق لا الكاف (قوله تأكيدا لنعيده) يعنى انه مصدر وقع مؤكدا
مضمون جملة لا يحتمل لها غير الوعد فهو من المصدر الذى يسمى تأكيد النفسه
وناصبه مضمر اى وعدنا ذلك وعدا اوهو منصوب بقوله نعيده لكونه فى معنى الوعد
(قوله وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة) فقوله ولقد كتبنا فى الزبور
معناه ولقد بينا فى التوراة والتوراة والانجيل وسائر كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام
من بعد الذكر اى من بعد ما كتبنا و بيناه فى اللوح المحفوظ وهو ام الكتاب وكتب فيه كل
ما سيكون ليعتبر الملائكة ويعلموا ان الله تعالى احاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا
(قوله اوالذين كانوا يستضعفون) نشر مرتب على قوله اوالارض المقدسة
واراد بمشارق الارض ومغاربها ارض الشام وجهاتها الشرقية والغربية قال
الامام المراد من الارض ارض الجنة وقيل هى الارض المقدسة يرثها الصالحون
ودليله قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها التى باركنا فيها ثم بالآخرة يرثها امة محمد عند نزول عيسى عليهما
الصلاة والسلام (قوله لان مابعثت به سبب لاسعادهم) لو تدبروافيه
واتبعوا احكامه لفازوا بسعادة الدارين ومن اعرض عنه واستكبر فانما وقع فى المحنة
من قبل نفسه وهو اشارة الى جواب ما يقال كيف كان رحمة للعالمين وقد جاء
بالسيف واستباحة الاموال ورد فى الخبر انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل

فالاولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس (فهل انتم مسلمون) مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع (فان تولوا) عن التوحيد (فقل آذنتكم) اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم (على سوآء)

عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم اصابني من هذه الرحمة انى كنت اخشى عاقبة الامر فأمنت بك لما اثنى الله تعالى على بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين ثم انه تعالى لما ذكر انه عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين بين معظم اسباب كونه رحمة لهم وهو كونه داعيا الى التوحيد والطاعة فانه بعث والناس فى جاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا فى حيرة فى امر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم بحيث لم يكن لطالب الحق سبيل البتة (قوله فالاولى لقصر الحكم على الشيء) يعنى ان كلمة انما سوآء كانت مفتوحة الهمزة او مكسورتها قد تكون لقصر الحكم على الشيء نحو انما يقوم زيد وقد تكون لقصر الشيء على الحكم نحو انما زيد قائم وقوله تعالى انما يوحى الى الآية من قبيل قصر الحكم على الشيء حيث يدل على ان حكم ما يوحى اليه عليه الصلاة والسلام منحصر فى مضمون قوله تعالى انما الهكم اله واحد فانه فى محل الرفع على انه قائم مقام فاعل الفعل السابق اذ التقدير انما يوحى الى وحدانية الله تعالى وان قوله انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد اى يقوم زيد لا غيره فكانه قيل لم يوح الى شيء الا التوحيد ولما ورد ان يقال كيف يصح هذا الحصر مع انه قد اوحى اليه اشياء غير التوحيد اشار المصنف الى دفعه بقوله وذلك لان المقصود الاصلى يعنى ان ما ذكر انما يرد على تقدير ان يكون الحكم المقصود ما اوحى اليه مطلقا وليس كذلك بل المراد ما اوحى اليه مقصودا بالقصد الاصلى الاولى وقوله تعالى انما الهكم اله واحد من قبيل قصر الشيء على الحكم بمنزلة انما زيد قائم اى لا يفعل زيد سوى القيام فان قلت هذا الحصر يستلزم ان لا يكون الله تعالى موصوفا بغير الوحدانية مع انه تعالى من صفات الجلال والجمال ما لا يحصى فالجواب ان الحصر ليس حقيقيا اذ المقصود نفى ما يصفه المشركون (قوله وقد عرفت ان التوحيد الخ) اشارة الى ما ذكره فى تفسير قوله تعالى فى هذه السورة هذا ذكر من معى وذكر من قبلى اذ التوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ووجه الفاء فى قوله تعالى فهل انتم مسلمون ان مثل هذا الكلام انما يذكر اذا تقدم ما يوجب المسارعة والاقدام على شيء من الامور فيؤتى به للتحريض عليه والتوبيخ على تركه وههنا لما بولغ فى امر التوحيد بما سبق من الحصر بن عقبه به للمبالغة فى ايجاب المسارعة الى التوحيد ولذلك اخرج الامر على صورة الاستفهام وكون التوحيد مما يصح اثباته بالسمع وان اشتهر بين المتكلمين الا انه لا يخلو عن اشكال وهو ان حجية السمع موقوفة على ثبوت الرسالة وثبوت الرسالة موقوف على كون المرسل واجب الوجود وهو موقوف على ثبوت كونه واحدا اذ التعدد يستلزم الامكان كما بين فى موضعه فظهر ان حجية السمع موقوفة على الوحدانية ولو توقفت

مستوون فى الاعلام به اومستوون اناوانتم فى العلم بما اعلمتكم به اوفى المعاداة اوايذانا على سوآء وقيل اعلمتكم انى على سوآء اى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير ﴿٣٢٥﴾ (وان ادرى) وما ادرى (أقريب ام بعيد ماتوعدون) من غلبة المسلمين اومن الحشر لكنه كائن لامحالة (انه يعلم الجهر من القول) ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام (ويعلم ماتكتمون) من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه (وان ادرى لعله فتنة لكم) وما ادرى لعل تأخير عذابكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم اوامتحان لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربى أحكم على بناء التفضيل وأحكم من الاحكام (وربنا الرحمن) كثير الرحمة على خلقه (المستعان المطلوب منه المعونة (على ماتصفون) من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد لوكان حقا لنزل بهم فأجاب الله دعوة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وقرئ با[illegible] وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

الواحدانية ايضا على السمع لزم الدور فالاحكام التى يستدل عليها بالنص هى التى لا يتوقف النص على ثبوتها فالتوحيد ليس من تلك الاحكام التى يستدل عليها بالنص فلا يستدل بالنص على ثبوته (قوله مستوين فى الاعلام به) على ان يكون قوله على سوآء فى محل النصب على انه حال من مفعول آذنتكم (قوله اومستوين اناوانتم) على انه حال من الفاعل والمفعول معا وعلى التقدير ين يكون آذنتكم منقولا من اذن بمعنى علم وعلى قوله اوحرب لكم وان كان منقولا منه ايضا وان المراد بالايذان ايذان الحق الا ان يذان الحرب مستفاد من استعماله فى مقام الانذار والتهديد كانه قيل قد بذلت وسعى الى الآن فى اعلام الحق وارشادكم اليه فاذالم تقبلوه ولم تلتفتوا اليه فتهيؤا لجزآء عنادكم (قوله اوايذانا على سوآء) على انه صفة مصدر محذوف (قوله وقيل اعلمتكم انى على سوآء) على انه خبران المحذوفة مع اسمها والجملة استئنافية (قوله أقريب ام بعيد ماتوعدون) فى محل النصب بادرى لانه علق ادرى باداة الاستفهام واصل الكلام اقريب ماتوعدون ام بعيد الا انه أخر المستفهم عنه لروى الآى وقوله ماتوعدون يجوز ان يكون مبتدأ وما قبله مع ماعطف عليه خبره ويجوز ان يكون فاعل قريب لاعتماده على الف الاستفهام والمقصود من قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول الآية تعليل الامر المدلول عليه بقوله فهل انتم مسلمون والنهى عن الطعن فى الاسلام جهرا وعن اضمار الاحن والاحقاد للمسلمين وبيان ان تأخير العذاب عنهم ليس لخفى مااسروا به وما اعلنوا بل لحكمة اقتضت ذلك ثم قال لعل وجه الحكمة فى التأخير الاستدراج وزيادة الاستحقاق للعقوبة والعذاب ولما كان الاستدراج سببا للفتنة والعذاب اطلق عليه لفظ الفتنة مجازا مرسلا وقوله اوامتحان اى معاملة شبيهة بالامتحان على سبيل الاستعارة التمثيلية وقرأ العامة رب احكم بكسر الباء وحذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة وقرئ بضم الباء على انه منادى مفرد معرفة امر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بان يدعو باستعجال العذاب على قومه ويقول رب اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل فان العدل فى حقهم ان يعجل العذاب عليهم ولا يمهلهم فلا جرم حكم الله تعالى عليهم يوم بدر وقرئ ربى بسكون الياء وأحكم على بناء افعل التفضيل وهما مبتدأ وخبر وقرئ احكم بفتح الهمزة والميم على انه فعل ماض من الاحكام مرفوع المحل على انه خبر ربى ايضا تمت سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة الحج مستعينا بالله تعالى

(سورة الحج سبعون واربع آيات مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المعنى يا أهل مكة احذروا عقاب ربكم بطاعته فان التقوى المأمور بها انما تتحقق بالاتقاء عن جميع المحرمات و بالاتقاء عن ترك شئ من الواجبات و بالجملة المراد بالتقوى على هذا القول الاتقاء عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وهذا المعنى هو المراد باسم التقوى فى عرف الشرع الا ان الملائم لتخصيص الخطاب باهل مكة ان يراد بالتقوى المرتبة الاولى منه وهو التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى من الشرك كما هو المراد بقوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى فانه تعالى امر الناس بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة والمعنى ان بالتقوى يندفع هذا الضرر العظيم عن النفس ودفع الضرر عن النفس معلوم الوجوب فثبت به وجوب التقوى والزلزلة تضعيف الزلة يقال زلت قدمه اذا زالت عن مكانها بسرعة ويقال زللت يا فلان تزل زللا اذا زلت فى طين اومنطق و يصير متعديا بالتضعيف يقال زلزل الله تعالى الارض زلزالا فتزلزلت هى وقد يستعمل لازما بمعنى تزلزل فقوله تعالى ان زلزلة الساعة معناه ان تزلزل الساعة ولهذا فسرها الكواشى رحمه الله تعالى بقوله اى حركتها الشديدة بازعاج فيكون المصدر مضافا الى فاعله وفسرها المصنف رحمه الله تعالى بالتحريك وجعلها اولا من اضافة المصدر الى فاعله المجازى على طريق اسناد الفعل الى زمانه وثانيا من اضافة المصدر الى ظرفه بتقدير فى وثالثا من غير تقدير والفرق بين الوجهين الاخيرين ان المضاف اليه فى كل واحد من الاحتمالين وان كان ظرفا للمضاف فى حقيقة الا انه قد توسع فيه واجرى مجرى المفعول به واضيف المصدر اليه على طريق اضافته الى المفعول به من غير تقدير كلمة فى كما فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقول من قال يا سارق الليلة اهل الدار فى احد الاحتمالين بخلاف الاحتمال الآخر فان الظرف لم يتوسع فيه وكانت الاضافة اليه بتقدير فى كما فى ضرب اليوم واضافة المصدر معنوية سوآء اضيف الى ظرفه او الى فاعله لانه ليس بصفة والاضافة انما تكون لفظية بان يكون المضاف صفة مضافة الى معمولها اى الى مرفوعها او منصوبها (قوله وقيل هى زلزلة الخ) عطف من حيث المعنى فان ما ذكر ثانيا يدل على ان الساعة اما فاعل مجازى لهذه الزلزلة اوزمان لها وعلى التقدير ين هذه الزلزلة يوم القيامة وهو ظاهر (قوله فيبقوا على انفسهم) اى يترحموا عليها يقال ابقيت على فلان اى ارعيت

(سورة الحج مكية الاست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آياية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة) تحريكها للاشياء على الاسناد المجازى او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير فى او اضافة المصدر الى الظرف على اجرآئه مجرى المفعول به وقيل هى زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها (شئ عظيم) هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويقوها بملازمة التقوى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت) تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعلوما اى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث

عليه ورحته وفي الصحاح تقول ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحته (قوله
اذا دهشت) اى اذا ادهشت الزلزلة التى ألقمت الرضيع ثديها حمل لفظ
المرضعة على التى تلابس الارضاع بالفعل استدلالا بلحوق التاء بها فان الاصل
فى الصفات المختصة بالمؤنث ان لا تلحقها تاء التأنيث اذا قصد بها التى من شأنها
ان تلابس الفعل فاما اذا قصد بها الدلالة على الملابسة بالفعل فحينئذ يجب
ان تلحقها التاء فيقال حائضة وطالقة ومرضعة وطامثة فلما قيل فى الآية مرضعة
بالتاء علم ان المراد بها التى باشرت الارضاع بالفعل وألقمت ثديها الصبى (قوله
وما موصولة) فلابد من تقدير العائد اى عن الذى ارضعته وهو الطفل وان
كانت مصدرية فلا حاجة الى التقدير اى عن ارضاعها (قوله جنينها)
مبنى على ان الحمل بالفتح ما كان فى البطن او على رأس الشجرة وبالكسر ما كان
على الظهر واستدل به من قال ان هذه الزلزلة تكون فى الدنيا لانه لا مرضعة
ولا حامل يوم القيامة ومن قال انها تكون يوم القيامة يقول هذا على جهة
التمثيل اى لو كان مثلها فى الدنيا لذهلت المرضعة عما ارضعت وتضع الحامل
حملها من غير تمام من شدة دهشها (قوله فارهقهم هوله) والمعنى ولكن
ما رهقهم من خوف عذاب الله تعالى هو الذى اذهب عقولهم يقال رهقه بكسر
الهاء اى غشيه وارهقه طغيانا اى اغشاه اياه والهول مصدر هاله الشئ اى
افزعه ولاشك انه تعالى اذا بسط بساط عزته وسلطان جبروته
وسرادق كبريائه بحيث الجأ النبيين الى ان قالوا نفسى نفسى بجعل هوله وادراكه
بحيث يعمى اهل الموقف بأسرهم مما شاهدوه من امارات ما يكون من ذلك
الموقف قرأ العامة رحمة الله عليهم وترى الناس بفتح التاء من ترى ونصب
الناس على صيغة خطاب الواحد بمعنى تعلم والناس اول مفعوليه وسكارى
ثانيهما وقرئ بضم التاء وكسر الراء على بناء الفاعل وهو ضمير الزلزلة
او الساعة فلابد حينئذ من تقدير المفعول الاول ليتم به المعنى اى وترى الزلزلة
او الساعة اهل الموقف الناس سكارى فهو مفعول ثالث ويؤيد هذه القراءة
قراءة من قرأ وترى الناس بضم التاء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله ونصب الناس
مضارع مبنى من المتعدى الى ثلاثة مفاعيل الاول قائم مقام الفاعل وهو ضمير
الخطاب والناس سكارى هما المفعولان الباقيان وهذا معنى قول المصنف
رحمة الله عليه وقرئ ترى من اريتك قائما ولاصل وترى الزلزلة او الساعة
اياك الناس سكارى ويجوز ان يكون مضارع رأيت المتعدى الى اثنين والمعنى
وترى أيها الرسول قوما سكارى فبنى للمفعول واسند الى مفعوله الاول وترك الثانى
منصوبا على حاله وهو معنى قوله رحمة الله عليه او رأيتك قائما وقوله بنصب

اذا دهشت التى ألقمت
الرضيع ثديها نزعته من
فيه وذهلت عنه
وما موصولة او مصدرية
(وتضع كل ذات حمل
حملها) جنينها (وترى
الناس سكارى) كأنهم
سكارى (وما هم بسكارى)
على الحقيقة (ولكن
عذاب الله شديد) فارهقهم
هوله بحيث طير عقولهم
واذهب تمييزهم وقرئ
ترى من اريتك قائما
او رأيتك قائما بنصب الناس
ورفعه على انه نائب مناب
الفاعل وتأنيثه على تأويل
الجماعة

الناس و رفعه على ترتيب اللف ولما و رد ان يقال لما اسند الفعل الى الناس كان
ينبغى ان يقال و يرى بالياء التحتانية اجاب عنه بقوله وتأنيثه على تأويل الجماعة
(قوله وافراده بعد جمعه) افراد الفعل وجمعه عبارة عن اسناده الى ضمير الواحد
والجمع يعنى افراده فاعل الرؤية فى ترى الناس وجمعه فى يوم ترونها مبنى على
ان المرئية فى يوم ترونها الزلزلة اوالساعة وفى قوله وترى الناس جميع الناس
رآئيا الزلزلة لكونها امرا مغايرا للناس بخلاف الحالة القائمة فان كل احد لايرى
الاماقام بغيره ولايرى الجميع ماقام بالجميع والالازم ان يرى كل احد ماقام بنفسه وفيه
بحث ظاهر و هو ان اسناد الفعل الى الجميع انما يقتضى قيامه بالجميع و لا يقتضى
وقوع ماقام به من الجميع وماذكره مبنى على ان يكون الخطاب فى قوله تعالى وترى
الناس لكل من يصلح ان يكون مخاطبا على سبيل البدل ولو كان الخطاب
لواحد بعينه وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما قيل يراها الجمع اى يرى
كل احد ماقام بغيره (قوله سكرى كعطشى) ووجه الشبه كون كل واحد منهما
جمعا على فعلى مع كون واحده على وزن فعلان ولوقال كجرحى وقتلى ومرضى
لصح التشبيه من حيث ان كل واحد منهما جمع على وزن فعلى الا ان المشابهة
بين سكرى وعطشى أتم لما ذكرناه يقال رجل عطشان وقوم عطشى كما يقال
جوعان وجوعى وكسلان وكسلى و اللفظ انما يجمع على فعلى اذا كان مأخذه
من قبيل العلل والادوآء نقل عن الفرآء رحمه الله تعالى انه قال و العرب تجعل
فعلى جمعا لكل ذى زمانة وضرر وهلاك ولايبالون أكان واحده فاعلا او فعيلا
اوفعلان (قوله وهى تعمه واضرابه) حال من فاعل نزلت لما امر الله تعالى
مشركى اهل مكة بالاتقاء عن عقابه بملازمة طاعته خص من بينهم من هو توغل
فى المخالفة والعصيان ووصفه بالمخاصمة فى دين الله تعالى ووحدانيته وفيما اخبر به
رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم عن الله تعالى بمجرد زعمه الفاسد وظنه
الباطل من غير سند يسوقه اليه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما المريد المتمرد
على الله تعالى يقال مرد الشئ اذا جاوز حد مثله واصله العرى يقال غلام
امرد وغصن امرد اذا عرى عن الشعر والورق (قوله كتب عليه على الشيطان)
صفة للشيطان والمعنى والله تبارك وتعالى اعلم و يتبع كل شيطان مريد كتب عليه
ان من يقبل منه فهو ضال والكتبة والكتاب الحكم والقدر و يكون بمعنى الرقم
والاثبات فالمعنى قضى عليه اورقم وأثبت فى ام الكتاب وهواللوح اى قدقضى الله
تعالى على كل شيطان من الجن والانس انه من يتبعه و يتولاه فانه يضله عن الصراط
المستقيم و الدين القويم فاما الشيطان الجنى فبالوسواس و التسويلات و القاء
الشبهات و اما الشيطان الانسى فباتباعه فى مذاهب اهل الهوى و البدع

وافراده بعد جمعه لان
الزلزلة يراها الجميع واثر
السكر انما يراه كل احد
على غيره وقرأ حمزة
والكسائى سكرى كعطشى
اجرآء للسكر مجرى العلل
(ومن الناس من يجادل
فى الله بغير علم) نزلت
فى النضر بن الحارث وكان
جدلا يقول الملائكة بنات
الله والقرآن اساطير
الاولين ولابعث بعد الموت
وهى تعمه واضرابه
(ويتبع) فى المجادلة او فى
عامة احواله (كل شيطان
مريد) متجرد للفساد
واصله العرى (كتب عليه)
على الشيطان (انه من
تولاه) تبعه والضمير للشان
(فانه يضله) خبر لمن
اوجواب له والمعنى كتب
عليه اضلال من يتولاه
لانه جبل عليه وقرئ
بالفتح

كالفلاسفة والزنادقة المنكرين للبعث والحساب ويقيمون عليهما البراهين المموهة المشوبة بشوائب الوهم والخيال وظلمة الطبيعة فاتباعه تقبل منه تلك الشبهات الزائغة والدلائل الباطلة فيعتقدون بعقائده ويصيرون من جملته ويدخلون في زمرته كما قال تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم قال صاحب الكشاف والكتبة عليه مثل اى كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله جعل الكتبة بمعنى الرقم والاملاء ولما تعذر حمله على الحقيقة حمله على التشبيه وجعل وجه الشبه ظهور ذلك الاضلال عليه ظهور المكتوب على ما كتب عليه واليه اشار المصنف بقوله والمعنى كتب عليه اى اثبت عليه ورقم فصار كان الاضلال شئ اثبت عليه ورقم (قوله على تقدير فشانه انه يضله) يعنى فتح الهمزة في قوله تعالى فانه يضله مبنى انه خبر مبتدأ محذوف اى فشانه وحاله انه يضله قال صاحب الكشاف عفا الله تبارك وتعالى عنه وقرئ انه بفتح الهمزة وكسرها فمن فتح جعل الاولى نائب فاعل كتب والثانية عطفا عليها ولم يرض المصنف به حيث قال لاعلى العطف فانه يكون بعد تمام الكلام يعنى ان كلمة ان الاولى لو كانت مرفوعة المحل على انها قائمة مقام فاعل كتب وكانت الثانية ايضا في محل الرفع على كونها معطوفة على الاولى مؤكدة لها لازم عطف جملة تامة على كلام غير تام لان قوله من تولاه مبتدأ لم يستوف خبره بعد لان كلمة من فيه ان قدرتها موصولة فلاخبر لها وان جعلتها شرطية فلا جواب لها ولا يجوز العطف قبل التمام في عطف الجمل فاعراب الآية أن كتب مبنى للمفعول على قرآءة العامة وانه في الموضعين مفتوح الهمزة اما الاولى فلكونها مع ما في حيزها في محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف وكلمة من في قوله تعالى من تولاه يجوز ان تكون شرطية والفاء في جوابها وان تكون موصولة والفاء زائدة في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط (قوله على حكاية المكتوب) فان كلمة ان الواقعة في الكلام المحكى مكسورة لكونها واقعة في ابتداء الكلام ولابد في الحكاية ان تحفظ صورة الكلام المحكى ولا تغير عما هى عليه من هيئتها (قوله او اضمار القول) فيكون عليه في موضع الرفع على انه قائم مقام الفاعل لقيل المضمر ثم انه تعالى لما حكى عنهم انهم يجادلون في الله بغير علم وكان من جملة ما جادلوا فيه نفى صحة حقية البعث والحشر اورد مايدل على صحته بقوله تعالى يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث الآية قيل تحريك الوسط في كل ماكان فيه العين من حروف الحلق قياس مطرد كالشعر والنهر وقيل ليس بقياس بل هما لغتان بمعنى كالجلب والجلب والطرد والطرد فيتوقف على السماع ثم انه تعالى ذكر في مراتب النشأة

على تقدير فشانه انه يضله لاعلى العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه (ويهديه الى عذاب السعير) بالحمل على ما يؤدى اليه (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث) من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب (فانا خلقناكم) اى فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم (من تراب) اذ خلق آدم منه والاغذية التى يتكون منها المنى (ثم من نطفة) منى من النطف وهو الصب (ثم من علقة) قطعة من الدم جامدة (ثم من مضغة) قطعة من اللحم وهى في الاصل قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) مسواة لانقص فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى

ان افعاله هذه يتبين انها من قدرته وحكمته مالا يحيط به الذكر (ونقر في الارحام مانشاء) ان نقره (الى اجل مسمى) هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله (ثم نخرجكم طفلا) عطفا على نبين كان خلقهم مندرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا و ينشأوا و يبلغوا حد التكليف

الاولى ومباديهما سبعة امور الاول التراب فانه مبدأ لجميع الافراد الانسانية اما بواسطة كونه مبدأ لاصلهم آدم عليه الصلاة والسلام او بواسطة الغذاء وكونه مبدأ للمني ودم الطمث فانه اما حيواني اونباتي وغذاء الحيوانات ينتهي الى النبات قطعا للتسلسل والنبات انما يتولد من الارض والماء فصح قوله فانا خلقناكم من تراب على كل واحد من الاعتبارين فقوله فانظروا في بدء خلقكم الخ اشارة الى ان قوله تعالى فانا خلقناكم ليس جزاء في الحقيقة لكنه اقيم مقام الجزاء من حيث كون الاخبار به سببا مؤديا الى النظر في مضمونه الذي هو مزيل لريبهم والمرتبة الثانية النطفة وهي ماء الفحل فان قلب التراب اليابس ماء رطبا لطيفا مبني على قدرة باهرة لايبعد عنها اعادة الموتى والمرتبة الثالثة العلقة وهي قطعة الدم الجامدة ولاشك ان بين الماء وبين الدم الجامد مباينة شديدة والمرتبة الرابعة المضغة وهي اللحمة الصغيرة قدرمايمضغ والمرتبة الخامسة ماذكره بقوله ثم نخرجكم طفلا والسادسة ماذكره بقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم والسابعة ماذكره بقوله ومنكم من يتوفى وقسم المضغة الى المخلقة وغير المخلقة اي الى السواء الملساء المنزهة عن العيب يقال صخرة خلقاء اي ملساء لا عيب فيها وخلقت السواك اي سويته وملسته وقيل المخلقة هي التي تم وكمل خلقها بنفخ الروح فيها وهو الذي يولد لتمام مدة الحمل حيا وغير المخلقة ماتسقطه المرأة غير حي ولم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه وقيل المخلقة ما قد بدا خلقته وصورته وغير المخلقة مالم يصور بل تسقطه المرأة نطفة بيضاء او علقة اومضغة لم تبن خلقته وقدم الوجه الاول لانه اوفق لبناء التفعيل الدال على تكثير الخلق فان الانسان ذو اعضاء متباينة وقوى متفاوتة فاذا كمل فيه جميع مايتم به خلقة النوع فقد كثر فيه الخلق واللام في قوله تعالى لنبين متعلقة بمحذوف اي نقلناكم من حال الى حال ومن خلق الى خلق لنبين لكم بهذا التدريج قوة فعلنا وقدرتنا مالايسعه الذكر ولايحيط به الوصف واشير الى هذا التعميم بحذف المفعول وقوله تعالى ونقر في الارحام مرفوع على الاستئناف وليس علة لما قبله حتى ينصب عطفا على العلة المتقدمة روي عن الزجاج رحمة الله تعالى عليه انه قال قوله تعالى ونقر في الارحام لايجوز فيه الا الرفع ولايجوز ان يكون المعنى فعلنا ذلك لنقر في الارحام لان الله تعالى لم يخلق الانام ليقروا في الارحام وانما خلقهم ليدلهم على رشدهم وصلاحهم ونقل المصنف رحمه الله تعالى عليه قرآءة النصب فيه وفي قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا واشار الى دفع ماذكره الزجاج رحمة الله تعالى عليه بقوله وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا او ينشأوا او يبلغوا حد التكليف يعني ليس الاقرار في الارحام وحده علة الخلق المذكور حتى يرد ماذكر بل العلة هي مجموع الاقرار في الرحم الى تمام مدة الولادة

(قوله ويولدوا)

وقرئتا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد او الدلالة على الجنس اولانه فى الاصل مصدر (ثم لتبلغوا اشدكم) كمالكم فى القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة فى الامور (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد اوقبله وقرئ يتوفى اى يتوفاه الله (ومنكم من يرد الى ارذل العمر) الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) ليعود كهيئته الاولى فى اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى

ما علمه وينكر من عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعترى الانسان فى اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا (فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وقرئ ربأت اى ارتفعت (وانبتت من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى فى كتابه لظهورها وكونها مشاهدة (ذلك) اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان فى اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره (بان الله هو الحق) اى بسبب انه الثابت فى نفسه الذى به يتحقق الاشياء (وانه يحيى الموتى) (٣١) وانه يقدر على احيائها (...ا) والا لما احيى النطفة والارض الميتة (وانه على كل شئ قدير) لان قدرته لذاته الذى نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها (وان الساعة آتية لا ريب فيها) فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه (وان الله يبعث من فى القبور) بمقتضى وعده الذى لا يقبل الخلف (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم)

والتولد طفلا والانشاء والبلوغ الى حد التكليف والعلة فى الحقيقة هى الاخير يعنى بلوغ حد التكليف اى حتى يكلفوا بمعرفة الله تعالى وتوحيده وطاعته فينالوا سعادة الآخرة لكن لما كان الاقرار فى الرحم وماتلاه من مقدمات البلوغ ادخل فى التعليل قدر لام العلة ايذانا بذلك وخص قوله لتبلغوا باعادة اللام للتنبيه على ان المقصود اولا وبالذات هو الثانى لا الاول من بين اجزاء الغرض وهو الجزء الثانى الاخير الذى هو البلوغ المذكور لانه اوان التكليف فقوله تعالى ثم لتبلغوا على هذه القراءة معطوف على قوله تعالى ثم نخرجكم وقد اشار اليه المصنف بقوله حتى يولد وينشأ وان على قراءة الرفع معطوف على قوله تعالى لنبين لكم فان قلت ما معنى ثم فى الموضعين فالجواب انه يحتمل ان يكون للتراخى فى الرتبة وهو الاظهر الانسب بالمقام ويحتمل ان يكون للتراخى فى الزمان فان بلوغ الاشد متراخ عن الاخراج طفلا وهو غير الاقرار فى الارحام او باعتبار ابتداء الاقرار فى الارحام (قوله وقرئتا بالياء) اى وقرئ قوله تعالى لنبين ونقر بالياء التحتانية فيهما باسناد كل واحد من الفعلين الى الله تعالى كما فى قراءة النون وقرئ ويقر بفتح الياء من تحت وكسر القاف ونصب الراء اى ويقر الله تعالى وهو من قر الماء اذا صب وقرأ يعقوب فى رواية ونقر بفتح النون وضم القاف ورفع الراء من قر الماء يقره اذا صبه (قوله كمالكم فى القوة والعقل) يعنى ان الاشد كمال القوة فى الحواس والقوى والجوارح كلها وهو فيما بين الثلثين والاربعين وقال من ثمانى عشرة سنة الى ثلثين سنة وقيل الى ست وثلثين سنة (قوله تعالى لكيلا يعلم) متعلق بقوله يرد فان قيل كيف قال لكيلا يعلم من بعد علم شيئا مع انه يعلم بعض الاشياء كما يعلم اجيب بان المراد انه يزول عقله فيصير كانه لا يعلم شيئا فان مثل ذلك قد يذكر فى مقام فى العقل والمعرفة (قوله تحركت بالنبات) الاهتزاز الحركة الواقعة على البهجة والسرور فلا يقال اهتز فلان لكيت وكيت الا اذا كان ذلك الامر من المحاسن والمنافع قيل الاصل اهتز نباتها فحذف

اووحي اوالاول في المقلدين
والمراد بالعلم العلم الفطري
ليصح عطف الهدى
والكتاب عليه (ثاني
عطفه) متكبرا وثني العطف
كناية عن التكبر كلي الجيد
او معرضا عن الحق
استخفافا به وقرئ بفتح
العين اي مانع تعطفه
(ليضل عن سبيل الله)
علة للجدال وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ورويس بفتح
الياء على ان اعراضه
عن الهدى المتمكن منه
بالاقبال على الجدال الباطل
خروج من الهدى الى
الضلال وانه من حيث هو
مؤداه كالغرض له (له
في الدنيا خزي) وهو
ما اصابه يوم بدر (ونذيقه
يوم القيامة عذاب الحريق)
المحرق وهو النار (ذلك
بما قدمت يداك) على
الالتفات او ارادة القول اي
يقال له يوم القيامة ذلك
الخزي والتعذيب بسبب
ما اقترفته من الكفر والمعاصي
(وان الله ليس بظلام للعبيد)
وانما هو مجاز لهم على
اعمالهم والمبالغة لكثرة
العبيد (ومن الناس من
يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان أحس بظفر قر والا فر (لا يفيد)

المضاف واسند كل واحد من الفعلين الى نفس الارض في قراءة بت فمعناه الزيادة
من اى جهة كانت ومن قرأ بالهمزة فسره بقوله ارتفعت وزادت من جهة العلو
وقوله تعالى وان الساعة يحتمل ان يكون معطوفا على المجرور بالباء وان يكون
خبر مبتدأ محذوف حذف لدلالة المقام عليه والتقدير والامر أن الساعة آتية
ولا ريب فيها يحتمل ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا (قوله تكرير للتأكيد)
يعني ان هذه الآية نزلت ايضا في النضر بن الحارث وفائدة التكرير المبالغة
في الذم وليزيد عليه انه لا سند له في مجادلته من دليل عقلي ولا وحي سماوي كما لا سند
في مجادلته من العلم الضروري والفطري كأنه قيل انه يجادل من غير مقدمة
ضرورية ولا نظرية ولا سمعية وهو قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به
سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير قيل الآية الاولى واردة في التابعين
المقلدين وهذه الآية في المتبوعين المقلدين فان كل واحد من الفريقين يصدق
عليه انه يجادل من غير علم وان كان احدهما تبعا والآخر متبوعا ويؤيد هذا
القول قوله تعالى ليضل عن سبيل الله بغير علم فان المضل هو المقلد المتبوع لا التابع
المائل والعطف بكسر العين الجانب الذي يعطفه الانسان ويلويه ويميله
عند الاعراض عن الشيء وهو عبارة عن الكبر والخيلاء والعطف بفتح العين
التعطف والبر (قوله على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه) متعلق
بقراءة من قرأ يضل بفتح الياء فانه لما ورد على هذه القراءة ان يقال المجادل
ما كان مهتديا حتى يخرج بالجدال من الهدى الى الضلال اجاب عنه بانه لما كان
متمكنا من الاهتداء بان تذكر فيما نصب من الدلائل والآيات فتركه واعرض
عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال ورد ايضا
انه [illegible] ما كان غرضه من الجدال ان يضل عن الهدى او يضل غيره عنه فكيف
قيل ليضل فاجاب عنه بان الضلال لما كان عاقبته مترتبة على جداله شبه بالغرض
المطلوب منه فادخل عليه لام العلة لذلك (قوله وهو ما اصابه يوم بدر)
روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هذه الآية نزلت في النضر بن
الحارث فانه قتل يوم بدر ومن قال انها لم تنزل في واحد بعينه حمل خزي الدنيا
على ذم المؤمنين لهم وقهرهم اياهم في الحرب وهو الهوان والفضيحة لا يلزم
ان يكون بالقتل وقوله عذاب الحريق يجوز أن يكون من باب اضافة الموصوف
الى الصفة والاصل العذاب الحريق اي المحرق كالسميع بمعنى المسمع ووجه
الوصف [illegible] تعالى [illegible] الحريق عبارة
عن النار (قوله والمبالغة لكثرة العبيد) جواب [illegible]
[illegible] ليس بظلام للعبيد [illegible] اصل الظلم [illegible] كونه [illegible] في الظلم

(فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته ﴿٢٤٣﴾ فتنة انقلب على وجهه) روي انها نزلت في اعاريب قدموا

الى المدينة وكان احدهم
اذا صح بدنه ونتجت
فرسه مهرا سريا وولدت
امرأته غلاما سويا وكثر
ماله وماشيته قال ما اصبت
منذ دخلت في ديني هذا
الا خيرا فاطمأن وان كان
الامر بخلافه قال ما اصبت
الا شرا وانقلب وعن ابي
سعيد ان يهوديا اسلم
فاصابته مصائب فتشاءم
بالاسلام فأتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال أقلني
فقال ان الاسلام لا يقال
فنزلت (خسر الدنيا
والآخرة) بذهاب عصمته
وحبوط عمله بالارتداد
وقرئ خاسر بالنصب
على الحال والرفع على
الفاعلية ووضع الظاهر
موضع الضمير تنصيصا
على خسرانه او على انه
خبر محذوف (ذلك هو
الخسران المبين) اذ لا
خسر مثله (يدعو
من دون الله ما لا يضره
وما لا ينفعه) يعبد جمادا
لا يضر بنفسه ولا ينفع
(ذلك هو الضلال البعيد)
عن القصد مستعار من ضلال
من ابعد في التيه ضالا
(يدعو لمن ضره) بكونه
معبودا لانه يوجب القتل

(اقرب من نفعه) الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم

لا يفيد نفي اصله وتقرير الجواب ان المراد نفي اصل الظلم وذكر لفظ المبالغة مبني
على كثرة العبيد ثم انه تعالى لما وصف حال المظهرين للشرك المجادلين فيه عقبه
بذكر حال المتزلزلين المذبذبين فقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف
فقوله على حرف حال من فاعل يعبد والحرف والناحية والوسط والطرف
من صفات الاجسام وصف به الدين على سبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال من
يعبد الله تعالى حال كونه على قلق في دينه من غير ثبات وطمأنينة قلب بحال من يكون
على طرف من العسكر ونحوه فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر (قوله
تعالى وان اصابته فتنة انقلب على وجهه) المراد بها ههنا ما يستكرهه الطبع
ويثقل على النفس كالجدب والمرض وسائر المحن والا لما صح ان يجعل مقابلا
للخير لانه ايضا فتنة وامتحان قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة ولم يقل وان اصابه
شر مع انه هو المقابل للخير لان ما ينفر عنه الطبع ليس شرا في نفسه بل هو سبب
القربة ورفع الدرجة بشرط التسليم والرضى بالقضاء (قوله مهرا سريا)
اي خطيرا كريما (قوله ووضع الظاهر) بالجر عطفا على قوله والفاعلية
فان الظاهر ان يكون قوله انقلب مسندا الى ضمير مستتر راجع الى من في قوله تعالى
ومن الناس من مثل ضميره له تعالى اطمأن به فلما جعل خاسر الدنيا مرفوعا
على انه فاعل انقلب فقد وضع الظاهر موضع الضمير المستتر في انقلب تنصيصا
على خسران المنقلب (قوله مستعار من ضلال من ابعد في التيه) اي شبه ضلال
من عبد من دون الله تعالى ما لا يضره ان لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده عن سواء
السبيل وهو التوحيد والطاعة وما هو الحق اعتقادا وعملا بضلال من ابعد في التيه
ضالا فوصف الضلال المشبه بما هو من خواص الضلال المشبه به وهو البعد
فان القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية فكان اثبات البعد له استعارة
تخييلية قرينة للاستعارة بالكناية فالظاهر انه شبه العدول عن الحق المشبه
بالمسافة الحسية والصراط المسلوك فيها حسا بالضلالة عن الصراط المستقيم
وسبب التوغل في ذلك العدول بالبعد عن المسلك الحسي فعبر عن التوغل في العدول
عن الحق باسم الضلال البعيد على سبيل الاستعارة التصريحية ثم لا بد مع اعتبار
هذه الاستعارة من تقدير مضاف في البعيد اي البعيد مسافته واضافة المسافة الى
الضلال لادنى الملابسة فان الضلال واقع في تلك المسافة (قوله لمن ضره
بكونه معبودا) اشارة الى دفع ما يقال كيف نفى النفع والضر عن الاصنام في قوله تعالى
يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه واثبتهما لها في قوله تعالى لمن ضره اقرب
من نفعه وتقرير الدفع ان معنى الآية الاولى ان الكافر لنهاية جهله وحماقته يعبد
جمادا لا يضر ولا ينفع بنفسه والضرر المثبت للاوثان في الآية الثانية ليس

ضررها بانفسها ليلزم التناقض بل المراد من ضررها كون عبادتها سببا للضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس واضافة الاضلال اليهن من حيث كونهن اسبابا للضلال فكذا ههنا نفى الضرر عنهن اولا بمعنى كونهن فاعلة له واضاف الضرر اليهن في هذه الآية بمعنى كون عبادتهن سببا للضرر وكذا النفع المضاف اليهن ليس نفعها في نفسها بل هو النفع في زعم العابدين وتوقعهم (قوله والزعم قول مع اعتقاد) جواب عما يقال كيف يكون يدعو معلقا بلام الابتداء وليس هو من افعال القلوب وكذا الزعم والتعليق من خصائص افعال القلوب وفيه اشارة الى جواب آخر عن سؤال التناقض تقريره ان نفي الضر والنفع عن الاصنام حكم من الله تعالى حكم به على الكافر المقلب على وجهه انه يدعو ويعبد من دون الله تعالى ما لا يضره ولا ينفعه ثم حكى عنه انه يزعم اي يقول ويعتقد يوم القيامة حين استضراره بسبب عبادة الاصنام لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ربما حتلاف الحاكم يندفع التناقض فجملة لمن ضره في محل مفعول يدعو الا انه علق الفعل بلام الابتداء (قوله اجراءه مجرى يقول) يعني المقام مقام حكاية قول الكافر الا انه وضع يدعو موضع يقول ليدل على قوله فيه صراخ ودعاء فلما كان يدعو انسب من يقول مضمنا معنى الدعاء والصراخ كان النافي للضرر والنفع عن الاصنام هو الله تعالى والمثبت لهما هو الكافر فاندفع التناقض بهذا الوجه ايضا (قوله او مستأنفة) عطف على قوله والزعم داخلة على جملة قوله لمن ضره في محل النصب على انها في حيز مفعول يدعو مستأنفة لا محل لها من الاعراب فيكون يدعو الثاني تكريرا للاول تأكيدا له ولا معمول له لفظا ولا تقديرا كانه قيل يدعو من دون الله الذي لا يضره ولا ينفعه فعلى هذا يكون قوله ذلك هو الضلال البعيد جملة معترضة بين المؤكد والمؤكد لان فيه ما يشدد ويزيد تأكيد الكلام ويكون قوله تعالى لمن ضره كلاما مستأنفا واللام فيه لام الابتداء ومن موصولة وضره مبتدأ واقرب خبره والجملة صلة من ولئس جواب قسم مقدر والقسم المقدر مع جوابه خبر للمبتدأ الذي هو الموصول ثم انه تعالى لما ذكر المعبودين المجادلين بالباطل الذين يعبدون الله على حرف بين مآل امرهم ذكر او صاف المتمكنين على الايمان والاعمال الصالحة وبين ثوابهم في الآخرة ثم قال ان الله يفعل ما يريد باهل طاعته من اهل الكرامة واهل معصيته من اهل الهوان والهلاك بعيد (قوله كلام فيه اختصار) لان قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا بالاعلاء كلمته ونصر اولياءه وفي الآخرة باعلاء درجته والانتقام من كذبه يستدعي كلاما مذكورا فيه ان الله ينصر رسوله في الدنيا والآخرة ويكون ذلك

والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مفعولا لاجراءه مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستأنفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ وخبره (لبئس المولى) الناصر (ولبئس العشير) الصاحب (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع (من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه

وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن (فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع) فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا

او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى السماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام (فلينظر) فليتصور في نفسه (هل يذهبن كيده) فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه (ما يغيظ) غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم من المسلمين استبطأوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (انزلناه) انزلنا القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وان الله يهدي) ولان الله يهدي به او يثبت على الهدى (من يريد) هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد (ان الله على كل شيء شهيد) عالم به مراقب لاحواله (ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض)

حسدا وعداوة ويطمع انه تعالى لا يفعل ذلك و يغيظه حتى يكون هذا الكلام رداله واقناطا وترهيبا وقهرا (قوله وقيل المراد بالنصر الرزق) على ان يكون ضمير ينصره راجعا الى من في قوله تعالى من كان يظن بناء على ان من حق الضمير ان يرجع الى المذكور اذا امكن ذلك ومن ذهب الى انه يرجع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يجر ذكره في هذه الآية قال قد ذكر فيها ما يدل عليه عليه الصلاة والسلام وهو ان الايمان لا يتم الا بالله ورسوله فعلى تقدير ان يكون النصر بمعنى الرزق يكون المعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضى بقسمته فمن لم يرض برزق الله تعالى وايس مما قسم الله تعالى له فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة * والسبب الحبل والسماء قيل المراد بها سقف البيت بناء على ان كل ما علاك فهو سماء وقيل المراد بها سماء الدنيا والمعنى فليمدد الذي يغيظه نصر الله تعالى ورسوله او يجزعه قلة رزقه بحبل الى السماء المظلة ثم ليقطع المسافة الخ وعنان السماء جانبها الذي يعترض لك من اقطارها ومن في قوله تعالى من كان يظن يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر وان تكون موصولة وفليمدد اما جزاء الشرط او خبر للموصول والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وهل يذهبن في محل النصب على اسقاط الخافض اى في انه هل يذهبن (قوله فليتصور في نفسه) لما دل ظاهر نظم الآية على ان الامر بالنظر بعد الاختناق ولا يصح ان يحمل على النظر والتأمل صرف الكلام عن ظاهره وحمل النظر المأمور به عبارة عن ارتيابه وانه ان فعل ذلك هل يذهب الذي يغيظه من نصر الله تعالى [illegible] على الاختناق كأنه قيل للمتأمل انه ان فعل ذلك هل يذهب كيده وما يغيظه والفاء في فلينظر محمول على التراخي الرتبي ثم انه تعالى لما قال وان الله يهدي من يريد اتبعه ببيان من يهديه ومن لا يهديه فقال تعالى ان الذين آمنوا الآية وان الله يفصل [illegible] اسمها وخبرها في محل الرفع على انه خبر ان الاولى كما في قولك ان زيدا ان الخير عنده لكثير والصابئون من صبأ الرجل عن دينه اذا خرج منه الى دين آخر وهم قوم كانوا يعبدون النجوم [illegible] وقال مجاهد هم قبيلة بين اليهود والمجوس قيل كانوا يعبدون النار وقيل يعبدون الشمس والقمر وقيل اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم الهين نور وظلمة (قوله بالحكومة بينهم او الجزاء) يعني ان المراد بالفصل ما الفصل

بالحكم بان هذا محق و ذلك مبطل اوالفصل بالجزاء بان لايجمع الجمع فى موطن واحد بل يجازى كل واحد بما يليق به و يدخله الدار المعدة له (قوله يتسخر لقدرته ولايتأبى عن تدبيره) لما دخل كفرة الانس ومردة الجن والشياطين وسائر الحيوانات والجمادات فى عمومه اى فى عموم قوله من فى السموات وليس فيهم من يسجد سجود طاعة وعبادة وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا لله تعالى حمل السجود على معنى مجازى يتصور فى كل موجود ممكن وهو كونه منقادا مسخرا لقدرته و مشيئته تعالى غير متأبى عن شئ مما يحدث فيه من افعاله وتدبيره تشبيها لهذا الانقياد والمطاوعة بالسجود الحقيقى الصادر عن المكلف واطلاقا لاسم السجود المشبه به على المشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية ثم اشتق من هذا السجود بهذا المعنى لفظ يسجد فسرت الاستعارة اليه تبعا والمعنى تنقاد له المكونات باسرها (قوله او يدل بذله على عظمة مدبره) عطف على قوله يتسخر يعنى ان السجود فى الآية مجازا ماعن التسخر به والانقياد اوعن الدلالة على عظمة الملك المدبر فان السجود الحقيقى انما يكون على طريق الخضوع والتعظيم فيدل لا محالة على العظمة والكبرياء فكذا جميع هذه المذكورات تدل عليهما فشبه دلالتها عليهما بالسجود الحقيقى فاطلق عليها اسم السجود (قوله وقرئ والدواب بالتخفيف) اى بتخفيف الباء بحذف الباء الاولى كراهية التضعيف او الجمع بين الساكنين (قوله عطف عليها ان جوز الخ) جواب عما يقال السجود بمعنى المسخرية للقدرة والارادة او بمعنى الدلالة على عظمة المدبر عام فى حق الناس جميعا فاسناده الى كثير منهم يكون تخصيصا من غير فائدة وتخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند الى الكثير السجود الحقيقى وذلك يستلزم ان يكون لفظ يسجد مستعملا فى المعنيين باطلاق واحد وتقرير الجواب ان من جوز عمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احد مفهوميه الى امر و باعتبار مفهومه الآخر الى امر آخر فلاشك ان المسند الى كثير من الناس هو السجود الحقيقى والى الآحاد الباقية و سائر المذكورات السجود بالمعنى المجازى والسجود بهذا المعنى وان صح اسناده الى كثير من الناس ايضا الا ان تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند اليهم سجود مخصوص مغاير للسجود المسند الى الافراد الباقية ومن لم يجوز ذلك لا يجعل قوله وكثير من الناس معطوفا على ماقبله بل يجعله مبتدأ محذوف الخبر اوفاعل فعل مضمر وتقدير الآية ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثانى بمعنى العبادة والطاعة (قوله وان يعطف به) اى ويجوز ان يكون قوله

يتسخر لقدرته ولايتأبى عن تدبيره او يدل بذله على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) افرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين (وكثير من الناس) عطف عليها ان جوز عمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر و باعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب اوفاعل فعل مضمر اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة (وكثير حق عليه العذاب) بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده

وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله (ومن يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى
الاكرام (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة (هذان خصمان) اى فوجان مختصمان ولذلك قال (اختصموا)
حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون (فى ربهم) فى دينه او فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت
اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله
آمنا بمحمد و نبيكم و بما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا و نبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت (فالذين كفروا) وصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم) قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف (ثياب من نار) نيران تحيط بهم احاطة الثياب (يصب من فوق رؤسهم الحميم) حال من الضمير فى لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار (يصهر به ما فى بطونهم والجلود) اى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير (ولهم مقامع من حديد) سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف (كلما ارادوا ان يخرجوا منها)
من النار (من غم) من غمومها بدل الهاء باعادة الجار (اعيدوا فيها) اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون
الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها (وذوقوا)
اى وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) النار البالغة فى الاحراق (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها الانهار)

وكثير حق عليه العذاب موصوفا وصفة عطف به على ما قبله ويكون العامل
فى جميع المعطوفات السجود بالمعنى العام وما ذكر من ان تخصيص الكثير بالذكر
يكون لغوا حينئذ فالجواب عنه ان ذكر الكثير ليس لتخصيص الحكم بهم ونفيه
عما عداهم حتى يكون لغوا باطلا بل المراد بذكره تفصيل الناس الى من هو ساجد
بذاته و بظاهره والى من هو ساجد بذاته متمرد بظاهره وبيان ان الكل ساجد له
تعالى بالمعنى العام (قوله وقرئ حق بالضم) فان حق يستعمل لازما
ومتعديا يقال حققت الشئ بمعنى اثبته وحق الشئ اى ثبت ثم انه تعالى بين
ان الناس قسمان منهم من يسجد ومنهم من حق عليه العذاب ولا شك
ان طرق الفريقين يستلزم بيان الاختصام بينهما فذكر الله تعالى كيفية
اختصامهما فقال هذان خصمان (قوله ولذلك) اى ولكون الخصم
صفة لمصدر مفرد اللفظ مجموع المعنى كالفوج والفريق وكان قوله خصمان
فى معنى فوجان مختصمان وكان كل فوج جماعة متكثرة صح اسناد اختصموا
الى ضمير الجمع كما فى قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وثنى قوله هذان
اعتبار اللفظ ولو عكس جاز كما جاز اعتبار المعنى فقط بان قيل هؤلاء خصمان
اختصموا واعتبار اللفظ بان قيل هذان خصمان اختصما (قوله نيران تحيط
بهم احاطة الثياب) يعنى ان قوله تعالى ثياب مستعار للنيران التى يقطعها الله
تعالى ويلبسها اياهم على مقادير جثثهم تشبيها لها بالثياب الملبوسة فى احاطة
البدن (قوله تعالى يصهر به) اى يذاب يقال صهرت الشئ فانصهر
اى اذبته فذاب فهو صهير اذ ذاب روى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما انه قال لو سقطت قطرة من الحميم الذى يصب على رؤس اهل النار
على جبال الدنيا لاذابتها وعن الحسن رضى الله تعالى عنه قال ان النار
تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا دنوا فى اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها
سبعين خريفا وفى الحديث الشريف لو وضعت مقمعة منها فى الارض فاجتمع
الثقلان ما اقلوها (قوله النار البالغة فى الاحراق) اشارة الى ان الحريق
بمعنى المحرق كاسم بمعنى المسمع والعدول الى صيغة فعيل للدلالة على المبالغة

(قوله غير الاسلوب) فانه من تمام فصل الخصومة مقابل لقوله تعالى فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار فالاسلوب المناسب له ان يقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات اعدت لهم جنات (قوله صفة مفعول محذوف) اى يحلون فيها حليا كائنا من اساور او ملبوسا كائنا من اساور وفيه بحث لان حليت وحليت مشددا او مخففا بمعنى واحد لايتعدى شئ منهما الا الى مفعول واحد يقال حليت المرأة احليها حليا و حليتها تحلية اذا جعلت لها حليا فكيف يقدر ليحلون مفعول منصوب الا ان يجعل يحلون بمعنى يلبسون والظاهر ان تجعل من ابتدائية متعلقة بيحلون (قوله الا ان يراد المرصعة) على ان يكون المعنى ان الاساور قد تكون متخذة من الذهب وحده ومن اللؤلؤ وحده الا ان اتخاذ السوار من اللؤلؤ وحده غير معهود وانما يجوز عطفه على ذهب على ان يكون المعنى من اساور منهما بان يرصع اللؤلؤ فى الذهب وظاهره ان السوار قد يتخذ من اللؤلؤ وحده وينضم بعضه الى بعض غاية مافى الباب انه لايكون ذلك معهودا فى زمان المفسرين وقرأ نافع وعاصم بنصب لؤلؤ والباقون بجره وقد ذكر المصنف رحمة الله عليه وجه كل واحد منهما واختلف فى رسم هذه اللفظة فى الامام فنقل الاصمعى رحمة الله تعالى عليه انها فى الامام لولو بغير الف بعد الواو ونقل انها ثابتة ايضا فى الامام بعد الواو وقرأ حفص عن عاصم لؤلؤ بهمزتين وروى ابو بكر عنه ايضا لؤلو بقلب الهمزة الثانية واوا وقرئ اوليا بالواو اولا وبالياء آخرا والاصل لؤلؤا بهمزتين ابدلت كل واحدة منهما واوا فصار آخر الاسم المتمكن واوا قبلها ضمة وهو غير معهود فى كلام العرب الا فى كلمة هو ففعل فيها مافعل بادل جمع دلو بان قلبت الواو ياء والضمة كسرة وفعل هذا من قرأ ايضا ليليا بياءين ثم اتبع الواو الاولى للثانية فى القلب وقرئ ولول بالجر عطفا على المجرور قبله والاصل لؤلؤ ابدلت الهمزتان واوين ثم اعل اعلال ادل بان قلبت ضمة اللام كسرة والواو ياء ثم اعل اعلال قاض (قوله غير اسلوب الكلام) يعنى الظاهر ان يقال ولؤلؤ اوحريرا بجر اللفظين او نصبهما على طريق عطف المفرد على المفرد الا انه عدل عنه الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والثبات (قوله اوللمحافظة على هيئة الفواصل) فانه لوقيل وحريرا بالنصب لم تكن هيئة الكلمة على هيئة الحديد والحريق والحميد حال الوقف بخلاف مالوقيل وحرير بالجر فانه لاتفوت محافظة هيئة الفواصل حينئذ فهذا التعليل انما ينفع ان لوقرئ وحريرا بالنصب دون الجر (قوله وهو الجنة) اى المحمود نفسه الجنة والمحمود عاقبته الحق كانه قيل وهدوا الى صراط الجنة التى هى المحمودة نفسها او الى صراط الحق المحمود عاقبته او الى صراط الله تعالى المستحق لذات الحمد

غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكد بان احاد الحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم (يحلون فيها)
من حليت المرأة اذا البستها الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد (من اساور) صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهى جمع سوار (من ذهب) بيان له (ولؤلؤ) عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابو بكر والسوسى عن ابى عمرو الهمزة الاولى وقرئ لؤلو بقلب الثانية واوا واوليا بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء وليليا بقلبهما ياءين ولول كادل (ولباسهم فيها حرير) غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل (وهدوا الى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده او كلمة التوحيد (وهدوا الى صراط الحميد) المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام
(ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) لايريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم (ثم انه)

ثم انه تعالى لما فصل الخصومة بين المؤمنين والكفار ذكر عظم حرمة البيت وعظم كفر هؤلاء فقال تعالى ان الذين كفروا قيل نزلت فى ابى سفيان واصحابه حين صدوه عليه الصلاة والسلام عام الحديبية عن البيت فكره صلى الله تعالى عليه وسلم قتالهم وهو محرم ثم صالحوه على ان يعود فى العام القابل (قوله ولذلك) اى ولتكون قوله يصدون لا تقصد به الدلالة على زمان معين من حال او استقبال وانما يراد به مجرد الاستمرار فكانه قيل ان الذين كفروا ومن شانهم الصد عن سبيل الله ومثله قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب حسن عطفه على الماضى (قوله وقيل هو حال من فاعل كفروا) لم يرض به لان الجملة الحالية اذا كانت فعلية وكان الفعل مضارعا مثبتا امتنع دخول الواو عليه قال تعالى ولا تمنن تستكثر اى لا تعط حال كونك تعد ما تعطيه كثيرا وما ورد منه على قلة كقول بعض العرب قمت واصك وجهه ❊ وقول من قال فلما نشبت اظافيرهم ❊ اى اسلحتهم ❊ نجوت وارهنهم مالكا مؤول بحمل الكلام على حذف المبتدأ اى وانا اصك وانا ارهنهم فلا يحمل عليه القرآن العظيم وعلى القولين خبر ان محذوف لدلالة آخر الآية عليه فظاهر كلام المصنف رحمة الله عليه يدل على ان موضع تقديره بعد قوله عن سبيل الله وتقدير الخبر قبل تمام الاسم بمتعلقاته لا يخلو عن بعد وقد قدره صاحب الكشاف بعد قوله تعالى والمسجد الحرام وقيل انه يستلزم الفصل بين الصفة والموصوف باجنبى وهو خبر ان لان قوله الذى جعلناه صفة للمسجد الحرام فيصير نظم التركيب هكذا ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم الذى جعلناه للناس فالظاهر ان موضع التقدير بعد قوله تعالى والباد وللزمخشرى عفا الله تبارك وتعالى عنه ان يجيب عما يتوجه اليه من الاعتراض بان يقول لا نسلم ان قوله الذى جعلناه صفة للمسجد حتى يلزم ما ذكر بل هو مقطوع عنه منصوب بتقدير اعنى او مرفوع بتقدير هو (قوله وأوله الحنفية بمكة) وقالوا المراد من المسجد الحرام الحرم كله كما فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وقد اسرى به من بيت ام هانى واستدلوا على ان اراضى مكة لا تملك بهذه الآية وقالوا انها لو ملكت لما استوى العاكف فيها والبادى فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المسجد واستدلوا عليه ايضا بقوله عليه الصلاة والسلام مكة مناخ لما سبق اليها وقال الامام الشافعى رحمة الله عليه يجوز بيع دور مكة واجارتها وقال قوله سوآء العاكف فيه والباد المراد به استواؤهما فى تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه واليه اشار المصنف بقوله وهو مع ضعفه ووجه الضعف انه لا يلزم ان يكون المراد بقوله سوآء المساواة

كقولهم فلان يعطى ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضى وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية اى معذبون (والمسجد الحرام) عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله (الذى جعلناه للناس سوآء العاكف فيه والباد) اى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرآء عمر دار السجن فيها من غير نكير وسوآء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء

والاخال من المستكن فيه و نصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس (ومن يرد فيه) مماترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود (بالحاد) عدول عن القصد (بظلم) بغير حق وهما حالان مترادفان او الثانى بدل من الاول باعادة الجار وصلة له اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام (نذقه من عذاب اليم) جواب لمن (واذبوأنا لابراهيم مكان البيت) اى واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة و مكان ظرف اى واذا نزلناه فيه وقيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان واعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ماحوله فبناه على اسه القديم

فى الانتفاع بمنازل مكة ودورها لجواز ان يراد به الاستواء فى تعظيمه والعبادة فيه بمعنى انه ليس للمقيم ان يمنع من العبادة فيه البادى و بالعكس و يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام يابنى عبد المطلب من ولى منكم من امور الناس شيأ فلا يمنعن احدا طاف بهذا البيت اوصلى فيه ساعة من ليل اونهار واحتج الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه على من لايرخص فى كراء دور مكة و بيعها بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فقال اضاف الديار الى مالكها او الى غير مالكها و بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابه فهوآمن وقال اشترى عمر بن الخطاب دار السجن اترى انه اشتراها من مالكها اومن غير مالكها قرأ الجمهور سواء بالرفع وقرأ حفص عن عاصم بالنصب ووجه الرفع كونه خبرا مقدما والعاكف والبادى مبتدأ مؤخرا وانما وحد الخبر وان كان المبتدأ شيئين لان سواء فى الاصل مصدر وصف به والجملة الاسمية فى محل النصب على انها مفعول ثان لجعلنا بمعنى صيرنا وقوله تعالى للناس متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول جعلنا اى جعلناه حال كونه معبدا للناس سواء العاكف فيه (قوله والا) اى وان لم يكن للناس حالا من العائد جعل مفعولا ثانيا لجعلناه و يكون جملة سواء العاكف حالا منه اى من عائد الموصول والوجه فى انتصاب سواء كونه مفعولا ثانيا اوحالا من هاء جعلناه وللناس هو المفعول الثانى وعلى التقديرين فالعاكف مرفوع به على الفاعلية لانه مصدر وصف به وهو فى حكم اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف (قوله مما ترك مفعوله) والتقدير ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم وقوله وقرئ بالفتح اى بفتح الياء اى من اتى فيه بالحاد ظلما على ان الباء للتعدية (قوله واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة) المباءة اسم مكان من باء بمعنى رجع واصل التبوء جعل المكان مباءة ومقرا و معناه ههنا جعله لابراهيم عليه الصلاة والسلام مكان البيت مباءة اى مرجعا يرجع اليه للعبادة والعمارة وعن الزجاج رحمة الله عليه بوأنا له ههنا اى بينا له ههنا مكان البيت ليبنيه و يكون مباءة له ولعقبه يرجعون اليه ويحجونه لانه رفع زمان الطوفان فبينه الله تعالى بان ارسل ريحا حجوجا فكشفت الاساس القديم الا انه لما كان المقصود من التبيين والتعيين ان يتخذه مقرا ومباءة اتبعه المصنف رحمة الله تعالى عليه قوله وجعلناه له مباءة ولما كان مفعولا من باء بمعنى رجع لقصد التعدية كان الظاهر ان يقال و اذ بوأنا ابراهيم بدون اللام واشار المصنف رحمة الله عليه بقوله وجعلناه له مباءة الى ان مكان البيت مفعول به لبوأنا وان ايراد اللام مبنى على تضمين بوأنا معنى جعلنا ولم يرض المصنف رحمة الله عليه بقول من قال اللام زائدة

في المفعول به ومكان البيت ظرف لما تقرر من ان اللام انما تزاد اذا تقدم المعمول وكان العامل فرعا وشئ منهما غير متحقق ههنا ولان مكان البيت ظرف فحقه ان يتعدى الفعل اليه بكلمة في روى ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة اياها قبل آدم وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت الى السماء ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام روى انه تعالى لما امر ابراهيم ببناء البيت لم يدر اين يبني فارسل الله تعالى اليه السكينة وهي ريح خجوج فتطوت موضع البيت كالحجفة فكشفت البيت اى ماحول البيت واظهرت الاساس القديم فبناها عليه الصلاة والسلام على اسها القديم والمرة الثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان عليه الصلاة والسلام يومئذ رجلا شابا فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فارادت كل قبيلة ان تتولى رفعه ثم توافقوا على ان يحكم بينهم اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج فقضى بينهم ان يجعلوه في مرط ثم يرفعه جميع القبائل كلهم فرفعوه ثم ارتقى عليه الصلاة والسلام فرفعوه اليه فوضعه في مكانه وكانوا يدعونه الامين قبل بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة والمرة الرابعة بناء عبدالله بن الزبير والخامسة بناء الحجاج وهو البناء الموجود اليوم (قوله من حيث انه تضمن معنى تعبدنا) جواب عما يقال كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسير التبوئة وليس فيه معنى القول وتقرير الجواب ان فيه معنى القول من حيث انه لايقصد الا من اجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لاتشرك بي شيأ والتعبد فيه معنى القول لان تعبد الشخص عبارة عن تصييره كالعبد له في التكليف بالامر والنهي فكأنه قيل كلفنا ابراهيم ان لاتشرك بي شيأ الخ (قوله اومصدرية) ولا يجوز ان تكون مخففة من الثقيلة لان صلة المخففة لا تكون امرا ولا نهيا ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب اجماعا وكذا صلة المصدرية على الاشهر واجاز سيبويه رحمة الله عليه ان يكون صلة المصدرية ذلك نحو امرته ان اقرأ وامرته ان قم اى بان قم على معنى بالقيام فالمصدرية التي تنصب المضارع توصل بالفعل الماضي والمضارع والامر والنهي عنده وكلمة ان في الآية الكريمة يجوز ان تكون مصدرية موصولة بالنهي مجرورة المحل بلام علة مقدرة متعلقة بمحذوف والمعنى فعلنا ذلك لئلا تشرك كما كان قولك امرته ان قم بمعنى امرته بان يقوم الا ان الظاهر على هذا الوجه ان يقال ان لايشرك بياء الغيبة وقد قرئ به ووجه قرآءة العامة بالتاء ان يكون الكلام من قبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب وظهر بما ذكرنا انه يجوز ان تكون كلمة ان في الآية مصدرية ناصبة مع كون لاتشرك مجزوما

(أن لاتشرك بي شيأ وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) ان مفسرة ابوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة اومصدرية موصولة بالنهي اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه

قوله عبر عن الصلاة بأركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء (وأذن في الناس) ناد فيهم وقرئ آذن (بالحج) بدعوة الحج والامر به روى انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى (وعلى كل ضامر) اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله (يأتين) صفة لضامر محمولة على معناه او استئناف فيكون الضمير للناس وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان (من كل فج) طريق (عميق) بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيد العمق والمعق بمعنى (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم) دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة (ويذكروا اسم الله) عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها

بلا الناهية وكان المعنى بوأنا له مكان البيت وفعلنا ذلك لئلا يجعل لي شريكا في العبادة (قوله ولعله عبر عن الصلاة باركانها) وهي القيام والقراءة والركوع والسجود واختار ان القائمين هم المصلون لان المصلي لابد ان يكون في صلاته جامعا بين القيام والركوع والسجود وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال المراد بالقائمين المقيمون بالبيت فيكون المراد بالطائفين من يطوف به وهو آفاقي غير مقيم هناك (قوله وقرئ آذن) اى بالمد وتخفيف الذال بمعنى اعلم ويبعده قوله في الناس اذ كان ينبغي حينئذ ان يقال آذن الناس بدون في لانه يتعدى بنفسه وذهب اكثر المفسرين الى ان المأمور بالنداء هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقالوا انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت قال له الله تعالى اذن في الناس بالحج قال يارب وما يبلغ صوتي قال الله تعالى عليك الاذان وعلى البلاغ فصعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الصفا وفي رواية على جبل ابي قبيس وفي اخرى على المقام فارتفع حتى صار كطول الجبال فادخل اصبعه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس الا ان ربكم قد بنى لكم بيتا وكتب عليكم الحج اليه فأجيبوا ربكم وحجوا بيته الحرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم من النار فسمعه اهل ما بين السماء والارض فما بقي شيء سمع صوته الا اقبل يلبي ويقول لبيك اللهم لبيك فقيل اول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه من اجاب مرة حج مرة ومن اجاب مرتين حج مرتين او اكثر على وفق ذلك المقدار (قوله تعالى رجالا) نصب على الحال وعلى كل ضامر عطف عليها كأنه قيل رجالا وركبانا والضمر الهزال يقال ضمر يضمر ضمورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال صلى الله عليه وسلم الحسنة بمائة الف حسنة قال مجاهد رضي الله عنه حج ابراهيم واسمعيل ماشيين وكانا اذا قربا من الحرم خلعا نعالهما والكاف في يأتوك ضمير ابراهيم عليه الصلاة والسلام فان من اتى الى الكعبة حاجا فانه قد اتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لانه يجيب نداءه ونون يأتين ضمير كل ضامر لانه في معنى الجمع اذ المعنى على ضوامر من جماعة الابل (قوله او استئناف) عطف على قوله صفة لضامر لما قال اولا واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا استأنف فقال يأتين من كل فج عميق وقوله تعالى ليشهدوا يجوز ان يتعلق بقوله واذن وان يتعلق بقوله يأتوك رجالا واختلفوا في المنافع فحملها بعضهم على منافع الدنيا وهو ان يتجروا في ايام

الحج وحملها بعضهم على منافع الآخرة وهو العفو والمغفرة و بعضهم حملها على الامرين جميعا وهو الاولى (قوله وقيل كنى بالذكر عن النحر) لكون الذكر من لوازم نحو المسلمين وهو معطوف على ماقبله من حيث المعنى فانه اختار ان قوله و يذكروا اسم الله لم يذكر لينتقل منه الى الملزوم وانما ذكر ليدل على ايجاب الذكر عند اعداد الهدايا والضحايا وحمل الذكر على التسمية على الذبائح مع ان غير ذي الحجة يكثر فيها ذكر الله تعالى بالتلبية والتكبير لانه ذكر بعده على مارزقهم من بهيمة الانعام والذكر على الانعام هو التسمية على نحرها قال الحسن رضي الله تعالى عنه وقتادة ومجاهد الايام المعلومات هي ايام العشر من ذي الحجة قيل لها معلومات للحرص على علمها بحسابها لكون الحج في آخرها والايام المعدودات هي ايام التشريق وهو اختيار الامام الشافعي رضي الله عنه وابي حنيفة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية عنه ان الايام المعلومات هي ايام الحج وهي يوم عرفة و يوم النحر وايام التشريق وقيل هي ايام النحر وهو قول ابي يوسف ومحمد رضي الله عنهما تصريحا بما ذكر بعده وهو قوله تعالى على مارزقهم من بهيمة الانعام والذكر على الانعام يدل على التسمية على الذبائح والجواب عن هذا ان قال بالاول ان اليوم العاشر منها من ايام النحر وهو افضلها وكلمة في لاطلاق الظرفية فلا تقتضي الاستغراق والبهيمة اسم لكل ذات اربع في البر والبحر فبهيمة الانعام هي الابل والبقر والضأن والمعز لان الهدي والذبيحة لايكونان من غيرها (قوله وازاحة لما عليه اهل الجاهلية) فانهم ماكانوا يأكلون من ذبائحهم ترفعا على الفقراء فأعلم الله تعالى ان ذلك جائز ان شاء اكل وان شاء لم يأكل وقيل امر ندب لما فيه من مخالفة الكفار ومواساة الفقراء واستعمال التواضع والبائس هو الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار وهو مأخوذ من فقار الظهر وقيل البائس الشديد الفقر والفقير المحتاج الذي ليس له غنى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما البائس الذي ظهر بأسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي لايكون كذلك بل يكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني واتفق العلماء على ان الهدي ان كان تطوعا كان للمهدي ان يأكل منه وكذلك اضحية التطوع لما روي انه عليه الصلاة والسلام ساق في حجة الوداع مائة بدنة فنحر منها ثلاثا وستين بدنة بنفسه ونحر علي رضي الله عنه مابقي ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر ففعل ذلك وطبخت فأكل من لحمها وحسا من مرقها وكان هدي تطوع واختلفوا في الهدي الواجب مثل دم التمتع والقران والنذور والكفارات والدماء الواقعة جبرا للنقصان والذي وجب بافساد الحج وفواته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي

وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لاينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله (في ايام معلومات) هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر (على مارزقهم من بهيمة الانعام) علق الفعل بالمرزوق و بينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر (فكلوا منها) من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه اوندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب (وأطعموا البائس) الذي اصابه بؤس اي شدة (الفقير) المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول (ثم ليقضوا تفثهم)

ان يأكل شيأ منها فذهب قوم الى انه لا يجوز للمهدى ان يأكل شيأ منها ومنهم الامام الشافعى رحمة الله عليه وذهب الائمة الحنفية الى ان يأكل من دم التمتع والقران لكونهما دم الشكر لا دم الجناية ولا يأكل من واجب سواهما (قوله ثم ليزيلوا وسخهم) يريد ان التفث هو الوسخ يقال للرجل ما تفثك وما ادرنك اى ما اوسخك وان قضاءه ازالته واذهابه فان الحاج اشعث اغبر وكل ما يستقذر من الشعث من طول الشعر والظفر ونحوهما تفث فيزيل جميع ذلك عند مبدأ الاحلال والخروج من الاحرام فيحلق رأسه ويقص شاربه ويقلم اظفاره وينتف ابطه ويحلق عانته ويدهن رأسه والمراد بنذورهم ما نذروه من اعمال البر فى الحج فانه اذا حج او اعتمر فقد اوجب على نفسه من الهدى وغيره مالولا ايجابه لم يكن الحج يقتضيه وقيل المراد بها ما اوجبه الدخول فى الاحرام من انواع المناسك التى تجب بالدخول فى الحج وسميت نذورا تشبيها للايجاب بطريق الفعل بالايجاب قولا وان كان على الرجل نذور مطلقة فالافضل ان يتصدق بها على اهل مكة (قوله طواف الركن اعلم ان طواف الحج ثلاثة الاول طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهى اليه ويمشى اربعا وهذا الطواف سنة لا شئ على تاركه والثانى طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمى والحلق ويسمى ايضا طواف الزيارة وهو ركن لا يحصل التحلل من الاحرام ما لم يأت به وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت حاضت حفصة يوم النفر فقالت ما ارانى الا حابستكم فاخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال أطافت يوم النحر قيل نعم فقال فانفروا فثبت بهذا انها ان لم تطف يوم النحر طواف الافاضة فلا يجوز لها ان تنفر والطواف الثالث لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر فى ان يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائضة فانه يجوز لها ترك طواف الوداع ثم ان الرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل فى طواف الافاضة والوداع (قوله اى الامر ذلك) اى الذى ذكر من قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الى قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فان هذه الآيات مشتملة على الاحكام المأمور بها والمنهى عنها (قوله احكامه) اى احكام الله تعالى المتعلقة بافعال المكلفين بالايجاب والتحريم ونحوهما وسائر ما لا يحل هتكه من نحو البيت الحرام والمسجد الحرام ونفس الحرم والاحرام والهتك خرق الستر عما وراءه والحرمة بهذا المعنى تعم جميع ما لا يحل هتكه وقد تخص بالحرم وجميع التكاليف المتعلقة بالحج وقد تخص بالمحرمات الخمس التى من جملتها المحرم حتى يحل والحرمة بهذا المعنى وان كانت اخص من الحرمة بالمعنى الاول الا انها اعم من الحرمة بالمعنى الثالث وهو ما ليس من قبيل التكاليف المذكورة

ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال (وليوفوا نذورهم) ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء (وليطوفوا) طواف الركن الذى به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع (بالبيت العتيق) القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه (ذلك) خبر محذوف اى الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين (ومن يعظم حرمات الله) احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم (فهو خير له) فالتعظيم خير له

(عند ربه) ثوابا (واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم) الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها العارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها (واجتنبوا قول الزور) تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع (حنفاء لله) مخلصين له (غير مشركين به) وهما حالان من الواو (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء) لانه سقط من أوج الايمان الى حضيض الكفر (فتخطفه الطير) فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرأ نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء (او تهوى به الريح فى مكان سحيق) بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة وأو للتخيير كما فى قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات

(قوله عند ربه) يدل على الثواب المؤخر لانه لا يقال عند ربه فيما حصل من الخيرات (قوله الا المتلو عليكم تحريمه) اشارة الى ان ما موصولة وان ما يسند اليه يتلى محذوف وان الاستثناء متصل لكون المستثنى منه عبارة عما حرم من الانعام ولا شك فى دخوله فى المستثنى منه قبل الاستثناء قال الله تعالى فى سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وقال تعالى فى اولها احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ولما جاز ان يذهب الوهم الى ان الاحرام اذا حرم الصيد المباح قبله فانه يحرم الانعام ايضا بين الله تعالى ان الاحرام لا يحرم الانعام فهى محللة للمحرم كما تحل لغيره ثم استثنى منه ما حرم لعارض وفرع الامر باجتناب الاوثان وقول الزور على قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله مع كون الاجتناب عنهما داخلا فى تعظيم حرماته للتنبيه على ان التوحيد وصدق القول من اعظم الحرمات وجمع الشرك وقول الزور فى سلك واحد لان الشرك من باب الزور بل هو رأس الزور فان المشرك يزعم ان الوثن يحق له العبادة وكان اهل الجاهلية يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا تملكه وما ملكه فكأنه قيل فاجتنبوا عبادة الاوثان التى هى رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيأ منه فما ظنك بشئ من قبيل عبادة الاوثان واشار المصنف رحمه الله تعالى عليه الى وجه ارتباط قوله تعالى واحلت لكم الانعام وقوله فاجتنبوا الى قول الزور بقوله كأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه قوله واحلت لكم الانعام ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب واتبعه بقوله ايضا فاجتنبوا الرجس من الاوثان واتبعه بقوله تعالى واجتنبوا قول الزور ردا لافترائهم على الله تعالى بانه حكم بذلك (قوله وقيل شهادة الزور) عطف على قوله تعميم بعد تخصيص فانه يدل على ان المراد بقول الزور ما يعم كل قول منحرف مصروف عن الواقع سواء كان من قبيل الشهادة اولا روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل بوجهه الكريم وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاث مرات وتلا صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الآية (قوله طوح به) اى جعله تائها يرمى به ههنا وههنا الجوهرى طوحه اى توهه وذهب به ههنا وههنا وتطاوح فى البلاد اى رمى بنفسه ههنا وههنا (قوله ويجوز ان يكون من التشبيهات) عطف على ما دله من حيث المعنى فان معنى ما ذكره اولا يدل على انه من قبيل

التشبيه المفرق حيث اشار الى ان كل واحد من طرفى المشبه والمشبه به امور متعددة
شبه كل واحد مما فى طرف المشبه بكل واحد مما فى طرف المشبه به فالذى فى طرف
المشبه هو الايمان والشرك والاهوآء والشيطان والذى فى طرف المشبه به السماء
والساقط من السماء والطير المختطفة والريح شبه الايمان فى علوه بالسماء وشبه
المشرك المتمكن من الايمان والقادر عليه بفطرته الاصلية بالذى صعد الى السماء
وسقط منها وشبه الاهوآء التى توزع افكاره بالطير المختطفة وشبه الشيطان الذى
توهه فى اودية الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة ثم
جوز ان يكون من التشبيهات المركبة ومعنى كون التشبيه مركبا ان يقصد الى
عدة اشياء مختلفة فينتزع منها هيئة منتزعة ويجعلها مشبها او مشبها به ولهذا
صرح صاحب المفتاح فى تشبيه المركب بالمركب بان كلا من المشبه والمشبه به هيئة
منتزعة فما فى الآية ان كان من قبيل التشبيه المركب بان جعل المشبه المشرك
بالله تعالى والمشبه به من خر من السماء فعند ذلك اختطفته الطير وعصفت به الريح
فى مكان سحيق فكلا طرفى التشبيه مركب اما المشبه به فظاهر واما المشبه فلأن
المشرك من ترك الايمان بالله تعالى واشرك به فان قلت ينبغى ان تكون السماء
والطير والريح استعارة للاكتفاء فيها بذكر المشبه به قلت قد دخلت اداة
التشبيه فى مجموع قوله خر من السماء والاستعارة انما تكون اذا كان الكلام خاليا
عن اداة التشبيه (قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله) اى الامر والشان
ما ذكر من ان تعظيم حرمات الله تعالى خير وان الاجتناب عما ذكر من الاشراك
وقول الزور امر حتم لا محيص عنه واعراب ذلك هنا كاعراب ذلك المتقدم والشعائر
جمع شعيرة وهى العلامة من الاشعار وهو الاعلام والشعور العلم واختلف فى شعائر الله
قال بعضهم يدخل فيه كل عبادة يتقرب بها الى الله تعالى كصيام ودعاء
وذبيحة وطواف ورمى لان كل ذلك من اعلام دينه تعالى ويؤيد هذا القول
قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله بمن التبعيضية وقيل المراد به العبادة
المتعلقة بالحج ومواضع نسكه فان كل ذلك اعلام الحج وقيل المراد به الهدى
خاصة وتسمى البدن شعيرة من حيث انها تشعر بان تطعن فى سنامها من الجانب
الايمن والايسر حتى يسيل الدم فيعلم انها هدى فلا يتعرض لها احد فهى
من جملة معالم الحج بل من اظهرها واشهرها علامة وهذا القول اوفق لظاهر
قوله تعالى لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق فان ظاهره
يدل على ان المهدى ان ينتفع بهديه الى وقت النحر بان يركبها اذا احتاج اليها
ويشرب لبنها ويأخذ وبرها وان امكن ان يكون المعنى لكم فيها منافع الى اجل
ينقطع التكليف عنده والبرة الحلقة التى تكون فى انف البعير والنجيبة الناقة الكريمة

المركبة فيكون المعنى ومن
يشرك بالله فقد هلكت نفسه
هلاكا يشبه احد الهلاكين
(ذلك ومن يعظم شعائر الله)
دين الله اى فرائض
الحج ومواضع نسكه
او الهدايا لانها من معالم
الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده
وتعظيمها ان يختارها حسانا
سمانا غالية الاثمان روى
انه عليه الصلاة والسلام
اهدى مائة بدنة فيها جمل
لابى جهل فى انفه برة
من ذهب وان عمر رضى الله
تعالى عنه اهدى نجيبة
طلبت منه بثلاثمائة دينار
(فانها من تقوى القلوب)
فان تعظيمها من افعال
ذوى تقوى القلوب

روى ان عمر رضى الله تعالى عنه سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يبيع تلك النجيبة ويشترى بثمنها بدنة فنهاه عن ذلك فقال بل اهدها وكان ابن عمر يسوق البدنة مجللة بالقباطى اى بالثياب القبطية وهى ثياب بيض رقاق من كان تجاب من مصر فيتصدق بجلالها والقبط اهل مصر (قوله فحذفت هذه المضافات والعائد الى من) هذه العبارة تقتضى ان يكون التقدير فان تعظيمها منه من افعال ذوى تقوى القلوب بزيادة كلمة منه ولم اجد تلك فيما عندى من النسخ ولعلها سقطت من الناسخين اذ لابد منها بناء على ان الجملة الجزائية لابد من اشتمالها على مايربطها باسم الشرط وقيل عود ذوى تقوى القلوب يغنى غناء الضمير فهو المراد بقوله والعائد الى من غاية مافى الباب انه تعرض لحذفه بهذه العبارة مع دخوله فى جملة المضافات المحذوفة للتنبيه على انه احتاج الى تقديره لفائدتين احداهما فائدة الربط والاخرى فائدة تعيين اصحاب الافعال فان المقام يقتضى تقدير كل واحد من المضافات المقدرة مع قطع النظر عن فائدة الربط اما الحاجة الى تقدير التعظيم المضاف الى ضمير الشعائر فلان المقصود من ايجاد الجملة الشرطية الحث على تعظيم الشعائر والتحريض عليه واما الحاجة الى تقدير المضافين الاخيرين فلان المعنى ان تعظيمها بعض افعال ذوى التقوى فان التقوى فى عرف الشرع عبارة عن التوقى عن كل مايؤثم من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات ومن لم يتوق عن شئ منها لايكون متقيا عرفا ضرورة ان الكل ينتفى بانتفاء الجزء اى جزء كان وليس المعنى ان تعظيمها صادر وناشئ من تقوى القلوب حتى يرد مايقال وماذكر من تقدير المضافات انما يحتاج اليه على تقدير ان تحمل كلمة من على التبعيض فانها ان جعلت للابتداء لم يحتج الى تقدير الالفاظ المذكورة اذ المعنى فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب اى من تقوى قلوبهم على ان اللام بدل من المضاف اليه على ماذهب اليه الكوفيون فلما كان الالف واللام بدلا من الضمير حصل الربط وتم المعنى (قوله لكم فيها) اى فى الشعائر التى هى الهدايا المشعرة لتعرف انها هدى منافع دنيوية الى ان تنحر عند الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه فانه يجوز للمهدى ان ينتفع بلبن الهدى وصوفه ووبره وركوب ظهره الى ان ينحر وذهب اكثر المفسرين الى ان المهدى انما يجوز له ذلك قبل ان يسميها هديا ويقلدها فاذا سماها هديا ويقلدها فاذا سماها هديا انقطعت المنافع بعد ذلك فهو قوله تعالى الى اجل مسمى فان الهدى لما لم يملك منافع الهدى لم يجز له ان يؤجرها للركوب وليس له ذلك انفاقا فيدل على انه لم يملك الانتفاع بها وليس له ان يبيعها فلم لايجوز ان يكون الهدى كذلك لايملك الهدى بيعه واجارته ويملك ان ينتفع به (قوله ثم محلها منتهية الى البيت) اشارة الى ان المحل اسم زمان بتقدير

فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما (لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) اى لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اى مايليه من الحرم وثم تحتمل التراخى فى الوقت والتراخى فى الرتبة اى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها

وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذى ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات فى الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة (ولكل امة) ولكل اهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا

اوقربانا يتقربون به الى الله وقرأ حمزة والكسائى بالكسر اى موضع نسك (ليذكروا اسم الله) دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما (فالهكم اله واحد فله اسلموا) اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك (وبشر المخبتين) المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها (والصابرين على ما اصابهم) من الكلف والمصائب (والمقيمى الصلاة) فى اوقاتها وقرئ والمقيمين الصلاة على الاصل (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخير (والبدن) ...

واسكان الضم وقد قرئ ... لا ... مأخوذ من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة (وقرآء) البقرة لها فى اجزائها عن سبعة لقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره (جعلناها لكم)

المضاف يعنى وقت نحرها اى وقت حلول نحرها ووجوبه لان المحل مشتق من حل الدين اذا وجب ومحلها معطوف على قوله منافع والى ان قوله تعالى الى البيت حال من ضمير فيها والعامل فى الحال الاستقرار الذى تعلق به كلمة فى والمعنى ثم بعد تلك المنافع هذه المنفعة العظمى وهى وقت نحرها حال كونها منتهية الى البيت العتيق اى الى الحرم الذى فى حكم البيت فان المراد به الحرم كله كما فى قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اذ الحرم فى حكم البيت كله فان البيت وما حوله من مكة تنزه عن اراقة دم الهدايا وجعل منى منحرا ولا شك ان الفائدة التى هى اعظم المنافع الدينية فى الشعائر هى نحرها خالصا لله تعالى وجعل وقت وجوب نحرها فائدة عظيمة مبالغة فى ذلك فان وقت الفعل اذا كان فائدة جليلة فما ظنك بنفس الفعل (قوله وهو على الاولين) اى قوله تعالى لكم فيها منافع الآية على ان يكون المراد بشعائر الله جميع ما يتقرب به الى الله تعالى من معالم الدين وعلى ان يراد به فرائض الحج ومواضع النسك المعلمة بعلامات يستدل بها على الاعمال الواقعة فيها (قوله متعبدا او قربانا) مصدر ان بمعنى التعبد والتقرب اى جعلنا لكل امة نوعا اى ضربا من التعبد والتقرب والمراد به اراقة الدماء لوجه الله تعالى ... شرعنا لكل امة مؤمنة ان ينسكوا لله تعالى يقال نسك ينسك نسكا ونسوكا ومنسكا بفتح السين اذا ذبح القربان وقرئ بكسر السين وهما ... فى المصدر والفتح اكثر ... بالكسر موضع النسك ... (قوله وفيه تنبيه) ... بهيمة ... تنبيه على ان ... التى ليست من الانعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها فى القرابين (قوله فان الاخبات صفتهم) علة لتفسير المخبتين بهذين ... ان الخبت هو الموضع المطمئن من الارض فحقيقة المخبت من صار فى خبت من الارض تقول اخبت الرجل اذا صار فى الخبت ولما كان الاخبات من لوازم التواضع والاخلاص صح ان يجعل كناية عنهما (قوله وقرئ والمقيمين الصلاة) باثبات النون ونصب الصلاة على الاصل ... الاصل ... جمع ... الاضافة ... حذفت النون ... ونصب ... او ... الاضافة الاولى ...

قرآءة العامة اسقاط نون المقيمين باضافتها اليهـا وقرئ بحذف النون ونصب الصلاة بجعل النون مقدرة وكون حذفها لمجرد التخفيف ودفع الثقل الحاصل بسبب طول الصلة وجر لفظ الصلاة مع الموصول لا لموجب من اضافة ونحوهـا كما حذفها الشاعر فى قوله

الحافظوا عورة العشير فلا ❊ يأتيهم من ورآئهم نطف

اى نلطيخ عيب والعامة على نصب البدن على الاشتغال ورجح النصب لتقدم جملة فعلية على جملة الاشتغال وتسكين الدال وقرئ بضمها ايضا واختار المصنف رحمة الله تعالى عليه ان الضم هو الاصل وان التسكين تخفيف من المضموم ويحتمل ان يكون السكون ايضا اصلا على ان يكون البدن جمع بادن كبادل والبدنة اسم يقع على الابل والبقر عند ابى حنيفة واصحابه رضى الله عنهم لاستعمالهـا على البدانة وقيل البدنة فى اللغة اسم للابل خاصة وانما صارت فى الشريعة متناولة للابل والبقر لانه عليه الصلاة والسلام ألحق البقر بالابل فى الاجزاء عن سبعة فلما اخذت البقر حكم الابل اطلق اسم البدنة عليها فى الشريعة لا لكون اللفظ حقيقة لغوية فى كل واحد من الجنسين والمصنف رحمه الله تعالى جعل قوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة دليلا على ان اسم البدنة مخصوص بالابل ويدل عليه الآية ايضا بقوله تعالى فاذا وجبت جنوبهـا فان هذا الوصف مخصوص بالابل لان البقر يضجع ويذبح كالغنم والتى تنحر قائمة هى الابل (قوله ومن رفع) اى وقرئ البدن مرفوعا على الابتداء فتكون الجملة التى بعدهـا فى محل الرفع على الخبرية وقوله تعالى من شعائر الله فى محل النصب على انه مفعول ثان للجعل بمعنى التصيير واضيف الشعائر الى اسم الله تعالى تعظيمالها كبيت الله وقوله تعالى لكم فيها خير حال من مفعول جعلناها (قوله اللهم منك واليك) اى عطاء منك وتقرب بها اليك وقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليهـا قيل فيه حذف اى اذكروا اسم الله على نحرها وذبحها (قوله قائمات) يعنى ان قوله صواف كناية عن كونها قائمات من قيام الابل يستلزم ان تصف ايديها وارجلها (قوله وقرئ صوافن) الصوافن انما يستعمل فى الخيل لقوله تعالى الصافنات الجياد فيكون استعمالهـا فى الابل استعارة (قوله وصوافيا) بالتنوين اصله صوافيا بالالف فلما وقفت عليه قلت صوافيا وقد يحذف تلك الالف ويعوض عنها التنوين كما فى قوله اقلى اللوم عاذل والعتابن ❊ اصله والعتابا وهذا التنوين يسمى تنوين الترنم وصواف بالكسر والتنوين اصله صوافى فاسكنت الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا ثم حذفت اكتفاء بالكسرة مع ثقل الجمع ثم عوض التنوين عنها كما فى جوار رفعا وجرا (قوله سقطت على الارض)

ومن رفع جعله مبتدأ (من شعائر الله) من اعلام دينه التى شرعها الله (لكم فيها خير) منافع دينية ودنيوية (فاذكروا اسم الله عليها) بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك (صواف) قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاث وصوافى بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافى اى خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها (فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الارض وهو كناية عن الموت (فكلوا منها وأطعموا القانع) الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه

قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له فى السؤال (والمعتر) المعترض بالسؤال وقرئ والمعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه (كذلك) مثل ماوصفنا من نحرها قياما ﴿٣٦﴾ (سخرناها لكم) مع عظمها وقوتها

حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص (لن ينال الله) لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) المتصدق بها (ولا دماؤها) المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت (كذلك سخرها لكم) كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله (لتكبروا الله) اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح (على ما هداكم) الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر (وبشر المحسنين) المخلصين فيما يأتونه ويذرونه (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) غائلة المشركين (متصل) وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اى يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه (ان الله لا يحب كل خوان) فى امانة الله (كفور)

يقال وجب الحائط يجب وجبة اذا سقط والمعنى اذا ماتت حل لكم الاكل منها والاطعام وقد مر ان هذه التوسعة تخص بهدى التطوع والشكر دون الجناية والكفارة والقانع الذى يقنع بما تيسر ويجلس فى بيته ولا يسأل من القناعة والمعتر الذى يعتريك ويسألك وقيل كلاهما الذى لا يسأل والقانع الذى يرضى بما عنده من الشئ اليسير ولا يسأل والمعتر الذى يتعرض لك او يأتيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسألك (قوله او السائل) عطف على قوله الراضى بما عنده وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال القانع السائل الذى يسأل ومصدره قنوع من باب فتح قال الشاعر

العبد حر ان قنع ❊ والحر عبد ان قنع
فاقنع ولا تقنع فما ❊ شئ يشين سوى الطمع

(قوله قرئ القنع) اى بغير الالف قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه القنع هو الراضى لا غير يعنى ان القنع هو الراضى بما عنده من القناعة لا من القنوع بخلاف القانع فانه مشترك بين المعنيين والكاف فى قوله تعالى كذلك صفة مصدر محذوف اى سخرناها لكم مع عظمها وقدرتها وقوتها تسخيرا مثل ماوصفنا من حالها وقت النحر من كونها صواف اوصوافن يعنى من الله تعالى على عباده بذلك التسخير وطلب الشكر منهم عليه حيث قال لعلكم تشكرون ثم لما بين الله تعالى ان البدن المسخرة والمقلدة من جملة شعائر الدين وامر بذكر اسم الله تعالى على نحرها صواف وبالاكل منها واطعامها بين ان المعتبر فى نحرها ليس مجرد اراقة دمائها واطعام لحومها بل المعتبر ما يصحب ذلك من التقوى التى تدعو الى تعظيم الله تعالى والتقرب اليه والاخلاص له فقد قال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الآية وهذا وجه انتظام الآية بما قبلها وقيل وجه انتظامها ما كان اهل الجاهلية الخ (قوله وقيل هو التكبير الخ) وقيل المراد بالتكبير ههنا الشكر على ما انعم الله تعالى عليهم من الهداية لدينه ومناسك حجه ونسكه والمعنى لتشكروا الله بان تكبروا وتهللوا عند الاحلال او الذبح فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته وختم الله تعالى افعال الحج بقوله وبشر المحسنين وهم الذين يعبدون الله تعالى كانهم يرونه ويتقون بذلك فضله ورضوانه لا يحملهم على ما يأتونه ويذرونه الا هذا الاتقاء وان ارادوا ان لا يستثقل ولا يتبرم بشئ مما فعله او تركه والمقصود منه الحث والتحريض على استصحاب معنى الاحسان فى جميع افعال الحج ونحوه (قوله تعالى ان الله يدفع عن الذين آمنوا)

لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم (اذن) رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة
والكسائى على البناء للفاعل وهو الله (للذين يقاتلون) المشركين والمأذون فيه وهو القتال محذوف لدلالته عليه
وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى الذين يقاتلهم المشركون (بانهم ظلموا) بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ﴿ ٢٦١ ﴾ المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج
يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى اول آية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم لقدير) وعدلهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم (الذين اخرجوا من ديارهم) يعنى مكة (بغير حق) بغير موجب استحقوا به (الا ان يقولوا ربنا الله) على طريقة قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل منقطع (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين (لهدمت) لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرأ نافع دفاع ولهدمت بالتخفيف (صوامع) صوامع الرهبانية (وبيع) وبيع النصارى (وصلوات) وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرانية فعربت (ومساجد) ومساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا (ولينصرن الله من ينصره) من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم (ان الله لقوى) على نصرهم (عزيز) لا يمانعه شئ (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وصف للذين اخرجوا

متصل بقوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام لما اوعد الكفرة الذين يصدون عن الجهاد والهجرة والمسجد الحرام وفرع عليه بيان اعمال الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والآخرة انتقل ايضا الى ذكر حال المؤمنين مع الكفرة الذين يصدونهم عن طاعة الله تعالى فقال وبشر المؤمنين باعلائهم على الكفرة واخبرانه يدفع عنهم غائلة المشركين وعلل ذلك بان الكفار خوانون فى امانة الله تعالى حيث اهلكوا انفسهم بانهم كفروا بالله ورسوله فاى خيانة اعظم منه فان ذكر غير اسم الله تعالى والتقرب الى الاصنام بذبيحة لا يكون الا كفرا للنعمة فكيف ينصرهم او يتركهم على ما كانوا عليه من اذى المؤمنين ومن قرأ ان الله يدافع واو لا دفاع الله الناس اختار صيغة المفاعلة للدلالة على المبالغة فى الدفع كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يكون اقوى وابلغ وقوله تعالى اذن للذين اشارة الى ان قتال الكفار بغير اذن الله تعالى لا يجوز ولهذا لما وكز موسى عليه الصلاة والسلام القبطى الكافر وقتله قال هذا من عمل الشيطان لانه عليه الصلاة والسلام ما كان مأذونا من الله تعالى فى ذلك والباء فى قوله تعالى بانهم ظلموا متعلقة بقوله اذن لما بين انهم انما اذنوا فى القتال لانهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اى اخراجا غير موجب استحقوا الخروج به فالحق مصدر قولك حق الشئ يحق بالكسر اى وجب واستحققته اى استوجبته وانتفاء الوجوب لما كان بانتفاء الموجب قال المصنف رحمه الله تعالى عليه بغير موجب (قوله نيف وسبعين) النيف الزيادة تخفف وتشدد يقال عشرة ونيف واونيف كل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثانى قال نسخت هذه الآية سبعين آية امر عليه الصلاة والسلام فيها بالصبر والصفح لانها اول آية نزلت فى الاذن بالقتال وقوله تعالى الذين اخرجوا فى موضع الجر على انه بدل او صفة لقوله تعالى الذين يقاتلون ويجوز ان يكون فى موضع النصب على المدح وفى موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف (قوله وقيل منقطع) والمعنى لكن قولهم ربنا الله وحده وهذا يوجب تعظيمهم وتقريرهم فى ديارهم دون الاخراج واستغرقان الاستثناء المنقطع يكون بمعنى لكن

وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره (ولله عاقبة الامور) فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد للوعد (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين) تسلية له عليه الصلاة والسلام بان قومه ان كذبوه فهو ليس بأوحدي في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه (وكذب موسى) غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنوا اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع (فأمليت للكافرين) فأمهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة (ثم اخذتهم فكيف كان نكير) اى انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا (فكأين من قرية اهلكناها) باهلاك اهلها

ثم انه تعالى بعد مابين سبب الاذن بقوله بانهم ظلموا اشار الى علة اخرى للاذن فقال تعالى ولولا دفع الله الناس اى ولولا ان الله اذن للمجاهدين فى قتال اعداء الدين لانقطعت العبادات وخربت المتعبدات فامتن سبحانه وتعالى على المؤمنين بدفع غائلة المشركين عنهم وبين ان عادته ان يحفظ دينه بان يأذن لاهل دينه فى مجاهدة الكفار وانه لولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة فى ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات اى كنائس ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون فى زمان امة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين فى زمنهم فهدموا متعبدات الفريقين والصوامع جمع صومعة وهى موضع يتعبد فيه الرهبان وينفردون فيه لاجل العبادة والبيع جمع بيعة وهى كنائس النصارى التى يبنونها فى البلد ان يجتمعوا فيها لاجل العبادة والصوامع لهم ايضا الا انهم يبنونها فى المواضع الخالية كالجبال والصحارى للتجرد للعبادة والصلوات لليهود ولابد من تقدير مضاف ليصح تسلط الهدم عليها اى موضع صلوات اومن تضمين هدمت معنى عطلت وقيل هى كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوتا بالثاء المثلثة وهى فى لغتهم بمعنى المصلى ولا حاجة الى تقدير المضاف وقدم ماسوى المساجد عليها فى الذكر لكونه اقدم فى الوجود بالنسبة اليها (قوله وهو ثناء قبل بلاء) اى قبل وقوع الصنيع وفرع الصنيع الحسن الذى هو البلاء الحسن قال الجوهرى رحمه الله تعالى عليه البلاء الاختبار يكون فى الخير والشر يقال ابلاه الله بلاء حسنا وابلاه قال زهير

جزى الله بالاحسان مافعلا بكم ❊ وابلاهما خير البلاء الذى يبلو

اى خير الصنيع الذى يختبر به عباده (قوله وفيه دليل) اى وفى ثناء المهاجرين قبل ان يحدثوا من الخير ما حدثوا ووجه الاستدلال بهذه الآية على امامة الائمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم انه تعالى وصف المهاجرين بانهم ان مكناهم فى الارض واعطاهم السلطنة ونفاذ القول على الخلق اتوا بالامور الاربعة وهى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والامر بكل معروف والنهى عن كل منكر وقد ثبت ان الله تعالى مكن الائمة الاربعة فى الارض واعطاهم السلطنة عليها فوجب كونهم آتين بهذه الاربعة والا لزم الخلف فى مقاله تبارك وتعالى واذا كانوا آتين بكل معروف وناهين عن كل منكر وجب ان يكونوا على الحق فمن هذا الوجه دلت هذه الآية على امامتهم (قوله تسلية له) فانه قد سبق مايدل على ايذاء المشركين اياه بان كذبوه وجاوزه مع من آمن على ان يخرجوا من ديارهم بغير حق ثم بين انه اذن للمظلومين فى مقاتلتهم وضمن له عليه الصلاة والسلام

النصرة عليهم واكد ذلك بقوله ولله عاقبة الامور فلذلك كان المقام مقام التسلية
فسلاه بقوله تعالى فقد كذب قوم نوح نبيهم نوحا وعاد هودا وثمود صالحا وقوم
ابراهيم وقوم لوط نبيهما ابراهيم ولوطا واصحاب مدين شعيبا عليهم الصلاة
والسلام ثم قال فقد اعطيت هؤلاء الانبياء جميع ما وعدتهم من النصرة على
اعدائهم والتمكين لهم في الارض فاخذت كل واحدة من المكذبين بعقوبة
مخصصة لهم فكيف كان نكير اي انكاري وهذا استفهام معناه التقرير بقول
كيف انكرت عليهم بما فعلوا من التكذيب ثم انه تعالى اجمل بعد التفصيل
في الاخبار عن اهلاك كثير من الامم المكذبة فقال تعالى وكأين من قرية فقوله
وكأين يجوز ان يكون في محل النصب على الاشتغال بفعل مقدر يفسره اهلكناها
اي وكثيرا من اهل القرى الذين كذبوا انبياءهم سوى المكذبين المذكورين في الآية
المتقدمة اهلكنا اهلكناها وان يكون في محل الرفع على الابتداء والخبر اهلكناها
اي وكثير اهلكناها (قوله وقرأ البصريان) يعني بهما ابا عمرو ويعقوب
فانهما قرأ اهلكتها على وفق قوله فامليت للكافرين ثم اخذتهم وقرأ الباقون
اهلكناها بالنون على وفق قوله ان مكناهم في الارض (قوله ساقطة
حيطانها على سقوفها) يعني ان الخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط
والعرش السقوف لان كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو
عرش والمراد بضمير القرية حيطانها (قوله او خالية) على ان يكون
الخاوي بمعنى الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله فحينئذ يكون على عروشها
ظرفا مستقرا في موضع النصب على انه حال من ضمير خاوية وعاملها خاوية
لتعلق الحال بعاملها لا لتعلق الجار والمجرور بعامله فانه انما يكون ذلك اذا كان
خاوية بمعنى ساقطة (قوله ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر) عطف على
قوله متعلق بخاوية فانه اذا كان خبرا بعد خبر لا يكون له تعلق بخاوية بل يكون
متعلقا بمطلة وهي بالطاء المهملة بمعنى مشرفة مائلة يقال اطل عليه اذا كان
داخلا في ظل طلاء اي مخصه (قوله فلا محل لها) اي على تقدير
ان تكون جملة فهي خاوية معطوفة على اهلكناها لا يكون لها محل من الاعراب
ان جعل اهلكناها مفسرا لناصب كأين لان الفعل المفسر لا محل له من الاعراب
فكذا ما عطف عليه فان جعل اهلكنا خبر كأين تكون جملة خاوية في محل
الرفع ايضا (قوله اي وكم بئر عامرة) يعني ان معنى المعطلة انها عامرة
فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك
اهلها وفي الشيد قولان احدهما انه المجصص لان اهل المدينة يسمون الجص سيدا
والثاني المرفوع المطول وتوصيف البئر بالمعطلة والقصر بالمشيد يؤيد ان يكون

ساقطة حيطانها على
سقوفها بان تعطل بنيانها
فخرت سقوفها ثم تهدمت
حيطانها فسقطت فوق
السقوف او خالية مع بقاء
عروشها وسلامتها فيكون
الجار متعلقا بخاوية ويجوز
ان يكون خبرا بعد خبر اي
هي خالية وهي على عروشها
اي مطلة عليها بان سقطت
وبقيت الحيطان مائلة
مشرفة عليها والجملة
معطوفة على اهلكناها
لا على وهي ظالمة فانها
حال والاهلاك ليس حال
خوائها فلا محل لها ان
نصبت كأين بمقدر يفسره
اهلكناها وان رفعته بالابتداء
فمحلها الرفع (وبئر معطلة)
عطف على قرية اي وكم
بئر عامرة في البوادي تركت
لا يستقى منها لهلاك اهلها
وقرئ بالتخفيف من اعطله
بمعنى عطله (وقصر مشيد)
مرفوع او مجصص اخليناه
عن ساكنيه وذلك يقوي
ان معنى خاوية على عروشها
خالية مع بقاء عروشها وقيل
المراد بئر في سفح جبل
بحضرموت وقصر
مشرف على قلته

نبينا القوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلوه (أفلم يسيروا في الارض)

بحث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا ولم يسافروا لذلك (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال (او آذان يسمعون بها) ما يجب

ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من يشاهد آثارهم (فانها) الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليها والظاهر اقيم مقامه (لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى أفأكون في الآخرة اعمى فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) المتوعد به (ولن يخلف الله وعده) لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه

على بمعنى مع في قوله على عروشها فان كون كل واحد منهما موصوفا بالوصف المذكور ادخل في الاعتبار روي ان هذه البئر نزل عليها صالح النبي عليه السلام مع اربعة آلاف ممن آمن به ونجاهم الله تعالى وهي بحضرموت وانما سميت به لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وامروا عليهم جلاس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما فأرسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه في السوق فاهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم الا ان قوله وخرب قصورهم ينافي قول المصنف رحمة الله تعالى عليه اخليناه عن ساكنيه الا ان يراد بخرابها اخلاؤها من ساكنيها (قوله حث لهم على ان يسافروا ليروا) يعني انهم ما سافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله تعالى بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ويحتمل ان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فنزلوا منزلة من لم يسافر ولم يروا لخلو سفرهم الحاصل عن المقصود فلذلك قيل في حقهم على سبيل الانكار افلم يسيروا في الارض وقوله فتكون منصوب على جواب الاستفهام اي أفلم يسيروا فيعقلوا بقلوبهم حال الامم المكذبة ما فعلوا وما فعل بهم او يسمعوا باذانهم اخبارهم (قوله او مبهم يفسره الابصار) اي ويجوز ان يكون ضمير انها ضميرا مبهما يفسره الابصار لا على كون الابصار مميزا كما في نحو ربه رجلا والا لوجب ان يكون نكرة منصوبة كما هو الحق في المميز بل المراد انه يعلم به المراد من الضمير بناء على ان الابصار ليس فاعل تعمى والا لما كان مفسر المبهم بل هو خبر مبتدأ محذوف وفاعل تعمى ضمير مستتر فيه راجع الى ما رجع اليه ضمير انها فكأنه لما قيل فانها لا تعمى سئل ما هي فاجيب الابصار اي هي الابصار ثم انه تعالى لما ذكر من قبائح المشركين صدهم عن سبيل الله تعالى والمسجد الحرام وعظيم ما هم عليه من التكذيب اتبعه بذكر قبيحة اخرى من قبائحهم وهي استعجالهم بالعذاب قيل نزلت في النضر بن الحارث حيث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وهذا يدل على انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم بالعذاب ان استمروا على كفرهم واستهزائهم قال الله تعالى ولن يخلف الله وعده فانجز ذلك يوم بدر وذكر الله تعالى عليهم ذلك الاستعجال وبين وجه الانكار بان الاستعجال انما يكون لخوف الفوت وما وعده الله تعالى لا يموت البتة لانه لا يخلف ... [illegible] ... وقوله تعالى ولن يخلف الله وعده لانه لا يدل على امهالهم ... [illegible]

وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (كما يعدون) بالياء (وكأين من قرية) وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه

في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تأخره لعادته تعالى (أمليت لها) كما امهلتكم (وهي ظالمة) مثلكم (ثم اخذتها) بالعذاب (والى المصير) والى حكمي مرجع الجميع (قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين) اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لما ندر منهم (ورزق كريم) هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله (والذين سعوا في آياتنا) بالرد والابطال (معاجزين) مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انها حال مقدرة (اولئك اصحاب الجحيم) النار الموقدة وقيل اسم دركة

(وما ارسلنا من قبلك (٣٤) من رسول ولا نبي) الرسول (من) من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه النبي عليه السلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه

كونه تعالى صبورا بين تناهي صبره بقوله تعالى وان يوما عند ربك واشار بتشبيه المدة القصيرة عنده بالمدة الطويلة عند المخاطبين الى ان من لا يجري عليه الزمان بل هو المجري للزمان يتساوى عنده الزمان ويكون وجود الايام والزمان وعدمهما وقلتهما وكثرتهما سواء اذ ليس عنده صباح ولا مساء ولا يوم ولا ليلة فقوله تعالى وان يوما على هذا متعلق بقوله ولن يخلف الله متمم لما يقصد منه وعلى قوله اولتمادي عذابه الخ يكون متعلقا بقوله ويستعجلونك بالعذاب وبيانا مستقلا لوجه الانكار عليهم في استعجال عذاب يكون يوم واحد من ايام عذابه كالف سنة عندهم كانه قيل يستعجلون بعذاب يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم اما من حيث طول ايام عذابه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة . (قوله في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام) يعني ان مقتضى الظاهر ان يكون لفظ القرية مجرورا بالاضافة لا من وان يرجع الضمائر الى الاهل لا اليها وان يجعل متعلق الاملاء والظلم والاخذ بالاهل لانها الا ان القرية لما قيمت مقام الاهل لفظا قامت مقامه في جميع ما ذكر من الامور (قوله لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير) فان قوله تعالى فأمليت للكافرين لما كان مرتبا على جواب الشرط في الوقوع كان حقه ان يعطف عليه بالفاء وكان قوله فكيف كان نكير استفهاما وارد للتعجيب وللتهويل من اخذه المتراخي عن وقت التكذيب فكان حقه ايضا ان يعطف عليه بالفاء لكنه قيل ثم اخذتهم فانكر عليهم نكير فان حق التعجيب من الشيء ان يذكر عقيب ذلك الشيء ولما كان قوله فكاين من قرية في حكم قوله فكيف كان نكير في كونه مرتبا على قوله فامليت للكافرين ثم اخذتهم كان بدلا منه لكونه اوفى منه في تأدية المراد لما فيه من التفصيل بالنسبة الى الاول فاعيد فيه الفاء العاطفة الدالة على التعقيب كما يعاد في بدل عامل المجرور كثيرا بخلاف قوله وكأين من قرية فانه في حكم الجملتين المعطوفتين بالواو في كونه تعليلا لانكار الاستعجال على ما سلف عطف بما بالواو الجامعة (قوله بالرد والابطال) السعي وان كان عبارة عن مداولة الجد والاهتمام سواء كان لتحقيق الامر او لرده وابطاله فسر ههنا بقرينة المقام لان من ذكر في مقابلة الذين آمنوا لا يكون سعيهم في شأن القرآن الا بالرد (قوله على انها حال مقدرة) لان الاعجاز والتعجيز ليس مقارنا لسعيهم في ابطال

انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة ألف واربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي ﴿٢٦٦﴾ غير الرسول وهو من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام (الا اذا تمنى) اذا زور في نفسه مايهواه (ألقى الشيطان في امنيته) في تشهيه مايوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم وانه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة (فينسخ الله مايلقي الشيطان) فيبطله ويذهب به بعصمته من الركون اليه والارشاد الى مايزيحه (ثم يحكم الله آياته) ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة (والله عليم) باحوال الناس (حكيم) فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه مايقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم وأخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه (ابو بكر) جبرائيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان من المتزلزل فيه

الآيات بل متأخران عنه كما اشار اليه بقوله من عاجزه فأعجزه وعجزه بخلاف معاجزين فانه حال مقارنة لان المعاجزة تكون حال السعي (قوله انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام) قيل هذا الحديث رواه ابوذر رضي الله تعالى عنه وهو من الآحاد والاولى ان لا يتعرض لعدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولا يؤمن في ذكر العدد ان يخرج منهم من هو فيهم او يدخل فيهم من ليس منهم وقوله عليه الصلاة والسلام جما غفيرا ابتداء كلام اى كانوا جماعة كثيرة (قوله وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا) قائله صاحب الكشاف عفا الله عنه ولعل المصنف رحمة الله تعالى عليه لم يرض به بناء على ان عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام اكثر من عدد الكتب لان عدد الكتب مائة واربعة ويلزم على هذا القول وعلى القول الذى اختاره المصنف رحمة الله تعالى عليه ان لا يكون اسحق ويعقوب وايوب ويونس وهرون وسليمان عليهم الصلاة والسلام رسلا لانهم ماجاؤا بشريعة مجددة وكتاب ناسخ (قوله ليغان على قلبي) اى ليغطى عليه يقال غان على ذلك اى غطى عليه (قوله فيبطله) اى يزيل تأثيره وهو اشارة الى ان المراد بالنسخ النسخ اللغوى لا النسخ الشرعى المستعمل في الكتاب ولما بين انه تعالى تطرق الوسوسة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام بين كيفية ازالتها فقال فينسخ الله الى آخره (قوله تلك الغرانيق) جمع غرنوق او غرنوق بكسر الغين وفتح النون فيهما او غرنوق بالضم وهو الشاب الناعم ويجمع على غرانق بالفتح وغرانيق وغرانقة ويطلق الجمع على السادات (قوله وهو مردود عند المحققين) يعنى ان جماعة من المفسرين وان قالوا ان هذه الآية نزلت تسلية له عليه الصلاة والسلام في اغتمامه بما سبق به لسانه سهوا من حديث الغرانيق الا ان رؤساء اهل السنة والجماعة ردوا هذا القول وقالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن العظيم والسنة والمعقول اما القرآن فمنه قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ومنه ايضا قوله تعالى قل مايكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا مايوحى الى ومنه قوله تعالى وماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فلو انه عليه الصلاة والسلام قرأ عقيب هذه الآية تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله تعالى في ذلك لا يقوله مسلم [illegible] محمد بن [illegible] انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا [illegible]

ابو بكر احمد بن الحسين البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وان رواة
هذه القصة مطعونون وايضا فقد روى البخارى فى صحيحه انه صلى الله تعالى عليه وسلم
قرأ سورة النجم وسجد وسجد المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكر
حديث الغرانيق واما المعقول فما ذكره الامام النسفى فى تيسيره بقوله والصحيح
المعتمد عليه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتكلم بها فانا لو توهمنا انه
صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم بها فلا يخلو الامر من احد ثلاثة اوجه اما ان يجرى
ذلك على لسانه عمدا باختياره وهذا لا يجوز لانه كفر وهو صلى الله تعالى عليه وسلم
جاء داعيا الى الايمان ناهيا عن الكفر طاعنا فى الاصنام فكيف يمدحها ويعظمها
باختياره واما ان يجرى الشيطان ذلك على لسانه صلى الله تعالى عليه وسلم جبرا
بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا ايضا لا يجوز لان الشيطان لا يقدر على ذلك
فى حق غيره صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى ان عبادى ليس لك
عليهم سلطان وقوله تعالى حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فكيف يقدر على ذلك فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم واما ان يقع ذلك
على لسانه صلى الله تعالى عليه وسلم سهوا وغفلة من غير قصد وهو ايضا مردود
لانه صلى الله تعالى وسلم كان اعقل الخلق واعلمهم فكيف تجوز عليه هذه الغفلة
خصوصا فى حالة تبليغ الوحى ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله والثقة به
لقيام احتمال الغلط والخطأ فى كل واحد من الاحكام والشرائع فلما بطلت هذه
الوجوه كلها لم يبق الا احتمال واحد وانه عليه الصلاة والسلام وقف وسكت
عند قوله ومناة الثالثة الاخرى والشيطان حاضر عنده فتكلم الشيطان بهذه
الكلمات متصلة بقرآءته صلى الله تعالى عليه وسلم فوقع عند بعضهم انه صلى الله
تعالى عليه وسلم هو الذى تكلم بها لتكون القاء فى قرآءة النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وكان الشيطان يتكلم فى زمن الوحى كما ذكر انه ظهر فى صورة شيخ نجدى
على المشركين الذين اجتمعوا فى دار الندوة على قصد المكر بالنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وتكلم فى شوراهم واستصوب رأى بعضهم وخطأ آخرين وذكر ايضا
انه نادى يوم احد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس
وانى جار لكم وهذا الاحتمال غير مستحيل عقلا وشرعا فتنة من الله تعالى وابتلاء
لعباده لكنه انما يجوز فى غير مقام تبليغ الوحى واداء الرسالة لانا لو جوزنا ذلك
لارتفع الاطمئنان الى شرعه وجوزنا ان كل ما بلغه الينا عن الله تعالى ينضم اليه
غير بخلط الشيطان وظهر بما ذكرنا ان هذه القصة موضوعة غاية ما فى الباب
ان جمعا من المفسرين رحمة الله تعالى عليهم ذكروها لكنهم ما بلغوا فى الكثرة
حد التواتر وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية والمتواترة فلذلك

وقيل تمنى بمعنى قرأ قوله * تمنى كتاب الله اول ليله * تمنى داود الزبور على رسل * فامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان * ٢٦٨ * ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل

على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم (ليجعل ما يلقي الشيطان) علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقي امر ظاهر عرفه المحق والمبطل (فتنة للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) المشركين (وان الظالمين) يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم (لفي شقاق بعيد) عن الحق اوعن الرسول والمؤمنون (وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك) ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به في جنس الانس من لدن آدم (فيؤمنوا به) بالقرآن او بالله (فتخبت قلوبهم) بالانقياد والخشية (وان الله لهادي الذين آمنوا) فيما اشكل عليهم (الى صراط مستقيم) هو نظر

قال المصنف في تفسير الآية ألقى الشيطان في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا او لم يقل ما يوافق تشهيه الكلام ثم قال وان صح فابتلاء والظاهر ان مبنى الصحة ان يتكلم به الشيطان عند سكوته عليه الصلاة والسلام بعد قوله ومناة الثالثة الاخرى فانه اقرب الاحتمالات المذكورة الى الصحة فيكون المعنى ما من رسول ولا نبي قبلك الا مكنا الشيطان ان يلقي في قراءتهم مثل ما لقي في قراءتك عند ما تمنيت فلا تهتم لذلك فانا نجعل ذلك لاضلال قوم وهداية آخرين لتمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه (قوله وقيل تمنى قرأ) عطف على قوله تمنى زور فان التمني جاء في اللغة بمعنيين تمني القلب والقراءة قال الله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني اى الا قراءة لان الامي لا يعلم القرآن من المصحف وانما يعلمه قراءة وقال رواة اللغة الامنية القراءة واحتجوا عليه ببيت حسان رضي الله تعالى عنه وهو تمنى كتاب الله اول ليله وقيل الاولى في تأويل الآية ان يقال التمني بمعنى القراءة فقوله تعالى ألقى الشيطان في امنيته اى عند تلاوته القرآن ألقى في قلوب الكفرة ما يجادلون به الرسول ويحاجونه ويوقعون به شبهة في قلوب اتباعه كقولهم عند سماع قول الرسول حرمت عليكم الميتة انه يحل ذبيحة نفسه ويحرم ذبيحة الله تعالى فينسخ الله تعالى ما ألقى الشيطان في قلوب الكفرة بانزاله قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وكلوا مما ذكر اسم الله عليه فيبين به انه انما حل هذا لذكر اسم الله عليه وحرم الآخر لعدم ذكر اسم الله عليه وكقولهم عند سماع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ان عيسى عليه الصلاة والسلام عبد من دون الله تعالى والملائكة ايضا عبدوا من دون الله مع انه تعالى لا يحزنهم يوم القيامة فنسخ قولهم هذا بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فبين الله تعالى استثناء عيسى والملائكة من قوله ما تعبدون من دون الله بان المراد بما الاصنام فقط (قوله علة لتمكين الشيطان) اى المدلول عليه بقوله ألقى الشيطان فتكون لام كي في قوله تعالى ليجعل متعلقة بألقى الشيطان باعتبار ما دل عليه من التمكين والظاهر ان هذه اللام لام العاقبة وتسميتها لام العلة باعتبار انها في الاصل للعلة والمعنى مكنه الله تعالى من الالقاء ليجعل ما يلقيه الشيطان سببا لتعرير المنافقين والمشركين وتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من العلم والتوحيد بان القرآن هو الحق النازل

صحيح يوصلهم الى ما هو (ولا يزال الذين كفروا في مرية) اى شك (منه) من القرآن او الرسول او مما ألقى الشيطان (من) في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه (حتى تأتيهم الساعة) القيامة او الموت او اشراطها (بغتة) فجأة (او يأتيهم عذاب يوم عقيم) يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه

يصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا ولانه لا خير لهم فيه ومنه الريح
العقيم لما لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على ان المراد بالساعة
غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل (الملك يومئذ لله) التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية اي يوم تزول مريتهم (يحكم بينهم) بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكفار مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا) في الجهاد (او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن
نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلتا (وان الله لهو خير الرازقين) فانه يرزق بغير حساب (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) هو الجنة فيها ما يحبونه (وان الله لعليم) باحوالهم واحوال معاديهم (حليم) لا يعاجل في العقوبة

من عند الله تعالى و قوله تعالى فيؤمنوا عطف على قوله ليعلم و لما كان الايمان بالقرآن متفرعا على العلم بانه هو الحق النازل من عند الله تعالى عطفه عليه بالفاء وكذا الايمان بالله تعالى متفرع على العلم بان التمكين حق صادر من الله تعالى ثم انه تعالى بين ان هذا الايمان والاخبات انما هو بلطف الله تعالى وهدايته اياهم فقال تعالى وان الله لهادي الذين آمنوا (قوله فيصرن كالعقم) اي كأنهن لم يلدنهم فالعقم صفة النساء الا انه اسند الى يوم القيامة اي الى اليوم الذي يعقمن فيه على طريق صام نهاره والحتم على الوجه الثاني صفة الحرب من حيث ان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذ قتلوا بقي الحرب بلا ولد والظاهر ان يجعل الحرب مجازا لانه جعل عقيما تشبيها لقتل اولاده بعقمه ثم اسند العقم بهذا المعنى الى يوم الحرب مجازا ففي التركيب على هذا الوجه مجازان احدهما في المسند والثاني في الاسناد وحاصل الوجه الرابع ان كل يوم له مثل الا يوم بدر فانه عقيم لا مثل له فلما لم يعقبه مثل جعل عقيما كما جعل يوم القيامة اذ لا يوم بعده (قوله او يوم القيامة) عطف على قوله يوم حرب والمورد ان يقال كيف يصح ان يفسر اليوم العقيم بيوم القيامة وهو معطوف على الساعة اجاب عنه بوجهين الاول ان المراد بالساعة اشراطها ومقدماتها والثاني ان التقدير او يأتيهم عذابها الا انه وضع الظاهر موضع الضمير للتهويل (قوله تعالى والذين هاجروا) لما ذكر ان الملك له يوم القيامة وانه يحكم بينهم ويدخل المؤمنين الجنات اتبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين منهم واختلف في المهاجر فقيل المراد من هاجر الى المدينة طلبا لنصرة الرسول وتقربا الى الله تعالى وقال آخرون بل المراد من جاهد فخرج مع الرسول او سراياه لنصرة الدين ولذلك ذكر القتل بعده ومنهم من حمله على الاعم ثم انه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم اما الرزق فقوله ليرزقنهم الله رزقا حسنا واما المسكن فقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه على ان يكون ليدخلنهم جملة مستأنفة ويجوز ان يكون بدلا من ليرزقنهم الله رزقا حسنا وتقرير المصنف رحمه الله تعالى عليه اوفق لهذا الاحتمال الذي ذكرناه وقد بين انجاز الوعد المهاجرين الذين قتلوا وماتوا بعدما بين انه تعالى يحكم بين الذين آمنوا والذين كفروا وقوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا يدل على ان حال المقتول في الجهاد والميت في فراشه سواء اذا استويا في القصد والتقرب الى الله تعالى ونصرة رسوله وفي اصل العمل وهو الهجرة من حيث انه تعالى جمع بينهما في الوعد ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام المقتول في سبيل الله والمتوفى

(ذلك) الامر ذلك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ولم يزد في الاقتصاص وانما سمى الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج اولانه سببه (ثم بغي عليه) بالمعاودة الى العقوبة (لينصرنه الله) لامحالة (ان الله لعفو غفور) للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره ﴿٢٧٠﴾ بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على

العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) اى ذلك النصر (بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها (وان الله سميع) يسمع قول المعاقب والمعاقب (بصير) يرى افعالهما فلا يهملهما (ذلك) الوصف بكمال القدرة والعلم (بان الله هو الحق) الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته

وبما عداه اوالثابت الالهية ولا يصلح لها (فالازم)

الا من كان قادرا عالما (وان ما يدعون من دونه) الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الآلهة (هو الباطل) المعدوم في حد ذاته اوباطل الالوهية (وان الله هو العلي) على الاشياء (الكبير) عن ان يكون له شريك

في سبيل الله بغير قتل همها في الاجر شريكان ولفظ الشركة يشعر بالتسوية والافلا يبقى لتخصيصهما بالذكر فائدة (قوله الامر ذلك) يعني ان ذلك خبر مبتدأ محذوف ومابعده مستأنف ومن عاقب مبتدأ خبره لينصرنه الله والعقوبة اسم لما يعاقب به ويعقب الجرم من الجزاء وسمى المكروه الذي اوقع ابتداء عقوبة حيث قيل بمثل ما عوقب به مع انه ليس جزاء لعقوبة الجريمة اما للمشاكلة واما على سبيل المجاز المرسل فان ماوقع ابتداء سبب لما وقع جزاء وعقوبة فسمى السبب باسم المسبب قيل معنى الآية ان من قاتل من كان يقاتله ابتداء ثم كان المقاتل مبغيا عليه بان اضطر الى الهجرة ومفارقة الوطن اوابتدئ بالقتال لينصرنه الله ووجه تعلق هذه الآية بما قبلها انه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم اولا ثم قال في هذه الآية اى مع اكرامي لهم في الآخرة بهذا الوعد لا ادع نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم (قوله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه) اشارة الى وجه تعليله تعالى نصرته للمعاقب بكونه عفوا غفورا مع ان العفو والغفران يقتضيان سابقة الجناية من المعفو عنه ولا جناية من المعاقب في الانتصار لانه استوفى به حقه ولم يظلم احدا وحاصله ان العفو وان اقتضى سابقة الجناية لكن الجناية لا يلزم ان تكون بارتكاب المحرم بل قد تكون بترك ما يندب اليه وتسمى جناية على سبيل الزجر والتغليظ (قوله وفيه) اى وفي تعليل نصرته تعالى المعاقب بكونه عفوا تعريض بالحث على العفو وتنبيه على انه تعالى قادر على عقوبة البادي (قوله بسبب ان الله تعالى قادر) بيان لوجه كون ايلاج كل واحد من الملوين في الآخر سببا للنصر الموعود في حق المعاقب وحاصله ان السبب الحقيقي هو قدرته تعالى على جميع الممكنات الا انه تعالى وضع دليل القدرة مقام نفسها (قوله بان يزيد فيه) اى في الآخر متعلق بقوله ايلاج احد الملوين فانه لما ورد ان يقال كيف يعقل ايلاج الليل المظلم في النهار المضيء حقيقة وكذا عكسه مع ان ذلك يقتضي اجتماع الظلمة والنور في زمان واحد دفعه بان معنى الايلاج المذكور ليس ادخال الزمان المظلم في الزمان المضيء ليلزم ما ذكر بل معناه ادخال ما نقص من ساعات احد الزمانين في الزمان الآخر

فاللازم تفاوت الزمانين بحسب الزيادة والنقصان لا اجتماع الضدين فى زمان واحد وانما يلزم ذلك ان لو كانت الظلمة و الضياء مما تقتضيهما ذوات تلك الساعات الزائدة والناقصة وليس كذلك بل هما مستندان الى طلوع النير وغروبه ثم جوز ان يكون معنى ايلاج الليل والنهار تحصيل ظلمة الليل فى مكان ضوء النهار الخ روى الامام رحمة الله تعالى عليه عن مقاتل رضى الله تعالى عنه انه قال نزل قوله تعالى ومن عاقب بمثل ماعوقب به الآية فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر المحرم فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون بان يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فابوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فوقع فى نفس المسلمين من القتال فى الشهر الحرام شئ فانزل الله تعالى هذه الآية وعفا عنهم وغفر لهم فعلى هذه الرواية يكون وجه تعليل قوله تعالى لينصرنه الله بقوله تعالى ان الله لعفو غفور ظاهر الاحتياج فيه الى ان يقال حيث اتبع هواه فى الانتقام واعرض عما ندب الله تعالى اليه (قوله ولا شئ اعلى منه الخ) بيان لمعنى الحصر المستفاد من توسط ضمير الفصل بين اسم ان وخبرها المحلى بالالف واللام قال الامام الشافعى رحمة الله عليه من احرق احرقناه ومن اغرق اغرقناه اى يعاقب وفق الجناية وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا يقتل الا بالسيف واحتج الامام الشافعى رحمه الله تعالى على ما ذهب اليه بهذه الآية فقال ان الله تعالى جوز للمظلوم ان يعاقب بمثل ماعوقب به ووعده النصرة عليه ثم انه تعالى لما دل على قدرته بما ذكره من ولوج الليل فى النهار وبالعكس اتبعه بانواع اخر من دلائل قدرته تعالى وهى ستة اولها قوله تعالى الم تر اى الم تعلم فان الماء النازل وان كان مرئيا بالبصر الا ان كونه تعالى منزلا له من السماء غير مرئى به فوجب ان تحمل الرؤية على العلم الذى هو المقصود من الرؤية فان الرؤية اذا لم يقترن العلم بها صارت كأنها لم تحصل (قوله ولذلك رفع فتصبح) يعنى ان قوله تعالى فتصبح وان وقع بعد لفظ الاستفهام فكان الظاهر ان ينصب على جواب الاستفهام الا ان الاستفهام هنا لما كان استفهام تقرير بمعنى الخبر اى بمعنى قد رأيت لم يكن له جواب فلذلك رفع المضارع بعده عطفا على انزل وقوله اذ لو نصب جوابا علة لقوله استفهام تقرير ولذلك رفع المضارع بعده عطف على انزل اى اذ لو كان الاستفهام بمعناه ونصب مابعده جوابا له لافاد الكلام عكس المقصود الذى هو اثبات الاخضرار اذ لو نصب الفعل بعده لانقلب المعنى الى نفى الاخضرار كما اذا قلت الم تر انى انعمت عليك فتشكر ان رفعت فتشكر فقد اثبت شكر المخاطب وان نصبت فقد نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه فان اداة الاستفهام فى مثله

ولا شئ اعلى منه شانا واكبر منه سلطانا (الم تر ان الله انزل من السماء ماء) استفهام تقرير ولذلك رفع (فتصبح الارض مخضرة) عطف على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفى الاخضرار كما فى قولك الم تر انى جئتك فتكرمنى والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان (ان الله لطيف)

يصل علمه اوالطفه الى كل ماجل ودق (خبير) بالتدابير الظاهرة ﴿٢٧٣﴾ والباطنة (له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (وان الله لهو الغنى) فى ذاته عن كل شئ (الحميد) المستوجب للحمد بصفاته وافعاله (الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض) جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم (والفلك) عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على ابتداء (تجرى فى البحر بامره) حال منها اوخبر (و يمسك السماء ان تقع على الارض) من ان تقع اوكراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك (الا باذنه) الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها (ان الله بالناس لرؤف رحيم) حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار (وهو الذى احياكم) بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا (ثم يميتكم) اذا جاء اجلكم (ثم يحييكم) فى الآخرة (ان الانسان لكفور) لجحود للنعم مع ظهورها (لكل امة) اهل دين (جعلنا منسكا)

ثبت ما تدخل عليه وان كان منفيا تنفى الجواب فيلزم من هذا اثبات الرؤية وانتفاء الاخضرار وهو خلاف المقصود وايضا جواب الاستفهام ينعقد منه مع معنى الاستفهام السابق شرط وجزاء كقوله الم تسأل فتخبرك الرسوم * والمعنى ان تسأل تخبرك الرسوم لان مابعد الفاء انما ينتصب اذا كان المستفهم عنه سببا له وفيما نحن فيه لا يصح ان يجعل تقدير الكلام ان ترانزال المطر تصبح الارض مخضرة لان رؤية المخاطب ليست سببا لاخضرار الارض وان اخضرارها ليس مرتبا على رؤية المخاطب ذلك بل هو مرتب على نفس الانزال ولما كان انتصاب المضارع بعد الفاء فى جواب الاشياء الستة مبنيا على صحة تقدير ان فعلت فعلت ولم يصح هذا التقدير فى الآية لم يجز نصب قوله فتصبح الارض مخضرة (قوله يصل علمه اولطفه) الاول مبنى على ماقيل اللطيف العالم ببواطن الاشياء والثانى على ماقيل انه الرفيق فى افعاله وقيل اللطيف من تدق حكمته فيما يفعل ويحكم والخبير العالم بمصالح الخلق ومنافعهم فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولانقصان (قوله لهو الغنى فى ذاته عن كل شئ) والمعنى انه تعالى خلق ذلك منقادا له غير ممتنع من التصرف فيه واختص جميع ذلك به خلقا وملكا لا لاحتياجه الى شئ منه فانه كامل لذاته غنى عن كل ماعداه فى كل الامور لكنه لما خلق الناس ليعرفوه ويخصوه بالتعظيم والاجلال ويستعدوا بذلك للسعادة الابدية واقتضت الحكمة احتياجهم فى تعيشهم الى بركات السموات والارض خلق هذه الاشياء رحمة لهم وانعاما عليهم لا لمنفعة تعود اليه فلا جرم كان حميدا مستحقا للحمد فظهر بذلك كمال قدرته وعلو شانه وكبريائه وعظم رحمته واحسانه تبارك الله رب العالمين (قوله حال منها) اى من الفلك على تقدير كونها عطفا على ما وقوله اوخبر على تقدير كون الفلك عطفا على اسم ان او مرفوعا على الابتداء وجريان الفلك وان كان مسندا الى كون الماء والريح على الحالة الملائمة لجريانها الا ان تلك الحالة لما ثبتت لها بامره تعالى وتكوينه نسب جريها الى امره تعالى فان ذلك انسب لعظمته وكمال قدرته (قوله من ان تقع اوكراهة ان تقع) فيكون ان تقع على الاول فى محل النصب بنزع الخافض او فى محل الجر على ارادته وعلى الثانى يكون فى محل النصب على انه المفعول من اجله فالبصريون يقدرون كراهة ان تقع والكوفيون يقدرون لئلا تقع وهذا الخلاف مبنى على مسألة كلامية وهى ان الارادات والكراهات هل تتعلق بالعدم اولا فمن منع ذلك ذهب الى التأويل الثانى هو الصحيح ومن جوزه ذهب الى الاول والظاهر ان قوله الا باذنه استثناء مفرغ من اعم الاحوال وهو لايقع فى الكلام الموجب الا ان قوله ويمسك السماء ان تقع على الارض فى قوة

(النفى)

الذى فلذلك جاز فيه التفريغ اذ التقدير و لا يتركها تقع فى حال من الاحوال الا فى حال كونها ملتبسة بامره ‌ (قوله متعبدا) اى ما ألفا يألفونه اما مكانا معينا او زمانا معينا لاداء الطاعات او شريعة او منهجا كلفوا بها روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان المنسك شريعة لهم او شريعة عاملون بها ويؤيده قوله تعالى ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وروى عنه ايضا انه قال عيدا يذبحون فيه وقيل قربانا يذبحونه وقيل موضع عبادة قيل القول بان المنسك هو الشريعة اولى لانه مأخوذ من النسك وهو العبادة واذا وقع الاسم على كل عبادة فلا وجه للتخصيص ببعضها ولا وجه لحمله على موضع العبادة و وقتها لان قوله ناسكوه أليق بالعبادة فيه بالوقت والمكان لان المنسك لو لم يكن مصدرا بل كان اسم مكان او زمان لقيل هم ناسكون فيه لان الفعل لا يتعدى الى ضمير الظرف الا بكلمة فى غالبا الا ان يتسع فى الظرف فيجرى مجرى المفعول به فيتعدى الفعل الى ضميره بنفسه كقوله و يوم شهدناه سليما وعامرا ❁ اى شهدنا فيه وقوله ومشرب اشربه اى اشرب فيه فان قيل لم جاء نظير هذه الآية معطوفا بالواو فيما تقدم وهذه بغير واو قلنا لان تلك وقعت بعد ما يناسبها و يدانيها من الآى الواردة فى امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع الاباعداى بعد الآى المتباعدة عن معناها فلم نجد ما تعطف هى عليه فانه تعالى ذكر ثواب المهاجرين فى الآخرة ثم بين انه مع ذلك ينصرهم فى الدنيا ايضا على من بغى عليهم ثم بين قدرته على ذلك بالدلائل المذكورة وختم بذلك ما يتعلق بقوله الملك يومئذ لله الذى يحكم بينهم ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالجد فى الدعاء الى الدين وعرفه وجه المعاملة معهم والاحتجاج عليهم فقال تعالى لكل امة جعلنا منسكاهم ناسكوه اى شرعنا لكل امة خلت حزبا من العبادة هم عاملوه وناصبون عليه فلا ينازعنك اى فليس لاحد من بقايا تلك الامم منازعتك فى الامر اى فيما تأمر به امتك من الشرائع اذ كانت لهم شرائع يخالف بعضها بعضا فكذا هذه الشريعة وان خالفت تلك الشرائع فليس لهم منازعتك فيها ‌ (قوله او النسائك) هو جمع نسيكة وهى الذبيحة وهو مبنى على ان تكون الآية نازلة فى كفار خزاعة الذين نازعوه صلى الله عليه وسلم فى حرمة اكل الميتة التى قتلها الله تعالى ‌ (قوله وقيل المراد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام) عطف على قوله فلا ينازعنك سائر ارباب الملك من حيث المعنى وقيل كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن الالتفات الى قولهم لانه يؤدى الى منازعتهم و يستلزمها فيكون من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم على اسلوب لا ارينك ههنا وقيل هو كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن المنازعة

متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا (هم ناسكوه) ينسكونه (فلا ينازعنك) سائر ارباب الملل (فى الامر) فى امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد

وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين مالكم تأكلون ماقتلتم ولاتأكلون ماقتله الله وقرئ فلاينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (انك لعلى هدى مستقيم) طريق الى الحق سوى (وان جادلوك) وقدظهر الحق ولزمت الحجة (فقل الله اعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليهما وهو وعيد فيه رفق (الله يحكم بينكم) يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب (يوم القيامة) كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات (فيما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين (الم تعلم ان الله يعلم مافي السماء والارض) فلا يخفى عليه شئ (ان ذلك في كتاب) هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلايهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له (ان ذلك) ان الاحاطة به واثباته في اللوح المحفوظ [illegible] الحكم بينكم (على الله يسير) لان علمه مقتضى ذاته [illegible] الى بكل المعلومات على سواء (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) حجة تدل على [illegible] دته (وماليس [illegible] علم) حصل لهم من [illegible] ورة عقل واستدلال [illegible] للظالمين) ومالللذين يكبو مثل هذا الظلم (من نصير) يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم (واذا تتلى عليهم اياتنا) من القرءان بينات) واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) لانكارهم لفرط [illegible] رهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة والاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع ضميرهم (والارض) مايقصدونه من الشر (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) يثبون ويبطشون بهم (قل أفأنبئكم بشر

معهم لان المنازعة تكون بين اثنين فنهي احد الشخصين عنها يستلزم نهي الآخر فيصلح احد النهيين كناية عن الآخر (قوله وهذا انما يجوز) اى كون نهى احد الفاعلين كناية عن نهى الآخر انما يجوز في افعال المغالبة لان التلازم انما يتحقق فيها ولا يجوز ان يكون قولك لايضربنك زيد مثلا كناية عن قولك لاتضربن انت اياه لعدم التلازم بين النهيين وقوله انما يجوز بالحصر محل تأمل لان مثل قوله تعالى لايغرنكم بالله الغرور يجوز ان يكون كناية عن لاتغتروا مع ان الغرور ليس من افعال المغالبة وقدمر في سورة طه ان قوله تعالى فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها وان كان نهيا للكافر عن ان يصد موسى عنها فالمراد نهيه عليه الصلاة والسلام عن ان يصد عنها مع ان هذا الفعل ايضا ليس من افعال المغالبة (قوله وقرئ فلا ينزعنك) من النزع بمعنى الجذب يقال نزعت الشئ من مكانه اذا قلعته عنه اى اثبت في دينك ثباتا لايطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه ولما ورد ان يقال كيف يكون نهي الكفار عن نزعه عليه الصلاة والسلام عن دينه كناية عن امره بالثبات على دينه مع ان النزع ليس من افعال المغالبة دفعه بانه ليس من النزع الصادر من الواحد بل من النزع المسند الى الغالب من المتنازعين يقال نازعته فنزعته انزعه اى غلبته في النزع فمعنى الآية لايغلبنك في المنازعة الا ان كسر عين المضارعة في باب المغالبة غريب لم يذهب اليه غير صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه فانه قال بضم عين المضارعة في باب المغالبة مطلقا اذا لم يكن عينه اولامه حرف حلق واما اذا كان احدهما حرف حلق فان الفعل حينئذ يترك على قاعدة الاستعمال (قوله تعالى وادع الى ربك) لم يذكر مفعول ادع للتعميم والمعنى انك مبعوث الى الناس كافة وكلهم مأمورون باتباعك والتدين بشرعك ودينك فادعهم الى دين ربك ولاتخص امة دون امة بالدعوة اليه فكل الناس امتك ثم انه تعالى لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يحذر المجادلين بعد لزوم الحجة ووضوحها من حكمه يوم القيامة اتبعه بما يعلم انه تعالى عالم بما يستحقه كل واحد وانه يحكم بينهم بالعدل لابالجور فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام ألم تعلم ان الله يعلم ما في السماء

والارض وان ما يفعله الكفار المجادلون محفوظ عند الله تعالى لا يضل عنه ولا ينسى فان كل ما يحدثه الله تعالى في السموات والارض فقد كتبه في اللوح المحفوظ فان قيل ان ذلك يوهم ان علمه تعالى مستفاد من الكتاب وايضا فما فائدة ذلك الكتاب اجيب عن الاول بان كتبه تلك الاشياء في ذلك الكتاب قبل حدوثها على الوجه المطابق للوجودات من ادل الدلائل على انه تعالى غني في علمه عن ذلك الكتاب وعن الثاني بان الملائكة ينظرون فيه ثم اذا اراد جعل الحوادث داخلة في الوجود على وفقه صار ذلك دليلا لهم زائدا على كونه تعالى عالما بكل المعلومات ثم انه تعالى بين ما عليه الكفرة من الشرك والعصيان مع ظهور دلائل وحدانيته وعلو شانه وكبريائه وسبوغ آلائه ونعمائه فقال تعالى و يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اى لم ينزل لجواز عبادته حجة سماوية ولا علما حاصلا لهم بضرورة عقولهم او بالاستدلال فلا حجة لهم اذا في عبادتها اصلا وانما يعبدونها عن محض الجهل ثم و بخهم بانهم مع جهلهم المفرط اذا تليت عليهم الآيات البينات الدالة على المنهج القويم والصراط المستقيم تعرف في وجوههم المنكر اى اثر الانكار لما يتلى عليهم اوالامر المنكر اى ما يدل عليه وهو قصد الشر بمن تلا عليهم تلك الآيات وقوله تعالى يكادون يسطون حال اما من المضاف اليه وهو الموصول و جاز انتصاب الحال منه لكون المضاف جزأه واما من المضاف وهو الوجوه بناء على ان المراد اصحابها كما في قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وضمن يسطون معنى يبطشون فعدى تعديته والا فهو متعد بعلى يقال سطا عليه واشار الى هذا بقوله و يبطشون بهم واما قوله يثبون فهو تفسير لاصل معناه فان السطو معناه الوثوب والحمل والمعنى واذا تتلى عليهم آياتنا تعرف في وجوههم ذلك في حال كونهم يقربون من ان يثبوا و يبطشوا بالذين تلوا عليهم القرآن وهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم من شدة الغيظ على التالين الذي يلحقهم بسبب سماعه فأمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بان يقابلهم بالوعيد فقال قل لهم أفأنبئكم الآية (قوله و يجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله) فهذه الجملة الاسمية لا محل لها لكونها مفسرة للجملة المتقدمة كانه قيل ما بشر من ذلكم فقيل النار وعدها الله وان قرئ النار مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف اومنصوبا بتقدير اعنى اومجرورا على انه بدل من بشر تكون جملة وعدها الله مستأنفة لا محل لها و يجوز ان تكون حالا من النار على تقدير كونه منصوبا اومجرورا الا على تقدير كونه مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف لانه ليس في جملة هو النار ما يصح ان يعمل في الحال بخلاف ما اذا كان منصوبا اومجرورا قال ابو البقاء قوله تعالى النار يقرأ بالرفع وفيه وجهان احدهما انه مبتدأ ووعدها الخبر والثاني انه خبر مبتدأ

من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم اومما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم (النار) اى هو النار كانه جواب سائل قال ما هو و يجوز ان يكون مبتدأ خبره (وعدها الله الذين كفروا) وقرئ بالنصب على الاختصاص و بالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا وحالا منها (وبئس المصير) النار

اى مثل فى استحقاق العبادة (فاستمعوا له) للمثل اولبيانه استماع تدبر وتفكر (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين (لن يخلقوا ذبابا) لايقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفى دالة على منافاة مابين المنفى والمنفى عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان (ولو اجتمعوا له) بجوابه المقدر فى موضع حال جئ به للمبالغة اى لايقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين (وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه) جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا اآلها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات بأسرها تماثيل هى اعجز الاشياء و بين ذلك بانها لاتقدر على خلق اقل الاحياء واذلها و لو اجتمعوا له بل لاتقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل و يغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب)

محذوف اى هو النار ووعدها على هذا مستأنف اذ ليس فى الجملة مايصح ان يعمل فى الحال واشار المصنف رحمه الله تعالى عليه الى هذا بقوله اوحالا منها فانه معطوف على قوله استئنافا وقدفرع احتمال كونها مستأنفة على قرآءة النصب والجر فيكون احتمال الحالية ايضا متفرعا عليهما (قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل) متصل بقوله تعالى و يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا بين اولا انهم يعبدون من دون الله ما لم يتمسكوا فى صحة عبادته ببرهان سماوى من جهة الوحى ولا ألجأهم اليه علم ضرورى ولاحملهم عليه دليل عقلى ثم ذكر بهذه الآية مايدل على بطلان حالهم وفساد عقلهم وفعلهم وقولهم وعبر عن دعواهم بان لله تعالى شريكا بالمثل تشبيها لها بالمثل السائر فى الغرابة فان لفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر واستعارة فى الحال المستغربة والقصة العجيبة نادى الله المشركين ليلقى اليهم حالة غريبة او قصة رائعة متلقاة بالاستحسان والقبول وهى انهم اتخذوا اعجز خلق الله تعالى واذلهم شركاءه فى الالوهية واستحقاق العبادة جل عن ذلك وتعالى وعبر عن هذه الحالة الغريبة بلفظ الماضى وهو ضرب المستدعى لتحقق الضرب والبيان فيما مضى مع انه تعالى هو المتكلم بهذا الكلام ابتدآء بناء على ان مايورد من تلك الحالة الغريبة لغاية رضوحها بمنزلة امر تقدم بيانه ثم انه تعالى بين مااجمله وابهمه بقوله ضرب مثل بان قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله الآية ولاشك ان اتخاذ من لايقدر على خلق احقر خلق الله قدر اوجثة الها معبودا حالة غريبة شبيهة بالمثل السائر واغرب منها انه لايقوى على مقاومة هذا المخلوق الاحقر الادنى ويعجز عن ذبه عن نفسه (قوله اوجعل لله مثل) روى ان الاخفش قال ان قيل فأين المثل الذى ذكره الله تعالى فى قوله ضرب مثل قيل ليس ههنا مثل وانما معناه ضرب من الامثال وانما معناه شبهى الاوثان وجعلت لى امثالا وشركاء ولا يخفى ان القول بان ضرب بمعنى جعل لايخلو عن بعد (قوله لايقدرون على خلقه) تصوير لمعنى تأكيد النفى المستفاد من كلمة لن لان نفى القدرة على الفعل آكد من نفى نفس الفعل لكون نفيها نفيا للفعل بالدليل بخلاف نفى اصل الفعل فانه نفى مجرد (قوله لان لن بما فيها من تأكيد النفى) علة لتصوير معنى تأكيد النفى بنفى القدرة على الخلق فان تحقق المنافاة بين المنفى والمنفى عنه انما يكون بعدم القدرة على الفعل المنفى (قوله وجمعه اذبة وذبان) يعنى ان الذباب اسم جنس وجمع القليل اذبة و يجمع فى الكثرة على ذبان بكسر الذال وضمها والمدبة مايطرد بها الذباب (قوله بجوابه المقدر فى موضع حال) قد تقرر ان الواو فى مثل هذا التركيب عاطفة لهذه الجملة الحالية على حال محذوفة اى انتفى خلقهم

عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب من الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب او الصنم والذباب كانه
يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات (ما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته حيث
اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة (ان الله لقوى) على خلق الممكنات بأسرها (عزيز) لا يغلبه شئ وآلهتهم
التى يدعونها عجزة عن اقلها مقهورة من اذلها (الله يصطفى من الملائكة رسلا) يتوسطون بينه و بين الانبياء بالوحى
(ومن الناس) يدعون سائرهم الى الحق و يبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه
غيره فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه
وتعالى وهو اعلى المراتب
و منتهى الدرجات لمن
عداه من الموجودات
تقرير اللنبوة وتزييفا لقولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى والملائكة بنات الله
ونحو ذلك (ان الله سميع
بصير) مدرك الاشياء كلها
(يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم) عالم بواقعها
ومترقبها (والى الله ترجع
الامور) واليه مرجع
الامور كلها لانه مالكها
بالذات لا يسأل عما يفعل
من الاصطفاء وغيره وهم
يسألون (يا ايها الذين
آمنوا اركعوا واسجدوا)
فى صلاتكم امرهم بهما
لانهم ما كانوا يفعلونهما
اول الاسلام او صلوا
وعبر عن الصلاة بهما
لانهما اعظم اركانها
او اخضعوا لله وخروا له
سجدا (واعبدوا ربكم)
بسائر ما تعبدكم به (وافعلوا الخير) وتحروا ما هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم
الاخلاق (لعلكم تفلحون) اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له و اثقين على اعمالكم والآية آية
سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجد
هما فلا يقرأهما (وجاهدوا فى الله) اى لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه
عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (حق جهاده) اى جهادا
فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا

الذباب على كل حال ولو كانت فيهم هذه الحالة المقتضية لخلقه لخلقوه
وكانه تعالى قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لا تقدر على خلق ذبابة
على حقارتها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا وشريكا لخالق
السموات والارض (قوله عابد الصنم ومعبوده) فان عابده يطلب منه
بعبادته اياه ان ينفعه ويشفع له فالطالب هو العابد و المطلوب هو الثواب و النفع
والمطلوب منه هو الصنم الا انه اطلق المطلوب على الصنم على طريق الحذف
والايصال (قوله او الذباب يطلب ما يسلب من الصنم من الطيب) فعلى
هذا الطالب هو الذباب والمطلوب هو الطيب المسلوب والمطلوب منه هو الصنم
واطلق عليه المطلوب على طريق الحذف والايصال ايضا (قوله او الصنم
والذباب) فعلى هذا الطالب هو الصنم والمطلوب هو الاستنقاذ والمطلوب منه
هو الذباب الا انه يسمى مطلوبا على طريق الحذف ايضا والايصال (قوله
تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم) هو علة لقوله بين ان له عبادا مصطفين مختارين
قرر النبوة باصطفائه بعض الناس للرسالة وزيف طريق من عبد غير الله تعالى
من الملائكة بقوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا بعد ما ابطل قول
من عبد الاوثان فى الآية المتقدمة فالمقصود من هذه الآية ابطال قول عبدة
الملائكة وبيان ان علو درجتهم ليس من حيث كونهم آلهة يستحقون العبادة
بل من حيث انهم عباد مكرمون اصطفى منهم رسلا يتوسطون بينه و بين الانبياء
عليهم السلام قيل ويحتمل ان يكون المراد باصطفاء الملائكة انه تعالى يختار
من الملائكة رسلا الى الملائكة فى بعض ما كلفهم به من انواع العبادات والطاعات
فيبعث منهم اليهم رسلا بتبليغ ذلك كما اختار من الانس رسلا اليهم يبعثهم فيما
كلفهم به وفى الآية الشريفة دلالة على انه تعالى انما اصطفاهم للرسالة لا لشئ

يتوجبون به ذلك ولكن كان ذلك افضالا منه وانعاما لهم حيث قال تعالى
يصطفى لا كما قالت المعتزلة من انه تعالى لا يختار للرسالة الا من كان فيه ما يستحق به
ذلك وقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم اى من امر الدنيا وما خلفهم اى من امر
الآخرة اشارة الى العلم التام وقوله تعالى والى الله ترجع الامور اشارة الى القدرة
التامة والتفرد بالالهية والحكم و بمجموعهما يتضمن نهاية الزجر عن الاقدام
على المعصية ثم انه تعالى لما قدم ذكر ما يتعلق بالالهيات ثم ذكر ما يتعلق بالنبوات
اتبعه بذكر ما يتعلق بالشرآئع والاحكام وكلفهم اولا بما هو اجل العبادات
وهو الصلاة او الجمع بين الركوع والسجود فيها كما روى عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما انه قال ان الناس كانوا فى اول الاسلام يركعون ولا يسجدون حتى
نزلت هذه الآية فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ثم كلفهم
بما يتناول الصلاة وغيرها من انواع العبادات التى يقصد بها التعظيم لامر الله
فقال تعالى واعبدوا ربكم ثم كلفهم بما يتناول خدمة المعبود وتعظيم امره
ويتناول الاحسان الى خلقه الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله تعالى
من افعال الخير كصلة الرحم ومكارم الاخلاق فكأنه تعالى قال كلفتم بالصلاة
ثم كلفتم بما هو اعم منها وهو العبادة ثم كلفتم بما هو اعم منها وهو الخيرات والفلاح
الظفر بنعيم الآخرة وذكره الله تعالى بكلمة الترجى لان الانسان قلما يخلو فى اداء
ما كلف به من التقصير فليس هو على تيقن فى حر وجه من عهدة ما كلف به
حتى يتيقن بترتيب الثواب الموعود لمن اتى به ثم كلفهم رابعا بان تجاهدوا فى الله
حق الجهاد اى جهادا فيه ولاجله وانتصابه على المصدر بحذف كلمة و واضيفت
كلمة الجهاد الى الضمير على طريق الاتساع كما فى قوله ﴿ ويوم شهدناه سليما ﴾
من حيث ان الاضافة يكفى فيها ادنى ملابسة واختصاص وقد يتحقق كونه
حقا باستغراق الطاقة فيه ﴿ واصل المعنى جاهدوا فى الله تعالى من اجله
جهادا حقا وتوصيف الجهاد بالحق يفيد ان هناك جهادا واجبا والمطلوب منهم
الاتيان بذلك فاذا عكس واضيف الصفة الى الموصوف بعد اضافته الى الله
تعالى افاد اثبات جهاد مختص بالله تعالى وان المطلوب القيام بواجبه
وشرآئطه على وجه التمام والكمال بحد الوسع والطاقة وهو معنى قوله واضيف
الحق الى الجهاد مبالغة فانه يضاف الصفة الى الموصوف ليدل على ان المراد به
ما هو الكامل فى شانه (قوله وفيه تنبيه) يعنى ان قوله تعالى هو اجتباكم
استئناف لبيان علة الامر بالجهاد فان نصرة الدين انما تكون بجهاد اعدآئه
(قوله فى اغفال بعض ما امرهم به) اى فى تركه مع ذكره كما يترك المسافر الصوم
فى السفر ويترك تمام الاربع بالقصر ويترك المتوضئ غسل رجليه ويمسح على

(الخفين)

او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله (هو اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه فى قوله (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) اى ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد (ملة ابيكم ابراهيم) منتصبة على المصدر

الخفين ومن لم يستطع ان يصلى قائما يترك القيام فيها ويصلى قاعدا ومن لم يستطع ذلك يصلى مومئا وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال من جاءته رخصة فرغب عنها كلفه الله يوم القيامة ان يحمل مثل ثبير حتى يقضى بين الناس وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اذا اجتمع امران فاحبهما الى الله تعالى ايسرهما وقيل معنى قوله تعالى ماكان عليكم فى الدين من حرج ماجعل الله عليكم من حرج اذ المؤمن لايبتلى من الذنوب شئ الاجعل الله تعالى له مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم وبالقصاص وارش الجناية والديات وبعضها بالكفارات وليس فى دين الاسلام ذنب الا ويجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من العذاب به (قوله بفعل دل عليه مضمون ماقبلها) فان نفى الحرج وهو حال الضيق يدل على التوسعة فهو مصدر فعل دل عليه مضمون قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج لكن لابد من تقدير المضاف ويجوز ان يكون منصوبا على الاغراء اى الزموا ملة ابيكم واتبعوها (قوله كان بسبب تسميته من قبل) اى لما كان تسمية الله تعالى هذه الامة مسلمين بسبب انه تعالى استجاب دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وجعلها هذه الامة صار ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه سببا لتسميتهم بذلك فى القرآن كانه سماهم مسلمين فى القرآن (قوله شهيدا عليكم بانه بلغكم) الظاهر انه ليس المراد بشهادته انه عليه الصلاة والسلام يشهد على المكذبين من امته بانه بلغهم لان الكلام مع المؤمنين لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا ولقوله تعالى سماكم المسلمين بل المراد بكونه شهيدا عليكم انه بلغكم تبليغا يترتب عليه تصديقكم اياه وقبولكم ماجاء به ليظهر به اسلامكم وعدالتكم بحيث يقبل الله شهادتكم على منكرى تبليغ الرسلين رسالاتهم الا ان هذه الشهادة فى الحقيقة تعديل منه وتزكية لهم وليست شهادة لنفسه حتى يرد ان يقال شهادته عليه الصلاة والسلام على امته بانه بلغهم شهادة لنفسه فكيف تقبل فاجاب بانها تقبل لكونه معصوما ويمكن ان يقال تعديله عليه الصلاة والسلام لامته لما توقف على تبليغه اياهم ولم يثبت ذلك الا بشهادته كان ذلك التعديل فى الحقيقة شهادة لنفسه ومع ذلك قبلت لعصمته ولما كانت شهادته عليه الصلاة والسلام فى حق امته المؤمنين بمعنى التعديل كان الظاهر ان يقال شهيدا لكم بدل عليكم الا انه لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام كالرقيب المهيمن على امته عديت بكلمة على فانها قد تستعمل بمعنى اللام كما فى قوله تعالى وماذبح على النصب وقال المصنف رحمه الله تعالى عليه فى سورة البقرة روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم

بفعل دل عليه مضمون ماقبلها بحذف المضاف أي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم أو على الاغراء أو على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة اولان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم (هو سماكم المسلمين من قبل) من قبل القرآن فى الكتب المتقدمة (وفى هذا) وفى القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم اولابراهيم وتسميتهم مسلمين فى القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين (ليكون الرسول) يوم القيامة متعلق بسماكم (شهيدا عليكم) بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل اليهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فتقربوا الى الله بانواع الطاعات

لما خصكم بانواع الفضل والشرف (واعتصموا بالله) وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه (هو مولاكم) ناصركم ومتولى اموركم (فنعم المولى ونعم النصير) هو اذ لا مثل له سبحانه في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا ناصر سواه في الحقيقة ❁ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

(سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثمانى عشرة عند الكوفيين)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد أفلح المؤمنون) قد فازوا بأمانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ أفلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وأفلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول (الذين هم في صلاتهم خاشعون) خائفون من الله متذللون له ملزمون (جمله)

واعما هو لاقامة حجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيشهدون فيقولون الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعد التهم (قوله لما خصكم) اى الله بهذا الفضل والشرف اشارة الى ان تفريع قوله تعالى فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة بالفاء على قوله تعالى هو اجتباكم وقوله تعالى هو سماكم المسلمين يشعر بعلية ماذكر سابقا لوجوب التقرب اليه تعالى عليهم بانواع الطاعات وان تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكون الاولى اشرف الاعمال البدنية والثانية اشرف الاعمال المالية ❁ تم مايتعلق بسورة الحج والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة المؤمنين وهى مكية

(سورة المؤمنين مائة وثمانى عشرة آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله وقد تثبت المتوقع) كلمة قد سواء دخلت على الماضى او المضارع تفيد التحقيق وينضاف اليه كونه متوقعا لمن يخاطبه واذا دخلت على الماضى ينضاف الى هذين المعنيين التقريب من الحال نحو قد ركب الامير لمن يتوقع ركوبه اى حقا قد حصل عن قريب ما كنت تتوقعه من ركوب الامير واذا دخلت على المضارع ينضاف اليهما فى الاغلب معنى التقليل نحو ان الكذوب قد يصدق اى حقا قد يقع منه الصدق وان كان قليلا وقال البغوى رحمة الله تعالى عليه قد حرف تأكيد وقال المحققون قد تقرب الماضى من الحال فتدل على ان الفلاح قد حصل لهم وانهم عليه فى الحال وهو معنى قول المصنف رحمة الله تعالى عليه وتدل على ثباته اى على تقرره وعدم انتفائه بعد الثبوت وهو الدليل على انها لتقريب الماضى من الحال (قوله على لغة اكلونى البراغيث) اى على ان يكون الواو حرفا دالا على ان الفاعل جمع كما ان تاء فعلت دالة على انه مؤنث وليست ضمير الفاعل او على انه يكون ضميرا ابهمها يفسره المؤمنون (قوله وافلح) اى بفتح الهمزة واللام وضم الحاء بغير واو اكتفاء بالضمة عن الواو (قوله وأفلح على البناء للمفعول) يعنى بمعنى ادخلوا فى الفلاح فيكون من افلح متعديا يقال افلحه اى اصاره الى الفلاح فيستعمل افلح لازما ومتعديا واعلم انه تعالى اشار الى ان الفلاح الحقيقى لا يحصل بمطلق الايمان بل انما يحصل بالايمان الحقيقى المقيد بجميع الشرائط التى هى مذكورة فى هذه الآية منها كون العبد مؤديا للصلاة حال كونه ملابسا للخشوع والخضوع واختلف فى الخشوع فمنهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من

جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات ومنهم من جمع بين الامرين
وهو الاولى والخاشع فى صلاته لابد ان يحصل له مما يتعلق بالقلب والقالب وجميع
ما يدل على ظاهره وباطنه نهاية الخضوع والتذلل للمعبود اما خشوع الظاهر
والقالب فما يكون بالرأس تنكيسه وما يكون بالعين تعاميه عن الالتفات
وما يكون بالاذن تذلله الاستماع وما يكون باللسان القراءة بالحضور وما يكون
باليدين وضع اليمين على الشمال بالتعظيم كالعبيد وما يكون بالظهر انحناؤه
فى الركوع مستويا وما يكون بالفرج لايظهر فيه اثر من آثار الخواطر الشهوانية
وما يكون بالقدمين ثباتهما على الوضع وسكونهما عن الحركة التى لاتكون من افعال
الصلاة واما خشوع الباطن فخشوع النفس بسكونها عن الخواطر والهواجس
وخشوع القلب بملازمة الذكر ودوام الحضور وخشوع السر بمراقبة المذكور
وترك الخطاب الى المكونات وخشوع الروح باستغراقه فى بحر المحبة وفنائه
عند تجلى الجمال والجلال قال الامام رحمه الله تعالى عليه فان قيل هل ذلك واجب
فى الصلاة قلنا انه واجب عندنا ويدل عليه امور احدها قوله تعالى افلا يتدبرون
القرآن ام على قلوب اقفالها والتدبر لايتصور بدون الوقوف على المعنى وقوله
تعالى ورتل القرآن ترتيلا معناه والله تبارك وتعالى اعلم انكم قفوا على عجائبه
ومعانيه وثانيها قوله واقم الصلاة لذكرى فظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد
الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة بذكره تعالى وثالثها قوله
تعالى ولاتكن من الغافلين فظاهره التحريم وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون
تعليل انهى السكران عن قربان الصلاة وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهمّ
بالدنيا ورابعها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع
فكلمة انما للحصر وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء
والمنكر لم تزده من الله تعالى الا بعدا وصلاة الغافل لاتمنع عن الفحشاء وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب وما اراد به
الا الغافل وقيل اجمعت العلماء رضى الله تعالى عنهم على انه ليس للعبد من صلاته
الا ما عقل منها وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان العبد ليصلى الصلاة لايكتب
منها له سدسها ولاعشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها يعنى لايقبل
من صلاته الا ما عقل منها والصلاة وان لم تقبل تجزى جوازا وفسادا الا انها تقبل
التجزى قبولا وبين الامرين فرق وعن بشر الحافى انه قال من لم يخشع فسدت
صلاته وعن الحسن رضى الله تعالى عنه كل صلاة لايحضر فيها القلب فهى
الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه من عرف من على
يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له قال الغزالى المصلى مناجى

ابصارهم مساجدهم وروى
انه عليه السلام كان يصلى
رافعا بصره الى السماء فلما
نزلت رمى ببصره نحو
مسجده وانه رأى رجلا
يعبث بلحيته فقال لو خشع
قلب هذا لخشعت جوارحه
(والذين هم عن اللغو)
عما لايعنيهم من قول
وفعل (معرضون)
لما بهم من الجد ما يشغلهم
عنه وهو ابلغ من الذين
لايلهون من وجوه جعل
الجملة اسمية وبناء الحكم
على الضمير والتعبير عنه
بالاسم وتقديم الصلة عليه
واقامة الاعراض مقام
الترك ليدل على بعدهم عنه
رأسا مباشرة وتسببا وميلا
وحضورا فان اصله ان
يكون فى عرض غير عرضه
وكذلك قوله (والذين هم
للزكاة فاعلون) وصفهم
بذلك بعد وصفهم بالخشوع
فى الصلاة ليدل على انهم
بلغوا الغاية فى القيام
على الطاعات البدنية
والمالية والتجنب
عن المحرمات وسائر
ما توجب المروءة اجتنابه

والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لان المحل الذى هو موقعه اوالثانى على تقدير مضاف (والذين هم لفروجهم حافظون) لايبذلونها (الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم) زوجاتهم

ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة له لانها لاتتحقق الااذا كان اللسان معبرا عما فى القلب من التضرعات ولاشك ان المقصود من القرآن والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء خطاب والمخاطب هو الله تعالى فاذا كان القلب محجوبا بحجاب الغفلة وكان غافلا عن جلال الله تعالى وكبريائه ثم ان لسانه يتحرك بحكم العادة فانه بعيد عن القبول وكذا المقصود من الركوع والسجود ليس الاتعظيمه تعالى والامتثال لامره تعالى وايقاع هذه الافعال لقصد التعظيم والامتثال لايمكن مع غفلة القلب عن المعبود والمقصود تعظيمه ولوجاز ان تكون هذه الافعال تعظيما لله تعالى مع ان القلب غافل عنه لجاز ان تكون معظما لصنم بجنبه وهو غافل عنه ومما يدل على ان الصلاة لابد فيها من الخشوع والحضور ان الفقهاء اختلفوا فيما ينوى به المصلى بالسلام عند الجماعة والانفراد هل ينوى الحضور او الغيب والحضور معا فاذا احتيج الى التدبر فى معنى السلام الذى هو آخر الصلاة احتيج الى التدبر فى معنى التكبير والتسبيح والقراءة الواقعة فى اثناء الصلاة ثم قال الحضور عندنا ليس شرط الاجزاء بل هو شرط القبول والمراد من الاجزاء ان لا يجب القضاء والمراد من القبول حكم الثواب والفقهاء انما يبحثون عن حكم الاجزاء لا عن حكم الثواب وغرضنا فى هذا المقام هذا ثم قال هب ان الفقهاء حكموا باسرهم بجوازه أليس الاصوليون واهل الورع ضيقوا فيه الامر فهلا اخذت بالاحتياط فان بعض العلماء اختار الامامة فقيل له فى ذلك فقال اخاف ان تركت الفاتحة ان يعاتبنى الشافعى رحمة الله تعالى عليه وان قرأتها مع الامام يعاتبنى ابوحنيفة رضى الله تعالى عنه فاخترت الامامة طالبا للخلاص من هذا الاختلاف (قوله والزكاة تقع على المعنى والعين) اى تقع على معنى التزكية والعين اى القدر الذى يخرجه صاحب النصاب منه ويدفعه الى الفقير فان اريد بها العين فى الآية الشريفة فلابد من تقدير المضاف اى والذين هم لاداء الزكاة فاعلون واللام فى قوله للزكاة مزيدة فى المفعول لتقدمه على عامله ولكون العامل فرعا (قوله لايبذلونها) يعنى ان قوله حافظون وان كان اثباتا صورة الا انه فى معنى النفى لان الحفظ عبارة عن الصون وترك الابتذال يقال فلان يحفظ نفسه ولسانه اى لايبذلهما فيما لايعنيه والمعنى والذين هم لفروجهم لايبذلون الا على ازواجهم وانما احتيج الى اعتبار تضمين معنى النفى على تقدير ان تكون على صلة لحافظين لان قوله تعالى الا على ازواجهم استثناء مفرغ وهذا لايكون الابعد النفى او ما فى معناه وفعل الحفظ يتعدى بعلى باعتبار تضمينه معنى الامساك والقصر فان كلا منهما يتعدى بعلى قال الله تعالى أمسك عليك

أوسرّياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسى اوحال اى حفظوها فى كافة الاحوال الا فى حال
التزوج اوالتسرى اوالفعل دل عليه غير ﴿٢٨٣﴾ ملومين وانما قال ما اجرآء للمماليك مجرى غيرالعقلاء اذالملك اصل شائع
فيه وافراد ذلك بعدتعميم
قوله والذين هم عن اللغو
معرضون لان المباشرة
اشهى الملاهى الى النفس
واعظمها خطرا (فانهم
غير ملومين) الضمير
لحافظون اولمن دل عليه
الاستثناء اى فان بذلوها
لازواجهم اواماتهم
فانهم غير ملومين على
ذلك (فمن ابتغى ورآء ذلك)
المستثنى (فأولئك هم
العادون) الكاملون
فى العدوان (والذين هم
لاماناتهم وعهدهم)
لما يؤتمنون عليه ويعاهدون
من جهة الحق اوالخلق
(راعون) قائمون بحفظها
واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا
وفى المعارج لامانتهم على
الافراد لامن الالباس
اولانها فى الاصل مصدر
(والذين هم على صلواتهم
يحافظون) يواظبون
عليها ويؤدونها فى اوقاتها
وافطا فعل فيه المافى الصلاة
من التجدد والتكرر ولذلك
جمعه غير حمزة والكسائى
وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به
اولا فان الخشوع فى الصلاة
غير المحافظة عليها
وفى تصدير الاوصاف

[illegible]

(الذين يرثون الفردوس) بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهى مستعارة لاستحقاقهم

زوجك ويقال احفظ على عنان فرسى بتضمينه معنى أمسك ولولا اعتبار التضمين لما عدى بعلى فكون كلمة على صلة حافظون يتوقف على اعتبار التضمين وجواز الاستثناء المفرغ فى الاثبات يتوقف على كونه فى معنى النفى (قوله اوسرّياتهم) جمع سرية بضم السين وتشديد الرآء والياء جميعا فعلية من السر وهو الجماع وهى جارية يطأها المولى للتناسل والتسرى وطئ الجارية سرا اى وطئا سرا والاصل التسرر قلبت الرآء الاخيرة ياء كما فى تقضى البازى (قوله وانما قال ما) اى ولم يقل اومن ملكت مع ان الاماء عواقل اجرآء لهن مجرى غير العقلاء لقصان عقلهن وعلمهن وامتهانهن فى الاعمال الخسيسة كسائر الحيوانات والبهائم فمن ابتغى اى طلب سوى الزوجات والسرارى فاولئك هم الكاملون فى العدوان حيث لم يكتفوا بما وسع الله تعالى عليهم من تزويج الاربع من الحرآئر والتسرى بما شاء من الجوارى والعدوان الظلم اومجاوزة ماحده الله تعالى وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء رضى الله تعالى عنهم قال عطاء سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وروى انه تعالى عذب امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم (قوله لما يؤتمنون عليه) فان الامانة والعهد مصدران فى الاصل ثم سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا تسمية بالمصدر قال تعالى ان الله يأمركم ان تودوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تودى الاعيان لا المعانى والمؤتمن عليه لا الامانة نفسها (قوله جمعه غير حمزة والكسائى) فانهما قرآ على صلاتهم بالتوحيد والباقون صلواتهم بالجمع قالوا وحدت اولا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة اى صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهى الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة والنوافل المروية (قوله الجامعون لهذه الصفات) اشارة الى ان قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون ومابعده من المعطوفات من قبيل عطف الصفة على الصفة مع وحدة الذات ومعنى الجمع مستفاد من توسط الواو العاطفة بينها والحصر المستفاد من قوله تعالى فأولئك هم الوارثون من قبيل حصر الكمال واشار اليه بقوله الاحقاء بان يسموا وراثا والوارث هو الباقى بعد فناء المورث والقائم مقامه فى الاستمداد بما يستحقه مورثه فالجامعون لهذه العبارات والاوصاف المذكورة من حيث بقاؤهم بعد فناء اعمالهم التى هى من قبيل الاعراض بمنزلة الوراث الباقين بعد فناء مورثهم من حيث ان تلك الاعمال اورثتهم ماوعدهم الله تعالى

الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار (هم فيها خالدون) انث الضمير لانه اسم للجنة اولطبقتها العليا (ولقد خلقنا الانسان من سلالة) من خلاصة سلت من بين الكدر (من طين) متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة اومن بيانية او بمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون من ابتدآئية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين اوالجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته (ثم جعلناه) ثم جعلنا نسله فحذف المضاف (نطفة)

بازآئها من الثواب الجزيل (قوله وقيل انهم يرثون من الكفار) روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله عليه السلام مامنكم من احد الاله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال خلق الله تعالى ثلاثة اشياء خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتى وجلالى لايدخلها مدمن خمر ولاديوث قالوا يارسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث قال صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذى يقر السوء لاهله (قوله من خلاصة) يعنى ان السلالة ماسل من الشئ اى نزع واستخرج على وجه التصفيه والتخليص من كدره قال صاحب الديوان فعالة اسم لمابقى بعد المصدر فالسلالة مابقى بعد السل كالنخالة والبراية لمابقيا بعد النخل والبرى وفيها دلالة على القلة فاذاقبضت على الطين بكفك فخرج من بين اصابعك صرفه وخالصه فهى سلالة وقال ابوعبيدة السلالة الخالص من كل شئ وقيل سمى التراب الذى خلق منه آدم سلالة لانه سل من كل تربة وسمى الولد سلالة لان اصله وهو الماء سل من تحت كل شعرة فقول صاحب الديوان رضى الله تعالى عنه مخالف لقول غيره واختار المصنف قول غيره رحمة الله تعالى عليهم ومن الاولى ابتدآئية متعلقة بخلقنا والثانية تبعيضية متعلقة بمحذوف وهو صفة لسلالة اى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تكون الثانية لبيان الجنس كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان على تقدير ان تكون السلالة هو الطين (قوله اوبمعنى سلالة) عطف على قوله بمحذوف اى اومن الثانية متعلقة بمعنى السلالة اى من صفوة مسلولة من طين فتكون ابتدائية كالاولى واختلف اهل التفسير فى الانسان فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة رضى الله تعالى عنهم المراد آدم عليه الصلاة والسلام فانه خلق من طين انسل من كل تربة وخلقت ذريته من ماء مهين فقوله تعالى ثم جعلناه مبنى على حذف المضاف اى ثم جعلنا نسله ويحتمل ان يكون ضمير جعلناه للانسان الذى هو آدم على طريق الاستخدام فان لفظ الانسان اسم شامل لآدم عليه الصلاة والسلام ولاولاده فيراد بالانسان نفس آدم وبضميره ولدآدم ومثله يسمى استخداما فى عرف اهل البديع (قوله اوالجنس فانهم خلقوا من سلالات) اى من صفوات مسلولة من الماء والطين وهى الاغذية النباتية التى سل منها الدم والانسان ثم المعدة ثم الكبد ثم الدماغ وهو اشارة الى ماذكره الامام بقوله الانسان انما يتولد من النطفة وهى انما تتولد من فضل الهضم الرابع وذلك انما يتولد من الاغذية

(وهى)

وهى اما حيوانية اونباتية والحيوانية تنتهى الى النباتية والنباتية انما تتولد من صفوة الارض والماء قال الانسان بالحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين ثم ان تلك السلالة بعد ان تواردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت منيا قال وهذا التأويل مطابق للفظ ولا يحتاج فيه الى التكليفات ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما امر بالعبادات فى الآية المتقدمة ومن المعلوم ان الاشتغال بعبادة الله تعالى لا يصح الا بعد معرفته تعالى فلذلك عقبه بذكر مايدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية وذكر من الدلائل انواعا النوع الاول تقلب الانسان فى اطوار الخلقة وهى تسعة اطوار اولها كونه سلالة من طين وآخرها ماذكره الله تعالى بقوله ثم انكم يوم القيامة تبعثون وهذه الجملة اعنى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان جواب قسم محذوف اى والله لقد خلقنا الانسان (قوله بان خلقناه منها) لما كان جعل الانسان نطفة غير معقول اذ المعقول ان جعل النطفة انسانا لم يحمل قوله تعالى جعلناه على معنى صيرناه بل حمله على معنى خلقناه وجعل انتصاب نطفة بنزع الخافض (قوله اوثم جعلنا السلالة نطفة) اى ثم صيرنا الاغذية المسلولة من الطين نطفة وقوله تعالى فى قرار متعلق بمحذوف على انه صفة لنطفة ويجوز ان يتعلق بجعلنا على ان يكون المراد بالقرار صلب الرجل ويكون ضمير جعلناه للسلالة ويكون الجعل بمعنى التصيير فان جنس الانسان يخلق من المسلول من طين وذلك المسلول لا يصير نطفة فى الصلب الا بعد زمان والمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر الذى اريد به الرحم سمى بالمصدر ثم وصف الرحم بالمكانة التى هى صفة للمستقر فيه لاحد معنيين اما على المجاز كطريق سائر واما السائر من ثيه وامالمكانتها فى نفسها لانها تمكنت فى نفسها وجعلت مكينة حصينة محكمة محفوظة وضمن خلق فى قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة ومابعده معنى جعل بمعنى التصيير فعدى الى اثنين كما ضمن جعل معنى خلق فعدى الى واحد نحو قوله تعالى جعل الظلمات والنور (قوله لتفاوت الاستحالات) فان خلق نسل آدم من النطفة متراخ رتبة وزمانا عن خلق نفسه من سلالة من طين وكذا تصيير السلالة متراخ رتبة عن خلق الانسان من تلك السلالة وكذا الحال فى تحويل النطفة علقة بالنسبة الى خلق نسل آدم من النطفة بخلاف التحويلات الباقية فانها امور متعاقبة (قوله والجمع) اى جمع العظام فى الموضعين وهو قراءة العامة مع ان لفظ العظم لكونه اسم جنس مغنى عن الجمع للدلالة على مابين افرادها من الاختلاف فى الهيئة والصلابة (قوله تعالى احسن الخالقين) نعت الجلالة ويجوز ان يكون بدلا من لفظ الجلالة والاول اولى لان البدل بالمشتق

(فى قرار مكين) مستقر حصين يعنى الرحم وهو فى الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار (ثم خلقنا النطفة علقة) بان أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) فصيرناها قطعة لحم (فخلقنا المضغة عظاما) بان صلبناها (فكسونا العظام لحما) مما بقى من المضغة اومما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها فى الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر (ثم انشأناه خلقا آخر) هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه اوالمجموع وثم لمابين الخلقين من التفاوت واحتج به ابوحنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر (فتبارك الله) فتعالى شانه فى قدرته وحكمته

(احسن الخالقين) المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه (ثم انكم بعد ذلك لميتون) لصائرون الى الموت لامحالة

ولذلك ذكر النعت الذى للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به (ثم انكم يوم القيامة تبعثون)

للمحاسبة والمجازاة (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك المخلوق الذى هو السموات او عن جميع المخلوقات (غافلين) مهملين امرها بل نحفظها من الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة (وانزلنا من السماء ماء بقدر) بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم (فاسكناه) فجعلناه ثابتا مستقرا (فى الارض وانا على ذهاب به) على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه (لقادرون) كما كنا قادرين على انزاله وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين (فانشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل واعناب لكم فيها) فى الجنات (فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها) ومن الجنات ثمارها وزروعها (تأكلون) تغذيا (ومع)

قليل ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو أحسن والاصل عدم الحذف ومنع ابو البقاء كونه صفة قال لانه نكرة ان اضيف الى المعرفة لان المضاف اليه عوض عن كلمة من وهكذا جميع باب افعل من وهذا المنع مبنى على احد القولين فى افعل التفضيل اذا اضيف هل اضافته محضة اولا والصحيح الاول قالت المعتزلة لولا ان يكون غير الله تعالى قد يكون خالقا لما جاز القول بانه احسن الخالقين كما انه لو لم يكن فى عباده من يحكم ويرحم لم يجز ان يقال فى حقه انه احكم الحاكمين وارحم الراحمين والمصنف رحمه الله تعالى عليه اشار الى جوابهم بتفسير الخالقين بالمقدرين فان الخلق هو التقدير قال زهير

ولانت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

اى ولانت تقدر امرا فتمضيه وبعض القوم يقدر ولا يمضى والآية انما تكون حجة للمعتزلة اذا كان التقدير مستلزما للايجاد وليس كذلك والمعنى احسنهم خلقا وتقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه فى قوله تعالى اذن للذين يقاتلون وهو القتال لدلالة يقاتلون عليه (قوله ولذلك) اى ولكون المصير الى الموت امرا ثابتا لامحالة ذكر النعت الذى هو للثبوت وهو الصفة المشبهة ولم يذكر ما هو للحدوث وهو اسم الفاعل وهذه الاطوار التى يتقلب الانسان فيها لا يقدر عليها غيره تعالى فهى دليل على وجوده وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم انه تعالى استدل على ذلك بخلقه السموات بقوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق اى سبع طبقات متطارق بعضها فوق بعض (قوله مهملين امرها) اشارة الى ان المراد بالخلق السموات السبع واللام فيه للعهد وانه بمعنى المخلوق بين الله تعالى بذلك كمال علمه وحكمته بعد ما بين قدرته بخلق نفسها كأنه قيل خلقناها فوقكم وما كنا عما نحدث وما يجرى فيها او عن حفظها وامساكها ان تقع عليكم غافلين ويحتمل ان يكون المراد بالخلق الناس وسائر الحيوانات والمقصود بيان الحكمة فى خلقها كأنه قيل انما خلقناها فوقهم لنفتح لهم ابواب الرزق والبركات عليهم منها وينتفعوا بمنافعها فنحن لسنا غافلين عنهم وعما يصلحهم ثم انه تعالى استدل على ذلك بنزول المطر وكيفية تأثيراته فى النبات فقال تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر اى انزالا ملتبسا بتقدير يكثر نفع ذلك التقدير ويقل ضرره فقوله بقدر صفة مصدر محذوف واما ان كان القدر بمعنى المقدار فحينئذ يكون صفة لقوله ماء والتقدير لا يقتضى مقيسا عليه بخلاف المقدار فلذلك اضاف المقدار الى المقيس عليه ولم يضف التقدير اليه واختلف المفسرون رحمهم الله تعالى عليهم فى ان المراد بالسماء ما هو فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بها المظلة الخضراء وان مياه الارض كلها نازلة منها وجعل الله تعالى منافع الارض متصلة بمنافع السماء

مع بعد ما بينهمـا و بين ذلك بان منشئهما ومدبرهمـا واحد عالم بذاته وذهب الآخرون الى ان المراد بها السحاب وسماه سماء لسموه وارتفاعه والمعنى انه تعالى اصعد الاجزاء المائية من البحار الى السماء حتى صارت عذبة صافية ثم انزل تلك المياه لتفرقتها فى قعر الارض والله تبارك وتعالى اعلم بحقيقة الحال ثم انه تعالى امتن علينا بابقاء الماء الذى هو قوام مصالح الدنيا والدين قال تعالى وانا على ذهاب به اى بالماء لقادرون وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل عليه السلام واستودعها الجبال فأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى اصناف معاشهم وذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ارسل الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام ورفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد فقد اهلها خيرى الدنيا والدين واعلم ان الماء نعمة فى نفسه وهو مع ذلك سبب لحصول نعم اخرى فلاجرم امتن الله تعالى اولا بانزاله وابقائه ثم ذكر ما يحصل به من النعم فقال تعالى فانشأنا لكم به جنات الآية (قوله اوترزقون) تفسير ثان لقوله تعالى تأكلون فان الاكل حقيقة فى ابتلاع المطعوم والتغدى به ويطلق ايضا على تحصيل ما ينتفع به الانسان فى تعيشـه من المأكل والملبس ونحوهمـا مجازا مرسلا بطريق التعبير عن الشئ باسم معظم ما يقصـد منه (قوله ومنع صرفه) اى منع صرف سيناء بكسر السين والمد وهى قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو بخلاف عاصم وحمزة والكسـائى وابن عامر ويعقوب فانهم قرأوا سيناء بفتح السين والمد والاعمش بالكسر والقصر وليس فى كلامهم فعلاء بكسر الاول وهمزته للتأنيث بل هى للالحاق كسرداح وقرطاس كما فى علباء فتكون الهمزة فيهـا منقلبة عن ياء اوواو لان الالحاق لا يكون الابهما فلما وقع حرف العلة متطرفا بعد الف زائدة قلب همزة كما فى رداء وكساء (قوله اى تنبت ملتبسة بالدهن) اى ومعها الدهن على ان يكون بالدهن حالا من فاعل تنبت ويجوز كونه مفعولا به غير صريح لتنبت ومن قرأ تنبت بضم التاء وكسر الباء جعل انبت بمعنى نبت كما فى بيت زهير

للنخيل والاعناب اى لكم فى ثمرتهما انواع من الفواكه كالرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (وشجرة) عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اى ومما انشئ لكم به شجرة (تخرج من طور سيناء) جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لاللالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور اوملحق بفعلال كعلباء من السين اذلا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامى ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لافعلال اذ ليس فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر (تنبت بالدهن) اى تنبت ملتبسة بالدهن ومستصحبة له ويجوز ان تكون الباء صلة معدية لتنبت كما فى قولك ذهبت

يزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب فى رواية تنبت وهى اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير

﴿ رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم ❊ قطينا لهم حتى اذا انبت البقل ❊ او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ

وصباغ كدباغ في دبغ (وان لكم في الانعام لعبرة) تعتبرون بحالها وتستدلون بها (نسقيكم مما في بطونها) من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء (ولكم فيها منافع كثيرة) في ظهورها واصوافها وشعورها (ومنها تأكلون) فتنتفعون بأعيانها (وعليها) وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها ❊ فيكون الضمير فيها كالضمير في وبعولتهن احق بردهن (وعلى الفلك تحملون) في البر والبحر (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها (ما لكم من اله غيره) استئناف لتعليل الامر [illegible] غيره [illegible] (ان) ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته [illegible] اي لا [illegible] الذين كفروا من قومه) لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم) ان يطلب الفضل عليكم [illegible] (ولو شاء الله) ان يرسل رسولا (لأنزل ملائكة) رسلا (ما سمعنا بهذا) اي [illegible] (في آبائنا الاولين) يعنون نوحا اي [illegible]

رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم ❊ قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

قوله رأيت على لفظ الخطاب والقطين الخدم والاتباع جمع قاطن اي رأيت الفقراء والمساكين مقيمين حول بيوتهم لقضاء حوائجهم حتى اذا انبت البقل وظهر الخصب فحينئذ ينتجعون وينقطعون من حولها ويجوز ان يكون انبت متعديا حذف مفعوله اي تنبت زيتونها وفيه الزيت فقوله تعالى بالدهن على الوجهين في موضع الحال وفيه وجه ثالث لم يتعرض له المصنف رحمه الله تعالى عليه وهو ان تكون الباء فيه زائدة في المفعول كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقرئ تنبت الدهن بضم التاء وفتح الباء على بناء المفعول من انبتها الله تعالى وبالدهن حال من المفعول القائم مقام الفاعل اي ملتبسة بالدهن وفي حرف تثمر بالدهن وقرئ تخرج بالدهن مضارع خرج وتخرج الدهن مضارع اخرج وتنبت بالدهان وهو جمع دهن كرمح ورماح والصبغ والصباغ ما يصبغ به اي يؤتدم سمي الادام صبغا لان الخبز يلون به ان غمس فيه ونحوهما الدبغ والدباغ لما يدبغ به ثم انه تعالى لما استدل على وجوده وكمال علمه وقدرته وحكمته بانزال الماء واخراج انواع النباتات به استدل عليه بانواع الحيوانات ايضا فقال تعالى وان لكم في الانعام لعبرة ثم فصل ما فيها من وجوه الاعتبار وذكر منها اربعة ارجه الاول قوله نسقيكم مما في بطونها [illegible] المراد جميع وجوه الانتفاع [illegible] ووجه الاعتبار فيها انها تجتمع في الضرع [illegible] ويتخلص من بين الفرث والدم باذن الله تعالى فيستحيل الى طهارة [illegible] وطعم مرىء بالشهوة ويصير غذاء فيستدل بذلك على قدرته تعالى وحكمته تكون هذه النعمة في حقه من النعم الدينية ومن انتفع به [illegible] تكون في حقه من النعم الدنيوية والثاني قوله تعالى ولكم فيها منافع كثيرة والثالث قوله تعالى تأكلون [illegible] منفعة الاكل بالذكر لكونها [illegible] من حيث كونها اسفانا [illegible] بخلاف المنافع السابقة فانها انتفاع بمنافعها الخارجة عن ذواتها [illegible] والرابع قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون [illegible] (قوله [illegible]) اي [illegible]

ان يراد بالضمير الابل خاصة يكون الضمير فيها كالضمير فى قوله تعالى و بعولتهن بعد قوله و المطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء فى كونه راجعا الى بعض مدلول المذكور فان ضمير بعولتهن يرجع الى بعض المطلقات و هو المطلقات طلاقا رجعيا فكذا ضمير عليها ان اريد به الابل خاصة ثم انه تعالى لما بين دلائل التوحيد اردفها بالقصص كما هو العادة فى سائر السور الكريمة وابتدأ بقصة نوح عليه الصلاة والسلام قيل الحكمة فى تكرير القصص ان فى كل قصة كررها ألفاظا وفوائد ونكتا ماليس فى الاخرى وفى تكريرها تأكيد الحجة وتجديد العظة ارسله الله تعالى ليدعو الناس الى عبادة الله تعالى وحده فلما دعاهم الى ذلك ولم ينفع فيهم الدعاء واستمروا على عبادة غير الله حذرهم بقوله افلا تتقون لينصرفوا عما هم عليه ثم انه تعالى حكى عنهم خمس شبه الشبهة الاولى قوله تعالى حكاية عنهم ماهذا الابشر مثلكم يشاركهم فيما بكم من الاوصاف و لو كان رسولا من الله تعالى لكان معظما عنده ومتميزا عن سائر الخلق بمزيد الدرجة والعزة فلما لم يكن كذلك علمنا انه ليس برسول الا انه ادعى الرسالة ليتفضل عليكم اى يطلب ا فضل عليكم بدعوى الرسالة و ليس كذلك و بناء التفعل لتكلف ماليس فى الانسان من الصفة وهو يريد ان يتصف به كالتفقه والتكرم و بناء التفاعل لتكلف ماليس فى الانسان من الصفة التى لا يريد كونها فيه كالتعامى والتعارج والتجاهل والشبهة الثانية قوله تعالى حكاية عنهم ايضا و لو شاء الله لانزل ملائكة لان انزالهم اشد افضاء الى المقصود بالنسبة الى ارسال البشر لان الملائكة لعلو شانهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم ينقاد الخلق اليهم ولايشكون فى رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى لم يرسل رسولا بشرا والشبهة الثالثة قوله تعالى حكاية عنهم ماسمعنا بهذا اى بنوح و بما تكلم به من الحث على عبادة الله تعالى اومن دعوى ارساله وهو بشر فى آبائنا الاولين فانهم كانوا لايعولون فى شئ من مذاهبهم الا على التقليد والرجوع الى الآباء فلذلك لم يسلكوا الطريقة بالنظر ولم يتبعوا الا على التقليد والشبهة الرابعة قوله تعالى حكاية عنهم ايضا قولهم للعوام ان هو الا رجل به جنة فانه عليه الصلاة والسلام كان يفعل افعالا على خلاف عاداتهم فكان الرؤساء يقولون للعوام انه مجنون فكيف يجوز ان يكون رسولا والشبهة الخامسة قوله تعالى حكاية عنهم ايضا فتربصوا به حتى حين لعله يفيق فيرجع عن قوله او يموت على جنونه فنستريح منهم (قوله بحفظنا) يعنى ان لفظ الاعين استعير للحفظ تشبيها لحفظ الله تعالى اياه بجماعة الحفاظ تنظر به عيونهم ويسمون اعينا لكون الاعين اعظم مايتوسلون به الى الحفظ فصاروا بذلك كأنهم عيون باعينهم وكذا الجاسوس يسمى عينا لذلك (قوله وقيل عين وردة) اى قيل

أوما تكلم به من الحث على عبادة الله ونفى الاله غيره اومن دعوى النبوة وذلك امامن فرط عنادهم اولانهم كانوا فى فترة متطاولة (ان هو الا رجل به جنة) اى جنون ولاجله يقول ذلك (فتربصوا به) فاحتملوه وانتظروا (حتى حين) لعله يفيق من جنونه (قال) بعد ما أيس من ايمانهم (رب انصرنى) باهلاكهم او بانجاز ماوعدتهم من العذاب (بما كذبون) بدل تكذيبهم اياى او بسببه (فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا) بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد (ووحينا) وامرنا وتعليمنا كيف تصنع (فاذا جاء امرنا) بالركوب اونزول العذاب (وفار التنور) روى انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردة بالشام وفيه وجوه اخر ذكرتها فى هود (فاسلك فيها) فادخل فيها

يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما سلككم في سقر (من كل زوجين اثنين) من كل امتي الذكر والانثى واحدين من دوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تأكيد (واهلك) واهل بيتك او ومن آمن معك (الا من سبق عليه القول منهم) اي القول من الله بهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) بالدعاء لهم بالانجاء (انهم مغرقون) لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله (فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (وقل رب انزلني) في السفينة او في الارض (منزلا مباركا) يتسبب لمزيد الخير في الدارين

ان محل التنور الذي ينبع منه الماء موضع بالشام يقال له عين وردة قال المصنف رحمه الله تعالى عليه في سورة هود وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض واشرف موضع فيها انتهى كلامه والمشهور ان ارض الجزيرة في ناحية ديار بكر والله تبارك وتعالى اعلم (قوله يقال سلك فيه) اي دخله بنفسه وسلكه غيره ومنه الآية ويفرق بينهما بالمصدر يقال اسلكه فيه سلكا وسلك فيه سلوكا قرأ العامة من كل زوجين اثنين بالاضافة وقرأ عاصم في رواية حفص رحمهما الله تعالى بالتنوين فان قرئ بالاضافة يكون قوله اثنين مفعول اسلك اي اسلك فيها اثنين واسلك فيها ايضا اهلك فوجب ان يقدر مضاف آخر بين المضاف والمضاف اليه ويكون التقدير من كل امتي زوجين اذ لو لم يقدر هذا المضاف لم يستقم المعنى لانه لو حمل الكلام على ظاهره لزم ان يحمل الزوجان جميعا لان الكلام حينئذ بمنزلة ان يقال احمل من كل زوجين زوجين واحمل من كل اثنين اثنين والاثنان المحمولان لا يكونان من اثنين بل هما كل نفس الاثنين فلا يستقيم المعنى الا بتقدير المضاف اذ يكون المعنى حينئذ احمل من كل صنفي الذكر والانثى فردين من زوجين لئلا ينقطع نسل ذلك الصنف من الحيوان روي انه عليه الصلاة والسلام لم يحمل في السفينة الا ما يلد ويبيض واما البق والذباب والدود فلم يحمل منها لانها انما تخرج من الطين ولا ينقطع نسلها بان لا تحمل (قوله تعالى واهلك) عطف على قوله اثنين على قراءة الاضافة وعلى قوله زوجين اثنين على قراءة التنوين والمراد باهله اهل بيته وهو امرأته وبنوه ونساؤهم واستثنى منه ابنه كنعان وامه واهله فانهم كانوا كافرين فقال الا من سبق عليه القول منهم قال تعالى في سورة هود قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ولم يذكر في هذه الآية من آمن اكتفاء بدلالة الاستثناء لمن سبق عليه القول من اهل بيته فانه يدل على انه تعالى امر بادخال جميع من آمن به وان لم يكن من اهل بيته وجوز المصنف رحمه الله تعالى عليه ان يكون المراد بقوله واهلك جميع من آمن به سواء اتصل به نسبا او لم يتصل فيكون قوله الا من سبق عليه القول استثناء منقطعا ولا يخلو عن بعد وقوله تعالى انهم مغرقون استئناف لبيان علة نهيه عليه الصلاة والسلام عن الدعاء للذين ظلموا بالانجاء فانه تعالى لما حكم عليهم بالاغراق واخبر بذلك وجب ان ينهاه عنه اي عن دعاء الانجاء في حق بعضهم لانه تعالى ان اجابه اليه فقد صير خبره الصدق كذبا وان لم يجبه اليه كان ذلك تحقير الشأنه عليه الصلاة والسلام (قوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك) اي اذا كنت فيها معتدلا متمكنا تمكن المستوي على الشيء فاحمد الله تعالى على نعمة الانجاء عرفه الله تعالى بان استرخاءهم

على السفينة سبب لنجاتهم من الغرق ولهلاك الظالمين الذين حرموا من الدخول فيها فامره بان يحمده على هذه النعمة ثم انه تعالى بعد ان امره بالحمد على النعمة المذكورة امره بان يدعو لنفسه بان يقول عند النزول فى السفينة او من السفينة الى الارض رب انزلنى منزلا مباركا والاحتمال الاول اظهر لانه امر بهذا الدعاء حال استقراره فى السفينة فتكون هى المنزل دون غيرها (قوله وقرئ منزلا) اى بضم الميم وفتح الزاى وهى قرآءة من عدا ابا بكر واما هو فقد قرأ بفتح الميم وكسر الزاى وهو يحتمل ان يكون اسم المكان النزول وان يكون مصدرا ميميا بمعنى النزول على اقامة مصدر الثلاثى مقام مصدر الرباعى كما فى قوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا والمنزل بضم الميم ايضا يحتمل ان يكون اسم مكان الانزال وقوله تعالى وانت خير المنزلين ثناء على الله تعالى بعد دعائه وامره الله بان يشفع الدعاء المذكور به مبالغة فيه لان ثناء المحتاج على الغنى الكريم يغنى غناء السؤال ويقوم مقامه واذا شفع السؤال به يؤكده ويقويه (قوله وانما افرده بالامر) اى حيث قال تعالى فقل الحمد لله ولم يقل فقولوا مع انه المناسب لقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك لان معناه فاذا استويتم (قوله اظهارا لفضله) لان الامر خطاب من الآمر مع المأمور ولا شك ان كون العبد مخاطبا لله تعالى خطاب الارشاد والتعليم غاية الشرف والفضل له ولا يليق به الا ملك مقرب او نبى مكرم ولذلك افرد نوح عليه الصلاة والسلام بالامر اظهارا لفضله وايضا لما كان نبيا لهم واماما لهم كانوا اتباعا له داخلين فى حكمه كان قوله فى حكم قولهم ودعاؤه فى حكم دعائهم فكان افراده بالامر اشعارا بذلك من حيث كونه متولى امورهم وان ولايته محيطة بهم (قوله وان هى المخففة) اى من الثقيلة والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او مختبرين ممتحنين عبادنا بهذه الآيات ليظهر من يعتبر ويذكر ونظيره قوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (قوله هم عاد) اى قوم هود ويشهد لهم مجئ قصة هود على اثر قصة نوح فى سورة الاعراف وهود والشعراء وما اخبر الله تعالى به من قوله لقومه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل هم قوم صالح استدلالا بما يعقبه من ذكر الصيحة التى ذكرت فى قصة ثمود فان قوم هود اهلكوا بالريح العقيم لقوله تعالى واما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (قوله وانما جعل القرن موضع الارسال) اشارة الى ان كلمة فى فى قوله تعالى فارسلنا فيهم رسولا ليست صلة للارسال لانه يتعدى بالى بل هى للظرفية وبيان ان القرن فى موضع الارسال قطع ارسلنا عن صلته وجعله مطلقا عن التعلق بالمرسل اليه على طريق تعلق الفعل

وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال (وانت خير المنزلين) ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه محيط بهم (ان فى ذلك) فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار (وان كنا لمبتلين) لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هى المخففة واللام هى الفارقة (ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين) هم عاد او ثمود (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غيره كما يهم وانما اوحى اليه وهو بين اظهرهم (ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) تفسير لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (أفلا تتقون) عذاب الله (وقال الملأ من قومه الذين كفروا)

فهو على تقدير سؤال (وكذبوا بلقاء الآخرة) بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث (واترفناهم) ونعمناهم (في الحياة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد (ما هذا الا بشر مثلكم) في الصفة والحال (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه (ولئن اطعتم بشرا مثلكم) فيما يأمركم (انكم اذا لخاسرون) حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه (أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما) مجردة عن اللحوم والاعصاب (انكم مخرجون) من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم

بالمفعول به ثم عدى الفعل اليه نفى مبالغة وجعل ظرفا للفعل كقوله تعالى
واصلح لي في ذريتي فان قوله ذريتي انقطع عن كونه مفعولا به وذهب به
الى كونه ظرفا لاصلح اي اجعل ذريتي موضعا للاصلاح وكذا قوله
يجرح في عراقيبها نصلي (قوله لعله ذكر بالواو) اي ذكر قول الملأ في جواب هذا
الرسول بالواو وذكر في جواب نوح عليه الصلاة والسلام بالفاء لعل الوجه فيه
ان كلام الملأ الثاني لم يتصل بكلام الرسول اي لم يقع عقيب كلامه حتى يعطف
عليه بفاء التعقيب بل اجتمع في الحصول قولهم الباطل وكلامه الحق فعطف
عليه بالواو للدلالة على اجتماعهما في الوجود (قوله وحيث استؤنف به)
جواب عما يقال ذكر الله تعالى جواب قوم هود له في سورة الاعراف وفي سورة
هود بغير واو وهو قوله قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وقوله
قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وذكره ههنا بالواو فأي فرق بينهما وتقرير الجواب
ظاهر (قوله وما خبرية) اي موصولة والعائد في قوله مما تشربون اما منصوب
والتقدير تشربونه او مجرور اي تشربون منه (قوله او انكم مخرجون مبتدأ)
مؤول بمصدر مرفوع على الابتداء والظرف المقدم خبره والجملة خبر انكم
الاول والتقدير أيعدكم انكم اخراجكم كائن او مستقر وقت موتكم (قوله
او فاعل) عطف على قوله مبتدأ اي يحتمل ان يكون قوله تعالى انكم مخرجون مؤولا
بمصدر مرفوع على انه فاعل فعل مقدر وذلك الفعل المقدر جواب اذا الشرطية
واذا الشرطية وجوابها المقدر خبر لانكم الاولى والتقدير أيعدكم انكم اذا متم
وقع اخراجكم فكلمة اذا على الوجهين الاولين ظرفية وعلى هذا الوجه
شرطية (قوله ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا) والتقدير أيعدكم انكم
اذا متم مخرجون وهذا المقدر هو العامل في الظرف وان الثانية وما في حيزها بدل
من الاولى (قوله لان يكون الظرف) اي لا يجوز ان يكون خبر الاولى لظرف لان
اسم الاولى جثة والظرف لا يكون خبرا عن الجثة وانما يكون خبرا عن الحدث
والاظهر هو الوجه الاول وهو ان يكون خبر الاولى هو مخرجون وهو العامل
في اذا وكررت الثانية تأكيدا لما طال الفصل فان قيل ما في حيز ان لا يعمل
فيما قبلها فكيف تقول ان عامل الظرف في الوجه الاول هو مخرجون قلنا
مخرجون ليس في حيز ان الثانية بل في حيز الاولى والثانية انما جيء بها
لمحض التأكيد ولا يجوز ان يكون العامل في اذا متم لانه مضاف اليه فلا يعمل
في المضاف (قوله بعد التصديق) يعني ان هيهات اسم لفعل لازم وهو بعد
فلا بد له من فاعل مرفوع واشار المصنف رحمة الله عليه الى ان فاعله مضمر
يتعلق به قوله لما توعدون اي هيهات الصحة والتصديق لما توعدون وكرر هيهات

ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لان يكون الظرف لان اسمه جثة (هيهات هيهات) (للتأكيد)

بعد التصديق او الصحة (لما توعدون) او بعد ما توعدون واللام للبيان كما فى هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فاله هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء (ان هى الاحياتنا الدنيا) اصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله ❊ هى النفس ماحملتها تحمل ❊ ومعناه لاحياة الاهذه الحياة الدنيا لان ان نافية دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التى تنفى ما بعدها نفى الجنس (نموت ونحيى) يموت بعضنا ويولد بعض (ومانحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو) ما هو (الارجل افترى على الله كذبا) فيما يدعيه من ارساله له او فيما يعدنا من البعث (ومانحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرنى) عليهم وانتقم لى منهم (بما كذبون) بسبب تكذيبهم اياى (قال عما قليل) عن زمان قليل وماصلة لتأكيد معنى القلة اونكرة موصوفة (ليصبحن نادمين) على التكذيب اذا عاينوا العذاب (فاخذتهم الصيحة) صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا

للتأكيد (قوله او بعد ما توعدون واللام للبيان) اى بيان المستبعد وهو بيان لحاصل المعنى لان ما توعدون المذكور لا يكون فاعل هيهات على تقدير كون اللام للبيان بل يكون فاعله ضميرا مبهما مفسرا بقوله ما توعدون كما فى ربه رجلا (قوله وقيل هيهات بمعنى البعد) فان قيل اذا لم يكن هيهات اسم فعل واقعا موقع بعد كيف يكون مبنيا على الفتح قلنا انه فى الاصل اسم فعل وان استعمل ههنا بمعنى المصدر وهذا القدر كاف فى بنائه وقيل الذى اوجب بناءه شبهه بالاصوات (قوله وقرئ بالفتح منونا للتنكير) والفرق بين المنون وغير المنون على تقدير كونه اسم فعل كالفرق بين قولك صه وصه ومه ومه فى ان تقديرهما فى الاول افعل السكوت والكف وفى الثانى افعل سكوتا وكفا روى عن الزجاج رضى الله تعالى عنه انه قال فى تفسير هيهات البعد لما توعدون فيمن لم ينون وبعد لما توعدون فيمن ينون فنزل منزلة المصدر معرفا ومنكرا قيل هيهات بالفتح لفظ مفرد وتاؤها للتأنيث مثلها فى ظلمة وعرفة ولذلك يقلبها الواقف هاء فيقول هيهاه والفها مقلوبة عن ياء لان اصلها هيهية كزلزلة واما المكسورة فجمع المفتوحة واصلها هيهيات فحذفت اللام التى هى الياء الثانية والوقف عليها بالتاء كمسلمات وقيل من نون اعتقد تنكيرها وتصور معنى المصدر النكرة كأنه قيل بعدا بعدا ومن لم ينون اعتقد تعريفها وتصور معنى المصدر المعرفة كأنه قيل البعد البعد فجعل التنوين دليل التنكير وعدمه دليل التعريف ولا يوجد تنوين التنكير الا فى نوعين اسماء الافعال واسماء الاصوات وليس بقياسى يعنى انه ليس لك ان تنون منها ما شئت بل ما سمع تنوينه اعتقد تنكيره وقيل من فتح فى القراءة المتقدمة فالخفة ومن كسر فعلى اصل التقاء الساكنين ومن ضم شبهه بقبل وبعد ومن سكن فلان اصل البناء السكون ومن وقف بالهاء فاتباعا للرسم ومن وقف بالتاء فعلى الاصل سواء كسرت التاء او فتحت لان الظاهر انهما سواء وانما ذلك من تغير اللغات (قوله يموت بعضنا ويولد بعض) اى ليس المراد موت شخص واحد وحياته لانه يستلزم القول بالاعادة والبعث وهم بصدد انكاره ثم انهم لما فرغوا من الطعن فى صحة الحشر بنوا عليه الطعن فى نبوته عليه الصلاة والسلام فجعلوه مفتريا على الله تعالى فيما يدعيه من الرسالة وفيما يعدهم من الحشر والحساب فقالوا ان هو الارجل افترى على الله كذبا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما ايس من ايمانهم دعا الله تعالى فقال رب انصرنى الآية (قوله وماصلة) ذكر فى كلمة ما وجهين احدهما انها مزيدة بين الجار

واستدل به على ان القرن قوم صالح (بالحق) بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق (فجعلناهم غثاء) شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك (فبعدا للقوم الظالمين) يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين) يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ما تسبق من امة اجلها) الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق (وما يستأخرون) الاجل (ثم ارسلنا رسلنا تترى) متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا (كلما جاء امة رسولها كذبوه) اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم (فاتبعنا بعضهم بعضا) في الاهلاك

والمجرور كما زيدت بعد الباء في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وبعد من في قوله تعالى مما خطاياهم وان قليل صفة لمحذوف اي زمان قليل وثانيهما انها غير زائدة بل هي نكرة بمعنى شيء او زمان وقليل صفتها والجار متعلق بقوله ليصبحن اي ليصبحن عن زمان قليل نادمين على قول من يجوز تقديم معمول ما بعد لام القسم عليها ومن لم يجوز ذلك يقول انه متعلق بمحذوف تقديره ننصرك عما قليل حذف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله رب انصرني فالفراء يجوز تقديم معمول ما بعد لام القسم عليها مطلقا وجمهور البصريين يمنع ذلك مطلقا وذهب بعض النحاة الى التفصيل بين الظرف وعديله وبين غيرهما فجوزه فيهما للاتساع ومنع في غيرهما فلا يجوز في والله لاضربن زيدا ان يقال زيدا لاضربن لانه غير الظرف وعديله (قوله واستدل به على ان القرن قوم صالح) فان المشهور في قصتهم ان جبريل عليه الصلاة والسلام صاح بهم صيحة عظيمة فماتوا جميعا واما عاد قوم هود فقد قال الله تعالى في حقهم فاهلكوا بريح صرصر عاتية وان كان المراد بالقرن قوم هود كما قيل فقد روي في قصة عاد انهم لما خرجوا مع شداد عازمين على دخول ارم ذات العماد التي بناها وبلغوا منها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى من كان معه من قومه صيحة من السماء فاهلكتهم اجمعين رواه سفين عن منصور عن ابي وائل عن كعب رضي الله تعالى عنهم وقيل المراد بالصيحة العذاب المستأصل وهو الريح العقيم ههنا قال الشاعر

صاح الزمان بآل قومك صيحة ﴿ خروا لشدتها على الاذقان

(قوله شبههم في دمارهم بغثاء السيل) فان اخص اوصاف الغثاء ان يذهب به السيل فلا يظفروا به ابدا فشبهوا به تشبيها بليغا في ذلك والجعل ههنا بمعنى التصيير وغثاء مفعوله الثاني (قوله متواترين) اشارة الى ان تترى منصوب على انه حال من ارسلنا اي واحدا بعد واحد ومتتابعين على حسب الاختلاف في معناه فعن الاصمعي ان معناه واحدا بعد واحد بينهما مهلة وقال غيره هي من المواترة وهي التتابع من غير مهلة وقال الراغب التواتر تتابع الشيء وترا فرادى قيل انه مصدر واقع موقع الحال والفه للتأنيث لا للالحاق دعوى لان الرسل جماعة (قوله كتولج وتيقور) اصلهما وولج ووقور على فوعل فالتولج كناس الوحش الذي يلج فيه والتاء مبدلة من الواو وهو فوعل لانك لا تجد في الكلام تفعل اسما وفوعل كثير والتيقور بمعنى الوقار والتاء مبدلة من الواو (قوله لان الارسال منه والمجيء اليهم) يعني ان الاضافة وان كانت للملابسة وان الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا الا انه روعيت ملابسة المرسل

(وجعلناهم أحاديث) لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا (فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا) بالآيات التسع (وسلطان مبين) وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات النبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي (الى فرعون وملئه فاستكبروا) عن الايمان والمتابعة (وكانوا قوما عالين) متكبرين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله ﴿٢٩٥﴾ بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر و هذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن العلم والفكر في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد (وقومهما) يعني بني اسرائيل (لنا عابدون) خادمون منقادون كالعباد (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغرق في بحر قلزم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (لعلهم) لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم (يهتدون) الى المعارف والاحكام (وجعلنا ابن مريم وامه آية) بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما الى ربوة) ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر

مع فعل الارسال وملابسة المرسل اليه مع فعل المجيء لكون الارسال منه والمجيء اليهم (قوله تعالى وجعلناهم احاديث) اي اخبارا يسمر بها ويتعجب منها اي بلغ اهلاكهم مبلغا صاروا معه اخبارا ولم ير منهم عين ولا اثر ولم يبق منهم الا الحديث الذي يذكر ويعتبر به (قوله لانه في حكم المصدر) حيث يوصف به الواحد والجمع والاثنان والمذكر والمؤنث كغيره قال تعالى انكم اذا مثلهم وقال ومن الارض مثلهن فأتوا بسورة من مثله (قوله لا يعود عليهم الفكر برادة) اي بفائدة وعائدة يقال هذا الامر لارادة له اي لا عائدة له ولا فائدة وفي بعض النسخ زيادة وهو قريب من الاول (قوله بولادتها اياه من غير مسيس) يعني انه تعالى جعل عيسى عليه الصلاة والسلام آية بان خلقه من غير ذكر وانطقه في المهد في الصغر واجرى على يده ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وجعل مريم ايضا آية بان حملته من غير ذكر وقال الحسن رضي الله تعالى عنه تكلمت مريم في صغرها حيث قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلقم ثديا قط وذلك اما معجزة لزكريا عليه الصلاة والسلام او كرامة لمريم او ارهاص لعيسى عليه الصلاة والسلام الا انه تعالى افرد آية ولم يقل آيتين لانه لم يرد ان كل واحد منهما آية على حدة بل المراد بيان انهما آية واحدة من جهة الولادة لانه عليه الصلاة والسلام ولد من غير ذكر وولدته امه من غير ان يمسها ذكر فاشتركا جميعا في هذا الامر العجيب الناقض للعادة فهو امر واحد مضاف اليهما فلذلك افرد آية (قوله تعالى وآويناهما) اي جعلناهما يأويان الى ربوة ويتخذانها مأوى لهما

(ذات قرار) مستقر من ارض منبسطة ، وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها (ومعين) وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد فى الشئ او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات) نداء وخطاب لجميع الانبياء لاعلى انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا فيكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة طيبات الانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات

والربوة المكان المرتفع بالحركات الثلاث فى الراء ومثلها الرباوة بالكسر والضم قيل هى ارض بيت المقدس وهى اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا (قوله مستقر من ارض منبسطة) فسر القرار بالمستقر وهو موضع الاستقرار ثم بين المستقر بقوله من ارض منبسطة اى مستوية تصلح لاستقرار المستقرين فيها ثم قيل ان المراد بكون الربوة ذات قرار انها ذات ثمار وماء فعلى هذا تكون كناية لان كون الموضع ذا ثمار وماء يستلزم كونه مستقرا للمستقرين فاطلق اللازم وهو كونها ذات قرار اى ذات مستقر واريد الملزوم وهو كونها ذات ثمار وماء فعلى هذين الوجهين القرار بمعنى المستقر ولكن الوجه الثانى بطريق الكناية والوجه الاول بطريق التصريح اى من غير كناية (قوله فعيل من معن الماء او مفعول من عانه) يعنى اختلف فى ان ميم معين هل هى زائدة واصله معيون اى مبصر بالعين فاعل اعلال مبيع يقال عانه اذا ادركه بعينه كما يقال رأسه اذا اصاب رأسه وكبده اذا ضرب كبده ومعين فى الآية الكريمة صفة موصوف محذوف اى وماء معين مدح الربوة بان ماءها جار طاهر على وجه الارض بحيث يدرك بالعيون وقيل ميمه اصلية ووزنه فعيل مشتق من المعن وهو الجرى مع الاسراع والابعاد يقال معن الفرس اذ تباعد فى عدوه وامعن بحق فلان اذا ذهب به ورجل معين فى حاجته اى مسرع فى طلبها فكل راجع الى معنى الجرى والسرعة وقيل انه مشتق من الماعون الذى يتعاونه الناس فى العادة كالفأس والقدر الجوهرى الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما ويسمى الماء ماعونا قال الشاعر يمج صبيره الماعون صبا * اى الماء والصبير السحابة البيضاء والماعون فى الجاهلية كل منفعة وعطية وفى الاسلام الطاعة والزكاة والمنفعة موضع النفع وهو ما ينتفع به كالمأسدة والمسبعة فانهما اسمان لموضع الاسد والسبع وقيل المعن السهل الذى ينقاد ولا يتعاصى والماعون مسهل على معطيه قيل سبب ايوائهما الى ربوة انها فرت بابنها عيسى عليه الصلاة والسلام الى الربوة وبقيت بها اثنتى عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى اهلها بعد ما مات ملكهم وههنا آخر القصص ولما ختمهما ببيان ان الله تعالى هيأ لعيسى عليه السلام اسباب التنعم بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اباحة الطيبات لم تكن فى حقه عليه الصلاة والسلام خاصة بل هى شرع قديم نودى وخوطب بها كل نبى فى زمانه ليعلم السامع ان امرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه وليس يا ايها الرسل خطابا مع كل الرسل دفعة لان ذلك غير ممكن بناء على انهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة فلا يمكن

(توجيه)

أو حكاية لما ذكر لعيسى وأمه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافى ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل (واعملوا صالحا) فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم (انى بما تعملون عليم) فأجازيكم عليه (وان هذه) اى ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف (امتكم امة واحدة) ملتكم ملة واحدة اى متحدة فى العقائد واصول الشرائع اوجماعتكم جماعة (٢٩٧ ﴾ واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ونصب امة على الحال (وانا ربكم فاتقون) فى شق العصا ومخالفة الكلمة (فتقطعوا امرهم بينهم) فتقطعوا امر دينهم وجعلوه أديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها اولها (زبرا) قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة ويؤيده القرآءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل (كل حزب) من المتحزبين (بما لديهم) من الدين (٣٨) (فرحون) معجبون معتقدون (انهم على الحق (فذرهم فى غمرتهم) فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم (حتى حين) الى ان يقتلوا او يموتوا (أيحسبون انما نمدهم به) ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم (من مال وبنين) بيان لما وليس خبرا له فانه غير مناسب عليه وانما لما عليه عساهم ان ذلك خيرهم فخبره (نسارع لهم فى الخيرات) والراجع ضمير محذوف والمعنى أيحسبون ان الذين نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم (بل لا يشعرون) بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة فى الخير

توجيه الخطاب اليهم جميعا دفعة (قوله او حكاية لما ذكر لعيسى عليه الصلاة والسلام وامه) عطف على قوله بل على معنى ان كلا منهم خوطب به فى زمانه من حيث المعنى فان المراد منه ان هذا الكلام ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على وجه الحكاية وانما ألقى عليه ابتداء تنبيها له عليه الصلاة والسلام على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة ثم جوز ان يكون ذلك على وجه الحكاية كانه قيل وآويناهما الى ربوة واعلمناهما انا نادينا كل رسول فى زمانه وخاطبناه (قوله اى ولان هذه) قرأ ابن عامر وحده وان هذه بفتح الهمزة وتخفيف النون والكوفيون بكسرها وتشديدها والباقون بفتحها والتثقيل وذكر المصنف رحمه الله تعالى فى توجيه قرآءة الباقين ثلاثة اوجه الاول انها مبنية على حذف لام التعليل اى ولان هذه والثانى ان فى الكلام حذفا تقديره واعلموا ان هذه امتكم والثالث انها معطوفة على قوله بما تعملون اى انى عليم بما تعملون وبأن هذه امتكم وعلى قرآءة ابن عامر انها هى المخففة من الثقيلة ولا بد من توجيه باحد الوجوه الثلاثة المذكورة فى توجيه ان المثقلة (قوله اى متحدة فى العقائد واصول الشرائع) جواب عما يقال اذا كانت شرائعهم مختلفة فكيف تكون ملتهم واحدة (قوله فى شق العصا) اى مفارقة الجماعة يقال شق فلان العصا اى فارق الجماعة (قوله وجعلوه أديانا) كاليهودية والنصرانية ونحوهما وبناء تفعل قد يكون متعديا نحو تقدمه ومنه تقطع ولذلك فسره الجوهرى رحمه الله تعالى عليه بقوله اى قطعوه ثم جوز ان يكون لازما بمعنى تفرقوا وتحزبوا فيكون امرهم منصوبا بنزع الخافض او التمييز ضمير تقطعوا لارباب الامة وزبرا بضم الباء جمع زبور بمعنى الفرقة والطائفة وقيل بمعنى المكتوب من زبره بمعنى كتبه والمعنى جعلوا دينهم الحق الذى هو دين واحد

وهو الاسلام أديانا وان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخر واراد بالكتب ما كتبوه بايديهم لا ما هو المنزل من السماء لانه غير مجهول بجملهم والزبر بفتح الباء جمع زبرة وهي القطعة من الشيء المتخذ من المعدنيات المتجسدة كالفضة والحديد قال تعالى آتوني زبر الحديد استعيرت لامر الدين تشبيها له بها في التعدد والاختلاف ثم ان المفرقين دينهم لما كانوا في نعم عظيمة في الدنيا جاز ان يظنوا ان تلك النعم كالثواب المعجل لهم على اديانهم فبين الله تعالى ان الامر على خلاف ذلك فقال تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين الى آخره وحق ما هذه ان تكتب مفصولة من أن لانها اسمية الا انها كتبت موصولة بها متابعة لمصحف الامام لان المتابعة له سنة في باب الكتابة فان ما موصولة بمعنى الذي وهي اسم ان ونمدهم به صلتها وعائدها ومن مال حال من الموصول او بيان له فيتعلق بمحذوف ونسارع خبر ان والعائد من هذه الجملة الى الاسم محذوف تقديره ونسارع لهم به اوفيه ولا يجوز ان يكون الخبر من مال لان ما اعطاهم الله تعالى وجعله مددا لهم كان من مال فلا يعاب عليهم حسبان ذلك وقوله تعالى بل لا يشعرون اضراب عن الحسبان المستفهم عنه استفهام تقريع وهو اضراب انتقال والمعنى ما ذكر المصنف رحمة الله تعالى عليه من انهم أشباه البهائم لا شعور لهم حتى يتفكروا في ذلك الامداد أهو استدراج ام مسارعة في الخير روى عن يزيد بن ميسرة رضي الله تعالى عنهما قال اوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء أيفرح عبدي ان ابسط له الدنيا وهو ابعد له مني ويجزع ان اقبض عنه الدنيا وهو اقرب له مني ثم تلا قوله تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات (قوله وقرئ يمدهم على الغيبة) باسناد الفعل الى ضمير البارى تعالى وقياسه ان يقرأ يسارع بياء الغيبة ايضا ومن قرأ نمدهم بالنون ويسارع بالياء احتمل ان يجعله مسندا الى ضمير البارى تعالى والى ضمير الموصولة وقرئ نسرع بالنون من اسرع وبالياء ايضا ثم انه تعالى بين صفات من يسارع في الخيرات وذكر لهم اربع صفات فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اى من خوف عذابه حذرون والخوف اسم جنس والخشية اخص منه وهي الخوف لعظمة المخوف منه ولهذا كان استعمال الخشية من الله تعالى اكثر كما ان استعمال الخوف في حق العباد اكثر واغلب والشفقة ايضا اخص من الخوف لانها عبارة عن الخوف مع الرقة والرحمة في حق المخوف عليه كشفقة الام على ابنها ولما قال خافت الام اوحشت على ولدها بل يقال اشفقت وشيء من هذه المعاني قول من قال

اخشى من الغير يوما ان يلم بها ۞ ويكشف الستر عنها على وصم

تهوى حياتي واهوى موتها شفقا ۞ والموت اكرم نزال على الحرم

وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول (ان الذين هم من خشية ربهم) من خوف عذابه (مشفقون) حذرون (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون)

(والمصنف)

بتصديق مدلولها (والذين هم بربهم لا يشركون) شركا جليا ولا خفيا (والذين يؤتون ما آتوا) يعطون ما اعطوه
من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اى يفعلون مافعلوه من الطاعات (وقلوبهم وجلة) اى خائفة ان لايقبل منهم
وان لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به ﴿ ٢٩٩ ﴾ (انهم الى ربهم راجعون) لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم
اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم
اولئك يسارعون فى الخيرات
يرغبون فى الطاعات اشد
الرغبة فيبادرونها
او يسارعون فى نيل الخيرات
الدنيوية الموعودة على
صالح الاعمال بالمبادرة اليها
كقوله فآتاهم الله ثواب
الدنيا فيكون اثباتا لهم
مانفى عن اضدادهم (وهم
لها سابقون) لاجلها
فاعلون السبق او سابقون
الناس الى الطاعة او
الثواب اوالجنة او سابقونها
اى ينالونها قبل الآخرة
حيث عجلت لهم فى الدنيا
كقوله هم لها عاملون
ولا نكلف نفسا الا وسعها
قدر طاقتها يريد به التحريض
على ما وصف به الصالحين
وتسهيله على النفوس
(ولدينا كتاب) يعنى اللوح
او صحيفة الاعمال (ينطق
بالحق) بالصدق لايوجد
فيه ما يخالف الواقع
(وهم لايظلمون) بزيادة
عقاب او نقصان ثواب
(بل قلوبهم) قلوب الكفرة
(فى غمرة) فى غفلة غامرة لها
(من هذا) من الذى وصف
به هؤلاء او من كتاب الحفظة (ولهم اعمال) خبيثة (من دون ذلك) متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك
(هم لها عاملون) معتادون فعلها (حتى اذا اخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر او الجوع حين
دعا عليهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف

والمصنف رحمه الله تعالى فسر هذا التركيب فى سورة الانبياء اى قوله تعالى وهم من خشيته
مشفقون بقوله وهم من عظمته ومهابته مرتعدون ثم قال واصل الخشية خوف مع تعظيم
ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فاذا عدى بمن تحقق معنى الخوف
فيه وظهر وان عدى بعلى فبالعكس وحمل الخشية ثمة على مجرد عظمة المخوف منه
وحمل الاشفاق منه على كمال الخشية المستلزم لارتعاد الفرائص وماذكره فى هذه
الآية اوفق للمعنى الاصلى حيث اشار الى عظمة المخوف منه باضافته الى الله تعالى
والى الرحمة والاعتناء بشان المخوف بقوله حذرون فان من كان خائفا من عذاب الله
تعالى العظيم وعقابه الاليم كان ملازما لطاعته مجدا فى طلب رضاه والاحتراز
عن معصيته المؤدية الى سخطه وعقابه رحمة على نفسه واعتناء بشانها (قوله
بتصديق مدلولها) لان التصديق بوجود الآيات المنصوبة وهى الموجودات
الدالة على وجود الصانع لايوجب ان يمدح صاحبه وكذا التصديق بوجود
الآيات المنزلة باعتبار التصديق بمدلولها (قوله وجلة اى خائفة) الوجل
ايضا اخص من الخوف لانه خوف يمازجه طمع اى والحال ان قلوبهم بين
خوف الرد ورجاء القبول ثم انه تعالى بين علة ذلك الوجل بقوله انهم الى ربهم
راجعون وقوله اولئك يسارعون فى الخيرات اى خبرات الذى هم من خشيته
والمراد بالخيرات اما طاعتهم واعمالهم الصالحة واما المثوبات الموعودة بادائها
والمعنى على الاول انهم يبادرون الى الطاعات لشدة رغبتهم فيها وعلى الثانى
انهم يسارعون فى نيل ماوعدلهم من المثوبات بمقابلة اعمالهم الصالحة وانما
جعلوا مسارعين اليها لانهم اذا سورع لهم فقد سارعوا فى نيلها واشار بقوله
فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم الى ان الوجه الثانى اوفق لما سبق من قوله
تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين فانه تعالى نفى فى تلك الآية ان يسارع
الكفار الى ان يعجل لهم من ثواب اعمالهم ماهو خير لهم واثبت ذلك لاضدادهم
وهم المؤمنون الذين ذكرت صفاتهم (قوله لاجلها فاعلون السبق)
على ان يكون ضمير لها للخيرات واللام للتعليل وان لا يقدر للسبق مفعول وانما
الغرض الاعلام بوقوع السبق منهم مع قطع النظر الى من سبقوه بخلاف الوجه
الثانى فانه يقدر للسبق مفعول فى ذلك الوجه واللام ايضا للتعليل اى وهم
سابقون الناس لاجلها (قوله او سابقونها) على ان لها مفعول سابقون

فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة (اذاهم يجأرون) فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب (لاتجأروا اليوم) فانه مقدر بالقول اى قيل لهم لاتجأروا (انكم منا لاتنصرون) تعليل للنهى اى لاتجأروا فانه لاينفعكم اذلا تمنعون منا اولايلحقكم نصر ومعونة من جهتنا (قد كانت آياتى تتلى عليكم) يعنى القرآن (فكنتم على اعقابكم تنكصون) ﴿ ٣٠٠ ﴾ تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى (مستكبرين به) الضمير للتكذيب اوللبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنى عن سبق ذكره اولآياتى فانها بمعنى كتابى والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين اولان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله (سامرا) اى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر وسمارا (تهجرون) من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة اوالهذيان اى تعرضون عن القرآن اوتهذون فى شانه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثانى قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة (افلم يدبروا القول) اى القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله (ام جاءهم مالم يات آباءهم الاولين) من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله (كانه) فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه (ام لم يعرفوا رسولهم) بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء (فهم له منكرون) دعواه لاحد هذه الوجوه اذلاوجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا اوظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او بحسب الشخص او بحث

والـلام زائدة فى المفعول لتقوية العمل وحسن زيادتها شيأن لو انفرد كل واحد منهما لاقتضى الجواز كون العامل فرعا وتقدم معموله عليه كما فى قوله هم لها عاملون اى عاملون اياها وكقولك هو لزيد ضارب اى ضارب زيدا ثم اشار الى ان جميع ماوصف به السابقون من الخصال الاربع داخل فى وسع الانسان وطوقه غير خارج عنه وكذا كل ماكلف به عباده وان اعمال العباد كلها مثبتة فى الكتاب فلايضيع لعامل جزاء عمله ثم انه تعالى عاد الى ذكر الكفار بقوله قلوبهم فى غمرة من هذا الذى وصف به المؤمنون السابقون الى الخيرات ولهم اعمال من دون ذلك الذى ذكر من اعمال المؤمنين وقيل غفلتهم وجهلهم وقيل المراد اعمالهم التى هم عليها فى الحال وقيل بل هو اخبار من الله تعالى عما سيعملونه من اعمالهم الخبيثة التى كتب عليهم لابد ان يعملوها وحتى فى قوله تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم غاية غمرتهم واعمالهم التى يعملونها وبعدها جملة شرطية جزاؤها اذاهم يجأرون واذا الثانية تنوب عن الفاء اى فهم يجأرون والمعنى الاخبار بانهم لاينتهون عن حالهم المذكورة الى ان يأخذ الله متنعميهم ورؤساءهم بالعذاب والجؤار رفع الصوت بالاستغاثة والصراخ لشدة ماتاهم والسنين جمع السنة وهى الجدب (قوله اذ لاتمنعون منا) اى لايمنعكم الجؤار والاستغاثة لايخلصكم منا اى من عذابنا على ان تكون كلمة من صلة لاصل المعنى معنى النجاء والحفظ وعلى الثانى تكون ابتدائية ثم انه تعالى بين السبب فى ان لاينفعهم ذلك بقوله تعالى قد كانت آياتى تتلى عليكم (قوله فانها بمعنى كتابى) ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا فضمن الاستكبار معنى التكذيب فعدى تعديته وهو معنى قوله والباء متعلقة بمستكبرين الخ ثم جوز ان لاتكون الباء للتعدية بل تكون للسببية ويكون المعنى مستكبرين على المسلمين بسبب القرآن واستماعه واصل السمر ظل القمر لسمرته لانهم يجلسون فيه بالليل فيتحدثون ويجوز ان تكون الباء فى به متعلقة بقوله سامرا اى يسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وكان سمرهم حول البيت عند ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك وسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله وهو فى الاصل مصدر)

كانه بيان لوجه افراده سامرا مع انه حال من ضمير مستكبرين قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه السامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقال الزجاج السامر الجماعة الذين يتحدثون ليلا على تقدير ان يتعلق به بقوله سامرا قدم عليه لانه لما كانت عامة سمرهم بذكره صاروا كانهم لايسمرون الا به * وقرأ العامة تهجرون بفتح التاء وضم الجيم من الهجر بفتح الهاء وقد يكون بمعنى الهجران والترك والقطع اى تهجرون آيات الله ورسوله وتزهدون فيهما ولا تصلونهما وقد يكون بمعنى الهذيان بان يقال هجر المريض هجرا اذا هذى والهجر بضم الهاء اسم بمعنى القول القبيح يقال هجر يهجر هجرا بالفتح وهجر واهجر فى منطقه اذا قال قولا قبيحا والاسم منه الهجر بالضم وقرئ تهجرون جميعا اى قرئ تهجرون وتهجرون ثم انه تعالى لما وصف حال الكفرة الذين قرعوا ونهى ردعليهم بان بين ان اقدامهم على هذه الجهالة والضلالة لابد ان يكون لاحد امور اربعة احدها ان لايتأملوا فى دليل نبوته وهو القرآن المعجز الذى يستلزم التدبر فيه معرفة الصانع ووحدانيته وجميع مايجب على المكلف فى باب الاعتقاد والعمل ولم يتدبرون فيه ليتركوا الباطل ويرجعوا الى الحق وثانيها ان يعتقدوا ان بعثة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم امر غريب لم يسمع ولم ير من الامم السالفة وليس كذلك لانهم قد عرفوا بالتواتر ان الرسل كانت ترسل الى الامم على سبيل التتابع ويثبت كل واحد منهم ماادعاه من الرسالة باظهار المعجزات وكانت الامم بين مصدق ناج ومكذب هالك بعذاب الاستئصال وانما دعاهم الى ذلك عدم تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام وثالثها ان لايكونوا عالمين بامانة مدعى الرسالة وصدقه قبل ادعائه للنبوة وليس كذلك فانهم عرفوا انه عليه الصلاة والسلام قبل ادعائه الرسالة كونه فى نهاية الامانة والصدق والتنزه عن الكذب والاخلاق الذميمة فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على تسميته بالامين الصادق ورابعها ان يعتقدوا فيه الجنون فيقولون انه حمله على ادعائه الرسالة جنونه وهذا ايضا ظاهر الفساد لانهم كانوا يعلمون بالضرورة انه اعقل الناس والمجنون كيف يمكنه ان يأتى بمثل ماأتى به من الدلائل القاطعة والشرائع الكاملة ثم انه تعالى لما ذكر منى ضلالتهم وبين فساده قال بل جاءهم بالحق اى ليست ضلالتهم مبنية على شئ من هذه الامور بل انه عليه الصلاة والسلام جاء بالحق وهو القرآن ولم يوافق اهواءهم وما نشأوا عليه من التقليد واتباع الشهوات فلذلك كرهوه ولم يقبلوه قول المصنف رضى الله تعالى عنه اذا ظهرا تنقطعه بحسب النوع ناظر الى قوله تعالى ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين وقوله او الشخص ناظر الى قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم وقوله او بحث عما يدل عليه ناظر الى قوله تعالى افلم يدبروا القول

عما يدل عليه أفضى ما يمكن فلم يوجد (ام يقولون به جنة) فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا (بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون) لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر

لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه واذلة فطنته وعدم فكرته لالكراهته للحق (ولو اتبع

اى افلم يدبروا ما جاءهم من القول وهو القرآن العظيم (قوله لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا عن توبيخ قومه) ان يقولوا ترك دين آبائه لا كراهة للحق كما حكى عن ابى طالب فانه لم يقبل الحق ولم يتدين به مع انه يعرف بقلبه حقيته ويقر بلسانه لكنه لم يقبل ذلك لمانع على زعمه ويدل عليه قوله حين اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سوأ

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ﴿ حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بامرك ماعليك غضاضة ﴿ وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتنى وزعمت انك ناصحى ﴿ ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه ﴿ من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة اوحذار مسبة ﴿ لوجدتنى سمحا بذاك يقينا

وقد اقر ابو طالب بانه عليه الصلاة والسلام خير فتيان قريش فى الفضائل الانسانية فى الخطبة التى خطبها فى تزويج خديجة رضى الله تعالى عنها وقد حضر معه بنوا هاشم ورؤساء مضر وهى قوله الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل واصطفانا من عنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى من قريش الا رجح عليه فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل وامر حائل ومحمد من عرفتم له قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وذكر لها من الصداق ماعاجله وآجله من مالى وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل كذا ذكره صاحب الكشاف فى اواخر سورة آل عمران (قوله كما سبق تقريره) وهو قوله انهما لو تفقت فى المراد لتواردت علل مستقلة على معلول واحد وان تخالفت فيه لتفاوتت منه (قوله وهو على اصل المعتزلة) اى القول بانه تعالى لو اتبع اهواءهم لخرج عن الالوهية مبنى على اصل من يقول الحاكم بحسن الاشياء وقبحها هو العقل وان ما يستحسنه العقل يجب عليه تعالى فعله وان ما يستقبحه يجب عليه تركه والمتابعة لما يشتهيه الكفرة تنافى الالوهية على زعمهم (قوله تعالى بل اتيناهم بذكرهم) متصل بقوله واكثرهم للحق كارهون اذليس فيما جاءهم به مايكرهونه بل هو ذكرهم اى وعظهم اووصيتهم اى شرفهم وفخرهم كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك اى شرف لك ولقومك لكونه بلسانكم ولغتكم ثم انه تعالى وبخ الكفرة بوجه آخر على عدم اجابتهم الى دعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وانكر عليهم اولا بقوله تعالى افلم يدبروا القول وهو استفهام بطريق الانكار اى لم يتذكروا ليعلموا انه حق فيؤمنوا به فيحصل لهم سعادة الدارين ثم اضرب عن هذا

الحق اهواءهم) بان كان فى الواقع آلهة شتى (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) كما سبق تقريره فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل او اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ماقام به العالم فلا يبقى اولو اتبع الحق الذى جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اهواءهم وانقلب الحق شركا لجاء الله بالقيامة واهلاك العالم من فرط غضبه اولو اتبع الله اهواءهم بان انزل مايشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة (بل اتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم اووصيتهم او الذكر الذى تمنوه بقولهم وان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم (فهم عن ذكرهم معرضون) لايلتفتون اليه (ام تسألهم) قيل انه قسيم قوله ام به جنة (خرجا) اجرا على اداء الرسالة (فخراج ربك) رزقه فى الدنيا اوثوابه فى العقبى (خير) لسعته

ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ماتخرجه الى غيرك والخراج غالب (الاستفهام)

في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج حمزة والكسائي خراجا فخراج للمزوجة (وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة على استقامته ﴿٣٠٣﴾ لاعوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه ألزمهم الحجة وأزاح العلة في هذه الآيات بان حصر اقسام مايؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ماعدا كراهة الحق وقلة الفطنة (وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط) عن الصراط السوى (لناكبون) لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه (ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر) يعنى القحط (للجوا) لثبتوا واللجاج التمادى في الشئ (في طغيانهم) افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين (يعمهون) عن الهدى روى انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت (ولقد اخذناهم بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر (فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعنى الجوع فانه اشد من الاسر والقتل (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك أعتاهم يستعطفك

الاستفهام الانكاري الى استفهام انكاري آخر فقال تعالى ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين اى بل أنكروا الايمان به لما جاءهم مالم يسمعوا شيأ من نوعه فأنكروا ذلك واستبعدوه ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أنكروا الايمان به لانهم لم يعرفوه بالامانة والصدق قبل دعوى الرسالة ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أنكروا ذلك لزعمهم في حقه كونه مجنونا ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أنكروا ذلك لكونه يسألهم على تبليغ الوحي جعلا يعطونه اياه فيثقل عليهم قوله وليس الامر كذلك لان ما يعطيك الله تعالى من الاجر والمثوبة في الدنيا والآخرة خير من اجرهم وفيه مندوحة لك عن عطائهم فلاعذر لهم في الاباء عن قبول قولك البتة (قوله في الضريبة على الارض) وهي مايضرب به الامام على الارض ويضعه بمنزلة الاجرة المضروبة عليها والوجه في كون الخراج مشعرا بالكثرة كثرة الضرب بكثرة الاراضي واما وجه كونه مشعرا باللزوم فايجاب الشارع اياه على اصحاب الاراضي الخراجية ثم انه تعالى لما زيف طريقة القوم اتبعه صحة مادعاهم اليه الرسول واشار الى علة نكوب من عدل عنه فقال تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم ونكره للتعظيم ثم عرفه تعريف العهد في قوله تعالى عن الصراط لناكبون اى لعادلون الناكوب عنه لعدم ايمانهم بالآخرة والنكوب من باب دخل (قوله انشدك الله تعالى والرحم) اى اسألك بالله تعالى وبالرحم وهو قسم استعطاف واسترحام والعلهز طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة وقيل هو القراد مع الصوف كانوا يدقونهما ممتزجين (قوله قتلت الآباء بالسيف) المراد به ما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم حيث قتل منهم سبعون واسر من صناديدهم سبعون وهو جمع صنديد وهو السيد الشجاع وهذه الرواية تدل على ان هذه الآيات مدنية وان ما اصاب قريشا من القحط سبع سنين من دعاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كان بعد الهجرة وقد ذهب المفسرون الى ان هذه السورة مكية الا ان يقال هذه الآيات مدنية وجعلت السورة مكية باعتبار الاغلب والمعنى لو كشف الله تعالى عنهم هذا الضر برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا الانكسار والتملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على عتوهم

(وهو الذى انشألكم السمع والابصار) لتحسوا بها ما نصب من الآيات (والافئدة) لتتفكروا

فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية (قليلا ما تشكرون) تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتأكيد (وهو الذى ذرأكم فى الارض) خلقكم وبثكم فيها بالتناسل (واليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار) ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة او مجازا او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الآخر (أفلا تعقلون) بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين (بل قالوا) اى كفار مكة (مثل ما قال الاولون) آباؤهم ومن دان بدينهم (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا

(لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين) الا اكاذيبهم التى كتبوها جمع اسطورة (ان)

هذه الشرطية بانا اخذناهم بعذاب يوم بدر فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو اشد من الاسر والقتل فابلسوا ساعة ولا خضعت رقابهم فارسلوا اليك اشدهم شكيمة فى العناد يستعطفك واستكان استفعل من الكون ومعناه تحول من كون الى كون كاستحال بمعنى تحول من حال الى حال اى ما تحولوا عن الحال السيئة التى هم عليها الى الحال الحسنة فان باب الاستفعال قد يكون للتحول نحو استحجر الطين ويجوز ان يكون افتعل من السكون اصله استكن فاشبعت الكاف فتولدت منها الالف اى ما استكانوا وما ذلوا وما خضعوا لربهم وما تضرعوا بل مضوا على تمردهم وحتى غاية لنفى الاستكانة والتضرع ثم انه تعالى ذكرهم نعمه التى انعم بها عليهم ليؤدوا بذلك الشكر له عليها لكنه ذكر امهات النعم التى هى السمع والبصر والفؤاد التى بها يتوصل الى معرفة كل نافع وضار وكل طيب وخبيث واخبر الله تعالى انه اعطاهم ما يعرفون به النافع من الضار والطيب من الخبيث مشاهدة وسمعا وعلما به يميزون بعض الاشياء ويختارون ما هو المختار عندهم ليتأدى بذلك شكره وشكر كل نعمة استعمالها فى طاعة المنعم وعبوديته كاستعمال الحواس فى استبصار ما نصب من الآيات واشتغال القلب فى تفكر تلك الآيات والاستدلال بها على ما يجب عليهم من الاستكمال والتحلى بالكمالات العلمية والعملية وادرج فيه توبيخا لهم بان شكرهم قليل كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور فقال تعالى وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقليلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف وما مزيدة للتأكيد اى حقا انكم تشكرون شكرا قليلا وقيل ليس المراد ان لهم شكرا قليلا بل هو من قبيل قولك للكفور الجاحد للنعمة ما اقل شكر فلان للنعمة ثم بين كمال قدرته وقوة سلطانه بقوله تعالى وهو الذى ذرأكم فى الارض ونبه على انه ما خلقهم عبثا وانما خلقهم للبعث بعد الموت والحشر اليه فان خلق الخلائق وتكليفهم بالاوامر والنواهى لمجرد ان ينتهى حالهم الى الموت والفناء من غير ان يميز بين المطيع والعاصى عبث واجب تبارك الله تعالى شأنه عن امثاله علوا كبيرا ثم فصل دلائل قدرته على البعث بقوله تعالى وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار فان من ملك وقدر على احياء الموتى واماتة الاحياء لقادر على البعث والاعادة فان من قدر على انشاء الليل بعد ما ذهب ثم النهار وانشاء النهار بعد ما ذهب ثم الليل لقادر على البعث [illegible] ثم قال أفلا تعقلون أن من قدر على ذلك لقادر على البعث والجزاء بعد ما صرتم ترابا وعظاما فكيف تشركون غيره فى عبادتكم اياه وتصرفون الشكر الى غيره فيما انعم عليكم ثم قال تعالى بل قالوا مثل ما قال الاولون اى لم يعتبروا ذلك ولم يتدبروا فيه ليعلموا

ان من قدر على هذه الاشياء قدر على بعث الموتى فلا يستبعد ذلك بل قالوا مثل ماقال اسلافهم أئذامتنا وصرناترابا وعظاما أنبعث وهذ محال (قوله لانه يستعمل فيما يتلهى به) علة لكونه جمع اسطورة بالضم ووجه الاستدلال ان بناء افعولة يجئ لما فيه التلهى والسخرية نحو اضحوكة واعجوبة واحدوثة والكفار كانوا يقولون ذلك بطريق التلهى والطعن فى القرءآن فيكون الانسب لهذا المقام جعله جمع اسطورة ثم امر الله تعالى رسوله ان يسألهم مايلزمهم الاقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فأجيبونى عما اقول لكم ثم اخبر عن جوابهم بقوله تعالى سيقولون لله قل أفلا تذكرون اى أفلا تتعظون بعد هذا الاعتراف فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق حقيقا بان لايشرك به بعض خلقه فى الربوبية واستحقاق العبادة لان المستحق لها هو الرب الخالق دون الرب المربوب المخلوق الذى لايضر ولا ينفع فقوله تعالى أفلا تذكرون معناه الترغيب فى التدبر ليعلموا بطلان ماهم عليه قال تعالى اولا أفلا تذكرون ثم قال تعالى بعده أفلا تتقون لانهم بتذكرهم يصلون الى المعرفة وبعد ان يعرفوه يعلمون انه يجب عليهم اتقاء مخالفته ووجوب طاعته وفى قوله تعالى سيقولون لله اشارة الى انهم لايجدون بدا من ان يقولوا لله ويعترفوا به لانهم لو انكروا ذلك جهلهم النبى صلى الله عليه وسلم فيظهر جهلهم عند كل الخلائق فلما اضطروا الى الاعتراف بذلك توجه عليهم الالزام بان يقال لهم فاذا عرفتم بان ذلك كله لله تعالى وهو خالقكم فكيف تركتم طاعته وخالفتم امره وانا لاادعوكم الا الى ان توحدوه وتخلصوا العبادة له تعالى وعلى هذا الاسلوب قوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله اى لا بد لهم من ان يقروا بذلك فقل لهم اذا عرفتم ذلك واقررتم به افلا تتقون مخالفته وامر نقمته وكذلك قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شئ الآية ذكر اولا الارض ومن فيها ثم ترقى الى ذكر ماهو اعظم من ذلك وهو السموات السبع والعرش العظيم ثم ذكر مايعم الموجودات باسرها واختصاصه بملكوته والملكوت الملك زيدت التاء فيه للمبالغة فيتناول الملك والملك وقيل المعنى خزائن كل شئ وقيل ملكوت كل شئ روحه الذى هو من عالم الملكوت وذلك الشئ قائم به يسبح الله تعالى كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم وروح ذلك الشئ بيد الله تعالى (قوله تعالى سيقولون لله) ذكر فى هذا الموضع ثلاث مرات اما الاولى فاللام باتفاق القرآء جميعهم واما الثانية والثالثة فقد قرئتا بوجهين سيقولون لله والله فمن قرأ الله على لفظ السؤال لانك لوقلت من رب الدار يقال فى جوابه زيد ومن قرأ لله

لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم اومن العالمين بذلك فيكون استهانة لهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلى الواضح والزاما بما لايمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال (سيقولون لله) لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها (قل) اى بعد ماقالوه (أفلا تذكرون) فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدأ الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) فانهما اعظم من ذلك (سيقولون لله) وقرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على مايقتضيه لفظ السؤال (قل أفلا تتقون) عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته (قل من بيده ملكوت كل شئ) ملكه غاية مايمكن وقيل خزائنه

(وهو يجير) يغيث من يشاء ويحرسه (ولا يجار عليه) ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة (ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون) فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة (بل أتيناهم بالحق) من التوحيد والوعد بالنشور (وانهم لكاذبون) حيث انكروا ذلك (ما اتخذ الله من ولد) لتقدسه عن مماثلة احد (وما كان معه من اله) يساهمه في الالوهية (اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب وظهر التغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ واللازم باطل بالاجماع والاستقرآء وقيام البرهان ﴿٣٠٦﴾ على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد (سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده (عالم الغيب والشهادة) خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو و يعقوب و حفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه (فتعالى عما يشركون) بالفاء (قل رب اما تريني) ان كان لابد من ان تريني لان ما والنون للتأكيد (ما يوعدون) من العذاب في الدنيا والآخرة (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شؤم الظلمة قد يحيق بما ورآءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة (للسؤال) ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزآء به فضل تضرع وجؤار (وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون) لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزآء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة (ادفع بالتي هي احسن السيئة) وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل (نحن اعلم بما يصفون) اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك بخلاف حالك واقدر على جزآئهم فكل الينا امرهم

فقد حمل الجواب على معنى السؤال لان قولك من رب الدار معناه لمن الدار قال الشاعر

اذا قيل من رب السنان بموقف * ورب الجياد الجرد قيل لخالد

وفي الكواشي الثاني والثالث في جميع المصاحف بغير الف كالاول الا في مصحف البصريين فانهما وجدا بالف فيه (قوله تعالى وهو يجير) اي يؤمن من يشاء من الخائفين و يمنعه من السوء ولا يجار عليه اي لا يؤمن من اخاف الله تعالى ولا يمنع منه من اراده بسوء وقوله تعالى سيقولون لله لا يناقض قوله اولا ان كنتم تعلمون لانه تعالى انما قال ذلك اولا استهانة لهم و يجوز في حقهم ان يجهلوا مثل هذا الظاهر لفرط جهالتهم بالديانات وذلك يستلزم انتفاء علمهم بذلك (قوله فمن اين تخدعون) يعني ان قوله فأنى بمعنى فمن اين وقوله تعالى تسحرون استعارة تبعية بمعنى تخدعون شبه الانخداع بالمسحورية في الدلالة على اختلال العقل فاستعير له اسم المسحورية والخادع هو الشيطان والهوى ثم قال تعالى بل أتيناهم بالحق اي ليس انخداعهم لقصور البيان من قبلنا بل أتيناهم بالحق وما تبين به الرشد من الغي وانهم لكاذبون فيما يدعونه من الشرك والولد وانكار البعث ونحو ذلك مما يخالف ما أتيناهم به من الحق ثم صرح في جملة ما كذبوا بابادة قول بعض الكفار الملائكة بنات الله تعالى وزعم آخرين ان الاصنام آلهة وتكذيبهم فيهما بقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ولما ورد ان يقال كلمة اذن لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف دخلت على قوله لذهب كل اله بما خلق ولم يتقدمها شرط ولا سؤال سائل حتى تقع جزآء للشرط او جوابا

(وقل رب اعوذبك من همزات الشياطين) وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصى بهمز الراضة الدواب على المشى والجمع للمرات اولتنوع الوساوس اولتعدد المضاف اليه (واعوذبك رب ان يحضرون) ويحوموا حولى فى شئ من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقرآءة القرءآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه (حتى اذا جاء احدهم الموت) متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون (قال) تحسرا على ما فرط منه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر (رب ارجعون) ردونى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفا واطرقا (لعلى اعمل صالحا فيما تركت) فى الايمان الذى تركته اى لعلى آتى بالايمان واعمل فيه وقيل فى المال اوفى الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله

للسؤال اشار الى دفعه بقوله جواب محاجتهم وجزآء شرط حذف وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد وان كان دليلا على بطلان الملزوم الذى هو ان يكون معه آلهة الا ان المصنف رحمه الله تعالى جعله دليلا على بطلان اللازم وهو ان يستبد كل اله بما خلق وان يقع بينهم التحارب والتغالب بناء على ان مايدل على بطلان الملزوم يدل على بطلان اللازم وذكر الله تعالى امرين احدهما قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وثانيهما وما كان معه من اله واستدل عليهما بدليل واحد لان انتفاء تعدد الالهة يستلزم انتفاء الولد لانه تعالى لو اتخذ ولدا لكان ذلك الولد الها اذ الولد من جنس الوالد ومن جوهره واذا كان الها لذهب اذا كل اله بما خلق اى لانفرد واستبد بخلقه وبطلان اللازم يستلزم بطلان الملزوم (قوله واصل الهمز النخس) اى الطعن يقال نخسه بعود اى طعنه اذ النخس هو الطعن والهمز والمهماز حديدة تكون فى مؤخر خف الرائض وراثض الفرس الصعب من اذلها وازال صعوبتها (قوله والجمع للمرات) يعنى ان الهمزات جمع همزة لاجمع همز حتى يقال انه مصدر فكيف يجمع ويجوز ان يكون الجمع لقصد الانواع من الوساوس اولتعدد المضاف اليه فان الهمز الواقع من جماعة الشياطين يمتنع ان يكون همزا واحدا (قوله متعلق بيصفون) يعنى ان حتى غاية لقوله عما يصفون او لقوله وانهم لكاذبون اى لايزالون على سوء الذكر والكذب الى هذا الوقت وهو وقت حضور الموت للكافر ولم يقل او بكاذبون لانه لايصح ان يكون متعلقا لحتى لعدم دلالته على الاستمرار بخلاف الجملة الاسمية فانها تدل عليه كما يدل عليه يكذبون ويصفون (قوله والواو) اى فى قوله ارجعون مع ان الخطاب للواحد وهو الرب تعالى لتعظيم المخاطب كما فى قوله

فان شئت حرمت النساء سواكمو ❊ وان شئت لم اطعم نقاخا ولابردا

وقال المازنى فى قوله ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد معناه ألق ألق ثنى الضمير للدلالة على تكثير الفعل اى تكريره مرتين فيكون جمعه ههنا للدلالة على تكريره ثلاث مرات فاخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا الآية (قوله وقيل فى المال اوفى الدنيا) فالمعنى على الاول لعلى اعمل صالحا فيما تركت فأدى حقوق الله تعالى فيه واتقرب به الى الله كما قال لولا اخرتنى الى اجل قريب فأصدق وعلى الثانى فى الموضع الذى تركته وهو الدنيا يقول انى تركت فيها التوحيد والطاعة فردونى اليها اعمل الطاعة والتوحيد فيها (قوله

وأما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها (انها كلمة) يعني قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض (هو قائلها) لامحالة لتسلط الحسرة عليه (ومن ورائهم) امامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجعة (الى يوم يبعثون) يوم القيامة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة (فاذا نفخ في الصور) لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد أن الصور ايضا جمع الصورة (فلا أنساب بينهم) تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها (يومئذ) كما يفعلون اليوم (ولا يتساءلون) ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون

واما الكافر فيقول رب ارجعون) يدل على ان خطاب ارجعون للملائكة لوقوعه في جواب قولهم أنرجعك الى الدنيا فيكون ذكر الرب للقسم فكأنهم قالوا عند معاينة الموت بحق الرب ارجعون وقال الامام النسفي رحمة الله عليه يستغيث أولا بالله تعالى فيقول رب ثم يقول للملائكة الذين حضروه ليقبضوا الروح ارجعون اي ردوني الى الدنيا (قوله والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق كلمة قالها لبيد

الا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وقوله تعالى هو قائلها صفة لكلمة اي انها كلمة لا يسكت هو عنها البتة لاستيلاء الحسرة والندم عليه وهو قائلها بلسانه لا تنفعه ولا يجاب اليها وذلك لان التركيب من باب انا عارف فان اعتبر أن هو مبتدأ وقائلها هو الخبر فهو من باب تقوى الحكم فيكون المعنى هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه (قوله أمامهم) يعني ان لفظ وراء مشتق من توارت عنك اذا استترت واختفيت عنه فكل ما توارى عنك سوآء كان امامك او خلفك فهو وراءك والبرزخ في الاصل الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالى وجعل بينهما برزخا والمراد به ما يحول بينهم وبين الرجعة والقبر فانه مانع من الرجوع الى الدنيا (قوله والضمير للجماعة) يعني جمع الضمير في وراءهم بعد التوحيد لشيوع هذا النهي في جنس الكفار وجاء عنهم (قوله وهو اقناط كلي) دفع لما يتوهم من ان ظاهر قوله تعالى الى يوم يبعثون يدل على انهم يرجعون الى الدنيا بعد يوم البعث بناء على ان حكم ما بعد كلمة الغاية مغاير لحكم ما قبلها فلما قيل امامهم برزخ يصدهم عن الرجوع الى يوم يبعثون وفهم منه انهم يرجعون الى الدنيا بعده دفعه بان الكلام يدل على انهم لا يرجعون الى الدنيا اما قبل يوم البعث فلصريح النص واما بعده فلما علم انه لا رجوع بعد يوم البعث الا الى احد المنزلين الجنة او النار ثم انه تعالى لما قال ومن ورآئهم برزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم فقال فاذا نفخ في الصور والمعنى فاذا بعث الناس قيل الصور آلة اذا نفخ فيها يظهر صوت عظيم جعله الله تعالى علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قرن ينفخ فيه وقيل الصور جمع صورة والمعنى فاذا نفخ في الصور كلها ارواحها وهو قول الحسن رضي الله تعالى عنه وكان يقرأ بفتح الواو وضم الصاد وكسرها وقوله بينهم ليس منصوبا بقوله فلا أنساب لان اسم لا اذا بني لا يعمل بل منصوب بعامل محذوف وذلك المحذوف هو العامل ايضا في يومئذ وقوله تنفعهم او يفتخرون بها اشارة الى ان نسب الانسان لا ينقطع يومئذ انما المنقطع فيه

لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار (فمن ثقلت موازينه) موزونات عقائده واعماله اى ومن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والدرجات (ومن خفت موازينه) اى ومن لم يكن له مايكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فأولئك الذين خسروا انفسهم) غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها (فى جهنم خالدون) بدل من الصلة اوخبر ثان لاولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا (وهم فيها كالحون) من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) على اضمار القول اى يقال لهم ألم تكن (فكنتم بها تكذبون) تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) ملكتنا بحيث صارت ﴿٣٠٩﴾ احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائى شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة (وكنا قوما ضالين) عن الحق (ربنا أخرجنا منها) من النار (فان عدنا) الى التكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسأوا فيها) اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ (ولا تكلمون) فى رفع العذاب اولا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون ألف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فيقولون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعى الله وحده فيقولون ألفا يامالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون ألفا ربنا أخرنا الى اجل قريب فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فيقولون ألفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسأوا فيها ثم لايكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء (انه) ان الشان وقرئ بالفتح اى لانه (كان فريق من عبادى) يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائى هنا وفى ص بالضم وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزؤ والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية (حتى انسوكم ذكرى) من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافونى فى اوليائى (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) على اذاكم (انهم هم الفائزون) فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائى بالكسر استئنافا (قال) اى الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى

الانتفاع به والتفاخر (قوله لانه عند النفخة) يعنى ان عدم التساؤل عند النفخة فان اهل البعث فى يوم القيامة مشغولون بانفسهم عن التساؤل وقيل يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة فيتعارفون ويتساءلون فى بعضها ويتحيرون فى بعضها لشدة الفزع وقيل التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا وتعارفوا وتساءلوا وقالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن (قوله واللفح كالنفح) اى فى الدلالة على معنى الهبوب والضرب يقال نفحت الريح اى هبت قال الاصمعى رحمة الله تعالى عليه ورضى عنه ما كان من الرياح نفحا فهو برد وما كان لفحا فهو حر (قوله والكلوح تقلص الشفتين) قيل تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ صدره (قوله وهما مصدرا سخر) تقول سخرت منه وبه اسخر من باب علم سخرا او سخريا وسخريا اذا هزئت به والذى يدل على ان المراد منه الهزؤ قوله تعالى وكنتم منهم تضحكون والضحك انما يلائم السخرية والهزؤ والظاهر انهما لغتان بمعنى واحد (قوله تعالى حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون) اى نسيتموه باشتغالكم بالاستهزاء بهم نسب الانساء الى عباده المؤمنين وان لم يفعلوا ذلك لكونهم سببا فى ذلك كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس لكون الاصنام سببا للاضلال (قوله على الامر) يعنى انهم قرأوا قل كم لبثتم على معنى انه امر للملك او لبعض

على الامر الملك اولبعض رؤساء اهل النار (كم لبثتم فى الارض) احياء اواموانا فى القبور (عدد سنين) تمييز لكم (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) استقصار المدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار اولانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار اولانها منقضية والمنقضى فى حكم المعدوم (فاسأل العادين) الذين يتمكنون من عدايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها اوالملائكة الذين يعدون اعمار الناس و يحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين اى القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون (قال) وفى قرآءة الكوفيين قل (ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم ﴿٢١٠﴾ تعلمون) تصديق لهم فى مقالهم (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا) توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين اومفعول له اى انا لم نخلقكم تلهيا بكم و انما خلقناكم لنعبدكم و نجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث (وانكم الينا لا ترجعون) معطوف على انما خلقناكم اوعبثا وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم (فتعالى الله الملك الحق) الذى يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون حال (لا اله الا هو) فان ماعداه عبيد (رب العرش الكريم) الذى يحيط بالاجرام و تنزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه

ر ؤساء اهل النار ان يسأل اهل النار و يقول كم لبثتم فى الارض احياء واموانا فى القبور الى ان بعثتم و كم فى موضع انصب على ظرف زمان اى كم لهم سنة وعدد بدل من كم قاله ابو البقاء والصحيح ان عدد سنين هو التمييز و المقصود من هذا السؤال هو التبكيت و الالزام لانهم كانوا ينكرون اللبث فى الآخرة رأسا ويقولون لالبث الا فى دار الدنيا و يظنون ان بعد الموت يدوم الفناء ولا بعث بعده ولما حصلوا فى النار وايقنوا دوامها وخلودهم فيها سئلوا كم لبثتم فى الارض تذكيرا لهم ان ما ظنوه دائما طويلا فهو قليل يسير بالاضافة الى ما انكروه فحينئذ يحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه فى الدنيا و يتيقنون خلافه فان قيل كيف يصح ان يقولوا فى الجواب لبثنا يوما او بعض يوم ولا يقع الكذب فى الآخرة فالمصنف رحمة الله تعالى عليه اشار الى جوابه بقوله استقصارا لمدة لبثهم فيها الى آخره وقيل انهم نسوا قدر لبثهم فى الارض لكثرة ماهم فيه من الاهوال وعظم ما هم بصدده من العذاب و يدل عليه قولهم فاسأل العادين اولان المقضى ليس له قدر فى مقابلة الباقى فهو اقل من كل قليل ولهذا صدقهم الله تعالى فى استقلالهم تلك المدة حيث قال ان لبثتم الا قليلا اى زمانا قليلا او لبثا قليلا وجواب لومقدر اى لو انكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما اجبتم بهذه المدة كذا قاله ابو البقاء رحمة الله تعالى عليه يعنى انه تعالى صدقهم فى اصل الاستقلال وجهلهم فى تعيين المدة ثم انه تعالى لما بكتهم فى انكارهم البعث ولبث الآخرة و بخهم على تماديهم فى الغفلة و تركهم النظر الصحيح فيما يدل على حقية البعث والقيامة فانه لولا القيامة لما تميز المطيع من العاصى والصديق من الزنديق فيكون خلق العالم عبثا فقال تعالى افحسبتم انما خلقناكم

بالكرم اولنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب (ومن يدع مع الله الها آخر) يعبده (عبثا) افرادا اواشراكا (لا برهان له به) صفة اخرى لا له لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد و بناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه اواعتراض بين الشرط والجزاء لذلك (فانما حسابه عند ربه) فهو مجازله مقدار ما يستحقه (انه لا يفلح الكافرون) ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل اوالخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال (وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين) * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين

عبثا ثم نزه نفسه عن العبث بقوله فتعالى الله الملك الحق والمراد من الرجوع الى الله تعالى الرجوع الى حيث لامالك ولاحاكم فيه سواه لاالرجوع من مكان الى مكان فيه الله تعالى وذلك ظاهر والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة النور مدنية وهي ستون وآيتان اواربع آيات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

روى الامام الواحدى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله تعالى عنهم قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتنزلوهن الغرف ولاتعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور يعني النساء (قوله اى هذه سورة) على ان سورة خبرمبتدأ محذوف وعلى الثانى هى مبتدأ والخبرمحذوف وانزلناها على التقديرين صفة سورة للمدح والتأكيد بناء على ان الانزال يفهم منها اى السورة لانها اسم لطائفة من القرءآن المنزل علم ابتدآؤها وانقطاعها بالتوقيف فان قلت مافائدة هذا الجمل مع ان كل واحدة من فائدتى الخبر ولازمها منتف فيها فالجواب ان احدى الفائدتين انما تطلب من الكلام الذى يقصد به افادة المخاطب ويكون المتكلم فى صدد الاخبار والاعلام واما الكلام الذى يقصد به الامتنان والمدح والترغيب فلايجب فيه شئ منهما (قوله وفرضنا مافيها) على طريق ذكر المحل وارادة الحال وقال ابوعلى اى فرضنافرائضها المذكورة فيها فحذف المضاف (قوله فتتقون المحارم) اشارة الى ان قوله تعالى تذكرون من تذكر ماعلم قبل لامن التذكر بمعنى الاتعاظ كأنه قيل انزلنا فيها آيات بينات لتعلموها وتذكروها وقت الحاجة اليها قال الامام رحمه الله تعالى عليه فى اول هذه السورة انواع من الاحكام والحدود وفى آخرها دلائل التوحيد فقوله تعالى وفرضناها اشارة الى الاحكام التى بينها اولا ثم قال تعالى وانزلنا فيها آيات بينات اشارة الى مابين فيها من دلائل التوحيد والذى يؤكد هذا التأويل قوله تعالى لعلكم تذكرون فان الاحكام ولسرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها انتهى كلامه وجعل دلائل التوحيد فى قوة المعلوم لمسارعة العقول السليمة الى قبولها والتذاذها على مقدمات مسلمة مركوزة فى القلوب (قوله اى فيما فرضنا) على ان قوله الزانية والزانى مبتدأ حذف خبره ثم بين حكمهما بقوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الآية والفاء فيه لعطف تفصيل المجمل على المجمل كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى فان الفاء العاطفة للمجمل قد تفيد كون المذكور

من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان اولها وآخرها من كنوز الجنة ومن عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وافلح والله اعلم

(سورة النور مدنية وهى ثنتان اواربع وستون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سورة) اى هذه سورة اوفيما اوحينا اليك سورة (انزلناها) صفتها ومن نصبها جعله مفسر الناصبها فلا يكون له محل الااذاقدر اتل اودونك اونحوه (وفرضناها) وفرضنامافيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابوعمرو لكثرة فرائضها اوالمفروض عليهم اوللمبالغة فى ايجابها (وانزلنا فيها ايات بينات) واضحات الدلالة (لعلكم تذكرون) فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الدال (الزانية والزانى) اى فيما فرضنا اوانزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتدآء والخبر(فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) والفاء لتضمنها معنى الشرط إذ اللام بمعنى الذى

بعدها كلا ما مرتبا على ما قبلها فى الذكر لا ان مضمون مابعدها واقع عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان (قوله وقرئ بالنصب) اى على الاضمار على شريطة التفسير و التقدير اجلدوا الزانية و الزانى فاجلدوا كل واحد منهما ودخلت الفاء فى اول الفعل المفسر ايذانا بانه واقع فى موقع جزاء لشرط محذوف والاصل ان اردتم معرفة حكم الزانية و الزانى فاجلدوهما اجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فحذف الشرط اعتمادا على دلالة سياق الكلام عليه وحذف الفعل الاول ثم فسر لكون التفسير بعد الابهام اوقع فى النفس فصار فالزانية والزانى اجلدوا كل واحد منهما ثم قدم المفعول على الفاء ليصير عوضا عن الشرط المحذوف كما ترى (قوله لاجل الامر) فان الفعل الواقع بعد ما اضمر عامله على شريطة التفسير اذا كان امرا او نهيا يختار نصبه حتى تكون الجملة الطلبية فعلية وهى اولى ان امكن اختصاص الطلب بالفعل الا يرى الى اختصاص حرف الطلب بالفعل كحرف الاستفهام والعرض والتحضيض ولو رفع الزانية على الابتدآء لكان فعل الامر خبرا والامر لايقع خبرا الابتأويل وقوله والزان بلاياء اى وقرئ والزان بلا ياء اكتفاء بالكسرة عنها كما فى قوله يوم يدع الداع (قوله والجلد ضرب الجلد) كما يقال رأسه و بطنه اذا ضرب رأسه و بطنه فكذا يقال جلده اذا ضرب جلده والزنى عبارة عن ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم قطعا (قوله وهو حكم يخص من ليس بمحصن) يعنى ان الآية تتناول جميع الزناة والزوانى من المحصن وغيره الا ان ما نقل الينا بطريق التواتر من انه صلى الله عليه وسلم رجم من زنى محصنا خص الآية بغير المحصن فان تخصيص القرءآن بالخبر المتواتر يجوز اتفاقا قال الامام رحمه الله تعالى عليه واحتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن بما ثبت بالتواتر من انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وقال عمر رضى الله عنه اذا طال الزمان على الناس ربما يقول قائل لانجد الرجم فى كتاب الله تعالى فيضل بترك فريضة انزلها الله تعالى وقد قرأنا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخبران الذى فرضه الله تعالى هو الرجم (قوله وزاد الامام الشافعى عليه الخ) وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى عليه يجلد اما التغريب فمفوض الى رأى الناصى وهو الامام واحتج ابو حنيفة على نفى وجوب التغريب بوجوه منها ان ايجاب التغريب يقتضى نسخ الآية ونسخ القرءآن بخبر الواحد لايجوز وقرر النسخ من ثلثة اوجه الاول انه سبحانه وتعالى رتب الجلد على فعل الزنى بالفاء وحرف الفاء للجزاء وقد صرح أئمة اللغة رحمة الله تعالى عليهم بذكر الشرط والجزاء وفسروا الشرط بالذى دخلت عليه كلمة ان والجزاء بالذى دخل عليه حرف الفاء وانما بنى ان الجزاء اسم

وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلاياء وانما قدم الزانية لان الزنى فى الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعى عليه [illegible] الحرية لقوله [illegible] السلام البكر بالبكر [illegible] مائة وتغريب عام [illegible] فى الآية مايدفعه [illegible] احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا

لما تقع به الكفاية مأخوذ من قولهم جزاه اى كفاه وقال صلى الله عليه وسلم
يجزيك ولا يجزى بعدك احدا اى يكفيك ومنه قول القائل اجزيت الابل بالعشب
عن الماء وانما تقع الكفاية بالجلد اذا لم يجب معه شئ يقتضى نسخ كونه كافيا
والثالث ان المذكور فى الآية لما كان هو الجلد كان ذلك هو كمال الحد فلو جعلنا
التغريب معتبرا مع الجلد كان الجلد بعض الحد لا كل الحد فيفضى الى نسخ كونه
كل الحد واجاب عنه المصنف رحمة الله تعالى عليه بانه ليس فى الآية ما يفيد دفع
وجوب التغريب اذليس فيها الا ادخال حرف الفاء على الامر بالجلد واما كون
مدخولها جزاء كافيا فى العقوبة فليس من كلام الله تعالى ولا من كلام رسوله
عليه الصلاة والسلام بل هو قول بعض الادباء فلا يكون حجة وليس فى الآية
الشريفة الاوجوب الجلد وليس فيها ما يدفع شيأ آخر بوجوبه والنسخ المقبول
نسخ الكتاب بالسنة المتواترة والمردود منه نسخه بالآحاد فانه مردود
عند الحنفية رضى الله تعالى عنهم (قوله وله فى العبد ثلاثة اقوال) احدها
تغريب سنة كما فى الحر لان التغريب الايحاش وذلك معنى يرجع الى الطبع
فيستوى فيه الحر والعبد كمدة الايلاء والعنة وثانيها تغريب نصف سنة لقوله
تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والتغريب يقبل التنصيف
والتنصيف كما ينصف الجلد فانه يجلد نصف جلد الاحرار وثالثها انه
لا يغرب كما قال ابو حنيفة رضى الله عنه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت امة
احدكم فليحدها الحد كما وجب عليها ولم يؤمر بالتغريب لان منافعه للسيد فى
تغريبه اضرار بالسيد واعلم ان كون الزنى موجبا للرجم تارة والجلد اخرى مشروط
بالعقل والبلوغ بل هما معتبران فى العقوبات كلها اما كونه موجبا للرجم فلابد فيه
مع العقل والبلوغ من شروط اخر الشرط الاول الحرية واجمعوا على ان الرقيق
لا يجب عليه الرجم البتة كما اجمعوا على ان الامة تجلد خمسين جلدة وكذا العبد
عند الجمهور وقال اهل الظاهر يجلد العبد مائة جلدة كالحر عملا بعموم قوله تعالى
الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما الآية الشرط الثانى التزوج بنكاح
صحيح ولا يحصل الاحصان بالاصابة بملك اليمين وبوطئ الشبهة وبالنكاح
الفاسد الشرط الثالث الدخول ولابد منه لقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب
وانما تصير ثيبا بالوطئ وشرط ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه ان تكون الاصابة
بالنكاح الصحيح بعد البلوغ والحرية والعقل لانه شرط اكمل الاصابات وهو
ان تكون بنكاح صحيح وشرط ان تكون الاصابة فى حال الكمال والاسلام
ليس شرطا فى كون الزنى موجبا للرجم عند الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه
وابى يوسف ايضا وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه هو شرط ايضا واحتج

وله فى العبد ثلاثة اقوال
والاحصان بالحرية
والبلوغ والعقل والاصابة
فى نكاح صحيح واعتبرت
الحنفية الاسلام ايضا
وهو مردود برجمه عليه
السلام يهوديين ولا يعارضه
من اشرك بالله فليس
بمحصن اذ المراد المحصن
الذى يقتص له من المسلم

بان الذمي الذى زنى بعد الاحصان لايجب عليه القتل فبيان الاول قوله صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن وبيان الثاني ان المسلم الذى لايكون محصنا لايجب عليه القتل لقوله عليه الصلاة والسلام لايحل دم امرئ مسلم الا لاحد معان ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل النفس بغير حق ولما لم يكن الذمي محصنا لم يجب قتله باقدامه على الزنى واجاب المصنف رحمة الله تعالى عليه عن هذا الاحتجاج بان معنى الحديث الشريف ان من اشرك بالله تعالى فليس بمحصن اى بمحصن الدم ولا يقتل قاتله المسلم قصاصا فان القصاص انما يجب بقتل من احصن دمه ابدا والمشرك ليس من احصن دمه ابدا فلا يقتص من المسلم لاجله واليه ذهب الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه واحتج عليه بقوله صلى الله عليه وسلم لايقتل مسلم بكافر ويقتل المسلم بالذمي عندنا لماروى انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ويجب القصاص فى الاطراف بين المسلم والكافر اجماعا واعلم ان عقوبة الزانى كانت فى اول الاسلام ان يحبس الى ان يموت فى حق الثيب وان يؤذى بالكلام فى حق البكر قال الله تعالى واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما ثم نسخ ذلك فجعل حد الثيب على الزنى الرجم وحد البكر الجلد والتغريب روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال خذوا عنى انه قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة واحتج الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه بهذا الحديث على ماذهب اليه من الجمع بين الجلد والتغريب فى البكر وبين الجلد والرجم فى حق الثيب (قوله تعالى لا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله) اى لاتدرككم الرأفة والشفقة عليهما بحيث تودى الى تعطيل حد الله تعالى وترك الاقامة او المسامحة فيه فان الايمان يوجب الاتيان بامر الله تعالى والتشديد فيه دون اللين والمسامحة وفى الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال لم نقصته فيقول رحمة بعبادك فيقال له انت ارحم واعلم به منى فيؤمر به الى النار ويجوز ان يكون هذا الحديث تفسيرا لقوله صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض فى الجنة وقاضيان فى النار وعن ابى هريرة رضى الله عنه اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة (قوله وقيل واحد) احتجاجا بقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقوله اواثنان احتجاجا بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وكل ثلاثة فرقة والخارج من الثلاثة واحد واثنان والاحتياط بوجوب الاخذ بالاكثر ثم انه تعالى لما بين عقوبة الزنى وحكمه وعقوبة من ارتكبه بين

(ولاتأخذكم بهما رأفة) رحمة (فى دين الله) فى طاعته واقامة حده فتعطلوه اوتسامحوا فيه فلذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يقتضى الجد فى طاعة الله والاجتهاد فى اقامة احكامه وحدوده وهو من باب التهييج (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر ما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شئ من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير (الزانى لاينكح الا زانية او مشركة والزانية لاينكحها الا زان او مشرك) اذ الغالب ان المائل الى الزنى لا يرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق

حكما ثانيا فقال تعالى الزانى لاينكح الا زانية اومشركة الآية ولما كان ظاهر انتظم اخبارا بان الزانى لاينكح المؤمنة العفيفة وان الزانية لاينكحها المؤمن التقى وكان هذا الحصر عرفا غير ظاهر الصحة فى حكم هذه الشريعة لان الزانى قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وكذا قوله تعالى وحرم ذلك على المؤمنين فانه ايضا غير ظاهر الصحة فان المؤمن يحل له ان يتزوج بالمرأة الزانية اشار المصنف رحمه الله تعالى الى جوابه بان حمل الاخبار المذكور على الاعم الاغلب على طريق قولك لايفعل الخير الا رجل تقى مع ان بعض من لايكون تقيا قد يفعل خيرا فمراد القائل بيان ان ماوقع من الخير انما يقع غالبا من التقى وهو لاينافى وقوعه من غير التقى على قلة فكذا ههنا اومن حمل التحريم على التنزيه قال الامام النسفى واصح الاقاويل فى هذه الآية الشريفة انها تزهيد فى حق نكاح البغايا وتأويل ذلك ان اهل الاسلام والايمان سبيلهم ان لايرغبوا الا فى المسلمات العفيفات واما الزانى فهو انما يميل الامن كان على مذهبه فى الزنى اوالى من لا يعتقد الايمان فضلا عن ان يتفكر فى التعفف والزانية ايضا انما تميل الى احد الرجلين اما الى زانى مثلها اوالى متشرك شرعنها (قوله فكان حق المقابلة) اى قوله تعالى الزانى لاينكح اى لايتزوج انما يقابله قولنا الزانية لاتنكح ولاتتزوج الامن هوزان الا انه لما كان المقصود بيان احوال الرجال وان طائفة تميل الى العفائف وطائفة تميل الى الفواجر لم يراع حق المقابلة (قوله والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه) فالمعنى وحرم نكاح البغايا قصدا للتوسع بما يأخذن فى الزنى كما خطر ببال فقراء المهاجرين حين قدموا المدينة وفيها نساء بغايا يكرين انفسهن وهن يومئذ اخصب اهل المدينة ان يتزوجوا بهن الى ان يغنيهم الله تعالى عنهن فاللام والالف فى قوله تعالى الزانى وفى قوله تعالى على المؤمنين وان كان للعموم ظاهرا لكن المراد به الاقوام الذين نزلت الآية الشريفة فيهم وبسببهم فتقدير الآية والله تبارك وتعالى اعلم اولئك الزناة لاينكحون الا الزانيات وتلك الزانيات لاينكحهن الا اولئك الزناة وحرم نكاحهن باعيانهن على المؤمنين ❊ والايامى جمع ايم وهو من لازوج له رجلا كان اوامرأة وسئل عليه الصلاة والسلام ان من زنى بامرأة هل له ان يتزوجها فاجاب بقوله صلى الله عليه وسلم اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لايحرم الحلال وشبهه ابن عباس بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن عائشة رضى الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الآية الشريفة واذا باشرها كان زانيا (قوله وهو فاسد) لان الاشكال باق لانارى ان الزانية قد ينكحها الرجل العفيف والزانى قد ينكح العفيفة ويتزوجها ولو قلنا بان المراد ان الزانى لايطأ بطريق الزنى

فكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان اومشرك لكن المراد بيان احوال الرجال فى الرغبة فيهن لان الآية نزلت فى ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزانى (وحرم ذلك على المؤمنين) لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن فى النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه اومنسوخ بقوله وأنكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لايحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطئ فيؤول الى نهى الزانى عن الزنى الا بزانية والزانية ان يزنى بها الا زان وهو فاسد (والذين يرمون المحصنات) يقذفونهن بالزنى

لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهدآء بقوله (ثم لم يأتوا باربعة شهدآء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنى ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة اولان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة وليكن ضربه اخف من ضربات الزاني لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده (ولا تقبلوا لهم شهادة) اى شهادة كانت لانه مفترى وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد

الا الزانية فهذا كلام لا فائدة فيه (قوله لوصف المقذوفات بالاحصان) بيان للقرينة المعينة لكون المراد بالشئ المقذوف به الزنى فان ظاهر الآية الشريفة لا يدل الا على الشئ الذى رمى به المحصنات وذكر الرمى لا يدل على الزنى لان المحصنات قد يرمين بالسرقة والكذب ونحوهما فلابد من قرينة تدل على تعيين المراد واتفق العلماء رحمة الله تعالى عليهم على ان المراد بالرمى الزنى بقرينة تقدم ذكر الزنى لانه تعالى وصف المقذوفات بالاحصان وهو العفة عن الزنى فدل ذلك على ان المراد وصفهن بعدم العفاف لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهدآء اى على صدقهم فيما رموهن به وكون الشهود اربعة انما يشترط في المقذوف بالزنى فان القذف بغير الزنى يكفى فيه شاهدان وان الواجب فيه التعزير دون الحد ثم ان اقر المقذوف على نفسه بالزنى او اقام القاذف اربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لان الحد وجب لافترآئه على البرئ وقد ثبت صدقه (قوله ولا فرق فيه) يعنى لا فرق بين المحصنين والمحصنات فى ان قذفهم بالزنى يوجب جلد القاذف ثمانين جلدة الا ان النص ورد فى قذف المحصنات لما ذكره (قوله لخصوص الواقعة) على ما قيل من ان هذه الآية نزلت فى حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه حين تاب مما قال فى حق عائشة رضى الله تعالى عنها (قوله ولا يشترط اجتماع الشهود عند الادآء) لان الاتيان باربعة شهدآء يصدق على الاتيان بهم مجتمعين ومتفرقين قياسا على سائر الاحكام فانها تثبت بشهادة الشهود بها سوآء شهدوا بها مجتمعين او متفرقين فكذا حكم الزنى وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه اذا شهدوا متفرقين لا يثبت الزنى وعليهم حد القذف لان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذف المشهود عليه ولم يأت باربعة شهدآء فيجب عليه الحد وتعبير القذف بلفظ الشهادة لا يخرجه عن كونه قاذفا ولو أتى القاذف باربعة شهدآء فساق فشهدوا على المقذوف بالزنى قال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه يسقط الحد عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى احد قوليه يحدون واحتج ابو حنيفة بانه أتى باربعة شهدآء فلا يلزمه الحد والفاسق من اهل الشهادة فقد وجدت شرآئط الشهادة الا انه لم تقبل شهادتهم للتهمة (قوله لضعف سببه) اى بالنسبة الى سبب ضرب الزنى فان سبب ضرب القذف هو القذف وهو قول يحتمل الصدق والكذب وسبب ضرب الزنى فعل يثبت بالشهود العدول ولاشك انه اقوى فى كونه فحشا بالنسبة الى القول فخفف عقوبة القول الضعف واحتمال صدق مقال القاذف يقتضى سقوط الحد رأسا الا انه عوقب صيانة للعرض وردعا

عن هتكه (قوله خلافا لابى حنيفة رضى الله تعالى عنه) فان عدم قبول شهادته متوقف على اقامة الحد عليه عنده حتى اذا تاب قبل اقامة الحد عليه اوقبل تمام حده تقبل شهادته عنده فمعنى الآية والله تبارك وتعالى اعلم عنده ولاتقبلوا لهم شهادة ابدا بعد اقامة الحد عليهم فلاتقبل شهادة المحدود فى قذف وان تاب وصار من الاتقياء وقال الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه تقبل شهادته اذا تاب لقوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لاذنب له ومن لاذنب له تقبل شهادته فيجب ان تقبل شهادة من تاب عن القذف وهذه المسئلة مبنية على ان قوله الا الذين تابوا هل يرجع الى جميع الاحكام المذكورة او يختص بالجملة الاخيرة فعند ابى حنيفة رحمة الله تعالى عليه الاستثناء المذكور عقب الجمل الكثيرة يختص بالجملة الاخيرة وعند الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه يرجع الى الكل لان الواو للجمع المطلق فقوله تعالى فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون جمل متعاطفة بالواو فصار الجمع كأنه ذكر معا لا تقدم للبعض على البعض فلما دخل عليه الاستثناء لم يكن رجوع الاستثناء الى بعضها اولى من رجوعه الى الباقى لانه لم يكن لبعضها تقدم على البعض فى المعنى البتة فوجب رجوعه الى الكل ويؤيده انا اجمعنا على انه لوقال عبده حر وامرأته طالق ان شاء الله تعالى فانه يرجع الاستثناء الى الجميع فكذا فيما نحن فيه واحتج اصحاب ابى حنيفة رحمة الله عليهم على ان الاستثناء يختص بالجملة الاخيرة بانه لورجع الى جميع الجمل المتقدمة اوجب ان لايجلد القاذف اذا تاب وهو باطل بالاجماع فوجب ان يختص بالجملة الاخيرة فقال المصنف رحمة الله تعالى عليه بناء على مذهبه ان الاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو كون قذف المحصنات مقتضيا للجلد ورد الشهادة ابدا والتفسيق والمعنى من قذف محصنة فاجلدوا الجلد ورد والتفسيق الا الذين تابوا من القذف واصلحوا فان الله تعالى يعفو لهم حماية قدحهم ولايعاقبهم عليها ولما ورد ان يقال وعلى هذا يلزم ان القاذف اذا تاب عن القذف قبل ان يجلد يسقط عنه الحد وهو لايسقط بالاجماع اشار الى جوابه بقوله ولايلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام توبته الاستسلام للحد او الاستحلال من المقذوف فان للمقذوف ان يعفو عن موجب القذف قبل ان تشهد الشهود ويثبت القذف واما بعد ان رفع للقاضى وثبت القذف باقامة الشهود عليه فليس له ان يعفو بعده لان المقذوف وان استحق على القاذف ان يستوفى منه الحد الا انه لما اجتمع فيه حقان وحق الشرع فيه غالب فليس للمقذوف ان يعفو عن موجب القذف بعد ثبوته (قوله ومحل المستثنى النصب) لما تقرر فى النحو من انه يجوز النصب ويختار البدل فيما بعد الا فى كلام

خلافا لابى حنيفة فان الامر بالجلد والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لاترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوأ مما بعده (ابدا) ما لم يتب وعند ابى حنيفة الى آخر عمره (واولئك هم الفاسقون) المحكوم بفسقهم (الا الذين تابوا من بعد ذلك) عن القذف (واصلحوا) اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال من المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء

غير موجب والمستثنى منه مذكور كقولك ما مررت باحد الازيد بالجر على البدل من احد والازيدا بالنصب على الاستثناء ويجب نصبه فى كلام موجب وما فى الآية لما كان راجعا الى اصل الحكم وكان المعنى ومن قذف المحصنات فاجمعوا الهم هذه الامور كان الاستثناء فى كلام موجب فيجب النصب (قوله وقيل الى النهى) اى وقيل الاستثناء الواقع فى هذه الآية يرجع الى قوله تعالى ولاتقبلوا لهم شهادة ابدا وهو كلام غير موجب وحق المستثنى ان يكون مجرور ابدلا من هم فى لهم قال صاحب الكشاف والامام الشافعى جعل جزآء الشرط جملتى فاجلدوا ولا تقبلوا وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية منهما لابمجموع جملتى الامر والنهى لان التوبة لاتسقط حق العبد ولم يرض المصنف رحمة الله تعالى عليه بهذا النقل لكونه مخالفا لما اشتهر عن الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه من كون الاستثناء المذكور عقيب الجمل يرجع الى الكل (قوله وقيل منقطع) اى عما قبله والمعنى لكن الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم فقوله الا الذين مبتدأ خبره قوله فان الله غفور رحيم اى غفور لهم فحذف الجار والمجرور للعلم به روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهدآء قال عاصم بن عدى الانصارى رضى الله تعالى عنه ان دخل رجل منا بيته فرأى رجلا على بطن امرأته فان جاء باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وكان له امرأة يقال لها خولة بنت قيس فاتى عويمر عاصما فقال له لقد رأيت شريك بن سحماء على بطن امرأتى خولة فاسترجع عاصم واتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له يارسول الله ما اسرع ما ابتليت بهذا فى اهل بيتى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماذاك فقال اخبرنى عويمر ابن عمى انه رأى شريك بن سحماء على بطن امرأته خولة فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اياهم جميعا فقال لعويمر اتق الله فى زوجتك وابنة عمك ولاتقذفها فقال يارسول الله لقد رأيت شريكا على بطنها وانى ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى من غيرى فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتقى الله تعالى ولاتخبرى الابما صنعت فقالت يارسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه رأى شريكا يطيل النظر ويتحدث معى فحملته الغيرة على ما قال فأنزل الله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات ونزل ايضا قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم الآيات وبين به ان حكم قذف الزوجة اللعان بعد ما بين حكم قذف الاجنبيات فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يؤذن الصلاة جامعة وصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل اشهد بالله

الى النهى ومحله الجر على البدل من هم فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بمابعده) فان الله غفور رحيم) علة للاستثناء (والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدآء الاانفسهم) نزلت فى هلال بن امية رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهدآء اوصفة لهم على ان الا بمعنى غير (فشهادة احدهم اربع شهادات) فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم

وأربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائى وحفص على انه خبر شهادة (بالله) متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها (انه لمن الصادقين) (اى فيما رماها به من الزنى واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا (والخامسة) والشهادة الخامسة (ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) فى الرمى وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف فى الموضعين ورفع لعنة هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا او بتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابى حنيفة ونفى الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنى على المرأة لقوله (ويدرأ عنها العذاب) اى الحد (ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رمانى به (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء ومابعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب الله بكسر الضاد وفتح الباء ورفع الله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم) متروك الجواب للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) بابلغ مايكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضى الله عنها وذلك

ان خولة الزانية وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثانية اشهد انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من غيرى وانى لمن الصادقين ثم قال فى الرابعة اشهد بالله انها زانية وانى ما قربتها منذ اربعة اشهر وانى لمن الصادقين ثم قال فى الخامسة لعنة الله على عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين ثم قال اقعد وقال لخولة قومى فقامت وقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان زوجى لمن الكاذبين وقالت فى الثانية اشهد بالله ما رأى شريكا على بطنى وانه لمن الكاذبين وقالت فى الثالثة اشهد بالله ما انا حبلى الا منه وانه لمن الكاذبين وقالت فى الرابعة اشهد بالله ما رأى على فاحشة وانه لمن الكاذبين وقالت فى الخامسة غضب الله على خولة بنت كبش ان كان عويمر من الصادقين فى قوله ففرق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولايدعى لاب ثم قال عليه الصلاة والسلام ان جاءت بولدها مشابها لك فلك وان جاءت به مشابها لمن قيل فيه فهو له ثم جاءت به غلاما يشبه من نسب اليه فقال لولا الايمان لكان لى وفى هذه الواقعة آيات اخر منها ما اشار اليه المصنف رحمة الله تعالى عليه بقوله نزلت فى هلال بن امية وهو احد الثلاثة الذين تاب الله تعالى عليهم (قوله واربع نصب على المصدر) لانه فى حكم المصدر باضافته اليه وناصب هذا المصدر مصدر مثله كما فى قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا (قوله وثبوت حد الزنى على المرأة) عطف على قوله سقوط حد القذف عنه واعلم انه اذا قذف الرجل امرأته بالزنى يجب عليه الحد ان كانت محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما فى قذف الاجنبى اذلا يختلف موجبهما غير انهما يختلفان فى المخلص ففى قذف الاجنبى لايسقط الحد عن القاذف الا باقرار المقذوف او ببينة تقوم على انها زنت وفى قذف الزوجة يسقط الحد عن القاذف باحد هذين الامرين وباللعان ايضا وهو قول المصنف رحمة الله تعالى عليه وحكمه سقوط حد القذف عنه ولعان الزوج لما كان بمنزلة الشهادات التى يثبت بها الزنى اوجب عليها حد الزنى نقل الامام عن الشافعى رحمة الله تعالى عليهما وكلاهما تثبت بمجرد لعانه ولايفتقر فيها الى لعانها ولا الى حكم الحاكم فان حكم الحاكم به كان تنفيذا منه لا ايقاعا للفرقة واستدل المصنف رحمة الله تعالى عليه على ثبوت حد الزنى على المرأة بقوله ويدرأ عنها العذاب بناء على انه حمل العذاب على الحد كما فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وحمله الحنفيون رحمة الله تعالى عليهم على الجبر والحبس على اللعان والمعنى ويدفع عن المرأة ان تجبر وتحبس

لحاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد لها من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا فجلست كى يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمى قد عرس وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به (عصبة منكم) جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبر ان وقوله (لا تحسبوه شرا لكم) مستأنف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه الافك (بل هو خير لكم) لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به (والذى)

على ان تلاعن اوتصدق زوجها فيما رماها به فانها اذا امتنعت من اللعان حبست واجبرت عليه حقا للزوج (قوله انه عليه افضل الصلاة والسلام استصحبها) وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يسافر اقرع بين نسائه فأيهن خرج اسمها خرج بها معه فاقرع بين نسوانه فى غزوة غزاها قبل غزوة بنى المصطلق فخرج فيها اسم عائشة رضى الله تعالى عنها فخرجت معه عليه الصلاة والسلام والجزع الخرز وظفار على وزن قطام مدينة باليمن فقوله من جزع ظفار اى من خرز منسوب اليها والمنشد من عرف الضالة والناشد من يطلبها فالانسب ان يقال كى يرجع اليها ناشد والتعريس نزول القوم فى السفر آخر الليل والمراد هنا مطلق النزول ويقال أدلج القوم اذا ساروا من اول الليل والاسم الدلج ويقال ادلج من الافتعال اذا سار من آخر الليل قالت عائشة رضى الله عنها لما اصبح صفوان عند منزلى رأى سواد انسان نائم فعرفنى حين رآنى وقد رآنى قبل ان يضرب على الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى ووالله ماكلمنى بكلمة ولاسمعت منه كلمة غير استرجاعه حين اناخ راحلته ووقف على يدها اى يد راحلته فركبتها فانطلق يقود بى حتى اتينا الجيش فى نحر الظهيرة فهلك فى من هلك وكان الذى تولى كبره منهم عبد الله بن ابى بن سلول وخاضوا فى حديثى وافشوه فى العسكر وخاض اهل العسكر فيه فجعل يرويه بعضهم عن بعض ويحدث به بعضهم بعضا قالت وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهرا والناس يفيضون فى قول اهل الافك ولا اشعر بشئ من ذلك غير انه يريبنى فى مرضى انى لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت ارى منه حين اشتكى وانما يدخل على فيقول كيف تيكم فذلك يريبنى ولا اشعر بالشر فلما رأيت ذلك قلت يارسول الله لو اذنت لى فانقلب الى ابوى يمرضانى فقال لابأس فانقلبت الى بيت ابوى وكنت فيه الى ان برئت من مرضى بعد بضع وعشرين ليلة فخرجت فى بعض الليالى وهى ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا وكان عادة اهل المدينة حينئذ انهم لايتخذون الكنف فى بيوتهم انما كانوا يذهبون فى فسيح المدينة على عادة العرب الاول فى التبرز تأديا من اتخاذ الكنف فى بيوتهم فانطلقت انا وام مسطح وهى بنت ابى رهم وامها بنت صخر بن عامر خالة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فلما فرغنا من شاننا واقبلنا الى جانب البيت عثرت ام مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت اولم تسمعى ما قال قلت وما قال فاخبرتنى بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى قلت لامه ماذا يتحدث الناس قالت اى بنية هونى عليك فوالله لقلما

كانت امرأة صفية عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كدرن عليها قالت قلت سبحان الله تعالى أوقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لى دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكى ودعا النبى صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد وعلى بن ابى طالب حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق اهله فأما على بن ابى طالب فانه قال لم يضيق الله تعالى عليك فى النساء والنساء سواها كثير فاستبدل واما اسامة بن زيد فأشار اليه بالذى يعلم من براءة اهله وبالذى يعلم فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم من الود فقال يارسول الله ماعلمت منها الا خيرا فلا تعجل وانظروا سأل اهلك قالت فسأل حفصة فقالت حفصة بنت عمر رضى الله تعالى عنهما يارسول الله مارأيت عليها سوأ قط وسأل زينب بنت جحش فقالت مثل ذلك وسأل بريرة فقال اى بريرة هل رأيت شيأ يريبك من عائشة قالت والذى بعثك بالحق نبيا مارأيت عليها امرا قط اغمضه عليك غير انها اوا نتر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتأتى الداجن فتأكله قالت فقام النبى صلى الله عليه وسلم وأقبل حتى دخل على وعندى ابواى ثم جلس قالت ولم يجلس عندى منذ قيل فى حق ماقيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه فى شانى شئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عائشة قد بلغنى عنك كذا وكذا ان كنت بريئة فسيبرئك الله عز وجل وان كنت اسأت بذنب فاستغفرى الله تعالى وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه خاص دمعى حتى مااحتبس منه قطرة فقلت لابى اجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما ادرى ما اقول فقلت وانا جارية حديثة السن لا اقرأ كثيرا من القرءآن والله لقد عرفت انكم قد سمعتم هذا حتى استقر فى انفسكم وصدقتم به واتن قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى وئن اعترفت لكم بامر والله تعالى يعلم انى بريئة منه لتصدقنى به والله ما اجد لى ولكم مثلا الا ما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وانا والله حينئذ اعلم انى بريئة وان الله تعالى يعلم براءتى وانى والله ما كنت اظن ان ينزل فى شانى وحى يتلى ولشانى كان احقر فى نفسى من ان يتكلم الله تعالى فى بأمر يتلى ولكننى كنت ارجو ان يرى النبى صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئنى الله تعالى بها قالت فوالله ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولاخرج من اهل البيت احد حتى انزل الله تعالى جبريل على نبيه واخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحى حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشتائى من ثقل القول الذى انزل عليه فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه

(والذى تولى كبره) معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه (منهم) من الخائضين وهو ابن ابى

وسلم يسرى عنه وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال أبشرى يا عائشة اما والله لقد برأك الله تعالى فقلت بحمد الله تعالى ولا بحمدك ولا بحمد اصحابك فقالت لى امى قومى اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله عز وجل قالت فانزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه الى آخر الآيات العشر فى براءتى ولما انزل الله تعالى هذه الآيات قال ابو بكر الصديق وكان ينفق لمسطح او على مسطح لقرابته وفقره والله لا انفق شيأ ابدا بعد الذى قال لعائشة ما قال فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر بلى أحب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه وقال لا انزعها منه ابدا ❁ وعصبة خبر ان ومنكم صفته والمعنى والله تبارك وتعالى اعلم ان الذين اتوا بالكذب فى امر عائشة جماعة كائنة منكم فى كونهم موصوفين بالايمان وعبد الله ايضا كان من جملة من حكم له بالايمان ظاهرا (قوله فانه بدأبه واذاعه) قالت عائشة رضى الله عنها ركبت الراحلة واخذ صفوان بالزمام يقودها فررنا بملاء من المنافقين فيهم عبد الله بن ابى فقال من هذه قالوا عائشة قال والله مانجت منه ولا نجا منها وقال لعن الله امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها قالت وهو الذى تولى كبره منهم فانه لما كان مبتدئا لذلك القول فلا جرم حصل له من العقاب مثل ما حصل لكل من قال ذلك قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وروى انه لما نزلت آية براءة عائشة رضى الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرءان فلما نزل ضرب عبد الله بن ابى ومسطحا وحسانا وحدهم حد القذف (قوله لولا هلا) يعنى ان لولا هذه تحضيضية بمعنى هلا فان لولا اذا وليت الفعل تكون للتحضيض كقوله تعالى لولا اخرتنى وحرف التحضيض يلزم الفعل لفظا او تقديرا ومعناها اذا دخلت على الماضى التوبيخ واللوم على ترك الفعل واذا دخلت على المضارع فمعناها الحض على الفعل والطلب له فهى فى المضارع بمعنى الامر ولا يكون التحضيض فى الماضى لان الطلب لا يتصور فيه فمعنى الآية يا ايها الذين سمعوا قول قاذف عائشة بصفوان هلا ظننتم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات خيرا اذ سمعتم ماقيل فى حقهم وجعل المؤمنين كنفس واحدة كما فى قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وحق الكلام ان يقال ظننتم وقلتم وعدل عنه الى الغيبة مع التصريح بصفة الايمان تنبيها على ان اللائق بالمؤمن ان لا يظن بمؤمن مثله الا الخير وان يبرئه من السوء ومبالغة فى التوبيخ فان اصل التوبيخ وان حصل بان قيل لولا ظننتم بانفسكم خيرا لكنه يزداد بالالتفات الى الغيبة اذ فيه اشارة الى ان شان الايمان

فانه بدأبه واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين (له عذاب عظيم) فى الآخرة او فى الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر (لولا) هلا (اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا) بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم

وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله (وقالوا هذا افك مبين) كما يقول المستيقن المطلع على الحال (لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون) من جملة المقول تقرير لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه مكذب عند الله اي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم (لمسكم) عاجلا (فيما افضتم فيه) خضتم فيه (عذاب عظيم) يستحقر دونه اللوم والجلد (اذ) ظرف لمسكم او افضتم (تلقونه بالسنتكم) والمعنى يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه (وتقولون بافواهكم) اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب (ما ليس لكم به علم) لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لا تبعة فيه (وهو عند الله عظيم) في الوزر واستجراء العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ما ينبغي لنا وما يصح (ان نتكلم بهذا) يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (سبحانك)

يقتضي ان يظن المؤمن بأخيه خيرا ويذب عنه الطاعنين فيه بقوله هذا افك مبين فمن ترك هذا الظن والذب فقد ترك العمل بمقتضى الايمان وهذه المبالغة لا تحصل الا بالاسلوب الاول (قوله وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف) يتضمن السؤال عن شيئين الاول ان حرف التحضيض يجب ان يدخل على الفعل فكيف جاز دخوله على الظرف والثاني ان الظرف ههنا معمول لقوله ظن المؤمنون وقالوا فلم قدم على عامله اجاب عن الاول بان للظروف شانا ليس لغيرها وهو تنزيلها من الاشياء منزلة نفسها لوقوعها فيها من غير انفصال عنها وعن الثاني بان الفائدة في تقديم الظرف بيان انه كان الواجب عليهم ان يحترزوا عن الاثم وا لخنى اول ما سمعوا بالافك بان يظنوا بالمؤمنين خيرا او يقولوا هذا افك مبين ولا يتكلموا به ولا يذيعوه فلما كان ذكر الوقت اهم وجب تقديمه (قوله يأخذه بعضكم من بعض) يعني ان تلقي القول اخذه من الغير ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفسر التلقي باخذ بعضهم من بعض لان كل واحد من المتلقي والمتلقى منه داخل في هذا الخطاب وصفهم الله تعالى بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احداها تلقي الافك بألسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل بقوله ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع واشتهر ولم يبق بيت ولا ناد الا ذكر فيه فكأنهم سعوا في اشاعة الفاحشة وذلك من العظائم وثانيها انهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به والاخبار بالشئ يجب ان يكون مستقرا بان تستقر صورته في القلب اولا ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على ألسنتهم ويدور في افواههم من غير ان يستقر العلم به في قلوبهم وهو حرام لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وثالثها انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو جريمة عظيمة عند الله تعالى اي في حكمه (قوله ما ينبغي لنا وما يصح) اشارة الى فائدة زائدة مع ان الكلام سديد بدونه بان يقال ما لنا ان نتكلم بهذا ونظيره قوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق فانه بمعنى ما ينبغي وما يصح (قوله تعجب ممن يقول ذلك) اي

تعجب ممن يقول ذلك واصله أن يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب
اوتنزيه لله تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه و يخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون
تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله (هذا بهتان عظيم) لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها
(يعظكم الله ان تعودوا لمثله) كراهة ان تعودوا لمثله اوفى ان تعودوا (ابدا) مادمتم احياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين)
فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع (ويبين الله لكم الآيات) ﴿٣٢٤﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب
كى تتعظوا وتتأدبوا (والله عليم) بالاحوال كلها (حكيم) فى تدابيره ولايجوز الكشخنة على نبيه ولايقرره عليها (ان الذين يحبون) يريدون (ان تشيع) ان تنتشر (الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة) بالحد والسعير الى غيرذلك (والله يعلم) مافى الضمائر (وانتم لاتعلمون) فعاقبوا فى الدنيا على مادل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على مافى القلوب من حب الاشاعة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله (وان الله رؤف رحيم) على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة (ياايها الذين امنوا
لاتتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة وقرأ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزى وابو عمرو وابو بكر وحمزة (والخطوات)
بسكونها ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه
والمنكر ما انكره الشرع (ولولافضل الله عليكم و رحمته) بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها
(مازكى) ماطهر من دنسها (منكم من احد ابدا) آخر الدهر (ولكن الله يزكى من يشاء) بحمله على التوبة وقبولها
(والله سميع) لمقالتهم (عليم) بنياتهم (ولا يأتل) ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو

الافك وعظمه اوممن يقول ذلك حيث عصى الله تعالى فى حق هؤلاء الكرام ثم
بين وجه استعارة معنى التعجب من كلمة التسبيح فقال واصله اى والاصل فى ذكر هذه
الكلمة ان يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه تنزيها له من ان يخرج
مثله عن قدرته ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه (قوله اوتنزيه) عطف على
قوله تعجب و قوله ينفر عنه اى عن النبى فيفوت ماهو المقصود من ارساله
فان الانبياء انما بعثوا الى الكفار ليدعوهم الى الدين والى قبول ماقالوه عن الله
تعالى من الاحكام والثواب والعقاب وهذا المقصود لايحصل اذا كان فى الانبياء
ماينفر الكفرة عنهم فجاز ان تكون امرأة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كافرة
لان الكفر ليس مماينفر عندهم ولايجوز ان تكون فاجرة لان الكشخنة من اعظم
المنفرات والكشخان الذى امرأته فاجرة تدعو الرجال الى نفسها وهو يعرف
حالها اى زوج الفاجرة والبهتان مصدر بهته اى قال عليه مالم يفعله سمى به المبهوت به
ان كانت الاشارة بقوله هذا الى الافك بمعنى القول الكاذب وان كانت الاشارة الى
الافك بمعنى الكذب والافتراء يكون البهتان ايضا مصدرا فقوله تعالى هذا بهتان
عظيم معناه هذا الافك افتراء عظيم يتحير من عظمه روى ان ام ايوب قالت
لابى ايوب الانصارى اما بلغك مايقول الناس فى عائشة فقال ابو ايوب سبحانك
هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله ثم انه تعالى قال يعظكم الله بهذه
المواعظ التى بها تعرفون عظم هذا الذنب فان فيه الحد والنكال فى الدنيا والعذاب
فى الآخرة كراهة ان تعودوا او يعظكم فى ان تعودوا حتى لاتعودوا الى مثله ابدا
(قوله بالحد والسعير الى غيرذلك) فيه اشارة الى ان قوله تعالى ان الذين
جاؤا بالافك وان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة ليس معناه مجرد وصفهم بانهم
يحبون شيوعها فى حق الذين آمنوا من غير قصد ان يشيعوها و يظهروها فان
ذلك القدر لايوجب الحد فى الدنيا بل المعنى ان الذين يشيعون الفاحشة والزنى
فى الذين آمنوا كصفوان وعائشة رضى الله تعالى عنهما عن قصد ومحبة لاشاعتها

والخطوات جمع خطوة بضم الخاء وهي ما بين القدمين وبالفتح مصدر خطوت خطوة للمرة والمراد بها ههنا سيرة الشيطان وطريقته والمعنى لا تسلكوا مسالكه ولا تتبعوا آثاره ووسواسه باشاعة الفاحشة والاصغاء الى الافك والقول به (قوله ويؤيد الاول) وهو كونه يأتل يفتعل من الالية لا من الالو انه قرئ ولا يتأل فانه من الالية يقال آلى يؤلي ايلاء والية وائتلى يأتلي ائتلاء وتألى يتألى تأليا كلها بمعنى حلف (قوله وفيه دليل على فضل ابي بكر) وذلك لان الفضل المذكور في الآية اما في الدنيا واما في الدين والاول باطل لانه تعالى ذكره في معرض المدح والمدح بكثرة الدنيا غير جائز من الله تعالى ولانه لو جاز ذلك لكان قوله والسعة تكرارا فتعين ان يكون المراد منه الفضل في الدين والمنزلة من الله تعالى فلو كان غيره مساويا له في الدرجة في الدين لم يكن هو صاحب الفضل لان المساوي لا يكون فاضلا فلما ثبت الله تعالى له الفضل غير مقيد بكونه بالنسبة الى شخص دون شخص ثبت كونه افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اتفق المفسرون على ان المراد بقوله اولوا الفضل هو ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (قوله على ان لا يؤتوا) باسقاط الجاص وهو كثير شائع وكذا حذف كلمة لا في اليمين كثير ايضا قال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا يعني مخافة ان لا تبروا وقال امرؤ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا * اي لا ابرح وهذا التأويل على تقدير ان يكون قوله ولا يأتل اولوا الفضل افتعالا من الالية واما على تقدير كونه افتعالا من الالو فالتأويل ما اشار اليه بقوله او في ان يؤتوا اي لا يقصر اولوا الفضل في ان يحسنوا (قوله فيكون ابلغ في تعليل المقصود) بناء على ما اشتهر من ان تعليق الحكم بالمشتق يفيد علية المأخذ وان جعل من قبيل عطف الذوات يكون الكلام ابلغ في تعليل المقصود وهو نهي الصديق عن حفظ يمينه على ان لا ينفق على مسطح فان جعل الكلام من قبيل عطف الصفات فقد افاد الكلام تعليل المقصود لان كل واحد من الصفات المذكورة اذا كان منهيا عن محافظة اليمين فيكون الشخص الموصوف بتلك الصفات منهيا عنها بطريق الاولى (قوله تعالى وليعفوا) اي عن ذنبهم وليصفحوا اي وليعرضوا عن لومهم فان العفو ان يتجاوز عن الجاني والصفح ان يتناسى جرمه وقيل العفو بالفعل والصفح بالقلب (قوله استباحة لعرضهن) منصوب على انه مفعول له لقوله تعالى يرمون المحصنات واشار به الى جواب ما يقال هذه الآية تدل على ان قاذف المحصنات كافر لا تقبل توبته اما انه كافر فلقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم وذلك صفة الكفار والمنافقين لقوله ويوم يحشر اعداء الله

وكان من فقراء المهاجرين (اولوا الفضل منكم) في الدين (والسعة) في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر رضي الله عنه وشرفه (ان يؤتوا) على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات (اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود (وليعفوا) لما فرط منهم (وليصفحوا) بالاغماض عنه (ألا تحبون ان يغفر الله لكم) على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم (والله غفور رحيم) مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه روي انه عليه الصلاة والسلام قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) مما قذفن به (المؤمنات) بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول عليه الصلاة والسلام

والمؤمنين كابن ابي (لعنوا في الدنيا والاخرة) كما طعنوا فيهن (ولهم عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم

وقيل هو حكم كل قاذف مالم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس
رضي الله عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ ﴿ ٣٢٦ ﴾ مما نزل في افك عائشة (يوم تشهد
عليهم) ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل (ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويعلمون) لمعاينتهم الامر (ان الله هو الحق المبين) الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لايشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لامحالة (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله (اولئك) يعني اهل بيت النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم والرسول وعائشة وصفوان (مبرأون مما يقولون) اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليها وقيل (وكذا)
الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرأون مما يقولون فيهم او للخبيثين

الى آخر الآيات الثلاث وقوله ولهم عذاب عظيم هو عذاب الكفر واما انه لاتقبل توبته فلقوله لعنوا في الدنيا والآخرة ولم يذكر استثناء بان قال الا الذين تابوا فهذا يدل على ان قاذف المحصنات الغافلات ملعون في الدارين تاب اولم يتب وقد قال في اول السورة ان الذين يرمون المحصنات ثم قال الا الذين تابوا فجعل لهم توبة فالمصنف رحمه الله تعالى عليه حمل هذه الآية على القذف على وجه يستلزم الكفر والظاهر ان يدفع هذا بان يجعل الوعيد المذكور فيها مشروطا بعدم التوبة لان الذنب سواء كان كفرا او فسقا وحصلت عنه التوبة صار مغفورا بمقتضى الوعد الالهي (قوله وقيل هو حكم كل قاذف) عطف على ماقبله من حيث المعنى كأنه قيل هو حكم القاذف استباحة وطعنا وقيل حكم كل قاذف مالم يتب ولم يرض المصنف رحمه الله تعالى عليه به لان الوعيد المذكور انما يليق بالكفرة ومجرد قذف المحصنة المؤمنة لايوجب الكفر وقيل لابن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله تعالى في الدنيا والآخرة قال ذاك لمن قذف عائشة رضي الله تعالى عنها خاصة وجمع المحصنات الغافلات وان اريدت عائشة وحدها لان من قذف واحدة من نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقد قذفهن جميعا فكأنه قذف النبي صلى الله عليه وسلم وقذفه كفر بالاتفاق وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال هذا اللعن فيمن قذف زوجات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ ليس له توبة ومن قذف مؤمنة جعل الله له توبة (قوله لانه موصوف) والمصدر الموصوف لا يعمل لان اعماله يستلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي فاذا لا يجوز وصف المصدر باجنبي عنه بمعنى انه ليس معمولا له والوجه فيه ان المصدر عند العمل مؤول بان مع الفعل وان موصول حرفي ومعمول المصدر في الحقيقة معمول الفعل الذي هو صلة ان ولا يجوز الفصل بين بعض الصلة وبعضها باجنبي (قوله بانطاق الله تعالى) فان البنية ليست مشروطة بالحياة فيجوز ان يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما ففي الجسم المركب منه اولى ويحتمل ان لاتكون شهادة الجوارح عليهم بانطاق الله تعالى اياها بل تكون بظهور آثار ما كانوا يعملون عليها كما تشهد في الدنيا على المحبة آثارها من صفرة الوجه وتغير اللون ونحافة الجسم وجريان الدمع (قوله جزاءهم المستحق) فان الدين يستعمل في الجزاء كقولهم كما تدين تدان اي كما تفعل تجازى به وانتصاب الحق على انه صفة للدين فان القدر المستحق في الجزاء موصوف بانه الحق (قوله الخبائث) اي الزواني يتزوجن الخباث اي الزناة

والخبيثات اى مبرأون من ان يقولوا مثل قولهم (لهم مغفرة ورزق كريم) يعنى الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف
عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى ﴿٣٢٧﴾ عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم

وكذا الخبيثون من الرجال يتزوجون الخبائث كما قال تعالى الزانى لاينكح الا زانية او مشركة والزانية لاينكحها الا زان او مشرك فان قيل فعلى هذا الوجه يلزم ان لايلزم ان لايتزوج الرجل العفيف بزانية والجواب ما تقدم فى قوله الزانى لاينكح الا زانية الخ ولما كان عقد التزوج واقعا بين الاكفاء خباثة وطيبا ثبت براءة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعائشة مما قيل فى حقهما وبراءتهما تستلزم براءة صفوان فيكون اول الآية كالدليل على براءة الجميع اذ لو صدق ما قيل فى حقها لكانت خبيثة غير صالحة لكونها زوجة لاطيب الطيبين ويحتمل ان لايكون الخبائث والطيبات بمعنى الزوانى من النساء والعفايف منهن بل يكون بمعنى الاقوال الخبيثة والطيبة فيكون المعنى الخبيثات من الكلمات تقال او تعد للخبيثين من الرجال وتليق بهم والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلمات وعلى عكسه الطيبات من الكلمات للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الكلمات والمعنى كل كلام انما يحسن فى حق اهله فيضاف سوء القول الى من يليق به وكذلك الطيب من القول وعائشة لا تليق بها الخبائث من الاقوال ولايصدق فيها لانها طيبة فيضاف اليها الثناء الحسن وما يليق بها وقال الزجاج رحمة الله تعالى عليه معناه ولايتكلم بالخبائث من القول الا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات منه الا الطيب من الرجال والمقصود ذم من قذف عائشة رضى الله تعالى عنها ووقع فى حقها بالخبث ومدح من وصفها بالطهارة (قوله من آنس الشئ) يعنى انه استفعال من آنس الشئ اذا ابصره مكشوفا فعلم به قال تعالى فان آنستم منهم رشدا اى اذا علمتم لان الرشد لايبصر ولهذا قيل معنى الآية شريعة حتى تستعلموا وتتعرفوا أيؤذن لكم ام لا وطلب العلم بانه يؤذن لكم ام لا معناه الاستئذان فلذلك فسر الآية بالاستئناس الذى هو ضد الاستيحاش فان من يأتى باب غيره لايدرى أيؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا أذن له استأنس ولهذا يقال فى جواب القادم المستأذن مرحبا واهلا وسهلا اى وجدت مكانا واسعا واتيت اهلا لا اجانب واصبت مكانا سهلا لا حزنا ليزول به استيحاشه وتطيب نفسه فيؤول المعنى الى ان يؤذن لكم وهو من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن ويتبعه فوضع موضع الاذن حيث ذكر الاستئناس اللازم واريد الاذن الذى هو الملزوم (قوله اوتتعرفوا هل ثمة انسان) عطف على قوله تستأذنوا كقوله او يؤذن لكم اى ويجوز

بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآيات مع هذه المبالغات وما ذاك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واعلاء منزلته (يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التى تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لايدخلان الا باذن (حتى تستأنسوا) تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لايؤذن له فاذا اذن له استأنس اوتتعرفوا هل ثمة انسان من الانس (وتسلموا على اهلها) بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع (ذلكم خير لكم) اى الاستئذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير
بيته قال حييتم صباحا حييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى ان رجلا قال للنبى عليه السلام
أأستأذن على امى قال نعم قال لاخادم لها غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن

ان يكون الاستئناس من الانس وهو ان يتعرف هل ثمة انسان وما قيل من انه لايلائم المقام اذيصير المعنى حينئذ لاتدخلوا مالم تعرفوا ان هناك انسانا فاذا تعرفتم ان هناك انسانا فادخلوها سوآء اذن لكم ام لا وليس المقصود من الآية هذا فليس بشئ لانه انما يكون المعنى ما ذكره ان لو اقتصر فى غاية النهى على قوله حتى تستأنسوا وليس كذلك بل عطف عليه قوله تعالى وتسلموا على اهلها ولما جعل غاية النهى مجموع الاستئناس والتسليم بان يقال السلام عليكم ءادخل كيف يكون المعنى ماذكره وهل يقول به عاقل بل يكون المعنى لاتدخلوا حتى تتعرفوا انه هل ثمة انسان ثم تسلموا عليه ثم تستأذنوه فى الدخول وهو كما قيل السلام قبل الكلام ثم انه اذا اذن له فدخل عند ذلك يسلم على اهله ثانيا لقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم فانا امرنا بالسلام بعد الدخول عن ابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاث كما رواه المصنف رحمة الله تعالى عليه بالمرة الاولى يستمعون وبالثانية يستصلحون وبالثالثة يأذنون او يردون وكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيتا غير بيته صباحا قال حييتم صباحا واذا دخل مساء قال حييتم مساء قال الجوهرى رحمة الله تعالى عليه الحياة ضد الموت والحى ضد الميت وحياه الله تعالى فحيى وحى ايضا والادغام اكثر الى ان قال التحية الملك قال زهير ❊ ولكل مانال الفتى ❊ قدنلته الا التحية

ويقال حياك الله اى ملكك والتحيات لله قال يعقوب اى الملك لله (قوله فان المنع من الدخول) وهو الدخول بغير اذن اعلم ان السلام من سنة المسلمين وهو تحية اهل الجنة ومجلبة للمودة ونافٍ للحقد والضغينة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فقال الله يرحمك ربك ياآدم اذهب الى هؤلاء الملائكة وهم جلوس فقل السلام عليكم فلما فعل ذلك ورجع الى ربه قال هذه تحيتك وتحية ذريتك وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه وينصح له بالغيب ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ثم انه اذا عرض له امر فى داره من حريق او هجوم سارق اوظهور منكر فحينئذ لايجب الاستئذان والتسليم فان كل ذلك مستثنى بالدليل وهو ما قاله الفقهاء رحمة الله تعالى عليهم من ان مواضع الضرورات مستثنيات من قواعد الشرع لان الضرورات تبيح المحظورات قال صاحب الكشاف رضى الله تعالى عنه وكم باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك ثم انه تعالى لما ذكر حكم

(لعلكم تذكرون) متعلق بمحذوف اى انزل عليكم اوقيل لكم هذاارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم (فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم (فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتى من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ماتخفيه الناس عادة مع ان التصرف فى ملك الغير بغيراذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق اوغرق اوكان فيه منكر ونحوها (وان قيل لكم ارجعوافارجعوا) ولاتلحوا (هوازكى لكم) الرجوع اطهر لكم ممالايخلوا الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة أو أنفع لدينكم ودنياكم (والله بماتعملون عليم) فيعلم ماتأتون وماتذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوابيوتاغيرمسكونة) كالربط والخانات والحوانيت

(فيها متاع) استمتاع (لكم) كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) اي ما يكون ﴿٣٢٩﴾ نحو محرم (ويحفظوا فروجهم) الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها (ذلك ازكى لهم) انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة (ان الله خبير بما يصنعون) لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) ولا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال (ويحفظن فروجهن) بالتستر والتحفظ عن الزنى وتقديم الغض لان النظر بريد الزنى (ولا يبدين زينتهن) كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له (الا ما ظهر منها) عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية

الدور المسكونة ذكر بعده حكم الدور التي هي غير مسكونة فقال تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اي بغير استئذان قال المفسرون لما نزلت آية الاستئذان قالوا يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن من اربابها فنزلت الآية الشريفة (قوله تعالى فيها متاع لكم) اي منفعة من اتقاء الحر والبرد وحفظ السلع ونحو ذلك من منافع المسافر (قوله اي ما يكون نحو محرم) يعني ان كلمة من للتبعيض والمراد غض البصر وحفظه عن النظر الى ما لا يحل لهم النظر اليه وان لا ينظر الا الى ما يحل النظر اليه والغض اطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية ولما كان ما حرم النظر اليه من جملة المبصرات تبعض البصر باعتبار تبعض متعلقه فجعل ما تعلق بالمحرم بعضا من البصر وامر بغضه قال الاخفش رحمه الله تعالى عليه كلمة من زائدة ههنا فانه يجوز زيادتها في الاثبات خلافا لسيبويه فانه لا يجوزها (قوله ولما كان المستثنى منه) اي من الفرج وهو جواب عما يقال لم دخلت كلمة من على الابصار دون الفرج مع ان المأمور به حفظ كل واحد منهما عن بعض ما تعلقا به فاجاب عنه بان المستثنى من البصر كثير فان الرجل يحل له النظر الى جميع اعضاء ازواجه وجميع اعضاء ما ملكت يمينه وكذا لا بأس عليه في النظر الى شعور محارمه وصدورهن وثديهن واعضادهن وسوقهن وارجلهن وكذا من امة الغير حال عرضها للبيع ومن الحرة الاجنبية الى وجهها وكفيها وفي رواية والقدم عند ارادة العقد بخلاف المستثنى من الفرج فانه شيء قليل نادر وهو فرج زوجته وامته فلذلك اطلق حفظ الفرج ولم يعتد بما استثنى منه لقلته وقيد غض البصر بحرف التبعيض وقيل كل ما في القرآن من حفظ الفرج فالمراد به حفظه من الزنى الا في هاتين الآيتين فان المراد فيهما الستر فلذلك اطلق حفظه ولم يقيد بحرف التبعيض لانه وان جاز للرجل ان ينظر الى جميع بدن زوجته وبدن امته التي يحل له الاستمتاع بها حتى الى فرجها الا انه يكره له النظر الى الفرج بالاتفاق حتى الى فرج نفسه لانه يروى انه يورث الطمس وقيل لا يجوز النظر الى فرجها (قوله تعالى ذلك) اي غض البصر وحفظ الفرج انفع لهم على ان الزكاء بمعنى النماء والنفع (قوله بريد الزنى) اي يحمل النظر على الزنى ويؤدي اليه والبريد البغلة التي تحفظ في الرباط وتهيأ للرسول ليركب عليها وهو تعريب بريده دم

والمستثنى هو الوجه والكفان لانها (٤٣) ليست بعورة (سا) والاظهر ان هذا في الصلاة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) سترا لاعناقهن وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وحمزة والكسائي بكسر الجيم (ولا يبدين زينتهن)

ثم سمى به الرسول المحمول عليها ثم سميت به المسافة وزاد الله تعالى في نهى المؤمنات وراء غض الابصار وحفظ الفروج حكما آخر حيث قال تعالى ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن والزينة ماتزينت به المرأة من حلى او كحل او صبغ فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة وهى مالافص فيه من الخاتم والكحل والصبغ فلا بأس فيه بابدائه للاجانب بشرط الامن من الشهوة وما خفى منها كالسوار والدملج وهى حلقة تحملها المرأة على عضدها والوشاح والقرط فلايحل لها ابداؤها الا لهؤلاء المذكورات فيما بعد بقوله تعالى ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن الى آخر الآية ولاشك ان اظهار عين الزينة منفصلة عن بدن المرأة ليس منهيا عنه والمنهى عنه اظهارها وهى في مواضعها لان مواضع الزينة الخفية كالذراع والساق والعضد والعنق والرأس والاذن والصدر فلا يحل للاجانب النظر اليها مجردة عن هذه رأسا فعنها اولى وانما سومح لها في ابداء الزينة الظاهرة للاجانب حالة الامن من الاشتهاء لما في التصون عن ابداء مواضعها في الاخذ والاعطاء والمشى حالة الخروج وحمل الشهادة عليها من الحرج الذى لايخفى خصوصا في حق الفقيرات منهن وعلى تقدير ان يراد بالزينة مواضعها اوما يعم المحاسن الخلقية التى خلق الانسان عليها يكون المراد بقوله تعالى الا ماظهر منها الوجه والكفين لانها ليست بعورة ثم قال المصنف رحمة الله تعالى عليه والاظهر الخ اى انها عورة في حق النظر اليها وان لم تكن عورة في الصلاة (قوله كرره) فالاول تقسيم الزينة الى الظاهرة والخفية ولبيان ان الظاهرة يجوز ابداؤها مطلقا والثانى لبيان من يحل له ابداء الزينة الخفية ومن لا يحل له ذلك (قوله تعالى بخمرهن) الخمر جمع خمار وهو ماتغطى به المرأة رأسها وتستره ومالبس بهذه الصفة فليس بخمار والجيب ماجيب من القميص اى قطع لادخال الرأس وليضربن ضمن معنى يلقين فعدى بعلى والمعنى وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن واعناقهن عن الاجانب قيل ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وان جيوبهن كانت من قدام وكانت تنكشف نحورهن وقلائدهن فأمرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليغطى بذلك ماكان ينكشف باسدال خمرهن من خلفهن (قوله لانهم في معنى الاخوان) من حيث كون الجد سواء كان اب الاب او اب الام في معنى الاب فكون ابنهما في معنى الاخ وايضا كل من له قرابة المحرمية كالاخ فانه محرم فكذا ابناء الا العم والخال فانهما محرمان لا ابناؤهما فالاولى للمرأة ان تستتر من اعمامها واخوالها حذرا من ان يصفوها لابنائهم لان تصور الابناء اياها بالوصف بمنزلة نظرهم اليها (قوله لا تتحرجن) اى لاتأثمن من الحرج بمعنى الاثم

كررة لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له (الا لبعولتهن) فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره (او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن) لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرآئب ولهم ان ينظروا منهن مايبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان اولان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم (او نسائهن) يعنى المؤمنات فان الكافرات لاتتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف (او ما ملكت ايمانهن) يعم الاماء والعبيد لما روى انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك

فلما لم يكن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال الاجانب معدودا من جملة الآثام عند الكافرات احتمل ان يصفنها للاجانب فيكون تصور الاجانب اياها بمنزلة نظرهم اليها بخلاف المؤمنات فانهن يحترزن عن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال فجاز لهن ان يبدين زينتهن للمؤمنات دون الكافرات هذا قول اكثر السلف رحمة الله تعالى عليهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء اهل الذمة ولا تبدى للكافرة الا ما تبدى للاجانب الا ان تكون امة لها لقوله اوما ملكت ايمانهن وكتب عمر الى ابي عبيدة رضي الله تعالى عنه ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات قال الامام رحمة الله تعالى عليه قول السلف محمول على الاستحباب والمذهب ان المراد بقوله تعالى اونسائهن جميع النساء (قوله وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي منها) خصيا كان اوفحلا وهو قول ابي حنيفة وعليه عامة العلماء واحتجوا عليه بقوله عليه الصلاة والسلام لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تسافر سفرا فوق ثلاثة ايام الامع ذي محرم والعبد ليس ذي محرم فلا يجوزله ان يسافر بها واذا لم يجز ان يسافر بها لم يجزله النظر الى مواقع زينتها الخفية وعن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه انه قال لايغرنكم هذه الآيات فانها نزلت في الاماء وكذا روى هذا القول عن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنهما فان قيل ما الفائدة في تخصيص الاماء بالذكر بعد قوله تعالى اونسائهن فالجواب والله تبارك وتعالى اعلم انه لما قال اونسائهن دل ذلك على ان المرأة لا يحل لها ان تبدى زينتها للكافرات سواء كن حرائر اواماء لغيرها او لنفسها فلما قال اوماملكت ايمانهن مطلقا اي مؤمنات اومشركات علم انه يحل للامة ان تنظر الى زينة سيدتها مسلمة كانت او كافرة لما في كشف مواضع الزينة السابقة لامتها الكافرة في احوال استخدامها من الضرورة التي لاتخفى وفارقت الحرة الكافرة بذلك (قوله تعالى اوالتابعين غير اولى الاربة من الرجال) اى اوللرجال الذين هم اتباع اهل البيت ولاحاجة لهم في النساء والاربة والارب الحاجة وكذلك المأربة وقرئ غير بالخفض نعتا للتابعين وبالنصب على الاستثناء من التابعين او الحال منهم والمعنى يبدين زينتهن للتابعين الاذوى الاربة منهم اوحال كونهم غير ذوى اربة بخلاف مالوكانوا ذوى اربة فانهن لايبدين زينتهن لهم والشيخ الهم بكسر الهاء الشيخ الفانى والممسوخ الخاء المعجمة هو الذى حولت قواه واعضاؤه عن سلامتها الاصلية الى الحالة المنافية لها المانعة من ان يكون له حاجة والمجبوب من قطع ذكره وخصيتاه معا من الجب وهو القطع والخصى من قطع خصيتاه والمختار ان الخصى والمجبوب والعنين ليسوا من التابعين

وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي منها اوالتابعين غيراولى الاربة من الرجال) اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الاهمام والممسوخون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولايعرفون شيأ من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال (اوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف (ولايضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ايتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال

وهو أبلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت (وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون) اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين (وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم) لما نهى عما عسى ان يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه

مبالغة فيه عقبه بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايائم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي * وان كنت افتى منكم اتأيم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) رد لما عسى ان يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح

وانهم في حرمة النظر كغيرهم من الفجرة لانهم يشتهون ويشتهون وقوله وقيل البله عطف على الشيوخ والظهور على الشيء قد يكون بمعنى الاطلاع عليه كما في قوله تعالى ان ظهروا عليكم اي ان يشعروا بكم وقد يكون بمعنى الغلبة والقدرة عليه كما في قوله تعالى فاصبحوا ظاهرين قال قتادة كانت المرأة في الجاهلية تضرب رجلها لتسمع قعقعة الخلخال فنهت عن ذلك وقيل كانت احداهن تضرب باحدى رجليها على الاخرى ليعلم ان لها خلخالين (قوله وهو ابلغ الخ) وذلك انه لما نهى عن اسماع الصوت الدال على الزينة فلأن ينهى عن اظهار نفس الزينة اولى وفي الآية الكريمة فائدة اخرى وهو انه اذا كان اسماع صوت خلخالها للاجانب حراما فكان رفع صوتها بحيث يسمع الاجانب كلامها حراما بطريق الاولى لان صوت نفسها اقرب الى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا اذان النساء لانه يحتاج فيه الى رفع الصوت وقد وصى الله تعالى جميع المؤمنين بالتوبة والاستغفار اما لان العبد الضعيف لا ينفك عن تقصير يقع منه وان اجتهد في رعاية تكاليف الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عمر رضي الله تعالى عنه يا أيها الناس توبوا الى ربكم فاني اتوب الى الله تعالى في كل يوم مائة مرة واما لان المراد توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فان قيل قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه الآية اجيب عنه بما قال بعض العلماء من اذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكر ذلك الذنب ان يجدد التوبة عنه لانه يلزمه ان يستمر على ندمه الى ان يلقى ربه (قوله لما نهى) اي نهى مبالغة في الزجر عن السفاح بعد الزجر عنه نهى عما عسى ان يفضي الى السفاح المخل بالنسب والنسب لا بد من اعتباره في بقاء النوع وصلاح العالم لكونه مفضيا للالفة الخ (قوله تزويج المولية) وهي التي ينفذ فيها تصرف الولي فكل من ولي امر واحد فهو وليه وذلك الواحد مولى او مولية (قوله كيتامى) جمع يتيم يقال يتم الصبي يتما من باب علم والايامى

او وعد من الله بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الآية لكن مشروطة بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (والله واسع) ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته (عليم) يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته (وليستعفف) وليجتهد في العفة وقمع الشهوة (الذين لا يجدون نكاحا) اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدوا ما يتزوجون به (والذين يبتغون الكتاب

جمع ايم يقال آم الرجل وآمت المرأة يئم ايمة وايما وايوما واصل ايامى ايائم كما ان اصل يتامى يتائم فقلبا قلب مكان فصارا ايامى ويتامى (قوله وان كنت افتى) هو افعل من الفتى اى وان كنت احدث منكم سنا اى فانا مثلكم فى حالتى التزوج والتأيم وهذه الشرطية معترضة بين الشرط وجزآئه (قوله اسبابه) لما كان الظاهر ان يكون النكاح بمعنى العقد والتزوج وكان حمله عليه مقتضيا لتقدير المضاف بناء على انه لامعنى لوجدان نفس العقد وعدم وجدانه حمله على معنى العقد اولا وقدر المضاف ثم قال ويجوز ان يراد بالنكاح ماينكح به على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب كالقوام لمايقام به واللجام لما يلجم به والحزام لمايحزم به فلاحاجة الى تقدير المضاف وقوله وبالوجدان التمكن منه فانه يقال لمن لم يتمكن من استعمال الماء هو غير واجد للماء وان كان موجودا معاينا فيكون النكاح بمعنى العقد من غير حاجة الى تقدير المضاف لان الربط المعنوى وان لم يصح ان يوصف بالوجدان الا انه يصح ان يوصف بالتمكن منه فيكون المعنى الذين لا يتمكنون من النكاح (قوله المكاتبة) يعنى ان الكتاب مصدر كالمكاتبة والمعنى والذين يطلبون المكاتبة يقال كاتب فلان عبده كتابا ومكاتبة اذا عاقده على مال منجم تؤديه على نجوم معلومة فيعتق اذا ادى الجميع ومعنى صيغة المفاعلة فى هذا العقد ان المولى يكتب على نفسه ان يعتق المكاتب اذا ادى البدل ويكتب العبد على نفسه اى يؤدى البدل من غير اخلال او ان المولى يكتب على عبده اداء المال والعبد يكتب على مولاه العتق عند الاداء فلهذا سمى هذا العقد كتابة اخذا من الكتاب فان كل واحد من العاقدين يكتب ويفرض على نفسه امرا وايضا بدل هذا العقد مؤجل منجم على المكاتب والمال المؤجل يكتب فيه كتاب على من عليه المال غالبا اومن الكتب بمعنى الضم والجمع ومنه الكتيبة للعسكر وسمى العقد بذلك لانه يضم النجوم بعضها الى بعض ويضم مال المكاتب الى نفسه فان عقد الكتابة لايجوز على اقل من نجمين عند الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه وقال ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه تجوز الكتابة على واحد لان ظاهر قوله تعالى فكاتبوهم ليس فيه تقييد (قوله والامر فيه للندب) يعنى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر استحباب عند الفقهاء رحمهم الله تعالى واليه ذهب الامام مالك وابو حنيفة والامام الشافعى رحمة الله تعالى عليهم واحتجوا عليه بقوله صلى الله عليه وسلم لايحل مال امرئ مسلم الا بطيب من نفسه ويروى الا عن طيب نفس منه وقال بعضهم امر ايجاب فيجب على الرجل ان يكاتب مملوكه اذا سأله ذلك بقيمته او اكثر اذا علم فيه خيرا وان سأله بدون قيمته لم يجب عليه ذلك واحتجوا عليه بظاهر الآية وسبب نزولها فانها نزلت فى كلام عبد سأل مولاه

المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال اولانه مما يكتب لتأجيله اومن الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض (مما ملكت ايمانكم) عبدا او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره (فكاتبوهم) او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها

في الحال يمنع صحتها كما
في السلم فيما لا يوجد عند
المحل (ان علمتم فيهم خيرا)
امانة وقدرة على اداء المال
بالاحتراف وقد روى مثله
مرفوعا وقيل صلاحا
في الدين وقيل مالا وضعفه
ظاهر لفظا ومعنى وهو
شرط الامر فلا يلزم من
عدمه عدم الجواز (وآتوهم
من مال الله الذي آتاكم)
امر للموالي كما قبله بان
يبذلوا لهم شيأ من اموالهم
وفي معناه حط شيء من مال
الكتابة وهو للوجوب
عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول
وعن علي رضي الله عنه
بحط الربع وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الثلث وقيل
ندب لهم الى الانفاق عليهم
بعد ان يؤدوا ويعتقوا
وقيل امر لعامة المسلمين
باعانة المكاتبين واعطائهم
سهمهم من الزكاة ويحل
للمولى وان كان غنيا لانه
لا يأخذه صدقة كالدائن
والمشتري ويدل عليه قوله
عليه السلام في حديث
بريرة هو لها صدقة ولنا هدية
(ولا تكرهوا فتياتكم)
اماءكم (على البغاء) على الزنى
كانت لعبد الله بن ابي ست
جوار يكرههن على الزنى
وضرب عليهن الضرائب
فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت (ان اردن تحصنا) تعففا (حتى)

ان يكاتبه فأبى عليه فنزلت الآية فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا (قوله واحتجاج الحنفية رحمة الله تعالى عليهم) اى لا يجوز الكتابة الحالة عند الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه وتجوز عند ابي حنيفة رحمة الله تعالى عليه ووجه قول الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه ان العبد ليس له ملك يؤديه في الحال واذا عقدت حالة توجهت المطالبة عليه في الحال فان عجز عن الاداء يرد الى الرق فلا يحصل مقصود العقد كما لو اسلم في شيء لا يوجد في المحل لا يصح بخلاف ما لو اسلم الى معسر فانه يجوز له ان يتصور ان يكون له ملك في الباطن ولا يتحقق العجز عن الاداء ووجه قول ابي حنيفة رحمة الله تعالى عليه ان قوله تعالى فكاتبوهم مطلق يتناول الكتابة الحالة والمؤجلة وايضا فانهم أجمعوا على جواز العتق معلقا على مال حال فالكتابة مثله لانه بدل عن العتق في الحالين الا ان في احدهما العتق معلق على شرط الاداء وفي الآخر معجل فوجب ان لا يختلف حكمهما (قوله امانة وقدرة على اداء المال) قال الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه اراد بالخير الامانة والقوة على الكسب لان المقصود من الكتابة قلما يحصل الا بهما فانه ينبغي ان يكون المكاتب كسوبا يحصل المال و يكون امينا يصرفه في نجومه ولا يضيعه فاذا فقد الشرطان او احدهما لا يستحب ان يكاتبه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان علمتم لهم حرفة والا فلا تدعوهم كلا على الناس وحمل الخير على المال ضعيف اما من جهة اللفظ فانه لو اريد ذلك لقيل ان علمتم لهم خيرا لانه انما يقال لفلان مال ولا يقال فيه مال واما من جهة المعنى فلان العبد لا مال له فان كل ما في يده حين يكاتب فهو لسيده اكتسبه العبد في حال ما كانت يد السيد غير مقبوضة عن كسبه فلا يجوز للسيد ان يعوض بعض ماله ببعض واما ما اكتسب العبد بعد عقد الكتابة فانه مال مختص به بدأ (قوله وهو شرط الامر) اى علم المولى فيهم خيرا شرط لاستحباب العقد المستفاد من قوله تعالى فكاتبوهم فلا يلزم من انتفائه انتفاء الاستحباب لا انتفاء الجواز (قوله وفي معناه حط شيء من مال الكتابة) يعني انه تعالى امر الموالي ان يبذلوا لمماليكهم شيأ من اموالهم المملوكة لهم الا ان الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه ذهب الى ان معنى الآية حطوا شيأ عنهم من بدل الكتابة ما احببتم ربعا فما دونه جعل حط ذلك فما دونه في معنى بذل شيء من ماله ولا يخلو عن بعد لان الايتاء هو الاعطاء والتمليك المطلق ولا يقع على الحط لان بدل الكتابة ليس في حكم المال المطلق الذي آتاه الله تعالى الموالي و بدل الكتابة ليس بدين صحيح لانه دين له على عبده والمولى لا يثبت له دين صحيح على عبده

شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه وايثاره ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) اى لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص (ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات) يعنى الآيات التى بينت فى هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص فى هذا وفى الطلاق بالكسر لانها واضحات يصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين اولانها بينت الاحكام والحدود (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم (وموعظة للمتقين) يعنى ما وعظ به فى تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن وبالصفات المذكورة صفاته (الله نور السموات والارض) النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على

حتى يكون حطه عنه اعطاء وتمليكا له فالظاهر ان يقال انه امر للموالى بان يدفعوا اليهم شيأ مما اخذوه منهم اوهو امر لعامة المسلمين بان يعطوهم سهمهم الذى جعله الله تعالى لهم من الصدقات فى قوله تعالى وفى الرقاب نقل الامام عن الامام الشافعى رحمهما الله تعالى انه قال يجب على المولى ايتاء المكاتب وهو ان يحط عنه جزأ من مال الكتابة او يدفع اليه جزأ مما اخذ منه وقال الامام مالك وابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى انه مندوب اليه وليس بواجب (قوله شرط للاكراه) يعنى ان ارادة التحصن شرط للاكراه لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فانهن لو لم يردن التحصن لكان زناهن بالطبع لا بالاكراه وان جعلت الارادة المذكورة شرطا للنهى يتوهم انه اذا انتفت الارادة ارتفع النهى وارتفاعه يستلزم جواز الاكراه وليس كذلك لان ارتفاع النهى انما يستلزم جواز الاكراه ان لو كان الاكراه متصورا حال انتفاء الارادة ولا شك انه لا يتصور اكراه الطائعة على الزنى فثبت ان عدم الارادة لا يستلزم جواز الاكراه والحاصل ان اكراههن على الزنى حرام حال ارادتهن التحصن وممتنع حال ارادتهن الفجور وقوله تعالى ان اردن تحصنا ليس المقصود منه تقييد النهى بل المقصود منه تعيير المخاطبين وتوبيخهم بان الاماء اذا رغبن فى التحصن فانتم احق بذلك مع ما فيه من الاشارة الى تقبيح حالهن ايضا بكونهن راغبات فى الزنى مائلات الى البغاء حيث اتى بكلمة ان دون اذا (قوله ولذلك حرم على المكره القتل) وفى الهداية وان اكره بقتل على قتل غيره لم يسعه ان يقدم عليه ويصبر حتى يقتل فان قتله كان آثما لان قتل المسلم لا يستباح لضرورة ما فكذا لهذه الضرورة والقصاص على المكره عند ابى حنيفة ومحمد وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى يجب عليهما اى المكره والمكره وقال زفر يجب على المكره ثم ان الاكراه انما يحصل متى حصل التخويف بما يقتضى تلف النفس فاما باليسير من التخويف فلا تصير به مكرهة (قوله واوضحت فيها الاحكام) لما كان المبين حكايات هذه السورة ووصفت نفس آياتها بكونها مبينات اشار الى ان الاصل الاحكام مبين فيها فاتسع فى الظرف بان حذف حرف الجر واجرى المجرور مجرى المفعول به وقوله تعالى ومثلا عطف على آيات اى وانزلنا مثلا من امثال الذين مضوا من قبلكم اى قصة عجيبة من جنس قصصهم فان قصة عائشة رضى الله تعالى عنها كقصة يوسف ومريم عليهما السلام فى الغرابة فان قصتهم ذكر فيها تهمة من برئ مما اتهم به فيوسف عليه الصلاة والسلام اتهمته راعيل

ومريم اتهمها اليهود مع برآئهما وقيل المراد بالآيات آيات القرآن قال الامام رحمة الله تعالى عليه انه تعالى لما ذكر في هذه السورة هذه الاحكام وختم الكلام في الاحكام بهذه الآية وصف القرآن بصفات ثلاث احداها قوله تعالى ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات اى مفصلات وثانيتها قوله تعالى ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وروى عن الضحاك انه قال يريد بالمثل ما ذكر في التوراة والانجيل من اقامة الحدود فانزل في القرآن مثله وروى عن مقاتل رضى الله تعالى عنه انه قال قوله تعالى ومثلا اى شبها من حالهم بحالكم في تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام يعنى بينا لكم ما احل بهم من العقاب لتمردهم على الله تعالى فجعلنا ذلك مثلا لكم لتعلموا انكم اذا شاركتموهم في المعصية كنتم مثلهم في استحقاق العقاب وثالثها قوله تعالى وموعظة للمتقين والمراد به الوعيد والتحذير من فعل المعاصي ثم انه تعالى لما وصف نفسه بانه انزل آيات مبينات واقام دلائل واضحات وقصة عجيبة من جنس قصص من قبلنا متضمنة لموعظة ينتفع بها المتقون عقبه بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة اى مظهرهما من العدم الى الوجود فان معنى النور في اللغة هو الذى يبين الاشياء ويظهرها للابصار واعلم ان النور على اربعة اوجه احدها نور يظهر الاشياء للابصار وهو لا يراها كنور الشمس وامثالها فانه يظهر الاشياء المخفية ولا يراها وثانيها نور البصر وهو لا يظهر الاشياء للابصار ولكنه يراها وهذا النور اشرف من الاول وثالثها نور العقل وهو يظهر الاشياء المعقولة المخفية في ظلمة الجهل للابصار وهو يدركها ويراها ورابعها نور الحق تعالى وهو يظهر الاشياء المعدومة المخفية في العدم للابصار من الملك والملكوت وهو يراها في الوجود كما كان يراها في العدم بانها موجودة في علم الله تعالى وان كانت معدومة في ذواتها فما يتغير علم الله تعالى ورؤيته باظهارها في الوجود بل كان التغير راجعا الى ذوات الاشياء وصفاتها عند الايجاد والتكوين فقوله تعالى الله نور السموات والارض معناه والله تبارك وتعالى اعلم انه مظهرهما وموجدهما من العدم بكمال القدرة الازلية كما حققه المصنف رحمة الله تعالى عليه بقوله فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره الخ وذكر وجوها اخر في تأويل الآية الشريفة وعلى كل تأويل تكون هذه الآية الشريفة كالتعليل لما قبلها (قوله وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى) ضرورة ان حدوث الاجسام باسرها يستلزم حدوث الكيفيات والاعراض القائمة بها وكيف يصح اطلاق الكيفية عليه تعالى والقول بكونه تعالى حالا في الاجسام مما يحكم بداهة العقل باستحالته فان القائم بالغير محتاج اليه والمحتاج الى الغير كيف يكون الها ولما ثبت في الشرع اطلاق اسم النور عليه تعالى وانه من جملة اسمائه الشريفة الحسنى خاض النحارير

الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى [illegible] نور السموات والارض [illegible] قرئ به فانه تعالى [illegible] هما بالكواكب [illegible] يفيض منها من الانوار او بالملائكة والانبياء

من فضلاء العلماء في توجيه اطلاقه عليه تعالى وجاء كل واحد منهم بما في وسعه وطاقته واشار المصنف رحمة الله تعالى عليه الى ما ذكروه من الوجوه فمحصول الجميع انه تعالى ليس في ذاته نورا بل انما طلق عليه اسم النور اما بتقدير المضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم اوعلى تجوز وذكر فيه وجوه اخر فاندفع به ما يقال من ان قوله تعالى الله نور السموات والارض يقتضى ظاهرا انه تعالى في ذاته نور وقوله مثل نوره يقتضى ان لا يكون هو في ذاته نورا بل يكون هو امر امغايرا له مضافا اليه و بينهما تناقض فقوله تعالى الله نور السموات والارض بمعنى صاحب النور او من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة على معنى انه منور لكل مستتر بحيث كانه عين نوره ومعنى تنويره انه تعالى نور العالم بالانوار الفائضة من الكواكب اوانه تعالى نور العالم العلوى بالملائكة والعالم السفلى بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بناء على تشبيه الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام بالنور بمعنى الكيفية المدركة اولا في كونهما سبب الادراك فان الكيفية المذكورة انما اختصت بالفضيلة والشرف بسبب كون المرئيات ظاهرة منجلية بسببها و يشاركها في هذه الفضيلة اشياء اخر منها البصر وهو العين الظاهرة المدركة الاضوآء والالوان و منها البصيرة وهى القوة العاقلة التى تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات ولما كان كل واحدة من القوة الحساسة والعاقلة مشابهة للكيفية المذكورة في كونها سبب الادراك صح اطلاق اسم النور عليه مجازا ومنها القرآن العظيم والملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام فان القوة العاقلة قد يعتريها الزيغ والخلل في العلوم النظرية فلا بدلها من هاد و مرشد ولا مرشد فوق كلام الله تعالى وفوق ارشاد الانبياء فالآيات القرآنية بالنسبة الى عين القلب بمنزلة نور الشمس الى الباصرة فلذلك سمى القرآن نورا في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا وقوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا ونفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام ايضا بمنزلة نور الشمس فكما ان الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبى يفيد الانوار العقلية لسائر النفوس البشرية ولا يستفيد النور العقلى من كل شئ من الانفس البشرية فلذلك وصف الله تعالى نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بانه سراج منير وقد ثبت ان الانوار الحاصلة في ارواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام مقتبسة من الانوار الحاصلة في ارواح الملائكة عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى ان هو الاوحى يوحى وهو لا يكون الابواسطة الملائكة فلما كان ارواح الملائكة

كالمادن لانوار عقول الانبياء كانت ارواحهم بمنزلة الانوار ايضا واقوى من عقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهذا هو وجه قول المصنف رحمة الله تعالى عليه انه تعالى منور السموات والارض بالملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام (قوله اومدبرهما) باب شبه التدبير الحسن بالنور في كون كل واحد منهما سبب الاهتداء الى المصالح فاطلق اسم النور على التدبير الحسن على سبيل الاستعارة المصرحة واطلق النور بهذا المعنى عليه تعالى على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة (قوله اوموجدهما) على ان يكون قوله الله نورهما من باب التشبيه البليغ اي كالنور بالنسبة اليهما من حيث كونه مظهرا لهما او موجدا فان اصل النور هو الظهور من ظلمة العدم وانما يظهر بتأثير قدرته تعالى (قوله او الذي به تدرك) على ان يكون المراد منه انه تعالى نور بالنسبة الى نفس السموات والارض وقوله او يدرك اهلها على ان يكون تقدير الكلام الله نور اهل السموات واهل الارض وعلى التقديرين يكون الكلام من باب التشبيه البليغ ايضا حيث شبهه تعالى بالنور بمعنى الكيفية من حيث انه تعالى سبب لادراك السموات والارض بالباصرة ولادراك ما فيها من وجود الدلالات على وجود الصانع ذي الجلال والاكرام بالبصيرة وذلك لان هذه الادراكات ليست مقتضى ذات البصيرة والا لما فارقتها بل هي مستندة الى سبب خارج عن ذاتها يفيض تلك الادراكات عليها وهو الله سبحانه وتعالى فهو الذي به تدرك او به يدرك اهلها فشابه النور بمعنى الكيفية فاذلك قيل على سبيل التشبيه البليغ الله نور (قوله من حيث انه يطلق على الباصرة الخ) استشهاد على اطلاق النور على ما يكون سبب الادراك كالبصيرة والباصرة وان جاز ان يكون اطلاق النور على الباصرة لكونها متعلقة بالنور ومدركة اولا وبالذات ثم انه لما بين ان الباصرة تشارك النور في توقف الادراك على كل واحد منهما بين ان الادراك المرتب على البصيرة اقوى من الادراك المرتب على الباصرة فلما كان وجه الشبه بينهما وبين النور اقوى كان اطلاق لفظ النور عليهما اقرب واولى فان القوة الباصرة لاتدرك نفسها ولا تدرك ادراكها ولا تدرك آلتها ايضا اما انها لاتدرك نفسها ولا ادراكها فلانهما ليسا من الامور المبصرة بالعين واما انها لا تدرك آلتها التي هي العين فظاهر والبصيرة تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك آلتها وهي القلب والدماغ وايضا القوة الباصرة انما تدرك الكليات والجزئيات الموجودة والمعدومة والقوة الباصرة لاتدرك الا الجزئيات الموجودة وايضا القوة العاقلة تدرك ظواهر الاشياء وبواطنها بخلاف القوة الحسية فانها لاتدرك من الانسان مثلا الا السطح الظاهر من جسمه والالوان القائمة بذلك السطح بالاتفاق وليس

او مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور اوموجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه اوالذي به تدرك اويدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به اولمشاركته لها في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذا من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا

الانسان عبارة عن مجرد السطح واللون فالقوة الباصرة وان كانت بالنسبة الى الظاهر نورا الا انها بالنسبة الى البواطن ظلمة فكانت القوة العاقلة اشرف من الباصرة من هذا الوجه وايضا القوة العاقلة تتصرف في بواطن مدركاتها بالتركيب والتحليل فانها تضم الجنس الى الفصل فتحدث منهما طبيعة نوعية مركبة منهما وتحلل تلك الطبيعة الواحدة المقومة الى مقوماتها والى عوارضها اللازمة والمفارقة ثم تحلل مقوماتها الى الجنس وجنس الجنس والفصل وفصل الفصل وجنس الفصل وفصل الجنس الى غير ذلك والقوة الباصرة عاجزة عن النفوذ في بواطن الماهيات واعماقها (قوله ويقرب منه) اى من قوله الله نور السموات والارض قول ابن عباس معناه الخ فانه الذي به تدرك السموات لانه لما كان معنى قوله تعالى الله نور السموات والارض انه تعالى به تدرك او يدرك اهلها على معنى انه تعالى يجعل للمكلفين من المعارف والعلوم مايهتدون به ويتخلصون به من ظلمات الكفر والضلالات وورطات الزيغ والجهالات بوحي ينزله وبنبي يبلغه وهو قريب من قول حبر الامة رضي الله تعالى عنه معنى كونه تعالى نور السموات والارض انه هادي من فيهما فهم بنوره مهتدون قال المصنف ويقرب منه الخ فعلى هذا شبهت الهداية بالنور في كونها سببا للوصول الى المطلوب فاطلق اسم النور عليها على سبيل الاستعارة ثم اطلق النور بمعنى الهداية عليه تعالى على طريق رجل عدل (قوله واضافته اليهما) مع ان كونه تعالى نورا باى معنى كان ليس بالاضافة اليهما فقط فانه تعالى صاحب لنور جميع المستنيرات ومنورها ومدبرها وموجدها (قوله لم يكن على ظاهره) وهو انه تعالى في ذاته نور بل هو مؤول باحد التأويلات المذكورة (قوله كصفة مشكاة) اشارة الى ان ثمة مضافا محذوفا اى كمثل مشكاة وهو خبر لقوله مثل نوره وهذه الجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها وقوله فيها مصباح صفة لمشكاة (قوله درى) قرأ ابو عمرو والكسائي درئ بكسر الدال وياء بعدها همزة وقرأ حمزة وابو بكر عن عاصم رحمهما الله تعالى بضم الدال وياء بعدها همزة والباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همزة ومعنى انه يشبه الدر لصفائه ولمعانه ويحتمل ان لايكون منسوبا بل تكون الياء لحمزة مقلوبة من الهمزة الاصلية ويكون اصله درئ على زنة فعيل كمراق وهو حب العصفر وهو القرطم (قوله وقد قرئ به مقلوبا) اى وقد قرئ بكسر الدال وقلب الهمزة ياء (قوله تعالى توقد) على وزن تفعل فعلا ماضيا مسندا الى ضمير عائد على المصباح ولايعود على الكوكب لفساد المعنى وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو والتوقد التلألؤ والاشتعال ومن ذلك له من شجرة ...

ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما (مثل نوره) صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره (كمشكاة) كصفة مشكاة وهي الكوة غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة (المصباح في زجاجة) في قنديل من الزجاج (الزجاجة كانها كوكب درى) مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر اوفعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي درئ كشريب وقد قرئ به مقلوبا (توقد من شجرة مباركة زيتونة) اى ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة منها تفخيم لشانها

مضاف محذوف اى من زيت شجرة والذبالة بضم الذال الفتيلة وقوله زيتونة بدل من شجرة (قوله وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء) اى يوقد بضم الياء من تحت وفتح القاف على بناء المفعول من اوقد والضمير المستتر فيه يعود على المصباح وقرأ باقى السبعة كذلك الا انه بالتاء من فوق والضمير المستتر فيه القائم مقام الفاعل يعود على الزجاجة بحذف المضاف اى يوقد مصباح الزجاجة وقرئ توقد بفتح التاء من فوق وضم الدال مضارع توقد اصله تتوقد بتاءين أخذ فت احداهما والضمير ايضا للزجاجة (قوله وقرئ يوقد) اى بالياء من تحت وضم الدال مضارع توقد اصله يتوقد بياء من تحت وتاء من فوق فحذفت التاء من فوق وهذا الحذف شاذ غريب اذ لم يتوال مثلان ولم يبق فى اللفظ مايدل على المحذوف بخلاف نحو تنزل وتلظى فان فيه تاءين والباقى منهما يدل على ماحذف (قوله تعالى لاشرقية) صفة لشجرة دخلت عليها لالتقيد النفى وقرئ لاشرقية بالرفع على اضمار مبتدأ اى لاشرقية هى والجملة ايضا فى محل الجر على انها صفة لشجرة وكذا قوله يكاد زيتها يضئ وجواب قوله ولولم تمسسه نار محذوف اى لأضاء حذف لدلالة ما قبله عليه والجملة حالية جئ بها لاستقصاء الاحوال حتى فى هذه الحالة (قوله فى مقنأة) المقنأة والمقنؤة المكان الذى لاتطلع الشمس عليه هذا قول ابى عمرو وقال غيره مقناة ومقنوة بغير همزة نقيض المضحاة يقال ضحيت للشمس بكسر الحاء ضحاء بالمد اذا برزت لها وضحيت بالفتح والمستقبل اضحى فى اللغتين جميعا قال تعالى انك لاتظمأ فيها ولاتضحى (قوله نور على نور) اى فكان زيتها نورا على نور بمعنى نور المصباح على نور الزجاجة او نور النار ونور المصباح او نور الزجاجة وقوله نور على نور خبر مبتدأ محذوف اى النور الذى شبه به نور الله تعالى هو نور على نور واعلم ان الامور التى اعتبرها الله تعالى فى هذه الامثال مما يوجب كمال الضوء فاولها ان المصباح اذا لم يكن فى المشكاة تفرقت اشعته واذا وضع فى المشكاة اجتمعت اشعته فكان اشد انارة والذى يحقق ذلك ان المصباح اذا كان فى المشكاة او كان فى بيت صغير فانه يظهر من ضوئه اكثر مما اذا كان فى البيت الكبير وثانيها ان المصباح اذا كان فى زجاجة صافية والاشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة الى بعض كان اكمل فى الضوء والنور من غيره لما فى الزجاجة من الصفاء والشفافة والذى يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية قوى حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة الى الجانب الآخر كثرت الانوار والاضواء وبلغت النهاية الممكنة وثالثها ان ضوء المصباح

على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرأ ابن كثير وابو عمرو توقد بمعنى تتوقد وقرئ يوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب (لاشرقية ولاغربية) تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى اولانابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون اولا فى مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها اوفى مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفى الحديث لاخير فى شجرة ولافى نبات فى مقنأة ولاخير فيهما فى مضحى (يكاد زيتها يضئ ولولم تمسسه نار) اى يكاد يضئ بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه (نور على نور) نور متضاعف فان نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته وقد ذكر فى معنى التمثيل وجوه

(يختلف)

الاول انه تمثيل الهدى الذى دل عليه الآيات المبينات فى جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيد قرآءة ابى مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المرتبة التى ينوط بها المعاش والمعاد وهى الحساسة التى تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التى تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهى التى تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم يعلم والقوة القدسية التى يتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة فى الآية وهى المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى

يختلف بحسب اختلاف ما يتغذى به فاذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كان حاله بخلاف حاله اذا كان كدرا ورابعها ان هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته فاذا كانت لاشرقية ولاغربية بمعنى انها بارزة للشمس فى كل حالة كان ثمرها اشد نضجا فيكون زيته اكثر صفاء فاذا اجتمعت هذه الاربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لنور الله تعالى (قوله الاول انه تمثيل للهدى) اعلم انه لابد فى التشبيه من امرين المشبه والمشبه به واختلف اهل التفسير فى ان المشبه ههنا اى شئ هو وذكروا وجوها احدها وهو قول جمهور المتكلمين أن المراد به الهدى الذى هو الآيات المبينات والمعنى ان هداية الله تعالى قد بلغت فى الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصارت بذلك بمنزلة مشكاة يكون فيها زجاجة صافية وفى الزجاجة مصباح يوقد بزيت بلغ النهاية فى الصفاء اوان هداية الله تعالى من حيث انها فى غاية الظهور والجلاء وانها محفوفة بظلمات اوهام الناس بمنزلة المصباح الموصوف بانه مع كونه فى غاية الجلاء محفوف بظلمة المشكاة فان قيل لم شبه بذلك وقد علمنا ان ضوء الشمس ابلغ من ذلك بكثير اجيب بانه سبحانه وتعالى اراد ان يصف الضوء الكامل الذى يلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التى هى كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذى يظهر فيما بين الظلمات وهذا المقصود لا يحصل من تشبيهه بضوء الشمس لان ضوأها اذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص واذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة فلاجرم كان ذلك المثل ههنا أليق واوفق (قوله وانما ولى الكاف المشكاة) بمنزلة دخولها على المصباح ولهذا قال بعض المفسرين ان هذه الآية من المقلوب والتقدير مثل نوره كمصباح فى مشكاة لان المشبه به نوره تعالى هو الذى يكون معدنا للنور ومنبعا له وذلك هو المصباح لا المشكاة (قوله او تمثيل لما نور الله تعالى به قلب المؤمن) وهو نور الايمان والعلوم المتعلقة بمعانى آيات كتاب الله تعالى ومعرفة المبدأ والمعاد والسرائر هذا النور وان كان محله قلب المؤمن الا انه نور الله تعالى من حيث انه تعالى هو الذى نور قلبه والمقصود من التمثيل بيان ان ايمان المؤمن وما فى قلبه من العلوم والمعارف قد بلغ فى الصفاء عن الشبهات والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ نور المشكاة المنعوتة (قوله او تمثيل لما منح الله تعالى به عباده من القوى الدراكة الخمس المرتبة) ذكر الامام الغزالى نفعنا الله به آمين ان القوى الدراكة انوار من حيث انه يظهر بها اصناف الموجودات وان مراتب القوى المدركة الانسانية خمس احداها القوة الحساسة وهى التى تتلقى ما تدركه الحواس الخمس وتسمى الحس المشترك وثانيتها القوة الخيالية التى تحفظ صور تلك

المحسوسات لتعرضها على القوة العقليـة التي هي فوقها عند الحاجة اليه وثالثها القوة العقليـة المدركة للحقائق الكليـة ورابعتها القوة المفكرة وهي التي تأخذ المعارف فتؤلفها تأليفا فتستنتج من تأليفها اياها علما بالمجهول وخامستها القوة القدسـية التي يختص بها الانبيـاء و بعض الاولياء و يتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملك والملكوت واليه الاشارة بقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وهذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالامور التي ذكرها الله تعالى وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فشبه الله تعالى القوة الحساسة بالمشـكاة من حيث ان محلها اى مأخذ ما ارتسم فيها كالكوى فان الحس المشترك انما يأخذ مدركاته من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وكل واحدة من تلك الثقب تشبه كوة غيرنافذة وهي المشكاة (قوله ووجهها الى الظاهر) اى القوة الحساسة وجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراء نفسها وانما تدرك ما قدامها كالكوة لاتنظر الى ماوراءها لكونها غيرنافذة وايضا اضاءتها ليست بنفس ذاتها بل بما ارتسم فيها من الصور المدركة كالمشكاة التي لاتضيء الذات بل بواسطة ماوضع فيها من المصباح وشبه القوة الخيالية بالزجاجة من حيث انها تقبل صور المدركات من جوانب البدن كما تقبل الزجاجة الانوار الحسية من الجوانب ومن حيث انها تضبط الانوار العقلية وتحفظها كما تحفظ الزجاجة الانوار الحسية عن الانمحاء والزوال ومن حيث انها تستنير بما تشتمل عليه من المعقولات كما تستنير الزجاجة بما فيها من المصباح وشبه القوة العقلية بالمصبـاح لاضاءتها بالادراك والمعـارف كما يضيء المصباح بالانوار الحسية وشبه القوة الفكرية بالشجرة المباركة من حيث انها تؤدي الى نتائج كثيرة وهي بمنزلة الثمرة فان المفكرة تنتج نتائج هي ثمراتها ثم تعود فتجعـل تلك الثمرات مدونة ثم تعود لامثالها حتى تؤدي الى ثمرات لانهاية لها فبالحرى ان يكون مثلهـا في هذا العالم هي الشجرة المبـاركة الكثيرة النـفع والزيتونة المثمرة عطف على قوله كالشجرة المبـاركة الاول توضيح لكون المفكرة كالشجرة المباركة والثاني توضيح لكونها كزيتونة فان شجرة الزيتون لها فضيلة على سائر الاشجار من حيث ان لب ثمرتها هو الزيت الذي له منافع كثيرة ومن جملتها انه مادة المصابيح والانوار الحسية وله من بين سائر الادهـان زيادة الاشراق مع قلة الدخان فلذلك افاد ابدال قوله زيتونة من قوله شجرة مباركة تفخيم شان الشجرة (قوله التي لاتكون شرقيـة ولاغربية) صـفة لقوله والفكرة والمعتبر في جانب المشبه بها كونها لاشرقية ولاغربية تعرض لكونها معتبرة في جانب المشـبه ايضا لكون المشـابهة من هذا الوجه فان القوة المفكرة

ووجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراءها واضاءتها بالمعقولات لابالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها الانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لانهاية لها والزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لاتكون شرقية ولاغربية لتجردها عن اللواحق الجسمية

اواوقوعها بين الصور والمعانى متصرفة ﴿ ٣٤٣ ﴾ فى القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها اصفا انهسا وشدة ذكائها تكاد تضئ بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية فى مراتبها بذلك فانها فى بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث يتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذى يكاد زيتها يضئ لانها تكاد تعلم وان لم يتصل بملك الوحى والالهام الذى مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث يتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور (يهدى الله لنوره) لهذا النور الثاقب (من يشاء) فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها (ويضرب الله الامثال للناس) ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا (والله بكل شئ عليم) معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن

لما كانت مجردة عن اللواحق الجسمية لم تكن شرقية ولا غربية فلذلك شبهت بشجرة لاشرقية ولا غربية (قوله اولوقوعها بين الصور والمعانى) علة لكون المفكرة لاشرقية ولا غربية ولما لم يكن انتفاعها مختصا بجانب الصور ولا بجانب المعانى شبهت بشجرة لاشرقية ولا غربية فالموجودات الخارجية لما كانت محققة بالاصالة وكانت المعانى بحسب الاغلب منتزعة منها بافاضة الفاعل المختار اياها على النفس الناطقة على حسب مناسبات مختلفة واستعدادات شتى كان جانب الصور اشبه بكونه شرقيا وجانب المعنى بكونه غربيا وشبهت القوة القدسية بالزيت الذى يكاد يضئ من غير ان تمسسه نار فان القوة القدسية لكمال صفائها وشدة استعدادها لاتحتاج الى تعليم وتنبيه فى الاستنارة بالعلوم والمعارف ولما كانت هذه القوى مترتبة حيث كان الحس كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة للعقل ناسب ان تجعل المشكاة كالظرف للزجاجة التى هى كالظرف للمصباح (قوله او تمثيل للقوة العقلية فى مراتبها) كما ذهب اليه ابو على ابن سينا فان النفس الناطقة بحسب استكمالها بالمطالب النظرية لها مراتب مختلفة الاولى مرتبة الاستعداد لحصول الكمال والثانية مرتبة حصول نفس الكمال ثم ان الاستعداد على ثلاث مراتب اضعفها الاستعداد المحض والنفس فى هذه المرتبة تسمى عقلا هيولانيا والاستعداد المتوسط يحصل عند حصول المعقولات الاولى وتمكن النفس من ترتيبها والانتقال منها الى المطالب النظرية والنفس فى هذه المرتبة تسمى عقلا بالملكة والاستعداد القوى هو استعداد استحضار المطالب بعد حصولها والذهول عنها من غير تجشم كسب جديد وتسمى النفس فى هذه المرتبة بالعقل بالفعل وتسمى فى مرتبة الكمال وهى مرتبة حصول المطالب مشاهدتها بالعقل المستفاد وقد تطلق هذه الاسامى على انفس هذه المراتب ايضا ثم حصول المطالب من المبادى الاول ان كان ترتيبها والانتقال من بعضها الى بعض بطريق الحركة فى الكيف يسمى تحصيلها بهذه الطريق فكرا وان لم يكن بطريق الترتب والانتقال من بعضها الى بعض يسمى حدسا وهذه المراتب يصح اطلاق اسم النور عليها لكونها وسائل الى ظهور المدركات والقوة العقلية فى مرتبة العقل الهيولانى تشبه بالمشكاة الخالية فى بدء الامر عن الانوار الحسية المستعدة للاستنارة بها وفى مرتبة العقل بالملكة تشبه بالزجاجة المتلألئة فى نفسها المشبهة بالكوكب الدرى القابلة للانوار الفائضة عليها من النير الخارجى وقد مر ان القوة العقلية فى مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات قد يكون تمكنها منه بطريق الحركة الفكرية وقد يكون بطريق الحدس وشبه تمكنها من تحصيل النظر منه بالطريق الاولى بتمكن الزجاجة من ان توقد من شجرة الزيتونة فان توقد الزجاجة من تلك

الشجرة يحتاج الى تكلف واعمال مثل ان يعصر زيتونها ويستخرج زيتها ويروى الفتيلة بزيتها فكذلك الاستحصال من المطالب بطريق الفكر فان النفس تحتاج فيه الى مزاولة الفكر والاعمال فكان قوله تعالى توقد من شجرة مباركة زيتونة اشارة الى تشبيه مرتبة التمكن من الاستحصال بطريق الفكر بتوقد الزجاجة من شجرة الزيتونة وقوله تعالى يكاد زيتها اشارة الى تشبيه تمكنها بطريق الحدس بتوقد الزجاجة من الزيت ثم ان القوة النفسانية المتمكنة من الاستحصال اذا بلغت وقويت فى صفائها عن الكدورات الطبيعية الى غاية اللطافة يكون استفاضتها من عالم الغيب فى غاية الكمال والقوة حتى تكاد تعلم وان لم تتصل بملك الوحى والالهام فكان قوله تعالى يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار اشارة الى تشبيه تمكنها من تحصيل النظريات بقوة قدسية بالزجاجة التى لاتحتاج فى توقدها الى ان تمس النار زيتها بل تشتعل بمجرد صفاء بالزيت الحاصل فيها فظهر بما قررنا ان للقوة العقلية فى مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات ثلاثة اعتبارات تمكنها منه بطريق الفكر و بطريق الحدس و بالقوة القدسية وشبهت بالاعتبار الاول بالزجاجة المتوقدة من الشجر و بالاعتبار الثانى بالزجاجة المتوقدة بالزيت الذى مسته النار و بالاعتبار الثالث بالزجاجة التى لاتحتاج فى توقدها الى ان تتصل زيتها بالنار ثم انها شبهت فى مرتبة العقل بالفعل بالمصباح الذى اشتعلت فتيلته المشبعة بالزيت بمماسة النار اياها فان المدركات النظرية فى هذه المرتبة وان لم تكن بحيث تشاهدها النفس بالفعل الا انها حاصلة عندها مخزونة فيها بحيث لاتحتاج فى استحضارها الى تجشم كسب جديد فصح تشبيهها فى هذه المرتبة بالمصباح المذكور وشبهت فى مرتبة العقل المستفاد بالنور المتضاعف فان العاقلة اذا استحضرت العلوم الضرورية والنظرية بالفعل وصارت مشاهدة اياهما حصل لها نور على نور اعنى نور مشاهدة النظريات على نور مشاهدة الضروريات ونور ملكة الانتقال عنها الى النظريات ونور حصولها بالفعل وحاصل الكلام انه تعالى مثل نوره الذى اعطاه الانسان المكرم اعنى النور المعنوى الذى هو مراتب النفس الانسانية من بداية الاستكمال الى نهايته وقواها الفائضة عليها وهى القوة الفكرية والحدسية والقدسية بما ذكره من المشكاة والزجاجة والشجرة والزيتونة والزيت الذى مسته النار والزيت الذى يكاد يضئ من غير ان تمسه النار والمصباح ونور على نور فظهر بما ذكرنا وجه الترتيب المذكور فى الآية (قوله متعلق بما قبله) اى صفة لمشكاة او متعلق بمحذوف او متعلق بقوله توقد ولما ورد ان يقال ان المقصود من التمثيل تفخيم شانه اى شان نور الله تعالى من حيث الوضوح والجلاء وتشبيهه بما هو فى غاية الانارة والجلاء فلابد ان يكون

(بكل واحد)

ام يكثرث بها (فى بيوت) متعلق بما قبله اى كمشكاة فى بعض بيوت او توقد فى بعض بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا و مبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلاة المؤمنين او لابدانهم بالمساجد

لكل واحد من القيود المعتبرة فى المشبه به مدخل فى ذلك ولا مدخل لكون المشكاة المنعوتة فى المساجد ولا لكون المصباح الكائن فيها يوقد فى المساجد فى زيادة المصباح المذكور انارة واضاءة وأى فائدة فى اعتباره فى جانب المشبه به اشار الى دفعه بقوله فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان اصل التحبير قد حصل بما فى القيود المذكورة وباعتبار كونها فى المساجد تحصل المبالغة فى التحبير وفى الصحاح تحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه وقوله اوتمثيلا عطف على قوله تحبيرا وهو مبنى على ان يكون المشبه نور المؤمن فانه لما اعتبر فى جانب المشبه به كون المشكاة التى فيها المصباح واقعة فى المساجد لزم ان يعتبر فى جانب المشبه ايضا كون القلب المنور واقعا فيما يشبه المساجد وهو اما صلاته او بدنه فان كل واحد من الصلاة والبدن لما كان محلا لانواع العبادات شابه المسجد كأنه قيل مثل ما نور الله تعالى به قلب المؤمن وهو فى الصلاة او قالبه الموضوع فى بدنه كمثل المشكاة المنعوتة فيكون التشبيه مفردا شبه قلبه بالمشكاة وما فيه من النور بنور المصباح الموصوف وصلاته وبدنه بالمسجد (قوله ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكاة) جواب عما يقال كيف يجوز ان يكون قوله فى بيوت صفة مشكاة وهى واحدة والمشكاة الواحدة لا تكون فى بيوت وحاصل الجواب ان التنكير فى قوله تعالى كمشكاة وفى قوله تعالى فيها مصباح وفى قوله تعالى فى زجاجة وفى قوله تعالى كأنها كوكب درى للنوعية لا للفردية (قوله وفيها تكرير) جواب عما يقال لا وجه لكون قوله تعالى فى بيوت متعلقا بالفعل المذكور بعده وهو يسبح لانه يصير المعنى حينئذ فى بيوت اذن الله تعالى يسبح له فيها ويكون قوله فيها تكريرا بلا فائدة فأجاب عنه بان التكرير لاجل التأكيد كثير (قوله او بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت) وهذه الجملة مرتبة على قوله تعالى الله نور السموات والارض اى الله نور السموات فسبحوه فى بيوت الا انه ترك لغاء للعلم به كما يقال قم يدعوك والمراد قم فانه يدعوك (قوله والمراد بها المساجد) اى لا مطلق البيوت لان المراد بالاذن الامر وفى البيوت ما لم يأمر الله تعالى بان يرفع سواء كان الرفع بمعنى البناء كما فى قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت او بمعنى التعظيم ورفع القدر وايضا فيها ما لم يأمر الله تعالى بان يذكر فيه اسمه وهذه الاوصاف انما تليق بالمساجد اى مسجد كان وتخصيصها بالمساجد الثلاثة لمسجد الحرام الذى بناه ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومسجد بيت المقدس الذى بناه داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ومسجد المدينة الذى بناه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يتناول المسجد الذى فيه الروضة المنورة ومسجد

ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع) بالبناء او التعظيم (ويذكر فيها اسمه) عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى افعاله والمباحثة فى احكامه (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) ينزهونه اى يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل

وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما دل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو (لا تلهيهم تجارة) لا تشغلهم معاملة رابحة (ولا بيع عن ذكر الله) مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم من قسمى التجارة فان الربح يتحقق بالبيع و يتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبدأها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار (واقام الصلاة) عوض ﴿ ٣٤٦ ﴾ فيه الاضافة عن التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله * واخلفوك عد الامر الذى وعدوا * (وايتاء الزكاة) ما يجب اخراجه من المال للمستحقين (يخافون يوما) مع ما هم عليه من الذكر والطاعة (تتقلب فيه القلوب والابصار) تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه و تبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اى ناحية يؤخذ بهم واوتى كتابهم (ليجزيهم الله) متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون (احسن ما عملوا) احسن جزاء ما عملوا والموعود لهم من الجنة (ويزيدهم من فضله) اشياء لم يعدهم على اعمالهم و لم تخطر ببالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان

قبا الذى اسس على التقوى تخصيص بلا دليل و الغدو مصدر يقال غدا يغدو غدوا اذا دخل فى وقت الغدو و هو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والمصدر لا يقع فيه الفعل فلابد من تقدير الزمان معه ليقع الفعل فيه فقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو من قبيل آتيك طلوع الشمس اى وقت طلوعها من حيث انه عبر عن الوقت بالمصدر واما الآصال فانه اسم للوقت لانه جمع اصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب كشريف واشراف ويجمع الاصيل ايضا على اصل واسائل (قوله وقرأ ابن عامر وعاصم) اى برواية ابى بكر فانه يقرأ على رواية حفص عنه يسبح بفتح الباء كما فى السبعة فيكون الفعل مسندا الى احد الظروف الثلاثة اعنى له فيها بالغدو ويكون رجال مرفوعا بفعل مضمر يدل عليه يسبح الظاهر لانه لما قيل يسبح له فيها فكأنه قيل من يسبحه فقيل رجال اى يسبحه رجال كما فى قوله * ليبك يزيد ضارع لخصومة كأنه قيل من يبكيه فقيل يبكيه ضارع وقرئ تسبح بالتاء وكسر الباء لان رجال يعامل معاملة المؤنث فى بعض الاحكام وهذا منها وقرئ بالتاء وفتح الباء على اسناد الفعل الى الاوقات المذكورة بعده وكون الباء زائدة والاصل تسبح الغدو والآصال بمعنى تسبح الاوقات التى يعبر عنها بالغدو والآصال جعل الاوقات مسبحة على طريق صام نهاره والمراد يسبح رب هذه الاوقات فيها (قوله وفيه ايماء بانهم تجار) الا انهم مع ذلك لا يشغلهم عن ذكر الله تعالى شئ من ضروب المعاملات وقيل ان الآية نزلت فى الذين لا يشتغلون بالتجارة والبيع بل كانوا فرغوا انفسهم لذكر الله تعالى وطاعته كاصحاب الصفة واشار المصنف رحمه الله تعالى عليه الى ضعف هذا القول بقوله وفيه ايماء اذ ما ذكره هذا القائل لا يتبادر اليه الاذهان قال الحسن رضى الله تعالى عنه اما والله انهم كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرائض الله لم يلههم عنها شئ فقاموا بالصلاة والزكاة (قوله واقام الصلاة) اى باتمامها برعاية جميع ما اعتبره الشرع فيها من الاركان والشرائط والسنن والآداب فمن تساهل

(فى شئ)

(والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة) والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار و جيرة و قرئ بقيعات كديمات فى ديمة (يحسبه الظمآن ماء) اى العطشان

وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة (حتى اذا جاءه) جاء ما توهمه ماء او موضعه (لم يجده شيأ) مما ظنه (ووجد الله عنده) عقابه او زبانيته اووجده محاسبا اياه (فوفاه حسابه) استعراضا او مجازاة (والله سريع الحساب) لايشغله حساب عن حساب ﴿٣٤٧﴾ روى انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر (او كظلمات) عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة (في بحر لجي) ذي لج اي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء (يغشاه) يغشى البحر (موج من فوقه موج) اي امواج مترادفة متراكمة (من فوقه) من فوق الموج الثاني (سحاب) غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر (ظلمات) اي هذه ظلمات (بعضها فوق بعض) وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها في رواية البزي (اذا اخرج يده) وهي اقرب ما يرى اليه (لم يكد يراها) لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح والضمير للراقم في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها (فما له من نور) بخلاف الموفق الذي له نور على نور (ألم تر)

وشيء منها لا يكون مقيما لها واصله اقوام قلبت الواو ألفا فاجتمع ألفان فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين فبقي اقام ثم ادخلت الهاء عوضا عن الالف المحذوفة فقيل اقامة ثم حذفت تلك الهاء حال الاضافة وجعلت الاضافة قائمة مقام الهاء المحذوفة في كونها عوضا قيل المراد بذكر الله تعالى الثناء على الله تعالى والدعوات والظاهر ان المراد به جميع ما يتضمن ذكره تعالى وتخصيص اقامة الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر بعد التعميم تعظيم لشأنهما لكونهما أهم اقسام ذكره تعالى وقوله تعالى يخافون يوما يجوز ان يكون نعتا ثانيا لرجال وان يكون حالا من مفعول لاتلهيهم و يوما مفعول به لا ظرف على الظاهر وتتقلب صفة ليوما (قوله وتخصيصه) يعني تخصيص الظمآن بالذكر مع ان جميع من ينظر اليه سواء كان ظمآن ام لا يظنه ماء جاريا لان من ليس بظمآن اذا جاءه ولم يجده ماء لم يحصل له خيبة عما احتاج اليه بخلاف العطشان فانه يصير خائبا عما اشتد احتياجه اليه فكذلك الكافر فانه ان كان ما اتى به من اعمال البر في الدنيا كصلة الرحم واقراء الضيف واعتاق الرقاب واراقة الماء ونحو ذلك مما يعتقد ان له ثوابا عليه فهو لا يستحق عليه ثوابا وان كان من افعال الاثم فهو يستحق عليه عقابا مع انه يعتقد انه يستحق عليه ثوابا فحيثما كان يعتقد ان له ثوابا عند الله تعالى فاذا اتى عرصة القيامة ولم يجد الثواب الذي يحتاج اليه بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فتشبه حاله حال الظمآن الذي تشتد حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب من بعيد يتعلق قلبه به ويرجو النجاة مما هو فيه ويقوى طمعه فاذا جاءه ولم يجد شيأ مما حسبه وهو الماء فحينئذ يعظم عليه ذلك فيزداد خيبة وحسرة وهذا المثل في غاية الحسن (قوله لم يجده شيأ مما ظنه) اشارة الى جواب ما يقال من ان قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيأ وقوله لم يجده شيأ ينفي ما ثبته وهو تناقض (قوله استعراضا) اي يوفي الله تعالى حسابه بان يقول له اعرض علي ما عملته وما ادخرته ليومك هذا من قولهم استعرضت فلانا اذا قلت له اعرض علي ما عندك وقوله او مجازاة على عمله بان يوفيه الله تعالى جزاءه المستحق بعمله فما حسبه خيرا يعود عليه شرا وما طمع فيه ثوابا اعقبه الله عقابا لانه تعالى ابطله بكفره (قوله رسيس الهوى) فعيل بمعنى فاعل من رس الحب في الفؤاد اذا ثبت فالرسيس الشيء الثابت الذي

ألم تعلم علماً يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال (ان الله يسبح له من في السموات والارض) ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال (والطير) على الاول تخصيص لما فيها من الصنيع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله (صافات) فان اعطاء الاجرام الثقيلة مابه تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره (كل) كل واحد مما ذكر او من الطير (قد علم صلاته وتسبيحه) اى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله تعالى (والله عليم بما يفعلون) او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما ألهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء (ولله ملك السموات والارض)

لا ينفك عما اقيه و بالجملة مايصدر من الكافر من العقائد والاقوال والاعمال لكونها خالية عن نور هداية الله تعالى وتوفيقه وعن نور دلائل الحق و براهينه العقلية والنقلية وعن تقليد اهل الحق كانت تلك العقائد والاعمال و الاقوال كلها كالظلمات المتراكمة فان الكافر لا يهتدي بقلبه ولا بسمعه ولا ببصره الى ماهو الحق المقبول عند الله تعالى فلا يدري الحق ولا يدري انه لا يدري و يعتقد انه يدري فيشتد اصراره على ماهو عليه من الكفر وانواع الضلالات والجهالات فيكون كالواقع في قعر البحر ذي اللجة اى التي هي معظم الماء اغمر البعيد القعر الذي يغشاه اى يعلو ذلك البحر اللجي موج من فوق ذلك الموج موج آخر من فوق الموج الاعلى سحاب فمن كان في هذه الظلمات يكون حاله خلاف من احاط به نور توفيق الله تعالى وهدايته ونور الدلائل العقلية والنقلية من الكتاب والسنة والاتباع لسيرة العلماء والصالحين فكانوا في نور على نور (قوله الم تعلم) يعني ان المراد بالرؤية رؤية القلب لان تسبيح المسبحين لا يتعلق به رؤية البصر والكلام وان كان على صورة الاستفهام الا ان المراد التقرير اى قد علمت وتيقنت بالوحي والاستدلال وعبر عن الرؤية بالعلم للدلالة على ان المقصود تقرير العلم النازل منزلة المشاهدة والعيان في الوثاقة والايقان ومن في السموات والارض على اهلهما مطلقا من العقلاء وغيرهم باعتبار التغليب ومن المعلوم ان اهلهما مطلقا لا ينطقون بالتسبيح ولا يتكلمون به بل المراد بتسبيحهم الدلالة على كونه تعالى منزها عن النقائص بلسان المقال او الحال وقوله او الملائكة عطف على قوله اهل السموات وقوله بما يدل متعلق بينزه ذاته وتخصيص الطير بالذكر على ان تكون كلمة من تعم العقلاء وغيرهم لكونه اظهر دلالة على تنزيه الصانع وعلى كمال قدرته (قوله اى قد علم الله) على ان يكون علم مسندا الى ضمير اسم الله تعالى و يكون ضميرا صلاته وتسبيحه راجعين الى كل و يكون المعنى كل جنس من المذكورين قد علم الله صلاته اى دعاءه وتسبيحه فيما يحتاج اليه اى يعلم صلاته كيف يصلي وتسبيحه كيف يسبح و يؤيد هذا المعنى اسناد العلم اليه تعالى في قوله والله عليم بما يفعلون اى بما يفعل الحيوان اختيارا او الجماد طبعا من الصلاة والتسبيح وغيرهما (قوله او علم كل) على ان يكون الضمائر كلها راجعة الى كل والمعنى كل قد علم صلاة نفسه وتسبيحها على معنى انهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلاة والتسبيح على ان يكون قوله علم استعارة تبعية بان شبه دلالة كل واحد من المذكورين على الحق بلسان الحال او المقال وميل كل واحد منهم الى النفع اختيارا او طبعا بحال من يعلم التسبيح والصلاة فطلق على كل واحد من تلك الدلالة والميل اسم العلم على سبيل الاستعارة واشتق منه لفظ علم وههنا احتمال ثالث لم يذكره

(المصنف)

المصنف رحمة الله تعالى عليه وهو عكس الاحتمال الاول بان يكون ضمير علم راجعا الى كل وضمير صلاته وتسبيحه راجعين اليه تعالى والمعنى كل من هذه الاجناس قد علم صلاة الله وتسبيحه روى عن ابى ثابت رضى الله تعالى عنه انه قال كنت جالسا عند ابى جعفر الباقر فقال رضى الله عنه أتدرى ماذا تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس و بعد طلوعها قلت لا قال فانهن يقدسن ربهن ويسألنه قوت يومهن واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا الطير لوكانت عارفة بالله لكانت كالعقلاء الذين يفقهون ويعلمون و يفهمون وشاركتنا لكنها ليست كذلك فانا نعلم بالضرورة انها اشد نقصانا من الصبى الذى لايعرف هذه الامور فبأن يمتنع ذلك منها اولى و اذا ثبت انها لا تعرف الله تعالى استحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت انها لاتسبح الله تعالى الا بلسان الحال وقال بعض اهل العلم رحمة الله تعالى عليهم انا نشاهد ان الله سبحانه وتعالى ألهم الطيور وسائر الحشرات عما لا اصيفه يعجز عنها اكثر العقلاء واذا كان الامر كذلك فلم لا يجوز ان يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه وان كانت غير عارفة لسائر الامور التى يعرفها الناس فالمصنف رحمه الله تعالى عليه اختار ما ذهب اليه المتكلمون ثم اشار الى قبول هذا البعض بقوله مع انه لايبعد ان يلهم الله تعالى الطير الخ (قوله فانه الخالق لهما الخ مع قوله واليه مرجع الجميع) اشارة الى ان هذه الآية الكريمة مع وجازة نظمها تدل على انه تعالى مبدئ جميع الكائنات ومعيدها وكفى بهذه معرفة وموعظة (قوله بان يكون قزعا) وهو بفتحتين جمع قزعة وهى قطعة من السحاب رقيقة والمقصود الاشارة الى دفع مايقال من ان لفظ بين لايقع الا مضافا الى متعدد وههنا قد اضيف الى ضمير سحاب وهو شئ واحد وحاصل الجواب ان لفظ السحاب اسم جنس يصح اطلاقه على سحابة واحدة وعلى ما فوقها والمراد ههنا قطع السحاب بقرينة اضافة بين الى ضميره (ثم يجعله ركاما) (قوله اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد) على ان تكون من الاولى لابتداء الغاية وهى كذلك بالاتفاق وكذلك الثانية ساء على انها مع مجرورها بدل من الاولى بدل اشتمال باعادة العامل و لا تستقيم البدلية الا بموافقتهما فى المعنى فلو قلت خرجت من مصر من محلة كذا لاتكون الاولى والثانية الا لابتداء الغاية وبين الجبال بقوله من برد اى ينزل من جبال فى السماء هى برد وقدرت ينزل لان البدل فى حكم تكرير العامل فعلى هذا الوجه وجب ان يكون مفعول ينزل محذوفا وهو بردا لان المنزل من الجبال وهى البرد برد وان جعلت الثانية للتبعيض والثالثة للبيان يكون من جبال مفعول نزل والمعنى و ينزل من السماء

فانه الخالق لهما ولانفعهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب (والى الله المصير) واليه مرجع الجميع (ألم تر ان الله يزجى سحابا) يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد (ثم يؤلف بينه) بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض و بهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه و أثناءه و رش يؤلف غير مهمور (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله (و ينزل من السماء) من الغمام وكل ما علاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها او جمودها (من برد) بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا

وقد يبرد الهوآء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا او ينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله (فيصيب به من يشاء و يصرفه عمن يشاء (والضمير للبرد (يكاد سنا برقه) ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو و بادغام الدال فى السين و برقه بفتح الرآء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع (يذهب بالابصار) بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك (ان فى ذلك) فيما تقدم ذكره (لعبرة لاولى الابصار) لدلالته على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة (والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة (من ماء) هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة (خلقوا) الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية

بعض الجبال التى هى البرد فالمنزل برد لان بعض البرد برد وان جعلت الاولى لابتداء والثالثة للتبعيض يكون المفعول من برد والتقدير و ينزل بعض برد من السماء من جبال فيها اى قطع عظام كائنة فى السحاب تشبه الجبال فى عظمها وفى جمودها وصلابتها فان الجسم الشديد المتحجر يقال له جبل لتحجره وجموده (قوله وقد يبرد الهوآء) يعنى ان ما ذكر من السحاب والمطر والثلج والبرد يتكون فى الاغلب من تكاثف البخار وقد يتكون من تكاثف الهوآء اما الاول فان البخار الصاعد ان كان قليلا وكان فى الهوآء من الحرارة ما يحلل ذلك البخار فحينئذ يحل و ينقلب هوآء وان كان البخار كثيرا او لم يكن فى الهوآء من الحرارة ما يحلله فتلك الابخرة المتصاعدة اما ان تبلغ فى صعودها الى الطبقة البارة من الهوآء اولا تبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا اولا فان لم يكن البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع فالبخار المجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر واما ان كان البرد هناك شديدا فلا يخلو اما ان يصل البرد الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها وانعقادها سحابا او بعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاول نزل الجمد وان كان على الوجه الثانى نزل بردا وقد ينعقد السحاب بانقباض الهوآء وذلك عند ما يبرد الهوآء بردا مفرطا (قوله والضمير) اى ضمير به للبرد اى يصيب الله بذلك البرد من يشاء من الناس فيضره فى زرعه وثمرته وماشيته و يصرفه عمن يشاء من الناس فلا يضره فى شئ منها (قوله ضوء برقه) يعنى ان السنا مقصورا بمعنى الضوء يقال سنا يسنو سنا اى اضاء يضيئ والمعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوئه والبرق الذى يكون صفته ذلك لا بد ان يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الهوآء والبرد فظهوره فى خلال السحاب يقتضى ظهور الضد من الضد وذلك لا يمكن [illegible]

يزجى سحابا الى قوله تعالى يقلب الله الليل والنهار واعلم انه تعالى استدل على وحدانيته اولا بقوله تعالى ألم تر ان الله يسبح له من وثانيا بقوله الم تر ان الله يزجى سحابا فالاول استدلال باحوال اهل السماء والارض و الثانى استدلال بالآثار العلوية ثم استدل ثالثا باحوال الحيوانات فقال والله خلق كل دابة من ماء واختار المصنف ان تكون كلمة من متعلقة بخلق وانها لابتداء الغاية والمعنى خلق من ماء كل دابة فورد عليه ان كثيرا من الحيوانات لم يخلق من الماء سوآء فسر الماء بالجنس الذى هو احد العناصر الاربعة او بماء الذكر والانثى وهو النطفة كالملائكة فانهم

خلقوا من نور والجن فانهم خلقوا من نار وكآدم فانه خلق من تراب وكعيسى فانه خلق من روح قال تعالى خلقته من تراب وقال فنفخنا فيها من روحنا واشار المصنف بقوله حيوان يدب على الارض الى ان الدابة ليست عبارة عن مطلق ما يمشى ويتحرك بل هى اسم للحيوان الذى يدب على الارض ومسكنه هنالك فيخرج منها الملائكة والجن واشار الى دفع الانتقاض بآدم وعيسى بان المراد بالماء ماهو احد العناصر وبكونه مبدأ الخلقة كونه جزأ من مادة كل دابة فان اعضاء الحيوان لا تخلو عن رطوبة مائية والظاهر على هذا ان تنوين دابة للافراد وان يكون كل بمعنى الجميع وان يكون تنوين ماء للوحدة الجنسية اوالنوعية والمعنى خلق جميع افراد الدابة مع اختلاف اشكالها وطبائعها من شئ واحد وهو عنصر الماء اوالنطفة فلابد ان يكون اختصاص كل واحد منها بما يخصها مستندا الى صانع قادر على كل شئ ثم اشار بقوله وقيل من ماء متعلق بدابة اى متعلق بمحذوف على انه صفة لدابة الى جواب آخر لانه اذا كان المعنى ان كل دابة كائنة من ماء مخلوقة لله تعالى لا يرد النقض بشئ مما ذكر (قوله وانما سمى الزحف مشيا) يعنى ان المشى هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون ذلك المرور على الارجل واطلق فى الآية على المرور مطلقا على سبيل الاستعارة حيث كان الاطلاق المذكور مبنيا على التشبيه ومثل هذا المجاز وهو ان تكون الكلمة موضوعة للحقيقة مع قيد فتستعمل تلك الحقيقة من غير اعتبار ذلك القيد يسميه صاحب المفتاح مجازا مرسلا ويشترط فى الاستعارة ان تكون مفيدة متضمنة للمبالغة فى التشبيه بان ينسى التشبيه ويدعى ان المشبه من عداد المشبه به كاستعمال لفظ الاسد فى الرجل الشجاع مثلا ولا فائدة فى مثل هذا المجاز لكون كل واحد من اللفظين بمنزلة المرادف للآخر عند المصير الى المراد من اللفظ فان المشى والزحف على السواء كمترادفين وكذا نحو المرسن والانف فان المرسن موضوع لمعنى الانف مع قيد ان يكون عليه الرسن الا ان المصنف وصاحب الكشاف جعلاه من قبيل الاستعارة لابتنائه على التشبيه (قوله على الاستعارة او المشاكلة) والنسخة المشهورة على الاستعارة لمشاكلة فحمل قصد المشاكلة علة لايثار قصد طريق الاستعارة وحملها علة مستقلة لها صحيح ايضا كما وقع فى الكشاف (قوله وتذكير الضمير) مع ان ظاهر النظم يقتضى تأنيثه لكونه راجعا الى قوله دابة من حيث ان اسم الدابة يقع على العقلاء وغيرهم فغلب العقلاء على غيرهم ولما عبر عن جملة الدواب بلفظ العقلاء وهو ضمير منهم ناسب ان يعبر عن الاصناف المندرجة تحتها ايضا بذلك ليوافق التفصيل الجملة ولذلك عبر عن تلك الاصناف بكلمة من التى حقها ان تطلق

وانما سمى الزحف مشيا على الاستعارة اوالمشاكلة (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشى على اربع) كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة

اختلاف الصور في الاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته (ان الله على كل شيء قدير) فيفعل مايشاء (لقد انزلنا آيات مبينات) للحقائق بانواع الدلائل (والله يهدي من يشاء) بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها (الى صراط مستقيم) هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي عليه الصلاة والسلام وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله تعالى عنه في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (واطعنا) اي اطعناهما (ثم يتولى) بالامتناع عن قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) بعد قولهم هذا (وما اولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق المتولى منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم

على العقلاء (قوله والترتيب) اي حيث قدم الزاحف على الماشي على رجلين وهو على الماشي على اربع والاستدلال بها وباختلاف صورها وطبائعها وقواها على وجود الصانع وصفات كماله من حيث ان الآية الكريمة مسوقة لبيان قدرة الله تعالى ومشى من يمشي بغير آلة المشي اثبت لها ثم مشى من يمشي على رجلين اثبت لها بالنسبة الى مشي من يمشي على اربع اذ اختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأشكالها واعضائها وطبائعها ومقاديرها ابدانها واعمارها لابد وان يكون بتدبير مدبر قاهر قادر على كل مايشاء (قوله نزلت في بشر المنافق) عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف وهو منافق يقول ان محمدا يحيف علينا ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحكم لليهودي ولم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصمني اليك فقال عمر للمنافق أكذلك فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل واخذ سيفه فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه الصلاة والسلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقد مضت قصتهما في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارض فتقاسما فوقع الى علي مالا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها اياه فتقابضا فقيل للمغيرة اخذت ارضا لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض ارضك فانما اشتريتها ان رضيتها ولا ينالها الماء فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وقد عرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت والحيف الجور والظلم ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى ذكر دلائل الوحدانية والالوهية اولا وجعل ذكرها توطئة لذم قوم اعترفوا بالدين بألسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم كما روي عن الحسن البصري انه قال نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر (قوله ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه) اي يتولى بذلك عن قوله واطعنا (قوله وسلب الايمان عنهم لتوليهم) الذي هو من امارات التكذيب فعلى هذا يكون المراد بالقائلين جميع من ادعى الايمان مخلصا كان او منافقا والايمان انما سلب عمن تولى منهم (قوله او ثابتون عليه) مبني على ان تكون الاشارة الى الفريق المتولي منهم على طريق اللف والنشر المرتب والحاصل ان الضمير في قوله تعالى ويقولون يجوز ان يكون لقوم منافقين ويكون المراد بالتولي التولي عن الطاعة بعد التزامها

(واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) اى ليحكم النبى صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا او المدعو اليه وذكر الله
لتعظيمه والدلالة على ان حكمه فى الحقيقة حكم الله (اذا فريق منهم معرضون) فاجأ فريق منهم
الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لاتحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه (وان يكن لهم الحق) اى الحكم لا عليهم (يأتوا اليه مذعنين) منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او للمذعنين وتقديمه للاختصاص (أفى قلوبهم مرض) كفرا وميل الى الظلم (ام ارتابوا) بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم و يقينهم بك (ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) فى الحكومة (بل اولئك هم الظالمون) اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او فى الحاكم والثانى اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا (٤٥) واطعنا واولئك هم (سا) المفلحون) على عادته تعالى فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغى بعد انكاره لما لا ينبغى وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول

بقولهم واطعنا وكلمة ثم يجوز ان تكون للتراخى الزمانى وان تكون استبعادا للتولى عن قولهم آمنا واطعنا فعلى هذا يكون قوله وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين جميعا و يجوز ان يكون الضمير المذكور لقوم مؤمنين ومعنى يتولى ان بعضهم لا يثبتون على الايمان و بعضهم يثبتون عليه فتكون الاشارة الى الفريق المتولى (قوله اى ليحكم النبى عليه الصلاة والسلام فانه الحاكم ظاهرا) جواب عما يقال كيف افرد ضمير ليحكم بعد قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله اى الى كتاب الله تعالى وحكم رسوله لانه من المعلوم البين انهم لا يدعون الى نفس ذاته تعالى وكان الظاهر ان يقال ليحكما بينهم وتقرير الجواب ان الداعى يعلم ان الحاكم حقيقة هو الله تعالى وكتابه لكن ذلك الحكم انما يظهر و يتبين بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فكان الحاكم المدعو اليه بحسب الظاهر هو الرسول وكان ذكر الله لتعظيمه عليه الصلاة والسلام بالاشعار بمكانته عند الله فان حكمه فى الحقيقة حكم الله تعالى (قوله تعالى أفى قلوبهم مرض) استفهام تقرير للذم والتوبيخ كما فى قوله

ألست من القوم الذين تعاهدوا * على اللؤم والفحشاء فى سالف الدهر

ويقع فى مقام المدح والثناء ايضا كما فى قوله

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

وكلمة ام فى قوله تعالى ام ارتابوا ام يخافون منقطعة مقدرة ببل والهمزة اى بل ارتابوا بل يخافون بين الله تعالى سبب اعراضهم وامتناعهم عن المحاكمة الى الرسول على سبيل الاستفهام التقريرى فقال ان ذلك لكفرهم او لميلهم الى ظلم من له الحق عليهم ثم اضرب عن ذلك قائلا ان السبب فيه أهو اطلاعهم على ما يريبهم فى عدله وامانته ثم اضرب عنه الى انه هل هو مجرد خوفهم من ظلمه عليهم من غير ان يطلعوا على ما يريبهم ثم اضرب عن الاحتمالين الاخيرين بابطالهما ليتعين الاحتمال الاول للسببية ويحتمل ان تكون كلمة ام متصلة مؤدية لمساواة الاحتمالات المذكورة فى كونها سببا للاعراض عن المحاكمة اليه عليه الصلاة والسلام و يكون الاضراب الاخير ابطالا للاحتمالين الاخيرين (قوله وظلمهم يعم خلل عقيدتهم) لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والمشرك ظالم لنفسه مبين ثم انه تعالى لما بين احوال المنافقين وعدم موافقة افعالهم لاقوالهم بين ان الواجب على الذين يقولون آمنا بالله و بالرسول واطعنا حين دعوا الى كتاب الله تعالى وحكم رسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا اى سمعنا

الدعاء واطعنا بالاجابة والقبول والجمهور على نصب قول المؤمنين على انه خبر
كان والاسم ان المصدرية مع ما في حيزها وقرئ قول بالرفع على انه اسم كان
وخبره ان يقولوا والنصب اقوى لانه متى اجتمع معرفتان فالاولى ان يجعل الاعرف
منهما الاسم والآخر خبره وقوله ان يقولوا سمعنا اعرف من قول المؤمنين وذلك
لان الفعل المصدر بأن المصدرية في تأويل المصدر المضاف الى الفاعل فاذا كان
فاعله معرفة كما في هذا المقام كان في معنى المصدر المضاف الى المعرفة فيكون
معرفة ولا يمكن تنكيره لان عزل الفعل عن فاعله غير متصور بخلاف قول المؤمنين
لانه اذا لم يضف وقيل قول للمؤمنين عاد نكرة ولان ان مع صلتها تشبه المضمر
من حيث انه لا يجوز وصفها كما لا يجوز وصف المضمر والمضمر من قول المؤمنين
الا ان سيبويه لم يفرق هذه التفرقة بل جوز ان يكون كل واحد من المعرفتين اسما
والآخر خبرا وان كان الثاني اوغل في التعريف من الاول (قوله واسناده
الى ضمير مصدره) اى ليحكم الحكم بينهم لان ليحكم دال على مصدره فيكون
مذكورا معنى فيصح عود الضمير اليه ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا
اى لقد وقع التقطع بينكم (قوله وقالون عن نافع بلا ياء) يعنى انه قرئ يتقه
بكسر القاف والهاء من غير ياء الوصل بعد الهاء وقرأ العامة بياء ملفوظة
بعد الهاء وهو الاصل فيما اذا تحرك الحرف قبل الهاء وما روى عن نافع مبنى على
ان الياء المحذوفة قبل الهاء مقدرة منوية فلم تعتبر الحركة التى قبل الهاء فحركت
الهاء من غير صلة قال مكى يجب على من اسكن القاف ان يضم الهاء لان هاء
الكناية اذا سكن ما قبلها ولم يكن الساكن ياء تضم نحو منه وعنه ولكن لما كان
سكون القاف عارضا لم يعتد به وأبقى الهاء على كسرتها التى كانت عليها قبل
سكون القاف (قوله وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء) اى مع كسر
القاف وقرأ حفص يتقه بسكون القاف فان العين تسكن اذا كانت من كلمة واحدة
نحو كبد وكتف فى كبد وكتف ثم اجرى ما اشبه ذلك من المنفصل مجرى
المتصل بناء على ان تقه من دونها يتقد بمنزلة كبد وكتف فسكن وسطه كما سكن
وسطهما ومنه قوله ﷽ قالت سليمى اشتر لنا سويقا ﷽ بسكون الراء (قوله واقسموا
بالله جهد ايمانهم انكار الامتناع عن حكمه) عن مقاتل وغيره قالوا لما بين الله
اعراض المنافقين وامتناعهم عن قبول حكمه عليه الصلاة والسلام اتوه فقالوا
والله لو امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا وان امرتنا بالجهاد
جاهدنا فانزل الله تعالى قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم فجهد ايمانهم منصوب
على انه مصدر فعله المحذوف الاصل واقسموا بالله يجهدون ايمانهم جهدا اى
يبالغون فى اليمين ويبلغون غاية شدتها ووكادتها من قولهم جهد فلان نفسه

واسناده الى ضمير مصدره
على معنى ليفعل الحكم
(ومن يطع الله ورسوله)
فيما يأمرانه او فى الفرائض
والسنن (ويخش الله)
على ما صدر عنه من الذنوب
(ويتقه) فيما بقى من عمره
وقرأ يعقوب وقالون عن
نافع بلا ياء وابو عمرو وابو
بكر بسكون الهاء وحفص
بسكون القاف فشبه تقه
بكتف وخفف والهاء
فى الوقف ساكنة بالاتفاق
(فاولئك هم الفائزون)
بالنعيم المقيم (واقسموا بالله
جهد ايمانهم) انكار
للامتناع عن حكمه (لئن
امرتهم) بالخروج عن
ديارهم واموالهم (ليخرجن)

جواب لاقسموا على الحكاية (قل لاتقسموا) على الكذب (طاعة معروفة) اى المطلوب منكم طاعة معروفة لاالىمين
والطاعة النفاقية المنكرة اوطاعة معروفة أمثل منها اوليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة (ان الله
خبير بما تعملون) فلا يخفى عليه سرائركم (قل أطيعوا الله واطيعوا الرسول) امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم (فان تولوا فانما عليه) اى على محمد صلى الله عليه وسلم (ما حمل) من التبليغ (وعليكم ما حملتم) من الامتثال (وان تطيعوه) فى حكمه (تهتدوا) الى الحق (وما على الرسول الا البلاغ المبين) التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقى ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم (وعد الله الذى آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب للرسول والامة اوله ولمن معه ومن للبيان (ليستخلفنهم فى الارض) ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الارض تصرف الملوك فى [illegible] جواب قسم مضمر تقديره [illegible] [illegible] ليستخلفنهم [illegible] فى [illegible] منزلة القسم [illegible] [illegible]
فى مصر والشام [illegible] الجبابرة [illegible] [illegible]
[illegible] اذا ابتدأ واكسروا الالف (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) وهو الاسلام

اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها وفى المغرب جهده اى حمله فوق طاقته من باب منع ولما لم يكن لليمين وسع وطاقة حتى يبلغ المنافقون اقصى وسع اليمين ويبالغون غاية شدتها ووكادتها وطاقتها كان قوله يجهدون اليمين استعارة شبه مبالغتهم فى اليمين بجهد النفس وتكليفها المشقة وذكر جهد اليمين واريد المبالغة فيها ثم قيل يجهدون ايمانهم جهدا ثم حذف الفعل وقدم المصدر على المفعول واضيف اليه فوضع المصدر المضاف موضع فعله فصار جهد ايمانهم ولما كان الفعل المحذوف مع مافى حيزه فى موضع النصب على انه حال من فاعل اقسموا كان المصدر الواقع موقعه فى حكم الحال كانه قيل واقسموا بالله مبالغين فى تأكيد حلفهم جاهدين ايمانهم (قوله جواب لاقسموا لان الموطئة فى قوله لئن امرتهم جعلت ما يأتى بعد الشرط المذكور جوابا للقسم لا جزاء للشرط وكان جزاء الشرط مضمرا مدلولا عليه بجواب القسم فان جواب القسم جواب الشرط الكائنة ثم بين اقتصر على جواب القسم وضمر جواب الشرط لا نه جواب على حكاية قولهم وتبين حين اقسموا للرسول ما [illegible] لما حكى عنهم قسمهم بقوله وقسموا ذكر المقسم عليه ايضا على سبيل الحكاية وقال ليخرجن بطريق الغيبة فان نفس كلامهم معه عليه الصلاة والسلام هكذا والله انا [illegible] حكم احكامك ونطيعك فى جميع ما تأمرنا لئن امرتنا بالخروج لنخرجن [illegible] الكلام الى الغيبة عند الحكاية (قوله امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية) [illegible] تعالى لانه لوكان قوله اطيعوا الله الى آخر الآية من كلام الرسول خاطب به قومه لكان الظاهر ان يقول واطيعوا الله واطيعون فان توليتم [illegible] على ما حملت من تبليغ الرسالة وان تطيعونى تهتدوا وما على الا البلاغ المبين فلما ذكر النبى عليه الصلاة والسلام فى جميع ذلك بلفظ الغيبة ظهر انه كلام الله تعالى وحكاية رسوله اياه وانه تعالى امر رسوله بان [illegible] هذا الخطاب [illegible] غاية مافى [illegible] انه تعالى لم يقل اطيعونى بل عبر عن ذاته المقدسة بلفظ الغيبة [illegible] الى [illegible] وجوب طاعته عليهم (قوله مبالغة فى تبكيتهم) [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] وجه المبالغة فى التبكيت على تقدير ان يكون الله تعالى هو الذى خاطبهم [illegible] ان يوجه خطاب الله اليهم ووروده عليهم ألزم للحكم [illegible] [illegible] [illegible] الرسول بذلك ويوجب عليهم طاعة الله تعالى [illegible] [illegible] تعالى اياهم من دهشة المخاطب [illegible] [illegible] [illegible] السلام بذلك [illegible] قوله خطاب للرسول والامة [illegible]

أمنا) منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة بالاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة (يعبدوننى) حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد اواستئناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن (لايشركون بى شيأ) حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين (ومن كفر) ومن ارتد او كفر هذه النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد او حصول الخلافة (فاولئك هم الفاسقون) الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول) فى سائر ما امركم به

دعوة او اجابة فتكون كلمة من فى قوله منكم للتبعيض فان الذين تحقق منهم الايمان وقت نزول الآية بعض من الامة مطلقا واما اذا كان خطاب منكم له عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين فحينئذ يكون من للبيان لاللتبعيض لان الموعود لهم هم المخاطبون لابعض منهم (قوله بالتقوية والتثبيت) متعلق بقوله وليمكنن يعنى ان المراد بتمكين الدين تقويته واظهاره على الاديان كلها لانه تعالى اذا أعز الاسلام ونصر المسلمين على اعداء الدين واورثهم ارض الكفرة وديارهم وجعلهم خلفاء اهلها بالتسلط والاستيلاء لاجرم تصير المسلمين متمكنين فى الارض مستو لين عليها فيعلو الاسلام على سائر الاديان ويتقوى وقرأ العامة كما استخلف على بناء الفاعل وقرأ ابو بكر وليبدلنهم بفتح الباء وتشديد الدال وقرأ ابن كثير وابو بكر بسكون الباء وتخفيف الدال من ابدله صلاحا بعد غى بمعنى رزقه صلاحا بدل الغى ويقال ابدله الله من الخوف امنا قال ابو العاليه فى هذه الآية مكث النبى صلى الله عليه وسلم بعد الوحى بمكة عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لايفارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم اما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله تعالى هذه الآية (قوله بالاخبار عن الغيب على ما هو به) فان الاستخلاف الموعود لاشك انه غيب وقد وجد هذا الموعود على الوجه الموافق للخبر ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل صدق مدعى النبوة ثم انه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين وقت نزول الآية بدليل صيغة الماضى فى قوله آمنوا وعملوا وخطاب المشافهة فى قوله منكم ان يستخلفهم استخلافا كاستخلاف بنى اسرآئيل فى مصر والشام بعد الجبابرة وهذا الموعود والموعود عليه الذى هو الايمان والعمل الصالح لم يجتمع لغيره الخلفاء الراشدين بالاجماع فهم المستخلفون فى الارض باستخلاف الله اياهم واختيارهم على غيرهم فان قلت كيف صح ان يقال المستخلفون هم الخلفاء فقط وسائر المؤمنين كانوا شركاءهم فى ذلك قلت كانوا هم الاصول والملوك وكان سائر الناس اتباعا لهم فى ذلك فكانوا هم المستخلفين لاغير وقد حصل فى ايامهم الفتوحات العظيمة وحصل التمكين وظهر الدين والامن فدلت هذه الآية على صحة خلافتهم قال عليه السلام الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا اذ كانت خلافة ابى بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وخلافة عثمان اثنتى عشرة وخلافة على ست سنين (قوله وقيل الخوف من العذاب) عطف على قوله من بعد خوفهم من الاعداء أمنا منهم (قوله او كفر هذه النعمة) قال المفسرون

اول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله تعالى
مابهم من الامن وأدخل عليهم الخوف الذى رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون
بعد ان كانوا اخوانا متحابين (قوله ولا يبعد عطف ذلك) يعنى ان بعد
مابين المتعاطفين بتخلل الفاصل المستطيل بينهما لا يمنع العطف لانه يبنى على
تحقيق المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفاصل يؤكد المغايرة لان
المجاورة مظنة الاتصال والاتحاد بخلاف المضاف والمضاف اليه فان شدة اتصالهما
مانعة من توسط الفاصل بينهما مع ان للفصل ههنا فائدة جليلة وهى الاشعار
بان الجملة المتخللة وهى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم الآية مما هو مهم
بشأنه وانها متصلة بما يتعلق بالمعطوف عليه وهو قوله تعالى فان تولوا كانه
قيل فان توليتم عن الطاعة فما ضررتموهم وانما ضررتم انفسكم لانه عليه الصلاة
والسلام قد خرج من عهدة ما كلف به واما انتم فعليكم ما كلفتم به من الطاعة
والانقياد على تقدير توليكم فيؤاخذكم الله تعالى بذلك فى الدنيا والآخرة
اما فى الدنيا فبأن يستخلف اهل الايمان والطاعة ويسلطهم على اهل الكفر
والعصيان ويعذبهم بايدى المؤمنين بل يستأصلهم بالمرة فكان الفاصل من تتمة
المعطوف عليه وقوله ولا يبعد يشعر بانه يجوز ان لا يكون معطوفا على قوله
اطيعوا الله ولعل وجهه ان قوله واقيموا الصلاة من باب الالتفات من الغيبة
الى الخطاب كأنه قيل يعبدوننى ولا يشركون بى شيأ ويقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة ويطيعون الرسول والذى يحسن هذا الالتفات الخطاب الذى فى قوله
قبل ذلك منكم وعطف اقام الصلاة وايتاء الزكاة على قوله يعبدوننى ايذانا
بشرفهما ومزيد قدرهما عند الله تعالى لانه من باب عطف جبرائيل على
الملائكة (قوله وتعليق الرحمة بها) على تقدير ان يكون المعنى
اطيعوا الله واطيعوا الرسول على رجاء الرحمة (قوله او بالمندرجة هى فيه)
لتعليق الرحمة بمجموع الامور التى اندرجت فيها طاعة الرسول على ان يكون المعنى
افعلوا هذه الامور على رجاء الرحمة كما علق الهدى بالطاعة فى قوله
وان تطيعوه تهتدوا (قوله لا تحسبن يا محمد) قرأ العامة تحسبن بتاء
الخطاب ومثل هذا الحسبان وان كان لا يتصور منه عليه الصلاة والسلام
الا انه نهى عنه مبالغة فى تسليته ولان خطابه فى حكم خطاب امته لكونه رئيسهم
وامامهم ومفعولا فعل الحسبان هما الاسم الموصول مع قوله معجزين وفاعله
ضمير النبى عليه الصلاة والسلام ويحتمل ان يكون لا تحسبن خطابا عاما لكل
من يصح ان يكون مخاطبا وهذه الآية نزلت تسلية للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
عن تكذيب قومه وايذائهم والمعنى لا تحسبنهم يسبقوننا اى يفوتون عذابنا فانه

ولا يبعد عطف ذلك على
اطيعوا الله فان الفاصل
وعد على المأمور به فيكون
تكريرا للامر بطاعة الرسول
صلى الله عليه وسلم للتأكيد
وتعليق الرحمة بها او
بالمندرجة هى فيه بقوله
(لعلكم ترحمون) كما علق به
الهدى (لا تحسبن الذين
كفروا معجزين فى الارض)
لا تحسبن يا محمد الكفار
معجزين الله عن ادراكهم
واهلاكهم وفى الارض
صلة معجزين اولا يحسبن
الكفار فى الارض احدا
يعجز الله فيكون معجزين
فى الارض مفعوليه اولا
يحسبوهم معجزين فحذف
المفعول الاول لان الفاعل
والمفعولين لشئ واحد
فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث
وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء
وهو كالاول فى الاحتمالات
(ومأواهم النار)

لاحق بهم لامحالة اما عاجلا واما آجلا وذكر على القرآءة بياء الغيبة ثلاثة اوجه الاول ان يكون فاعل الحسبان ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذين كفروا معجزين مفعوليه والمعنى لايحسبنهم النبي معجزين والثاني ان يكون الفاعل الذين كفروا وفي المفعول حينئذ احتمالان الاول ان يكون معجزين في الارض مفعوليه والمعنى لايحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله ثابتا في الارض حتى يطمعوا بذلك في ان يعجزوا الله ويفوتوا عذابه وحسابه على ان معجزين اول المفعولين وفي الارض ثانيهما وحق المفعول الاول في باب حسبت ان يكون معرفة وجاز ههنا وقوعه نكرة لكون معجزين صفة موصوف اي احدا يعجز الله ولما كان احدا واقعا في سياق النفي افاد العموم فجاز وصفه بالجمع بذلك الاعتبار والاحتمال الثاني على تقدير ان يكون الذين كفروا هو الفاعل وان يكون معجزين مفعولا ثانيا ويكون مفعوله الاول محذوفا والاصل لايحسبن الذين كفروا معجزين اي لا يحسبن الكفرة انفسهم معجزين والاقتصار على احد مفعولي باب حسبت وان كان ضعيفا عند البصريين الا انه سوغه في الآية كون الفاعل والمفعولين عبارة عن شيء واحد فاكتفى بذكر اثنين منها عن ذكر الثالث (قوله عطف عليه) اي على قوله لا يحسبن الذين كفروا وهي جملة انشائية فعلية وهذه الجملة خبرية اسمية فلاوجه لعطف احداهما على الاخرى [illegible]ن الجملة الفعلية الانشائية لما كانت في حكم الاسمية الخبرية جاز ان تعطف [illegible]ا الاسمية وذلك لان دخول فعل الحسبان وعدم دخوله على الجملة الاسمية لايغير المعنى الاصلي فكان قوله لايحسبن الذين كفروا معجزين في قوة ان يقال الذين كفروا ليسوا معجزين لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز (قوله والمراد به) اي بقوله ياايها الذين آمنوا خطاب الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات جميعا وان كان الظاهر كونه خطابا للرجال فقط ووجه الاستدلال بما روي على دخول الفريقين في الخطاب بطريق التغليب ان الآية لما نزلت بسبب كراهة الانثى دخول الغلام عليها بغير استئذان دل ذلك على عموم الخطاب للفريقين جميعا واعلم ان ظاهر الآية امر المماليك والاطفال بالاستئذان والمقصود امر المؤمنين بان يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم في هذه الاوقات اذ لو كان المقصود امر المماليك والاطفال بالذات لما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه واما الوجه في عدم نداء المماليك والاحرار الصغار وخطابهم بالامر بان يستأذنوا من الموالي والاولياء الاشارة الى انهم لقلة معرفتهم وغلبة الجهل عليهم نازلون عن حيز صلاحية الخطاب وان السادات والاولياء هم المخاطبون بتعليم من هو في عيالهم وتحت ايديهم

عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز (ولبئس المصير) المأوى الذي يصيرون اليه (ياايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم) رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعيد والوعد عليها على اعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء

بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهونائم وقدانكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله تعالى نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان يدخلوا ﴿ ٣٥٩ ﴾ هذه الساعات علينا الاباذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله (ثلاث مرات) في اليوم والليلة مرة (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات اوالرفع خبرا لمحذوف اى هي من قبل صلاة الفجر (وحين تضعون ثيابكم) اى ثيابكم لليقظة للقيلولة (من الظهيرة) بيان للحين (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف (ثلاث عورات لكم) اى هي ثلاثة اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وما بعده خبره واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ...

والقيام بما يحتاجون اليه في امر دينهم ودنياهم والتأديب على ذلك ان نبت نفوسهم عن الامتثال (قوله بنت ابي مرثد) روي بالشين المعجمة في نسخ وروى بالثاء المثلثة قيل هذه الآية احدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه اذ روى عنه انه قال وافقني ربي في ثلاث في الاستئذان وفي الحجاب حيث قال الله تعالى فاسألوهن من وراء حجاب وفي الاتخاذ من مقام ابراهيم مصلى وهذه الآية دالة على ان من لم يبلغ الحلم يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب القبائح فانه تعالى امرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وقال عليه الصلاة والسلام مروهم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم على تركها وهم ابناء عشر وقال ابن مسعود اذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له حسناته ولا تكتب عليه سيئاته حتى يحتلم واعلم انه انما يؤمر بذلك ليمرن به ويعتاد ويسهل عليه بعد البلوغ (قوله تعالى ثلاث مرات) على انه ظرف زمان اى ليستأذنكم ثلاثة اوقات ثم فسر تلك الاوقات بقوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء وقيل انه منصوب على المصدرية اى ثلاث استئذانات لانك اذا قلت ضربت ثلاث مرات لايفهم منه الا ثلاث ضربات ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام الاستئذان ثلاث وهذا وان كان ظاهرا لولا القرينة الصارفة عن هذا المعنى وهي التفسير بالاوقات الثلاثة المذكورة والقيلولة النوم في الظهيرة والالتحاف التغطي يقال التحفت بالثوب اى تغطيت به (قوله اى هي ثلاثة اوقات يختل فيها تستركم) يعني ان ثلاث عورات مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف قال اولا ليستأذنكم المماليك والاطفال ثلاث مرات ثم فصل الثلاث بقوله من قبل صلاة الفجر الآية ثم اجمل بعد التفصيل فقال هذه ثلاث عورات لكم تنبيها على علة وجوب الاستئذان عليهم في هذه الاوقات والعورة الخلل الذي يرى فيه مايراد ستره وسميت الاوقات المذكورة عورات مع انها ليست نفس العورات بل هي اوقات العورات على طريق تسمية الشيء باسم مايقع فيه مبالغة في كونه محلا لها والمصنف اشار الى هذا المعنى بقوله هي ثلاثة اوقات يختل فيها تستركم حيث لم يجعل الاوقات المذكورة نفس الاختلال بل اوقاتا له (قوله وليس فيه ماينافي آية الاستئذان) يعني انه قد قيل ان قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها يدل على

وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ماينافي آية الاستئذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين (طوافون عليكم) اى هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة

ان الاستئذان واجب فى كل حال فصار ذلك منسوخا بهذه الآية فى غير هذه الاحوال الثلاث فقال المصنف لامنافاة بين ان يستأذن الاحرار البالغون فى جميع الاحوال وبين ان لايستأذن الاطفال ومماليك المدخول عليهم الافى هذه الاحوال الثلاث حتى يصار الى النسخ (قوله وفيه دليل) اى فى قوله طوافون عليكم وكذا فى الفرق بين هذه الاوقات الثلاثة وبين ماعداها بانها اوقات عورات دون ماعداها دليل على ان الواجب اعتبار العلل فى الاحكام الشرعية اذا امكن وان كل حكم شرعى له علة تلك العلة هى الحكمة فى مشروعية ذلك الحكم وارتفاع بعضكم اماعلى الابتداء اوعلى انه فاعل فعل محذوف لدلالة طوافون عليه اى المماليك والاطفال يطوفون عليكم للخدمة وانتم تطوفون عليهم للاستخدام فلوكلفتم الاستئذان فى كل طوفة اى فى هذه الاوقات الثلاثة وغيرها لضاق الامر عليكم فلذلك رخص لكم فى ترك الاستئذان فيماوراء هذه الاوقات الثلاثة (قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم) اى من الاحرار فليستأذنوا فى الدخول استيذانا مثل استئذان الذين بلغوا من قبلهم يعنى ان من يجدد فيه البلوغ يجب ان يستأذن للدخول فى كل الاوقات كما يستأذن الكبار الذين تقدم بلوغهم كذلك ووجه الاستدلال بهذه الآية على استئذان العبد على سيدته ان لفظ الاطفال يتناول المماليك والاحرار من الصبيان فيجب الاستئذان على كل واحد من الفريقين اذابلغ الحلم بحكم هذه الآية كماذهب اليه الحنفية قال الامام النسفى فى تفسير قوله تعالى ولايبدين زينتهن الالبعولتهن اوآبائهن الى قوله اونسائهن ان المراد بنسائهن الحرائر المسلمات وبما ملكت ايمانهن اماؤهن فلايتناول الغلام والجارية جميعا قلنا قال سمرة بن جندب لاتغرنكم هذه الآية فانها نزلت فى الاماء انتهى وقال المصنف فى تفسير اوماملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد واستدل عليه بالحديث ثم قال وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبى واجاب ههنا عن الاستدلال المذكور بان تعريف الاطفال للعهد والمعهود الاطفال الذين جعلوا قسيما للمماليك فلايندرج المماليك فيهم (قوله تعالى والقواعد) جمع قاعد وهى المرأة التى قعدت عن الحيض والولد لكبر سنها ولم تدخلها تاء التأنيث لاختصاصها بالمرأة قيل واذا اردت القعود بمعنى الجلوس قلت قاعدة قال الامام الاولى ان لايعتبر قعودهن عن الحيض لان ذلك ينقطع فيهن بآفة دون بلوغهن الى سن لايرغب فيهن الرجال فالمراد قعودهن عن حال التزوج وذلك لايكون الا اذا بلغن فى السن بحيث لايرغب فيهن الرجال والقواعد مبتدأ ومن النساء حال من المستكن فى القواعد واللاتى صفة القواعد لا النساء وجملة فليس عليهن جناح خبر

وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بانها عورات (بعضكم على بعض) بعضكم طائف على بعض اويطوف بعضكم على بعض (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الايات) اى الاحكام (والله عليم) باحوالكم (حكيم) فيما شرع لكم (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) الذين بلغوا من قبلهم فى الاوقات كلها استدل به من اوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلايندرجون فيهم (كذلك يبين لكم آياته والله عليم حكيم) كرره تأكيدا ومبالغة فى الامر بالاستئذان (والقواعد من النساء) العجائز التى قعدن عن الحيض والحبل (اللاتى لايرجون نكاحا) لايطمعن فيه لكبرهن

(فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن) ﴿٣٦١﴾ اى الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام فى القواعد

بمعنى اللاتى اولوصفها بها (غيرمتبرجات بزينة) غير مظهرات زينة مما امرن باخفائه فى قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لاغطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شئ الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال (وان يستعففن خير لهن) من الوضع لانه ابعد من التهمة (والله سميع) لمقالهن للرجال (عليم) بمقصودهن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفى لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم اواكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك عن طيب قلب اومن اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن اوقرينة اوكان فى اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله

لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم (٤٦) الى طعام وقيل نفى للحرج (سا) عنهم فى القعود عن الجهاد وهو لا يلائم

المبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط لان الالف واللام فيه بمعنى اللاتى اولان المبتدأ موصوف بالاسم الموصول ولوكان الموصول مبتدأ لجاز دخول الفاء فى خبره فجاز ذلك ايضا اذا كان صفة للمبتدأ وغير متبرجات حال من عليهن (قوله اى الثياب الظاهرة) خص الثياب بالظاهرة لانه لاشك فى انه تعالى لم يأذن لهن فى ان يضعن جميع ثيابهن لما فيه من كشف العورة كلها (قوله من استقذارهم) اى من استكراه الاصحاء المؤاكلة معهم لان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح فى مجلسه فيضيق على جليسه والمريض لايخلو من رائحة كريهة اوانف يذن اوجرح يبدو اذا اخذ بها يسيل ونحو ذلك (قوله اواكلهم) عطف على مؤاكلة الاصحاء وقوله مخافة علة لقوله يتحرجون فى اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح بيوتهم وخزائنهم ويقولون قد حللنا لكم ان تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من بيوتهم ويقولون لا ندخلها وهم غيب فنزلت رخصة لهم (قوله اومن اجابة) عطف ايضا على مؤاكلة الاصحاء يعنى ان ضعفاء المؤمنين كانوا يدخلون على بعض اصدقائهم اطلب الطعام فاذا لم يكن عندهم طعام يطعمونه يدعونهم ويذهبون بهم الى بيوت آبائهم اواولادهم اواقاربهم فيطعمونهم منها فلما نزل قوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم اى بيعا فعند ذلك امتنع الناس ان يأكل بعضهم من طعام بعض فنزلت هذه الآية وعلل المصنف تحرجهم بقوله كراهة ان يكونوا كلا عليهم والكل بفتح الكاف وتشديد اللام الملال والتعب والثقل والجمع الكلول ولم يجمع ههنا لكونه مصدرا فى الاصل (قوله وهذا) اى انتفاء الحرج فى اجابة من يدعوهم الى البيوت المذكورة ويأخذ الاكل منها يتوقف على رضى صاحب البيت باذنه صريحا اوبما هو قرين الاذن وهو دلالة الحال كالقرابة والصداقة ونحو ذلك وقيل جواز الاكل من هذه البيوت بغير اذن مالكيها كان فى صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس ومما يدل على هذا النسخ قوله تعالى لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وكان فى ازواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من لهن الآباء والاخوال وقد عم النهى عن دخول بيوتهم الا بعد اذن فى الدخول وفى الاكل (قوله وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود عن الجهاد) اى لا فيما يتعلق بالاكل والمعنى ليس على هؤلاء حرج فى القعود عن الغزو ولا عليكم فى ان تأكلوا من البيوت

فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه (او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم اوما ملكتم مفاتحه) وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة اوماشية وكالة اوحفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح هو ما يفتح به وقرئ مفتاحه (او صديقكم) او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم وأسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت اذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا) مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع في القزازة والنهمة (هذه)

المذكورة وهذا الكلام صحيح في نحرجه لاستواء الطائفتين في نفي الحرج عنهم وهذا مثل ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ولا عليك يا حاج في ان تقدم الحلق على النحر ولم يرض المصنف بهذا التأويل حيث قال وهذا لا يلائم ماقبله ولا مابعده فانه قيل اولا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن وقيل آخرا ولا على انفسكم ان تأكلوا فبين فيهما ما نفي كونه جناحا ولم يبين ذلك في قوله ليس على الاعمى حرج فينبغي ان يبين بما يلائم ماقبله ومابعده والقعود عن الغزو لا يلائم شيأ منهما (قوله من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم) اي ليس المعنى ان تأكلوا من البيوت التي تسكنون فيها بانفسكم وفيها طعامكم وسائر اموالكم لان الناس لا يتحرجون عن اكل طعامهم في بيوت انفسهم فينبغي ان يكون المعنى من بيوت الذين كانوا في حكم انفسكم لشدة الاتصال بينهم وبينكم كالازواج والاولاد ونحوهما فان بيت المرأة كبيت الزوج وكذا بيت الاولاد ولذلك يضيف الزوج بيت زوجته الى نفسه وكذا الاب يضيف بيت ولده الى نفسه (قوله وقيل بيوت المماليك) لم يرض ان يفسر ما ملكتم مفاتحه ببيوت المماليك لان بيوتهم داخلة في عموم قوله تعالى ان تأكلوا من بيوتكم فلا وجه لافراده بالذكر وملك المفاتح كناية عن كون المال في يد الرجل وحفظه فالمعنى ليس عليكم جناح ان تأكلوا من اموال لكم يد عليها لكن لا من اعيانها بل من اتباعها وغلاتها كثمرة البستان والبان الماشية (قوله والمفتح جمع مفتح) والمفاتيح جمع مفتاح وكلاهما آلة الفتح وقيل المفاتح الخزائن كقوله وعنده مفاتح الغيب اي خزائنه واريد بالخزائن ما يخزن فيه الطعام المأكول ونحوه من بين البيوت قيل اذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه الطعام فاستأذن صاحبه في الاكل منه قيل انطلق رجل يدعى بالحارث بن عمرو غازيا واستخلف مالك بن زيد في اهله وخزانته فلم يأكل من ماله شيأ حتى صار مجهودا اي ضعيفا فانزل الله تعالى او صديقكم (قوله فلا احتجاج للحنفية) اذ لا احتجاج بالمنسوخ احتج ابو حنيفة بهذه الآية على ان من سرق من ذي رحم محرم انه لا يقطع لان الله تعالى اباح لهم الاكل من بيوتهم بغير اذنهم ولا يكون محرزا ولا يلزم منه ان لا يقطع اذا سرق من صديقه لان من اراد سرقة ماله لا يكون صديقا له (قوله لاختلاف الطباع) اي طباع الطاعمين وفي بعض النسخ لاختلاف الناس والنهم بفتحتين فرط الشهوة في الطعام والقزازة ضده وحاصل المعنى لاختلاف الطباع في قلة الاكل وكثرته يعني انهم لم يتحرجوا في الاجتماع على الطعام لاختلاف احوالهم في الاكلة وفي الاستقلال والاستكثار من الطعام انزل الله

(فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على انفسكم) على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية من

عند الله) ثابتة بامره
مشروعة من لدنه ويجوز
ان تكون من صلة للتحية فانه
طلب الحياة وهى من عنده
وانتصابها على المصدر
لانها بمعنى التسليم (مباركة)
لانها ترجى بها زيادة الخير
والثواب (طيبة) تطيب بها
نفس المستمع وعن انس انه
عليه السلام قال متى لقيت
احدا من امتى فسلم عليه
يطل عمرك واذا دخلت
بيتك فسلم عليهم يكثر خير
بيتك وصل صلاة الضحى
فانها صلاة الابرار الاوابين
(كذلك يبين الله لكم
الآيات) كرره ثالثا لمزيد
التأكيد وتفخيم الاحكام
المختتمة به وفصل الاولين
بما هو المقتضى لذلك وهذا
بما هو المقصود منه فقال
(لعلكم تعقلون) اى الحق
والخير فى الامور (انما
المؤمنون الذين الكاملون
فى الايمان (الذين آمنوا بالله
ورسوله) من صميم قلوبهم
(واذا كانوا معه على امر
جامع) كالجمعة والاعياد
والحروب والمشاورة فى الامور
ووصف الامر بالجمع للمبالغة
وقرئ امر جميع (لم يذهبوا
حتى يستأذنوه) يستأذنوا
رسول الله فيأذن لهم
[illegible]
[illegible] وتمييز

حيناص فيه من المنافق [illegible] التسلل والفرار [illegible]

هذه الآية و بين انه لاخرج عليهم فى ان يأكلوا مجتمعين اومتفرقين او اشتاتا جمع شت والشت مصدر معناه التفرق فوصف به وشتى جمع شتيت كمرضى ومريض قال الامام النسفى دل قوله تعالى ان تأكلوا جميعا على جواز التناهد فى الاسفار والتناهد اخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه (قوله فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت) خص بيوتا المنكر بالبيوت المذكورة سابقا بقرينة المقام وقال قوم هذا فى دخول الرجل بيت نفسه والتسليم على اهله ومن فى بيته وروى مرفوعا اذا دخلت بيتك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقيل المراد بها كل بيت وقيل هى المساجد جعل الله تعالى اهل البيت من المسلمين انفس الداخلين ايذانا بان المسلمين كالنفس الواحدة كما فى قوله تعالى ولاتقتلوا انفسكم فان لم يكن فى البيت احد ولا فى المسجد فليسلم على نفسه بان يقول السلام علينا من قبل ربنا او بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد روى ان الملائكة ترد عليه وقيل ان كان فى البيت اهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى ثم قيل يصل بهذا التسليم قوله تحية من عند الله مباركة طيبة حتى روى عنه عليه الصلاة والسلام انه يصلى صلاة الضحى وهى ان يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر رمح ثم يصلى اربعا اوستا اوثمانى وهو الذى اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشى والاشراق وقت ظهور تمام نوره بارتفاعها عن موارة البخارات والغبارات ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج عليه الصلاة والسلام على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فقال الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال روى عن بعض السلف انه قال اذا دخل المسجد ولا احد فيه يقول السلام علينا من ربنا تحية من عند الله مباركة طيبة وقيل لايصل به هذا القول لانه صفة السلام وتحية منصوب على انه مفعول مطلق لمعنى فسلموا على طريق قولك قعدت جلوسا كأنه قيل فحيوا تحية وقوله من عند الله يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة تحية اى تحية ثابتة بامره مشروعة من لدنه وان يتعلق بنفس تحية لان التحية والتسليم طلب الحياة والسلامة من الله تعالى لم عليه ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن ترجى بها من الله تعالى الافادة بزيادة الخير وطيب الكمال والجمال (قوله وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك) اى الآيتين وهو قوله والله عليم حكيم وفصل هذا بما هو المقصود من التبيين وهو التعقل والدراية لاحكام الله من الاوامر والنواهى (قوله ووصف الامر بالجمع للمبالغة) فى كونه سببا لاجتماع القوم فان الامر لكونه مهما عظيم الشأن صار كانه قد جمع الناس فهو من قبيل اسناد الفعل الى السبب [illegible]

ولذلك اعادة مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال (ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لامحالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك (فاذا استأذنوك

لبعض شأنهم) ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر (فأذن لمن شئت منهم) تفويض للامر الى رأى الرسول عليه الصلاة والسلام واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه عليه الصلاة والسلام ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين (ان الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتيسير عليهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبى الله

جامع اومجموع له قيل نزلت الآية فى حفر الخندق وكان ذلك من اهم الامور حتى تولى ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه وشغل عن اربع صلوات ثمة فيه حتى دخلت فى حد القضاء وكان قوم يتسللون من بينهم بغير اذن قال المفسرون كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج لحاجته لم يخرج حتى يقوم بحيال النبى عليه الصلاة والسلام حتى يراه فيعرف به استئذانه فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد اذن الامام يوم الجمعة ان يبصر به (قوله ولذلك) اى ولكون عدم الاستئذان نقصا فى كمال الايمان حيث جعل بين الايمانين شرطا ثالثا له اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فان جعل المستأذنين هم المؤمنين عكس الاسلوب الاول وفيه تأكيد للاول بالله ورسوله فيكون مصداقا ودليلا على صحة الايمان وصدقهما قيل المراد بقوله ان الذين يستأذنونك انه استئذان عمر بن الخطاب فى غزوة تبوك فى الرجوع الى اهله فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريد ان يسمع المنافقين ذلك الكلام (قوله وفيه) اى فى قوله لبعض شأنهم مبالغة فى الاهتمام بشأن الاستئذان كما عادته على الاسلوب الابلغ حيث لم يطلق الاذن فى شأنهم بل قيد بالبعض تغليظا عليهم امر الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القدر المبسوط وماس الحاجة اليه وتعليق الاذن بالمشى مع ذلك العذر ومن ان ذكر الاستغفار للمستأذنين بالاذن دليل على ان الاحسن والافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه حيث احتاجوا فى خروجهم عن الجماعة الى ان يستغفر لهم الرسول وان كان ذلك الخروج بمشيئته (قوله ومن منع ذلك) اى منع تفويض بعض الاحكام الى رأيه واجتهاده وقال انه عليه افضل الصلاة والسلام يتبع الوحى فى جميع احكامه قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدق المستأذن فى ان له عذرا شرعيا مرخصا للذين استأذنوا فيه فحينئذ تكون المشيئة مستندة الى الشرع الثابت بالوحى فلا تكون مشيئته واذنه فى ذلك بمجرد رأيه قال المصنف فى اصوله يجوز له عليه الصلاة والسلام ان يجتهد لعموم فاعتبروا ووجوب العمل بالارجح ولانه اسبق وادل على الفطانة فلا يتركه ومنعه ابو على وابنه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى قلنا هو مأمور به فليس بهوى (قوله ولا تقيسوا دعاءه اياكم) الى شئ من الامور فيكون المصدر فيه مضافا الى فاعله كما فى الوجه الثالث والرابع فان الداعى فى الجميع هو الرسول بخلاف الوجه الثانى فان المصدر فيه مضاف الى المفعول والمعنى لا تقولوا عند دعائكم اياه يا محمد ويا ابن

ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت اولا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا (عبد الله) بسخطه فان دعاءه موجب اولا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب

عبدالله كما يدعو بعضكم بعضا بل عظموه وشرفوه فى ندائه والمعنى على الوجه
الاول لاتجعلوا امره اياكم ودعاءه لكم الى شئ كما يكون من بعضكم الى بعض فان
امره كان فرضا لازما ومثله قوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم (قوله
ينسلون) اى يخرجون مستخفين يقال انسل الرجل اى انصرف من الناس
وفارقهم بحيث لا يعلمون واللواذ والملاوذة ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا ويستتر
بعضهم بعضا وهو حال من ضمير يتسللون ويقال تدرج اذا استعلى درجة درجة
وتدخل اذا دخل قليلا قليلا فان تفعل قد يكون للعمل المتكرر فى مهلة (قوله
وقرئ بالفتح) اى بفتح اللام على انه مصدر لاذ الثلاثى مثل طاف طوافا
ويحتمل ان يكون مصدر لاوذ الا انه يجب فتح الفاء اتباعا لفتحة العين قيل كان
المنافقون يثقل عليهم يوم الجمعة قول النبى عليه الصلاة والسلام وخطبته
فيلوذون ببعض اصحابه عليه الصلاة والسلام حتى يخرجوا من المسجد مستخفين
مستترين بغيرهم من غير استئذان وقيل كانوا ينسلون من صف القتال وقيل كان
هذا فى حفر الخندق (قوله يخالفون امره) لا يريد ان كلمة عن صلة
والا لكان هذا وجها مستقلا من غير ان ينضم اليه قوله وعن لتضمنه معنى
الاعراض بل المقصود منه مجرد بيان أن يخالفون يتعدى بنفسه حيث يقال
يخالفون امره وانما جئ بكلمة عن لتضمنه معنى الصدود والاعراض وقيل عن ههنا
بمعنى بعد كما فى قولك اطعمتهم عن جوع اى بعد جوع (قوله وحذف المفعول)
والاصل يخالفون المؤمنين عن امر الله وعن امر رسوله على معنى يخالفونهم صادين
عن امره فيكون عن امره حالا من فاعل يخالفون كان حقيقة قولك خالفه عن الامر خالفه
صادا اى معرضا عن الامر فيكون عن الامر حالا من فاعل خالف ومحصول
كونه مخالفا له صاد عن الامر دونه وكذا اذا قلت خالفه الى الامر اذا ذهب اليه
دونه فيكون حقيقة الكلام خالفه اى ذاهبا الى الامر فيكون الى الامر حالا
من فاعل خالف ايضا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
اى ذاهبا الى ما انهاكم عنه (قوله فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر)
يعنى ان مخالفة الامر عبارة عن ترك مقتضاه والاخلال به كما ان موافقة الامر
عبارة عن الاتيان بمقتضاه ورعايته ولما امر الله تعالى من خالف الامر وترك
مقتضاه بالحذر عن عذابه دل ذلك على حسن الحذر عنه ولا يحسن الحذر
عن العذاب الابعد قيام مايقتضى نزوله فثبت ان ترك مقتضى الامر يقتضى نزول
العذاب فلولا ان المأمور به واجب لما كان تاركه مستحقا للعذاب ثم انه تعالى لما هدد
من خالف امره بأحد العذابين اورد عقيبه ما هو كالدليل على قدرته تعالى
عليهما فقال الا ان لله ما فى السموات والارض وجعله ذريعة الى تحقيق علمه
باحوال عباده من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وأكد علمه بما هم عليه

ملاوذة بان يستتر بعضكم
ببعض حتى يخرج او يلوذ
بمن يؤذن فينطلق معه كانه
تابعه وانتصابه على الحال
وقرئ بالفتح (فليحذر
الذين يخالفون عن امره)
يخالفون امره بترك مقتضاه
ويذهبون سمتا خلاف سمته
وعن لتضمنه معنى الاعراض
او يصدون عن امره دون
المؤمنين من خالفه عن الامر
اذا صد عنه دونه وحذف
المفعول لان المقصود بيان
المخالف والمخالف عنه
والضمير لله فان الامر له
فى الحقيقة او للرسول فانه
المقصود بالذكر (أن تصيبهم
فتنة) محنة فى الدنيا
(او يصيبهم عذاب اليم)
فى الآخرة واستدل به على
ان الامر للوجوب فانه يدل
على ان ترك مقتضى الامر
مقتض لأحد العذابين
فان الامر بالحذر عنه يدل
على حسنه المشروط
بقيام المقتضى له وذلك يستلزم
الوجوب (ألا ان لله
ما فى السموات والارض
قد يعلم ما انتم عليه) ايها
المكلفون من المخالفة
والموافقة والنفاق
والاخلاص وانما اكد علمه
بقد لتأكيد الوعيد

بان ادخل كلمة قد على يعلم وذلك ان قد في المضارع تفيد التقليل كربما اذا دخلت عليه وكما ان ربما تستعار للتكثير كما في قول الشاعر

ان تمس مهجور الفناء فربما ❁ يأتيك من بعد الوفود وفود

كذلك كلمة قد تستعار له ايضا فتفيد التحقيق والتأكيد وحملت كلمة قد في الآية على هذا المعنى لاقتضاء الوعيد اياه وفي البيت لاقتضاء مقام المدح اياه (قوله تعالى و يوم يرجعون اليه) منصوب على انه مفعول به لاظرف لعطفه على قوله ما انتم عليه اى و يعلم الذى انتم عليه و يعلم يوم يرجعون اليه كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قرأ العامة يرجعون مبنيا للمفعول وابو عمرو مبنيا للفاعل وعلى كلا القراءتين يجوز وجهان احدهما ان يكون في الكلام التفات من الخطاب في قوله ما انتم عليه الى الغيبة في قوله يرجعون والثاني ان يكون قوله ما انتم عليه خطابا عاما لكل احد و يكون الضمير في يرجعون للمنافقين خاصة فلا التفات حينئذ والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله ما انتم عليه ايها المكلفون وقوله و يوم يرجع المنافقون اليه والى الاول بقوله و يجوز والله سبحانه وتعالى الموفق الهادى الى الصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بالطائف وهى قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله تكاثر خيره) قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها اى لاتحصوا اجناسها فضلا عن افرادها فعلى هذا المعنى لابد من تقدير المضاف اى تبارك خير الذى ولاحاجة اليه على المعنى الثانى (قوله اوتزايد على كل شئ وتعالى عنه في صفاته وافعاله) قال الله تعالى ليس كمثله شئ فالعبد وان كان له حظ في صفاته وافعاله الا ان ما له من الصفات والافعال لايماثل شيأ مما له تعالى وذلك معلوم ببداهة العقل (قوله وترتيبه على انزال الفرقان) اى تعليقه به فان تعليق التبارك بوصف الانزال يشعر بعلية ذلك الوصف له وكونه مرتبا عليه وقوله لما فيه من كثرة الخير مبنى على تفسير تبارك بقوله تكاثر خيره وقوله اولدلالته على تعاليه مبنى على تفسيره بقوله اوتزايد على كل شئ (قوله وقيل دام) عطف على قوله تكاثر يعنى قيل الكلمة مأخوذة من بروك البعير و بروك الطير على الماء فتدل على البقاء والدوام والمعنى انه تعالى باق في ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير و باق في صفاته ممتنع التبدل ولم يرض به لان ترتيبه على انزال الفرقان لايلائم هذا المعنى فان قيل الموصولات موضوعة لان يطلقها المتكلم على مايعتقد ان المخاطب يعرفه بكونه محكوما عليه بحكم حاصل له فلذلك كانت معارف

الالتفات (فينبئهم بما عملوا) من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه (والله بكل شئ عليم) لايخفى عليه خافية ❁ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

﴿ سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده) تكاثر خيره من البركة وهى كثرة الخير اوتزايد على كل شئ وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير اولدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لايتصرف فيه ولايستعمل الالله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او بين المحق والمبطل باعجازه اولكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال

وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية (والقوم)

والقوم ماكانوا يعرفون انه تعالى هو الذى نزل الفرقان فكيف حسن ههنا لفظ الذى اجيب بانه لما ثبت كونه من عندالله بكونه معجزا بالغا الى اقصى درجات البلاغة والفصاحة نزله الله تعالى منزلة المعلوم للقوم بناء على قوة دلائله وظهوره وهذا توضيح قوله وهذه الجملة وان لم تكن معلومة الخ (قوله للجن والانس) اى لجميع افراد كل واحد من الجنسين اشار به الى فائدة جمع العالمين مع تعريفه فان العالم اسم للقدر المشترك بين اجناس مايعلم به الخالق مما سوى الله تعالى فيطلق على كل واحد منها وعلى مجموعها فجمع للدلالة على تعدد الاجناس واستغراق كل واحد منها اذ لو افرد منكرا لفهم واحد من تلك الاجناس ولو افرد معرفا لتوهم ان القصد الى استغراق جنس واحد والى الحقيقة التى هى القدر المشترك بين تلك الاجناس ولو جمع منكرا لم يكن نصا فى الاستغراق للاختلاف فى استغراق الجمع المنكر وجمع بالياء والنون لان المقصود استغراق افراد العقلاء من جنسى الجن والانس فان جنس الملائكة وان كانوا من اجناس العالم الا ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا الى الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين الا الجن والانس وهو عليه الصلاة والسلام رسول اليهما جميعا فالآية حجة لابى حنيفة فى قوله ليس للجن ثواب اذا طاعوه سوى النجاة من العقاب ولهم عقاب اذا عصوا حيث اكتفى بقوله ليكون للعالمين نذيرا ولم يذكر البشارة ودليله قوله تعالى ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم جعل ثوابهم نجاتهم من العذاب الاليم على تقدير المضاف ولم يذكر لهم ثوابا غيره وذكر لهم عقاب العصيان (قوله منذرا او انذارا) الاول على تقدير ان يكون ضمير قوله ليكون للعبد والثانى على ان الضمير للفرقان اى تنزيله المدلول عليه بقوله نزل فكأنه قيل ليكون تنزيله انذارا للعالمين لان الفرقان نفسه لايكون انذارا (قوله بدل من الاول) فان قيل كيف جاز الفصل بين البدل والبدل منه بقوله ليكون للعالمين نذيرا فالجواب انه ما فصل بينهما باجنبى عن الكلام لان المبدل منه صلة نزل وقوله ليكون تعليل له فكأن المبدل منه لايتم الا به (قوله احدثه احداثا مراعى فيه التقدير) يعنى ان الخلق هو الاحداث المتفرع على التقدير والتسوية فى علم الصانع فان الصانع الحكيم مالم يقدر مصنوعه فى علمه قبل الايجاد يقع فيه بعد الايجاد تفاوت بالزيادة على مايليق به او بالنقصان عن حد ماينبغى تمامه ولما كانت الآية مظنة ان يقال قوله فقدره تكرارا بناء على ان الخلق فيه بمعنى التقدير فكأنه قيل وقدر كل شئ فقدره اشار الى دفعه اولا بقوله فقدره وهيأه لما اراد منه ومحصوله ان التقدير المدلول عليه بقوله خلق غير التقدير المفرع عليه بالفاء فان الاول عبارة عن تسوية المحدث فى علمه الازلى كما اوجبته

وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة (الذى له ملك السموات والارض) بدل من الاول او مدح مرفوع اومنصوب (ولم يتخذ ولدا) كزعم النصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى مايقوم مقامه ومايقاومه فيه ثم نبه على مايدل عليه فقال (وخلق كل شئ) احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة (فقدره تقديرا) فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك اوفقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شئ فقدره فى ايجاده حتى لايكون متفاوتا (واتخذوا من دونه آلهة) لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ فى الرد على المخالفين فيهما (لايخلقون شيأ وهم يخلقون)

لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم (ولا يملكون) ولا يستطيعون (لانفسهم ضرا) دفع ضر (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) ولا يملكون اماتة احد ولا احياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرآئه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزآء (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك) كذب مصروف عن وجهه (افتراه) اختلقه (واعانه عليه قوم آخرون) اى اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس، وقد سبق فى قوله انما يعلمه بشر (فقد جاؤ ظلما) بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود (وزورا) بنسبة ما هو برئ منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته (وقالوا اساطير الاولين) ما سطره المتقدمون

الحكمة بتعيين مادته وصورته وما يتعلق به من العوارض المكتنفة به حال وجوده كما يسوى الصانع صورة المصنوع قبل ان يباشر صنعه والتقدير المتفرع على الخلق عبارة عن تهيئته لما يصلح له من المصالح المرتبة على وجوده فلا تكرار فكأنه قيل اوجد كل شئ على تقدير اوجبته الحكمة وقدر له ما يصلحه ويقيه وما يراد منه من الخصائص والافعال وثانيا بقوله فقدره للبقاء الى اجل مسمى والتقدير بهذا المعنى ايضا متفرع على الخلق بمعنى الاحداث المراعى فيه التقدير والتسوية لما تقتضيه الحكمة لان ابقاء الشئ يكون بعد احداثه كأنه قيل احدثه فجعل اوجوده غاية محدودة وثالثا بقوله وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد فلا يكون قوله فقدره تكرارا وتكون الفاء فيه للترتيب فى الاخبار فكأنه قيل اوجد كل شئ فقدره فى ايجاده ولم يوجده بحيث يحصل التفاوت والتباعد بينه وبين المثال الذى اقتضته الحكمة (قوله لان عبدتهم ينحتونهم) اشارة الى ان فاعل اتخذوا هم عبدة الاصنام ولا يدخل فيه النصارى لانهم لم يتخذوا من دون الله آلهة كثيرة ولان السورة مكية نزلت ردا على المشركين فيما ذهبوا اليه ويجوز ان يدخل فيه النصارى وعبدة الملائكة والاصنام جميعا بناء على ان قوله واتخذوا صيغة جمع وقوله آلهة جمع ايضا واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فلم يكن كون معبود النصارى واحدا مانعا من دخولهم فى فاعل اتخذوا ثم انه تعالى لما رد على المخالفين فى التوحيد شرع فى الرد على المخالفين فى النبوة بقوله وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه اى ما هذا القرآن الا كذب افتراه محمد واختلقه من عند نفسه واعانه عليه اى على افترائه قوم آخرون اى اليهود وقيل جبر مولى عامر ويسار غلام ابن حضرمى وعداس وقيل عائش مولى حويطب بن عبد العزى وهؤلاء الثلاثة عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب وكانوا يقرأون التورات ويحدثون منها احاديث فلما اسلموا وكان النبى عليه افضل الصلاة والسلام يتعهدهم قال النضر بن الحارث هذا القول فنزلت الآية واجاب عن شبهتهم بقوله فقد جاؤ اى فقد اتوا ظلما وفعلوه حيث وضعوا صفة الافك فى غير موضعها ولو امكن ذلك لعارضوه واتوا بمثله حين اتاهم به لانهم مثله عليه الصلاة والسلام فى معرفة اللغة وفى التمكن من الاستعانة ووصف كلامهم هذا بانه زور ايضا لانهم كذبوا فيه بنسبة ما هو برئ منه اليه وقالوا فى حق القرآن ايضا اساطير الاولين كاحاديث رستم واسفنديار واساطير جمع اسطار جمع سطر او جمع اسطورة كاحدوثة واساطير خبر مبتدأ محذوف اى هذا اساطير وقوله اكتتبها خبر ثان لهذا او حال من اساطير والعامل فيها معنى التنبيه

﴿ اوالاشارة ﴾

(اكتتبها) كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصارا كتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه (فهي تملى عليه بكرة واصيلا) ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب ﴿ ٣٦٩ ﴾ اوليكتب (قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض) لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين (انه كان غفورا رحيما) فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا (وقالوا مال هذا الرسول) ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم (يأكل الطعام) كما نأكل (ويمشي في الاسواق) لطلب المعاش كما نمشي فالمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد (لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) لنعلم صدقه بتصديق الملك (٤٧) (او يلقى اليه كنز) فيستظهر به ويستغنى (سا) عن تحصيل المعاش (او تكون له جنة يأكل منها) هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون (وقال الظالمون) وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه

اوالاشارة كقوله وهذا بعلي شيخا (قوله كتبها لنفسه) اي باعتبار كونه سببا آمرا بكتابتها فان بناء افتعل قد يكون لاتخاذ الفاعل الفعل لنفسه (قوله او استكتبها) على ان يكون اكتتب بمعنى أمر ان يكتب له كما يقال احتجم وافتصد اذا امر بذلك وقوله فهي تملى عليه متفرع على قوله اكتتبها على كل واحد من التفسيرين فان الاملاء عبارة عن القاء الكلام على الغير ليكتبه فان فسر الاكتتاب بالاستكتاب فالامر ظاهر لان املاءها اي القاءها على الكاتب متفرع على طلب ان يكتب له الكتاب الا ان املاءها على من يكتبها له عليه الصلاة والسلام بمنزلة كتابته عليه الصلاة والسلام بنفسه فلذلك جعل الاملاء على الكاتب بمنزلة الاملاء على نفسه وهذا على تقدير ان يحمل الاملاء على حقيقته ويجوز ان يكون قوله تملى استعارة تبعية بان يشبه القاء الكلام على الامي ليحفظه بالقائه الكاتب ليكتبه لكون صورة الالقاء على الحفظ كصورة الالقاء على الكاتب فاطلق الاملاء على الالقاء على الحافظ واشتق منه تملى وكذا ان فسر اكتتبها بكتبها لنفسه واخذها من غيره على الاسناد المجازي وروى الامام عن الحسن البصري انه قال قوله وهي تملى عليه كلام الله تعالى ذكره جوابا عن قولهم فكأنه تعالى قال ان هذه الآيات تملى عليه بالوحي حالا بعد حال فكيف يقال في حقها انها اساطير الاولين ثم قال واما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على ان ذلك من كلام القوم وارادوا به ان اهل الكتاب املوا عليه في هذه الاوقات هذه الاشياء ثم قال ولا شك ان هذا القول اقرب لانه تعالى اجاب بعد ذلك عن كلامهم بقوله قل انزله الذي يعلم السر ووجه كونه جوابا ان القرآن لكونه معجزا من حيث كونه في اقصى مراتب الفصاحة والبلاغة ومن حيث اشتماله على الاخبار عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا علام الغيوب يستحيل ان يلقيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من تلقاء نفسه ويأخذه من اساطير الاولين لما زاد على ما في كتبهم فظهر انه من عند من يعلم الغيب وهو الله تعالى وانه بمعزل عن كونه من اساطير الاولين ثم انه تعالى ذكر شبهة اخرى للمشركين فقال وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق (قوله وفيه) اي وفي التعبير عنه عليه الصلاة والسلام بلفظ هذا استهانة وتحقير له عليه الصلاة والسلام وفي تسميتهم

(ان تتبعون) ماتتبعون (الارجلامسحورا) سحر فغلب على * ٣٧٠ * عقله وقيل ذا سحر وهوالرئة اى بشرا

اياه رسولا مع انهم بصدد انكار رسالته تهكم به عليه الصلاة والسلام ذكروا له عليه الصلاة والسلام خمس صفات وزعموا انها تخل بالرسالة زعما منهم ان فضيلة الرسول على غيره تكون بامور جسمانية وهى غاية الجهالة ونهاية السفاهة فاجاب الله عن هذه الشبهة بوجوه الوجه الاول قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال اى اتوا لك الاشباه حين زعموا انك مسحور محتاج امتر ولك ناقص عاجز عن القيام بالامور ويقولون مرة انه ساحر ومرة شاعر ومرة مجنون ومرة مسحور ونحو ذلك من الاقوال الشاذة والاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى الاختصاص بالكمالات النفسانية والفضائل الروحانية والى المميز بينه وبين المتنبى فان المميز بينهما يكون باظهار المعجزة وماذكروه من الشبهة لايقدح بشئ فى اظهارها فلا يكون شئ منها قادحا فى النبوة كأنه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التى لافائدة فيها لماهم بصدده من القدح فى نبوتك واثبات كونك متنبئا والوجه الثانى من وجوه الجواب عن شبهة المنكرين ما ذكره بقوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك اى من الذى ذكروه من نعم الدنيا كالكنز والجنة وفسر ذلك الخير بقوله جنات الخ ونبه بذلك على انه تعالى قادر على ان يعطيه عليه الصلاة والسلام ذلك الذى عيروه بفقده وماهو خير من ذلك بكثير ولكنه تعالى يعطى عباده على حسب المصالح وعلى وفق المشيئة ولا اعتراض لاحد عليه فى شئ من افعاله فيفتح على واحد ابواب المعارف والعلوم ويسد عليه ابواب الدنيا وفى حق الآخر بالعكس من ذلك عن الضحاك قال لما عير المشركون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاقة حزن عليه الصلاة والسلام لذلك فنزل جبريل معزيا له وقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق فبينما جبريل والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتحدثان اذ فتح باب من السماء لم يكن فتح قبل ذلك فقال جبريل أبشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد أتاك بالرضى من ربك فسلم عليه وقال ربك يخيرك بين ان تكون نبيا ملكا وبين ان تكون نبيا عبدا ومعه سفط من نور يتلألأ ثم قال هذه مفاتيح خزائن الدنيا فاقبضها من غير ان ينقصك الله مما ادخرلك فى الآخرة جناح بعوضة فنظر النبى عليه الصلاة والسلام الى جبريل كالمستشير فاومأ بيده ان تواضع فقال رسول الله بل نبيا عبدا قال فكان عليه الصلاة والسلام لايأكل بعد ذلك متكئا حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد (قوله وقرئ بالنصب) اى بنصب يجعل باضمار ان على انه جواب بالواو

الاملكا (انظر كيف ضربوا لك الامثال) اى قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة (فضلوا) عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبى والمميز بينه وبين المتنبى فخبطوا خبط عشواء (فلا يستطيعون سبيلا) الى القدح فى نبوتك اوالى الرشد والهدى (تبارك الذى ان شاء جعل لك) فى الدنيا (خيرا من ذلك) مما قالوه ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى (جنات تجرى من تحتها الانهار) بدل من خيرا (ويجعل لك قصورا) عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة * يقول لاغائب مالى ولاحرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو (بل كذبوا بالساعة) فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هى بالمال فطعنوا فيك بفقرك

(فانه)

فانه معطوف على جعل وهو جواب ان شاء قال ابن جنى هو كقولك ان تأتنى آتك واحسن اليك وهو غريب لان نصب المضارع المعطوف على الجواب الشرط بالواو غير مذكور فى كتب النحو انما المذكور فيها نصبه بعد الواو اذا كان قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهى وغيرهما وقرأ باقى القراء بجزم يجعل وادغام لامه فى لام لك عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط والقصور جمع قصر والقصر هو المسكن الرفيع والوجه الثالث من وجوه الجواب قوله تعالى بل كذبوا بالساعة والمعنى انهم كذبوك وعيروك بالفقر لانهم كذبوا بالساعة وظنوا ان الكرامة انما هى بالمال فتكون كلمة بل لترك الاول والاخذ فيما هو أهم وكونه اهم بالنسبة الى الجوابين الاولين لانهما يفيدان ما ذكره فى القدح لنبوته وهو لا يصلح قادحا بها وهذا الجواب بين العلة الداعية لهم الى انكار النبوة فان من كذب بالساعة لايرجو ثوابا ولايخاف عقابا فلا يتحمل كلفة النظر والفكر فى الدلائل الدالة على ماهو الحق فى باب الاعتقاد والعمل فلذلك لاينتفعون بما يورد عليهم من الدلائل فقوله بل كذبوا بالساعة معطوف على قوله تبارك الذى والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية والحطام والهشيم هوالشئ اليابس المتكسر استعير لاسباب الدنيا لسرعة زوالها وقلة مكثها (قوله اوفلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن) فيكون معطوفا على قوله وقالوا مالهذا الرسول (قوله اوفكيف يلتفتون الى هذا الجواب) وهو قوله تعالى تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا الى قوله ويجعل لك قصورا فهو يجعل على الاستئناف بوعد ما يكون له فى الآخرة فيكون معطوفا عليه والفرق بين هذا وبين الاحتمال الاول انه على الاول اضراب عنه الى جواب آخر أهم من الاول وعلى هذا الاحتمال يكون المقصود بيان انهم لايلتفتون الى هذا الجواب لعدم تصديقهم بالآخرة (قوله او فلا تعجب الخ) فيكون معطوفا على جملة ما حكى عنهم مما يدل على تكذيبه والقدح فى نبوته فان المقصود من حكاية ذلك عنهم التعجب من جهلهم وسفههم وانما كان تكذيبهم الساعة اعجب من تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام من حيث ان تكذيبهم الساعة تكذيب لله تعالى وهو اعجب واغرب من تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام (قوله فيكون صرفه باعتبار المكان) يعنى اذا كان اسما لجهنم اوجب منع صرفه للعلمية والتأنيث الا انه صرف نأويلا لجهنم بالمكان (قوله اذا رأتهم) جملة شرطية فى موضع النصب على انها صفة لقوله سعيرا وكذا قوله واذا ألقوا منها مكانا ضيقا الخ (قوله اذا كانت بمرأى منهم) يعنى ان السعير سواء كانت بمعنى النار

اوفلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة اوفكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعدالله لك فى الآخرة اوفلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان (اذا رأتهم) اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لاتترا آى ناراهما اى لاتتقاربا بحيث تكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار اوجهنم (من مكان بعيد) وهو اقصى مايمكن ان يرى منه

من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف (واذا ألقوا منها مكانا) اى فى مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا (ضيقا) لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وقرأ ابن كثير بسكون الياء (مقرنين) قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل (دعوا هنالك) فى ذلك المكان (ثبورا) هلاكا اى يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون ياثبوراه تعالى فهذا حينك (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) اى يقال لهم ذلك (وادعوا ثبورا كثيرا) لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته اولانه يجدد كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب اولانه لاينقطع فهو فى كل وقت ثبور (قل أذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون) الاشارة الى العذاب

الملتهبة اوجهنم ليست لها عين ولا رؤية ومع ذلك اسندت الرؤية اليها باعتبار كونها مجازا عن المقابلة وكونها بمرأى الناظر فان كون الشئ بمقابلة الناظر ومرءاه لازم للرؤية اذلا يمكن الرؤية بدون ذلك فاطلق الملزوم وهو الرؤية واريد اللازم وهو كون الشئ بحيث يرى والانتقال من الملزوم الى اللازم يكون مجازا اوكناية قال عليه الصلاة والسلام المؤمن والكافر لاتترا أى ناراهما اى لاتتقاربا ولاتكون احداهما بمرأى من الاخرى والمقصود النهى عن تقاربهما ويقال دور فلان متناظرة اى متقابلة وهذا التوجيه غير لازم على مذهب اصحابنا لان البنية ليست شرطا فى الحياة عندهم فالنار على ماهى يجوز ان يخلق الله فيها الحيات والعقل والرؤية والنطق ويؤيده ماروى انه عليه الصلوة والسلام قال من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عينى جهنم مقعده قالوا هل لها عينان قال نعم الاتسمعون قول الله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد قيل من مسيرة مائة سنة بخلاف المعتزلة فانهم شرطوا البنية فى الحياة فلا يجوز كون السعير ذات عينين عندهم فقوله تعالى فى صفة السعير اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا لايمكن اجراؤه على الظاهر عندهم بل يمكن ذلك عندنا اذلا امتناع من ان تكون النار حية مغتاظة على الكفار واما المعتزلة فانهم لما شرطوا البنية فى الحياة فلا يجوز كون السعير ذات حياة عندهم احتاجوا الى التأويل قال الجبائى ان الله تبارك وتعالى ذكر النار واراد الخزنة الموكلة بتعذيب اهل النار لان الرؤية تصح منهم ولاتصح من النار فهو كقوله تعالى واسأل القرية اى اهلها (قوله صوت تغيظ) لما كان التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لايكون مسموعا ذكر فى توجيه الكلام ان نفس التغيظ وان لم يسمع الا انه يسمع مايدل عليه من الصوت كما يقال اما رأيت غضب الملك على فلان اذا رأى مايدل عليه فكذا ههنا والمعنى سمعوا لها صوتا يشبه صوت التغيظ (قوله فى مكان) يعنى ان مكانا منصوب على الظرفية ومنها فى محل النصب على الحال من مكانا لانه فى الاصل صفة ومقرنين حال من مفعول ألقوا وثبورا مفعول به لقوله دعوا روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان جهنم لتضيق على الكافر كما يضيق الزج على الرمح والزج الحديدة التى فى رأس الرمح وسئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقال والذى نفسى بيده انهم يكرهون فى النار كما يكره الوتد فى الحائط ولقد جمع الله على اهل النار انواع البلاء حتى ضم الى العذاب الشديد الضيق الشديد ليكون ذلك لهم عذابا فوق عذابهم (قوله والاستفهام الخ) جواب عما يقال كيف يتصور الشك فى ايهما خير حتى يحسن الاستفهام والترديد وهل يجوز لقائل ان يقول السكر خير ام الصبر واجاب بان ذلك يحسن فى معرض التقريع والتهكم

والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة (فانه)

فانه تعالى لما ذكر حال العقاب المعد لمن كذب بالساعة اتبعه بما يؤكد حسرته وندامته تقريعا له وتهكما وجنة الخلد هى الدار التى لاينقطع نعيمها ولاينتقل اهلها منها ولما ورد ان الجنة اسم للدار المخلدة فاى فائدة فى اضافتها الى الخلد اشار الى جوابه بقوله واضافتها للمدح كما ان الصفة للمدح فكذا الاضافة اولان اسم الجنة لايدل الاعلى البستان الجامع لوجوه البهجة ولايدخل الخلود فى مفهومه فاضيف اليها للدلالة على خلودها (قوله بالوعد) اى بالاستحقاق كما ذهب اليه المعتزلة فان الثواب لايجب على الله عندنا خلافا لهم ويدل عليه قوله تعالى وعد المتقون فان الموعود لايكون واجبا على من وعد به قبل الوعد وانما يجب عليه انجازه بمقتضى الكرم والمعتزلة احتجوا على انها كانت لهم جزاء بالاستحقاق بوجهين الاول ان اسم الجزاء لايتناول الا المستحق واما الموعود بمحض التفضل فانه لايسمى جزاء والثانى انه لوكان المراد من الجزاء الامر الذى يصيرون اليه بمجرد الوعد لما بقى فرق بين قوله جزاء وبين قوله مصيرا فيصير ذلك تكرارا من غير فائدة وقال اصحابنا لانزاع فى كونه جزاء انما النزاع فى كونه جزاء ثبت بالوعد او بالاستحقاق وليس فى الآية مايدل على التعيين وانما قلنا انه ثبت بالوعد للادلة المنفصلة وقوله كانت بلفظ الماضى مع ان الجنة ستصير لهم جزاء ومصيرا فى المستقبل مبنى على انه تعالى كتب فى اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم وكان ذلك فى علمه الازلى (قوله ولايمنع كونه جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم) جواب عن استدلال المعتزلة على انه تعالى لايعفو عن اصحاب الكبائر ولايدخلهم الجنة بهذه الآية بان قالوا الجنة حق المتقين جزاء على اعمالهم لقوله تعالى كانت لهم جزاء واهل الكبائر وان كانوا مؤمنين لكنهم ليسوا بمتقين فلوعفا الله عنهم وادخلهم الجنة التى اختصت بالمتقين وكانت حقا لهم لزم ان يعطيهم حق المتقين مع انهم ليسوا بمتقين واعطاء حق الانسان لغيره لايجوز وتوجيه الجوابين ظاهر (قوله ولعله يقصرهم كل طائفة) جواب عما يقال ان اهل الدرجات النازلة اذا شاهدوا الدرجات العالية لابد ان يريدوها ويسألوها فان اعطاهم الله تعالى اياها لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت فى الدرجة وان لم يعطها لهم قدح ذلك فى قوله لهم فيها مايشاؤن وفى قوله ماتشتهى الانفس وايضا فالاب اذا كان ولده فى دركات النار واشد العذاب اشتهى ان يخلصه الله من ذلك فان فعل الله ذلك قدح فى ان عذاب الكافر مخلد وان لم يفعل قدح ذلك فى قوله لهم فيها مايشاؤون وفيها ماتشتهيه الانفس وتقرير الجواب ان المراد انهم فيها مايشاؤون مما يليق برتبتهم وانه تعالى لايلقى فى خاطرهم ان ينالوا رتبة من هو اشرف منهم رتبة بل يشتغل كل واحد بما اتاه

الى الخلد للمدح اوالدلالة على خلودها والتميز عن جنات الدنيا (كانت لهم) فى علم الله اواللوح اولان ماوعده الله فى تحققه كالواقع (جزاء) على اعمالهم بالوعد (ومصيرا) ينقلبون اليه ولايمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من اتقى الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلتهم (لهم فيها مايشاؤن) مايشاؤنه من النعيم ولعله يقصرهم كل طائفة على مايليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لايدرك شأو الكامل بالتشهى وفيه تنبيه على ان كل المرادات لاتحصل الا فى الجنة (خالدين)

بما يليق برتبته ولايلتفت الى حال غيره (قوله حال من احد ضمائرهم) والمعنى الذى يشاؤونه حال كونهم خالدين حاصل لهم اوالذى يشاؤونه حاصل لهم كونهم خالدين (قوله وما فى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده) والمعنى كان الذى يشاؤونه موعودا واجبا على ربك انجازه لكونه وعد الكريم الذى يمتنع الخلف فى وعده وليس المعنى كما ذكره صاحب الكشاف ان ذلك كان موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسأل و يطلب لكونه جزاء واجرا مستحقا عليه لان العبد لايستوجب عليه تعالى شيأ بل كل مايصل اليه من الخير فهو تفضل محض ولما ورد ان يقال لما وجب عليه انجاز الموعود وان كان ذلك بناء على كرمه وامتناع الخلف فى وعده لزم منه انه تعالى ملجأ الى الانجاز وغير قادر على تركه ومن كان ملجأ الى الفعل وغير قادر على تركه لايكون مستحقا للمدح والثناء بذلك فالله ذوالفضل العظيم يختص برحمته من يشاء اجاب عنه بقوله ولايلزم منه الالجاء الى الانجاز لان وجوب الانجاز انما لزم من الوعد الذى هو الاخبار بالفعل المتوقف على العلم بالفعل وكل واحد من الاخبار بالفعل والعلم به يوجب الفعل فوجب الفعل لانه لولم يفعله لانقلب خبره الصادق كذبا وعلمه جهلا والوجوب اللازم من الاخبار والعلم لايستلزم كونه تعالى ملجأ الى الفعل غير قادر على الترك لان تعلق الارادة الازلية بالفعل متقدم على الاخبار به والعلم بوقوعه والفعل الواقع بالارادة لايكون صادرا على سبيل الالجاء و يكون تركه مقدورا ويستحق فاعله المدح والثناء (قوله تعالى و يوم نحشرهم) اى واذكر يوم نحشر الذين اتخذوا من دون الله آلهة قرأ ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون فيهما وابن كثير وحفص بالياء من تحت فيهما والباقون بالنون فى الاول و بالياء فى الثانى واختار المصنف هذه القراءة (قوله وهو على تلوين الخطاب) اى على الالتفات من التكلم الى الغيبة (قوله يعم كل معبود سواه) اى من الملائكة والمسيح وعزير والاوثان بشهادة قوله تعالى من دون الله الا ان جواب المعبودين بقولهم سبحانك ماكان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء يأبى دخول الاصنام فيهم لان هذا الجواب انما يلائم الانبياء والملائكة المعصومين ولما ورد ان يقال كيف يعم كل معبود ولفظ ما لايستعمل فى العقلاء دفعه بما محصله اما لا نسلم ان كلمة ما لاتستعمل الا فيما لايعقل فانها كما تستعمل فيما علم انه غير عاقل تستعمل ايضا فيما يتناوله وغيره كما اذا استعملت فى الذوات التى يدخل فيها الفريقان مع قطع النظر من كونها عقلاء اوغير عقلاء كما فى مانحن فيه نعم انها لاتستعمل فيما علم كونه عاقلا وانما تستعمل فيه كلمة من بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ماهو فاذا قيل لك انه انسان قلت حينئذ من هو ودفعه ثانيا بانه اريد به الوصف فانه قد يطلق

حال من احد ضمائرهم (كان على ربك وعدا مسؤلا) الضمير فى كان لما يشاؤون والوعد الموعود اى كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل و يطلب اومسؤلا سأله الناس فى دعائهم ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك اوالملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن ومافى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده ولايلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز (ويوم نحشرهم) للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء (ومايعبدون من دون الله) يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولايعرف اولانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا اواعتبارا لغلبة عبادها

على صفات من يعقل ومنه قوله تعالى والسماء ومابناها اى و بانيها وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد اى معبودى وقول فرعون ومارب العالمين اى من ربهم وقولك اذا اردت السؤال عن صفة زيد مثلا ماز يد تريد طويلا ام قصيرا فقيها ام طبيبا وثالثا بانه عبر عن مطلق المعبود بكلمة ما تغليبا للاصنام على العقلاء المعبودين تحقيرا لشانهم لغاية قصورهم عن معنى الربوبية والالوهية وقوله اواعتبار الغلبة عبادها عطف على تحقيرا (قوله او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح) عطف على قوله يعم كل معبود وقوله اوالاصنام عطف على الملائكة ولما ورد ان يقال الصنم جماد فكيف يخاطبه الله اجاب عنه اولا بانه تعالى يخلق فيه الحياة و يجعله صالحا لان يسأل و يجيب وثانيا بان ذلك الكلام ليس بلسان المقال بل هو بلسان الحال كما قيل فى تسبيح الدواب وكلام الايدى والارجل (قوله وهو استفهام تقريع) جواب عما يقال انه تعالى كان عالما فى الازل بحال المسئول عنه فما فائدة هذا السؤال وتقرير الجواب ان فائدته تقريع العبدة والزامهم كما قيل لعيسى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله لانهم اذا سئلوا بذلك واجابوا بما هو الحق الواقع تزداد حسرة العبدة وحيرتهم و يبكتون بتكذيب المعبودين اياهم وتبرئهم من امرهم بالشرك وعبادة غير الله فلذلك سألهم بذلك والا فهو اعلم بجميع المعلومات ومستغن عن السؤال (قوله واصله ءاضللتم ام ضلوا) لان المعنى ان ضلالهم عن الصراط السوى معلوم الا ان ذلك الضلال هل هو حاصل من قبل انفسهم او باضلالكم اياهم وهذا المعنى يحصل بان يقال ءاضللتم عبادى ام ضلوا بانفسهم من غيران يزاد انتم وهم الا انه غير النظم بزيادة انتم بين فعل الاضلال والهمزة و زيادة هم بين فعل الضلال وام ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو تعين من تولى الفعل و باشره لا اصل الضلال اذ لا شبهة فى تحققه حتى يسأل عنه فان اصل الضلال لو لم يكن مقطوع التحقق لما توجه العتاب وهو اظهار الغضب وقد توجه ذلك لان هذا الاستفهام للتوبيخ والعتاب كانه قيل هؤلاء الضالون لابد لهم من مضل وان ذلك المضل هل هو انتم اوهم ضلوا بانفسهم فان الضال من غير ان ينقاد لمضل خارجى هو الذى يضل نفسه لامحالة فزيد لفظ انتم وهم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال ثم انه ذكر فى قوله سبحانك ثلاثة معان الاول انه تعجب مما قيل لهم واسند اليهم من الاضلال مع كونهم معصومين او عاجزين عن الفعل مطلقا فانه كثيرا ما يستعمل فى التعجب والثانى ان قولهم سبحانك كناية عن كونهم مسبحين موسومين بذلك فكيف يليق بهم ان يضلوا عباده والثالث انه يستعمل

او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب اوالاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل فى كلام الايدى والارجل (فيقول) اى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون (ءأنتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل) لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله ءاضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لاتقدر على شئ اواشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده اوتنزيها لله عن الانداد (ماكان ينبغى لنا) يصح لنا (ان نتخذ من دونك من اولياء) للعصمة اولعدم القدرة

في التنزيه كما هو اصله والمراد تنزيهه تعالى عن الانداد (قوله فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك) جعل قولهم ماكان ينبغي لنا كناية عن استبعاد ان يدعوا احدا الى اتخاذ ولى دونه تعالى لان نفس قولهم بصر يحه لايفيد المقصود وهو نفى مانسب اليهم من اضلال العباد وحملهم على اتخاذ الاولياء من دون الله (قوله من اتخذ الذى له مفعولان) اولهما ضمير المتكلمين وثانيهما قوله من اولياء ومن للتبعيض اى ماكان ينبغي لنا ان نتخذ بعض اولياء وقرأ العامة نتخذ مبنيا للفاعل ومن اولياء مفعوله وزيدت من فيه لتأكيد النفى (قوله فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة) فانهم قالوا فى هذه الآية دليل بين لقول من يقول ان الله تعالى يضل عباده فى الحقيقة لانه لو كان الامر كذلك لكان الجواب الصحيح ان يقولوا ههنا قسم ثالث غيرهما وهو الحق وهو انك اضللتهم فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا اضلالهم الى انفسهم علمنا ان الله لايضل احدا من عباده فان قيل لانسلم ان المعبودين ما تعرضوا لهذا القسم بل ذكروه وقالوا ولكن متعتهم وآباءهم بنعم الدنيا قلنا لو كان الامر كذلك لكان يلزم ان يكون الله محجوجا فى يد اولئك المعبودين ومعلوم ان ليس الغرض ذلك بل الغرض ان يصير الكافر محجوجا مفحما ملوما هذا تمام تقرير كلام المعتزلة فى الآية وتقرير المصنف ظاهر فى عدم انتهاض الآية حجة للمعتزلة علينا فانه لما تضمن كلام المعبودين انالم نضلهم ولم نحملهم على الضلال حسن الاستدراك بقولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واستغراقهم فى الشهوات واسناد له الى مافعل الله بهم فكانه قيل لكن اضللتهم بان فعلت بهم مايؤثرون به الضلال فخلقت فيهم ذلك اذ لو لم يكن المعنى ذلك لما انطبق الجواب لان السؤال انما هو عن اضلالهم (قوله التفات الى العبدة) يعنى انه كلام الله تعالى خاطب به المشركين بعد ماعبر عنهم بلفظ الغيبة فى قوله ويوم نحشرهم واصل الآية فقلنا قد كذبكم المعبودون ايها المشركون فى قولكم انهم آلهة اوفى قولكم هؤلاء اضلونا على ان الباء بمعنى فى ويحتمل ان تكون الباء مع المجرور بدلا من ضمير المفعول فى كذبوكم كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون والباء صلة كذبوا كما فى قولك كذب بالحق فان كذب انما يتعدى الى واحد تارة بنفسه وتارة بالباء وقد عدى ههنا الى كم بنفسه فلا جرم ان تكون بدلا منه وان قرئ بما يقولون بياء الغيبة تكون الباء للآلة كما فى قولك كتبت بالقلم اى كذبوكم بقولهم سبحانك ماكان ينبغى لنا (قوله والشرط وان عم) جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد العصاة واهل الكبائر بان قالوا قوله تعالى ومن يظلم يعم الكافر والفاسق

كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفى (ولكن متعتهم وآباءهم) بانواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات (حتى نسوا الذكر) حتى غفلوا عن ذكرك اوالتذكر لآلائك والتدبر فى آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى مافعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة (وكانوا) فى قضائك (قوما بورا) هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع اوجمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون (بما تقولون) فى قولكم انهم آلهة اوهؤلاء اضلونا والباء بمعنى فى او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك ماكان ينبغى لنا (فما تستطيعون) اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين (صرفا) دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليصرف

اى يحتال (ولا نصرا) يعينكم عليه (ومن يظلم منكم) ايها المكلفون (نذقه عذابا كبيرا) هى النار والشرط وان عم (لان)

لان كل واحد منهما ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ولقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فثبت بهذه الآية أن الفاسق لايعفى عنه بل يعذب وتقرير الجواب ظاهر والمراد بالاحباط بالطاعة ان يزيل ذلك الظلم بطاعة هي اعظم من ذلك الظلم فلما كان اقتضاء هذا الشرط للجزآء المذكور مقيدا بان لا يوجد مايزيل ذلك الظلم فلم لم تقولوا انه لم يوجد مايزيله حتى قطعتم بتعذيبه (قوله الا رسلا انهم) يعني كسرت همزة انهم لو قوعها في صدر جلة وقعت صفة لموصوف محذوف واعلم ان في الآية حذفين والتقدير وماارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا رسلا انهم يأكلون الطعام فحذف احدا واقيمت صفته وهي من المرسلين مقامه وكذا حذف رسلا واقيمت الجملة التي بعده مقامه وجاز استثناء رسلا من احد لانه في معنى الجمع كما في قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين ويجوز ان تكون الجملة التي بعد الا حالا من اعم الاحوال والتقدير وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين في حال من الاحوال الا وهم يأكلون الا انه اكتفى فيها بالضمير عن الواو (قوله وهو جواب لقولهم) يعني انه احتجاج عليهم في قولهم ماله ذا الرسول يأكل الطعام ونقض له بحال الرسل جميعا كانه قيل لو كان مواقعة الرسول المرسل اليهم في الاحوال منافيا لوجب ان لا يكون احد من المرسلين قبلك رسولا يأكل وهو باطل فاذا لم يكن ذلك منافيا لرسالتهم لم يكن منافيا لرسالتك ايضا فانك لا تكون بدعا منهم وقرئ يمشون بضم الياء وفتح الشين المشددة ولو قرئ يمشون بضم الشين على بناء الفاعل لتكثر المشي لكان له وجه لولا ان الرواية بالفتح يقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته وناصبته الحرب مناصبة اى شاركته في المحاربة والمعاداة قيل قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة تسلية له عليه السلام على ماقالوا ماله ذا الرسول يأكل الطعام مع احتجاجه عليهم بسائر الرسل كانه قيل لاتتأذى بقولهم فانا جعلنا بعض الناس بلاء لبعض كما ابتلى اشراف الناس بأسافلهم وذووا انسابهم بمواليهم وسلاطينهم برعاياهم وبالعكس ورؤساء المشركين بفقرآء الصحابة فانه اذا اراد الشريف ان يسلم ورأى الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم وقال لااسلم بعده فيكون له على السابقة والفضل فيقيم على كفره وهو افتتان بعضهم ببعض ودليله قوله لو كان خيرا ماسبقونا اليه فلا عجب من ان يبتلى المرسلون بالمرسل اليهم انواع اذاهم وان يبتلى المرسل اليهم بالمرسلين حسدا لهم ويأسا من كونهم مكافين بالخدمة وبذل النفس والمال بعد ان كانوا رؤساء مخدومين (قوله وفيه دليل على القضاء) اى في قوله تعالى وجعلنا دليل على ان الكائنات كلها واقعة بقضاء الله وقدره فانه لا شك ان المراد منه وحكمنا في الازل ان يكون بعضكم فتنة لبعض

كل من كفرا وفسق لكنه في اقتضاء الجزآء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا (وماارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) اى الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله ومامنا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ماله ذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اى يمشيهم حوائجهم اوالناس (وجعلنا بعضكم) ايها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقرآء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذآئهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر (أتصبرون)

علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر، نظيره قوله ليبلوكم ﴿٣٧٨﴾ ايكم احسن عملا او حث على الصبر

على ما افتتنوا به (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره (وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (لقاءنا) بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول (لولا) هلا (انزل علينا الملائكة) فيخبرونا بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا (او نرى ربنا) فيأمرنا بتصديقه واتباعه (لقد استكبروا فى انفسهم) اى فى شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفى الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله * وجارة جساس أبأنا بنابها * كليبا علت ناب كليب بواؤها (فى الشؤم)

فالذى حكم الله تعالى عليه بذلك وعلم ذلك منه واثبته فى اللوح المحفوظ واطلع عليه الملائكة يجب ان يقع فى اوقات حدوثه على وفق ما تعلق به العلم الازلى والا لصار العلم جهلا ولصارت الكتابة المثبتة فى اللوح المحفوظ باطلة ولصار اعتقاد الملائكة جهلا وكل ذلك محال وما يستلزم المحال محال فثبت مسألة القضاء والقدر والقضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها (قوله علة للجعل) يعنى ان الفتنة بمعنى الابتلاء والامتحان والاختبار فجعل البعض فتنة للبعض معناه جعله سببا لامتحان البعض بالبعض الآخر فكان تعلق اتصبرون بقوله فتنة بمنزلة تعلق قوله ايكم احسن عملا فكما ان المعنى ثمة ابليناكم بالتكاليف لنعلم ايكم احسن عملا فكذا المعنى ههنا جعلنا بعضكم فتنة لبعض لنعلم ايكم احسن صبرا فكان خلاصة المعنى فاصبروا ايها المكلفون على ايذاء بعضكم بعضا فصبروا فانزل الله تعالى فيهم انى جزيتهم اليوم بما صبروا (قوله تعالى وكان ربك بصيرا) اى عالما بمن يصبر وبمن يجزع فهو تبشير وانذار للفريقين وقيل عالما بالصواب فيما يبتلى به الخلق وغيره فلا يضيقن صدرك يا محمد (قوله ومنه الرؤية) اى ومن وجوه الوصول الى الشئ وطرقه رؤيته فان مسمى اللقاء جنس تحته انواع احد انواعه الرؤية ونوعه الآخر الانصار والمماسة واللقاء بهذا المعنى يمتنع ان يتعلق بذاته تعالى فتعين ان يكون المراد الوصول الى جزائه ورؤية ذاته على تقدير ان يفسر قوله لا يرجون لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير وهذه الآية اشارة الى شبهة رابعة لمنكرى نبوته وهى قولهم لو كان نبيا لانزل الله ملائكة يشهدون انه صادق فى دعوى النبوة او نرى ربنا حتى يخبرنا بانه ارسله الينا لان هذا الطريق احسن وادعى الى الاقتضاء الى الايمان وتصديقه ولما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى ما اراد تصديقه (قوله ابأنا بنابها كليبا) اى قتلنا بمقابلة نابها كليبا وهو رئيس تغلب بن وائل قتله البوائات وائل لانه اذ قتلته بعد حرمته كثرة ... [illegible] ... وجارة اسمها بسوس يقال انها خالة جساس رأى كليب من وائل ... [illegible] ... شكت بسوس الى جساس ... [illegible] ... سمع ذلك كليب فظن انه فعله الذى يعنى عليها ... قال كليب دون عليان حرط القتاد وكان جساس اراد بفحل دس كليب فقتل جساس كليبا بدل تلك الناقة فهاجت بذلك حرب بكر وتغلب بن وائل اربعين سنة حتى ضرب بها المثل

فى الشؤم وقيل اشأم من بسوس وسميت تلك الحرب حرب البسوس وضرب المثل فى عزة الشئ وقيل اعز من حمى كليب وابواء الكلأ واستأنف بقوله غلت ناب كليب بواؤها لقصد التعجب والمعنى ما اغلى نا بابواؤها كليب وكذا معنى الآية ما اشد استكبارهم وما اكثر عتوهم ثم انه تعالى اجاب عن قولهم لولا انزل علينا الملائكة بقوله يوم يرون الملائكة فبين ان الذى طلبوه سيوجد ولكنهم يلقون منه ما يكرهون (قوله ويوم نصب باذكر) فيكون لا بشرى استئنافا اومعمولا لقول مضمر اى اذكر يوم يرون الملائكة يقولون لابشرى وجملة القول حال من الملائكة (قوله اوبمادل عليه لا بشرى) ولا يجوز ان يعمل فيه نفس البشرى لوجهين احدهما انه مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله والثانى انها منفية بلا ومابعد لا لا يعمل فيما قبلها ويومئذ تكرير ليوم يرون اما على انه تأكيد لفظى له واما على انه بدل منه ويحتمل ان يكون يومئذ خبر لبشرى والعامل فيه محذوف ويكون للمجرمين بيانا لقوله لابشرى لما فيه من ابهام او خبرا ثانيا له (قوله اوظرف) عطف على قوله تكرير اى ويحتمل ان يكون يومئذ ظرفا لما تعلق به اللام ولبشرى اذا جعلتها غير مبنية فان المنفية لا تعمل (قوله وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم) اى حكم الذين لايرجون لقاءنا من طريق البرهان بان يقال ان الذين لايرجون لقاءنا مجرمون والمجرمون لا بشرى لهم فالذين لايرجون لقاءنا لا بشرى لهم (قوله ولايلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ) اى حين يرون الملائكة عند الموت او يوم القيامة نفى البشرى بالعفو والشفاعة جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو والشفاعة وذلك ان قوله لا بشرى يومئذ للمجرمين نكرة فى سياق النفى فتعم جميع انواع البشرى فى جميع الاوقات وشفاعة الرسول انما هى من اعظم البشرى فوجب ان لايثبت ذلك لأحد من المجرمين (قوله عطف على المدلول) اى على الفعل الذى يدل عليه لابشرى وهو يمنعون البشرى بالجنة او يعدمونها وقولهم حجرا محجورا كلمة تقال عند لقاء عدو او هجوم مكروه ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة وحجرا من المصادر التى التزم اضمار ناصبها لا يتصرف فيه نحو معاذ الله وعمرك الله وقعدك الله اى اعوذ بالله معاذا يقال عذت بفلان واستعذت به اى لجأت اليه وهو عياذى اى ملجئى وقعدك الله وقعيدك الله نشدتك الله تعميرا حذف زوائده ... اقيم مقام الفعل مضافا الى المفعول وحجرا ... ذامنعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه لا يلحقه ... والمعنى نسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا والعامة على كسر الحاء

(يوم يرون الملائكة) الموت او العذاب ويوم نصب باذكر اوبما دل عليه (لابشرى يومئذ للمجرمين) فانه بمعنى يمنعون البشرى اويعدمونها ويومئذ تكرير اوخبر وللمجرمين تبيين اوخبر ثان اوظرف لما تعلق به اللام اولبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا لانها لاتعمل وللمجرمين اماعام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولايلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفى البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر واماخاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها (ويقولون حجرا محجورا) عطف على المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهى مما كانوا يقولون عند لقاء عدو وهجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم

وأصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كمعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه
بمحجور للتأكيد كقولهم موت مائت (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه ﴿ ٣٨٠ ﴾ هباء منثورا) اى وعمدنا الى ما عملوا
في كفرهم من المكارم
كقرى الضيف وصلة
الرحم واغاثة الملهوف
فأحبطناه لفقد ما هو
شرط اعتباره وهو تشبيه
حالهم واعمالهم بحال
قوم استعصوا سلطانهم
فقدم الى اسبابهم فمزقها
وابطلها ولم يبق لها
اثرا والهباء غبار يرى
في شعاع الشمس يطلع
من الكوة من الهبوة
وهي الغبار ومنثورا صفته
شبه به عملهم المحبط
في حقارته وعدم نفعه ثم
بالمنثور منه في انتشاره
بحيث لا يمكن نظمه
اوتفرقه نحو اغراضهم
التي كانوا يتوجهون به
نحوها او مفعول ثالث
من حيث انه كالخبر بعد
الخبر كقوله كونوا قردة
خاسئين (اصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا) مكانا
يستقر فيه في اكثر الاوقات
للتجالس والتحادث
(واحسن مقيلا) مكانا
يؤوى اليه للاسترواح
بالازواج والتمتع بهن تجوزا له
من مكان القيلولة على
التشبيه اولانه لا يخلو من
ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة
وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر (قوله)
او زمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم طيب ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل بالارادة لزيادة مطلقا او بالاضافة

وقرئ بضمها وهي لغة فيه وحكى ابو البقاء فيه لغة ثالثة وهي فتح الحاء
وقد قرئ به (قوله واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص)
وهو موضع الانتصاب على المصدرية لفعل مضمر من فيه من الالتباس وقوله غير
جواب لما اختص ومحجورا صفة مؤكدة للمعنى كقولهم ليل لائل وموت مائت
(قوله اى وعمدنا الى ما عملوا) لما لم يجز اسناد حقيقة القدوم اليه تعالى لكون
القدوم عبارة عن مجيء المسافر بعد مدة وذلك يكون بالحركة التي هي من خواص
الاجسام ومقتضية لحدوث الموصوف بها ولذلك استدل الخليل بافول
الكواكب على حدوثها وقد ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية والحدوث ولذلك
اول قوله تعالى وقدمنا بقوله وعمدنا فان القصد هو المؤثر في القدوم فاطلق
اسم المسبب على السبب فيكون المجاز في المفرد وليت شعري كيف احتيج الى
اعتباره مع جعله من تشبيه الهيئة بالهيئة كما صرح به حيث قال وهو تشبيه
حالهم بحال قوم وفي مثله تكون المفردات مستعملة في معانيها الاصلية وانما
التصرف في المعنى التركيبي والظاهر انه ليس مراد المصنف بقوله اى وعمدنا
جعل القدوم مجازا عن العمد بل يريد به ان يعبر عن الهيئة المشبهة التي
جعل نظم الآية مجازا عنها (قوله او مفعول ثالث) عطف على قوله
صفته واراد أن منثورا لما كان بمنزلة خبر ثان كان الخبر مع المفعول الاول
الذي هو في الاصل مبتدأ بمنزلة ثلاثة مفاعيل والافعل سواء كان بمعنى خلق
او صير لا يتعدى الى ثلاثة مفاعيل ثم انه تعالى لما بين حال الكفار في الخسار الكلي
والخيبة التامة شرح وصف اهل الجنة تنبيها على ان لهم كل الحظ في طاعة الله
فقال مستقر اهل الجنة خير من مستقر اهل النار وكذا مقيلهم خير من مقيلهم
فان قيل كيف يكون مستقر اهل الجنة خيرا من مستقر اهل النار مع انه لا خير
في النار اذ لا يقال العسل احلى من الخل فالجواب انه من قبيل التقريع والتهكم
كما في قوله أذلك خير ام جنة الخلد ولما دلت الآية على ان مستقر اهل الجنة غير
مقيلهم فسر المستقر بالمكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات والمقيل بالمكان الذي يؤوى
اليه للتمتع بالازواج (قوله اذ لا نوم في الجنة) لان اهلها ابدا في نعيم
يعرفونه كما ان اهل النار ابدا في عذاب يعرفونه ولا نوم لواحد منهما (قوله
وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور) اى حسن صور ازواجهم
من الحور العين والتحاسين جمع تحسين مصدر حسن سمي به ما يحسن به الشيء
من زخارف كالتصانيف والتضاعيف سمي به تصاريف الزمان واثناء الشيء

(قوله تعالى ويوم تشقق) العامل في يوم اما اذكر او الفعل المقدر المدلول
عليه بقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن تقديره تفرد الله بالملك يوم تشقق
قرأ الكوفيون وابو عمرو تشقق بتخفيف الشين والباقون بتشديدها واصل
القرآءتين تتشقق حذف الاولون احدى التاءين للتخفيف والباقون ادغموا تاء
التفعل في الشين لما بينهما من التقارب به وهذه الآية مرتبطة ايضا بما اقترحوه
من انزال الملائكة فبين الله تعالى ان ذلك يحصل في يوم له صفات منها ان السماء
تتشقق في ذلك اليوم ومنها ما ذكره بقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه
(قوله بسبب طلوع الغمام منها) يعني ان الباء في قوله بالغمام سببية
فان طلوع الغمام منها سبب لانشقاقها كما تقول تشققت الارض بالنبات
لكون طلوع النبات منها سببا لتشققها وليس طلوع الغمام والنبات آلة للانشقاق
لان آلة الفعل يتقدم وجودها على وجود الفعل وليس الطلوع متقدما على
الانشقاق في الوجود حتى يكون آلة له الا انه شبه بالآلة في كونه سببا للفعل والمعنى
ان السماء تفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة عليهم الصلاة والسلام ينزلون
وفي ايديهم صحائف اعمال العباد وقيل الباء فيه للحال اي ملتبسة بالغمام
او عليها غمام كما يقال ركب الامير بسلاحه وخرج بثيابه اي وعليه سلاحه
وثيابه وقيل الباء هنا بمعنى عن اي عن الغمام ومعنى انشقت الارض عن النبات
ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه وكذا في قوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم
سراعا فتنشقق السماء عن الغمام بان تزول السماء فيبقى الغمام فوق رؤس
الخلائق يظلهم قال الامام النسفي الغمام فوق السموات السبع وهو سحاب
ابيض غلظه كغلظ السموات السبع ويمسكه الله تعالى اليوم بقدرته وهو اثقل
من السموات فاذا اراد الله ان يشق السموات القى ثقله عليها فانشقت فذلك
قوله تعالى تشقق السماء بالغمام اي بثقل الغمام فيظهر الى هنا كلامه
فعلى هذا يحتمل ان يكون قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل
من الغمام والملائكة معناه ان يأتيهم بظلل من الغمام فان الباء وفي يتعاقبان
كثيرا وروى في الخبر انه تنشقق سماء الدنيا فتنزل ملائكة سماء الدنيا بمثلي
من في الارض من الجن والانس فيقولون لهم الخلق أفيكم ربنا يعنون هل جاء
امر ربنا بالحساب فيقولون لا وسوف يأتي ثم ملائكة السماء الثانية بمثلي
من في الارض من الملائكة والانس والجن ثم تنزل ملائكة كل سماء على هذا
التضعيف حتى تنزل ملائكة سبع سموات ثم ينزل الامر بالحساب فذلك قوله
تعالى يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الا انه قد ثبت ان الارض
بالقياس الى سماء الدنيا كحلقة في فلاة فكيف بالقياس الى الكرسي والعرش وكيف

الى ما للمترفين في الدنيا وروى
انه يفرغ من الحساب
في نصف ذلك اليوم
فيقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار (ويوم
تشقق السماء) اصله
تتشقق فحذف التاء
وادغمها ابن كثير ونافع وابن
عامر ويعقوب (بالغمام)
بسبب طلوع الغمام
منها وهو الغمام المذكور
في قوله هل ينظرون الا ان
يأتيهم الله في ظلل من الغ
والملائكة (ونزل الملائكة
تنزيلا) في ذلك الغمام
بصحائف اعمال العباد

تسع الارض كل هؤلاء الملائكة والعلم عند الله تعالى (قوله وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة) اى بنونين ثانيتهما ساكنة مضارع انزل من الانزال ونصب الملائكة على انه مفعول به فكان من حق المصدر فى هذه القرأة ان يجئ على الانزال الا انه لما كان انزل ونزل بمعنى واحد اقيم مصدر احدهما مقام مصدر الآخر مثل قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وقرأ الباقون من السبعة ونزل بضم النون وكسر الزاى المشددة وفتح اللام ماضيا مبنيا للمفعول ورفع الملائكة لقيامه مقام الفاعل وقرئ ونزلت بالتشديد مبنيا للمفعول وقرئ وانزل ونزل كل واحد منهما على الفاعل وهو الله تعالى فعدى الفعل تارة بالهمزة وتاره بالتضعيف وقرئ انزل على بناء المفعول ايضا وقرئ ونزل بالفتحات الثلاث مخففا مبنيا للفاعل وهو الملائكة وقرئ ونزل الملائكة بضم النون وتشديد الزاى ونصب الملائكة والاصل بنونين حذفت احداهما (قوله فهو الخبر) يعنى ان الملك مبتدأ ويومئذ ظرف معمول له والحق خبره والرحمن متعلق بالحق والمعنى الملك يوم تشقق السماء هو الملك الثابت للرحمن او متعلق بمحذوف على التبيين فيتم الكلام عند قوله الحق (قوله او صفة) عطف على الخبر فى قوله فهو الخبر ويحتمل ان يكون الحق صفة للمبتدأ وللرحمن خبره ويومئذ من صلة المبتدأ او من صلة الخبر ولا يجوز ان يكون من صلة الحق لان ما كان فى حيز المصدر لا يتقدم عليه ويحتمل ان يكون الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين كما مر وعض اليد كناية عن الغيظ وقيل المراد به حقيقة العض والاكل فى قوله يعض الظالم انه يأكل يديه الى المرفقين ثم تنبتان فلا يزال هكذا كلما نبتت يداه اكلهما ندامة على ما فعل وقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه منصوب به ثم ان كان تعريف الظالم للعهد وكان المعهود عقبة بن ابى معيط يكون قوله فلانا كناية عن شخص معين وهو ابى بن خلف وكان تمنى عقبة يوم القيامة ان لا يتخذ ابيا خليلا فى الدنيا وان كان التعريف فيه للجنس او الاستغراق يكون كناية عن كل من اطاع فى معصية الله تعالى روى الضحاك انه قال لما بزق عقبة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه فى وجهه فاحترق خداه فكان اثره به حتى الموت (قوله يقول ياليتنى) هذه الجملة حال من فاعل يعض (قوله طريقا الى النجاة او طريقا واحدا) يعنى ان التنكير فى قوله سبيلا اما للنوعية او للافراد وهو سبيل الحق (قوله لم يتشعب بى) اى لم يفرق بى يقال شعبت الشئ اذا فرقته وقال الأصمعى شعب بنى فلان اذا اجتمعوا بعد التفرق والباء فى قوله بى للتعدية ومعنى تفريق طرق الضلال اياه انه لما كان تارة فى هذا

وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة وقرئ ونزلت وانزل ونزل وننزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة (الملك يومئذ الحق للرحمن) الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم يعض الظالم على يديه) من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابى معيط كان يكثر مجالسة النبى عليه الصلاة والسلام فدعاه الى ضيافته فابى ان يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت

رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فأمر عليا فقتله وطعن ابيا أحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات (يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بى طرق الضلالة (ياويلتا)

وقرئ بالياء على الاصل (ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا) يعنى من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس (لقد اضلنى عن الذكر) عن ذكر الله ﴿٣٨٣﴾ او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة (بعد اذ جاءنى) وتمكنت منه (وكان الشيطان) يعنى الخليل المضل وابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن او انس (للانسان خذولا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعولا من الخذلان (وقال الرسول) محمد يومئذ اوفى الدنيا بثا الى الله (يارب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) بان تركوه وصدوا عنه وعنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه او هجروا فيه ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين) كما جعلنا لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والخير ويحتمل الواحد والجمع (وكفى بربك هاديا) الى طريق قهرهم (ونصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن) اى انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لا يناقض قوله (جملة واحدة) دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز

الطريق من طرق الضلالة وتارة فى تلك كان طرق الضلال كانهما فرقته (قوله وقرئ بالياء على الاصل) فان اصل هذه اللفظة كسر التاء التى بعدها ياء صريحة فابدلت الكسرة فتحة والياء ألفا فرارا من اجتماع الكسرة مع الياء (قوله كما ان هنا كناية عن الاجناس) يعنى ان كل واحد من لفظى فلان وهن اسم وضع لان يعبر به عن شئ الا ان لفظ فلان يكنى به عن اسم علم شخص من العقلاء ولفظ هن يكنى به عن المسمى الذى يستهجن ذكره بالاسم الموضوع له لقبحه يقال كانت بينهم هنات ومن المعلوم انه ليس المراد بالهنات الالفاظ وانما يكنى بها عن اشياء قبيحة ولذلك يكنى به عن نفس الفرج لا عن لفظ الفرج (قوله يعنى الخليل المضل) يعنى ان خليله يسمى شيطانا لان فعله فعل الشيطان وهو الاضلال وكلام الظالم تم عند قوله بعد اذ جاءنى ثم قال الله وكان الشيطان للانسان خذولا حيث تبرأ فى الآخرة من نصرة من اضله فى الدنيا ويجوز ان يكون هذا الكلام من قول الظالم كالكلام الذى قبله يقوله حين يخذله الشيطان او خليله ولم ينفعه فى الآخرة ثم اخبر الله عن شكوى رسوله قومه اليه بقوله وقال الرسول يارب وهذه الشكوى وقعت منه عليه الصلاة والسلام فى الدنيا حين اكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت وقيل انه عليه الصلاة والسلام يقوله فى الآخرة شهادة على من كذبه وعصاه وليس المقصود من حكاية هذا القول للمخاطب وهو الرسول الاخبار والاعلام لان كل واحد من فائدة الخبر ولازمها معلوم له عليه الصلاة والسلام بل المقصود منها تعظيم لشكايته وتخويف لقومه لان الانبياء اذا التجأوا الى الله تعالى وشكوا قومهم حل بهم العذاب ولم يمهلوا (قوله او هجروا فيه) اى ويحتمل ان لا يكون قوله مهجورا من الهجر الذى هو ضد الوصل بل يكون من الهجر بالضم بمعنى الهذيان فانه كما يقال هجره هجرا وهجرانا اذا تركه وصد عنه يقال ايضا هجر المريض هجرا اذا هذى فى منطقه ثم انه على تقدير كونه من الهجر بهذا المعنى يحتمل معنيين الاول انهم هجروا ولغوا فيه اذ سمعوه بان خلطوا هجرهم به ليبقى غير مفهوم على السامعين والثانى انهم زعموا انه هذيان وهجر واساطير الاولين وهذا كما لو نقل اليك كلام فقلت هجر فيه اى هذى قائله فى هذه المقالة وعلى كل احد من المعنيين يكون اصله مهجورا فيه لان هجر بمعنى هذى لازم لا يجئ منه اسم المفعول ما لم يعد بحرف الجر لان الهجر بمعنى الاهمال [illegible]

لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله (كذلك لنثبت به فؤادك) اى كذلك انزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود ﴿٣٨٤﴾ وعيسى عليهم السلام حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القى اليه جملة تعى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيأ فشيأ ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبرائيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرآئن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف (ورتلناه ترتيلا) وقرأناه عليك شيأ بعد شئ على تؤدة وتمهل فى عشرين سنة او ثلاث وعشرين سنة واصله الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها (ولا يأتونك بمثل) سؤال عجيب كانه مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوتك (الا جئناك بالحق) الدامغ له فى جوابه (واحسن تفسيرا) وبما هو احسن بيانا

لا يستدعى المفعول ويجوز ان لا يكون المهجور اسم مفعول بل يكون مصدرا بمعنى الهجر اطلق على القرآن على طريق التسمية بالمصدر كالمجلود والمعقول والمردود بمعنى الجلد والعقل والرد والمعنى على هذا جعلوا قرآءة القرآن والكلام به هجرا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما شكا اليه تعالى قومه قال الله تعالى تسلية له وكذلك جعلنا اى وكما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبى عدوا وهذا صريح فى ان تلك العداوة كانت بجعل الله وتلك العداوة كفر فثبت به انه تعالى خالق الخير والشر جميعا وليس للعبد حصة من الخلق اصلا ثم انه تعالى حكى عن منكرى النبوة شبهة اخرى وهو قول اهل مكة تزعم انك رسول من عند الله هلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما اتى كل واحد من موسى وعيسى وداود عليهم الصلاة والسلام وقوله جملة حال من القرآن اذ هى فى معنى مجتمعا (قوله اى كذلك انزلناه مفرقا) يريد ان الكاف منصوبة المحل على الحال من مفعول فعل مقدرا وعلى الوصفية لمصدر فعل محذوف ويحتمل ان تكون مرفوعة المحل على الابتداء اى الامر كذلك ويكون قوله لنثبت علة للمحذوف اى انزلناه كذلك وهو جواب عن شبهتهم (قوله ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ) فانه لو نزل جملة واحدة ولم يتقدم بعض الآى على بعض فى النزول لم يعلم ايهما ناسخة وايهما منسوخة واما اذا نزلت منجمة فحينئذ يعلم ان ما تاخر نزوله ناسخ للمتقدم ولانه اذا نزل مفرقا بحسب اسئلتهم والوقائع الواقعة بهم حصل فائدة جليلة لا تحصل على تقدير نزوله دفعة واحدة فانه لو نزل دفعة واحدة لما حصل الا الدلالات اللفظية وفصاحة الالفاظ الدالة على المدلولات بخلاف ما اذا نزل نجوما فانه ينضم اليها حينئذ القرآئن الحالية ورعاية مقتضى كل واقعة وحال ولا شك ان انضمامها اليها يعين على البلاغة وبالجملة انزال القرآن مفرقا منجما فضيلة خص بها نبينا من بين سائر النبيين فان المقصود من انزاله ان يتخلق قلبه المنير بخلق القرآن ويتقوى بنوره ويتحلى بحقائقه وعلومه وهذه الفوآئد انما تكمل بانزاله منجما حالا بعد اخرى الا ترى ان الماء لو نزل من السماء جملة واحدة لما كانت تربية الزروع به مثلها اذا نزل مفرقا الى ان يستوى الزرع (قوله ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة) كانهم قالوا لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة كنزول الكتب الثلاث ويكون قوله لنثبت متعلقا بمحذوف تقديره انزلناه مفرقا لنثبت كما يتعلق به على تقدير ان يكون من كلام الله تعالى وقوله ورتلناه ترتيلا معطوف على ذلك المحذوف الذى تعلقت اللام به والترتيل

التفريق ومجيء الكلمة بعد الاخرى بسكوت يسير دون قطع النفس قال ابن عباس ورتلناه ترتيلا اى بيناه بيانا وقال السدى فصلناه تفصيلا وقال ابن الاعرابى ما اعلم الترتيل الا التحقيق والتبيين وقيل امرناه بالترتيل فى قرآته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اى اقرأه بترتيل وتثبت قيل معنى الترتيل حفظ الوقوف وأداء الحروف ومنه حديث عائشة فى صفة قرآءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لواراد السامع ان يعد حروفه لعدها ومحصول ماذكره المصنف انزلناه بعضه بعد بعض وعلى اثر بعض بزمان يسير بينهما ولم ننزله مرة واحدة وهو معنى قوله ورتلناه تنزيلا ثم انه تعالى لما فتح هذه السورة الكريمة بما يتضمن اثبات التوحيد والنبوة ثم اوردا باطيل المخالفين فيهما وردهم فى كل واحدة من تلك الشبهات الباطلة والسؤالات الفاسدة ختم الكلام بقوله ولا يأتونك بمثل اى لا يأتونك بشبهة وسؤال من جنس الشبهات المذكورة الواضحة البطلان كأنها مثل بمثل بها الا جئناك بالحق الذى يدمغ ما جاؤا به من المثل ويبطله كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذاهو زاهق سمى مايوردونه من الشبه مثلا وما يدفع به الشبهة حقا وقوله الاجئناك بالحق استثناء مفرغ والجملة فى محل النصب على الحال اى لايأتونك بمثل فى حال من الاحوال الا فى حال اتياننا اليك بالحق وبما هواحسن بيانا لما هوالحق والصواب ومقتضى الحكمة (قوله اومعنى) على ان يكون التفسير وهو اظهار المعنى وبيانه مجازا مرسلا عن نفس المعنى المبين اطلق اسم التفسير والبيان على المعنى لما بينهما من العلاقة فان كل واحدة من الشبهات التى اوردوها قدحا فى نبوته لامعنى لها ولانفع فيها لهم بصدده وما جاء الله به فى دفعه وجوابه احسن بيانا لما هوالحق والصواب ومقتضى الحكمة اى احسن معنى واصلح جوابا وردا من سؤالهم الذى لا نفع لهم فيه وحاصل الجواب على هذا الوجه انهم كلما سألوا سؤالا عجيبا اجبنا عنه بجواب هو احسن من سؤالهم مثلا انهم سألوا عن انزاله جملة واحدة لم لم يكن فاجبنا بانا انزلناه مفرقا لنثبت به فؤادك وهواحسن معنى ومؤدى لما فيه من بيان الحكمة ولانفع لهم من سؤالهم اصلا والمعنى على الوجه الثانى كلما يأتونك بصفة عجيبة قائلين لم لم تكن على هذه الصفة مع انها هى المناسبة للنبوة واظهر فى الدلالة على انك نبى جعلناك على صفة هى اشد مناسبة للنبوة ودلالة على انك نبى حق فان قيل قدذكر اولا ان السؤال مثل فى البطلان فكيف يصح مع هذا ان يقال الجواب احسن منه فان الحسن ليس مشتركا بينهما فالجواب من وجهين الاول لما كان السؤال حسنا بزعمهم قيل الجواب احسن

اومعنى من سؤالهم اوولا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك فى حكمتنا وما هو احسن كشفا لمابعثت له (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم)

اى مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه الصلاة والسلام

يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره (اولئك شر مكانا واضل سبيلا) والمفضل عليه هو الرسول عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى للمبالغة (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا) يوازره فى الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافى ذلك مشاركته فى النبوة لان المتشاركين فى الامر متوازران عليه (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا) يعنى فرعون وقومه (بآياتنا فدمرناهم تدميرا) اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على

من السؤال والثانى ان مثل قولهم الصيف احر من الشتاء يريدون به ان حر الصيف اشد من برد الشتاء فعلى هذا معنى الآية ان الجواب فى باب الحق والحسن اقوى وادخل من سؤالهم فى باب القبح والبطلان (قوله اى مقلوبين او مسحوبين اليها) الفرق بين الوجهين ان معنى الآية على الاول ان الذين يمشون الى جهنم حال كونهم مقلوبين ووجوههم الى القفا وارجلهم الى فوق وقد روى ذلك عنه عليه افضل الصلاة والسلام فانه قد ورد فى الاخبار ان رجلا قال يا نبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذى امشاه على رجليه قادر ان يمشيه على وجهه وعلى الثانى ان الذين يحشرون اليها حال كونهم مسحوبين اى مجرورين على وجوههم وما ذكره من الحديث يؤيد هذا الوجه وذكر فى اعراب الذين ثلاثة اوجه على ان يكون منصوبا على الذم بتقدير اعنى ومرفوعا على الذم اى على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين وان يكون مبتدأ وخبره اولئك شر مكانا اى منزلا ومصيرا واضل سبيلا اى اخطأ دينا وطريقا (قوله والمفضل عليه هو الرسول) اشارة الى ان الآية متصلة بقوله ولا يأتونك بمثل فان مقصودهم من اتيان ما هو كالمثل فى البطلان تحقير منزلته ومكانه وقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل فاسلوب الايتين واحد (قوله وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير) من حيث ان ذلك فى بيان اهل الجنة وحسن حالهم وهذا فى صفة اهل النار وسوء مصيرهم ولم يرض به لان قسيم اهل الجنة قد ذكر قبل ذلك ثم انه لما ذكر قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين اتبعه بذكر جماعة من الانبياء وعرفه ما نزل بمن كذبهم من امهم تسلية له عليه الصلاة والسلام وايعادا لقومه كانه قيل لست اول نبى كذب بل كذب قبلك انبياء مؤيدين بالآيات ثم دمرنا مكذبيهم فقال ولقد آتينا موسى الكتاب قال الزجاج الوزير فى اللغة هو الذى يرجع اليه ويعمل برأيه ويتحصن به والوزر ما يعتصم به ومنه كلا لا وزر اى لا منجى ولا ملجأ قيل ولذلك لا يوصف تعالى بان له وزيرا ولا بأنه وزير لان الالتجاء اليه فى المشاورة والرأى على هذا الحد لا يتصور ولما ورد ان يقال كون هرون وزيرا كالمنافى لكونه شريكا له فى النبوة لانه اذا صار شريكا له خرج عن كونه وزيرا اجاب عنه بقوله ولا ينافى فى ذلك مشاركته (قوله والتعقيب) جواب عما يقال الفاء فى قوله تعالى فدمرناهم للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهرون بل بعد مدة مديدة والجواب

حاشيتى القصة اكتفاء بماهو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب (ان فاء)

باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ ودمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم اوقصتهم (للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين عذابا اليما) يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تطليما لهم (وعادا وثمودا) عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين ﴿ ۳۸۷ ﴾ وقرئ وثمود على تأويل القبيلة (واصحاب الرس) قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينا هم حول الرس وهى البئر الغير المطوية فانهارت فخسفت بهم وبديارهم وقيل الرس قرية عظيمة بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة ابن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا انبياءهم ورسوه اى دسوه في بئر (وقرونا) واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) اشارة الى ما ذكر (كثيرا) لا يعلمها الا الله (وكلا ضربنا له الامثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال (وكلا تبرنا تتبيرا) فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ عن الضمير (ولقد أتوا) يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام (على القرية التي امطرت مطر السوء) يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها

ان فاء التعقيب محمولة ههنا على الحكم بالاهلاك لا على الوقوع (قوله وقرئ ودمرتهم) يعني ان العامة قرأوا فدمرناهم فعلا ماضيا على بناء المتكلم المعظم نفسه معطوفا على محذوف اى فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اى اهلكناهم اهلاكا وقرئ فدمراهم امر الموسى وهرون وقرئ ايضا فدمرانهم كذلك ولكنه مؤكد بالنون الثقيلة وقرئ ايضا فدمرا بهم بزيادة الباء الجارة بعد فعل الامر وهى تشبه القرآءة التي قبلها في الخط (قوله تعالى وقوم نوح) يجوز ان يكون منصوبا عطفا على مفعول دمرناهم وان يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم ويترجح هذا بتقدم جملة فعلية قبله ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر لا على سبيل الاشتغال اى اذكر قوم نوح (قوله ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل) لان تكذيب الواحد منهم لا يمكن الا بالقدح في المعجز وذلك يقتضي تكذيب الكل ولانهم متفقون في اصول الدين فمن كذب واحدا منهم في شئ من ذلك فقد كذب الكل فيه (قوله كالبراهمة) فانهم قوم من الهند منسوبون الى واحد منهم اسمه برهام منكرون لكل الرسل وبعثتهم (قوله عطف على هم) لم يتعرض لكونه معطوفا على قوم نوح لظهوره ومن صرف ثمودا وله بالحي دون القبيلة ومن جعله غير منصرف اوله بالقبيلة (قوله مروا مرارا) تكرار المرور لا يفهم من هذه الآية ولعله اخذ من قوله تعالى في سورة الصافات وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وفسر الاتيان بالمرور للاشارة الى وجه تعدية اتوا بكلمة على فانه يتعدى بنفسه وبكلمة الى الا انه عدى بعلى لتضمنه معنى مروا وقوله مطر السوء يحتمل ان يكون مصدرا على حذف الزوائد اى امطار السوء وان يكون نعت مصدر محذوف اى امطارا مثل مطر السوء واضيف المطر الى صفته لتدل على اختصاصه بها وان ليس له صفة غيرها (قوله يعني سدوم) عن الليث

انه بالدال المهملة وقيل انه بالذال المعجمة قيل ارادبها عين القرية وكانت قرى قوم لوط خمسا اهلك الله منها اربعا بأهلها وبقيت واحدة اهلك الله اهلها وهى سدوم قال الله تعالى فى حقها التى امطرت مطر السوء قيل كان كل حجر منها قدر انسان وقيل ذلك كان فى ريح حاصب وهذا العذاب انما نزل بهم عقوبة على عصيان نبيهم لوط وتكذيبهم اياه فكان ينبغى لكفار قريش ان يتعظوا لمارأوا مما حل بهؤلاء فيمتنعوا عن مخالفة رسول الله ويلتزموا طاعته فلذلك وبخ الله تعالى عليهم بقوله افلم يكونوا يرونها ثم انتقل منه الى التوبيخ بوجه آخر وهو انهم كفرة لا يرجون البعث بعد الموت وهو عاقبة الموت ولما كان حقيقة الرجاء انتظار الخير وظن حصول ما فيه مسرة وليس النشور خيرا مؤديا الى المسرة فى حق الكافر فلا يتصور نسبة رجاء النشور الى الكافر حتى يصح ايقاعها وانتزاعها احتيج الى توجيه قوله لا يرجون نشورا فذكر فيه ثلاثة اوجه الاول ان الرجاء مجاز عن التوقع والتوقع يستعمل فى الخير والشر جميعا فامكن ان تتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور فيحكم بوقوعها فوضع الرجاء موضع التوقع ونفى عن الكافر لانه انما يتوقع الحياة بعد الموت من يؤمن بالله ورسوله فكانه قيل بل كانوا لا يتوقعون نشورا فلذلك لم يتعظوا بمن نزل بهم ومروا بقريتهم كما مرت ركابهم وجمالهم والثانى ان يكون الرجاء على حقيقته بان يكون المراد بالنشور نشورا فيه خير وسرور كنشور المسلمين فانه يتصور النسبة بين الكافر وبين مثل هذا النشور فيتصور نفيها فنفيت بان قيل انهم لا يأملون نشورا كما يأمله المسلمون طمعا فى الثواب فان من لم يؤمن ولم يعمل عمل المؤمنين كيف يأمل مثل املهم والثالث ان الرجاء بمعنى الخوف على لغة تهامة ويتصور نسبته الى الكافر ونفيها (قوله الا موضع هزؤ) على ان يكون هزؤا مصدرا على تقدير المضاف وان كان فعلا بمعنى مفعول فالتقدير مهزوأبه وكلمة ان فى قوله ان يتخذونك نافية وفى قوله ان كاد ليضلنا مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينهما وهزؤا مفعول ثان والجملة المنفية جواب اذا الشرطية وقوله هذا الذى فى محل النصب بالقول المضمر وذلك القول المضمر فى محل النصب على انه حال من فاعل ان يتخذونك اى ما يتخذونك الا هزؤ قائلين ذلك والمعنى لم يقتصروا على ترك الايمان وايراد الشبهات الباطلة بل زادوا عليها الاستهزاء والاستحقار اذا رأوك فان اشارتهم اليه عليه الصلاة والسلام بلفظ هذا استحقار تنزيلا لدنو مكانته عليه الصلاة والسلام بزعمهم منزلة دنو مكانه بمقتضى جهالتهم وضلالتهم ولما ورد ان يقال مضمون الصلة يجب ان يكون معلوم الانتساب الى ذات الموصول عند المتكلم فكيف جعلوا قولهم بعث الله رسولا صلة مع انهم منكرون بعثه عليه الصلاة والسلام اجاب عنه بانه

من آثار عذاب الله (بل كانوا لا يرجون نشورا) بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب او لا يخافونه على اللغة التهامية (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزؤا) ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوأبه (أهذا الذى بعث الله رسولا) محكى بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذى زعم انه بعثه الله رسولا (ان كاد) انه كاد (ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورده مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات (لولا ان صبرنا عليها) ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها

ولولا في مثله تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا) كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد ﴿٣٨٩﴾ نفى ما يلزمه و يكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم (أرأيت من اتخذ الهه هواه) بان اطاعه و بنى عليه دينه لا يسمع حجة و لا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به (افأنت تكون عليه وكيلا) حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار (ام تحسب) بل أتحسب (ان اكثرهم يسمعون او يعقلون) فتجدي لهم الآيات او الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة (ان هم الا كالانعام) في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم اضل سبيلا) من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس

مبنى على التهكم والاستهزاء (قوله ولولا في مثله) اى فيما لم يذكر جواب لولا اكتفاء بما تقدم عليها مما يدل على جوابها تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ فان لولا مع مادخلت هى عليه قيد لجوابها لفظا ان ذكر جوابها لفظا وان لم يذكر لا تكون قيدا له من حيث اللفظ الا انه لما تقدم حكم يدل على جوابها المطلق وهو قوله ان كاد ليضلنا كانت لولا قيدا له من حيث المعنى لكونه في معنى الجزاء وحكمه (قوله فانه يفيد نفى ما يلزمه و يكون الموجب له) بيان لكونه كالجواب لقولهم فان قولهم يستلزم و يقتضى كونه عليه الصلاة والسلام ضالا من حيث ان احدا لا يضل غيره الا اذا كان ضالا في نفسه والمعنى سيظهر لهم من الضال غاية الضلال فيفيد نفى ما هو لازم قولهم ونفى اللازم نفى للملزوم فيكون كالجواب لقولهم وقوله من اضل سبيلا جملة استفهامية متعلقة بيعلمون فهى سادة مسد مفعوليه ان كان على بابه وان كان بمعنى يعرفون تكون سادة مسد مفعول واحد وفيه وعيد من حيث انه يدل على انه لا محيص لهم عن العذاب وان تأخر وقوله ودلالة الخ عطف تفسير وكلمة ارأيت تستعمل تارة للاعلام وتارة للسؤال وههنا استعملت للتعجب من جهل من هذا وصفه ونعته (قوله الهه هواه) مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير لاستوائهما في التعريف فان مفعولى اتخذ قبل دخوله عليهما مبتدأ وخبر المبتدأ الهه والخبر هواه لان كل واحد منهما معرفة والمعرفتان اذا وقعتا مبتدأ وخبرا فالمقدم هو المبتدأ والمؤخر هو خبره فيكون الهه مفعولا اولا وهواه ثانيا من غير تقديم ولا تأخير الا ان المصنف جعل تقدير الكلام ارأيت من اتخذ هواه الهه وقال انما قدم المفعول الثاني للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق نظرا الى اصل المعنى فانه لا ينكر ان المعرفتين ايهما قدم فهو المبتدأ الا ان النظر الى جانب المعنى وملاحظة اصل المقصود يقتضى ان يكون الهه خبرا في الاصل و يكون المقصود من الكلام التعجب من اتخاذ الهوى الها على التشبيه البليغ كانه قيل لا تعجب ممن جعل هواه بمنزلة الاله في التزام طاعته وعدم مخالفته اياه ولا معنى لتشبيه الاله بالهوى ولما كان المشبه به ههنا هو الاله والمشبه هو الهوى ومن المعلوم ان حق المشبه به ان يكون متأخرا عن المشبه كان مرتبة قوله الهه التأخر عن الهوى كما في قولك زيد الاسد فلما قدم عليه صار مزالا عن موضعه الاصلى غير قار فيه فلهذا جعل من باب تقدم المفعول الثاني على الاول (قوله والثاني للانكار) اى لست موكلا على

العن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلاتقصير منها ﴿ ٣٩٠ ﴾ ولا ذم وهؤلاء مقصرون مشغوفون

بوقظهم العقاب على تقصيرهم
(ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى
صنعه (كيف مد الظل)
كيف بسطه أوالم تنظر
الى الظل كيف مده ربك
فغير النظم اشعارا بان
المعقول من هذا الكلام
لوضوح برهانه وهو
دلالة حدوثه وتصرفه
على الوجه النافع باسباب
ممكنة على ان ذلك فعل
الصانع الحكيم كالمشاهد
المرئى فكيف بالمحسوس
منه اوالم ينته علمك الى
ان ربك كيف مد الظل
وهو فيما بين طلوع
الفجر والشمس وهو
أطيب الاحوال فان الظلمة
الخالصة تنفر الطبع وتسد
النظر وشعاع الشمس
يسخن الجو ويبهر البصر
ولذلك وصف به الجنة
فقال وظل ممدود (ولوشاء
لجعله ساكنا) ثابتا
من السكنى اوغير متقلص
من السكون بان يجعل
الشمس مقيمة على وضع
واحد (ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا) فانه لايظهر
للحس حتى تطلع فيقع
ضوءها على بعض
الاجرام اولايوجد
ولايتفاوت الا بسبب
حركتها (ثم قبضناه الينا)
اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر) عن احداثه بالمد بمعنى البسط عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو (بالنسبة)

حفظه تحفظه من اتباع هواه وعبادة من يهواه من دون الله تعالى ولاتقدر عليه
ولاتحسب ايضا ان اكثرهم يسمعون ماتقوله سماع تدبر ويعقلون ماتورده من الحجج
والدلائل الدالة على الوحدانية ثم انه تعالى لما عجب من جهل من اطاع هواه
وجعله بمنزلة الاله ذكر انواعا من الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم
المنفرد بالالوهية فأولها الاستدلال بحال الظل فى زيادته ونقصانه وتغير احواله
وهو قوله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل كلمة الى مبنية على تضمين الرؤية
معنى النظر وكيف منصوبة بمد وهى معلقة لقوله ألم تر وهو ان كان من رؤية
العين يجب ان يكون المنظور فيه مما يصح ان يتعلق به رؤية العين فكان اصل
الكلام الم تر الى صنع ربك او الى الظل كيف مده ربك وبسطه على
وجه الارض حين احدثها الا انه غير النظم الى ماعليه التنزيل للاشعار بان مداول
هذا الكلام وهو كونه تعالى مادا للظل كالمشاهد المرئى لوضوح برهانه الذى
هو دلالة حدوث الظل وتصرفه على الوجه النافع الدال على كونه فعل
الصانع الحكيم المنفرد بالالوهية ثم اشار الى احتمال ان يكون قوله الم تر من رؤية
القلب بمعنى الم تعلم الا انه عدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء فقال او ألم ينته علمك
فيكون الكلام على ظاهره لان الظل وان كان من المبصرات الا ان تاثير قدرة الله
تعالى فى تمديده ليس من المبصرات بالاتفاق لكنه معلوم بماذكره من البرهان
الواضح والظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو
يحدث منبسطا على وجه الارض فيما بين ظهور الفجر الى طلوع الشمس ثم
ان الشمس تنسخه وتزيله شيأفشيأ الى الزوال ثم هو ينسخ ضوء الشمس ويزيله
من وقت الزوال الى الغروب ويسمى الظل الآخذ فى التزايد الناسخ اضوء
الشمس فيئا ووجه الاستدلال به على وجود الصانع ما اشار اليه من ان حدوثه
بعد العدم وعدمه بعد الوجود وتغيرا حواله بالزيادة والنقصان والانبساط
والتقلص على الوجه النافع لابدله من صانع قادر مدبر حكيم يقدر على تحريك
الاجرام العلوية وتدبير الاجسام الفلكية وترتيبها على الوصف الاحسن
والترتيب الاكمل وماهو الاالله عزوجل (قوله ثابتا من السكنى) وهوالاستقرار
والثبات فى مكان يقال سكن الدار سكنى اذا استقر فيها فالمعنى ولوشاء لجعله
ثابتا مستقرا لايذهب عن وجه الارض بان لاتطلع الشمس ابدا والمعنى على تقدير
كونه من السكون الذى هو عدم الحركة ولو شاء لجعله ساكنا لايتحرك حركة
انقباض ولاانبساط بان تجعل الشمس مقيمة على وضع واحدودليل واحد ودليل الشئ
مايكون ظهوره للعقل سببا لظهور الشئ فيه فشبهت الشمس بالنسبة الى الظل بالدليل

بالنسبة الى المدلول عليه من حيث كون طلوعها سببا لظهور الظل للحس اومن حيث كون حركتها سببا لحدوثه وتغيرا حواله وانما قلنا ان طلوع الشمس سبب لظهور الظل لان الناظر الى الجسم الملون حال قيام الظل عليه لايظهر له شئ سوى الجسم ولونه اذ الظل ليس امرا ثابتا للحس ولا يعرف به ثم اذا طلعت الشمس و وقع ضوؤها على الجسم ظهر ذلك الظل للحس فلولا الشمس ووقع ضوئها على الاجرام لما عرف الظل كما انه لولا الظلمة لما عرف النور فكانه تعالى لما اطلع الشمس ووقع ضوؤها على الارض و زال الظل به فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال الله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اى خلقنا الظل اولا بما فيه من المنافع واللذات ثم اناهدينا العقول الى معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت دليلا على وجوده والقبض جمع المنبسط من الشئ والمراد به ههنا الازالة فقوله تعالى ثم قبضناه الينا معناه ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس ازال الله تعالى ذلك الظل لادفعة بل جزأ فجزأ يسيرا يسيرا فكلما زادارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل فى جانب المغرب فلوقبضه الله تعالى دفعة واحدة لتعطلت منافع الظل والشمس فقبضه يسيرا يسيرالتبقى منافعهما والمصالح المتعلقة بهما (قوله وثم فى الموضعين لتفاضل الامور) لا للتراخى الزمانى اذلايصح جعلها له فى هذا المقام اذليس المعنى انه تعالى بعد ذلك المد بزمان متراخ جعل الشمس عليه دليلا فوجب حمله على المجاز بان تجعل كلمة ثم استعارة تبعية بان شبه تفاضل الامور وتباعد مراتبها بالبعد الزمانى فاستعير لجانب المشبه لفظ ثم الموضوعة للتراخى الزمانى و وجه كون الامور متباعدة فى الرتبة والفضل ان حدوث الظل ممدودا مبسوطا على وجه الارض وان كان فى نفسه دالا على وجود الصانع الحكيم الا ان جعل الشمس دليلا عليه لدلالته على امر زائد مرتب على ذلك افضل منه رتبة وقبض الظل قبضا يسيرا اعظم من الثانى لان الازالة مع التدرج والمهلة بانبساط ضوء الشمس على الاجرام تحصل بها المنافع المرتبة على الشمس مع عدم ارتفاع منافع الظل بالكلية وهى منفعة زائدة على قبض انبساط الظل وقيام دليل وجوده مع معرفة الساعات والاوقات التى ينماط بها اكثر احكام الشرع ولان فى التدرج حكما ومصالح اخرى (قوله وقيل مد الظل) عطف على قوله لتفاضل الامور اى وقال بعضهم ثم فى احد الموضعين مستعملة فى اصل معناها وهو التراخى الزمانى فان خلق الشمس مسلطة على الظل متراخ زمانا عن انبساط ظل السماء على الارض فثم فى قوله ثم جعلنا الشمس عليه للتراخى بخلافها فى قوله ثم قبضناه

فى معنى الكف (قبضا يسيرا) قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم فى الموضعين لتفاضل الامور اولتفاضل مبادى اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلانير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها

ولوشاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيأ فشيأ الى ان تنتهى غاية نقصانه اوقبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها (وهو الذى جعل لكم الليل

لباسا) شبه ظلامه باللباس فى ستره (والنوم سباتا) راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع اوموتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت (وجعل النهار نشورا) ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعثا من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذى ارسل الرياح) وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس (نشرا) ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشير بمعنى مبشر (بين يدى رحمته) يعنى قدام المطر (وانزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا لقوله

(قوله ولوشاء لجعله ثابتا على تلك الحالة) اى لو اراد بقاء الظل على تلك الحالة ممدودا على وجه الارض لما خلق الشمس ليكون باقيا على امتداده لكن اراد تغييره فخلق الشمس وسلطها على الظل فان الظل تابع للشمس كما يتبع المداول الدليل والمراد بكون الظل تابعا للشمس ان زيادة الظل ونقصانه تابعة لحركة الشمس فعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى عليه مفعولا ثانيا لجعلنا وقوله دليلا حالا من الشمس وتكريرا للمفعول الثانى كما فى قوله تعالى فجعلناه هباء منثورا وكون الشمس دليلا على الظل عبارة عن كونها مستتبعة اياه استتباع دليل العلم لمدلوله واستتباع دليل الطريق لمن يهديه فان الشمس باختلاف احوالها فى مسيرها تستلزم اختلاف احوال الظل من كونه ثابتا فى مكانه وزائلا عنه ومنبسطا ومنقبضا ونحو ذلك فصح ان يستدل بكل حال من احوالها على كل حال من احوال الظل (قوله اودليل الطريق) عطف على فاعل يستتبع وقوله من يهديه عطف على مفعوله اى اوكما يستتبع دليل الطريق من يهديه فالشمس على الاول بمنزلة دليل العلم بالنسبة الى مدلوله وعلى الثانى بمنزلة دليل الطريق بالنسبة الى من يهديه (قوله يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها) استئناف لبيان كون الشمس مسلطة عليه مستتبعة اياه والنوع الثانى من دلائل الوحدانية ماذكره بقوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنشور يحتمل ان يكون بمعنى الانتشار والتفرق فى وجوه المصالح ويحتمل ان يكون بمعنى الحياة لانه لما كان فى النوم معنى الوفاة لانقطاع الانسان به عن التصرف والعمل كان فى اليقظة معنى الحياة * فى بعض الكتب * ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث والنوع الثالث منها ما ذكره بقوله وهو الذى ارسل الرياح قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو نشرا بضم النون والشين وهو جمع نشور كرسل ورسول والمعنى ارسلها ناشرات للسحاب فى الجو كما ينشر الشئ المطوى المضبوط وقرأ ابن عامر وابو عمرو فى رواية بضم النون وسكون الشين والمعنى كالاول وقرأ حمزة والكسائى بفتح النون وسكون الشين وقرأ عاصم بالباء المضمومة وسكون الشين من البشارة واختار كون طهورا فى الآية اسما لما يتطهر به كالسحور والوقود استدلالا بقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وضعف كونه مبالغة الطاهر لخلوه عن بيان منفعته وهى كونه مطهرا للانسان من الحدث والنجاسة

ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوت بمعنى المضبوت وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب (قوله)

وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فمابعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه مايزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهر وها فبواطنهم بذلك اولى (لنحيي به بلدة ميتا) بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد (ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا) يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحياة ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبماحولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا

(قوله واللاسم كالذنوب) وهو اسم بمعنى الصب ويقال ايضا للدلو الملأى ذنوب ولايقال لها وهي فارغة ذنوب فان قيل الطهور مشتق من طهر يطهر طهارة وهو لازم فكيف يجوز تعديته بتطهيره غيره قلنا انه حينئذ لا يكون من الصفات المشتقة كالغفور والشكور بل يكون من قبيل الاسماء الجامدة فان قيل كيف يكون لفظ طهور اسما لما يتطهر به وقد قال الله تعالى في صفة اهل الجنة وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال الشاعر ٭ عذاب الثنايا ريقهن طهور ٭ قلنا كونه اسما له لاينافيه استعماله في مبالغة طاهر (قوله وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة) جواب عما يقال ما الفائدة في توصيف الماء المنزل لاحياء الارض وسقي الحيوان بقوله طهورا مع ان الوصف في مثله يؤذن بكون الوصف شرطا لترتب الحكم على الفعل المعلل كما اذا قلت اعطاني اللباس الفاخر لاتزين به ووصفه بالطهارة لادخل له في ترتيب الاحياء والسقي على انزال الماء وتقرير الجواب ان الاحياء والاسقاء المذكورين وان امكنابدون وصف الطهارة الا انه وصف الماء بها اشعارا بالنعمة فيها فان وصف الطهارة نعمة زائدة على انزال ذات الماء وتتميم للمنة الزائدة المستفادة من قوله لنحيي به ونسقيه فان هذين الاحياءين انما يتمان بذلك لما ذكره من ان الماء الطهور اهنأ وانفع وتنبيها على ان بواطنهم اولى بالتطهير ووجه التنبيه انه تعالى لما امتن علينا بان انزل ماء يطهر ابداننا من الحدث والنجاسات تبين بذلك ان ظواهرنا مما ينبغي ان تطهر ومن المعلوم ان باطن الشئ اولى بالحفظ من التلوث من ظاهره فكان الامتنان بانزال مايطهر الظاهر تنبيها على ان الباطن اولى به (قوله ولانه غير جار على الفعل) اي لم يقل بلدة ميتة لان الميت ليس على وزن الفعل نحو فعول ومفعال ومفعيل وفعيل بمعنى مفعول وفي مثله يجوز التذكير وان جرى على المؤنث لانه لما لم يكن على وزن الفعل لم يكن مشابها له فجاز ان لايطابق موصوفه في التأنيث فان الفعل يطابق فاعله في التذكير والتأنيث فكذا مايشابهه بخلاف مالم يوازن الفعل من المشتقات فانه اجرى مجرى الجوامد قرأ الجمهور ونسقيه بضم النون وقرأ ابو عمرو وعاصم في رواية عنهما بفتح النون وسقى واسقى لغتان بمعنى يقال سقاه الله الغيث واسقاه والاسم السقيا بالضم ويقال سقيته اسقيه واسقيت ماشيته وارضه والاسم السقي بالكسر وقوله تعالى مما خلقنا يجوز ان يتعلق بقوله نسقيه اي نسقي ذلك الماء بعض خلقنا من الانعام والاناسي وانتصابهما على البدل من محل الجار والمجرور في قوله مما خلقنا ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من انعاما ولعل قوله يعني اهل البوادي مبني على الاول وقوله وتخصيصهم جواب عما يقال كيف خص اهل البوادي بالاسقاء مع ان اهل المدن والقرى يحتاجون الى الشرب (قوله وسائر الحيوانات) اي ما عدا الانعام من الوحوش والطيور

وان كانت تعيش بالماء لكنه تعالى خص الانعام بالذكر لان سائرها لايعوزه الشرب ولايكون عاجزا عن نيله غالبا يقال اعوزه الشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه (قوله مع ان مساق هذه الآيات) وجه ثان لتخصيص الانعام بالذكر مع استوآئها بسائر الحيوانات فى الاحتياج الى الشرب وحاصله ان ليس المقصود مجرد بيان الحكمة فى انزال الماء بل المقصود تعداد ما يكون نعمة فى حق نوع الانسان فلذلك خصت الانعام بالذكر لانها قنية الانسان اى يقتنيها ويتخذها لنفسه لا للتجارة الجوهرى قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيت ايضا قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لاللتجارة وعلية جمع على بمعنى شريف ورفيع مثل صبية جمع صبى (قوله ولذلك) اى ولكون علية ما يتعيشون به هى الانعام قدم سقيها على سقيهم كما قدم على الانعام احياء الارض فان الارض وحياتها سبب لحياة الانعام وتعيشها فانظر الى انه تعالى كيف رتب ذكر ما هو رزق الانسان ورزق رزقه ورزق رزق رزقه فان الانعام رزق الانسان والنبات رزق الانعام والمطر رزق النبات فقد ذكر المطر ورتب عليه ذكر حياة الارض بالنبات ورتب عليه ذكر الانعام (قوله واناسى) عطف على قوله نسقيه اى كما قرئ نسقيه بفتح النون كذلك قرئ اناسى بحذف ياء افاعيل وذهب سيبويه الى ان اناسى جمع انسان اصله اناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وادغم فيها الياء التى قبلها كما قيل فى جمع ظربان ظرابى اصله ظرابين والظربان على وزن قطران دويبة كالهرة منتنة الريح تزعم الاعراب انها تفسو فى ثوب احدهم اذا صادفها فلاتذهب رائحته حتى يبلى الثوب وفى المثل فسابيننا الظربان وذلك اذا تقاطع القوم وقال الفرآء والمبرد والزجاج انه جمع انسى وفيه نظر لان فعاليل انما يكون جمعا لما فيه ياء مشددة لاتدل على نسب نحو كراسى فى جمع كرسى فلو اريد بياء كرسى النسب لم يجئ جمعه على كراسى (قوله صرفنا هذا القول) يعنى ضمير صرفناه اما ان يرجع الى ماذكره بقوله وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا كأنه قيل ولقد صرفنا ذكر انشاء السحاب وانزال المطر بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب ليتفكروا و يعتبروا او يرجع الى نفس الماء الطهور الذى هو المطر ومعنى تصريفه بين الناس ان لاينزله على نسق واحد بل ينزله فى مكان دون مكان وفى وقت دون وقت وعلى صفة دون اخرى فيقسمه بين العباد على هذه الوجوه وروى عن ابن عباس انه قال ماعام باكثر مطرا من عام ولكن الله يفرقه فى الارض ثم قرأ هذه الآية وروى عن ابن مسعود عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال مامن عام بأمطر من عام ولكن اذا عمل

مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها إحياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى بحذف ياء وهو جمع انسى او انسان كظرابى فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء (ولقد صرفناه بينهم) صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ماعام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ماشاء وتلا هذه الآية

(قوم)

أوفى الانهار والمنابع (ليذكروا) ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره أوليعتبروا بالصرف عنهم واليهم (فأبى ﴿٣٩٥﴾ اكثر الناس الا كفورا) الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط او امارات بجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين (وجاهدهم به) بالقرآن او بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم (جهادا كبيرا) لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف اولان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم اولانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى (وهو الذى مرج البحرين) خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قامع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح اجاج) بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد فى بارد (وجعل بينهما برزخا)

قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى والمراد باختلاف صفة المطر كونه تارة وابلا واخرى طلا ومرة ديمة مثلا والوابل المطر الشديد والطل أضعف المطر والديمة المطر الذى يدوم اياما (قوله اوفى الانهار والمنابع) عطف على قوله فى البلاد المختلفة اى و يجوز ان يكون المراد بتصريف المطر بين الناس اجراءه فى الانهار والمنابع لينتفعوا به بوجوه الانتفاع من الشرب وسقى الزرع ونحوهما (قوله بخلاف من يرى انها) اى من يرى ان الله هو الذى خلق الامطار وجعل الانواء دلائل وامارات عليها لا يكفر والحاصل ان المراد بالكفور اما كفران النعمة وقلة المبالاة بشانها فان حقها ان يتفكر فيها و يستدل بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه و يشتغل بشكر احسانه ومن اشتغل بها وقصر فى شكر منعمها فقد كفر بحق النعمة واما الكفر بالله بان يقول مطرنا بنوء كذا و يسند مثل هذه النعمة الى الافلاك والكواكب و يجحد كونها صادرة من الله فانه لاشك انه كافر بالله تعالى والانواء النجوم التى يسقط واحد منها فى جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه فى جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منهما ثم انه تعالى لما بين دلائل وحدانيته وكمال قدرته شرع فى تعظيم رسوله فقال ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا كأنه قيل ولو شئنا لخففنا عنك اعباء الرسالة الى كل العالمين بان بعثنا فى كل قرية نذيرا ولكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك (قوله لان مجاهدة السفهاء بالحجج) لم يحمل المجاهدة المأمور بها على المجاهدة بالسيف لان السورة مكية والامر بالقتال انما ورد بعد الهجرة بزمان (قوله فيما بين اظهرهم) خبر قوله اولان مخالفتهم ولا شك ان مخالفة العتاة الغالبين فيما بينهم اكبر المجاهدة (قوله اولانه جهاد مع كل الكفرة) فيكون ضمير به فى قوله وجاهدهم به راجعا الى مادل عليه قوله ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا وهو كونه نذيرا لكافة القرى فانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته بأقصى الوسع فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها ليكبر جهاده من اجل ذلك فلذلك قال له جاهد بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا للمجاهدات ثم انه تعالى انتقل الى النوع الآخر من دلائل التوحيد فقال وهو الذى مرج البحرين كانه تعالى يقوى به قلبه عليه الصلاة والسلام على امتثال ما امر به من المجاهدة الكبيرة واصل المرج الارسال والتخلية يقال مرجت

الدابة اذا ارسلتها ترعى وقوله تعالى هـذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مقول قول مضمر تقديره مرج البحرين مقولا فيهما هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج كما يقال وجدت الناس اخبر تقله اى مقولا فيهم ذلك ويحتمل ان يكون جملة مستأنفة لامحل لها كأنه قال كيف مرجهما فقيل هذا عذب فرات والفرات فعال من فرت الماء يفرت فروتة فهو فرات اذا كان فى غاية العذوبة ويقال ملح الماء يملح ملوحة فهو ملح وملح على وزن فعل وفعل وقرئ بهما وقلما يقال مالح والاجاج الشديد الملوحة الذى يحرق الباطن من ملوحته من اجت النار اجيجا اذا اشتد حرها (قوله وتنافرا بليغا) لما كان عطف قوله وحجرا محجورا على قوله برزخا دالا على انه تعالى جعل كل واحد من البحرين بحيث يتعوذ من الآخر ويقول له حجرا محجورا اى حراما محرما عليك ان تغلب على وتزيل صفتى وكيفيتى ومن المعلوم ان البحر ليس من شانه ان يتعوذ ويقول قولا جعل الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه تلاصق كل واحد منهما بالآخر مع كمال التنافر بينهما بعدوين يتقربان فى المعركة يريد كل واحد منهما ان يتقى صاحبه ويتعوذ منه فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به فقيل جعل بينهما هذا الكلام بمعنى جعلهما قائلين هـذا الكلام (قوله وقيل حدا محدودا) اى وجعل بينهما حدا لايتجاوز كل واحد منهما ذلك الحد وفى الصحاح الحجر ايضا حجر الكعبة وهو ماحواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال وكل ما حجرت من حائط فهو حجر (قوله وذلك كدجلة) يعنى ان المراد بالبحر الماء الكثير الواسع سواء كان عذبا كدجلة والنيل اوملحا فلا يرد ان يقال لاوجود للبحر العذب فكيف ذكره الله ههنا ثم بين انه تعالى كيف حجز بين بحرين متنافرين غاية التنافر حال كونهما متجاورين بحيث لا يمتزجان حتى يجعل موضع التعجب فقال كدجلة تدخل البحر ومن قال المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح الاجاج البحر الكبير وبالبرزخ مايحول بينهما من الارض بين وجه الاستدلال على قدرة الصانع بان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض والماء فلابد من الاستواء وان لم تكن كذلك فلابد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة معينة ويفصل بين اجزاء الطبيعة الواحدة بالبرزخ الحائل بينها على حسب مشيئته وارادته مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت (قوله وتسلس) اى تلين وتنقاد ذكر فى الماء الذى خلق منه البشر ثلاثة احتمالات الاول انه الماء الذى خمر به طينة آدم عليه الصلاة والسلام والثانى انه الماء الذى جعل جزأ من مادة كل بشر بل مادة كل حيوان كما قال تعالى والله خلق

حاجزا من قدرته (وحجرا محجورا) وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر مايقوله المتعوذ منه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لايتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وفى البحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ مايحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت فى الكيفية (وهو الذى خلق من الماء بشرا) يعنى الذى خمر به طينة آدم اوجعله جزأ من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة (فجعله نسبا وصهرا)

اى قسمة قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم) يعنى الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر (وكان الكافر على ربه ظهيرا) يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم (وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا) للمؤمنين والكافرين (قل ما اسألكم عليه) على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الا مبشرا ونذيرا (من اجر الا من شاء) الا فعل من شاء (ان يتخذ الى ربه سبيلا) ان يتقرب اليه و يطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل

كل دابة من ماء والثالث انه النطفة لقوله تعالى خلق من ماء دافق من ماء مهين (قوله اى قسمة قسمين) اى ليس المراد انه تعالى جعل البشر الواحد ذا نسب تنسب اليه الفروع وذات صهر يصاهر بها فانه محال فان الصهر ابو زوج البنت فما كان من قبل زوج البنت فهم اصهار يتوصل اليهم بسبب البنات فذوات الصهر اى اللاتى يصاهر بهن ليست الا البنات بخلاف ذوى النسب اى الذين ينسب اليهم الاولاد فانهم ذكور لان النسب الى الآباء كما قال الشاعر

لا تزرين امرأ من ان يكون له ❊ ام من الروم او سوداء عجفاء

فانما امهات الناس اوعية ❊ مستودعات وللآباء ابناء

بين الله قدرته اولا ببيان انه خلق من الماء بشرا واظهر فضله وامتنانه بجعله نسبا وصهرا اما النسب فبه يتعارفون و يتواصلون فيقال فلان ابن فلان وفلانة بنت فلان ولولا النسب لما تعارفوا ولا تواصلوا واما الصهر فلأنه من اسباب التواصل والتوالد والتواد ثم انه تعالى لما شرح دلائل التوحيد عاد الى تهجين سيرة المشركين فى عبادة الاوثان فقال و يعبدون من دون الله الى قوله ظهيرا وهو خبر كان وعلى ربه متعلق به اى وكان الكافر بشركه وعداوته الحق عونا للشياطين على عصيان ربه يحثه على الاصرار عليه (قوله والمراد بالكافر الجنس) فحينئذ يحتمل ان تكون المظاهرة مظاهرة بعض الكفار لبعض لا مظاهرة الكافر للشيطان ثم انه تعالى لما بين انه ارسل رسوله الى كافة القرى وقصر الامر عليه اجلالا له بين انه على اى حال ارسله فقال وما ارسلناك الا مبشرا (قوله الا فعل من شاء) يعنى ان الاستثناء متصل على حذف المضاف واتخاذ السبيل اليه تعالى عبارة عن التقرب اليه بالايمان والطاعة صور فعل من شاء ان يتقرب اليه بذلك بصورة الاجر وسماه باسمه تشبيها له بالاجر من حيث كونه المقصود من التبليغ واستثناه من الاجر لفوائد احداها ان يقلع شبهة طمعه فى الاجر من اصله كأنه قيل ان اعطيتم اياى اجرا فأعطونى ذلك الفعل فانى لا اسأل غيره وثانيتها اظهار الشفقة البالغة عليهم بانه عد سعيهم لانفسهم ونفعهم لها بالاشتغال بطاعة ربهم والاجتناب عن مخالفته وعصيانه اجرا وافرا مرضيا به وثالثتها الاشعار بانهم كما يثابون على ذلك الفعل بمباشرتهم له يثاب هو ايضا عليه بسبب دلالته اياهم بحكم ان الدال على الخير كفاعله وعلى تقدير كون الاستثناء منقطعا يكون المعنى لا اطلب من اموالكم جعلا لنفسى لكن من شاء انفاقها لوجه الله

(وتوكل على الحي الذي لا يموت) في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم (وسبح بحمده) ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه (وكفى به بذنوب عباده) ما ظهر منها وما بطن (خبيرا) مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش) قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد ﴿ ٣٩٨ ﴾ خلق الاشياء على تؤدة وتدرج (الرحمن)

خبر الذي ان جعلته مبتدأ او لمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرأ بالجر صفة للحي (فاسأل به خبيرا) فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبرائيل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقوك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة انه صلة خبيرا (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا

وما الرحمن) لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا (أنسجد (اي) لما تأمرنا) اي للذي تأمرناه يعني أمرنا بسجوده او لأمرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض (وزادهم) اي الامر بالسجود للرحمن (نفورا) عن الايمان (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار

تعالى فليفعل فاني لا امنعه عنه (قوله في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم) يعني ان الآية متصلة بقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله قل ما اسألكم عليه من اجر فانه تعالى لما بين ان الكفار متظاهرون على ايذائه وامره بان لا يطلب منهم اجرا البتة امره بان يتوكل عليه في دفع جميع المضار وفي جلب جميع المنافع (قوله تعالى وكفى به اي بربك اي حسبك الحي الذي لا يموت خبيرا بذنوب عباده ولا يحتاج معه الى الغير لانه خبير باحوالهم قادر على مكافأتهم وذلك وعيد شديد (قوله فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء) اشارة الى ان الباء بمعنى عن كما في قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وفي قول علقمة

فان تسألوني بالنساء فانني * خبير بادواء النساء طبيب

والضمير به يرجع الى ما ذكر من خلق السماء والارض والاستواء على العرش (قوله لانهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى) على ان يكون قولهم وما الرحمن سؤالا عن المسمى بهذا الاسم ويكون قول المصنف هذا علة لسؤالهم عنه فانهم لما لم يعرفوا كونه سبحانه مسمى بهذا الاسم الجأهم ان يسألوا عن مسماه او كانوا يعرفون كونه تعالى مسمى به الا انهم كانوا يزعمون انه قد يراد به غيره تعالى وهو مسيلمة الكذاب باليمامة فانه يقال له رحمن اليمامة وكان المشركون يكذبونه ايضا ولذلك قالوا أنسجد لما تأمرنا اي الذي تأمرناه بتقدير تأمرنا بسجوده فحذف ما حذف منه على التدريج حذف الجار واوصل الفعل كما في امرتك الخير فقيل تأمرنا سجوده ثم حذف المفعول الذي هو المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار تأمرناه ثم حذف الضمير ايضا فصار لما تأمرنا على ان ما موصولة بمعنى الذي او مصدرية اي لامرك على معنى لاجل امرك لنا من غير عرفان (قوله وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه) عطف على قوله لانهم ما كانوا يطلقونه على الله

﴿ بقرامنيرا ﴾ مضيئا بالليل وقرئ وقرا اى ذا قرا وهو جمع قراء و يحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه اوبان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهى الحالة من خلف كالركبة والجلسة (لمن اراد ان يذكر) ان يتذكر آلاء الله ويتفكر فى صنعه فيعلم انه لابد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد (اواراد شكورا)

اى وقيل قولهم وماالرحمن ليس سؤالا عن المسمى بل هو سؤال عن معنى هذا الاسم وشرح مفهومه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار انه اذا امرهم بالسجود للرحمن زادهم نفورا عن الايمان ذكر من عظم شانه وباهر سلطانه مالو تفكروا فيه لاضطروا الى الايمان به وطاعته فقال تبارك وتعالى تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وهى الاثنا عشر كل برج منزلان وثلث منزل للقمر وهى منازل الكواكب السبعة السيارة وهى ثمانية وعشرون منزلا واسماء البروج الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتان للمريخ والثور والميزان للزهرة والجوزاء والسنبلة لعطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشترى والدلو والجدى بيتا زحل وهذه البروج مقسومة الى الطبائع الاربع فيكون لكل واحدة منها ثلاثة بروج الحمل والاسد والقوس نارية والثور والسنبلة والجدى ارضية والجوزاء والميزان والدلو هوائية والسرطان والعقرب والحوت مائية وقوله تعالى وجعل فيها اى فى البروج لا فى السماء لان البروج اقرب فعود الضمير اليها اولى وان جاز عوده الى السماء ايضا شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسرج والمصابيح كما فى قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فى الانارة والاشراق (قوله ذاقمر) جواب عما يقال القمر مؤنث فينبغى ان يؤنث صفته بان يقال منيرة وانما قلنا القمر مؤنث لانه عبارة عن جماعة الليالى ذوات القمر لانه جمع ليلة قمراء اى ذوات القمر وتقرير الجواب ان اصل الكلام وذوات قمر منيرا على ان يكون ذاقمر عبارة عن نفس القمر عبر عن القمر بانه ذوقمر اى ذو ليال قمر لان الليلة انما تكون قمراء بالقمر فصار القمر كأنه صاحب تلك الليلة فقيل له انه ذوقمر بمعنى صاحب تلك الليالى القمر ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو مؤنث لكونه عبارة عن جماعة الليالى الا انه لما قام مقام المضاف وهو مذكر بقى حكم المضاف فيه فقيل فى صفته منيرا لامنيرة كما بقى فى قول حسان

يسقون من ورد البريص عليهمو * بردى يصفق بالرحيق السلسل

بريد ماء بردى وهو نهر بدمشق فحذف المضاف واقيم بردى مقامه وبقى حكم المضاف فيه وهو مؤنث حيث ذكر ضمير يصفق والتصفيق الخلط والمزج ويحتمل ان يكون القمر بمعنى القمر ويؤيده توحيد الصفة بلا تكلف الحذف (قوله اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر) يعنى ان الخلفة مصدر للنوع فلا يصلح ان يكون مفعولا ثانيا لجعل الليل اوحالا من مفعوله فان خلفة لايخلو من ان يكون مفعولا ثانيا اوحالا الاول على ان يكون جعل بمعنى صير والثانى على ان يكون

بمعنى خاق فلا بد من تقدير المضاف على التقديرين اى ذوى خلفة ثم ان خلفة يستعمل بمعنيين بمعنى كان خليفته او بمعنى جاء بعده يقال خلفه فى قومه خلافة ومنه قوله تعالى وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى و يقال ايضا خلفته اذا جئت بعده والخلفة فى الآية يحتمل ان تكون من خلفه بكل واحد من المعنيين وهو قول المصنف يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه اوبان يعتقبا و يؤيد الاول قول ابن عباس انه جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن فرط فى عمل احدهما بأن فات عليه العمل الذى اتخذه ورد اقضاه فى الآخر وماروى عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر بن الخطاب وقد فاتته قرآءة القرآن بالليل يا ابن الخطاب لقد انزل الله فيك آية وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر اى مافاتك من النوافل بالليل فاقضه فى نهارك وما فاتك فى النهار فاقضه فى ليلك وان كان المعنى جعلهما ذوى اعتقاب يكون المقصود بيان انه تعالى جعلهما مختلفين بجئ هذا ويذهب ذلك و يجئ ذاك ويذهب هذا ولم يجعل واحدا منهما سرمدا نهارا لاليل له ولاليلا لانهار له ليعلم الناس عدد السنين والحساب وليكون للانتشار فى المعاش وقت معلوم وللاستقرار والاستراحة وقت معلوم فيكون فى الآية تذكير لنعمته و تنبيه على كمال حكمته وقدرته (قوله ان يشكر الله تعالى) يعنى ان الشكور بضم الشين مصدر بمعنى الشكر و بالفتح مبالغة الشاكر فقولك سكر شكورا بمعنى شكر شكرا اى جعلناهما خلفة ليتفكر المتفكرون فى اختلافهما و يشكروا نعمة الله فى ذلك وقوله اوليكونا وقتين عطف على هذا المعنى اى جعلناهما خلفة ليكونا وقتى تدارك للمتذكرين والشاكرين قرأ العامة ان يذكر بالتشديد اصله ان يتذكر فادغمت التاء فى الذال وقرأ حمزة بالتخفيف قال الفرآء فى وجهه ان يذكر ويتذكر يأتيان بمعنى واحد قال الله تعالى واذكر وا ما فيه ويجوز ان يكون المعنى ليذكر الله فيهما من اراد ان يذكره ويطيعه بالتسبيح والطاعة ولعل وجه عطف قوله اواراد شكورا بكلمة اودون الواو للتنبيه على استقلال كل واحد منهما بكونه مطلوبا من الجعل المذكور ولو عطف بالواو لتوهم ان المطلوب مجموع الامرين ويحتمل ان يكون المراد بالمعطوف عليه الكافر الذى يريد ان يتفكر فى اختلافهما و يجعلهما موضع الاعتبار على وحدانيته وقدرته فيستدل به على التوحيد واخلاص العبادة وبالمعطوف المؤمن الذى يريد ان يتعظ و يشكر نعم الله فكأنه قيل جعلناهما خلفة ليتفكر الكافر فى اختلافهما ويجعله معتبرا على قدرته وتوحيده اويتعظ المؤمن به ويجعله متسعا لذكره وطاعته (قوله وكذلك ليذكروا) فى قوله تعالى ولقد صرفناه بينهم

أن يشكر الله على مافيه من النعم اوليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى فيه (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او (الذين يمشون على الارض)

واضا فتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل اولانهم الراسخون فى عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار (هونا) هينين اومشيا هينا ﴿٤٠١﴾ مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) تسلما منكم ومتاركة لكم لاخير بيننا ولاشر اوسدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولاينافيه آية القتال لتنسخه لان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) فى الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وأبعد من الرياء وتأخير القيام للروى وهو جمع قائم اومصدر أجرى مجراه (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها غراما) لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم وعدم وثوقهم على استمرار احوالهم (انها ساءت مستقرا ومقاما) اى بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او أحزنت وفيها ضمير اسم

ليذكروا فان العامة قرأت بالتشديد وحمزة بالتخفيف والكسائى ايضا (قوله واضافتهم الى الرحمن للتخصيص) اى لان تفيد لهم خصوصية وشرفا وتفضلهم على العباد الذين لم يتصفوا بتلك الصفات والا فالخلق كلهم عباد الله (قوله هينين او مشيا هينا) الاول على ان يكون انتصاب هونا على الحالية من فاعل يمشون والثانى على ان يكون صفة مصدر محذوف (قوله تسلما منكم) يعنى ان سلاما منصوب على انه مصدر فعل محذوف والاصل نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسليم فالمعنى اذا خاطبهم السفهاء الخفاف العقول بأذى وكلام قبيح قالوا نتسلم منكم تسلما اى لانجاهلكم ولانتلبس بشئ من اموركم وهو الجهل وما يبتنى على خفة العقل والمتاركة الموادعة (قوله اوسدادا) اى صوابا من القول فعلى هذا الوجه يكون سلاما اشارة الى ماتاره من حيث المعنى ولايكون سلاما عين عبارتهم (قوله لأن المراد هو الاغضاء عن السفهاء) وهو امر مستحسن فى الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض واوفق للورع فليس بمنسوخ ابدا قال عليه السلام اذا جمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا راكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ماكان من فضلكم فيقولون كنا اذ ظلمنا صبرنا واذا اسئ الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة نعم اجر العاملين (قوله فى الصلاة) فان كل من ادركه الليل فقد بات نام اولم ينم يقال بات فلان قلقا عن ابن عباس قال من صلى ركعتين او اكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدا وقائما والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره كما قال الله تعالى فى حق المتقين كانوا قليلا من الليل مايهجعون وروى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة (قوله اى بئست مستقرا او أحزنت) يعنى ان ساءت يجوز ان تكون من افعال الذم بمعنى بئست وقد تقرر ان فاعلها يجب ان يكون معرفا باللام اومضافا الى المعرف بها اومضمرا مميزا بنكرة منصوبة وهى فى الآية مستقرا ومقاما اى موضع قرار واقامة فالضمير الذى فى بئست لايعود الى اسم ان ولا الى شئ آخر بعينه بل ضمير مبهم يفسره الظاهر وهو مستقرا ومقاما والمخصوص محذوف والتقدير ساءت مستقرا ومقاما هى وان كان ساءت بمعنى أحزنت تكون

ان ومستقرا حال اوتمييز والجملة تعليل (٥١) لعله الاولى اوتعليل (سا) ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا حد الكرم (ولم يقتروا) ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف

الياء وكسر التاء وقرأ نافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد (وكان بين ذلك قواما) وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان لكان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله) اى حرمها بمعنى حرم قتلها (الا بالحق) متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون (ولا يزنون) نفي عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم

من الافعال المتصرفة الناصبة للمفعول وهو ههنا محذوف والتقدير انها يعني جهنم احزنت اصحابها ومستقرا يجوز ان يكون تمييزا وان يكون حالا (قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء) وقرأ نافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرأ باقي السبعة وهم الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرئ بالتشديد والكل واحد يعني ان القتر والاقتار والتقتير لغات بمعنى واحد وهو التضييق الذي هو ضد الاسراف والاسراف هو مجاوزة الحد في النفقة فليعتمد على هذا الصحيح فان النسخ مختلفة في هذا المقام (قوله وسطا وعدلا) يعني ان القوام عبارة عما هو الوسط والعدل بين الشيئين سمي بذلك لاستقامة الطرفين واعتدالهما بحيث لا يترجح احدهما على الآخر بالنسبة اليه لكونه وسطا بينهما كمركز الدائرة فانه يكون نسبة جميع اجزاء الدائرة اليه على السواء ونظير كون القوام من الاستقامة السواء من الاستواء (قوله وهو خبر ثان لكان) واسمه الضمير المستتر فيه العائد الى الانفاق المدلول عليه بقوله انفقوا او بين ذلك خبره وقواما خبر بعد خبر او بين ذلك خبره وقواما حال مؤكدة او قواما هو الخبر وبين ذلك ظرف لغو لكان على رأى من يرى اعمالها في الظرف قال الفراء وان شئت جعلت بين ذلك اسم كان كما تقول كان دون هذا كافيا بمعنى كان اقل من هذا كافيا فيكون معنى الآية وكان الوسط من طرفي الاسراف والتقتير قواما عدلا وضعف هذا التأويل ظاهر لانه في قوة ان يقال وكان الوسط وسطا لان القوام هو الوسط ثم انه تعالى ذكر من جملة صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل بغير حق والزنى ثم بين ان من ارتكب هذه الاشياء يلحقه جزاء اثمه وبما قب عليه ثم استثنى منه التائب (قوله بمعنى حرم قتلها) لان الحرمة والحل من صفات الافعال ولا يوصف بهما الاعيان (قوله متعلق بالقتل المحذوف) اى حرم الله قتلها بجميع الاسباب الا بسبب الحق او بلا يقتلون اى لا يقتلون بسبب من الاسباب الا بالحق اى بالسبب الذي يحل به قتل الامرئ المسلم وهو الردة بعد الايمان والزنى بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة من غير ان يطرأ عليها ما يوجب قتلها فان الاصل في النفوس البشرية العصمة وحرمة القتال وحقن الدماء وجواز القتل انما يثبت بعارض فيحل قتله بسبب العارض يدخل في النفس التي حرم الله قتلها نظرا الى حد نفسها (قوله نفي عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات الخ) كانه جواب عما يقال ما الفائدة في نفي هذه القبائح فان الموصوف بالخصال المرضية السابقة يبعد منهم ارتكاب هذه القبائح فلا وجه لنفيها عنهم لانه انما يحسن نفي صفة عن احد اذا كانت الصفة المنفية مما يتوهم ثبوتها له وتقرير الجواب ان الاتصاف بالخصال

السابقة لايستلزم الاجتناب عن هذه القبائح فان الموصوف بتلك الصفات قد يتدين بالشرك و بقتل النفس بغير حق و يتلبس بالزنى فبين الله تعالى ان المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب الكبائر ايضا الا انه خص من الكبائر امهاتها واشعر بذلك ان الاجر المذكور بقوله اولئك يجزون الغرفة بما صبروا الآية موعود للجامعين بين التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وفي هذا النفي ايضا تعريض بما كان عليه الكفار كأنه قيل وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها آخر وانتم تدعون ولا يقتلون نفسا بغير حق وانتم تقتلون ولايزنون وانتم تزنون و يحسن النفي تعريضا وان لم يكن المنفي عنه مظنة لثبوت المنفي له روي عن ابن عباس انه قال ان اناسا من اهل الشرك قتلوا وزنوا فاكثروا ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تدعونا اليه لحسن اوتخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت (قوله جزاء اثم اواثاما) يعني ان الاثام عبارة عن عقوبة الاثم وجزائه وقد يطلق على نفس الاثم فان كان المراد به في الآية نفس الاثم فلا بد من تقدير المضاف لان الاثم لايلقى نفس اثمه بل يلقى جزاءه قال ابن مسلم الاثام والاثم واحد والمراد ههنا جزاء الاثم فاطلق اسم الشيء على جزائه وقيل الاثام اسم من اسماء جهنم وقيل اسم واد في جهنم وقيل بئر فيها (قوله تعالى يضاعف) مجزوم في قراءة العامة على انه بدل من الجزاء كما ان قوله تلمم بنا بدل من الشرط في البيت ابدل تلمم من قوله تأتنا لان الالمام وان كان بمعنى النزول الا انه في معنى الاتيان والجزل ما عظم من الحطب اليابس والأجيج تلهب النار يقال اجت النار تؤج اجيجا اذا تلهبت قيل الالف في قوله تأججا بدل من نون التأكيد الخفيفة اصله تأججن ودخلت نون التأكيد في تأججن مع خلوه عن معنى الطلب للضرورة قال سيبويه يجوز في الضرورة انت تفعلن وقيل تأججا فعل ماض والالف فيه للاشباع وذكر ضمير النار فيه لتأولها بالشهاب وقيل هو ماض والالف فيه للتثنية وذكرا فعل لتغليب الحطب على النار (قوله ويدل عليه) اي على انضمامها الى الكفر وجه الدلالة ان استثناء التائب من الكفر والمعصية جميعا يدل على اجتماعهما في المستثنى منه فان الكافر مخاطب بالفروع على معنى انه اذا ارتكب المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف عقوبته لمضاعفة المعاقب عليه وهوالكبائر مع الشرك (قوله الامن تاب) المشهور بين المفسرين انه استثناء متصل لانه من الجنس وقيل لايظهر مع الاتصال لان المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف فيصير التقدير الا من تاب وآمن

جزاء اثم اواثاما باضمار الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب (يضاعف له العذاب يوم القيامة) بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ❊ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك (ويخلد فيه مهانا) وابن كثير و يعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع وابو عمرو و يخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا ويضعف له العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله (الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بان يمحوا سوابق معاصيهم بالتوبة و يثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بأن يوفقه لاضداد ما سلف منه اوبأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا (وكان الله غفورا رحيما) فلذلك يعفو عن السيئات و يثيب على الحسنات (ومن تاب) عن المعاصي بتركها والندم

عليها (وعمل صالحا) يتلا فى به ما فرط او خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعة (فانه يتوب الى الله) يرجع الى الله بذلك (متابا) مرضيا عند الله ما حيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذى يحب التائبين ويصطنع بهم اوفانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا

وعمل صالحا فانه لايضاعف له العذاب فالاولى ان يكون استثناء منقطعا والمعنى لكن من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة انتهى ما قيل واجيب عنه بان الظاهر ما قاله جمهور المفسرين وما قاله القائل المذكور غير لازم اذ المقصود الاخبار بان من فعل كذا فانه يحل به ماذكر الا ان يتوب واما اصابة اصل العذاب وعدمها فلا تعرض له فى الآية وقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يحتمل وجهين احدهما انه تعالى يبدل سيئاتهم حسنات فى الآخرة لما كان منهم من الحسرة والندامة على كل سيئة كانت منهم فى الدنيا كما روى عن ابى هريرة انه قال ليأتين اقوام يوم القيامة ودوا انهم استكثروا من السيئات فقيل له يااباهريرة من هم قال هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات واليه اشار المصنف بقوله بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم كانهم لم يعملوا فى الدنيا سوى الطاعة والوجه الثانى ان يكون التبديل فى الدنيا بان يبدل الله قبائح اعمالهم الواقعة فى الشرك بمحاسن الاعمال فى الاسلام فيبدل الله لهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا فكانه تعالى يبشرهم بان يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة فيستوجبون بها الثواب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان مشركوا مكة قالوا قبل نزول قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ومايغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله وأتينا الفواحش فنزلت هذه الآية بمكة وعنه قال قرأنا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم آيتين والذين لايدعون مع الله الها آخر الى قوله ويخلد فيه مهانا ثم نزلت الآية الا من تاب فارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشئ فرحه بها وبانا فتحنا لك فتحا مبينا ولما توهم اتحاد الشرط والجزاء فى قوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا لانه فى قوة ان يقال من تاب وصلى فانه يصلى صلاة وليس فى مثله فائدة ظاهرة اشار المصنف الى توجيه الكلام بوجوه حاصلها ان الجزاء فيه معنى زائد على ما فى الشرط وذلك المعنى مستفاد اما من قوله متابا وتنكيره بعد تقييد ناصبه بكونه رجوعا الى الله عز وجل فان الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصى بتركها والندم عليها الى الطاعة بان يتدارك بها مافرط او بمعنى مجرد ترك المعاصى والدخول فى الطاعة والجزاء هو الرجوع الى الله تقدس وتعالى علوا كبيرا رجوعا مرضيا عند الله مترتبا عليه محو الخطيئات وعقوباتها ورفع الدرجات وانواع الكرامات او مستفاد من لفظ الجلالة فى قوله فانه يتوب الى الله متابا فالله تعالى لما كان موصوفا ومعروفا بانه يعرف التائبين ويحبهم ويفعل بهم مايستوجبون كان قوله تعالى يتوب الى الله فى قوة ان يقال يتوب

الى من يعرف حق التائبين و يحسن اليهم و يتفضل عليهم فكأنه قيل من تاب من المعاصى وعاد الى الطاعة فى الدنيا فان تلك التوبة منه فى الحقيقة توبة الى الله تعالى او مستفاد من لفظ المضارع بان يراد بقوله يتوب الرجوع الى ثوابه فى الآخرة بخلاف الوجهين الاولين اذ ليس المراد به فيهما الرجوع فى الآخرة بل المعنى فيهما ان ما اتى به من التوبة فى الدنيا فهو التوبة الى الله تعالى (قوله وهذا تعميم بعد تخصيص) يعنى ان متعلق التوبة فى قوله الا من تاب هو امهات المعادى وههنا مطلق المعاصى (قوله لا يقيمون الشهادة الباطلة) على أن يشهدون من الشهادة وان انتصاب الزور على المصدر والاصل لا يشهدون شهادة الزور باضافة العام الى الخاص فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (قوله او لا يحضرون) على ان يكون يشهدون من الشهود وهو الحضور و يكون انتصاب الزور على انه مفعول به والاصل لا يشهدون مجالس الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والشهادة الاخبار بصحة الشئ عن مشاهدة عيان والزور الكذب واصله تمويه الباطل بما يوهم انه حق (قوله فان مشاهدة الباطل شركة فيه) اى من حيث ان الحضور والنظر دليل الرضى به بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه لان الذى حمل اهله عليه استحسان النظارة ورغبتهم فى النظر اليه (قوله معرضين) يعنى ان كراما جمع كريم منصوب على الحالية والمعنى مروا مر الكرماء الذين لا يرضون باللغو و يتنزهون عن الدخول فيه و الاختلاط باهله يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه و اكرم نفسه عنه قال تعالى فى حقهم و اذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه و من وجوه الاعراض عنه ان يذكر ما يستهجن التصريح به بما يكنى به عنه (قوله بالوعظ و القراءة) متعلق بقوله تعالى ذكروا اى اذا وعظوا بالقرآن او اذا تلى عليهم القرآن لم يقيموا عليها صما لم يسمعوها وعميا لم يبصروها ولكنهم سمعوا وابصروا وانتفعوا واداة النفى وان دخلت على فعل الخرور الا ان المقصود ليس نفى الخرور بل اثبات الخرور ونفى ما جعل قيدا له وهو الصمم والعمى على ما تقرر من ان نفى المقيد يرجع الى نفى قيده والمعنى انهم اذا ذكروا بها أكبوا عليها واقبلوا على المذكر بها حرصا على استماعها وسمعوها بآذان واعية وابصروها بعيون راعية (قوله بتوفيقهم للطاعة) يعنى ان المراد بالقرة المسؤلة بها تفضلهم بالفضائل الدينية لا بالمال والجمال ونحوهما فان المتقين هم الذين تقر اعينهم بصلاح ازواجهم واولادهم كما قيل ليس شئ اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله واما غير المتقين فانهم يحبون الدنيا و زينتها ولا تقر اعينهم الا بما يحبونه وقرة اعين منصوب على انه مفعول هب و هو

الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مروا باللغو) ما يجب ان يلغى و يطرح (مروا كراما) معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) بالوعظ والقراءة (لم يخروا عليها صما وعميانا) لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لا يلقانى زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصى المدلول عليها باللغو (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين) بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله فى طاعة الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقوله رأيت منك اسدا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر وذريتنا

وتنكير الأعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد عين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم (واجعلنا للمتقين اماما) يقتدون بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا ولانه مصدر في اصله اولان المراد واجعل كل واحد منا ولانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم (اولئك يجزون الغرفة) اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون وللقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة (بما صبروا) بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها تحية وسلاما) دعاء بالتعمير والسلامة اى يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه

مصدر قولك قرت عينه قرا وقرورا اوصف بها الاعيان الموهوبة على ان تكون كلمة من في قوله من ازواجنا وذرياتنا تجريدية والمعنى اجعلهم لنا قرة عين وهو من قبيل رأيت منك اسدا اى انت اسد ويجوز ان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ماتقربه عيوننا من طاعة وصلاح يقال قرت به عيني وقررت به عينا اقر قرا وقرورا فهما اما من القرور اى رضيت به حتى تقر عيني فلم تطمح الى ما فوقه اومن قولهم قريومنا من القر بالضم وهو البرد وقرور العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فان للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة بين الله اولا معاملتهم مع الخلق بانهم يمشون على الارض هونا ولا يؤذون احدا واذا آذاهم اهل الجهل والسفه لا يعارضونهم بالاذى ولكن يحملون ذلك ويتجاوزون عنه ويقولون قولا سدادا ثم بين معاملاتهم مع الحق ودعاءهم بالليل بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا او قياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ثم اخبر عن صنعهم في اموالهم بانهم ينفقون قواما ثم بين انه مع تحليهم بهذه الفضائل التي هي اصول الطاعات يجتنبون عن امهات المعاصي ثم بين معاملتهم مع اهليهم ودعاءهم في حقهم وفي حق انفسهم فان قولهم واجعلنا يعنون به انفسهم وذرياتهم ومن قرأ ذريتنا على التوحيد نظر الى ان اسم الذرية يطلق على الواحد والجمع ومن قرأه على لفظ الجمع قصد زيادة الكثرة كما يجمع لفظ القوم والرهط لذلك فيقال اقوام وارهاط (قوله وتنكير الاعين) اى مع ان المراد بها اعين القائلين وهي معينة فلأى شئ نكرت والجواب عنه انه لما قصد تنكير القرة للتعظيم نكر المضاف اليه فانه لاسبيل لك الى تنكير المضاف الا بتنكير المضاف اليه فنكر المضاف لذلك فكانه قيل هب لنا سرورا لايكتنه كنهه (قوله وتقليلها) يعني ان القائلين جم غفير فلم قللوا اعينهم حيث عبروا عن عيونهم بجمع القلة اجاب عنه بان عيون المتقين قليلة بالاضافة الى الغير وفيه ان التعبير بجمع القلة لايكفي فيه ان يكون المعبر عنه قليلا بالاضافة الى الغير بل يجب ان يكون عشرة فادونها والقلة الاضافية لاتستلزم ذلك (قوله وتوحيده) اى مع انه مفعول ثان لقوله واجعلنا فينبغي ان يطابق المفعول الاول في الافراد والجمع بان يقال واجعلنا ائمة (قوله بصبرهم) على ان ما مصدرية ولم يقيد الصبر بالمتعلق بل اطلق ليتسع في كل مصبور عليه والمضض وجع المصيبة (قوله دعاء بالتعمير والسلامة) يعني ان التحية هي الدعاء بالتعمير والسلام هو الدعاء بالسلامة ولم يذكر الملقي اياهما وهم في الغرفات ويحتمل ان ذلك هو الله لقوله سلام قولا من رب الرحيم وان يكون الملائكة لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم

وان يكون بعضهم يحيى بعضا و يسلم عليه (قوله اوتبقية دائمة) عطف على قوله دعاء بالتعمير اى و يجوز ان يكون المعنى و يلقون فى تلك الغرفة نفس التبقية الدائمة ونفس السلامة من كل آفة اى يعطيهم الله تعالى البقاء والخلود بأن يبقيهم فى الجنة خالدين سالمين وعلى هـذا المعنى يكون التركيب مستعملا فى اصل معناه لان معنى التحية الاحياء والتبقية يقـال حياه تحية اى احياه احياء كما يقال بقاه تبقية بمعنى ابقاه ابقاء وعلى المعنى الاول يكون مجازا لانه ينزل الدعاء بالتحية منزلة التحية فان من دعا بان يبقيه و يخلده كان كمن ابقـاه وخلده بناء على ان تعالى وعد باجابة الدعاء حيث قال ادعونى استجب لكم وقوله تعـالى خالدين حال من يجزون او يلقون اى مقيمين فيها من غير موت ولا انتقال ثم انه تعالى لما وصف عباده العابدين وعدد خصالهم الحميدة وشرح ثوابهم ووعدهم ماوعدهم لاجل عبادتهم امر رسـوله بان يقول للنـاس صريحا ان مبالاة الله واعتناءه بشانكم حيث خلق السموات والارض ومابينهما ارادة لانتظام احوالكم وقضاء حوائجكم ومهماتكم انما هو لتعرفوا حق المنعم وتطيعوه فيما كلفكم به من التكليفات وتظفروا بالسعادة الابدية والا فهو تعالى غنى عنكم و باى وجه يحتاج اليكم وهو غنى عن العالمين يقال عبأ المتـاع يعبأ عبأ فهو عابئ اذا احتاج اليه فهيأه لذلك (قوله اولا دعاؤكم) ذكر فيه وجهين احدهما اولا دعاؤه اياكم الى الدين والطاعة فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول وثانيهما كون المصدر مضافا الى فاعله وكونه بمعنى العبادة والتذلل بالوجوه المبينة فى الشرع واختار المصنف ان يكون الخطاب فى قوله تعـالى قل ما يعبأ بكم وفى قوله اولا دعاؤكم فقد كذبتم متوجها الى جنس الناس من غير تقييد بنوع من انواع هذا الجنس ثم وجه صحة اسـناد العبادة والتكذيب الى الجنس المذكور بانه لما وجد فى صنف من اصناف العبادة وفى صنف آخر من اصناف التكذيب صح اسنادهما اليه وكان تقدير قراءة فقد كذب الكافرون اى منكم الا ان دخول الصالحين الابرار فى خطاب فقد كذبتم فسوف يكون لزاما بناء على ان يقال فى تأويله فقد كذب صنف منكم لايخلو عن بعد والظاهر ان يكون الخطاب متوجها الى كفار قريش لان هذه السـورة الكريمة نازلة لتقريع كفار قريش على عنادهم وتكذيبهم آيات الله تعالى وتسميتهم القرآن باسـاطير الاولين وطعنهم فى رسول الله بقولهم مالهذا الرسـول يأكل الطعام واما ذكر المؤمنين فتعريض بهم وجواب قوله تعالى لولا دعاؤكم محذوف لدلالة المقام عليه اى لولا دعاؤكم لماخلقكم ولما اعتنى بشانكم وقوله تعـالى فقد كذبتم موضوع موضع ان يقـال فقد تركتم عبادتى وخالفتم حكمى على طريق التعبير بالملزوم عن اللازم لان التكذيب مسـتلزم لترك

اوتبقية دائمة وسـلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر يلقون من لقى (خالدين فيها) لايموتون ولا يخرجون (حسنت مستقرا ومقاما) مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا (قل مايعبأ بكم ربى) مايصنع بكم من عبأت الجيش اذاهيأته اولايعتدبكم (لولادعاؤكم) اولاعبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والافهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه مايصنع بعـذابكم اولا دعاؤكم معه آلهة ومان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدرية كانه قيل اى عبئ يعبأ بكم (فقد كذبتم) بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كـذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب

النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت ﴿ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

﴿ سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وايها مائتان و ست او سبع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طسم) قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول البقرة (لعلك باخع نفسك) قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة

العبادة والظاهر من تقرير صاحب الكشاف انه جعل قوله فقد كذبتم معطوفا على شرط محذوف (قوله فسوف) جزاء لذلك الشرط المحذوف كانه قيل اذا اعلمكم انى لا اعبأ بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثم تكذيبكم حتى يكبكم في النار فانى لا اعتد بمن لا يشتغل بالعبادة وبعد هذا الاعلام تركتم العبادة فسوف يلحقكم العذاب (قوله تعالى لزاما) خبر يكون واسمه مضمر والمعنى يكون جزاء التكذيب لازما على ان يكون اللزام مصدرا كالقيام اقيم مقام الفاعل كما يقوم العدل مقام العادل ويحتمل ان يكون الاسم المضمر اثر التكذيب (قوله حتى يكبكم) بفتح الياء من كبه لا بضمها من اكب لانه لازم يقال كبه لوجهه اى صرعه فأكب على وجهه وهو من النوادر وقرئ لزاما بفتح اللام بمعنى اللزوم كالثبات بمعنى الثبوت والاول بمعنى الملازمة وكلاهما من قبيل الوصف بالمصدر بمعنى ملازما او لازما ﴿ تمت سورة الفرقان والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة الشعراء مائتان وست او سبع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ﴾

(قوله بالامالة) اى بامالة فتحة طا والفها لان فواتح السور ليست بحروف بل هي اسماء لما يتهجى به فجازت الامالة فيها وقرأ الباقون بتفخيم الفها على الاصل واظهر حمزة نون سين اى لم يدغمها في الميم لان حروف الهجاء في تقدير الانفصال والانقطاع عما بعدها فوجب اظهارها لانها انما تخفى متصلة بحرف من حروف الفم واذا لم تتصل بها لم يوجد شئ يوجب اخفاءها ظاهرا والباقون يدغمون النون في الميم نظرا الى اتصالها بحرف الشفة (قوله والاشارة الى السورة او القرآن) يعني ان طسم اسم لهذه السورة او القرآن وتلك اشارة الى المسمى بهذا الاسم واختص في الاشارة لفظ البعيد مع انه لم يتخلل شئ بين اسم الاشارة والمشار اليه وهو طسم لبعد المشار اليه باعتبار ان الاسم الدال عليه قد تكلم به وانقضى او باعتبار انه قد وصل من المرسل الى المرسل اليه فقوله طسم مبتدأ وتلك مبتدأ ثان وآيات الكتاب المبين خبر المبتدأ الثاني وهذه الجملة خبر المبتدأ الاول وهو طسم بتقدير المضاف ليصح الاخبار عنه بان تلك آيات الكتاب المبين والتقدير آيات طسم بمعنى آيات هذه السورة او آيات جملة القرآن العظيم تلك آيات الكتاب المبين وهو من ابان بمعنى بان وظهر ولهذا فسره بقوله الظاهر اعجازه ومحصول قوله آيات طسم تلك آيات الكتاب المبين ان هذه السورة الكريمة او القرآن العظيم كتاب مبين اى ظاهر اعجازه وصحيح انه كلام الله تعالى اذ لو لم يكن كذلك لقدروا

ولعل للاشفاق اى أشفق على نفسك ﴿٣﴾ ان تقتلها (ألا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا
(ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه (فظلت اعناقهم لها خاضعين) منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف وأكن على فأصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح (وما يأتيهم من ذكر) موعظة او طائفة من القرآن (من الرحمن) بوحيه الى نبيه (محدث) مجدد انزاله بتكرير التذكير وتنويع التقرير (الا كانوا عنه معرضين) الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه (فقد كذبوا) اى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا فى تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا فى قوله (فسيأتيهم) اى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة (انباء ما كانوا به يستهزؤن) من انه كان حقا
ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق و يعظم (٥٣) قدره او يكذب (سا) فيستخف امره (أولم يروا الى الارض) أولم ينظروا الى

على الاتيان بمثله ولما عجزوا عن معارضته (قوله ولعل للاشفاق) اى الخوف وهو تعالى منزه عن الخوف والمعنى انه تعالى يأمره ان يخاف على نفسه ولا يتحسر لئلا يؤديه الحسرة الى الهلاك وهو قول المصنف اى أشفق على نفسك (قوله لئلا يؤمنوا) يعنى أن قوله ان لا يؤمنوا فى موضع النصب على انه مفعول بحذف لام التعليل من ان كما هو المشهور او بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير خيفة ان لا يؤمنوا ولما كانت الخيفة فعلا لفاعل الفعل المعلل وهو البخع من حيث ان كل واحد منهما فعل النبى لم يحتج الى اللام فى تعلق المعلل به او انه حذف اللام لما ثبت من ان حذف اللام من ان وان قياس مستمر لا لكونه مفعولا له (قوله تعالى فظلت) معطوف على ننزل وانما جيئ به ماضيا لتحقق كون اعناقهم خاضعين حينئذ (قوله واصله فظلوا لها خاضعين) جواب عما يقال قوله خاضعين مسند الى ضمير الاعناق وهى ليست من قبيل العقلاء فلا يجوز ان يخبر عنها بلفظ الجمع السالم لانه مختص بالعقلاء وتقرير الجواب ان الخضوع صفة اصحاب الاعناق واخبر عن الاعناق بقوله خاضعين بناء على اصل الكلام ولما اقحمت الاعناق لبيان محل الخضوع كان ينبغى ان يغير الكلام الى خاضعة او خاضعات الا انه ترك الخبر على اصله للدلالة عليه (قوله وظلت عطف على ننزل) جواب عما يقال كيف عطف الماضى على المستقبل بحرف التعقيب او بالفاء السببية والماضى يمتنع ان يكون عقيب المستقبل وان يكون مسببا عنه وتقرير الجواب ان ننزل وان كان مستقبلا لفظا الا انه فى قوة الماضى لانه لو اورد بدله لفظ الماضى لكان صحيحا كما عطف اكن المجزوم على أصدق المنصوب لكونه فى موضع الجزاء من حيث ان المعنى ان اخرتنى اتصدق واكن بين الله ان آيات هذه السورة الكريمة من حيث كونها آيات الكتاب الظاهر اعجازه كافية فى الدلالة على وجود اله قادر على ما يشاء وعلى صدق مدعى الرسالة فى دعواه فهى كافية فى دخولهم فى الايمان وفى قبولهم جميع ما فيها من الاصول الاعتقادية والفروع العملية فان لم يؤمنوا بسببها فلا تبالغ فى الحزن والاسف على بقائهم على الكفر والضلال وأشفق على نفسك ان تقتلها بلا فائدة فصبره الله تعالى وعزاه وعرفه ان غمه وحزنه لا ينفع فى ايمان من سبق حكم الله بعدم ايمانه كما ان الكتاب المبين الاعجاز لم ينفع فى ايمانه ثم بين ان الله تعالى قادر على ان ينزل آية ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه الا انه لم يفعل ذلك بناء على انه لا عبرة بالايمان المبنى على القسر والالجاء ثم بين أنه من جهة وفور رحمته وفضله واحسانه جدد لهم الانذار والتذكير وقتا بعد وقت وكلما نزل عليهم شيأ من الموعظة والتذكير وطائفة من القرآن التذكير أصروا على ما كانوا عليه من الاعراض

والتكذيب والاستهزآء المدلول عليه بقوله فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون والفاء في قوله فقد كذبوا للتعقيب كما اشار اليه بقوله اى فقد كذبوا بالذكر بعد اعراضهم المؤدي الى التكذيب المؤدي الى الاستهزآء بناء على ان ما كذبوه واستهزأوا به هل هو حقيق بالتصديق والتعظيم او بالتكذيب والاستهزآء ثم انه تعالى بعد ما بين انه كلما انزل عليهم ذكرا جديدا وقتا بعد وقت فلم يزدهم ذلك سوى النفور والاعراض بين ايضا انه اظهر لهم ادلة تحدث في الارض وقتا بعد وقت تدل على وحدانيته وكمال قدرته ومع ذلك استمر اكثرهم على ما هم عليه من الكفر والعصيان فقال اولم يروا الى الارض وبخهم على تركهم النظر الاعتبار ليستدلوا بما في الارض من العجائب اورأوا الا انهم لم يؤمنوا بسببها وكم في قوله تعالى كم انبتنا خبرية للتكثير ومنصوبة المحل بالفعل الذي بعدها على المفعولية اى كثيرا من الازواج انبتنا وكل زوج تمييز جيء به للدلالة على ان الكثير الذي انبته الله تعالى ليس من بعض اصناف النبات بل من جميع اصنافه على التفصيل (قوله وهو صفة) يعني ان الكريم اسم يوصف به كل ما يحمد ويرضى في بابه وما له من المنافع والكمالات التي لا يقدر على اتيانها الا رب العالمين ومنه وجه كريم اى محمود مرضى في حسنه وجماله وكتاب كريم اى مرضى في لفظه ومعانيه وفوآئده وفارس كريم اى مرضى في شجاعته وبأسه ووصف الزوج بالكريم يحتمل معنيين الاول انه صفة مقيدة له مخصصة بما هو النافع من نوعي النبات فانه على نوعين نافع وضار فبين لله كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النباتات النافع وترك ذكر الضار والثاني ان يكون صفة مادحة لا مخصصة فيعم جميع اصناف النبات نافعه وضاره وفي وصف جميعها بالكرم تنبيه على انه تعالى ما انبت شيأ الا وفيه فائدة ومنفعة جليلة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لمعنى صحيح وحكمة باعثة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون (قوله او ظرف لما بعده) اى قال رب انى اخاف ان يكذبون اذ نادى ربك وقيل انه لمقدر قبله اى واتل على قومك اذ نادى الله موسى فيما تلوا ويدل عليه قوله تعالى فيما بعد واتل عليهم نبأ ابراهيم وذلك حين رأى موسى الشجرة والنار (قوله ولعل الاقتصار على القوم) يعني انه لاشك ان موسى كان مبعوثا الى فرعون وقومه من الرؤساء والاتباع الا انه لم يذكر في بعض الآيات قومه حيث قال اذهبا الى فرعون انه طغى ولم يذكر في بعضها الاتباع حيث قال الى فرعون وملئه والملأ هم الرؤساء دون الاتباع لان المتبوع ورؤساء القوم لما كانوا اصلا اتبعهم الاتباع في الايمان كان ذكرهم يغني عن ذكر الاتباع ولذلك اقتصر تارة على ذكر فرعون وتارة على ذكره

عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها (ان في ذلك) ان في انبات تلك الاصناف او في كل واحد (لآية) على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة (وما كان اكثرهم مؤمنين) في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام (وان ربك لهو العزيز) الغالب القادر على الانتقام من الكفرة (الرحيم) حيث أمهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن (واذ نادى ربك موسى) مقدر باذكر او ظرف لما بعده (ان ائت) اى ائت او بأن ائت (القوم الظالمين) بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم (قوم فرعون) بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك

وذكر رؤساء قومه واقتصر في هذه الآية على ذكر قومه من الرؤساء والاتباع
للعلم بان نفس فرعون كان اولى بذلك (قوله ألا يتقون استئناف) لا محل له
من الاعراب وهو متعين على قرآءة يتقون بياء الغيبة واما على القرآءة بتاء الخطاب
فانه يحتمل ان يكون التقدير ائت القوم الظالمين وقل لهم ألا تتقون باضمار القول
فلا التفات حينئذ وانما يكون التفاتا على تقدير كونه استئنافا وطريق الالتفات
انه تعالى بصدد الشكاية من قوم فرعون وظلمهم لنبيه موسى فلما اشتد غضبه
عليهم قطع بث الشكوى الى موسى واقبل عليهم يوبخهم بالعنف والغلظة
وقال لهم ألا تتقون ولما ورد كيف يصح الالتفات اليهم وهم غيب والالتفات الى
الجانى انما يصح اذا كان الجانى حاضرا في مجلس الشكاية وهم ليسوا حاضرين
في مجلس خطابه تعالى مع موسى في وقت المناجاة اجاب عنه بقوله وهم وان كانوا
غيبا حينئذ اى حين مخاطبة الله موسى عليه الصلاة والسلام وتقرير الجواب
انهم وان كانوا غيبا الا انهم حينئذ اجروا مجرى الحاضر وكلام الشخص
الذى ارسل اليهم من حيث ان ذلك الشخص لما كان مبلغ ذلك الكلام اليهم
وكان استماعه مبدأ استماعهم كان حضور ذلك الشخص مع المتكلم بمنزلة
حضورهم معه ولذلك صح الالتفات اليهم في كلام ذلك الشخص وان كانوا
غيبا في نفس الامر وقت المكالمة معه مع ان في الالتفات اليهم بهذا الطريق
مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده لانه لما وبخ اعتب على ترك التقوى
وحث عليه مع عدم استماعه كلام الموبخ بالذات فالحاضر المتدبر يكون له اوفر
حظ من الحث عليه (قوله اكتفاء بها عن ياء الاضافة) فان اصله على
قرآءة الكسر ألا يتقونني فحذفت احدى النونين تخفيفا واكتفى بكسر النون
عن ياء المتكلم فصار الا يتقون ويحتمل ان تكون قرآءة الكسر مبنية على ان يكون
اصل الكلام الا يا ناس اتقون بأن تكون الياء في يتقون حرف النداء وان يكون
المنادى محذوفا كما في قوله الا يا اسجدوا فان اصله الا يا هؤلاء اسجدوا ويكون
اتقون امرا حاضرا حذف منه ياء المتكلم اكتفاء بالكسر ويكون النون فيه نون
الوقاية ويكون ارتباط الكلام بما قبله على هذا الوجه بتقدير القول اى ائت
القوم الظالمين قل لهم الا يا ناس اتقون فان قلت هذا التوجيه لا يساعده
خط المصحف فالجواب ان خط المصحف سنة متبعة غير منوطة بالقياس
(قوله رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في الامر على الامور الثلاثة)
مبنى على ان يكون قوله يضيق ولا ينطلق مرفوعين بعطفهما على
خبر ان وهو اخاف لانهما اذا كانا منصوبين عطفا على يكذبون يكون استدعاء
الضم مرتبا على علة واحدة وهى الخوف من الامور الثلاثة فان المعنى حينئذ

(أَلَا يَتَّقُونَ) استئناف
اتبعه ارساله اليهم للانذار
تعجيبا له من افراطهم في الظلم
واجترائهم عليه وقرئ بالتاء
على الالتفات اليهم
زجرا لهم وغضبا عليهم
وهم وان كانوا غيبا حينئذ
اجروا مجرى الحاضرين
في كلام المرسل اليهم
من حيث انه مبلغه اليهم
واسماعه مبدأ اسماعهم
مع ما فيه من مزيد الحث
على التقوى لمن تدبره وتأمل
مورده وقرئ بكسر النون
اكتفاء بها عن ياء الاضافة
ويحتمل ان يكون بمعنى ألا
يا ناس اتقون كقوله الا يا
اسجدوا (قال رب انى
اخاف ان يكذبون ويضيق
صدرى ولا ينطلق لسانى
فارسل الى هرون) رتب
استدعاء ضم اخيه اليه
واشراكه له في الامر على
الامور الثلاثة خوف
التكذيب وضيق القلب
انفعالا عنه وازدياد الحبسة
في اللسان بانقباض الروح
الى باطن القلب عند ضيقه
بحيث لا ينطلق لانها اذا
اجتمعت مست الحاجة الى
معين يقوى قلبه وينوب
منابه متى يعتريه حبسة حتى
لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته

وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله ﴿٤١٣﴾ وتمهيد عذر فيه وقرأ يعقوب

و يضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبوا فيكونان من جملة ما خاف منه (ولهم على ذنب) اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى باسمه والمراد قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع (فاخاف ان يقتلون) به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذاك استمداد واستظهار فى امر الدعوة وقوله (قال كلا فاذهبا بآياتنا) اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف وضم اخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذى طلبته (انا معكم) يعنى موسى وهرون وفرعون (مستمعون) سامعون لما يجرى بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجرى بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو (الشبه)

اخاف ان يكذبون واخاف ان يضيق صدرى واخاف ان لا ينطلق لسانى وعلى قرآءة الرفع يكون كل واحد من الامور الثلاثة علة مستقلة لاستدعاء الضم غاية ما فى الباب ان يكون بعضها مرتبا على البعض فى الوجود لأن حاصل الكلام حينئذ انه لو لم يشرك به هرون فى الامر لاختلفت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى عليه الصلاة والسلام وذلك من وجهين الاول ان فرعون ربما كذبه والتكذيب سبب لضيق القلب لتعسر الكلام على من يكون فى لسانه حبسة لانه عند ضيق القلب تنقبض الروح والحرارة الغريزية الى باطن القلب واذا انقبضا الى الداخل وخلا منهما الخارج ازدادت الحبسة فى اللسان فالتأذى من التكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب للحبسة فلهذا بدأ عليه الصلاة والسلام بخوف التكذيب ثم ثنى بضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان ثم قال وهرون افصح لسانا منى وليس فى حقه هذا المعنى فكان ضمه الى وارساله معى لائقا والثانى ان لى عندهم ذنبا فأخاف ان يبادروا الى قتلى وحينئذ لا يحصل المقصود من البعثة واما هرون فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة بضمه الى (قوله وليس ذلك تعللا منه) جواب عما يقال كيف ساغ لموسى عليه الصلاة والسلام ان يأمره الله بامر فلا يقبله بسمع وطاعة ومن حقه ان يسارع فى امتثال المأمور به بلا توقف وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام لم يرد بذكر الامور الثلاثة الاستعفاء من تكاليف الرسالة والتعلل بها بل اراد به تمهيد العذر فى التماسه المعين فهو قد امتثل وقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر ولا بتعلل فيه واراد بالذنب قتله القبطى بالوكزة دفعا عن القبطى الآخر واراد بكون ذلك القتل عليه أن تبعة ذلك القتل اى موجبه وجزاءه بذمته على زعمهم والتبعة كل حق يجب للمظلوم على الظالم بمقابلة ظلمه عليه (قوله اجابة له الى الطلبتين) تثنية طلبة بكسر اللام وهى ما طلبته من شئ طلب موسى امرين الاول ان يدفع عنه شرهم والثانى ان يرسل معه هرون فاجابه الله الى الاول بقوله كلا ومعناه ارتدع يا موسى عما تظنه فانهم ان يقتلوك به فانى لا اسلطهم عليك بل اسلطك عليهم واجابه الى الثانى بقوله فاذهبا اى اذهب انت والذى طلبته وهو هرون (قوله يعنى موسى وهرون وفرعون) فهو تعالى معهما بالعون والنصر ومع فرعون بالكسر والقهر (قوله سامعون) حقيقة الاستماع طلب السمع بالاصغاء والله تعالى سامع غنى عن الاستماع والاصغاء فلذلك حمل المعنى نسمع ما تقولانه وما يجيبونكما به وفى الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه

(فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال
لقد كذب الواشون مافهت عندهم ❊ بسر ولا ارسلتهم برسول ❊ ولذلك ثنى تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة
او لوحدة المرسل والمرسل به اولانه اراد ان كل واحد منا (ان أرسل معنا بنى اسرآئيل) اى قولا ارسل لتضمن الرسول
معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام (قال) اى فرعون لموسى بعدما أتياه فقالا له ذلك
(ألم نربك فينا) فى منزلنا (وليدا) طفلا سمى به ﴿ ٤١٣ ﴾ لقربه من الولادة (ولبثت فينا من عمرك سنين) قبل ابث
فيهم ثلاثين سنة ثم خرج
الى مدين عشر سنين ثم
عاد اليهم يدعوهم الى
الله ثلاثين ثم بقى بعد الغرق
خمسين (وفعلت فعلتك
التى فعلت) يعنى قتل
القبطى وبخه به معظما
اياه بعد ماعدد عليه
نعمته وقرئ فعلتك
بالكسر لانها كانت
قتله بالوكز (وانت
من الكافرين) بنعمتى
حتى عمدت الى قتل
خواصى اوممن تكفرهم
الآن فانه عليه السلام
كان يعايشهم
بالتقية فهو حال من احدى
التاءين ويجوز ان
يكون حكما مبتدأ
عليه بانه من الكافرين
بالالهيته او بنعمته
لما عاد عليه بالمخالفة
اومن الذين كانوا
يكفرون فى دينهم
(قال فعلتها اذا وانا
من الضالين) من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه او من المخطئين
لانه لم يتعمد قتله او الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التأديب اوالناسين من قوله ان تضل احداهما
(ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) حكمة (وجعلنى من المرسلين) رد اولا بذلك ماوبخه به
قدحا فى نبوته ثم كر على ماعد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه
على انه كان فى الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال (وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرآئيل) اى

الشبه هيئة منتزعة من عدة امور (قوله لانه مصدر وصف به) مبالغة
او بتقدير ذو رسالة رب العالمين (قوله بعد ما اتياه فقالا له ذلك) اشارة
الى ان فى الكلام حذفا اى فذهبا اليه فدخلا عليه وقالا له ما امرهما الله
تعالى به فعند ذلك قال فرعون ما قال روى انهما انطلقا الى باب فرعون
فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين
فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأذن لهما فدخلا عليه وأديا الرسالة فعرف
موسى عليه الصلاة والسلام فعدد نعمه عليه اولا ثم اساءة موسى عليه الصلاة
والسلام اليه ❊ والوليد الصبى الصغير وكان عليه الصلاة والسلام ولد فيهم
ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلا والفعلة بالفتح بناء المرة وكانت وكزة واحدة
وبالكسر بناء النوع وتعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها
الخاص فان تنكير الشئ وابهامه قد يقصد به التعظيم (قوله اوممن تكفرهم
الآن) اى فعلتها والحال انك فى ذلك الوقت من القوم الذين تزعم الآن انهم
كافرون اى كنت قبل الآن منا وعلى ديننا والآن جئت تكفرنا وهذا من غاية
جهل اللعين لان الانبياء لم يزالوا على التوحيد والبرآءة من الشرك والله تعالى
عاصم من يستنبئه من كل كبيرة فما ظنك بالكفر واذا فى قوله فعلتها اذا حرف
جواب فقط لان ملاحظة المجازاة ههنا بعيدة فان سيبويه وان نص على
انها للجزآء لكن شراح كتابه قد ذهبوا الى انها قد تتمحض للجواب ويتخلف
عنها الدلالة على المجازاة (قوله من الجاهلين) والحاصل انه عليه الصلاة
والسلام لم يرد بالضلال الكفران لانه اراد به رد قوله وانت من الكافرين بل
اراد به اما الجهل والسفه والمعنى وانا من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه من غير
اتباع الوحى والدليل واما الخطأ فى الفعل حيث قصد المنع والتأديب فضل
ووقع منه القتل واما الذهول عما يؤول اليه الوكز من القتل واما النسيان
كما فى قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فان الضلال فيه بمعنى النسيان

لان التذكر انما يكون بعد النسيان وخلاصة جوابه عليه الصلاة والسلام على جميع التقادير ان ما تو بخني به وتعده على ذنبا انما فعلته على وجه لا يعاتب من فعله على ذلك الوجه فضلا عن ان يعد كافرا حقيقة او كافر النعمة فانه كيف يعاتب من فعل فعلا برأيه على قصد الاصلاح التأديب بل يستحق لان يثني عليه ويستحسن فعله وان ادى الى القتل والاهلاك وقوله لانه كان صدقا لان تربيته له امر ظاهر معلوم لا يصح رده وانكاره فكان غير قادح فى دعواه لما تقرر فى العقول ان الرسول الى الغير اذا كان معه معجزة وحجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه اولم ينعم فلذلك لم يكن قول فرعون ألم نربك فينا وليدا ما فعاله ولا ضارا لموسى فلذلك لم يصرح برده (قوله وتلك التربية نعمة) اشارة الى ان تلك مبتدأ اشير به الى التربية المدلول عليها بقوله الم نربك ونعمة خبره وتمنها على صفة نعمة وأن عبدت خبر مبتدأ محذوف اى وهى فى الحقيقة تعبيدك قومى اقر عليه الصلاة والسلام بكون تلك التربية فى صورة النعمة والاحسان ثم ابطل كونها نعمة بكونها مسببة عن النقمة التى هى قهره بنى اسرآئيل بذبح ابنائهم فانه لولم يفعل ذلك لتكفلت امه بتربيته ولما قذفته فى اليم حتى يصل الى فرعون و يربى بتربيته فكيف يمتن عليه بما كان بلاؤه سببا له يقال عبدت فلانا واعبدته واستعبدته وتعبدته اذا اتخذته عبدا وقهرته وذللته (قوله او بدل نعمة) كأنه قيل وتلك نعمة تعبيدك بنى اسرآئيل فؤول المعنى الى ان تلك التربية تعبيدك بنى اسرآئيل ولا شك فى ان التربية ليست نفس التعبيد الا انها لما وقعت بسبب التعبيد وتتيجة له جعلت نفس التعبيد مبالغة فى السببية والاستلزام (قوله اوالجر باضمار الباء اونصب بحذفها) كما ان محل الضمير البارز فى تمنها كذلك فان تمن يتعدى بالباء فهى مضمرة والتقدير تمن بها او محذوفة كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه وعلى التقدير ين يكون أن عبدت بدلا من هاء تمنها (قوله الى خصلة شنعاء مبهمة) وصف الخصلة بالشنعاء دلالة على ان القصد بلفظ تلك الدال على بعد المشار اليه تحقيره اوتنزيل بعده عن ساحة الحضور والخطاب وانحطاط درجته منزلة بعد المسافة وجعل المشار اليه مبهما لعدم كونه من الامور الخارجية المتقدم ذكرها بل هو امر ذهنى تصوره عليه الصلاة والسلام واشار اليه بقوله تلك ثم فسره بما اخبر عنه فانه عليه الصلاة والسلام تصور قوله نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرآئيل بانها من حيث انها نعمة تمنها على تكون خصلة شنعاء فاشار اليها بتلك وجعلها مبهمة ثم بينها بقوله أن عبدت كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ فكان المعنى هى تعبيدك بنى اسرآئيل فكان اللعين وان امتن بتربيته اياه الا ان تلك التربية لما كانت

وتلك التربية نعمة تمن على بها ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرآئيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانهم السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اى أوتلك نعمة تمنها على وهى ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة اوالجر باضمار الباء اوالنصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بنى اسرآئيل نعمة تمنها على وانما وحد الخطاب فى تمنها وجمع فيما قبله لان الخوف كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه (قال فرعون وما رب العالمين) لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه

لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه ثانياً بالاستفسار عن حقيقة المرسل (قال رب السموات والارض وما بينهما) عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله (ان كنتم موقنين) اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم

ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لابد وان يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته (قال لمن حوله ألا تستمعون) جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) عدولاً الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل (قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون) اسأله عن شيء ويجيبني

مسببة عن تعبيده بني اسرائيل كان الامتنان بالتربية امتنانا بتعبيدهم (قوله لم يرعو) اي لم يكف ولم يمتنع وهو من رعا يرعو اي كف عن الامر يقال ارعوى عن القبيح وتقديره ارعوو ووزنه افعلل ولم يدغم لسكون الياء المبدلة من الواو ولوقوعها رابعة في الطرف (قوله شرع في الاعتراض على دعواه) لم يذكروا في نظم هذه الآية أن موسى عليه الصلاة والسلام دخل على فرعون وادى الرسالة وقال له انا رسول رب العالمين الا ان المصنف اشار اليه بقوله قال فرعون لموسى بعدما اتياه فقالا له ذلك كما ذكرناه هناك وانه تعالى لما قال لهما فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين استلزم ذلك أنهما اتياه وقالا له ذلك حين دخلا عليه فعند ذلك قال فرعون وما رب العالمين يسأله عن حقيقته الخاصة ويقول أي شيء هو مما يطلق عليه اسم الشيء كأنه يريد به التعريض بانكار الاله ويدل عليه قوله تعالى بعد هذا حكاية عنه لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين فأجابه عليه الصلاة والسلام بما فيه انكار الهيته وان يكون رب العالمين تعريضا حيث قال رب السموات والارض وما بينهما كأنه قال انت احقر من ذلك واذل فان رب العالمين رب السموات والارض ومدبر امرهما وامر اهلهما على التفصيل ثم قال ان كنت انت وهؤلاء البهائم الذين اتخذوك الها وسموك رب العالمين من الذين يحققون الاشياء بالنظر الصحيح الذي يؤديهم الى الايقان علمتم ان العالم عبارة عن كل مايعلم به الخالق من السموات والارض وما بينهما وان ربها هو الذي خلقها ورزق من فيها ودبرامورها فيجب ان يكون واجبا لذاته مبدأ لجميع الممكنات وعلمتم ايضا ان ذلك الواجب لايمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية فتعجب اللعين من جوابه فقال لمن حوله الا تستمعون اطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية ويزعم ان السموات ممكنة مربوبة وهي واجبة متحركة لذاتها فثنى عليه الصلوة والسلام بقوله ربكم ورب آبائكم الاولين استدل اولا بامكان الاجرام العلوية والسفلية واحتياجها الى مؤثر واجب لذاته على وجود رب يستند اليه جميع الموجودات ثم خص من جملة الموجودات بأسرها ماهو اقرب بالنسبة الى المستدل وهو نفسه ومن ولد هو منه فان دليل الانفس اقرب من دليل الآفاق واظهر دلالة على المؤثر القادر الحكيم فعدل اليه

عن آخر وسماه رسولا على السخرية (قال رب المشرق والمغرب ومابينهما) تشاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات (ان كنتم تعقلون) ان كان لكم عقل علمتم ان لاجواب لكم فوق ذلك

لآيتهم أولاثم لما رأى شدة شكيمتهم وخشاتهم عارضهم بمثل مقالتهم (قال لئن تخذت آلهاغيرى لأجعلنك من المسجونين) عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه للالوهية وانكاره للصانع وتعجبه بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا او اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام فى المسجونين للعهد اى ﴿٤١٦﴾ ممن عرفت حالهم فى سجونى

فانه كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لأسجننك (قال أولو جئتك بشىء مبين) اى أتفعل ذلك ولو جئتك بشىء يبين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل (قال فأت به ان كنت من الصادقين) فى ان لك بينة او فى دعواك فان مدعى النبوة لابد له من حجة (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر (ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) روى ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق (قال للملأ حوله) مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (ان هذا لساحر عليم) فائق فى علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه

اشعارا بغباوتهم وايضا يمكن ان يتوهم كون السموات والارضين واجبة لذاتها غنية عن الخالق ولا يتوهم ذلك فى انفسهم وآبائهم واجدادهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته ووجب ان يكون وجوده مستندا الى مؤثر واجب لذاته فكان التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا عدل موسى عليه الصلوة والسلام اليه وقوله ويشك منصوب معطوف على ان يتوهم وقوله ويكون مرفوع معطوف على قوله لا يمكن فعند ذلك احتد اللعين وغضب ونسبه الى الجنون استكبارا وعنادا قائلا المقصود من سؤالنا طلب الماهية والحقيقة والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيد تلك الخصوصية فهذا الذى يدعى الرسالة مجنون لا يفهم المقصود من السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فعاد نبى الله الى تعريف ثالث اوضح من الثانى فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وذلك لانه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوالها وظاهر ان التقدير على هذا الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر حكيم وهذا بعينه طريقة ابراهيم مع نمرود فانه عليه الصلاة والسلام استدل بالاحياء والاماتة حيث قال ربى الذى يحيى ويميت فلما عارضه نمرود اللعين بقوله انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر فكذا موسى عليه الصلاة والسلام عرف رب العالمين بقوله ربكم ورب آبائكم الاولين فانه بمنزلة الاستدلال بالاحياء والاماتة ثم عرفه بقوله رب المشرق والمغرب فانه بمنزلة قول الخليل فأت بها من المغرب واما قوله ان كنتم تعقلون فكأنه عليه الصلاة والسلام قال ان كنت من العقلاء عرفت انه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت لانك طلبت منى تعريف حقيقته وقد ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزاء حقيقته فلم يبق الا ان اعرفه بالآثار الخارجية والافعال المختصة به وانى عرفت حقيقته بتلك الآثار فثبت ان كل عاقل يقطع بانه لا جواب عن هذا السؤال الا ما ذكرته (قوله لاينهم اولا) جواب عما يقال كيف قال اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون

(قالوا ارجه واخاه) أخر امرهما وقيل احبسهما (وابعث فى المدآئن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يأتوك بكل سحار عليم) يفضلون عليه فى هذا الفن وقرئ بكل ساحر (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل انتم مجتمعون) فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا ٭ هل انت باعث دينار لحاجتنا ٭ اوعبد رب اخا عون بن مخراق اى ابعث احدهما الينا سريعا (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا

فانه معارض لقول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون (قوله ارجه) قرآءة ابن كثير وهشام هنا وفى سورة الاعراف ارجئه بالهمزة وضم الهاء يصلها بواو وابو عمرو بالهمزة وضم الهاء من غير صلة وابن ذكوان بالهمزة وكسر الهاء ولا يصلها بياء وقالون بغير همزة وتختلس الكسرة وورش بغير همزة وبصل الهاء بياء وعاصم وحمزة بغير همز ويسكنان الهاء والهاء فى الوقف ساكنة بلا خلاف الا فى مذهب من ضمها سوآء وصلها اولا يصلها فان الروم والاشمام جائز ان فيها كذا فى تفسير القرآءة يقال ارجأت الامر بالهمزة وارجيته بالياء كلاهما بمعنى اخرته وقرئ وآخرون مرجون لامر الله ومرجون الامر لله اى مؤخرون حتى ينزل فيهم ما يريد (قوله شرطا يحشرون) اشارة الى ان قوله حاشرين صفة موصوف وهو مفعول ابعث والسرط جمع شرطة بسكون الرآء وفتحها وهى اسم لخيار الجند وهم اول كتيبة يحضرون الحرب الجوهرى الشرط بالتحريك العلامة وأشرط فلان نفسه لامر كذا اى اعلمها واعدها قال الاصمعى ومنه سمى الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها الواحد شرطة وشرطة وقال ابوعبيدة سموا شرطا لانهم اعدوا (قوله لما وقت من ساعات يوم معين) يعنى ان الميقات ههنا الوقت المضروب للفعل ويطلق ايضا على المكان المعين له ومنه ميقات الاحرام يقال هذا ميقات اهل الشام للموضع الذى يحرمون منه واضيف الميقات الى اليوم على طريقة اضافة الشئ الى زمانه لكون الميقات جزأ من ذلك اليوم وساعة من ساعاته فبين بالاضافة اليه كانه قيل الميقات الذى هو فى ذلك اليوم وجزؤ منه واليوم المعلوم هو يوم الزينة وهو يوم عيد كان لهم فى كل عام وروى عن ابن عباس انه قال وافق يوم السبت فى اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وقيل كان ذلك يوم عاشورآء وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى عليه الصلاة والسلام من يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار واختاره قوم فرعون ايضا ليظهر فساد قول موسى عليه الصلاة والسلام بحضر الجمع العظيم ورضى فرعون بما قالوه وعمى عما شاهدوه لان حب الشئ يعمى ويصم وكان هذا ايضا من لطف الله تعالى فى ظهور امر موسى (قوله اوعبد رب) منصوب بالعطف على محل دينار فانه وان كان مجرورا لفظا بالاضافة الا انه فى محل النصب على انه مفعول باعث ودينار اسم رجل وكذا عبد رب واخا عون منادى مضاف اى يا اخا عون ولو اريد بقوله هل انتم مجتمعون حقيقة الاستفهام لجئ بجواب الناس فعلم منه انه استبطاء اريد به الحث على مبادرتهم الى الاجتماع وكذا فى البيت قال الامام روى

أو الترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لايتبعوا موسى لاان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام
مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ﴿٤١٨﴾ أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال

نعم وانكم اذا لمن المقربين) التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان (قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون) ى بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لامحالة توسلا به الى اظهار الحق (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) قسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم او لاتيانهم بأقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر (فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف) تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف (ما يأفكون) ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة (فألقي السحرة ساجدين) لعلمهم بان مثله لايتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل

ان العصا لما انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا اخذتها فأخذها فصارت عصا ثم قال فان قيل كيف قال هنا ثعبان مبين وفي آية اخرى فاذا هي حية تسعى وفي آية ثالثة كأنها جان والجان ما يميل الى الصغر والثعبان الى الكبر فأجاب عنه بقوله اما الحية فهي اسم جنس ثم اذا كبرت صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعة حركتها فصح الكلام اذا ويحتمل انه شبهها بالشيطان لقوله والجان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا والمراد بقوله ثعبان انه بين للناظرين انه ثعبان حقيقة بحركاته وبسائر ما فيه من العلامات وليس يشبه الثعبان في صورته فقط كما اظهره السحرة (قوله والترجي باعتبار الغلبة) اى وترجي الاتباع باعتبار ترجي الغلبة فالمراد انا نرجو ان تكون الغلبة لهم فنتبعهم الا انهم علقوا الترجي باعتبار غلبة السحرة عدولا الى طريق الكناية التي هي ابلغ (قوله ولم يرد به امرهم بالسحر) جواب عما يقال كيف جاز لموسى ان يأمر السحرة بالقاء الحبال والعصي وذلك سحر وتلبيس وكفر والامر بمثله لا يجوز (قوله وقرأ حفص تلقف بالتخفيف) اى باسكان اللام مخففا والباقون بفتح اللام مشددا والتلقف تناول الشيء بسرعة واصله تتلقف بتاءين حذفت احداهما والافك بالكسر الكذب وبالفتح مصدر قولك افكه يأفكه افكا اى قلبه وصرفه عن الشيء ومنه قوله قالوا أجئتنا لتأفكنا عما وجدنا عليه آباءنا جعل المصنف كلمة ما موصولة بحذف العائد ثم جوز كونها مصدرية والافك بالمعنى المصدري لايصح ان يتعلق به التلقف سواء جعل بمعنى الاخذ او بمعنى الابتلاع وجعل الافك بمعنى المأفوك وسمى الحبال بالافك مبالغة كأنها عين الافك كما في قولهم هذا ضرب الامير اى مضروبه (قوله وتزويق) اى تحسين يقال زوقت الكلام والكتاب اذا حسنته ووجه الدلالة على ان منتهى السحر تمويه وتزويق ان حقيقة الشيء لو انقلبت الى حقيقة شيء آخر بالسحر لما عدوا انقلاب العصا حية من قبيل المعجز الخارجة عن حد السحر ولما خروا ساجدين عند مشاهدتهم سحره ووجه دلالته ان التبحر في كل فن نافع اذا لسحرة لو لم يكونوا في الطبقة العالية من علم السحر ولم يكونوا عالمين ان منتهى السحر انما هو التمويه والتزويق لما تيقنوا ان ما جاء به موسى ليس بسحر وما كان ذلك التيقن الا ببركة تبحرهم في علم السحر (قوله وانما بدل الخرور بالالقاء)

شيأ لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا (يعني)
نفسهم فكأنهم اخذوا وطرحوا على وجوههم وانه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق (قالوا آمنا برب العالمين)

يعنى ان المعنى خروا وسقطوا ساجدين لكن عدل الى هذا القول للمشاكلة لقوله ألقوا اما انتم ملقون فألقوا حبالهم وألقى موسى عصاه وليدل على انهم لم يتمالكوا انفسهم حين ماشاهدوا امرا خارجا عن السحر فخروا بدون الاختيار كأن ملقيا اخذهم وألقاهم على وجوههم فقوله فألقى السحرة استعارة تبعية (قوله بدل من ألقى) فلذلك لم يتخلل بينهما عاطف (قوله ابدال للتوضيح ودفع التوهم) فان من قال لئن اتخذت الها غيرى وتعجب من نسبة الربوبية الى غيره فقال الا تستمعون لايبعد ان يتوهم ان السحرة ارادوا بقولهم آمنا برب العالمين الايمان بربوبية اللعين فأبدلوا منه رب موسى وهرون ليندفع ذلك الوهم وتشعر اضافته اليهما ان الموجب لايمانهم به ماشاهدوا من اثر قدرته الباهرة وهو ما اجراه على ايديهما فلما سمع اللعين انهم باجمعهم آمنوا بالله تعالى وصرفوا وجوههم عنه خاف ان يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا الا عن معرفة بصحة امر موسى فيؤمنوا به كالسحرة فبادر الى ان يلبس على قومه وينفرهم عن موسى واتباعه فقال اولا للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اراد به وصفهم بسرعة الاغترار وسوء التدبير والسفاهة ثم قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر تصريحا بما ذكره اولا بطريق الرمز كأنه قال ان استاذكم هذا لم يعلمكم بعض اسرار صنعته ليغلب به عليكم وقت الحاجة فاغتررتم وظننتم انه غلب عليكم بالمعجز الالهى وليس كذلك فانه انما غلب عليكم بقوة علم السحر لكونكم لم تحيطوا بما احاط به علما ويحتمل ان يكون مراده وصفهم بالخيانة على سلطانهم بعصيانه وتغرير عينه عنه كأنه قال لم تهتموا فى اظهار صنعتكم والغلبة على خصمكم لمواطأة بينكم وبينه ليظهر امره ويتم مقصوده والافكيف عجزتم عن ان تفعلوا مثل مافعله ساحر مثلكم ثم اوعدهم على الاجمال والابهام فقال فلسوف تعلمون ثم فصل ذلك المجمل وبين ذلك المبهم فقال لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى من اجل خلاف ظهر منكم على ان كلمة من للتعليل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا وتفسير قطع اليد والرجل من خلاف بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى كما فى الحدود لايناسب لحال فرعون ولما هو بصدده لانه تخفيف للعقوبة واعراض عن تفويت منفعة البطش والمشى على الجانى ومن لم يخطر بباله هذا التأويل قال قوله هذا دليل على حمقه حيث اوعدهم فى موضع التغليظ بما وضع للتخفيف وليس فى الآية مايدل على انه فعل بهم ذلك اولم يفعل والله اعلم بذلك (قوله لاضرر علينا فى ذلك) تقدير للخبر المحذوف وليس مرادهم ان ما اوعدهم به ان وقع لايضرهم اصلا بل المراد ان ذلك ليس ضررا بل نفعا عظيما لنا من حيث كون

بدل من ألقى بدل الاشتمال اوحال باضمار قد (رب موسى وهرون) ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيأ دون شئ ولذلك غلبكم او فواد عكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر وروح ءآمنتم بهمزتين (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم وقوله (لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين) بيان له (قالوا لاضير) لاضرر علينا فى ذلك (انا الى ربنا منقلبون) بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها (انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا) لأن كنا (اول المؤمنين) من اتباع فرعون اومن اهل المشهد والجملة فى المعنى

بتعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي (واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي) وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا ﴿ ٤٣٠ ﴾ الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم (فأرسل فرعون) حين اخبر بسراهم (في المدائن حاشرين) العساكر ليتبعوهم (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل (وانهم لنا لغائظون) لفاعلون ما يغيظنا (وانا لجميع حذرون) وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من (مخالفتهم) شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه واعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني للتجديد وقيل الحذر

الصبر عليه مؤديا الى تكفير الخطيئات ورفع الدرجات او من حيث انه من جملة اسباب الانقلاب الى ربنا وانه انفعها وارجاها فمعنى الاستئناف على هذا ان عدم وقوع ما توعدنا به لا ينجينا من الموت حتى يكون وقوعه ضررا مؤديا اليه فان الانقلاب الى الموت الذي لا حاكم على الانسان بعده سوى الله امر كائن لا محالة باي سبب كان فلا وجه للاحتراز عن خصوص شئ من اسبابه لكونه اضر من غيره كانه قيل لا ضرر علينا في ذلك بالنسبة الى سائر اسباب الموت لانا مائتون لا محالة باي سبب كان فلنمت بهذا السبب والمعنى الاول لا ضرر علينا بل فيه نفع عظيم لنا من حيث كون الصبر عليه مؤديا الى الكرامة عند الله تعالى (قوله تعليل ثان لنفي الضير) هذا ظاهر على تقدير ان يكون خلاصة التعليل الاول انا منقلبون الى الموت بسبب من الاسباب فلا ضير في بعضه بالنسبة الى الباقي واما على تقدير كون خلاصته انا الى كرامة ربنا منقلبون بذلك فالظاهر كونه تعليلا للعلة المتقدمة (قوله او على طريقة قول المدل بأمره) اي الواثق به يقال ادل بالامر اذا وثق به واعتمد عليه (قوله من سرى) يعني ان سرى واسرى لغتان بمعنى يقال سرى يسري بالكسر سرى بالضم وسرى بالفتح واسرى ايضا اي سار ليلا روي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوت القبط ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجدا واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني آمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل اولاد القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم والفطير خلاف العجين اي الذي لا يختمر وكل شئ اعجلته عن ادراكه فهو فطير ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك امري وموسى لا يشعر به (قوله لفاعلون ما يغيظنا) اي ما يغضبنا يقال غاظه واغاظه وغيظه اذا اغضبه والاول اشهر واكثر واختلف في الفعل الذي غاظهم وضاقت به صدورهم فقيل ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعار واحليهم وحلاهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جانب البحر فرادهم بالفعل الذي غاظهم ما اخذوه من العواري وقيل المراد به خروجهم عن عبودية فرعون واستقلالهم بانفسهم وقيل المراد به

المؤدى فى السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اى اقوياء قال
* احب الصبي السوء من اجل امه * وابغضه من بغضها وهو حادر * او تاموا السلاح فان ذلك يوجب
حدارة فى اجسامهم (فأخرجناهم) بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه (من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم) يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية (كذلك) مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر
او مثل ذلك المقام الذى كان لهم ﴿٤٢١﴾ على انه صفة مقام اوالامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف
(واورثناها بنى اسرائيل
فأتبعوهم) وقرئ
فاتبعوهم (مشرقين)
داخلين فى وقت شروق
الشمس (فلما تراءى الجمعان)
تقاربا بحيث رأى كل
منهما الآخر وقرئ
تراءت الفئتان (قال
اصحاب موسى انا لمدركون)
لملحقون وقرئ لمدركون
من ادرك الشئ اذا تتابع
ففنى اى لمتتابعون فى
الهلاك على ايديهم (قال
كلا) ان يدركوكم فان الله
وعدكم الخلاص منهم
(ان معى ربى) بالحفظ
والنصرة (سيهدين)
طريق النجاة منهم روى
ان مؤمن آل فرعون
كان بين يدى موسى
فقال اين امرت فهذا
البحر امامك وقد غشيك
آل فرعون قال امرت
بالبحر ولعلى اومر بما اصنع (فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) القلزم او النيل (فانفلق) اى
فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك (فكان كل فرق كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت
فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب (وازلفنا) وقربنا (ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى
دخلوا على اثرهم مداخلهم (وانجينا موسى ومن معه اجمعين) بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
(ثم اغرقنا الآخرين) باطباقه عليهم (ان فى ذلك لآية)

مخالفتهم فى الدين وخروجهم عنه (قوله المؤدى فى السلاح) بالهمزة اسم
فاعل من آدى الرجل اى قوى من جهة الاداة والسلاح (قوله بان خلقنا داعية
الخروج) يعنى انهم وان خرجوا باختيارهم الا انه اسند الاخراج اليه تعالى
اسنادا مجازيا من حيث انه تعالى خلق فى قلوبهم داعية الخروج فاستلزمت
الداعية الفعل وهو الخروج من جنات اى بساتين كانت لهم وعيون اى انهار
جارية وكنوز اى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة ونحوهما سماها كنوزا
لان مالم يؤد منه حق الله تعالى كنز وان كان ظاهرا على وجه الارض وما أودى
منه حق الله تعالى ليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين ويعنى بالمقام الكريم
المنازل الحسنة من منازل الامراء والرؤساء التى تحدق بها الاتباع (قوله مثل
ذلك الاخراج) يعنى ان محل الكاف اما النصب على انه صفة مصدر محذوف
واما الجر على انه صفة مقام واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقرأ العامة
فأتبعوهم بقطع الهمزة من اتبعه بمعنى لحقه فالمعنى لحق فرعون وقومه قوم موسى
داخلين فى وقت شروق الشمس اى طلوعها على ان مشرقين حال اما من الفاعل
او من المفعول او منهما جميعا لان الدخول فى وقت شروق الشمس قائم بهم جميعا
يقال تبعه اذا قفا أثره وأتبعه اذا لحقه (قوله وقرئ لمدركون) اى بتشديد
الدال وكسر الراء من الادراك وهو التتابع فى الهلاك يقال ادرك الشئ اذا تتابع
بعضه بعضا ففنى ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم فى الآخرة اى جهلوا علم
الآخرة قيل الادراك والتتابع من الاسماء الغالبة فى الهلاك كالداهية والبين والسنة
والنكبة والقحط وقوله فانفلق عطف على محذوف والانفلاق الانشقاق اى فانشق
البحر وتفرق اثنى عشر فرقا اى طريقا لكل سبط منهم طريق وقام الماء عن يمين
الطريق وعن يساره كالجبل العظيم كما قال تعالى كل فرق كالطود العظيم
والطود الجبل وعظمه لارتفاعه طولا نحو السماء (قوله وقربنا) وقيل جمعنا
ومنه ليلة المزدلفة اى ليلة الجمع وثم وثمة طرف مكان بعيد والمراد بذلك المكان

حيث انفلق البحر والآخرين مفعول ازلفنا والمعنى قربناهم من بني اسرائيل اوقربنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لاينجو منهم احد أوقدمناهم للبحر روى ان جبريل كان بين بني اسرائيل و بين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم و يستقبل القبط و يقول رويدكم ليلحق آخركم اولكم وروى ان موسى قال عند ذلك يامن كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجا وهذا معجز عظيم من وجوه احدها انفراق ذلك الماء وثانيها اجتماع ذلك الماء فرقا كل فرق كالجبل العظيم وثالثها انه ثبت في الخبر انه تعالى ارسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ماحيرهم فاحتبسوا القدر الذى تكامل فيه عبور بني اسرائيل ورابعها ان الله تعالى جعل في تلك الجدران المائية كوى ينظر منها بعضهم الى بعض وخامسها ان ابقى الله تلك المسالك حتى قرب آل فرعون ان يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه الصلاة والسلام فجعل الله ذلك البحر طريقا يبسا لبني اسرائيل حتى خرجوا منه سالمين واغرق فرعون ومن معه فانه لما تكامل دخولهم في البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا اجمعين (قوله وأية آية) يعني ان التنكير في قوله لآية للتعظيم والتفخيم وفيه تسلية النبي عليه الصلاة والسلام لانه قد يغتم قلبه المنير بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات على يديه فذكر له امثال هذه القصص ليقتدى بمن وله من الانبياء في الصبر على عناد قومه والانتظار لمجيء الفرج (قوله وبنوا اسرائيل بعدما نجوا) مبتدأ وسألوا بقرة خبره يعني بعدما نجوا من الغرق ارتد اكثرهم وماداموا على الايمان يريد ان ضمير اكثرهم يعود الى من عاين هذه الآية العظيمة وأشاع امرها فيما بينهم سواء كان من القبط اومن بني اسرائيل و يجوز ان يكون الضمير فيه راجعا الى القبط خاصة فانه روى انه لم يؤمن من اهل مصر غير امرأة فرعون وحزقيل من آل فرعون ابن عمه ومريم بنت ناموسا التى دلت على عظام يوسف فان موسى عليه الصلاة والسلام لما اسرى بني اسرائيل من مصر اراد ان يأخذ معه جسد يوسف فلم يجد من يعرف قبره سوى تلك المرأة (قوله سألهم) مع انه عليه الصلاة والسلام يعلم انهم عبدة الاصنام فقال اى شيء تعبدون لينبههم على ضلالهم وكان يكفيهم في الجواب ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو اى ينفقون العفو الا انهم اطالوا جوابهم بان زادوا قولهم نعبد ولم يقتصروا على زيادته بل زادوا ايضا قولهم فنظل لها عاكفين فانه كان يكفيهم في الجواب ان يقولوا نعبد اصناما فلم يقتصروا عليه بل عطفوا عليه فنظل لها عاكفين اظهارا لما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار بعبادة الاصنام والتبجح بتقديم الجيم على الحاء الفرح يقال بجحته انا تبجيحا فتبجح

(اي فرحته)

وأية آية (وماكان اكثرهم مؤمنين) وماتنبه عليها اكثرهم اذلم يؤمن بها احد ممن بقى في مصر من القبط وبنوا اسرائيل بعد مانجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من اعدائه (الرحيم) باوليائه (واتل عليهم) على مشركى العرب (نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون) سألهم ليريهم ان مايعبدونه لايستحق العبادة (قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين) فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم)

اى فرحته ففرح ويقال ظلات اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملت بالنهار دون الليل والظاهر ان عبادتهم الاصنام لاتختص بالنهار فلذلك قالوا فظل ههنا بمعنى ندوم (قوله يسمعون دعاءكم اويسمعونكم تدعون) يعنى ان حق يسمعون ان يتعدى الى مفعول واحد من قبيل الاصوات المسموعة نحو سمعت كلامك وسمعت حديث زيدا و يتعدى الى مفعولين اولهما من قبيل الجواهر العينية وثانيهما من قبيل الاصوات المسموعة نحو سمعت زيدا يقرأ ولايجوز سمعت زيدا ولاسمعت زيدا يقوم لان القيام ليس مما يسمع وقوله يسمعونكم من قبيل سمعت زيدا فلابد ان يحمل على تقدير المضاف اوعلى تقدير المفعول الثانى الذى يكون من قبيل المسموعات (قوله ومجيئه مضارعا) جواب عما يقال ان كلة اذ ظرف لما مضى والزمان الماضى لايكون طرفا لما سيكون فالظاهر ان يقال هل سمعوا دعاءكم وأسمعوكم الجواب اذدعوتموهم وتقرير الجواب ان اصل الكلام ماقلتم الاانه عدل الى لفظ المضارع على حكاية الحال الماضية ومعناها استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا واسمعوا اذ دعوتموهم وتقرير الحجة التى ذكرها ابراهيم لابيه وقومه ان من عبد غيره لابد ان يلتجئ اليه فى قضاء حاجته وان المعبود لابد ان يكون عارفا مراده ويسمع دعاءه ثم يستجيب له فى جلب منفعة اودفع مضرة فقال عليه الصلاة والسلام لهم اذا كان الذى تعبدونه ساقطا عن هذه المنزلة بالكلية كيف تعبدونه فعند قيام هذه الحجة الباهرة لم يجد قومه مايدفعون به حجته فتمسكوا بالتقليد فقالوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اى وجدناهم يفعلون مثل فعلنا على ان كذلك منصوب بيفعلون و يفعلون مفعول ثان لوجدنا ولما ان كان خلاصة جوابهم انا وافقنا آباءنا فيما ثبت بطلانه بما اقمته من الحجة قال لهم ابراهيم افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الا قدمون فان الباطل لاينقلب حقا بكثرة فاعليه وكونه دأبا قديما ثم انه عليه الصلاة والسلام ترقى فى تخطئتهم فقال ان ماكنتم تعبدون اعداء لعابديهم فضلا عن ان ينفعوهم او يضروهم فانهم يتبرأون من عبدتهم و يضادونهم كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم و يكونون عليهم ضدا (قوله من حيث انهم يتضررون من جهتهم) جواب عما يقال كيف وصف الاصنام بالعداوة وهى جمادات لاتتصور العداوة منهن يعنى انها شبهت بالعدو من حيث كونها سببا للحوق المضرة بهم فسميت عدوا على سبيل الاستعارة وتقرير الجواب الثانى انها وصفت بالعداوة لكون السبب الحامل على عداوتهـا اعدى عدو الانسان وهو الشيطان فهو من قبيل الاسناد المجازى حيث اسند وصف

يسمعون دعاءكم اويسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة (اذتدعون) عليه وقرئ يسمعونكم اى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذعلى حكاية الحال الماضية استحضارا لها (او ينفعونكم) على عبادتكم لها (اويضرون) من اعرض عنها (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر اونفع والتجؤا الى التقليد (قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون انتم وآباؤكم الا قدمون) فان التقدم لا يدل على الصحة ولاينقلب به الباطل حقا (فانهم عدولى) يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق مايتضرر الرجل من جهة عدوه اوان المغرى بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر فى نفسه تعريضا لهم فانه انفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه فى الاصل مصدرا و بمعنى النسب (الارب العالمين)

استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله (الذى خلقنى فهو يهدين) لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذى قدر فهدى، هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله (والذى هو يطعمنى ويسقين) على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم (واذا مرضت فهو يشفين) عطفه على يطعمنى ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب

السبب الحامل الى مسببه (قوله استثناء منقطع) لكونه تعالى غير داخل فيما يرجع اليه ضمير انهم وهو ما كان قومه يعبدون والمعنى لكن رب العالمين الذى شانه كذا وكذا هو المستحق للعبادة ولم يذكر المفعول به الخبر الصريح لقوله يهدين ليعم كل ما هداه الله تعالى اليه من امور المعاش والمعاد كما اشار اليه بقوله لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد وقوله الذى خلقنى يحتمل ان يكون فى محل الرفع على الابتداء فحينئذ يكون مبتدأ ثانيا ويهدين خبره والجملة خبر الاول دخلت الفاء فى خبره لتضمن المبتدأ معنى الشرط وقوله والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ لا يخلو عن بعد لان المقصود ههنا معين ليس بعام كما فى قولك الذى يأتينى فله درهم لان الصلة ليست مما يحتمل صدوره من المتعدد فلا تشبه الشرط فالظاهر ان يقال ان جعل الموصول مبتدأ تكون زيادة الفاء فى خبره مبنية على ما ذهب اليه الاخفش من جواز زيادة الفاء فى الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه ويحتمل ان يكون فى محل النصب على انه صفة رب العالمين فتكون الفاء لعطف الجملة الاسمية على خلقنى لتدل على ان هداية الله الى كل ما يحتاج اليه فى امر معاشه ومعاده متعلقة به على سبيل التجدد والاستمرار من حين ان خلقه الله فنفخ فيه الروح الى ابد الآباد والافى هداه الى ان تغذى بالدم فى بطن امه امتصاصا ومن هداه الى خروجه منها منكسا رأسه والى معرفة الثدى عند الارتضاع والى معرفة البكاء عند الحاجة الى الغذاء او عند حدوث الآلام والى دواء الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد (قوله فيكون اختلاف النظم) يعنى قال خلقنى بلفظ الماضى لان خلقه قد وقع على وجه لا يتجدد فى الدنيا بل لما وقع بقى الى الامد المعلوم وقال فهو يهدين بلفظ المستقبل لان الهداية مما يتجدد كل حين (قوله تعالى والذى هو يطعمنى ويسقين) اضاف الاطعام الى ولى الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام وليس الاطعام والسقى عبارتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له وتمليكهما اياه بل يدخل فيهما اعطاء جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقوة المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك واقتصر على ذكر الطعام والشراب من جملة ما يتوقف عليه انتظام حاله فى الدنيا ونبه بذكرهما على ما عداهما فيما قيل تقديم كلمة هو فى هذه الصلات دليل على انه لا يهدى ولا يطعم ولا يسقى ولا يمرض ولا يشفى الا الله وحده وذلك انهم كانوا يقولون المرض من الزمان والاغذية والشفاء من الاطباء والادوية فاعلم ابراهيم ان المؤثر فى جميع ذلك ليس الا رب العالمين (قوله لان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب) فان البطنة تورث الاسقام والاوجاع والحمية اصل الراحة والسلامة

وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه انما الضرر في مقدماته وهي ﴿ ٤٢٥ ﴾ المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض في غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم (والذي يميتني ثم يحيين) في الآخرة (والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين) ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا (رب هب لي حكما) كمالا في العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق (والحقني بالصالحين) ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب (٥٤) صلاحهم كبير ذنب (سا) ولا صغيره (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه

وعليه بنى الشاعر قوله

عدوك من صديقك مستفاد ❊ فلا تستكثرن من الصحاب

فان الداء اكثر ما تراه ❊ يكون من الطعام او الشراب

وقالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب انقطاع آجالكم لقالوا التخم وفي الحكمة ليس للبطنة خير من خمصة تتبعها (قوله وانما لم ينسب المرض اليه) ولم يقل واذا امرضني مع ان المرض والشفاء كلا هما من الله تعالى لان مقصود ابراهيم تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يضفه اليه تعالى ولما ورد على هذا الجواب ان يقال الاماتة اشد من المرض وقد اسندها عليه الصلاة والسلام اليه تعالى حيث قال والذي يميتني ثم يحيين اجاب عنه بانا لا نسلم انها اشد من المرض بل ليس فيها ضرر اصلا لان الضرر ما يتأذى الانسان باحساسه وحال حصول الموت لا يقع الاحساس به وانما الضرر في مقدماته وهي عين المرض ثم ترقى في الجواب وقال بقاء النفوس الزكية والارواح الطاهرة الكاملة في العلوم والاخلاق المرضية في هذه الاجساد عين الضرر في حقهم فخلاصهم منها عين السعادة لهم بخلاف المرض فكان نعمة عظيمة في حقهم فلذلك اضافه اليه تعالى (قوله ولان المرض) عطف على قوله لان مقصوده تعديد النعم اي لم ينسب المرض اليه تعالى لكونه في غالب الامر يحدث بتقصير الانسان ولما كان للانسان سببية ظاهرة في حدوث المرض نسب اليه وان كان الكل من عند الله وايضا لما كان حدوث المرض باستيلاء بعض الاخلاط على بعض من حيث انها كانت مكيفة بكيفيات متضادة كان بينها تنافر طبعا وذلك التنافر يستدعي استيلاء بعضها على بعض المستلزم لبطلان الاعتدال النوعي وسوء المزاج هو المرض فكان حدوث المرض مستندا الى الانسان وتنافر اخلاطه ولذلك اسند اليه بخلاف الصحة فانها انما تحصل عند بقاء الاخلاط على الاجتماع على الوجه الخاص المسمى بالاعتدال النوعي وذلك الاجتماع والاعتدال وكذا عود الاخلاط اليهما بعد طريان سوء المزاج انما يكون بسبب قاهر يقهرها عليهما من حيث انها بطباعها مائلة الى التفرق واستيلاء بعضها على بعض والسبب القاهر هو الله فلذلك اسندت الصحة والشفاء اليه واسند المرض الى العبد (قوله قهرا) منصوب على المصدرية لقوله باستحفاظ لانه نوع من الحفظ والاستحفاظ ابلغ من الحفظ فان استفعل قد يكون بمعنى فعل نحو طاف واستطاف (قوله كمالا في العلم والعمل) اي زيادة على ما اعطيتني من الحكمة وهي العلم الذي يفضي الى العمل بمقتضاه فان من يعلم شيأ ولا يأتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم (قوله وحسن صيت)

أو صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعوا الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه (واجعلني من ورثة جنة النعيم) في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها (واغفر لابي) بالهداية والتوفيق للايمان (انه كان من الضالين) طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به اولانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار (ولا تخزني) بمعاتبتي على مافرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء (يوم يبعثون) الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم)

الصيت الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح عبر عن اثناء الحسن والقبول العام في الامم التي تجيء بعده الى يوم القيمة باللسان لكون اللسان سببا في ظهوره وانتشاره وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد الى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلا على رضى الله ومحبته للعبد فانه تعالى اذا احب عبدا ايلق محبته الى اهل السموات والارض فتحبه الخلائق كافة حتى الحيتان في البحر والطيور في الهواء (قوله اوصادقا من ذريتي) فيكون ذكر اللسان من قبيل تسمية الكل باسم جزئه فتكون الآية نظير قوله تعالى حكاية عنه عليه الصلاة والسلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم وروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال سأخبركم باول امري انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور اضاءت لها منه قصور الشام (قوله وقد مر معنى الوراثة فيها) وهو ان تشبه الجنة التي استحقها العامل بعد فناء عمله بالميراث الذي استحقه الوارث بعد فناء مورثه فيطلق عليها اسم الميراث وعلى استحقاقها اسم الوراثة وعلى العامل اسم الوارث (قوله واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان) فانه يجوز الاستغفار للاحياء من المشركين لان المغفرة مشروطة بالايمان وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه فيكون الاستغفار لاحيائهم كناية عن طلب توفيقهم للايمان والذين لا يجوز هذا الاستغفار لهم هم من تبين انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وان كان هذا الاستغفار منه بعد موت ابيه كان لظنه انه قد آمن باطنا وان كان على دين نمرود ظاهرا اخوفا منه ولظنه هذا قد وعد اباه ان يستغفر له فلعله حيث قال لأستغفرن لك وان جاز ان يكون معناه لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ولا وجه لان يقال قوله ولذلك وعده به معناه ان اباه وعد ابراهيم بالايمان لانه روى ان اباه وعده به يوم فارقه الا انه لا يناسب هذا المقام قال الامام ان أباه قال له انه كان على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا فدعا له بالمغفرة لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه في الحال ليس بضال لما قال ذلك انتهى وحاصله انه دعا لابيه حال حياته بالمغفرة على اعتقاد انه مؤمن باطنا وان قوله انه كان من الضالين معناه انه كان فيما مضى من المشركين وعلى تقدير كون معنى الاستغفار لابيه طلب توفيقه للايمان يكون معنى قوله انه كان من الضالين انه من المشركين في الحال كما في قوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا فان كان فيه زائدة للتأكيد والمعنى من هو صبي في الحال (قوله ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت) حمل دعاءه عليه الصلاة والسلام بترك الاخزاء على الدعاء بترك المعاتبة على ما وقع منه مما هو من قبيل ترك الاولى كما هو المراد من الخطيئة

فى قوله أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين بخلاف ما وجل على ترك المعاتبة فان مغفرة الخطيئة لا تستلزم ترك المعاتبة فلذلك افرد الدعاء بتركها بعد ذكر مغفرة الخطيئة ثم جوزان يكون المراد منه الدعاء بترك تعذيبه بناء على ان قوله اطمع ان يغفرلى مبنى على الدلائل الدالة على كون الانبياء معصومين مأمونين من سوء العاقبة وان دعاءه بترك تعذيبه يوم البعث مبنى على انه لا يجب على الله تعالى لأحد شئ وانه يحسن منه كل شئ ولا اعتراض لاحد عليه فى شئ من افعاله فتكون العاقبة خفية من هذا الوجه مع جواز التعذيب لان حسنات الابرار سيئات المقربين فكذا درجات الابرار دركات المقربين وخزى كل واحد بما يليق به الجوهرى خزى بالكسر يخزى خزيا اى ذل وهان وخزى ايضا يخزى خزاية اى استحيى وخجل فهو خزيان وهى خزيا وهم خزايا (قوله اى لا ينفعان احدا الا مخلصا) على ان يكون مفعول لا ينفع محذوفا وهو قوله احد اوتكون من نكرة موصوفة فى محل النصب على انها بدل من المفعول المحذوف اوعلى الاستثناء المتصل منه (قوله اولا ينفعان الاما ل من هذا شانه) على ان يكون الا من اتى الله بدلا من فاعل ينفع بتقدير مضاف قبل من اتى (قوله اى لا ينفع غنى الا غناء) فان المال والبنين لكونهما من اسباب الغنى يمكن ان يراد بهما معنى الغنى مجازا مرسلا ثم يستثنى من جنس الغنى غنى من اتى الله بقلب سليم بناء على ادخال سلامة القلب فى جنس الغنى لاشتراكهما فى التأدية الى سعة الحال وقطع الاحتياج لانه من سلم قلبه من الشرك والمعاصى والاخلاق الذميمة يكون قلبه منورا بنور اليقين والتوكل والاعتماد على ضمان الله وكفالته فلا يحتاج الى احد سواه ويؤيده ما روى انه قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو علمنا اى المال خيرا لاتخذناه فقال عليه الصلاة والسلام افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه وقوله يوم لا ينفع بدل من يوم يبعثون وقوله وازلفت الجنة عطف على قوله يبعثون كانه قيل ويوم ازلفت وقوله وقيل لهم اى وقيل للغاوين على جهة التقريع والتوبيخ اين آلهتكم التى كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون ويمتنعون منه بانفسهم وباب افتعل هنا مطاوع فعل ثم يرميهم فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى فكبكبوا فيها هم اى الآلهة والغاوون (قوله تكرير الكب) اى تكرير عينه بنقله الى باب التفعيل لتكثير الفعل والكب الطرح والالقاء منكوسا يقال كببت الاناء اكبه كبا اذا قلبته فاصل كبكبوا كببوا فاستثقل اجتماع الباآت فابدلت الثانية كافا كما فى زحزح من زحه يزحه اى نحاه عن موضعه ثم نقل الى باب التفعيل لتكثير الفعل فقيل زححه فابدلت الحاء الثانية زايا فقيل زحزحه اى باعده جعل التكرير

من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله فى سبيل البر وأرشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عبادالله مطيعين شفعاءله يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اى لا ينفع غنى الاغناء وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه (وازلفت الجنة للمتقين) بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها (وبرزت الجحيم للغاوين) فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفى اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد (وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله) اين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم (او ينتصرون) بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال (فكبكبوا فيها هم والغاوون) اى الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من

ألقى فى النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر فى قعرها (وجنود ابليس) متبعوه من عصاة الثقلين اوشياطينه

في لفظ كبكب دليلا على التكرير في معناه كأنه اذا ألقي في جهنم ينكب مرة
بعد اخرى حتى يبلغ قعرها (قوله اجمعون تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ
خبره مابعده) فتكون الضمائر التي في قوله قالواوهم فيها يختصمون للجنود
ايضا اي يختصم الرؤساء منهم والاتباع ويجادل بعضهم بعضا بنحو ما ذكر
في قوله تعالى فيقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولاانتم لكنامؤمنين الى آخر
الآية (قوله اوالضمير) اي وان لم يجعل قوله وجنود ابليس مبتدأ يكون
اجمعون تأكيد الضمير كبكبوا وما عطف عليه من الغاوين والجنود (قوله
وكذا الضمير المنفصل) اي وكذا يكون الضمير المنفصل في قوله قالواوهم
فيها وما يعود اليه في قوله يختصمون راجعا الى ضمير كبكبوا وما عطف عليه
حينئذ اي على تقدير ان لايكون الجنود مبتدأ لان الاختصام يكون بين هؤلاء
المذكورين من الاصنام والعبدة والجنود اي شياطين ابليس وهم ذريته
الذين اضلوا بني آدم يجادل بعضهم بعضا بان ينطق الله الاصنام فتخاصم لعبدة
(قوله ويؤيده) اي ويؤيد كون التخاصم بين العبدة والمعبودين بان يرجع
الضمير ومايعود اليه الى ضمير كبكبوا وماعطف عليه خطاب المعبودين في قوله نسويكم
وضمير قالوا للعبدة (قوله ويجوز ان تكون الضمائر) اي الضمير المنفصل
وما يعود اليه للعبدة كضمير قالوا ويكون التخاصم لبعض العبدة مع بعض
ويكون خطاب الجمادات في قوله اذنسويكم على وجه الندامة والتحسر
من غير ان يحييها الله وينطقها لاعلى سبيل المخاطبة حقيقة وبعد الاعتراف
بالانهماك في الضلال عن الهدى يقولون وماأضلنا الاالمجرمون اي الشياطين
وقيل اي الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل كل من دعانا الى عبادة الاصنام
من الجن والانس قال تعالى حكاية عنهم ربنا انااطعناسادتنا وكبراءنافاضلونا السبيلا
(قوله تعالى اذنسويكم برب العالمين) ظرف للاستقرار الذي تعلق به كلمة في
في قوله لفي ضلال وقوله اوفمالنامن شافعين ولاصديق حميم ممن نعدهم الفرق
بين الاوجه الثلاثة ان المنفي في الوجه الاول مطلق الشفيع والصديق والثاني
شفاعة اشخاص معدودين مخصوصين وصداقتهم ممن عدوهم شفعاء واصدقاء
وفي الثالث مانفوا نفس الاصدقاء والشفعاء ولاشفاعتهم وصداقتهم وانمانفوا نفعهما
على سبيل الكناية من حيث ان مالانفع له في حكم المعدوم (قوله كالحنين)
مصدر حن اليه يحن حنينا اي اشتاق اليه فالحنين هو الشوق وتوقان النفس
والصهيل صوت الفرس يقال صهل الفرس يصهل بالكسر صهيلا (قوله
لتلاقيهما في معنى التقدير) اي تقدير المعدوم وفرضه فان معنى ليت لي
مالا تقدير المعدوم كما ان المعدوم في قولك لو كان كذا لكان كذا

وما يعود اليه في قوله
(قالوا وهم فيها
يختصمون تالله ان كنالفي
ضلال مبين) على ان الله
ينطق الاصنام فتخاصم
العبدة ويؤيده الخطاب
في قوله (اذنسويكم
برب العالمين) اي
في استحقاق العبادة ويجوز
ان تكون الضمائر للعبدة
كما في قالوا والخطاب
للمبالغة في التحسر
والندامة والمعنى انهم مع
تخاصمهم في مبدأ ضلالهم
معترفون بانهماكهم
في الضلالة متحسرون
عليها (وما اضلنا
الاالمجرمون فمالنامن شافعين)
كما للمؤمنين من الملائكة
والانبياء (ولاصديق حميم)
اذالاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين
اوفمالنا من شافعين
ولا صديق حميم ممن
نعدهم شفعاء واصدقاء
اووقعنافي مهلكة لايخلصنا
منها شافع ولاصديق
وجمع الشافع ووحدة
الصديق لكثرة الشفعاء في
العادة وقلة الصديق ولان
الصديق الواحد يسعى
اكثر مما يسعى الشفعاء
اولاطلاق الصديق على
الجمع كالعدو ولانه في الاصل
مصدر كالحنين والصهيل

من المؤمنين) جواب التمنى أو عطف على كرة اى اوأن لنا ان نكر فنكون (ان فى ذلك) اى فيما ذكر من قصة ابرهيم (الآية) لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها و يعتبر فانها جاءت على أنظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها الغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصور الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون أدعى لهم الى الاستماع والقبول (وماكان اكثرهم) اكثر قومه (مؤمنين) به (وان ربك لهو العزيز) القادر على تعجيل الانتقام (الرحيم) بالامهال لكى يؤمنوا هم اواحد من ذريتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقدمر الكلام فى تكذيبهم المرسلين (اذ قال لهم اخوهم نوح) لانه كان منهم (ألا تتقون) الله فتتركوا عبادة غيره (انى لكم رسول امين) مشهور بالامانة فيكم ﴿٤٢٩﴾ (فاتقوا الله واطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله (وما اسألكم عليه) على ما انا عليه من الدعاء والنصح (من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون) كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد وتبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشار بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك (قال وما علمى بما كانوا يعملون) انهم عملوه اخلاصا اوطمعا فى طعمة وما على الا اعتبار الظاهر (ان حسابهم الا على ربى) ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها (لو تشعرون) لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون مالا تعلمون (وما انا بطارد المؤمنين) جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله (ان انا الا نذير مبين) كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا اعزاء اواذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء اوما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح ولا على ان اطردهم لاسترضائكم (قالوا لئن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المشتومين او المضروبين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو

تقدير المعدوم الا انه فى التمنى مقرون بالطلب وفى لو ليس كذلك ويدل على ان كلمة لو هنا للتمنى انه نصب جوابه مع الفاء ويجوز ان تكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت ولوجدنا شفعاء واصدقاء وعلى هذا يكون نصب قوله فنكون بان مضمرة عطفا على كرة كقوله للبس عباءة وتقر عينى (قوله تعالى واتبعك الارذلون) جملة حالية من كاف لك باضمار قد والرذالة الخساسة والذلة وانما استرذلوهم لقلة جاههم ومالهم (قوله وايمانهم) معطوف على اتباع المقلين ودليلا معطوف على مانعا اى وجعلوا ايمان المقلين دليلا على بطلان ما يدعوهم نوح اليهم (قوله وما علمى) الظاهر ان ما فيه استفهامية فى محل الرفع على الابتداء وعلمى خبره ويجوز ان تكون نافية والباء متعلقة بعلمى على التقديرين وعلى الثانى لابد من اضمار الخبر ليتم الكلام (قوله اظهارا لما يدعو عليهم لاجله) يعنى ان قوله رب ان قومى كذبون لم يقله نوح افادة له تعالى بمضمون هذا الخبر ولا اعلاما بكونه عالما بمضمونه لعلمه انه تعالى عالم الغيب والشهادة ولكن اراد به انى لا ادعو عليهم لاجل تخويفهم اياى بالرجم واستخفافهم اياى بقولهم واتبعك الارذلون وانما ادعو عليهم لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبونى فى وحيك ورسالتك فافتح بينى وبينهم فتحا اى فاقض واحكم بينى وبينهم قضاء وحكما من الفتاحة وهى الحكومة والفتاح الحاكم سمى به لفتحه المنغلق من الامر كما سمى فيصلا لفصله بين الخصومات واراد به الحكم

لتكذيب الحق لانخو يفهم له واستخفافهم عليه (فافتح بيني و بينهم فتحا (فاحكم بيني و بينهم من الفتاحة (ونجني ومن معي من المؤمنين) من قصدهم اوشؤم عملهم (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) المملوء (ثم أغرقنا بعد) بعد انجائه (الباقين) من قومه (ان في ذلك لآية) شاعت وتواترت (وماكان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين) انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم (اذقال لهم اخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجران اجرى الا على رب العالمين) تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب الدعو الى ثوابه و يبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين من المطامع الدنية والاغراض الدنيوية ﴿٤٣٠﴾ (أتبنون بكل ريع) بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها (آية) علما للمارة (تعبثون) ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن يمر عليهم اوقصورا يفتخرون بها (وتتخذون مصانع) مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا (لعلكم تخلدون) فتحكمون بنيانها (واذا بطشتم) بسوط اوسيف (بطشتم جبارين) متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة (فاتقوا الله) بترك هذه الاشياء (واطيعون) فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم (واتقوا الذى امدكم بما تعلمون) كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في ألا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال (امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون) ثم اوعدهم فقال (انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام (قالوا سواء علينا أوعظت ام لم تكن من الواعظين) فانا لا نرعوى عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه (ان هذا الا خلق الاولين) ما هذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب

بازال العقوبة لقوله عقيبه ونجني ولولا ان المراد انزال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معنى وقوله تعبثون جملة حالية من فاعل تبنون والريع بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهي في اللغة المكان المرتفع وكانوا يبنون في المواضع المرتفعة من الطريق اعلاما طوالا ليهتدى المارة بها في أسفارهم فعده هود عبثا لاستغنائهم عنها بالنجوم (قوله مآخذ الماء) يعني الحياض واحدها مصنعة ولعل هنا على بابها والمعنى وتتخذونها ترجون الخلود وقيل معناها التشبيه اى كأنكم تخلدون اى تبقون فيها خالدين ويؤيده ما في مصحف ابى كانكم تخلدون بضم التاء مخففة ومشددة وبخهم اولا باضاعتهم المال عبثا بلا فائدة وثانيا باحكامهم البناء على وجه يدل على طول الامل والغفلة اى تتخذونها اتخاذ من يؤمل الخلود فيها (قوله غاشمين) اى ظالمين من الغشم وهو الظلم والبطش السطوة والاخذ بعنف قال ابن عباس اذا ضربتم بالسياط وقتلتم بالسيف وفعلتم فعل الجبارين كان ذلك ظلما وعلوا بلا رأفة ولا داعية لحكمة والجبار الذى يضرب ويقتل على الغضب (قوله وتغيير شق النفي) يعني أن المقابلة تقتضى ان يقال ام لم تعظ وهو اخصر من ان يقال ام لم تكن من الواعظين الا انه ترك مقتضى المقابلة وعدل الى الاطول للمبالغة المذكورة فان التسوية بين وعظه اياهم وعدم كونه من اهل الوعظ والنهى ومباشرته اصلا بمنزلة ان يقال سواء علينا اوعظت ام كنت خارجا اصلا ولاشك انه ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من ان يقال اوعظت ام لم تعظ ولقائل ان يقول انما يكون هذا ابلغ ان لم يكن قولنا هو من الواعظين ابلغ من قولنا هو واعظ لكنه ابلغ منه ولهذا

قالوا ان قول الزمخشرى فى خطبة المفصل احمدالله على ان جعلنى من علماء العربية ابلغ من ان يقال جعلنى عالما بالعربية ويمكن ان يجاب عنه بان المقابلة بين قوله وعظت و قوله ام لم تكن من الواعظين تأبى الحمل على الكمال وتوجب ان يكون المعنى ام لم تكن من الواعظين اى من اهله ومباشريه اصلا (قوله وقرأ نافع) اى وقرأ الباقون وهم ابن كثير وابو عمرو والكسائى خلق الاولين بفتح الخاء وسكون اللام وهو امابمعنى الاختلاق والكذب كما يقال خلق الافك واختلقه اى افتراه ومنه قوله تعالى وتخلقون افكا او بمعنى الخلقة والتكوين فعلى الاول يكون هذا اشارة الى ماجاءبه هود عليه الصلوة والسلام وعلى الثانى يكون اشارة الى خلقة القائلين والخلق بضمتين و بواحدة العادة فعلى هذه القرآءة يجوز ان يكون هذا اشارة الى ماجاء به هود وان يكون اشارة الى ماهم عليه من الدين اومن الحياة والموت (قوله انكار لان يتركوا كذلك) والمعنى اتظنون انكم تتركون فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم وان لادار للمجازاة والهمزة للانكار والتوبيخ وعلى الثانى يكون الهمزة لتقرير تخلية الله تعالى اياهم فى اسباب تنعمهم آمنين بطريق الامتنان عليهم وعد النعمة (قوله ثم فسره) يعنى ان قوله فيماههنا مجمل فصله بقوله فى جنات وعيون وزروع كما ان قوله امدكم بما تعلمون مجمل فصله بقوله امدكم بانعام وبنين وجنات الخ (قوله لطيف لين) فيكون من الهضم بفتحتين وهو لرقة والهزال الجوهرى الهضم بالتحريك انضمام الجنبين وهو فى الفرس عيب يقال لايسبق اهضم من غاية بعيدة ابدا وكون طلع النخل هضيما قد يكون للطف الثمرة وقد يكون النخل انثى فان طلع البرنى ألطف من طلع اللون والبرنى اجود التمر واللون الدقل وهو اردأ التمر واهل المدينة يسمون ماعدا البرنى والعجوة الوانا وكذا طلع ذكور النخل لايكون هضيما بل يكون غليظا صلبا ثم فسر الطلع بقوله وهو مايطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو والشماريخ جمع شمراخ ويقال له شمروخ ايضا كالعثكال والعثكول النهاية العثكال العذق وكل غصن من اغصانه شمراخ وهوالذى عليه البسر والقنو والعذق والكباسة من التمر بمنزلة العنقود والعرجون اصل العذق وهو العود الاصفر الذى فيه شماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف والواو والنون فيه زائدتان فان قطع منه الشماريخ يعوج ويبقى على النخل يابسا به الله تعالى به القمر فى ليلة ثمان وعشرين حيث قال حتى عاد كالعرجون القديم من حيث ان كل واحد منهما مقوس (قوله اومتدل منكسر) عطف على قوله لطيف لين فيكون هضيم من الهضم بمعنى الكسر يقال هضم حقه اذا ظلمه وكسر عليه حقه والمتدلى المتسفل والمتنزل عن موضعه اى متدل من الشجرة (قوله وافراد النخل) اى مع الذكر مع ان اسم الجنة يتناول النخل وغيره

اوماهذا الذى نحن عليه من الدين الاخلق الاولين وعاداتهم ونحن بهم مقتدون اوماهذا الذى نحن عليه من الحياة والموت الاعادة قديمة لم يزل الناس عليها (ومانحن بمعذبين) على مانحن عليه (فكذبوه فأهلكناهم) بسبب التكذيب بريح صرصر (ان فى ذلك لآية وماكان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهوالعزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح ألاتتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وماأسألكم عليه من اجران اجرى الا على رب العالمين أتتركون فيماههنا آمنين) انكار لان يتركوا كذلك اوتذكير بالنعمة فى تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) لطيف لين للطف الثمر اولان النخل انثى وطلع اناث النخل ألطف وهومايطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو اومتدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله

على سائر اشجار الجنات اولان المراد بها غيرها من الاشجار (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين)

مما يقصد اثباته في البساتين للتنبيه على فضل النخل على سائر النبات حتى كأنه ليس من جنس مايدل عليه اسم الجنة تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات اولان المراد بالجنات ماعدا النخل لان اسم الجنة يصح ان يطلق على ما يشتمل على جميع اشجار البساتين وعلى مايشتمل على بعضها فيجوز ان يراد به ههنا مايشتمل على بعضها ويكون عطف النخل عليه دليلا على ارادة البعض (قوله بطرين اوحاذقين) قال ابو عبيدة فرهين وفارهين يقال هما بمعنى فرحين بطرين اشرين وفرق الجوهري بينهما وقال الفاره الحاذق بالشيء من فره بالضم فروهة وفراهة فهو فاره وفره بالكسر بمعنى اشرو بطر فمن قرأ بدون الف فرهين جعله من هذا ومن قرأ فارهين جعله من فره بالضم قال الامام واعلم ان ظاهر هذه الآيات يدل على ان الغالب على قوم هود هو اللذات الخيالية وهو طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهو طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة انتهى كلامه فقال صالح عليه الصلاة والسلام لقومه على سبيل الانكار والتوبيخ وتنحتون ثم قال فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون ويحتمل ان يقوله على سبيل تذكير النعمة واستدعاء شكرها (قوله استعير الطاعة) ارتكب المجاز لتعذر ارادة الحقيقة لان الطاعة انما تكون للآمر كما ان الامتثال يكون للامر يقال اطيعوا الله وامتثلوا أمره فلما قيل في هذه الآية ولا تطيعوا امر المسرفين تعين المصير الى المجاز وذلك اما بان يشبه الامتثال بالطاعة من حيث ان كل واحد منهما يفضي الى وجود المأمور به فاطلق اسم المشبه به وهو الطاعة واريد الامتثال ثم اشتق منه قوله ولا تطيعوا على طريق الاستعارة التصريحية التبعية فالمعنى ولا تمتثلوا امرهم واما بان يحمل الكلام على الاسناد المجازي فان حق الطاعة ان تنسب وتعلق بالآمر فنسبت الى امره وجعل الامر مطاعا والمراد الآمر للملابسة بينهما (قوله وصف موضح لاسرافهم) حيث يعين به ان المراد بالاسراف اسرافهم على انفسهم بالتمرد على الله تعالى فيدخل في المسرفين كل من افسد في الارض بالكفر والظلم ولا يصلح بالايمان والعدل من التسعة رهط الذين عقروا الناقة وغيرهم (قوله الذين سحروا كثيرا) على ان يكون بناء التفعيل لتكثير الفعل والمعنى من المسحورين مرة بعد اخرى وعلى الثاني يكون بناء التفعيل للنسبة الى السحر بفتح السين (قوله كما اقترحوها) متعلق بقوله اخرجها الله فانهم اقترحوا عليه بان قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا مثلها فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها

وابو عمرو فرهين وهو ابلغ (فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين) استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر اونسب حكم الآمر الى امره مجازا (الذين يفسدون في الارض) وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف (ولا يصلحون) على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم (قالوا انما انت من المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم اومن ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون (ما انت الا بشر مثلنا) تأكيدا له (فأت بآية ان كنت من الصادقين) في دعواك (قال هذه ناقة) اي بعد مااخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها (لها شرب) نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم (ولكم شرب يوم معلوم) فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها (ولا تمسوها بسوء) كضرب وعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لعظم مايحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب (فعقروها) اسند العقر الى كلهم

لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة
اوعند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم (فأخذهم العذاب) اى العذاب الموعود (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم) فى نفى الايمان ﴿٤٣٣﴾ عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم اوشطرهم
لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) اى أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشاركم فيه غيركم اوأتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثانى الناس (وتذرون ماخلق لكم ربكم) لاجل استمتاعكم (من ازواجكم) لبيان ماخلق ان اريد به جنس الاناث وللتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا (بل انتم قوم عادون) متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات اومفرطون
فى المعاصى وهذا من جملة ذلك اواحقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم
هذه الجريمة (قالوا لئن لم تنته يالوط) عما تدعيه اوعن نهينا وتقبيح امرنا (لتكونن من المخرجين) من المنفيين
من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال (قال انى لعملكم من القالين)

فى العظم * عن ابى موسى الاشعرى قال رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا فى ستين ذراعا ثم وصاهم صالح بأمرين الاول قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وشربهم فى اليوم الثانى لاتشرب هى فيه والثانى قوله ولاتمسوها بسوء ثم ان مصدقا الجأها الى مضيق فى شعب فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار فى عرقوبها (قوله لان عاقرها انما عقرها برضاهم) روى ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين وكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم (قوله أتأتون من بين من عداكم) فعلى هذا الوجه يكون من العالمين حالا من فاعل أتأتون انكر عليهم تفردهم واختصاصهم بهذا الفعل الشنيع من جملة العالمين اى الناكحين وعلى الثانى يكون حالا من الذكران انكر عليهم اختيارهم الذكران من جملة العالمين مع كثرة الاناث فيهم (قوله فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم) فتكون الآية دليلا على حرمة أدبار الزوجات والمملوكات (قوله اواحقاء بان توصفوا بالعدوان) اى الظلم يقال عدا عليه وتعدى عليه واعتدى عليه كله بمعنى وعلى هذا الوجه لا ينظر الى متعلق العدوان اصلا فوجه الاضراب على هذا انه جعل اتيانهم الذكور جريمة ومعصية ووبخهم عليه بقوله تركبون هذه الجريمة ثم اضرب عنه الى ماهو ابلغ فى التوبيخ فقال بل انتم بارتكابها قوم عادون اى احقاء بان توصفوا بالعدوان بارتكابها كانه قيل بل هى معظم الجرائم والمعاصى ولايستحق المرء لان يوصف بالعدوان الا بارتكابها وعلى الوجهين الاولين يكون تعلق عادون بالمفعول مرادا ثم قال انهم اعتدوا توبيخهم بارتكاب المعصية المذكورة بل انتم قوم متجاوزون عن حد شهوة الناس بل الحيوانات او متجاوزون الحد فى ارتكاب جميع المعاصى وهذا الاتيان من جملة تعديكم وافراطكم وهو كالايضاح لما قبله (قوله ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف) يعنى انهم لم يقولوا لنخرجنك بل قالوا لتكونن من المخرجين بلام العهد للمبالغة فى الوعيد والاشارة الى انهم يفعلون به من الاخراج على الحالة السيئة ما فعلوا لغيره ولما جاز مع هذا الاحتمال ان تكون اللام لجنس المخرجين فتكون اشارة الى انهم اخرجوا كثيرا من الناس وهم قادرون على اخراجه ايضا قال المصنف

من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال اى لاانه على

انه معدود فى زمرتهم مشهور بانه من جملتهم (رب نجنى واهلى مما يعملون) اى من شؤمه وعذابه (فنجيناه واهله اجمعين) اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم (الا عجوزا) هى امرأة لوط (فى الغابرين) مقدرة فى الباقين فى العذاب اصابها حجر فى الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقى فى القرية فانها لم تخرج مع لوط (ثم دمرنا الآخرين) اهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم (فساء مطر المنذرين) اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين) الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال (اذ قال لهم شعيب الا تتقون) ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن (موضع)

ولعلهم بطريق الاحتمال لغيره وهو مثل ما حكى الله تعالى عن فرعون قوله لأجعلنك من المسجونين (قوله من المبغضين) يعنى ان قالين اسم فاعل من القلى وهو البغض الشديد وقوله من القالين متعلق بمحذوف اى لقال من القالين ومبغض من المبغضين وذلك المحذوف وهو قال خبر قوله وانى ومن القالين صفته وقوله لعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولو جعل قوله من القالين خبر انى لعمل القالين فى عملكم فيفضى الى تقديم الصله على الموصول قال ابو البقاء اى لقال من القالين فى صفه للخبر متعلقة بمحذوف واللام متعلقة بالخبر المحذوف وبهذا يتخلص من تقديم الصلة اذ لو جعلت من القالين الخبر لأعملته فى لعملكم (قوله لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد) كانه قيل كيف انتهى عن نهيكم وتقبيح امركم وانى لعملكم من القالين وقيل فى وجه كونه جوابا عن ايعادهم اياه بالاخراج ان معناه كيف توعدوننى بالاخراج من بينكم وانى لعملكم الذى تعملونه من المبغضين اكره المقام فيكم وابغض رؤية عملكم الذى تعملونه فيكون فى اخراجى ايصال الراحة الى ولولا امر الله تعالى اياى بالمقام فيكم لأدعوكم الى الحق لما دمت اقيم بينكم لشدة بغضى عملكم (قوله مقدرة فى الباقين فى العذاب) يعنى ان فى الغابرين صفة لقوله عجوزا وان المراد بالغابرين الباقين فى العذاب ولما كان ظاهر النظم دالا على ان العجوز موصوفة بكونها باقية فى العذاب وقت تنجية لوط واهله وليس كذلك لكونها من الآخرين الذين دمرهم الله بعد نجية الناجين بحكم كلمة ثم فى قوله تعالى ثم دمرنا الآخرين ذكر ان ليس معنى الكلام الا عجوزا غابرة اى باقية فى العذاب بل المعنى الا عجوزا مقدرا غبورها فى العذاب الشديد اذ كانت مع الخارجين من القرية المؤتفكة بالامطار عليهم فانها خرجت من بين القوم مع لوط كسائر اهله فصارت من شذاذ القوم فاهلكت بما اهلك الله به الشذاذ وهو صفة لها بعد وقت التنجية ثم نقل توجيها آخر وهو ان يكون المعنى الا عجوز غابرة فى القرية مع المهلكين غير خارجة مع الناجين وهو صفة لها وقت التنجية (قوله على شذاذ القوم) اى على من كانوا خارجين من بلادهم حين دمرهم الله تعالى بائتفاك بلدتهم عليهم بالخسف بهم فيكون المعنى ان الله دمر قوم لوط بعد بين الائتفاك والامطار دمر من كان فى بلدهم بالائتفاك ومن كان خارجا عنها بالامطار قال الله تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل يقال ائتفكت البلاد باهلها اذا انقلبت ملتبسة بهم والمؤتفكات البلاد التى قلبها الله على قوم لوط سميت مؤتفكات لكونها منقلبات ملتبسة باهلها وقيل لم يرض الله بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة (قوله الايكة غيضة) اى

قاص ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهى اسم قرية كانوا فيها وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الف اتباعا للفظ (انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل) أتموه (ولاتكونوا ﴿٤٣٥﴾ من المخسرين) حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف (ولاتبخسوا الناس اشياءهم) ولاتنقصوا شيأ من حقوقهم (ولاتعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) وذوى الجبلة الاولين يعنى من تقدمهم من الخلائق (قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا) اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه (وان نظنك لمن الكاذبين) فى دعواك (فأسقط علينا كسفا من السماء) قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال ربى اعلم بما تعملون) وبعذابه المنزل عليكم ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لامحالة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم وأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به

موضع يغيض فيه الماء ولايسيل منه الى المواضع اغارة وينبت فيه الشجر (قوله وقرئت كذلك مفتوحة) اى قرئ اصحاب ليكة بفتح التاء على ان ليكة غير منصرف للعلمية والتأنيث فلذلك فتحت فى موضع الجر ومن قرأ اصحاب ليكة بالجر قال اصله اصحاب الايكة على ان ايكة اسم جنس عرف بلام التعريف ثم خففت الهمزة بان القيت حركتها على اللام ثم حذفت للساكنين واستغنى عن الف الوصل لان اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا الا الجر كما تقول مررت بالاحمر على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول بلحمر فان شئت كتبته فى الخط على ما كتبته اولا وان شئت كتبته بالحذف على حكم لفظ اللافظ فلايجوز حينئذ الا الجر بالاضافة كما لايجوز فى الايكة الا الجر (قوله وكان اجنبيا منهم) اى وكان اخا مدين فى النسب فلذلك قال الله تعالى فى آية اخرى والى مدين اخاهم شعيبا ثم انه عليه الصلاة والسلام كلفهم بامور امرهم اولا بايفاء الكيل ونهاهم عن التطفيف فى الكيل والوزن حيث قال اوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين اى من الناقصين له يقال خسرت الشئ بالفتح واخسرته اى نقصته ثم نهى عن نقص حق المستحقين باى طريق كان كنقص العدد والوزن ودفع الزيف مكان الجيد والغصب والسرقة والتصرف بغير اذن صاحبه ونحو ذلك حيث قال ولاتبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسته حقه اذا انقصته اياه (قوله ففعلاس بتكرير العين) الظاهر ان يقال ففعلاع لان التكرير يقتضى ان يوزن المكرر بلفظ ما قابله ثم نهاهم عن افساد شئ مما خلقه الله تعالى وصوره بقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقال عثا فى الارض يعثو اى افسد وكذلك عثى بالكسر يعثى وانما قيده بقوله مفسدين لان الفساد لصورة او الحقيقة وان غلب فى الفساد الا انه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة (قوله وذوى الجبلة) على ان الجبلة بمعنى الخلقة ولا يتعلق بها الخلق فلا بد من تقدير المضاف والكسف بفتح السين وسكونها جمع كسفة وهى القطعة كسدر وسدرة فى جمع سدرة فقال عليه الصلاة والسلام فى جوابهم ربى اعلم بما تعملون يريد انه اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العذاب المنزل عليكم فى وقته المقدر لكم (قوله على نحو ما اقترحوا) بقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء هذا على تقدير ان يكون

مرادهم بالسماء السحاب لان المراد بالظلة سحابة اظلتهم بعد ما حبس عنهم الريح واستولى عليهم الحر الشديد سبعة ايام فأخذ بانفاسهم بحيث لاينفعهم ظل ولا ماء فلما اظلتهم السحابة وجدوا لهما بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فأحرقتهم واما على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء المظلة فحينئذ يكون العذاب النازل بهم على خلاف ما اقترحوه (قوله واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم الخ) جواب عما يقال لم لا يجوز ان يقال ان العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم لم يكن لكفرهم وعنادهم بل كان بسبب قرانات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه اهل النجوم ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص لان الاعتبار انما يحصل ان لو علمنا ان نزول هذا العذاب كان بسبب كفرهم وعنادهم وعما يقال ان الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين وابتلاء لهم على ماقال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقد ابتلى المؤمنون بانواع البليات فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء القوم دليلا على كونهم مبطلين مؤاخذين بذلك ثم انه تعالى لما ذكر قصص الانبياء لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اتبعه بذكر مايدل على نبوته فقال وانه اى وان القرءآن وما نزل من هذه القصص والآيات لتنزيل رب العالمين اى المنزل على ان التنزيل بمعنى المنزل اولا وتنزيل على حذف المضاف وجاز عود ضميرانه الى القرءآن وان لم يجر له ذكر للعلم به والقرءآن المنزل لما كان مشتملا على القصص المذكورة والآيات الدالة عليها كانت هذه الآية تقرير الحقية تلك القصص والباء فى به على القراءتين للتعدية او للملابسة فعلى الاول تعلق بنزل وعلى الثانى تتعلق بمحذوف على انه حال وقوله على قلبك ولتكون متعلقان بنزل ويجوز ان يتعلقا بتنزيل والمعنى وانه لتنزيل رب العالمين على قلبك لتكون لكن فيه ضعف من حيث الفصل بين المصدر ومعموله بجملة نزل به الروح الامين الا ان هذه الجملة اعتراضية جيء بها للتأكيد فلم يكن اجنبيا وان مثل هذا مغتفر فيما اذا كان المعمول ظرفا او عديله وسمى جبريل روحا لكونه سببا لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة من حيث ان الوحى الذى فيه الحياة من موت الجهالة يجرى على يده وقيل سمى روحا لانه روح وليس بجسم فيه روح وسمى امينا لانه مؤتمن على ما يؤديه الى الانبياء (قوله والقلب ان اراد به الروح فذاك) اذ القرءآن الملتبس بكسوة الحروف والالفاظ انما انزل على روح رسول الله لا على مجرد الجسد اذ ليس للجسد حظ من ادراك المعانى الروحانية والقلب وسائر الاعضاء والحواس آلات الادراك والمكاشف

على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية اوكان ابتلاء لهم لامؤاخذة على تكذيبهم (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك) تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لايكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبرائيل فانه امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بتشديد الزاى ونصب الروح والامين (لتكون من المنذرين) عما يؤدى الى عذاب من فعل اوترك (بلسان عربى مبين) واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لانفهمه

(والمخاطب)

والمخاطب والمدرك انما هو الروح لا الاعضاء والآلات الا انه يجوز ان يراد بالقلب العضو المخصوص كما هو المتبادر عند اطلاقه فحينئذ يكون جعل القرآن نازلا على قلبه مع انه نازل عليه لا على عضوه مبنيا على كون القلب موضعا لقوة العقل و الفهم فان الروح انما تدرك بتلك القوة المودعة فى القلب فلاجرم تنتقل المعانى الروحانية النازلة على الروح الى القلب لما بينهما من التعلق على الوجه المذكور وذهب طائفة من القدماء الى ان موضع قوة العقل و الفهم هو الدماغ لا القلب استدلالا بان طريان الآفة على الدماغ يوجب اختلال العقل و بان الحواس التى هى آلات الادراك نافذة الى الدماغ دون القلب فاشار المصنف الى ان الدماغ محل القوى الباطنة التى يستعين بها الروح فى ادراك المعانى فلذلك كان سلامة الدماغ شرطا لسلامة القلب و ظهور آثاره فالقرآن كلام الله تعالى و صفته القائمة به كساه كسوة الالفاظ المركبة من الحروف العربية ونزله الى جبريل وجعله امينا عليه لئلا يتصرف فى حقائقه ثم نزله كما هو على قلب رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم ليتمرفه و يتخلق بخلقه و يتنور بانواره و يتحلى بحقائقه ففهمه وتمكن من تفهيمه لغيره فهو عليه افضل الصلاة والسلام مختص بهذه الرتبة العلية والكرامة السنية من سائر الانبياء فان كتبهم انزلت عليهم بالالواح والصحائف جملة واحدة فهى بمنزلة على صورهم وظاهرهم لا على قلوبهم (قوله فهو متعلق بنزل) فيكون صريحا فى ان القرآن انما انزل عليه عربيا كما فى آية اخرى انا انزلناه قرآنا عربيا لا كما زعمت الباطنية من انه تعالى انزله على قلبه عليه افضل الصلاة والسلام غير موصوف بلغة ولسان ثم انه عليه افضل الصلاة و السلام اداه بلسان العرب المبين من غيران انزل كذلك (قوله وان ذكره) لما كان ظاهر النظم يدل على ان عين القرآن العربى المبين مثبت فى سائر الكتب السماوية وظاهر انه ليس كذلك لان هذا فاسد مخالف للنص والاجماع احتيج الى تقدير المضاف اى ان ذكر القرآن وانزاله على النبى عليه افضل الصلاة و السلام المبعوث فى آخر الزمان اوان اصل معانيه مثبت فى كتبهم على معنى انه تعالى اخبر فى كتبهم عن القرآن وانزاله فى آخر الزمان اوانه تعالى بين اصول معانيه فى كتبهم لا ان جميع مافيه من الاحكام والامثال مثبت فيها و به احتج ابو حنيفة فى جواز القرآن بالفارسية فى الصلاة وهذا كقوله ان هذا لفى الصحف الاولى وقال مقاتل تقدير الآية وان محمدا عليه افضل الصلاة والسلام ونعته وذكره لفى كتب الاولين وهو كقوله يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل (قوله وهو تقرير لكونه دليلا) يعنى ان الاستفهام فى اولم يكن استفهام تقرير بمعنى قدكان علم علماء بنى اسرائيل به

فهو متعلق بنزل و يجوز ان يتعلق بالمنذرين اى لتكون ممن انذر وابلغة العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد عليه الصلاة والسلام (وانه لفى زبر الاولين) وان ذكره اومعناه لفى الكتب المتقدمة (اولم يكن لهم آية) على صحة القرآن اونبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يعلمه علماء بنى اسرائيل) ان يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا

وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم
حال اوان الاسم ضمير القصة وآية خبران يعلمه والجملة خبر تكن (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) كما هو زيادة فى اعجازه اوبلغة العجم (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) لفرط عنادهم واستكبارهم اولعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة (كذلك سلكناه) ادخلناه (فى قلوب المجرمين) والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم) الملجئ الى الايمان (فيأتيهم بغتة) فى الدنيا والآخرة (وهم لا يشعرون) باتيانه (فيقولوا هل نحن منظرون) تحسرا وتأسفا (أفبعذابنا يستعجلون) فيقولون امطر علينا حجارة من السماء فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون) لم يغن عنهم تمتعهم
المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون) نذروا اهلها الزاما للحجة (ذكرى) تذكرة (عنهم)

آية اى علامة دالة على صحة نبوته لهؤلاء المنكرين نبوته فانه قدروى ان اهل مكة بعثوا رسولا الى اليهود الذين كانوا فى المدينة يسألهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا نجد ذكره ونعته فى التوراة فهذا اوان خروجه فكان ذلك آية على صدقه وحقية امره (قوله وقرأ ابن عامر تكن) اى بالتاء من فوق ورفع آية والباقون يكن بالياء من تحت ونصب آية فيحتمل ان تكون كان فيها تامة وان تكون ناقصة فان كانت تامة تكون آية فاعلا لها وان يعلمه بدلا منها ولهم حالا منها اومتعلقا بكان اى اولم يحصل آية كائنة لهم وهى علم علماء بنى اسرائيل اولم يحدث لهم علامة علم علماء بنى اسرائيل وان كانت ناقصة جاز ان يكون لهم خبر تكن مقدما على اسمها ويكون آية اسمها وان يعلمه بدلا اوخبر محذوف وجاز ان يكون اسمها ضمير القصة المستتر فيها وقوله آية ان يعلمه جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ منصوبة المحل على انها خبر كان كما تقول كان زيد منطلق على معنى كان الامر هذا ولا يجوز ان يكون آية اسم كان وان يعلمه خبرها اذ يتعين ان يجعل اسم كان هو المعرفة منهما وقد يجىء عكس هذا فى الشعر (قوله تعالى فيأتيهم) معطوف على قوله يروا وقوله فيقولوا عطف على يأتيهم وظاهر النظم يدل على ان تكون مفاجأة العذاب واقعة عقيب رؤيته ويكون سؤال النظرة واقعا عقيب مفاجأته وليس كذلك بل الذى يقع اولا هو المفاجأة ثم الرؤية ثم سؤال النظرة فوجب ان لا تكون كلمة الفاء فيهما للتراخى الزمانى بل تكون للتراخى الرتبى بان يكون المعنى لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب الملجئ الى الايمان فما هو اشد من رؤيته وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها فانهم يرون العذاب عند معاينة ملائكة الممات اوفى الآخرة وهم يعلمون فى ذلك الوقت ان لا خلاص لهم ولا امهال وانما يسألونه تعللا واسترواحا ثم انه تعالى لما وصف عذاب المجرمين بان رؤيته لم تلجئهم الى الايمان وانه يأتيهم بغتة فيضطرون الى سؤال النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها قال على سبيل التبكيت والتوبيخ للذين كانوا يستعجلون العذاب فى الدنيا بمثل قولهم امطر علينا حجارة من السماء وقولهم لن نؤمن لك حتى تسقط علينا كسفا من السماء ونحو ذلك أفبعذابنا يستعجلون اى فكيف يستعجلون ما يأتيهم بغتة ويسألون عند رؤيته الامهال فلا يمهلون لحظة والعاقل لا يستعجل ما فيه هلاكه ثم قال تعالى افرأيت اى افعلمت يا محمد ومعناه اعلم (قوله تعالى ما اغنى) كلمة ما فيه يجوز ان تكون استفهامية فى محل النصب مفعولا مقدما لأغنى وما كانوا هو الفاعل وكلمة ما فيه مصدرية والمعنى اى شئ اغنى عنهم كونهم ممتعين وان تكون نافية فيكون مفعول اغنى محذوفا اى لم يغن

ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها فى معنى الانذار اوالرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة اوخبر محذوف والجملة اعتراضية (وما كنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار (وما تنزلت به الشياطين) كما زعم المشركون انه من قبيل ما تلقى الشياطين على الكهنة (وما ينبغى لهم) وما يصح لهم ان يتنزلوا به (وما يستطيعون) وما يقدرون (انهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) لانه مشروط بمشاركة فى صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لاتقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين (وانذر عشيرتك الاقربين) الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين اوغيره اوللتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان (فان عصوك) ولم يتبعوك (فقل انى برئ مما تعملون) مما تعملونه او من اعمالكم (وتوكل على العزيز الرحيم) الذى يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم

منهم يمتعهم شيأ وقرئ يمتعون باسكان الميم وتخفيف التاء من قولك امتع الله زيدا بكذا (قوله ومحلها النصب على العلة) اى لقوله منذرون والمعنى الا لها منذرون لاجل الموعظة والتذكرة ويحتمل ان يكون معمولا لاهلكنا فان النفى فيه لما انتقض بالا وكان المراد بالقرية القرية الظالمة آل المعنى الى قولك اهلكنا القرية الظالمة بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليها اهلاكها تذكرة لغيرها ويحتمل ان يكون ذكرى فى محل النصب على انه مفعول مطلق لقوله منذرون من قبيل قعدت جلوسا لان أنذر وذكر متقارب بان كانه قيل يذكرون تذكرة ويجوز ان يكون مفعول فعل محذوف من لفظه اى يذكرون ذكرى وذلك المحذوف صفة لمنذرون ثم انه تعالى بعد ما وصف القرآن بانه تنزيل رب العالمين ونبه به على اعجازه وعلى نبوة نبيه رد قول من زعم من الكفار انه من القاء الجن والشياطين كسائر ما ينزل على الكهنة فقال وما تنزلت به الشياطين (قوله فى صفات الذات) اى فى الصفات اللازمة لذوات الملائكة مثل كونهم اجساما نورانية خيرة طائعة لله تعالى طاهرة عن دنس الذنوب والمعاصى مسبحين الليل والنهار لايفترون واعلم ان اهل السنة والجماعة قالوا صفات الله كلها صفات بالذات على معنى انها قديمة قائمة بذات الله لكن المعتزلة قسموا صفات الله الى صفات الذات وصفات الافعال وقالوا كل ما يصح ان يثبت وينفى فهو من صفات الفعل كالخلق والترزيق والاماتة والاحياء وما ليس كذلك كان من صفات الذات كالعلم والقدرة والحياة وقالوا صفات الافعال حادثة غير قائمة بذات الله تعالى بخلاف صفات الذات (قوله ولطف لسائر المكلفين) فان اكرم خلق الله تعالى عليه الصلاة والسلام لما خوطب بانك لو اتخذت من دونى الها لعذبتك مع انك اكرم الخلائق عندى كان زجرا بليغا عن الشرك لكل من سمعه من المكلفين بعد تهييج عزيمته على ازدياد الاخلاص (قوله مستعار من خفض الطائر جناحه) شبه التواضع ولين الاطراف والجوانب عند مصاحبة الاقارب والاجانب بخفض الطائر جناحه عند ارادة الانحطاط فاطلق على المشبه اسم الخفض على سبيل الاستعارة التصريحية ثم اشتق منه قوله واخفض جناحك (قوله ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين اوغيره) فان قيل من التبيينية يجب ان يكون ما قبلها اعم من مدخولها حتى يتحقق فيه الابهام والاحتياج الى البيان ولم يظهر كون

وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط (الذى ﴿٤٤٠﴾ يراك حين تقوم) الى التهجد (وتقلبك

فى الساجدين) وترددك فى تصفح احوال المتهجدين كما روى انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا امتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التى بها يستأهل ولايته بعد ان وصفه بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه (هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك أثيم) لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح لان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان

بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلوات الله عليه وسلامه على خلاف ذلك وثانيهما قوله (لا ماناة)

من اتبعك اعم من المؤمنين من حيث انه لا يحتمل غير المؤمنين بل هما متحدان فى الوجود ومتلازمان فى المفهوم فلا وجه للبيان ظاهرا الا ان المتبعين اعم فى نفس الامر من المؤمنين لانه يتناول من اتبعه عليه الصلاة والسلام فى امر الدين وغيره بخلاف المؤمنين فانه لا يتناول الامن اتبعه فى امر الدين وبهذا الاعتبار صح ان تكون كلمة من للتبيين لا للتبعيض لان مدخول من التبعيضية اعم مما قبلها على عكس من البيانية ولما جعل من اتبعك اعم من المؤمنين امتنع ان تكون من تبعيضية وانما تكون كذلك ان لو اريد بمن اتبعك المتبعون فى امر الدين ظاهرا وباطنا وبالمؤمنين ماهو اعم من ذلك بان يراد بهم الذين شارفوا الايمان وكانوا بصدده وسماهم الله مؤمنين باعتبار ما يؤول اليه امرهم والمتبعون حقيقة بعض منهم فيصح ان تكون من للتبعيض بهذا الاعتبار كانه قيل واخفض جناحك لبعض المؤمنين وهم الذين اتبعوك حقيقة او يراد بهم الذين صدقوا باللسان فانه ايضا اعم من الذين اتبعوا حقيقة (قوله وقرأ نافع وابن عامر فتوكل) اى بالفاء بان جعلا ما بعد الفاء كالجزاء لقوله فان عصوك مرتبا عليه وجعلاه بدلا من الجزاء المتقدم وقرأ الباقون بالواو وجعلوه لمجرد عطف الجملة على جملة اخرى من غير ملاحظة السببية والترتيب ووصف الله تعالى نفسه بالعزيز ليدل على انه يقدر على قهر اعداء رسوله بعزته وبالرحيم ليدل على انه يقدر على نصره عليهم واعلاء كلمته برحمته وقوله الذى يراك يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف وان يكون منصوب المحل على المدح ومجرور المحل على انه صفة اوبدل او بيان (قوله وتقلبك عطف على مفعول يراك اى ويرى تقلبك لما وصف الله تعالى نفسه بالرحمة ليؤذن رسوله عليه الصلاة والسلام بانه بار رحيم على اتباعه ما هو كالسبب لتلك الرحمة وهو قيامه الى التهجد فى جوف الليل وتقلبه فى تصفح احوال اهل التهجد ليطلع على اسرار امرهم ويحتمل ان يكون المعنى يراك حين تقوم فى الصلاة ويرى تصرفك فيما بينهم بالقيام والركوع والسجود والقعود فقوله فى الساجدين معناه مع المصلين فى الجماعة فكان حاصل المعنى يراك حين تقوم وحدك بالصلاة ويراك اذا صليت مع المصلين * والدندنة الصوت الخفى يقال دندن اذا اخفى كلامه وفى الصحاح الدندنة ان تسمع من الرجل نغمة ولا تفهم ما يقول وقيل الدندنة الصوت والترنم ثم قال الامام واعلم ان الرافضة ذهبوا الى ان آباء النبى عليه الصلاة والسلام كانوا مؤمنين وتمسكوا فى ذلك بهذه الآية وبالخبر اما هذه الآية فقالوا قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين يحتمل الوجوه التى ذكرتم ويحتمل ان يكون المراد ان الله تعالى نقل روحه من ساجد الى ساجد كما نقول نحن واذا احتمل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة انه

(يلقون السمع واكثرهم كاذبون) اى الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لايطابق اكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد عليه الصلوة والسلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لاتحصى وقد طابق كلها او فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثيم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضمائر للشياطين اى يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم (والشعراء يتبعهم الغاوون) واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله (ألم تر انهم فى كل واد يهيمون) لان اكثر مقدماتهم خيالات لاحقيقة لها واغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لايستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله (وانهم يقولون ما لا يفعلون) فكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بانه من جنس كلام (٥٦) الشعراء تكلم فى القسمين (سا) وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عليه الصلاة والسلام لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه الصلاة والسلام قال له اهجهم فو الذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) تهديد شديد

لامنافاة ولارجحان واما الخبر فقوله عليه افضل الصلاة والسلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وكل من كان كافرا فهو نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس قالوا فان تمسكتم على فساد هذا المذهب بقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر قلنا الجواب عنه ان لفظ الاب قد يطلق على العم كما قال ابناء يعقوب نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق فسموا اسمعيل ابا له مع انه كان عما له وقال عليه الصلاة والسلام ردوا على ابى يعنى العباس ويحتمل ان يكون متخذ الاصنام أبا لامه فان هذا قد يقال له الاب قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرية ابراهيم مع ان ابراهيم كان جده من قبل الام ثم قال الامام واعلم انا نتمسك بقوله تعالى لابيه آزر وما ذكروه صرف اللفظ عن ظاهره واما حمل قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين على جميع الوجوه فغير جائز لما بيناه من ان حمل المشترك على جميع معانيه غير جائز واما الحديث فهو خبر واحد فلا يعارض القرآن (قوله يلقون السمع) فى محل الجر على انه صفة كل افاك لكونه فى معنى الجمع وتكون الضمائر كلها للافاكين (قوله فيقرها) بضم القاف اى يصبها يقال قررت على رأسه الماء اذا صببته عليه وقر الحديث فى اذنه يقره كأنه صبه فيها والذى قاله عليه الصلوة والسلام كان قبل ان اوحى اليه وبعد ذلك من يستمع الآن يجد له شهابا رصدا قال مقاتل ان الله تعالى اذا اراد امرا فى الارض اعلم به اهل السموات من الملائكة فتكلموا به فيما بينهم فتسمع الشياطين فترميهم الملائكة بالشهب فيختطفون الخطفة فذلك قوله تعالى يلقون السمع الخ فعلى هذا يكون ضمير يلقون راجعا الى الشياطين ويكون جملة يلقون السمع حالا من الضمير فى تنزل (قوله وقد فسر الاكثر بالكل)

جواب عما يقال كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما حكم عليهم بان كل واحد منهم افاك وحاصله ان كونهم كاذبين مفترين في الخبر في اكثر ما يحكيه عنهم لا ينافي كونهم افاكين كثيري الكذب وقوله ولا كذلك محمد فانه لا يتلقى ما اخبر به من الشياطين فيزيد فيه كذبات كما يفعله الكهنة كيف ولم يظهر في اخباره عليه الصلاة والسلام خلاف ما اخبر به ولما بين حال الكهنة بانهم كذابون كثير والاثم بخلافه عليه الصلاة والسلام فان حاله الدعوة الى الله تعالى وطاعته والترغيب في الآخرة والتنفير عن الدنيا بين ما يميز به عن الشعراء فقال والشعراء يتبعهم الغاوون اي الضالون ثم بين غوايتهم بأمرين الاول انهم يهيمون ويذهبون في كل واد والثاني انهم يقولون ما لا يفعلون فانهم يرغبون في الجود وينفرون عن البخل ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم ثم انهم لا يرتكبون الا الفواحش وذلك تمام الغواية بخلافه عليه الصلاة والسلام فانه قد كان زكى نفسه الكريمة اولا ثم لم يدع احدا من الناس الا الى ما هو راسخ اوحدي فيه فكيف تشبه حاله حال الشعراء والنسيب مصدر قولك نسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر اذا ذكر صفات حسنها وذكر حاله معها في الشعر والغزل اسم لمحادثة النساء زمن اودتهن وعرض الاشتياق اليهن والابهار الاشتهار بحب واحدة من النساء يقال ابهر فلان بفلانة اي اشتهر بها ويقال ايضا على ادعاء الشيء كذبا وحرم الرجل اهله وسكان حرمه من نحو زوجته واهله وبنته انه تعالى لما وصف الشعراء بهذه الاوصاف الذميمة بيانا لما بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من البون البعيد استثنى منهم شعراء المسلمين فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى ولم يجعلوا الشعر همتهم وهجيرهم وقيل المراد بالكثير ذكر الله تعالى ان يكون شعرهم في التوحيد والثناء على الله تعالى وفي النبوة ودعوة الخلق الى الحق ثم قال وانتصروا من بعد ما ظلموا اي لا يذكرون هجو الا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم ثم الشرط فيه ترك الاعتداء فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم عن ابي رواحة رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر الآية خشيت ان اكون منهم فانزل الله هذا فنزل قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاستثنى شعراء المسلمين وقال كعب بن مالك يا رسول الله ماذا تقول في الشعراء فقال ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنكم تنضحونهم بالنبل ارتزوسهم بالسيف عن عروة عن عائشة انها كانت تقول الشعر كلام فيه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح واعلم ان الشعراء طبقات الجاهليون كامرئ القيس وزهير والمخضرمون وهم الشعراء الذين ادركوا الجاهلية

من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ بأي منقلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات ﴿ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين

(سورة النمل مكية وهي ثلاث او اربع وتسعون اية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) الاشارة الى اي السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى

والاسلام كحسان ولبيد والمتقدمون من اهل الاسلام كالفرزدق وجرير ويستشهد باشعارهم ثم المحدثون كابي تمام والبحتري ولا يستشهد بشعرهم (قوله لما في سيعلم من الوعيد البليغ) لان السين تدل على ان ذلك كائن لا محالة (قوله حين عهد اليه) اي حين اوصاه من العهد وهو الوصية قال الله ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان اي الم اوص اليكم روي انه لما أيس ابو بكر من حياته استكتب عثمان كتاب العهد وهو هذا ما عهد ابن ابي قحافة الى المؤمنين في الحال التي يؤمن فيها الكافر قال بعدما غشي عليه وأفاق اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان عدل فذاك ظني فيه وان لم يعدل فسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال الزجاج اي منقلب منصوب بينقلبون على المصدر لا بقوله سيعلم لان أيا وسائر الاسماء الاستفهامية لا يعمل فيها ما قبلها وقدم على عامله لتضمنه معنى الاستفهام وهو معلق سيعلم سادمسد مفعوليه وقال ابو البقاء اي منقلب صفة مصدر محذوف اي ينقلبون انقلابا وردبان اي الواقعة صفة لا تكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة بل كل واحدة منهما قسم برأسه فان ايا ينقسم الى اقسام كثيرة وهي الشرطية والاستفهامية والموصولة وما تكون صفة وغير ذلك تمت سورة الشعراء بعون الملك الوهاب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة النمل تسعون وخمس آيات مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله الاشارة الى آي السورة) بناء على ان طس اسم لهذه السورة الكريمة وهو مبتدأ وتلك مبتدأ ثان وآيات القرآن خبر الثاني والجملة خبر الاول والاشارة قائمة مقام العائد ولا بد في المبتدأ الاول من تقدير المضاف اي آيات طس لتصح الاشارة اليه بتلك ويخبر عنه بانها آيات القرآن وقرئ مرفوعا بالعطف على آيات وهذه القراءة لما استلزمت ان يشار الى شيئين احدهما مذكر والآخر مؤنث باسم اشارة المؤنث ولا وجه له لانه لا يقال تلك هند وزيد احتيج في توجيه هذه القراءة الى تقدير المضاف اي تلك آيات القرآن وآيات كتاب مبين (قوله وتأخيره) يعني أخر الكتاب الذي اريد به اللوح عن القرآن في هذه السورة وقدم عليه في قوله تعالى في سورة الحجر الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين نظرا الى الاعتبارين (قوله او القرآن) عطف على قوله اما اللوح ويكون عطف الكتاب على القرآن من قبيل العطف في قوله

الى الملك القرم وابن الهمام ﴿ وليث الكتيبة في المزدحم

وتنكيره للتعظيم وقرئ
وكتاب بالرفع على حذف
المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه (هدى وبشرى
للمؤمنين) حالان من الآيات
والعامل فيهما معنى
الاشارة او بدلان منها
اوخبران آخران اوخبران
لمحذوف (الذين
يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة) الذين يعملون
الصالحات من الصلاة
والزكاة (وهم بالآخرة هم
يوقنون) من تتمة الصلة
والواو للحال او للعطف
وتغيير النظم للدلالة على
قوة يقينهم وثباته وانهم
الاوحدون فيه او جملة
اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء
الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات هم الموقنون
بالآخرة فان تحمل المشاق
انما يكون لخوف العاقبة
والوثوق على المحاسبة
وتكرير الضمير للاختصاص
(ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة زينا لهم اعمالهم)

(قوله وتنكيره للتعظيم) والمقصود من تعظيم الكتاب تعظيم الآيات المضافة
اليه لأن المضاف الى المعظم عظيم بل المقصود تعظيم السورة التي هي عبارة
عن مجموع ما فيها من الآيات (قوله الذين يعملون الصالحات من الصلاة
والزكاة) اى من هذين الجنسين في كونها عبادة بدنية او مالية اشارة الى ان تخصيص
الصلاة والزكاة بالذكر لكونهما معظم انواع الطاعات والاعمال الصالحات
وان الصلاة معظم الاعمال البدنية والزكاة معظم العبادات المالية وصف
آيات السورة بكونها هادية ومبشرة للجامعين بين معرفة المبدأ والايمان به
ومعرفة المعاد والايقان بما يتعلق به والاشتغال بطاعة المولى بنفسه وماله
(قوله وتغيير النظم) يعني ان الظاهر على تقدير كونه من تتمة الصلة ان يقال
الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة على العطف أو وهم
يوقنون بالآخرة على الحالية الا انه قدم قوله بالآخرة على متعلقه وهو يوقنون
للعناية والاهتمام به واخراج الكلام على صورة انا عرفت حيث قدم ضميرهم
على يوقنون وجعله مبتدأ وكرر ذات المبتدأ على سبيل التأكيد اللفظي
ليفيد الاختصاص والتأكيد لما تقرر من أن اعتبار تقديم الفاعل المعنوي
على عامله يفيد الاختصاص فيكون المعنى انهم اوحديون في الايقان بالآخرة
لا يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون للصفات المذكورة وجعل
الجملة اسمية مكررا فيها المبتدأ للدلالة على قوة يقينهم وثباته ولما كان اقام
الصلاة وايتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد في اوقاتهما جعل الصلتين المتقدمتين
جملة فعلية فقال يقيمون ويؤتون ولما كان الايقان بالآخرة امرا ثابتا مطلوبا
دوامه اتى بالصلة الدالة عليه جملة اسمية وجعل خبر المبتدأ في هذه الجملة
فعلا مضارعا للدلالة على ان ايقانهم مستمر على سبيل التجدد غير منقطع
(قوله او جملة اعتراضية) عطف على قوله من تتمة الصلة اى ويحتمل ان يكون
قوله وبالآخرة هم يوقنون جملة مستأنفة غير داخلة في حيز الموصول وتتم
الصلة عند قوله ويؤتون الزكاة وجعلها معترضة نظرا الى اتصال ما بعدها
بما قبلها من حيث ان ما قبلها لبيان ما للمؤمنين من البشرى بحسن العاقبة
وما بعدها البيان مال الكفار من سوء العذاب يوم القيامة ويحتمل ان يكون جعلها
معترضة بناء على مذهب من يجوز وقوع الاعتراض في آخر الكلام بان لا يلي
الجملة المعترضة جملة اصلا او يليها جملة غير متصلة بها معنى ووجه اتصال هذه
الجملة بما قبلها انها تؤكد مضمون قوله للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة من حيث ان الايقان بالآخرة حق الايقان المستلزم الخوف يستلزم
تحمل المشاق والمتاعب حذرا من نيل ما يخاف منه فمضمون قوله وهم بالآخرة هم

يوقنون يؤكد مضمون ما قبله من حيث كون مضمونه مستلزما لمضمون ما قبله فصح كونه اعتراضا وقوله كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون اشارة الى ان الضمير الاول وضع موضع اسم الاشارة من حيث ان اسم الاشارة يدل على ان المذكورين قبله أحقاء لما يرد بعده من اجل الخصائل التى عددت لهم كما فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب الى قوله اولئك على هدى من ربهم فكذا ههنا فان المعنى احقاء بان يوقنوا بالآخرة من اجل كونهم جامعين لمشاق التكاليف من الايمان والاعمال الصالحة (قوله زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع) واسناد تزيينها اليه تعالى بهذا الوجه لاينا فى اسناده الى الشيطان فى قوله تعالى فزين لهم الشيطان اعمالهم فانه زينها لهم بان دعاهم الى ماتشتهيه طباعهم وتميل اليه نفوسهم (قوله ماينفعها من ضر) على تقدير ان يكون المزين اعمالهم القبيحة وقوله اونفع على تقدير ان يكون المزين اعمالهم الحسنة فهو من قبيل اللف والنشر المرتب والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضلال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت الناس عمهين اراد انهم مترددون فى اعمالهم واشغالهم (قوله كالقتل والاسر يوم بدر) حمل سوء العذاب على عذاب الدنيا لعطف قوله وهم فى الاخرة هم الاخسرون على قوله اولئك الذين لهم سوء العذاب (قوله لتؤتاه) قال تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا اى وما يؤتاها وقيل لتاقى كذا اى لتأخذه من قولهم تلقيته ولقيته اى اخذته (قوله اى حكيم واى عليم) اشارة الى ان التنكير فيهما للتعظيم (قوله مع ان العلم داخل فى الحكمة) فان الحكمة اتقان الفعل بان يفعله على وفق العلم فان من يعلم امرا ولا يأتى بما يناسب علمه لايقال له حكيم فلما وصف الله تعالى نفسه بانه حكيم علم منه كونه عليما فما وجه الجمع بينهما وتقرير الجواب ان العلم الذى يدخل فى الحكمة هو العلم العملى وهو الذى يتعلق بكيفية العمل والعلم اعم منه لانه يتناول العلم النظرى ايضا وهو الذى يقصد لذاته لا للعمل به فذكر الحكيم لا يغنى عن ذكر العليم فلذلك وصف نفسه بالحكمة المستلزمة على العلوم العملية ثم اتبعه بقوله عليم اى بالغ فى كمال العلم كأنه قيل مصيب فى افعاله لايفعل شيأ منها الا على وفق علمه عليم بكل شئ واحواله سواء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل ام لا ثم اشار الى جواب آخر مبنى على ان تكون الحكمة نفس العلم بالمعنى الاعم المتناول للعلوم النظرية والعملية فيكون تقرير السؤال حينئذ ان الحكمة نفس العلم ثم ذكر العلم بعد ذكر الحكمة ويكون تقرير الجواب حينئذ ان الحكمة التى هى نفس العلم هى الحكمة المقسمة الى العملية والنظرية كالعلم المتعلق بالشرائع والاحكام والعلم المتعلق بالاعتقادات والعلم اعم من الحكمة بهذا المعنى بحيث يطلق على مالا يسمى حكمة كعلم القصص

القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التى وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها (فهم يعمهون) عنها لايدركون مايتبعها من ضر اونفع (اولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والاسر يوم بدر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) اشد الناس خسرا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه (من لدن حكيم عليم) اى حكيم واى عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ماهى حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ماليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات

ثم شرع فی بیان بعض تلك العلوم بقوله (اذقال موسى لاهله انی آنست نارا) ای اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم (سآتيكم منها بخبر) ای عن حال الطريق لانه قد ضله ﴿٤٤٦﴾ وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ (او آتيكم بشهاب قبس) شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي فی طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده (لعلكم تصطلون) رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة (فلما جاءها نودی ان بورك) ای بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فی احكام كثيرة (من فی النار ومن حولها) من فی مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فی قوله تعالى نودی من شاطئ الوادی الايمن فی البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام فی كل من فی تلك البقعة وحوالیها من ارض الشام

والعلم بالمغيبات فان شيأ منهما غير مندرج تحت الحكمة بالمعنى المذكور فلو اقتصر على قوله حكيم لما فهم الا كونه تعالى عالما بما يتعلق بافعال المكلفين وعقائدهم وان علوم القرآن ليست الا ماهی حكمة فلما اتبع ذلك قوله عليم فهم منه ان علوم القرآن منها ماهی حكمة ومنها ماليس كذلك (قوله ثم شرع فی بيان بعض تلك العلوم) يعنی ان قوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم بعد قوله تلك آيات القرآن وكتاب مبين ذكر تمهيدا لما يذكر بعده من العلوم التی ليست من قبيل الحكمة والا فمعلوم انه عليه الصلاة والسلام تلقى القرآن من قبله تعالى (قوله والسين للدلالة على بعد المسافة) جواب عما يقال التسويف لا يناسب المقام لان المفارقة عن الاهل فی الليلة الشاتية مع انفرادها لا تقبل التسويف فی الاتيان اليها اجاب عنه اولا بانه انما سوف الاتيان للتنبيه على بعد المسافة فلو لم ينبه على بعدها لربما خالجتها عند تأخر اتيانه شبهة وثانيا بان السين فيه ليست للتسويف بل للتأكيد والوعد بالاتيان مع قطع النظر عن التسويف والفور (قوله شعلة نار مقبوسة) اشارة الى انه اختار قرآءة من قرأ باضافة شهاب الى قبس اضافة بيانية وان الشهاب الشعلة وان القبس النار المقبوسة ای المأخوذة من قولك اقتبست منه نارا او علما ای استفدته منه فعل بمعنى مفعول كقبض ونقض كأنه قيل بشعلة نار مقبوسة (قوله والعدتان على سبيل الظن) اشارة الى جواب ما يقال انه تعالى قال ههنا سآتيكم منها بخبر وفی سورة طه لعلی آتيكم منها بقبس وهما كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن ومحصول الجواب انه لا تدافع بينهما لان الراجی اذا قوی رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه خلاف ذلك (قوله والترديد) يعنی ان كل واحد من الامرين مطلوب فالظاهر ان يقال سآتيكم منها بخبر وشهاب قبس بالواو الجامعة والجواب انهما وان كانا مطلوبين الا ان المظنون حصول احدهما بناء على الظاهر او على ان سنة الله ان لا يجمع حرمانين على عبد (قوله ای بورك) يعنی ان فی كلمة ان ثلاثة اوجه احدها انها المفسرة لتقدم ماهو بمعنى القول والثانی انها الناصبة للمضارع باسقاط الخافض ای نودی موسى بأن بورك والثالث انها المخففة واسمها ضمير الشان وبورك خبرها ولما ورد ان يقال كيف جاز ان تكون مخففة وهی اذا دخلت على الفعل وكان ذلك الفعل من الافعال المتصرفة وجب ان تفصل المخففة من الفعل بحرف من حروف التعويض وهی السين نحو علم ان سيقوم وسوف

نحو ان سوف يقوم وقد نحو ليعلم ان قد ابلغوا اومن حروف النفي نحو علمت ان لم يقم وان لن يقوم وان لايقوم وماقام ومايقوم فرقا بينها و بين ان المصدرية فان ان المصدرية لايفصل بينها و بين الفعل بشئ من الحروف المذكورة لكونها مع الفعل بتأويل المصدر معنى فلايفصل بينها و بين مايؤثر فيها اضعفها وتسمى النحاة هذه الحروف التي بعد ان المخففة بحروف التعويض لكونها كالعوض عن احدى نوني ان ولما وردت هذه الشبهة اجاب عنها بقوله والتخفيف وان اقتضى التعويض ومنع صاحب الكشاف كونها مخففة بناء على انتفاء حرف التعويض و هذا منه مبني على ان بورك خبر لادعاء فانه اذا قلنا انه دعاء لم يحتج الى الفاصل ومن في النار قائم مقام الفاعل لبورك فان بارك يتعدى بنفسه ولذلك بني للمفعول يقال باركك الله و يقال ايضا بارك الله عليك و بارك فيك و بارك لك فقولنا بورك من في النار وعلى من في النار وفيمن في النار سوآء قال الشاعر

فبوركت مولودا و بوركت ناشئا ❊ و بوركت عند الشيب اذ انت اشيب

ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها والذي بوركت به البقعة و بورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام وتخصيصه بالرسالة والاكرام واظهار المعجزات العظام له فيها ورب خير يحدث في تلك البقاع فبشر الله تعالى بركته في اقاصيها فكيف بمثل ذلك الامر الذي جرى في تلك البقعة (قوله الموسومة بالبركات) في قوله تعالى ونجيناه واوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين فان قوله للعالمين دليل ظاهر على ان الذي بورك فيه عام والكفات ما يكفت فيه الشئ اى يضم و يجمع وفي الحديث اكفتوا صبيانكم بالليل فان للشيطان خطفة ومنه قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا (قوله من تمام مانودي به) يعني انه عليه الصلاة والسلام نودي بمجموع الامرين ناداه وخاطبه اولا بقوله بورك من في النار بشارة له بانه قدقضى له امر عظيم ثم ناداه بتنزيه رب العزة عما لايليق به في ذاته وحكمته لئلا يتوهم من سماع كلامه ان كلامه مركب من الحروف والاصوات وانه محل الحوادث كسائر المتكلمين وانه يحيط به الزمان والمكان ونحو ذلك ممالايليق بذاته تعالى قال اهل السنة انه عليه الصلاة والسلام سمع الكلام المنزه عن مشابهة كلام المخلوقين فعلم بالضرورة انه كلام الله تعالى وصفته القائمة به فكما جاز ان ترى ذاته بلاكم وكيف وكذا جاز ان يسمع كلامه بلا حرف وصوت (قوله وللتعجيب) عطف على قوله لئلا يتوهم يعني انه تعجيب لموسى عليه الصلاة والسلام مماشاهده في تلك البقعة المباركة وايذان له بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين كانه قيل فما اعظم امر امر يده من هو

الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصديرا لخطاب بذلك بشارة بانه قدقضى له امر عظيم بتنشر بركته في اقطار الشام (وسبحان الله رب العالمين) من تمام مانودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته (ياموسى انه انا الله) الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له

أوالمتكلم واناخبرة والله بيان له (العزيز الحكيم) صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوى القادر على مايبعد عن الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل مافعله بحكمة وتدبير ❊ ٤٤٨ ❊ (والق عصاك) عطف على بورك

اى نودى ان بورك من فى النار وان ألق ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان ياموسى انى انا الله بتكرير أن (فلما رآها تهتز) تتحرك باضطراب (كأنها جان) حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لأمر اريد به ويدل عليه قوله (ياموسى لاتخف) اى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله (انى لايخاف لدى المرسلون) حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم أخوف الناس من الله او لايكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) استثناء منقطع استدرك به مايختلج فى الصدر من نفى الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها مايبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فانه لايخاف ايضا و قصد تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل (ان يقال)
متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اى من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة (وادخل يدك فى جيبك)

رب العالمين فيكون قوله وسبحان الله رب العالمين كالتذييل والتأكيد لما يتضمنه قوله بورك الخ اوهو تعجب من موسى بتقدير القول وهو معطوف على قوله من تمام مانودى به (قوله اوالمتكلم) عطف على قوله للشان اى ويحتمل ان يكون ضميرانه راجعا الى ما دل عليه ماقبله والمعنى ان من يكلمك انا ولفظ الجلالة بيان لانا (قوله تعالى تهتز) جملة حالية من مفعول رآها وقوله كأنها جان يجوز ان تكون حالا ثانية وان تكون حالا من فاعل تهتز فتكون حالا متداخلة وقوله ولم يعقب عطف على ولى والمعنى ولم يرجع على عقبه وكل راجع معقب قال

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ❊ ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

قيل ان العصا انقلبت حية عظيمة لكنها فى سرعة حركتها والتوائها كأنها جان وهى الحية الصغيرة فان الحية العظيمة لاتقدر عليها فلذلك خاف موسى عليه الصلاة والسلام فظن ان فى انقلاب العصا حية امرا اريد به هلاك نفسه ويدل على ان خوفه كان لذلك قوله تعالى ياموسى اى قلنا له ياموسى لاتخف من غيرى لانه عليه الصلاة والسلام نهى عن الخوف مطلقا فان الخوف اللازم للايمان والمعرفة لايفارق المرسلين ولاينهون عنه قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فمن كانت معرفته اكمل كان خوفه وخشيته اتم واوفر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انا اخشاكم لله وانما ينهون عن الخوف من غير الله تعالى وهم فى كنف عصمته آمنون فلذلك قيل له لاتخف بأس الحية ويحتمل ان يكون المعنى لاتخف مطلقا فان حال خطاب الله تعالى اياهم ووصيته اليهم تنفى عنهم الخوف مطلقا لفرط الاستغراق لاالخوف من غيره تعالى فقط (قوله اولايكون لهم عندى) اى فى حكمى وقضائى وقوله او مطلقا كل واحد منهما معطوف على قوله اى من غيرى فالمعنى على الثالث لاتخف من سوء العاقبة اذ ليس لاحد من المرسلين سوء عاقبة فى حكمى فيخافون منه (قوله استثناء منقطع) وانما جعله كذلك لان المستثنى وهو من ظلم اى من زل من المرسلين غير مخرج من الحكم المذكور وهو عدم الخوف لانه كما لايخاف الرسل المعصومون من الزلات لايخاف ايضا من فرط منه ماغفرله ثم ترحم عليه لان المغفورله والمرحوم عليه كيف يخاف من الذنب الذى غفرله فاذا تبين انه لايخاف احد من المرسلين من سوء العاقبة البتة فلما لم يكن المستثنى مخرجا من الحكم المذكور لم يكن الاستثناء متصلا وكانت كلمة الابمعنى لكن التى للاستدراك لانه لما نفى الخوف عن المرسلين كلهم اختلج فى الصدور رهم وهو

ان يقال كيف يصح نفي الخوف عمن ظلم اى زل من المرسلين فدفعه بان قال الا من ظلم اى زل ثم بدل حسنا اى توبة وندما بعد سوء بمنزلة كأنه ماكانت وهو فائدة التنكير فانى غفور رحيم وقيل انه متصل والمعنى لايخاف لدى المرسلون الا من ظلم فانه يخاف فيتم الكلام عند قوله الامن ظلم فيكون قوله ثم بدل حسنا مستأنفا معطوفا على محذوف واعلم ان الناس اختلفوا فى جواز الذنب على الانبياء وعدمه قالت الحشوية يجوز صدور الكبائر عنهم عمدا وقالت المعتزلة لايجوز صدور الكبائر عنهم ويجوز صدور الصغائر الامايتنفر كالكذب وسرقة لقمة وتطفيف حبة وقال الجبائى لايجوز عليهم الصغيرة ولاالكبيرة على جهة العمد بل على التأويل وقالت الرافضة لايقع منهم ذنب قط لا قبل البعثة ولا بعدها بل هم معصومون من ابتداء ولادتهم قال الامام والمختار عندنا انهم لم يصدر عنهم ذنب حال النبوة لا لصغيرة ولاالكبيرة وفى كلامه اشعار بان ترك الاولى منهم كالصغيرة منا لان حسنات الابرار سيئات المقربين فتأويل الآية على رأينا الامن ظلم قبل النبوة ثم بدل بعدها حسنا ويؤيده لفظة ثم فانها للتراخى قال الحسن كان موسى والله اعلم ممن ظلم بقتل القبطى ثم بدل حسنا فانه عليه الصلاة والسلام قال رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى فلذلك قال المصنف وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى (قوله لانه كان مدرعة صوف لا كم لها) علة لامره عليه الصلاة والسلام بادخال يده فى جيبه وسترها به يعنى انه تعالى لما اراد ان يجعل يده بيضاء براقة كشعاع الشمس وان لا يجعلها كذلك الاوهى مستورة محجبة بشئ وكانت يده الكريمة مكشوفة من حيث ان مدرعته لاكم لها امره بادخال يده فى جيبه اى فى مدرعته ارجو صه والمدرعة جبة صغيرة يتدرع بها اى تلبس بدل الدرع وهو القميص والجيب كما يطلق على ما جيب من القميص اى قطع لخروج الرأس منه يطلق ايضا على نفس القميص وفى الصحاح الجيب القميص تقول جبت القميص اجيبه اذا قددت جيبه واختار المصنف ان يكون المراد بالجيب المدرعة لاالقميص لما روى عن ابن عباس انه قال وكانت زر نباقة من صوف والزر نباقة جبة قصيرة كمها الى مرفقيه ولم تكن لها ازرار فأدخل يده فى جيبها فاخرجها فاذاهى تبرق مثل البرق وقال المفسرون كانت عليه مدرعة من موصوف لاكم لها ولا ازرار فادخل يده فى جيبها واخرجها فاذاهى تبرق مثل البرق وكان تعالى قادرا على ان يجعل يده بيضاء من غير ادخاله اياها فى جيبه وايضا كان قادار على ان يصير عصاه ثعبانا وهى فى يده لكنه تعالى امتحنه بالامر بادخال يده فى جيبه وبالقاء عصاه ولله تعالى ان يمتحن عباده بمايشاء من انواع المحن وقوله تخرج مجزوم على انه جواب لقوله ادخل اى ان ادخلتها

لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع (تخرج بيضاء من غير سوء) آفة كبرص (فى تسع آيات)

فى جلتها ومعها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب

فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون اواذهب فى تسع ايات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به (الى فرعون وقومه) وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا (انهم كانوا قوما فاسقين) تعليل الارسال (فلما جاءتهم آياتنا) بان جاءهم موسى بها (مبصرة) بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر اوذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لاتهدى فضلا عن ان تهتدى اومبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر (قالوا هذا سحر مبين) واضح سحريته (وجحدوها) وكذبوا بها (واستيقنتها انفسهم) وقد استيقنتها لان الواو للحال (ظلما) لانفسهم (وعلوا) ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا (فانظر

تخرج على هذه الصفة وقوله بيضاء حال من فاعل تخرج ومن غير سوء يجوز ان تكون حالا ثانية منه اومن الضمير فى بيضاء وان يكون صفة لبيضاء (قوله فى جلتها ومعها) على الاول تكون الآيات تسعا وتكون هاتان الآيتان داخلتين فى جلتهن وعدادهن ويكون قوله فى تسع آيات خبر مبتدأ محذوف اى هما داخلتان فى جملة تسع آيات وعلى الثانى تكون لفظة فى بمعنى مع ويكون فى تسع آيات حالا من الضمير فى بيضاء وتكون الآيات احدى عشرة وهما اثنتان والباقية تسع فكانه تعالى لما اراه ها تين الآيتين اشار الى ان هنا تسع معجزات أخرهن مثلهما فى الاعجاز وكلمة فى قد تكون بمعنى مع ولذلك قالت الائمة اذا قال لزيد على عشرة فى تسعة واراد المعية يلزمه تسعة عشر ومن جملة الآيات ان موسى عليه الصلاة والسلام دعا ربه بقوله ربنا اطمس على اموالهم فجعل الله تعالى اموالهم حجارة والطموس الدروس والانمحاء (قوله ان يعد الاخيرين واحدا) لان الجدب والنقصان كالشئ الواحد غاية ما فى الباب ان الجدب كان بالنسبة الى اهل البوادى ونقصان الزرع بالنسبة الى مزارعهم فسقط بهذا الاعتبار واحد وسقط الآخر باعتبار ان المراد بالآيات التسع هذه الآيات التى بعث موسى بها الى فرعون وهى تسع لاغير وفلق البحر ليس من الآيات التى كانت لدعوة فرعون الى الايمان بل انما كان لاهلاكهم لشؤم اصرارهم وعنادهم (قوله اواذهب فى تسع آيات) عطف على قوله فى جملتها اى ويجوز ان يكون فى تسع آيات متعلقا باذهب المقدر وجعل ذهابه فيها عبارة عن كونه محفوظا متحصنا من بأس الاعداء بسببها كما يتحصن من هو داخل الحصن المحيط به من شر من يعاديه (قوله اوذات تبصر) على ان يكون صيغة اسم الفاعل للنسب كتامر ولابن فيكون اثبات التبصر لها تخييلا للاستعارة المكنية بان شبه الآيات بالشخص الهادى واثبت لها الابصار على وجه التخييل قرينة لها لان الاعمى لايقدر على الاهتداء فضلا عن ان يهدى غيره (قوله اومبصرة كل من نظر اليها) يعنى ان ابصار الناظرين فى الحقيقة صفة من نظر وتأمل فى الآيات وجعل نفس الآيات مبصرة على الاسناد المجازى للملابسة بينها وبين المتأملين فيها وانما اولئك انما يبصرون بسبب تأملهم فيها فلما كانت سببا لابصارهم بسبب الابصار اليها اسنادا مجازيا جعل صيغة اسم الفاعل لا بمعنى المفعول بمعنى ذات تبصر اى مدرِكة ثم جعلها للنسب ثم جعل ما فيها من الاسناد من قبيل الاسناد المجازى (قوله وقرئ مبصرة) بفتح الميم والصاد على وزن مسبعة ومأسدة اذ كثرت بها السبع والاسد وانتصابها على القراءتين على انها حال من آياتنا (قوله وكذبوا بها) لما كان المشهور ان الجحود انكار الشئ بعد المعرفة والايقان به تعنتا وكان حمله على هذا المعنى يستلزم كون قوله واستيقنتها انفسهم مستدركا

كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة (ولقد آتينا داود وسليمان علما) طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اى علم (وقالا الحمد لله) عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما أتيا به فى مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله (الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) يعنى من لم يؤت علما ومثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذى لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله ﴿٤٥١﴾ تعالى على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير (وورث سليمان داود) النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ) تشهير النعمة الله وتنويها بها ودعاء الناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق فى التعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ومن ذلك ما حكى انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وألم قلب

فسره بالتكذيب بها والمعنى كذبوا بألسنتهم كونها آيات الهية وقد استيقنت قلوبهم وضمائرهم بذلك وقوله ظلما وعلوا يجوز ان يكون فى موضع الحال اى ظالمين وعالين وان يكون مفعولا له اى الحامل لهم على ذلك الجحود الظلم والعلو (قوله تعالى كيف) خبر كان قدم عليها وعاقبة اسمها (قوله طائفة من العلم) على ان يكون التنكير للنوعية كما فى قوله وعلى ابصارهم غشاوة وقوله او علما اى علم على ان يكون التنوين للتعظيم (قوله عطفه بالواو) مع ان ظاهر الحال يقتضى عطفه بالفاء السببية لتؤذن بانهما انما حمدا الله تعالى شكرا على نعمة ايتاء العلم الذى هو من جلائل النعم لكن عطفه بالواو التى تستدعى معطوفا عليه مسببا عن تلك النعمة يشعر بان ما قالاه بعض ما اتيا به فى مقابلة هذه النعمة كانه قيل ففعلا شكرا له ما فعلا من الشكر بالجوارح والجنان وقالا بلسانهما الحمد لله فلو عطف بالفاء لاقتصر على الشكر اللسانى وفات الاشعار المذكور (قوله وكانوا تسعة عشر) اى كان لداود تسعة عشر ابنا واعطى من بينهم سليمان ما اعطى داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود وكان داود اشد تعبدا من سليمان (قوله تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها) يعنى انه عليه الصلاة والسلام لم يقل ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل الاعتراف بفضل الله تعالى واحسانه اليه وعلى طريق رفع ذلك الفضل واعلاء ذكره يقال نوهت باسمه اذا رفعت ذكره واعليت شانه (قوله بذكر المعجزة) متعلق بالدعاء لا بالتصديق والا لقيل بالمعجزة (قوله والنطق والمنطق فى التعارف) النطق فى الاصل مصدر نطق الرجل ينطق اى تكلم فاشار المصنف الى انه يستعمل فى عرف الناس بمعنى الكلام المنطوق الدال على ما فى الضمير ثم قال وقد يستعمل بمعنى الصوت مطلقا سواء صدر عمن له فؤاد وكلام نفسى ام لا اما على تشبيه صوت من لا فؤاد له بصوت العقلاء فى كونه صوتا تابعا للتخيل او لمجرد التبعية والاطراد بمعنى ان اسم النطق والمنطق للناطق على بعض

الاصوات اطلق على البواقي ايضا على سبيل الاطراد ثم اشار الى وجه الشبه بقوله فان الاصوات الحيوانية الخ ثم انه لما بين وجه اطلاق المنطق على صوت الطير قال ولعل المراد بتعليم سليمان منطق الطير وصوته علمه بالتخيل الذى حمل الطير على ذلك الصوت و بالغرض الذى توخاه بصوته لانه يعلم انه يصوت بذلك الصوت من غير ان يفهم التخيل الذى نشأ منه ذلك الصوت والعفاء بالمد وفتح العين الدروس وذهاب الاثر وقيل العفاء التراب قال تعالى فى صفة الهدهد فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين واعجب منه انه عليه الصلاة والسلام علم كلام من لاصوت له كالنمل قال تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الى قوله فتبسم ضاحكا من قولها * وروى انه صاح ورشان فقال عليه الصلاة والسلام انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب والطاووس يقول كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى والهدهد يقول كل حى ميت وكل جديد بال والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى ملئ سمواته وارضه والقطا يقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والقنبر يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والنسر يقول ابن آدم عش ماشئت آخره الموت والعقاب يقول فى البعد عن الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس والديك يقول اذكروا الله ياغافلون والحمار يقول اللهم العن العشار والفرس يقول اذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح والزرزور يقول اللهم انى اسألك قوت يوم بيوم يارزاق فكل صنف من الطيور يفهم الغرض الذى يتوخاه الآخر والذى علمه سليمان من منطق الطير هو مايفهم بعضها من بعض من مقاصده واعراضه ولذلك قال يا ايها الناس تفضل الله على بزيادة ماورثته من ابى من النبوة والملك والعلم بان علمنى منطق الطير اى فهمنى مايقوله الطير (قوله والضمير فى علمنا) يعنى ان علمنا واوتينا من كلام المتكبرين وكيف يليق بسليمان ذلك اجاب عنه اولا بانه ليس ضمير المعظم نفسه وثانيا بانه ضمير المعظم نفسه الا انه لم يقله تكبرا بل قاله على عادة الملوك فانهم يتكلمون بمثل ذلك رعاية لقاعدة السياسة ومقتضى الملك صيانة لرفعتهم وقدرهم فى قلوب الرعايا وقوله واوتينا من كل شئ اراد به كثرة ما اوتى كما يقال فلان يقصده كل احد و يراد كثرة قاصديه اقامة للتكثير مقام الكل ونحوه قوله تعالى واوتيت من كل شئ وقوله ان هذا اى الذى اوتينا لهو الفضل المبين اورد على سبيل الشكر لا الافتخار كما قال عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد آدم ولا فخر اى اقوله شكرا لا افتخارا (قوله من الجن وما بعده) بيان لجنوده فيتعلق بمحذوف و يجوز ان يكون هذا

والضمير فى علمنا واوتيناله ولابيه اوله وحده على عادة الملوك لراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ كثرة ما اوتى كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ (ان هذا لهو الفضل المبين) الذى لايخفى على احد (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) يحبسون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا

(حتى اذا أتوا على وادى النمل) وادبالشأم كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشئ اذا انفده و بلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادى (قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم) كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت منهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة فنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق (لا يحطمنكم سليمان وجنوده)

الجار حالا فيتعلق بمحذوف ايضا وكون طوآئف الجن والانس والطير جنود السليمان يقتضى ان يكون كل واحد من هذه الاصناف متصرفا على مراده ممتثلا لامره ولا يكون كذلك الا مع العقل الذى يصح معه التكليف بان لا يكون كل واحد من تلك الاصناف اقل عقلا من المراهق الذى قد قارب حد التكليف فيلزم منه انه تعالى جعل الطير فى ايامه من ذوات العقل والفهم وان لم تكن كذلك فى ايامنا وكذا قوله تعالى قالت نملة يدل على انها تكلمت بذلك وليس بمستبعد لان الله تعالى قادر على ان يخلق فيها العقل والنطق قال المفسرون كان سليمان اذا اراد سفرا امر فجمع له طوآئف من هؤلاء الجنود على بساط واحد نسجه الجن له من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والارض والمعنى وجمع له جنوده فى مسيره من الاماكن المختلفة ومعنى الوزع فى اللغة هو الكف يقال وزعه يزعه اذا كفه ومنه قوله ما يزع القرآن اكثر مما يزع السلطان وقال عثمان رضى الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزعه القرآن وقالوا لا بد للناس من وزعة اى من حكام يكفونهم عن الشر والعبث والفساد قال الشاعر

ومن لم يزعه لبه وحياؤه ❊ فليس له من شيب فوديه وازع

(قوله تعالى حتى اذا اتوا) متعلق بقوله يوزعون لانه يتضمن معنى فهم يسيرون ممنوعا بعضهم عن مفارقة بعضهم فى مسيرهم ليجتمعوا احسن اجتماع فى الهيئة والهيبة فى الرؤية حتى اذا اتوا ويجوز ان يتعلق بمحذوف اى فساروا حتى (قوله وتعدية الفعل اليه بعلى) مع انه قد يتعدى بنفسه وبكلمة الى يقال اتيته واتيت اليه اما لانهم اتوا اليه مستعلين فوقه لانهم كانوا محمولين على الريح وقيل هو من قولهم اتيت عليه اذا قطعته وبلغت آخره والمعنى حتى اذا قطعوا الوادى كله وبلغوا آخره (قوله كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادى) اى عند منقطعه لانهم ما دامت الريح تحملهم فى الهوآء لا تخاف النملة حطمهم (قوله كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادى) لما لم تكن النملة من العقلاء الناصحين الذين يعبرون عما فى ضمائرهم بتراكيب ملفوظة تدل عليه دلالة وضعية لم يكن حمل الآية على الحقيقة ظاهرا فلذلك حمله المصنف على الاستعارة التمثيلية بان شبهت الحالة الواقعة بينها وبين قومها بما يقع بين العقلاء الناصحين فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبه بها فقيل قالت نملة الى آخر الآية والظاهر ان الكلام محمول على حقيقته بناء على انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها العقل والنطق الا ترى انه تعالى سخر الريح والشياطين والطير لسليمان عليه الصلاة والسلام وجعل جميع ذلك جنودا واعوانا

منقادين له لا يخالفونه فى شئ مما امرهم به وذلك لا يكون الا بجعلهم عقلاء مميزين ومع ذلك كيف يبعد ان يخلق الله تعالى العقل والنطق فى النملة وقد روى ان سليمان لما سمع قول النملة قال ائتونى بهـا فأتوه بها فقال لها لم حذرت النمل من ظلمى اما علمت انى نبى عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة اما سمعت قولى وهم لا يشعرون ومع ذلك انى لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يروا ما انعم الله به عليك من الجاه والملك العظيم فيقعوا فى كفران النعم فلا اقل من ان يشتغلوا بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها سليمان عظينى فقالت النملة أعلمت لم سمى ابوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه وهل تدرى لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم القلب والصدر ثم قالت اتدرى لم سخر الله لك الريح قال لا قالت اخبرك الله تعالى بذلك ان الدنيا كلها ريح فمن اعتمد عليها فكأنما اعتمد على الريح وقول النملة وهم لا يشعرون يدل على انهـا عرفت ان النبى عليه الصلاة والسلام معصوم فلا يقع منه قتل وايذاء بغير ذنب الا على سبيل السهو وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء ولفظة نملة فى قوله تعالى قالت نملة مؤنث حقيقى بدليل لحوق علامة التأنيث فعلهـا لان نملة تطلق على الذكر والانثى فاذا اريد تمييز ذلك احتيج الى مميز خارجى نحو نملة ذكر ونملة انثى وكذا لفظ حمامة ويمامة من المؤنثات اللفظية ذكر الامام ان قتادة دخل الكوفة فالتف عليه النـاس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حديث السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة رضى الله عنه كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكر القيل قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعهما على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى انتهى يعنى ان التأنيث لفظى ومعنوى واللفظى لا يعتبر فى لحوق علامة التأنيث بالفعل البتة بدليل انه لا يجوز قامت طلحة ولا حمزة على مذكر فتعين ان يكون اللحوق انمـا هو للتأنيث المعنوى (قوله نهى لهم عن الحطم) يعنى ان النهى فى لا يحطمنكم متوجه الى سليمان وجنوده ظاهرا لكنه كناية فى المعنى عن نهى النمل عن الوقوف فى مكانهم فيحطمهم سليمان وجنوده كما ان النهى فى لا ارينك ههنا متوجه بحسب الظاهر الى المتكلم لكنه كناية عن نهى المخاطب عن الوقوف فى مكانه فيراه فان وقوف المخاطب فيه ملزوم لرؤية المتكلم اياه فجعل النهى عن اللازم كناية عن النهى عن الملزوم والفاء فى قوله وهو استئناف او بدل من الامر لتفريع جواز كل واحد من الامرين على كون

نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا وهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله فى السعة (وهم لا يشعرون) انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء

النهى المذكور كناية عن نهى النمل عن الوقوف لانه لوكان النهى على ظاهره لما جاز كون لا يحطمنكم بدلا من قوله ادخلوا لان نهى الجماعة لا يصلح ان يكون بدلا من الامر لجماعة اخرى بخلاف ما لو جعل كناية فانه المأمور والمنهى حينئذ يكون جماعة النمل فتصح البدلية ومعنى كلامه انه لما كان نهى الجنود عن الحطم كناية عن نهى النمل عن الوقوف جاز ان يكون لا يحطمنكم نهيا مستأنفا لا تعلق له بما قبله من حيث الاعراب وان يكون بدلا من جملة الامر قبله وهى ادخلوا ولا مدخل لكون النهى كناية فى جواز كونه نهيا مستأنفا وانما المتفرع عليه جواز كل واحد من الامرين (قوله وقيل استئناف) عطف على ما فهم من تقرير كلامه من ان قوله وهم لا يشعرون حال من فاعل لا يحطمنكم (قوله تعالى فتبسم ضاحكا) ليس معناه انه عليه الصلاة والسلام ضحك متبسما الا ان التبسم والضحك لا يجتمعان بل اراد انه بالغ فى تبسمه حتى بلغ نهايته التى هى اول مراتب الضحك وكأنه قيل فتبسم شارعا فى الضحك وآخذا فيه (قوله ولذلك) اى ولاختصاصه بهذه النعمة الجليلة التى هى سماعه ما همس به بعض النمل الذى هو مثل فى الصغر واحاطته بمعناه فان احدا من الناس لم يسمع صوت النملة فضلا عن ان يفهم غرضها منه (قوله اجعلنى ازع شكر نعمتك) اشارة الى ان همزة اوزع للتعدية وانه من الوزع بمعنى الكف والمنع عن التفرق والانتشار والوازع من يكف الرعية عن التظالم والفساد وقدم آنفا أن قوله تعالى فهم يوزعون بمعنى يحبسون ويمنعون عن الانتشار حتى يجتمعوا فى مسيرهم فانه احسن فى الهيئة وأهيب فى الرؤية سأل عليه الصلاة والسلام ان يجعله الله تعالى وازعا لجيش شكره فيكون قوله اوزعنى ان اشكر استعارة مكنية حيث شبه الشكر بالجماعة النافرة وجعل تعليق الوزع والربط به تخييلا وقرينة للتشبيه المضمر فى النفس ورد فى الحديث النعمة وحشية قيدوها بالشكر فانها اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت (قوله أدرج فيه ذكر والديه) اى ادرج ذكر النعمة الواصلة اليهما فى ذكر النعمة المستدعية لشكر نفسه (قوله فان النعمة عليهما نعمة عليه) ضرورة ان انتساب الابن الى اب شريف نعمة من الله تعالى على الابن فيشكر تلك النعمة الواصلة منه تعالى الى الابن (قوله والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية) فان الابن اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضى الله عنك وعن والديك فاشتغل بشكر نعم الله تعالى على والديه ايضا اشعارا بان نعمتهما من آثار ما انعم به عليه (قوله فى عدادهم الجنة) لفظ الجنة بدل من العداد المقدر يعنى ان المراد من ادخاله فى العباد ادخاله فى عدادهم والمقصود منه ادخاله فيما هى لهم وهو الجنة لانه قد سأل ان يوفقه الله تعالى للاعمال الصالحة ودخوله فى زمرة الصالحين بقوله وأن أعمل صالحا ترضاه فلو حمل قوله وأدخلنى برحمتك فى عبادك

وقيل استئناف اى فهم سليمان والقوم لا يشعرون (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجبا من حذرها وتحزرها واهتدائها الى مصالحها اوسرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره (وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك) اجعلنى ازع شكر نعمتك عندى اى اكفه وارتبطه لا ينفلت عنى بحيث لا انفك عنه وقرأ البزى وورش بفتح ياء اوزعنى (التى انعمت على وعلى والدى) أدرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة اوتعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية (وأن أعمل صالحا ترضاه) تماما للشكر واستدامة للنعمة (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) فى عدادهم الجنة (وتفقد الطير)

وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد (فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين) ام منقطعة كانه لما لم يره ظن
انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال مالى لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فأضرب عن ذلك واخذ يقول بل
اهو غائب كانه يسأل
عن صحة ما لاح له
(لأعذبنه عذابا شديا)
كنتف ريشه والقائه
فى الشمس او حيث النمل
تأكله او جعله مع ضده
فى قفص (اولاذبحنه)
ليعتبر به ابناء جنسه
(او ليأتينى بسلطان مبين)
بحجة تبين عذره والحلف
فى الحقيقة على احد الاولين
بتقدير عدم الثالث لكن
لما اقتضى ذلك وقوع
احد الامور الثلاثة ثلث
المحلوف عليه بعطفه
عليهما (فمكث غير
بعيد) زمانا غير مديد
يريد به الدلالة على سرعة
رجوعه خوفا منه وقرأ
عاصم بفتح الكاف (فقال
احطت بما لم تحط به) يعنى
حال سأل وفى مخاطبته اياه
بذلك تنبيه له على ان ادنى
خلق الله تعالى من احاط
علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه
نفسه ويتصاغر لديه علمه
وقرئ بادغام الطاء فى التاء
باطباق وبغير اطباق
(وجئتك من سبأ) وقرأ
ابن كثير وابو عمرو غير
مصروف على تأويل القبيلة
والبلدة (بنبأ يقين) بخبر محقق روى انه عليه الصلاة والسلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم (اى)
واقام به ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء

الصالحين على طلب التوفيق للاعمال الصالحة لكان تكرارا فالآية دليل على
ان دخول الجنة انما يكون برحمة الله وفضله لا باستحقاق العبد وصلاحه والصالح
الكامل هو من لا يعصى الله ولا يهم بمعصية وهو درجة عالية يطلبها كل نبى وولى
(قوله وتعرف الطير) اى طلبه وبحث عنه والتفقد طلب ما فقد وغاب عنك
(قوله ام منقطعة) لان قوله مالى لا ارى الهدهد تعجب من عدم رؤية
الهدهد وهو يستدعى كون حضور الهدهد مجزوما به عنده فلا وجه لكون
الاستفهام لطلب التعيين بل يجب ان يكون للاضراب عن ظن كونه حاضرا عنده
(قوله او جعله مع ضده فى قفص) عد ذلك من العذاب الشديد لما قيل
أضيق السجون معاشرة الاضداد قرأ ابن كثير ليأتيننى بنونين اولاهما نون
التأكيد المشددة المفتوحة وثانيتهما نون الوقاية المكسورة والباقون بنون واحدة
مشددة مكسورة والاصل قراءة ابن كثير لكن حذفت النون التى قبل ياء المتكلم
كراهة لاجتماع النونات (قوله والحلف فى الحقيقة على احد الاولين)
جواب عما يقال انه عليه الصلوة والسلام حلف على ثلاثة اشياء اثنان منها
فعله فيصح الحلف عليهما بأن يقول والله لاعذبنه اولاذبحنه والثالث فعل
الهدهد وهو اتيانه بحجة يبين عذره فى غيبته فكيف يصح حلفه على ما هو
فعل غيره ومن أين درى انه يأتى بسلطان بين حتى يقول اوليأتينى بسلطان وتقرير
الجواب ان الاشكال انما يرد ان لو حلف على وقوع الثالث بخصوصه وليس
كذلك بل حلف ليكون احد الامور الثلاثة ومحصوله انه ان وقع الثالث
لا يكون ذبح ولا تعذيب وان لم يقع يكون احد الامرين لا محالة
ولا محذور فى الحلف على هذا الوجه (قوله زمانا غير مديد) يعنى ان قوله
عليه الصلاة والسلام غير بعيد صفة زمان ويجوز ان يكون صفة مصدر
محذوف اى مكثا غير مديد فأتاه الهدهد بحجة تبين عذره فى غيبته فقال احطت
بما لم تحط به اى اطلعت على ما لم تطلع عليه وعلمته من جميع جهاته بحيث
لا يخفى على منه شئ فان الاحاطة بالشئ علما أن تعلمه من جميع جهاته
بحيث لا يخفى منه معلوم اصلا (قوله باطباق وبغير اطباق) الاطباق
ان تدفع ظهر لسانك الى ما يحاذيه من الحنك الاعلى عند تلفظ حرف من الحروف
المطبقة واختلفوا فى ان الحروف المطبقة اذا ادغمت فى غير المطبقة هل يبقى ما فيها
من الاطباق اولا والظاهر ان الاطباق يقتضى بقاء المطبقة بحالها وعند ادغامها فى غير
المطبقة يجب ابدالها الى المدغم فيه ولا يبقى الاطباق مع ابدالها (قوله غير مصروف)

وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقفا
فانحط اليه فتواصفا
فطار معه لينظر ماوصف له
ثم رجع بعد العصر وحكى
ماحكى ولعل فى عجائب
قدرة الله وماخص به
خاصة عباده اشياء اعظم
من ذلك يستكبرها من
يعرفها ويستنكرها من
ينكرها (انى وجدت
امرأة تملكهم) يعنى
بلقيس بنت شراحيل
بن مالك بن الريان
والضمير فى تملكهم لسبأ
اولاهلها (واوتيت من كل
شئ) يحتاج اليه الملوك
(ولها عرش عظيم)
عظمه بالنسبة اليها
اوالى عروش امثالها
وقيل كان ثلاثين ذراعا
فى ثلاثين عرضا وسمكا
اوثمانين فى ثمانين من ذهب
وفضة مكللا بالجواهر
(وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله)
كأنهم كانوا يعبدونها (وزين
لهم الشيطان اعمالهم)
عبادة الشمس وغيرها
من مقابح افعالهم
(فصدهم عن السبيل)
سبيل الحق والصواب
(فهم لايهتدون) اليه
(الايسجدوا لله) فصدهم
لأن لايسجدوا او زين لهم
ان لايسجدوا على انه بدل
من اعمالهم أولايهتدون الى (٥٨) ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائى (سبا) و يعقوب ألا بالتخفيف على انها للتنبيه

اى طالبا يطلب له الماء يقال راد الكلأ يروده رودا وريادة اى طلبه فهو رائد وكان الهدهد قنقن سليمان وهو الدليل الهادى البصير بالماء تحت الارض وكيفية حفر القنى وكذلك القناقن بالضم والجمع القناقن بالفتح وكان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة ويعرف الفصل بين قريبه وبعيده فيدلهم على موضع الماء بان ينقره بمنقاره ثم الشياطين يسلخون عنه الارض كما يسلخ الاهاب عن المذبوح ذكر ان ابن عباس رضى الله عنه لما قال ان سليمان طلبه لانه كان يعلم مسقاة الماء ويبصره تحت الارض قيل له ان الصبى يضع له الفخ فيغطيه بالتراب فكيف لايعرفه حتى يقع فيه فقال ويحك اما علمت ان القدر يحول دون البصر وانه اذا جاء القضاء عمى البصر (قوله فوافى الحرم) اى اتاه (قوله اذ حلق) علة لقوله لم يجده وتحليق الطائر ارتفاعه فى طيرانه (قوله فتواصفا) اى وصف كل واحد من الهدهدين ملك صاحبه وصف هدهد سليمان للآخر ملك سليمان ومايخوله من كل شئ ووصف هدهد بلقيس ملك بلقيس وان تحت يدها اثنى عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة (قوله والضمير فى تملكهم لسبأ) يعنى ضمير تملكهم لسبأ ان اريد به القبيلة اولاهلها ان اريد بها البلدة باضمار اهلها او بطريق الاستخدام حيث اريد بالاسم الظاهر احد معنييه وبضميره معناه الاخر (قوله واوتيت من كل شئ يحتاج اليه الملوك) حمل كل شئ فى حق بلقيس على اسباب الدنيا ولوازم الملوك لئلا يلزم التسوية بينها وبين سليمان عليه الصلاة والسلام فان المراد بقوله عليه الصلاة والسلام واوتينا من كل شئ مااوتى من النبوة والعلم والحكمة والملك واسباب الدنيا (قوله عظمه بالنسبة اليها اوالى عروش امثالها) جواب عما يقال كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وايضا كيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الرحمن فى الوصف بالعظم والسمك المد الآخذ من السفل الى العلو وعكسه العمق وكان ابو بلقيس ملكا عظيم الشان وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لى وأبى ان يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها فلما مات ابوها طمعت فى الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فأطاعوها وملكوها وفى الحديث ان احد ابوى بلقيس كان جنيا وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس (قوله فصدهم لان لايسجدوا) وقرأ الجمهور الا بالتشديد على ان اصلها ان لا فأن ناصبة للفعل بعدها ولذلك سقطت نون الرفع من الفعل ولا بعدها حرف نفى وان مع مابعدها فى موضع المفعول له لقوله فصدهم اى فصدهم عن سبيل الحق لاجل ان لايسجدوا فحذفت لام الاجل وادغمت النون فى اللام فصار

الا يسجدوا والوجه الثاني ان تكون ان مع ما بعدها بدلا من اعمالهم وما بينهما اعتراضا تقديره وزين لهم الشيطان عدم السجود لله عز وجل والوجه الثالث ان تكون ان وما بعدها في موضع مفعول يهتدون على اسقاط الخافض اى الى ان لا يسجدوا وتكون لا مزيدة كزيادتها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا لله وان قرئ الا مخففا تكون ألا حرف تنبيه يستفتح بها الكلام وما بعدها حرف نداء واسجدوا فعل امر فحق الخط على هذه القراءة ان يكون على صورة يا اسجدوا الا ان الصحابة اسقطوا ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا لما سقطا لفظا ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت على صورة يسجدوا كما قرئ فاتحدت القراءتان لفظا وخطا واختلفتا تقديرا ومثل حذف المنادى مع بقاء حرف النداء قوله

فقالت الا يا اسمع اعظك بخطة * فقلت سميعا فانطق وأصب

اى الا يا صاحبي اسمع والخطة الخصلة المهمة وقوله فقلت سميعا اى ناديت سميعا (قوله وعلى هذا) اى على قراءة التخفيف كما يجوز ان ينتهي كلام الهدهد عند قوله رب العرش العظيم يجوز ان ينتهي عند قوله لا يهتدون ويوقف عليه ويكون قوله الا يسجدوا استئناف خطاب من الله تعالى للمشركين او من قبل سليمان عليه الصلاة والسلام لقومه بعد تمام كلام الهدهد وعلى قراءة التشديد لا يوقف الا على العرش العظيم (قوله وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة) يعني انها لا تجب على الفور بل وقتها موسع ففي اى وقت اديت يكون اداء لا قضاء ومورد هذا الفرق بين القراءتين فاوجبها على قراءة التخفيف نظرا الى وجود لفظ الامر فيها ولم يوجبها على قراءة التشديد لعدم وجود لفظ الامر فيها ولم يرض المصنف بهذا الفرق لان السجدة كما تجب بالامر بها تجب ايضا بذم من تركها وبمدح من اتى بها ففي قراءة التشديد وان لم يصرح بالامر بها الا انها تدل على ذم من تركها فتدل على الوجوب ايضا وفي كلام الفارق بينهما بحث آخر وهو ان الامر المحقق في قراءة التخفيف اما ان يكون من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد محكيا عنه فان كان من كلام الله تعالى فدلالته على الوجوب ظاهرة وان كان من كلام الهدهد وهو الظاهر ففي دلالته على الوجوب نظر الا ان يقال انه تعالى لما حكى كلامه على طريق الارتضاء والقبول كان كأنه قرر مضمونه واوجبها ابتداء من قبل نفسه فكانت قراءة التخفيف دليلا على الوجوب سواء كان مادتها من لفظ الامر من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد (قوله وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء) مع تشديدها وتخفيفها وقرئ الا تسجدون وهلا تسجدون بالتخفيف فيهما وبالتاء الخطاب

(واثبات)

يا للنداء ومناداه محذوف اى الا يا قوم اسجدوا كقوله * ألا يا اسمع أعظك بخطة * فقلت سميعا فانطق وأصب * وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب (الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد غيره

واثبات نون الرفع فمن اثبت نون الرفع جعل الاحرف تحضيض اوللعرض كما في الا تنزل عندنا (قوله والخبأ ما خفي في غيره) الخبأ في الاصل مصدر خبأت الشيء اخبأه خبأ اي سترته واخفيته ثم اطلق على الشيء المخبوء ونحوه هذا خلق الله تعالى اي مخلوقه والمخبوء في السموات كالكواكب والامطار اخرجها الله تعالى باشراق الكواكب وانزال الامطار والمخبوء في الارض كالنبات اخرجه الله تعالى بانباته والانشاء ايجاد الشيء المسبوق بالمادة والابداع ايجاد ما ليس بمسبوق بها والمقصود من وصفه تعالى بالتفرد بكمال القدرة حيث قيل يخرج الخبأ وبالتفرد بكمال العلم حيث قيل ويعلم ما تخفون وما تعلنون الحث على السجود له تعالى والرد على من يسجد لغيره كالشمس وتقريركونه ردا عليه ان الاله يجب ان يكون قادرا على اخراج الخبأ وعالما بالخفيات والشمس مثلا ليست كذلك فهي لا تكون الها واذا لم تكن الها لم يجز السجود لها اما ان الاله يجب ان يكون قادرا وعالما على الوجه المذكور فلانه يجب ان يكون واجبا لذاته ولا تختص قادريته وعالميته ببعض المقدورات والمعلومات دون البعض واما ان الشمس ليست كذلك فلانها جسم متناه وكل ما كان متناهيا في الذات كان متناهيا في الصفات (قوله فرق بين العظيمين) احدهما عرش بلقيس والآخر عرش الله العظيم يعني ان قوله تعالى لا اله الا هو رب العرش العظيم سواء كان من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد يكون المقصود منه الاشارة الى البون البعيد بين العظيمين فان كان من كلام الهدهد يكون المقصود استدراكا منه لما وصف عرش بلقيس بالعظم وان كان من كلام الله يكون المقصود الرد عليه في وصفه عرشها بالعظم (قوله والتغيير للمبالغة) فان ام كنت من الكاذبين ابلغ من ام كذبت لان معناه من الذين اشتهروا بالكذب وانخرطوا في سلك الكاذبين (قوله ماذا يرجع بعضهم) اي ماذا يرد من الجواب من الرجع وهو الرد ان جعلنا النظر بمعنى التأمل والتفكر كانت ما في قوله ماذا يرجعون استفهامية وفيها حينئذ وجهان احدهما ان تجعل مع ذا بمنزلة اسم واحد منصوب بيرجعون على انه مفعوله تقديره اي شيء يرجعون وثانيهما ان تجعل ما مبتدأ وذا بمعنى الذي ويرجعون صلتها وعائدها محذوف تقديره اي شيء الذي يرجعونه وهذا الموصول هو خبر ما الاستفهامية وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلقة لانظر ومحلها النصب على اسقاط الخافض اي انظر في كذا وفكر فيه وان جعلتها بمعنى انتظر كما في قوله انظرونا نقتبس من نوركم كانت ماذا بمعنى الذي ويرجعون صلتها وعائدها محذوف وهذا الموصول مع ما في حيزه مفعول به لانظر اي انتظر الذي يرجعونه (قوله لكرم مضمونه) اي ما في مضمونه من اللفظ والمعنى (قوله او مرسله) وعرفت كرم مرسله بناء على انها

والخبأ ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم (قال سننظر) سنعرف من النظر بمعنى التأمل (أصدقت ام كنت من الكاذبين) اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم) ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر ماذا يرجعون) ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت) اي بعد ما القي اليها (يا أيها الملأ اني القي الي كتاب كريم) لكرم مضمونه او مرسله

أو لأنه كان مختوما ولغرابة شأنه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به (انه من سليمان) استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اى الكتاب او العنوان من سليمان (وانه) اى وان المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه (بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا على) ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اى هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب (وائتونى مسلمين) مؤمنين او منقادين وهذا الكلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما والنهى عن الترفع الذى هو أم الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة (قالت يا أيها الملأ أفتونى في امرى) أجيبونى

لما رأت الخاتم ارتعدت فرائصها وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذى ارسل الكتاب اعظم ملكا منها الطاعة الطير اياه وهيبة الخاتم (قوله اولانه كان مختوما) فان مجرد ختم الكتاب يكفى لصحة توصيفه بالكرم لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان عليه الصلاة والسلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاتخذ لنفسه خاتما نقشه اى الخاتم محمد رسول الله وقال مقاتل اتاها الهدهد وهى جالسة في قصرها فرفرف على رأسها ساعة والناس ينظرون فرفعت رأسها ناظرة اليه فألقاه في حجرها فقرأته وكانت عربية من قوم تبع (قوله استئناف) يعنى انه من كلام بلقيس اجابت به لمن قال ممن هو او ما هو اى ما صفته وليس مما كتبه سليمان في كتابه حتى يقال كيف قدم سليمان اسمه على قوله بسم الله الرحمن الرحيم فان بلقيس اذا ذكرت ان هذا الكتاب من سليمان ثم حكت ما في الكتاب بانه كيت وكيت لم يرد ذلك ثم ان العامة قرأوا انه وانه بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف جوابا لسؤال قومها كأنهم قالوا ممن الكتاب وما فيه فأجابتهم بالجوابين وقرئ بفتح الهمزة فيهما اما على انه بدل من كتاب بدل اشتمال او بدل الكل من كتاب كأنه قيل ألقى الى انه من سليمان وانه كذا وكذا واما على اسقاط لام العلة والتقدير لانه من سليمان ولانه كذا وكذا كأنها علات كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم (قوله أن مفسرة) بناء على ان بسم الله متعلقة بالقول كأنه قيل اقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم فسر المقول بقوله ان لا تعلوا على ولا تتكبروا وان كانت مصدرية تكون مع صلتها في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انه بدل من كتاب كأنه قيل القى الى ان لا تعلوا (قوله مع كمال الدلالة على المقصود) وهو الدعوة الى الاستكمال بالقوة النظرية والعملية والتحلى بالفضائل العلمية والعملية والعلم مقدم على العمل فابتدأ بقوله بسم الله الرحمن الرحيم لاشتماله على اثبات الصانع تعالى وصفاته صريحا والتزاما اما صريحا فظاهر واما التزاما فلان ما ذكر صريحا يستلزم كونه تعالى حيا مريدا عالما قادرا ولما ورد ان يقال النهى عن الاستعلاء والامر بالانقياد قبل اقامة ما يدل على رسالته حقا يدل على الاكتفاء بالتقليد والدعوة اليه اجاب عنه بان لا تقليد والحال ان رسول سليمان الى بلقيس كان الهدهد ورسالة الهدهد معجزة والمعجزة تدل على وجود الصانع وعلى صفاته وتدل على صدق مدعى الرسالة فلما كانت رسالة الهدهد دليلا تاما على التوحيد والنبوة لم يحتج الى ذكر دليل آخر روى ان نسخة الكتاب كانت هكذا بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله سليمان بن داود

فى أمرى الفتى واذكروا ما تستصوبون فيه (ما كنت قاطعة أمرا) ما ابت أمرا (حتى تشهدون) الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة (قالوا نحن اولوا قوة) بالاجساد والعدد (واولوا بأس شديد) نجدة وشجاعة (والامر اليك) موكول (فانظرى ماذا تأمرين) من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها) تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بأنها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها (وجعلوا اعزة اهلها اذلة) بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر (وكذلك يفعلون) تأكيدا لما وصفت من حالهم وتقريرا بأن ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل (وانى مرسلة اليهم بهدية) بيان لما ترى تقديمه للمصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكى (فناظرة بم يرجع المرسلون) من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت منذر بن عمرو فى وفد وارسلت معهم غلمانا على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظم شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال طلب الحق واخبر عما فيه فأمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة وامر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية (فلما جاء سليمان) اى الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا (قال أتمدونني بمال) خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب

الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا على وائتونى مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون ويجوز ان يكون الكتاب اطول من هذا القدر لكن الله تعالى ذكر ما هو المقصود منه وهو دعاؤها الى التوحيد (قوله فى امرى الفتى) اى الحادث عن قريب والفتى الشاب والفتاة الشابة والفتوى هى الجواب فى الحادثة والمعنى اشيروا على بما عندكم من الرأى والتدبير فيما حدث من الامر بلفظ مشتق من الفتاء فى السن وهو لفظ الفتوى لجامع الحدوثة (قوله ليمالئوها) اى ليعاونوها يقال مالأته على الامر ممالأة اى ساعدته عليه مساعدة وتمالأوا على الامر اى اجتمعوا عليه وتعاونوا فأجابها قومها بان ذكروا لها قوتهم وشجاعتهم تعريضا منهم بالقتال ان امرتهم بذلك ثم قالوا والامر اليك اى فى القتال وتركه ولما أحست منهم الميل الى المحاربة رأت ان من الرأى الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن فزيفت اولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه وقالت ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا اخربوها وقوله تعالى وكذلك يفعلون من تمام قولها ارادت وهذه عادتهم المستمرة التى لا تتغير لانها كانت ربيت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ويجوز ان ينتهى كلامها عند قولها اذلة ثم صدقها الله تعالى فيما قالت فقال وكذلك يفعلون اى وكما قالت هى تفعل الملوك ثم قالت الرأى السديد ان نبتدئ بارسال رسل ملتبسين بهدية فننظر بم يرجع المرسلون وقوله بم متعلق بيرجع لا بقوله ناظرة لان اسم الاستفهام له صدر الكلام واعلم ان بلقيس كانت امرأة لبيبة حيث اختارت ان ترسل اليهم اى الى سليمان وقومه هدية وان تختبر بها أملك هو أم نبى وقالت ان يكن ملكا قبل الهدية ورضى بها وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا بان نتبعه على دينه فذلك قولها فناظرة بم يرجع المرسلون فان هذا الكلام يدل على انها لم تثق بالقبول وجوزت الرد وارادت ان ينكشف غرض سليمان

لا مزيد عليه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص باسكان الياء وباسقاطها الباقون وبامالتها الكسائي وحده (خير مما آتاكم) فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندي (بل انتم بهديتكم تفرحون) لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليهم وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها (ارجع) ايها الرسول (اليهم) الى بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقاتلتها وقرئ بهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز (وهم صاغرون) اسراء مهانون (قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها) اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه ام تنكره (قبل ان يأتوني مسلمين) فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها (قال عفريت) خبيث مارد (بهذا)

(قوله وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام) اي بادغام نون الرفع في نون الوقاية واما الياء فان حمزة يحذفها وقفا ويثبتها وصلا على قاعدته والباقون بنونين على الاصل جمعوا بين المثلين ولم يدغموا لان الثانية ليست بلازمة فانها تراد مع ضمير المتكلم واما الياء فان نافعا وابا عمرو وحمزة يثبتانها وصلا ويحذفانها وقفا وابن كثير يثبتها في الحالتين والباقون يحذفونها في الحالتين وروى عن نافع انه يقرأ بنون واحدة خفيفة وياء على حذف النون الثانية التي تصحب ضمير المتكلم وحذف الاولى لحن لانها علامة ومعنى قوله أتمدونني بمال أتزيدونني مالا بهديتكم وهذا استفهام انكار اي لا اطلب زيادة في المال فكأنه قيل لا اقبل هديتكم بل اردها عليكم ثم علل هذا الانكار بقوله فما آتاني الله خير مما آتاكم ثم اضرب عن انكار الاهداء وتعليله الى ذمهم بالاغترار بالامور العاجلة وغفلتهم عن الفضائل الروحانية والامور الاخروية فقال بل انتم بهديتكم تفرحون كأنه قال انا لا ارضى بالهدية والمصانعة بل انتم تفرحون بذلك لان نظركم مقصور على الزخارف الدنيوية وفرحي بالنبوة والعلم والامور الاخروية قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون هذا على ان تكون الهدية في قوله بهديتكم مضافا الى المهدى اليه فان الهدية اسم لما يهدى اي يبعث الى شخص تكرما كما ان العطية اسم لما يعطى فتضاف تارة الى المهدي وتارة الى المهدى اليه يقال هدية فلان فيراد هداها فلان او اهديت اليه والمراد هنا الاضافة الى المهدى اليه والمعنى بل انتم بالاهداء اليكم تفرحون ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها فيكون وجه الاضراب حينئذ انه لما قال أتمدونني بمال وكان ذلك متضمنا معنى اتظنونني افرح بهديتكم والمعنى اني لا افرح بهديتكم اضرب عنه بقوله بل انتم بهديتكم تفرحون (قوله تعالى فلنأتينهم) جواب قسم محذوف وكذلك ولنخرجنهم اي فوالله لنأتينهم فان قيل كيف حلف سليمان على ذلك ولم يحفظ يمينه فالجواب انه معلق على شرط حذف لدلالة المقام عليه اي ان لم يأتوا مسلمين وحقيقة قوله لا قبل لهم لا مقابلة ولا طاقة عليها قال ابن عباس رضي الله عنهما لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها الخبر قالت قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة اليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم ارتحلت الى سليمان في اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة قائد تحت كل قائد الوف فلما قربت منه على مقدار فرسخ بينها وبين سليمان رأى سليمان رهجا قريبا اي توقد نار فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت

(من الجن) بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار (وانى عليه) على حمله (لقوى امين) لا اختزل منه شيأ ولا ابدله (قال الذى عنده علم من الكتاب) آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبريل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى (انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) للعفريت كانه استبطأه ﴿٤٦٣﴾ فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله * وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر * وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شئ فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه (فلما رآه) رأى العرش (مستقرا عنده) حاصلا بين يديه (قال) تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى (هذا من فضل ربى) تفضل به على من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام فى امكان مثله قد مر فى آية الاسراء (ليبلونى أأشكر) بان اراه فضلا من الله بلا حول منى ولا قوة واقوم بحقه (ام اكفر) بان اجد نفسى فى البين او اقصر فى اداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران (ومن كفر فان ربى غنى) عن شكره (كريم) بالانعام عليه ثانيا

بهذا المكان ما قيل سليمان على جنوده حينئذ فقال يا ايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين طائعين وقد روى انها لما خرجت الى طاعة سليمان امرت ان يجعل عرشها فى آخر سبعة ابيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه (قوله لانه يقال للرجل الخبيث) تعليل لكون من للتبيين فان ما قبلها يجب ان يكون اعم من مدخولها وههنا كذلك فان العفر والعفرية والعفريت والعفرنية والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر اقرانه اى يلقيهم فى التراب ومن الشياطين الخبيث المارد واشتقاقه من العفر وهو التراب (قوله انا آتيك) يجوز ان يكون فعلا مضارعا على وزن افعل نحو اضرب واصله أأتيك بهمزتين فابدلت الثانية الفا وان يكون اسم فاعل فالالف زائدة والهمزة اصلية على عكس الاول (قوله والطرف تحريك الاجفان للنظر) فالطرف بالنسبة الى النظر كالنظر بالنسبة الى الرؤية فان الناظر اذا اراد النظر الى شئ حرك اجفانه نحو ذلك الشئ فهو ارسال الطرف واذا اراد الامساك عنه رد الاجفان الى مكانها الاول فلما كان وضع الطرف موضع النظر عبارة عن امتداد النور من العين الى المرئى كان اغماض الجفن يوهم ان ذلك النور ارتد الى العين ورائدا فى البيت نصب على الحال من طرفك وجواب اذا اتعبتك والرائد الذى يتقدم القوم لطلب الكلأ لهم اى اذا جعلت عينك رائدا انقلبت لطلب هواها تعبتك مناظرها وتوقعك فى اشق المكاره ثم ان الشاعر فصل ما اجمله فى قوله اتعبتك المناظر بقوله فى البيت الثانى

رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

واختلف المفسرون فى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك على وجهين الاول انه اراد المبالغة فى السرعة كما تقول لصاحبك افعل ذلك فى لحظة وهذا قول مجاهد والثانى ان يكون الكلام على ظاهره فان قيل كيف يجوز ان ينقل العرش من ناحية اليمن الى ارض الشام فى هذا القدر من الزمان وهو يقتضى اما القول

(قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكله (ننظر) جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أتهتدى ام تكون من الذين لايهتدون) الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) تشبيها عليها زيادة فى امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها

بالحركة او حصول الجسم الواحد دفعة واحدة فى مكانين اجيب عنه بان المهندسين قالوا كرة الشمس مثل كرة الارض مائة واربعا وستين مرة ثم ان زمان طلوعها زمان قصير فاذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان المقدار الذى بين الشام واليمن كانت تلك اللمحة كثيرا فلما ثبت عقلا امكان وجود هذه الحركة السريعة وثبت انه تعالى قادر على كل الممكنات زال السؤال قال المصنف فى سورة الاسراء والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى عليه السلام او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات روى ان آصف بن برخيا قال لسليمان ارسل طرفك فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار الكرسى تحت الارض ونبع لدى كرسى سليمان قبل ان يرجع اليه طرفه (قوله نكروا لها عرشها) اى اجعلوه متنكرا متغيرا عن شكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه فالتنكير التغيير والتنكر التغير فلما امر سليمان عليه الصلاة والسلام الشياطين بذلك نكسوه اى جعلوا اسفله اعلاه وبنوا فوقه قبابا اخرى هى اعجب من تلك القباب وجعلوا موضع الجوهر الاحمر اخضر وبالعكس قيل لما جاءت بلقيس خاف الجن ان تفشى امرهم الى سليمان لانها كانت جنية وان يتزوجها سليمان فتلد له ولدا فلا ينفكون من التسخير فاحتالوا في تنفيره عنها فقالوا ان فى عقلها شيأ من الخفة وانها شعراء الساقين وان رجلها كحافر حمار فلما سمع سليمان ذلك امرهم بتنكير عرشها ليختبر بذلك عقلها وامر الشياطين بان يبنوا له صرحا ممردا اى قصرا مملسا من قارورة بيضاء تضطرب كأنها الماء لغاية صفائها ويجعلوا فيها تماثيل حيوانات الماء تسبح فيها ليقرب لها عند مجيئها ليه ادخلى الصرح لتكشف عن ساقيها حيث مااراد دخولها [illegible] على طن انه ما عظم ليختبر بذلك حال [illegible] ورجليها وقيل امر سليمان بتنكير العرش واتخاذ الصرح ليعارضها على مافعلت هى به فى امر الوصفاء والوصائف وتنكيرها اياهم وامر الدرة العذراء والجزعة المثقوبة الثقب فاهتدى هو عليه الصلاة والسلام اليه ولم تهتد هى اليه فاستبان لها حاله بذلك فاطاعته واسلمت (قوله تشبيها عليها) اى تلبيسا من الشبهة [illegible] الالتباس وقالت فى الجواب كأنه هو ولم تقل هو هو لئلا يكون قد [illegible] عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها ووقعت فى محل التوقف [illegible] وذلك من كمال عقلها [illegible] فانه [illegible] عنك انه لايليق الجواب

(واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة ﴿٤٦٥﴾ نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام

وتسليط الحراس عليه (قوله تعالى واوتينا العلم من قبلها) ان كان من كلام بلقيس يكون ضمير قبلها راجعا الى الحالة او المعجزة الدال عليهما السياق كانها قالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة بما شاهدناه من رسالة الهدهد وورد الهدية وسائر ما علمناه من قبل الرسل وان كان من كلام سليمان واتباعه يكون ضمير قبلها راجعا الى بلقيس فكان سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت في جوابها وهي عاقلة وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة من علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى على ان خصهم بمزية التقدم في الاسلام (قوله وصدها عبادتها الشمس) على ان يكون فاعل صد قوله ما كانت تعبد بمعنى عبادتها والظاهر ان هذه الجملة حينئذ تكون معطوفة على جملة واوتينا العلم على ان تكون من كلام سليمان واتباعه وان كانت من كلام بلقيس تكون هذه الجملة استئناف اخبار من الله بذلك (قوله او وصدها الله) على ان يكون فاعل صد ضمير الباري وعلى هذا يكون قوله ما كانت تعبد في محل النصب على اسقاط الخافض اي ومنعها الله عما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس اي منعها من عبادة الشمس (قوله انها كانت) الجمهور على كسر همزة انها استئنافا تعليلا وقرئ بالفتح على انها بدل مما كانت تعبد على تقدير كونها فاعل صد اي وصدها انها كانت او على اسقاط [illegible] اي لانها فهي قريبة من قراءة الجمهور (قوله وقيل عرصة الدار) اي قيل الصرح الصحن المنكشف من غير سقف وهو سواء كان بمعنى القصر والعرصة مأخوذ من التصريح بالشيء وهو كشفه واظهاره (قوله جلالا على بعده) يعني انه سمع من العرب في جمع ساق سؤق واسؤق بالهمزة فاجرى عليه الواحد قال ابن عباس لما كشفت عن ساقيها ظهر قدم لطيف وساق حسن مدمج اي ممتلئ لكنه اشعر قيل انه عليه الصلاة والسلام تزوجها وكره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت بلقيس اني لم يمسني حديد قط وكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون ساقها كالفضة الملساء فاتخذوا النورة والحمام من يومئذ فلما ابصر سليمان ساقيها وقدميها وعرف حالها صرف بصره وقال انه صرح ممرد من قوارير وذلك لانه لم يجز له النظر الى ساقيها بعد ما تبين حال ساقيها وما جاز قبل ان يتبين حاله ولذلك افاده بذلك حتى تستر ساقيها وتمرد البناء جعله مملسا قال

سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام اي واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها بتوفيق الايمان (انها كانت من قوم كافرين) وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اي صدها نشؤها بين اظهر الكفار او التعليل له (قيل لها ادخلي الصرح) القصر وقيل عرصة الدار (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) روي انه امر

قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض (٥٩) واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها ليدخل ... رواه قبل ساقيها [illegible]

تحملا على جمة سوق واسوق (قال انه) ان ماتظنينه ماء (صرح ممرد) مملس (من قوارير) من الزجاج

(قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادتى الشمس وقيل بظنى بسليمان فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة (واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فيما امر به عباده وقد اختلف فى انه تزوجها اوزوجها من ذى تبع ملك همدان (ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله) بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء (فاذا هم فريقان يختصمون) ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا (قبل الحسنة) قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ (لولا تستغفرون الله) قبل نزوله (لعلكم ترحمون) بقبولها فانها لا تقبل حينئذ (قالوا اطيرنا) تشاءمنا (بك وبمن معك) اذ تتابعت علينا الشدائد ووقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم (قال طائركم) سببكم الذى جاء منه شركم (عند الله) وهو قدره او عملكم المكتوب عنده (بل انتم قوم تفتنون) تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاطراب من ان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم (خيركم)

شجرا مرد وغلام امرد اى لاورق له ولاشعر فلما قيل انه ليس بماء بل صرح ممرد من قوارير ارسلت ذيلها وسترت ساقها وتعجبت من ذلك واستحكم ماشاهدته من دلائل الوحدانية والنبوة فقالت نادمة على ثباتها على الكفر فيما تقدم من عمرها ومنشئة لعقد الاسلام بكمال الرغبة والايقان رب انى ظلمت نفسى فيما سبق من عمرى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل ارادت بظلمها نفسها سوء ظنها بسليمان حيث حسبت ان سليمان اراد ان يقتلها بان يغرقها فى اللجة قال محمد بن كعب القرظى لما ابصرت بلقيس الصرح قالت ماوجد ابن داود عذابا يقتلنى به الا الغرق فلما وقفت على حقيقة الحال قالت ظلمت نفسى حيث اسأت به الظن (قوله وقد اختلف فى انه تزوجها) والمشهور انه تزوجها واحبها حبا شديدا واقرها على ملكها فكان يزورها كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له داود بن سليمان وامر الجن فبنوا لها مدينة ... الجين وقصر غمدان وصنعاء وقيل زوجها ذا تبع ملك همدان فانه قدروى ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى ازوجك اياه فقالت اومثلى يانبى الله ينكح الرجال وقد كان لى فى قومى الملك والسلطان قال نعم انه لايكون فى الاسلام الا ذلك ولاينبغى لك ان تحرمى ما احل الله لك قالت فان كان ولابد فزوجنى ذاتبع ملك همدان فزوجها اياه وردها الى اليمن ودعا زوبعة ملك جن اليمن وقال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان فلما مات سليمان وعلمت الجن موته نادى ذو زوبعة يامعشر الجن قدمات سليمان فارفعوا رؤسكم فرفعوها وتفرقوا وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع انقضاء ملك سليمان فسبحان من لاانقضاء لدوام لاهوتيته وملكه ❊ روى ان سليمان عليه السلام ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ❊ وقد تمت هنا قصة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وقدذكر قبل قصتهما قصة موسى عليه الصلاة والسلام فالآن ذكر الله تعالى قصة ثالثة وهى قصة صالح عليه الصلاة والسلام فقال ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا (قوله اطيرنا) اصله تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء فى الطاء وزيدت همزة الوصل ليتأتى الابتداء والتطير التشاؤم واصل التطير هو ان يقال لك ميامنة بان يمر من ميامنك الى مياسرك والعرب تتطير بالبارح لانه لايمكنك ان ترميه حتى تنحرف وتتيمن بالسانح وهو الذى يقال لك ميامنة بان يمر من مياسرك الى ميامنك والمراد بالطير فى الآية معنى الشؤم فانه قد يستعمل فى الشؤم بكل ايتشاءم به وان كان فى الاصل عبارة عن السانح والبارح وليس ... ... عليه السلام كذبهم اياه ... ... يتشاءموا بالمرسل عليه الصلاة والسلام طائركم عند الله اى السبب الذى يجئ ...

خيركم وشركم عندالله وهو قضاؤه وقدره وكل مايصيب العبد من الخير والشر
انما يصيبه بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه
لامانع لما اعطاه ولامعطى لما منعه اطلق الطائر على ماهو سبب حقيق الخير
والشر وهو قضاءالله تعالى وقدره تشبيها له بالطائر الذى هو سبب اليهما فى زعمهم
ويحتمل ان يكون الطائر مستعار الاعمالهم التى كانت سببا لما اصابهم من الشدائد
فانها مكتوبة عندالله تعالى كما ان القضاء والقدر صفتان قائمتان به تعالى (قوله
الى ذكر ماهو الداعى اليه) وهو اختبار انهم هل يتنبهون الى ان ما اصابهم
من حسنة فبفضل الله ورحمته وان ما اصابهم من سيئة فبشوم كسبهم قال
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بل انتم قوم مفتنون اى تختبرون بالخير والشر لقوله
ونبلوكم بالشر والخير فتنة (قوله وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى) يعنى ان مميز
ما فوق الثلاثة الى العشرة يجب ان يكون مجموعا والرهط مفرد الفظ ومع ذلك
وقع تمييزا للتسعة لكونه فى معنى الجماعة كانه قيل تسعة انفس (قوله اى
شانهم الافساد الخالص) اشارة الى فائدة قوله ولايصلحون بعد قوله يفسدون
فى الارض وهى ان المفسدين قد يجئ منهم الاصلاح فى بعض الاوقات
وهؤلاء التسعة كان حالهم بخلاف ذلك اذ لم يكن منهم الاصلاح اصلا وكانوا
عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة
ورأسهم قدار بن سالف وهو عاقر الناقة وقوله يفسدون صفة تسعة او رهط
فيكون فى موضع الرفع او الجر (قوله امر) اى يجوز فى تقاسموا ان يكون
امرا اى قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا و يجوز ان يكون فعلا ماضيا وحينئذ
يجوز ان يكون بدلا من قالوا مفسرا له كانه قيل ما قالوا فقيل تقاسموا و يجوز
ان يكون حالا من فاعل قالوا على اضمار قد اى قالوا ذلك متقاسمين (قوله وقرأ
حمزة والكسائى) لنبيتنه بتاء الخطاب المضمومة وضم التاء الثانية والباقون بنون
المتكلم وفتح التاء (قوله ثم لتقولن) قرأه حمزة والكسائى بتاء الخطاب
المفتوحة وضم اللام والباقون بنون المتكلم وفتح اللام وقرئ بياء الغيبة فى الفعلين
فاما قراءة الاخوين فان جعلنا تقاسموا فعل امر فالخطاب واضح رجوعا بآخر
الكلام الى اوله وان جعلناه ماضيا اوامرا فالامر فيها واضح وهو حكاية اخبارهم
عن انفسهم واما قراءة الغيبة فيهما فظاهرة على ان يكون تقاسموا ماضيا رجوعا
بآخر الكلام الى اوله فى الغيبة وان جعلناه امرا كان لنبيتنه جوابا لسؤال مقدر
كانه قيل كيف تقاسموا فقيل لنبيتنه والبيات مباغتة العدو ومفاجأته بالقتل ليلا
والمعنى لنقتلنه بياتا اى ليلا واهله اى قومه الذين اسلموا معه ثم لنقولن لوليه اى
اولى دمه ماشهدنا مهلك اهله اى ما حضرنا هلاكهم او موضع هلاكهم

الى ذكر ماهو الداعى اليه (وكان فى المدينة تسعة رهط) تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة (يفسدون فى الارض ولايصلحون) اى شانهم الافساد الخالص عن شوائب الاصلاح (قالوا) اى قال بعضهم لبعض (تقاسموا بالله) امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد (لنبيتنه واهله) لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر (ثم لتقولن) فيه القراآت الثلاث (لوليه) لولى دمه (ماشهدنا مهلك اهله) فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك فى قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا (وانا لصادقون)

ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا اذ الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم
وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ﴿ ٤٦٨ ﴾ (ومكروا مكرا) بهذه المواضعة (ومكرنا مكرا)
بان جعلناها سببا لاهلاكهم
(وهم لايشعرون) بذلك
روى انه كان لصالح
فى الحجر مسجد فى شعب
يصلى فيه فقالوا زعم انه
يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ
منه ومن اهله قبل
الثلاث فذهبوا الى الشعب
ليقتلوه فوقع عليهم صخرة
حيالهم فطبقت عليهم
فم الشعب فهلكوا ثمة
وهلك الباقون فى اماكنهم
بالصيحة كما اشار اليه قوله
(فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم انا دمرناهم وقومهم
اجمعين) وكان ان جعلت
ناقصة فخبرها كيف
وانا دمرناهم استئناف
اوخبر محذوف لاخبر كان
لعدم العائد وان جعلتها تامة
فكيف حال وقرأ الكوفيون
ويعقوب انا دمرناهم
بالفتح على انه خبر محذوف
اوبدل من اسم كان اوخبر له
وكيف حال (فتلك بيوتهم
خاوية) خالية من خوى
البطن اذا خلا اوساقطة
منهدمة من خوى النجم
اذا سقط وهى حال عمل
فيها معنى الاشارة وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف (بما ظلموا) بسبب ظلمهم (ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون) (فيتعظون)
فيتعظون (وانجينا الذين آمنوا) صالحا ومن معه (وكانوا يتقون) الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة

اوزمانه او اهلاكهم اوموضع اهلاكهم اوزمانه ولاندرى من قتلهم قرأ العامة مهلك
بضم الميم وفتح اللام من الاهلاك وحفص بفتح الميم وكسر اللام وابو بكر بفتح الميم واللام
وكلاهما من الهلاك الا انه على قرآءة ابى بكر لا يكون الا مصدرا لان هلك من باب ضرب
واسم الزمان والمكان من يهلك بكسر اللام لا يكون الا مكسور اللام واما مهلك
بكسر اللام فانه يحتمل الثلاثة وكذا مهلك بضم الميم وفتح اللام * تحالف القوم
على ان يبيتوا صالحا واهله ثم ينكروا عند اوليائه انهم فعلوا ذلك او رأوه وكان
هذا مكرا عزموا عليه هذا على تقدير ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا مفسرا لقوله
قالوا ولا يكون مقول القول (قوله ونحلف انا لصادقون) يعنى ان جملة
انا لصادقون فى محل النصب بنزع الخافض المتعلق بفعل محذوف معطوف على
قوله لنقولن اى ثم لنقولن كذا ونحلف انا لصادقون فيما قلنا اوعلى
انه حال من فاعل لنقولن والوارد ان يقال كيف يكونون صادقين فيما قالوا وهو
خبر غير مطابق للواقع وجحود لما فعلوه عمدا اجاب عنه بوجهين الاول ان الكذب
انما يلزمهم ان لو انكروا المباشرة ولم ينكروها بل انكروا الشهود وانكاره لايستلزم
انكار المباشرة ليلزم الكذب والثانى انهم انما انكروا شهود مهلك اهله وحده
وهم صادقون فيه سمى الله مواضعتهم على قتل صالح واهله خفية مكرا لكونه
مكرا فى الحقيقة لان المكر قصد الاضرار على طريق الغدر والحيلة وسمى ما يريد
واهلاكه اياهم وهم لايشعرون على سبيل المجازاة على مكرهم مكرا ايضا تشبيها له
بالمكر من حيث كونه اضرارا فى خفية بفعله وهم لايشعرون اولا مشاكلة (قوله
فى الحجر) وهو اسم مدينة ثمود قال تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
الراغب الحجر ماسور بالحجارة وبه سمى حجر الكعبة وديار ثمود والشعب بالكسر
ما انفرج بين الجبلين وقيل الطريق فى الجبل (قوله زعم ان يفرغ منا الى ثلاث)
وذلك انهم لما عقروا الناقة اخبرهم صالح بنزول العذاب المستأصل عليهم عند
انتهاء ثلاثة ايام فقالوا ذلك قال ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار
صالح عليه السلام يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم
الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلهم وهو قول الكلبى
وقال قتادة والسدى دخلوا الليلة فى خرق جبل يرصدون فارسل الله الى داخلهم
صخرة فسدت عليهم فم الخرق فهلكوا فيه واهلك الله تعالى سائرهم بصيحة
جبريل وقرأ الكوفيون انا دمرناهم بفتح الهمزة والباقون بكسرها على
الاستئناف واختار المصنف قرآءة انا بكسر الهمزة وجوز حينئذ ان تكون كان

تامة وناقصة ويجوز على تقدير كونها ناقصة ان تكون ان المكسورة مع ما في حيزها استئنافا وان تكون خبر مبتدأ محذوف ولا ينافيه اقتضاؤها الصدارة لانها انما تقتضي ان تكون في صدر الجملة التي دخلت هي عليها وهذه الصدارة حاصلة سواء جعلت خبر ان او خبر كان الا انه لم يجوز كونها خبر كان لان المكسورة مع ما في حيزها جملة والجملة لا تكون خبرا بدون العائد بخلاف المفتوحة فانها مع ما في حيزها في تأويل المفرد فصح كونها خبرا بدون العائد وعلى تقدير كونها مستأنفة بحيث يتم الكلام قبلها وذلك بان تكون كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حالا منها اى فانظر يا محمد على اى حال عاقبة امرهم او بان تكون ناقصة وعاقبة اسمها وكيف خبرها ويجوز على تقدير ان تكون ناقصة ويتم الكلام قبل ان المكسورة ان يكون قوله انا دمرناهم بكسر الهمزة خبر مبتدأ محذوف اى وهى انا دمرناهم على معنى وتلك العاقبة انا دمرناهم وعلى قرآءة الكوفيين يجوز ان يكون انا دمرناهم خبر مبتدأ محذوف سواء جعل كان تامة او ناقصة فانه ان جعل كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حالا منها جاز ان يكون انا دمرناهم خبر مبتدأ محذوف كما اذا كان ناقصة وجاز ايضا ان يكون بدلا من عاقبة والمعنى كيف كان تدميرنا اياهم بمعنى كيف حدث ووقع ويجوز هذا الوجه على تقدير ان تكون كان ناقصة ايضا كما اشار اليه بقوله او بدل من اسم كان ولم يقل من فاعل كان ويجوز على تقدير كونها ناقصة ان يجعل عاقبة اسمها وانا دمرناهم خبرها وكيف حالا اى فانظر اى حال كان عاقبة مكرهم تدميرنا اياهم اجمعين ولا يجوز على تقدير كون كان ناقصة وعاقبة اسمها وكيف خبرها ايضا ان يكون انا دمرناهم بدلا من كيف لان كيف انما ليس معه حرف الاستفهام والبدل من الاستفهام يلزم فيه اعادة حرف الاستفهام نحو كم مالك أعشرون ام ثلاثون وكيف فلان أصحيح ام سقيم ولو قلت عشرون او صحيح بغير اعادة حرف الاستفهام لم يجز (قوله واذكر لوطا او وارسلنا لوطا) يعني ان لوطا منصوب اما باذكر مضمرة او بارسلنا المدلول عليه بما ذكر في القصة السابقة لان قصة لوط معطوفة على قصة ثمود وقد ذكر في فاتحتها ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا فيقدر ارسلنا مثله وقوله اذ قال بدل اشتمال من لوطا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا باذكر ولا يجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام اياه ليس في زمان قوله اتأتون الفاحشة وظرف لارسلنا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا به ولا يجوز ان يكون بدلا من لوطا حينئذ اذ لا يستقيم ان يقال ارسلنا وقت قوله

(ولوطا) واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه (اذ قال لقومه) بدل على الاول ظرف على الثاني (أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون) تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف [illegible]

أو يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون أفحش (ائنكم لتأتون الرجال شهوة) بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء

الوطر (من دون النساء) اللاتي خلقن لذلك (بل انتم قوم تجهلون) تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب (فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون) يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا (فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) قدرنا كونها من الباقين في العذاب (وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) مر مثله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) امر رسوله بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شانه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليه وعلمه

والفاحشة الفعلة القبيحة وأراد بها اللواطة باتفاق المفسرين (قوله او يبصرها بعضكم من بعض) يعني ويجوز ان يكون تبصرون من بصر العين لا على ان المعنى وانتم تبصرون ما تأتونه بل على انه يبصر بعضكم فعل بعض واعلان المعصية معصية زائدة على اتيانها (قوله بيان) يعني ان قوله ائنكم لتأتون الرجال عطف بيان لقوله أتأتون الفاحشة لكونه اوضح في الدلالة على فعلتهم القبيحة وقوله شهوة مفعول له اى اتأتون لرجال لقضاء الشهوة منجا وزين النساء مع انه تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فأتيانكم الرجال للشهوة مضاد لحكم الله تعالى وحكمته (قوله تفعلون فعل من يجهل قبحها الخ) جواب عما يقال كيف وصفهم بالعلم اولا حيث قال وانتم تبصرون اى تعلمون فحشها ثم وصفهم بعده بالجهل حيث قال بل انتم قوم تجهلون فكيف يكون علما وجهلا معا اجاب بثلاثة اجوبة الاول انه ليس المعنى انتم تجهلون فحشها ليلزم التناقض بل المعنى تفعلون فعل من جهل فحشها مع علمكم بذلك والثاني ان المراد بالجهل السفاهة والحماقة التى كانوا عليها والثالث ان المراد تجهلون القيامة وعاقبة العصيان (قوله والتاء فيه) جواب عما يقال تجهلون صفة لقوم وهو اسم ظاهر منزل منزلة الغائب فينبغي ان يكون صفته بياء الغيبة لتطابق الصفة الموصوف ومحصول الجواب ان القوم وان كان غائبا باعتبار لفظه فهو مخاطب باعتبار معناه لكونه جاريا على انتم خبرا عنه فلما اجتمع فيه جهتا الغيبة والخطاب اعتبر جانب الخطاب لان الاصل في الكلام انما هو المتكلم والمخاطب والغائب متوسط بينهما (قوله يتنزهون عن افعالنا) اى لا يوافقوننا فيها بل ينهون عنها ونحن لا نرضى بتركها فليس لنا حظوة الا باخراجهم من بيننا قرأ الجمهور فما كان جواب قومه بنصب جواب على انه خبر مقدم وقرئ بالرفع والنصب احسن لان أن قالوا في أول قولهم فهو اعرف من جواب قومه لان المضاف الى المضمر أعرف من المضاف الى المضاف الى المضمر ولان أن قالوا لا يقبل التنكير بخلاف جواب قومه فانه يقبله بان يقال جواب لقومه (قوله قدرنا كونها من الباقين) يريد ان المضاف مقدر في قوله قدرناها لان التقدير متعلق بصورها وكونها من زمرة الباقين في العذاب لا بذاتها فانها ان بقيت مع جملة من بقى في القرية اهلكها الله بعذاب الائتفاك وان خرجت منها مع لوط عليه الصلاة والسلام هلكت بان اصابها حجر في الطريق

ما جهل من احوالهم وعرفا بالفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين اولوطا بان يحمده (والتبادر) على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك (آلله خير اما يشركون)

الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه ﴿٤٧١﴾ لرأيهم اذ من المعلوم ان لاخير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو
مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو
وعاصم ويعقوب بالتاء
(امن) بل أم من (خلق
السموات والارض) التي هي
اصول الكائنات ومبادي
المنافع وقرئ امن بالتخفيف
على انه بدل من الله (وانزل
لكم) لاجلكم (من السماء
ماء فانبتنا به حدائق ذات
بهجة) عدل به من الغيبة الى
التكلم لتأكيد اختصاص
الفعل بذاته والتنبيه على
ان انبات الحدائق البهية
المختلفة الانواع المتباعدة
الطباع من المواد المتشابهة
لا يقدر عليه غيره كما اشار
اليه بقوله (ما كان لكم
ان تنبتوا شجرها) شجر
الحدائق وهي البساتين
من الاحداق وهو الاحاطة
(أاله مع الله) أغيره
يقرن به ويجعل له شريكا
وهو المتفرد بالخلق والتكوين
وقرئ أالها باضمار فعل مثل
اتدعون او اتشركون
وبتوسيط مدة بين الهمزتين
واخراج الثانية بين بين
(بل هم قوم يعدلون)
عن الحق الذي هو التوحيد
(امن جعل الارض قرارا)
بدل من ام من خلق
السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها

والمتبادر من هذه الآية ان امطار الحجارة غير مختص بشذاذ القوم بل هو امر شامل لجميعهم وان الباقين في القرى المؤتفكات اهلكوا بنوع آخر من العذاب ايضا (قوله الزام لهم) يعني الآية بظاهرها وان دلت على ان المقصود الموازنة بينه تعالى وبين الاصنام واستعلام انه تعالى خير لمن عبده ام الاصنام لعابديها ولا وجه له ضرورة ان احدا من العقلاء لا يزن المخلوق العاجز بالخالق القادر على كل شئ في معنى الخيرية بل المقصود الزام المشركين والتهكم بهم وتسفيه رأيهم بين الله تعالى اولا اهلاك كفار الامم السالفة ونجاة الموحدين المؤمنين ثم خاطب رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وامره ان يحمد الله تعالى على هلاك المشركين السالفين ويسلم على المصطفين للتوحيد والايمان من عبيده اوخاطب لوطا عليه الصلاة والسلام وامره بذلك ثم التفت الى المشركين وخاطبهم على سبيل التبكيت والالزام بقوله الله خير ام ما تشركون ومن قرأ يشركون بياء الغيبة حمله على ما قبله من قوله وامطرنا عليهم وما بعده من قوله بل اكثرهم وام في قوله ام ما يشركون متصلة عاطفة بمعنى ايهما خير وما بمعنى الذي وقيل مصدرية على حذف المضاف من الاول اي أتوحيد الله خير ام شرككم وام في قوله امن منقطعة بمعنى بل والهمزة اشار اليه المصنف بقوله بل ام من لعدم تقدم همزة الاستفهام وقصد التسوية ومن موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوف والتقدير بل ام من خلق السموات والارض خير اضرب عن السؤال بايهما خير الى تقريرهم اي حملهم على الاقرار بان من قدر على خلق العالم فهو خير من جماد لا يقدر على شئ كأنه قيل دعوا هذا السؤال أانتم تقرون بانه تعالى خالق العالم فهو خير من جماد لا يقدر فهو استفهام تقرير (قوله لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى) فانه لو اخرج الكلام على مقتضى الظاهر وقيل فأنبت به حدائق لافادة الكلام اختصاص الانبات به تعالى بحكم المقابلة بين الشركاء وخالق العالم فلما التفت ونسب الفعل الى ذاته تأكد ذلك الاختصاص حيث دل عليه بأمرين (قوله من الاحداق وهو الاحاطة) فان الحديقة كل روضة وبستان عليه حوائط والشجر محدقة اي محيطة به والشجر المكان المرتفع (قوله أغيره يقرن به) يعني انه استفهام انكار بمعنى هل معه معبود سواه اعانه على خلق اصول الكائنات وانزال ما ينبت به ارزاق المخلوقات وليس له شريك في ذلك وانما جاز الابتداء بالنكرة وهو اله لتخصصه بالعموم المستفاد من همزة الانكار الداخلة على النكرة (قوله يعدلون عن الحق) على انه من العدول وقيل هو من العدل بمعنى التسوية والمعنى بل هم يعني كفار مكة قوم يعدلون بالله غيره وهو الاصنام (قوله بدل من ام من خلق) فتكون

﴿ وجعل خلالها ﴾ أوساطها ﴿ انهارا ﴾ جارية ﴿ وجعل لها رواسى ﴾ جبالا تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع ﴿ وجعل بين البحرين ﴾ العذب والملح اوخليجى فارس والروم ﴿ حاجزا ﴾ برزخا وقد مر بيانه فى الفرقان ﴿ ءاله مع الله بل اكثرهم لايعلمون ﴾ الحق فيشركون به ﴿ امن يجيب المضطر اذا دعاه ﴾ المطر الذى احوجه شدة ما به الى اللجاء الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لاللاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ﴿ ويكشف السوء ﴾ ويدفع عن الانسان مايسوءه ﴿ ويجعلكم خلفاء الارض ﴾ خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها عمن قبلكم ﴿ ءاله مع الله ﴾ الذى خصكم بهذه النعم العامة والخاصة ﴿ قليلا ﴿٤٧٣﴾ ماتذكرون ﴾ اى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم اوالحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائى وحفص بالتاء وتخفيف الذال ﴿ امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ﴾ بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالى اضافها الى البر والبحر للملابسة اومشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء التى لامنار بها ﴿ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ﴾ يعنى المطر ولو صح ان السبب الاكثرى فى تكون الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتمويجها الهواء فلاشك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب ﴿ ءاله مع الله ﴾ يقدر على شئ من ذلك ﴿ تعالى الله عما يشركون ﴾ تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق ﴿ امن يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ﴿ ومن يرزقكم من السماء والارض ﴾ اى باسباب سماوية وارضية ﴿ ءاله مع الله ﴾ يفعل ذلك ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على ان غيره يقدر على شئ من ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية ﴿ قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله ﴾ لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه بما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع

ام فيه منقطعة ويكون معنى الهمزة التقرير كما فى البدل منه (قوله خلالها) يجوز ان يكون ظرفا لجعل بمعنى خلق المتعدية الى مفعول واحد وان يكون فى محل المفعول الثانى لجعل على ان يكون بمعنى صير (قوله جبالا تتكون فيها المعادن) بيان لوجه كون خلق الجبال فى الارض من جملة وجوه الانعام وذلك لان اكثر العيون والاشجار والمعدنيات انما تكون فى الجبال وفيما يقرب منها والرواسى من الجبال الثوابت الرواسخ من رسا الشئ يرسو اى ثبت ولم يذكر منافع الجبال كونها حافظة الارض عن الميلان كما قال الله تعالى وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم لان تلك المنفعة فهمت من قوله تعالى جعل الارض قرارا فانها لاتكون مستقرا للخلق الا بكونها ساكنة سالمة من الاضطراب (قوله اوخليجى فارس والروم) الخليج من البحر ماتشعب منه قال بعضهم المراد بالبحرين بحر فارس وبحر الروم جعل الله تعالى بينهما جزيرة العرب حاجزا وسميت جزيرة لانجزار عنها الماء اى ذهب وقال بعضهم المراد بهما بحر الشام وبحر العراق (قوله واللام فيه للجنس) جواب عما يقال انه تعالى ذكر فى جملة ماتفضل به على عباده انه يجيب المضطر اذا دعاه والمضطر اسم جنس محلى باللام الاستغراق فيفهم منه انه يجيب كل مضطر دعاه كم من مضطر يدعوا فلايجاب وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام وبدونه والحذف وقرئ تتذكرون بتاءين وقليلا صفة مصدر محذوف كما ذكر (قوله ولو صح ان السبب الاكثرى الخ) جواب عما يقال لانسلم انه تعالى هو الذى يحرك الرياح ويرسلها فان الفلاسفة قالت الرياح انما تتولد من الادخنة المتصاعدة بتصعيد الحرارة اياها سواء كانت الحرارة حرارة الشمس اوحرارة النار فانها اذا صعدت ادخنة كثيرة

الى فوق فاذا وصلت الى الطبقة الباردة وانكسرت ببرد ذلك الهواء لا محالة
تثقل وتنزل فيحصل من نزولها تموج الهواء فيحدث الريح وقوله ولو صح
اشارة الى منع ماذكروه وذلك ان الريح عند حركتها يمنة و يسرة ربما تقوى على
قلع الاشجار وهدم الجدر فلو كانت الريح عبارة عن الهواء المتموج بسبب حركة
تلك الاجزاء الدخانية الى اسفل حركة طبيعية وجب ان تهدم سقوف البيوت
عند وقوع تلك الاجزاء عليها لان الحركة الهابطة طبيعية فتكون اقوى من
الحركة العرضية التى هى الحركة يمنة و يسرة ولاشك ان شيئا من السقوف
لايسقط بسقوط الاجزاء الدخانية عليه فظهر به فساد ماذكروه ثم انه تعالى لما
عدد نعم الدنيا اتبع ذلك ذكر نعم الآخرة فقال أمن يبدأ الخلق ثم يعيده فان نعم
الآخرة لاتتم الا بالاعادة بعد الابداء والابلاغ الى حد التكليف وذلك لايتم
الا بالارزاق ولذلك قال بعده ومن يرزقكم من السماء والارض ولما ورد ان يقال كيف
يمكن الزام الكفرة بذكر نعمة الاعادة ومايترتب عليها وهم منكرون للاعادة اجاب
عنه بانهم وان انكروا الا انهم لما لم يكن لهم عذر فى انكارها من حيث قيام الادلة
القاطعة الدالة على امكانها وكونها مقدورة لله تعالى واقتضت الحكمة وقوعها
نزلوا منزلة من اقر بها فتوجه اليهم الالزام والتجهيل بذلك ثم بين ان امر الدين
لايبنى الا على الحجة والبرهان ولايصح بمجرد التقليد فقال قل هاتوا برهانكم وقرر
ههنا ذكر الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وفضله و بين بعده انه المختص
بعلم الغيب ليثبت بمجموع الامرين تفرده تعالى بالالوهية واستحقاق العبادة
فان الاله الحق هو الذى يحيط علمه بأعمال المكلفين من الطاعة والمعصية
و يقدر على مجازاة كل احد جزاء وفاقا بحيث لايزيد عقاب العاصى على
قدر معصيته ولايضيع شيأ من طاعة المطيع (قوله والاستثناء منقطع) لعدم دخوله
تعالى فى قوله من فى السموات والارض والمستثنى المنقطع منصوب ابدا عند الحجازيين
فانهم يقولون ماجاءنى احد الاحمارا ورفع المستثنى المنقطع فى الآية مبنى على لغة
بنى تميم فانهم يقولون مافى الدار احد الاحمار و يجعلون المستثنى المنقطع فى حكم
المفرغ ويقولون قولك مافى الدار احد الاحمار اصله مافيها الاحمار على ان يكون
المستثنى منه المقدر اعم العام بمعنى ما فى الدار شئ الا حمار الا ان المتكلم
لما ظن ان المخاطب يستبعد خلو الدار من الآدمى ذكر الاحد من جملة افراد
المستثنى منه المقدر تأكيد المنع كون الآدمى فيها وابقى اعراب المستثنى مرفوعا على
ماكان عليه فى الاصل تنبيها على الاصل وقد كان المستثنى فى الاصل مرفوعا على
الفاعلية فلما ذكر الاحد كان بدلا منه فعلى هذا الوجه لايكون المستثنى المنقطع
من قبيل المتصل حيث لم يعتبر دخول المستثنى فى المستثنى منه الذى يعمل بدلا

و رفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيها ممن يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم

وهو الذي يفهم من قول صاحب الكشاف يقولون ما في الدار احد الاحمار كان
احدا لم يذكر الا ان قوله بعد ذلك اخرج المستثنى مخرج قوله الايعافير بعد قوله
ليس بها انيس ليؤل المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم
من يعلم الغيب يدل على انه جعل المنقطع كالمتصل وقدر دخوله في المستثنى منه ليستعمل
الكلام على التعليق بالمحال ليفيد الكلام المبالغة في نفي علم الغيب عن اهل
السموات والارض وهذه المبالغة لاتحصل على تقدير النصب لانه حينئذ يكون
المعنى لايعلم من في السموات والارض الغيب لكن الله يعلمه فيكون نصبه على انه اسم
لكن وتفوت هذه المبالغة المبنية على تعليق علمهم الغيب بالمحال (قوله او متصل)
فلا يحتاج في رفع المستثنى الى العدول عن مذهب الحجاز بين الى مذهب بني تميم
لان المستثنى المتصل يجوز فيه النصب ويختار البدل في كلام غير موجب اذا كان المستثنى
منه مذكورا باتفاق الجمهور والآية الكريمة من هذا القبيل ووجه اندراجه تعالى
في من في السموات والارض قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقول المتكلمين الله
في كل مكان على معنى أن علمه في الاماكن كلها وكان ذاته فيها ورد صاحب
الكشاف هذا الوجه بانه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وبيانه
ان الظرفية المستفادة من قوله من في السموات حقيقة بالنسبة الى غير الله تعالى
ومجاز بالنسبة اليه تعالى ولا يجوز الجمع بينهما في كلمة واحدة عند اكثر العلماء وان قال به
الامام الشافعي رحمه الله [illegible] احد [illegible]
[illegible] قوله تعالى [illegible] الله لا [illegible] على [illegible] وجوزه [illegible] على
مذهبه واما [illegible] على [illegible] قوله تعالى كونه تعالى في السموات والارض
[illegible] حقيقة [illegible] واحدة [illegible]
كونهم في السموات والارض كان حاصل [illegible] هو [illegible]
الامكنة كذلك حاصل مجازا [illegible] هو كونهم عالمين [illegible]
هذه الكونية على المعنى المجازي وهو الكون فيها بمعنى العلم [illegible] سبحانه
وتعالى فيه فصح الاستثناء (قوله [illegible]) يعني ان [illegible] وما يشعرون
وصف لاهل السموات والارض [illegible] ولا [illegible] لهم علم [illegible] الشعور
بوقت البعث [illegible] تفرد [illegible] بعلمه [illegible] يشعرو
للكفرة الذين يسألون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقولهم ايان
مرساها انكارا لاصل البعث فوبخهم الله تعالى بقوله وما يشعرون ايان يبعثون مع
استواء [illegible] في الجهل بوقت البعث والمقصود توبيخهم على انكار
اصل البعث [illegible] بقوله [illegible] شعورهم [illegible]
[illegible] وهو اصل [illegible] الاانه [illegible] لهم اي وقت [illegible]

او متصل على ان المراد
ممن في السموات والارض
من تعلق علمه بها واطلع
عليها اطلاع الحاضر
فيها فانه يعم الله تعالى
واولي العلم من خلقه وهو
موصول او موصوف
(وما يشعرون ايان يبعثون)
متى ينشرون مركبة من
اي وآن وقرئت بكسر
الهمزة والضمير لمن وقيل
للكفرة (بل ادرك علمهم
في الاخرة)

(وقاية)

واقامتها وتخهم على انكار وقت البعث بذلك شعارا بصدق انكارهم له واشارة الى ان الجهل بقرب وقته مما لا بد فى فضلا عن الجهل باصله (قوله لما نفى عنهم) اى عن اهل السماء والارض وقوله بل أدرك قرآءة ابى بكر ادرك بتشديد الدال واصله افتعل قلبت التاء دالا وادغمت وفى التيسير قرآءة ابن كثير وابى عمرو بل أدرك بقطع الالف واسكان الدال من غير الف بعدها والباقون بوصل الالف وتشديد الدال بعدها الف وهذا صريح فى ان عاصم يوافق من قرأ ادرك من غير خلاف عنه فيكون من قرأه خمسة نفر والله اعلم والمصنف اختار قرآءة ابن كثير وابى عمرو فانهما قرأ بل أدرك بهمزة القطع كأكرم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وعاصم ادارك بهمزة الوصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها الف اصله تدارك ابدلت التاء دالا وادغمت الدال فى الدال واجتلبت همزة الوصل الابتداء فصار ادارك كاثاقل فحمل ادرك على بلغ وانتهى من قولهم ادركت الفاكهة اذا بلغت ونكاملت نضجها وقدر مضافا فى قوله أدرك حيث قال وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج وبين وجه الاضراب فى قوله بل أدرك علمهم مع كون ارتباطه بما قبله خفيا من حيث ان مدلول الآية المتقدمة انه تعالى وحده هو الذى يعلم الغيب ويعلم متى الساعة ولا تظهر لمناسبة بينه وبين الآية الدالة على الاسباب علمهم بالآخرة واقامة كائنة قد تكاملت واستحكمت حتى تتوسط بينهما كلمة الاضراب ومحصول ما ذكره من المناسبة ان خلاصة ماسبق بيان عجزهم عن علم مالا دليل عليه اصلا وهو مطلق الغيب وخصوص وقت قيام الساعة وخلاصة قوله بل أدرك علمهم فى الآخرة بيان عجزهم عن علم ما تعاضدت الادلة على وقوعه لا نخالة حيث ان علمهم به كلا علم فظهر وجه المناسبة بينهما وصحة الاضراب الثانى عن الاول ثم قال والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم اى من حالة سيئة دنيئة الى ما هو اسوأ وبين منها ما نفى تعالى وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث اى لا يعلمون متى يوم القيامة ثم بين ان حالهم ادون واسوأ من هذا بان قال بل ادرك علمهم فى الآخرة ى تكاملت اسباب علمهم بان القيامة ستقوم وستقع وهم مع ذلك لا يعلمون كما ينبغى وهذه المرتبة اسوأ وانزل من الحالة الاولى لان الجهل بعث ليس بعيب من حيث انه تعاضدت الادلة على حقية وقوعه فكأنه قال لا يعلمون الغيب بل ولا عليهم عيب ولا شك ان الجهل بمثله اسوأ حالا من الجهل عما هو غيب ثم بين ان حالهم اسوأ حالا من هذه المرتبة فى الجهل بان لما سكتوا توله بل هم فى شك منها اى هم مستقرون فى حوائج لا يطلبون التفصى منه بما ذكر فى الدلائل الحقة من طلبات الشكوك والاوهام ثم انهم اسوأ حالا من حال الجاهل الذى يطلب الحق

لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفى شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغى (بل هم فى شك منها) كمن تحير فى امر لا يجد عليه دليلا (بل هم منها عمون) لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن فى السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم

وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنوا فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ ءادرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل اتدارك وبلى ادرك وبلى أادرك وام ادرك وام تدارك ومافيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار ومافيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسيرله بالادراك على التهكم ومابعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون

والتوصل الى الصواب ثم بين انهم اسوأ من هذا ايضا بقوله بل هم منها عمون بمعنى انه ليس لهم بصيرة يدركون بها دلائل وقوعها من حيث ان اشتغالهم باللذات النفسانية من هم البطن والفرج صيرهم كالبهائم والانعام وابطل استعدادهم للنظر والتفكر وهذه الحالة اسوأ من الحالة الاولى ولما ورد ان يقال مضمون الاضرابات الثلاث على ماذكرتم مختص بالمشركين المنكرين للبعث فكيف ترجع الضمائر المذكورة في قوله علمهم و بل هم منها في شك و بل هم منها عمون الى قوله من في السموات والارض اجاب عنه بقوله وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض الخ (قوله وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيامه) عطف على قوله بان اضرب عنه اى عن نفي علم الغيب عنهم اى وقيل في بيان المناسبة بين الآيتين ووجه الاضراب الاول ان المراد على هذا الوجه التهكم وقوله بل ادارك علمهم هو علمهم بانهم ايان يبعثون وان القيامة شئ يقع واما على الوجه الاول ففي الآية نفي انهم لايعلمون ان البعث كائن مع كثرة الدلائل عليه (قوله وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل) عطف من حيث المعنى على قوله بين ان ما انتهى وتكامل الخ فانه يتضمن تفسير الادراك بالتكامل والاستحكام وعلى هذا التفسير لاحاجة الى تقدير المضاف ثم فسر قرآءة ادارك بوجهين ايضا احدهما تدارك وتتابع حتى استحكم وثانيهما تتابع في الهلاك حتى انقطع (قوله وابو بكر ادرك) عطف على قوله نافع فهذه القرآءة ايضا من السبعة على رواية ابي بكر عن عاصم ثم ذكر ثماني قرآت من الشواذ ثنتان بأم وثنتان اخريان ببلى والباقية ببل وصحح الزمخشري قرآءة بل ادرك بقوله بالتخفيف والنقل اى بتخفيف الهمزة ونقل حركتها الى اللام واصله ما قرأبه ابن كثير وابو عمرو ثم ذكر قرآءة اخرى بقوله بل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على سبيل الاستفهام انتهى كلامه ويكون اصله ادرك على وزن افتعل دخل عليه همزة الاستفهام فسقطت همزة الوصل فصار أدرك بهمزة مفتوحة بعدها دال مشددة ثم نقلت حركة الهمزة الى اللام فصار بل ادرك ولم يذكر المصنف هذه القرآءة بل ذكر احدى عشرة قرآءة ثم شرع في بيان معانيها فقال ومافيه استفهام صريح او مضمن كما في قرآءة ام ادرك وام تدارك فان ام فيهما بمعنى بل والهمزة فانكار لادراك علمهم اى لانتهائه وتكامله (قوله ومافيه بلى فاثبات لشعورهم) فانه لما قيل بلى أدرك بعد قوله ومايشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بادراك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لايعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ مايكون فقوله وتفسيره له

اوردوا انكار شعورهم (وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون) كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي اننا لمخرجون بنونين على الخبر (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث نظرا الى الاهتمام (ان هذا الا اساطير الاولين) التي هي كالاسمار (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم (ولا تحزن عليهم) ﴿٤٧٧﴾ على تكذيبهم واعراضهم (ولا تكن في ضيق) في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق (مما يمكرون) من مكرهم فان الله يعصمك من الناس (ويقولون متى هذا الوعد) العذاب الموعود (ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم) تبعكم ولحقكم واللام فيه مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (بعض الذي تستعجلون) حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده (وان ربك لذو فضل على الناس) بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل (ولكن اكثرهم لا يشكرون) لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون لجهلهم وقوعه (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت (وما يعلنون) من عداوتك فيجازيهم عليه (وما من غائبة في السماء والارض) خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة (الا في كتاب مبين) بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون) كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح (وانه لهدى ورحمة للمؤمنين) فانهم المنتفعون به (ان ربك يقضي بينهم) بين بني اسرائيل (بحكمه)

انما هو على قرآءة بل ادرك بغير همزة الاستفهام واما على قرآءة بل اأدرك على الاستفهام فالمعنى حينئذ بلى يشعرون متى يبعثون بناء على ان بلى لاثبات شعورهم ويكون الاستفهام الذي بعدها لانكار علمهم بوجود الآخرة وثبوتها والمعنى ما ادرك علمهم بنفس وقوع الاخرة فضلا عن علمهم بوقت وقوعها على ان يكون المقصود من انكار علمهم بنفس وقوع الآخرة نفي علمهم بوقت وقوعها بالطريق البرهاني (قوله اورد وانكار لشعورهم) عطف على اضراب عن التفسير يعني ان قوله تعالى بل هم في شك منها متعلق بالتفسير او بالمفسر المستفاد من بلى وقوله عمون جمع عم وهو اعمى القلب يقال عمي عليه الامر اذا التبس ورجل عمي القلب اي جاهل (قوله وهما من الصفات الغالبة) جعلهما من قبيل الراوية دليل على ان ليس مراده من الصفات الغالبة الصفات التي غلبت عليها الاسمية لان الراوية ليست من تلك المقولة لكونها من الفاظ المبالغة بمعنى كثير الرواية فينبغي ان يكون مراده الصفات الغالبة على آحاد جنسها من حيث القوة والكمال فتكون الغائبة والخافية بمعنى شديد الغيبوبة والخفية وتكون التاء فيهما للدلالة على هذا المعنى كما في الراوية ويحتمل ان لا يكونا صفتين بل يكونا اسمين لما يغيب ويخفى فتكون التاء فيهما كالتي في العافية والعاقبة من حيث كونهما اسمين بنيا على التاء مشبهما ثم انه تعالى لما قص احوال الانبياء مع اممهم وانه دمر من خالفهم وعصاهم وانجى من آمن بهم واطاعهم وقال لكفار مكة على سبيل الالزام والتبكيت آلله

بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بحقيقة ما يقضى فيه وحكمه (فتوكل على الله) ولا تبال بمعاداتهم (انك على الحق المبين) ﴿٤٧٨﴾ وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره (انك لا تسمع الموتى) تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) فان اسماعهم فى هذه الحال ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم الدعاء (وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم) حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وما انت تهدى العمى (ان تسمع) اى ما يجدى اسماعك (الا من يؤمن بآياتنا) من هو فى علم الله كذلك (فهم مسلمون) مخلصون من اسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب (اخرجنا لهم دابة من الارض) وهى الجساسة روى ان طولها ستون ذراعا ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها راب ولا يدركها طالب وروى انه عليه الصلاة والسلام سئل من اين تخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد الحرام (تكلمهم) من الكلام وقيل من الكلم

خبر ام ما تشركون وبين انه خير بتفصيل ما يدل على قدرته الكاملة والائه المتكاثرة فى تفرده بعلم الغيب والشهادة وهدد منكرى البعث بحملهم على النظر فى احوال المكذبين ومانزل بهم بشؤم تكذيبهم قال بعده ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون تحريكا للمشركين على اتباع القرآن فانه لما اشتمل على بيان الحكم والحق فى اكثر ما اختلف فيه اهل الكتاب الذين هم فى زمن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يجدوا مطعنا فى شئ مما قصه وبينه وكان المشركون يرجعون اليهم فى كثير من امورهم وعلموا عجزهم عن الطعن فيه ظهر لهم ان ما فيه من الشرائع واصول القواعد الدينية كالتوحيد والحشر والنبوة وشرح صفات الله تعالى وبيان نعوت جلاله مطابق لما تقتضيه العقول السليمة وموافق لما فى الكتب المتقدمة وذلك يحرك لهم داعية القبول والاتباع فان قيل ان بنى اسرائيل يعلمون بانفسهم ما اختلفوا فيه ولا يحتاجون فى بيانه الى القرآن فالجواب والله اعلم ان المعنى ان هذا القرآن يبين لهم الحكم او يبين لهم الحق فى اكثر ما كانوا يختلفون فيه وقيل ذكر فى مواضع من القرآن ان فيه بيان كل حكم حيث قال ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى فما وجه قوله يبين لهم الحكم فى اكثر ما كانوا يختلفون فيه واجيب بان المراد انه يبين لهم اكثر ما اختلفوا فيه على طريق التنصيص والتصريح ويبين الباقى بطريق الدلالة والاشارة فان البيان ضربان صريح ودلالة (قوله بما يحكم به وهو الحق) جواب عما يقال القضاء والحكم شئ واحد فقوله يقضى بحكمه بمنزلة ان يقال يقضى بقضائه او يحكم بحكمه فما معناه وفائدته وتقرير الجواب ان الحكم بمعنى الحق المحكوم به او بمعنى الحكمة ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (قوله فان اسماعهم فى هذه الحال ابعد) بيان لفائدة التقييد بقوله اذا ولوا مدبرين فان الاصم اذا تولى مدبرا ثم ناديته كان ابعد من الاسماع حيث انضم الى صممه بعد المسافة (قوله وقرأ ابن كثير ولا يسمع) اى بفتح الياء التحتية ورفع الصم على الفاعلية والباقون بالتاء المضمومة وكسر الميم والفاعل الضمير المستكن وبه نصب الصم والدعاء على انهما مفعولاه (قوله تعالى بهادى العمى عن ضلالتهم) اى بمبعدهم عنها بالهدى كما قال سقاه عن العيمة اى ابعده عنها بالسقى والعيمة شهوة اللبن ثم انه تعالى تكلم فيما يتعلق بقيام الساعة فذكر اولا من العلامات التى تقع قبل قيامها دابة الارض فقال واذا وقع القول عليهم واراد بالقول متعلقه وما اوعدوا به وبوقوعه قربه من

(او دنو ع)

اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه (ان الناس كانوا بآياتنا) خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرءآن (لا يوقنون) لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها وحكايتها لقول الله او علة خروجها وتكلمها قرأ الكوفيون ان الناس بالفتح على حذف الجار وغير الكوفيين ان الناس بالكسر (ويوم نحشر من كل امة فوجا) يعني يوم القيمة (ممن يكذب بآياتنا) بيان للفوج اى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين (فهم يوزعون) يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم (حتى اذا جاؤا) الى المحشر (قال اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال اى اكذبتم بها بادى الرأى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اى اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها

الوقوع بحيث يكون في حكم الواقع والجساسة بالجيم المعجمة من يتجسس الحال ويتخير خبرها ويتفحص عنها قيل سميت الدابة جساسة لانها تجس الكافر اى تطلبه والزغب الشعرات الصفر على ريش الفرخ قال في وصفها ان لها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وهو التيس الجبلي وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وروى ان رأسها يبلغ السحاب وما بين قرنيها فرسخ للراكب وروى انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وقيل لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وروى ان لها ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن زمانا ثم تخرج قريبا من مكة ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد على الله حرمة يعني مكة لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد ما بين ركن الحجر الاسود وباب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط ذلك وقيل تخرج من الصفا فلا يخرج الا رأسها وعنقها فيبلغ رأسها السحاب فيراه اهل المشرق والمغرب ثم تعود الى مكانها ثم تزلزل الارض في ذلك اليوم ست ساعات فيبيتون خائفين واذا اصبحوا جاءهم الصريخ ان الدجال قد خرج (قوله اذ قرئ تكلمهم) بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم والجمهور على التشديد وهو من الكلام ويجوز ان يكون من الكلم ايضا ويكون بناء التفعيل للكثرة نحو قطعت كما في غلقت الابواب (قوله وهو حكاية معنى قولها) واعلم انه قرأ الكوفيون أن الناس بفتح الهمزة والباقون بكسرها ووجه القرآءة بالكسر كون الكلام حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول كانه قيل تقول لهم ان الناس او باضمار القول اى تكلمهم وتقول لهم ان الناس او حكاية على تقدير ان يكون تكلمهم من الكلم بمعنى الجرح اى يقع عند ذلك حكاية منها لقول الله تعالى عند خروجها من الارض كانه قيل تحدثهم قول الله تعالى ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ولما ورد ان يقال لو كان الكلام حكاية من الله تعالى لقول الدابة لقيل ان الناس بخروجي وسائر احوالي لا يوقنون دفعه بقوله وهو حكاية معنى قولها لان قوله بآياتنا يمنع كونه نفس قولها فينبغي ان يكون قولها هكذا ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي وسائر احوالي لان تلك الاحوال لما كانت من آيات الله تعالى كان كلامها بمعناه (قوله او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار) اى لان الناس وهو توجيه لقرآءة الكوفيين بفتح الهمزة (قوله ويوم نحشر) منصوب باذكر مقدرا اى واذكر يوم نجمع من كل امة من امم الانبياء زمرة المكذبين بآياتنا المنزلة على انبيائنا وبالآيات الدالة على وحدانيتنا في الانفس والآفاق فيحبس اولهم على آخرهم ليجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب

حتى اذا جاؤا الى ذلك الموضع قال الله تعالى موبخا لهم ومنكرا عليهم اكذبتم بآياتى وهو استفهام توبيخ وانكار (قوله ام اى شئ كنتم تعملون) يريد ان ماذا بمنزلة اسم واحد وهو اى شئ منصوب المحل بتعملون الواقع خبرا عن كنتم ويحتمل ان تكون ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء وذا بمعنى الذى وكنتم تعملون صلة والموصول مع صلته خبر المبتدأ والعائد محذوف والتقدير اى شئ الذى كنتم تعملونه وام منقطعة والاستفهام الذى فى ضمنه للتبكيت والزام الخصم بحمله على ان يقر بالذى سئل عنه اولا على طريق التوبيخ والانكار وبخهم اولا بقوله أكذبتم بآياتى بادى الرأى ثم اضرب عنه الى استفهام تقرير وتبكيت كانه قيل دعوا ما نسبته اليكم من التكذيب وقولوا الى اى شئ كنتم تعملونه غير التكذيب (قوله ووقع القول) عطف على قوله قال أكذبتم بآياتى والقول بمعنى العذاب المقول الموعود للمكذبين وقوله بعد ذلك ظرف فى اقوله حل اى حل بهم العذاب الموعود بعد ان خوطبوا خطاب التوبيخ والتبكيت وكبوا على وجوههم فى النار ثم قال فهم لا ينطقون كما قال فى آية اخرى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فكيف يقدر على النطق والاعتذار من استغرق فى مقاساة عذاب الجحيم وقال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم وقيل لا ينطقون لان افواههم مختومة وقيل لا ينطقون بما يكون لهم حجة او عذرا فى الشرك والتكذيب ولا حجة لهم ولا عذر ثم انه تعالى لما خوفهم باهوال القيامة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة فى الارشاد الى الايمان والمنع عن الكفر فقال اولم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا مضيئا يبصر فيه اما وجه دلالته على التوحيد فما ذكره بقوله لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص الخ واما وجه دلالته على الحشر فما ذكره بقوله وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور الخ واما وجه دلالته على بعثة الرسل فما ذكره بقوله وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم وهو بعثة الرسل (قوله فان اصله ليبصروا فيه) تعليل لكون التقابل مراعى من حيث المعنى فى قوله ليسكنوا ومبصرا وان كان الاول علة لجعل الليل اى خلقه والثانى حالا من النهار من حيث الاعراب ووجه التعليل ان المعنى خلقنا الليل ليكون زمانا لسكون اهله وخلقنا النهار ليكون زمانا لابصارهم الا انه اسند الابصار الى النهار وجعل حالا من احواله اللازمة له مبالغة مثل صائم نهاره ضرورة ان الابصار لا يقوم بنفس النهار وانما يقوم باهله فلما قيل والنهار مبصرا تعين ان المراد ابصار اهله فيه وانما اسند الى نفس النهار

من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك (ووقع القول عليهم) حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار بعد ذلك (بما ظلموا) بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله (فهم لا ينطقون) باعتذار لشغلهم بالعذاب (الم يروا) ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور فى مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة فى مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم فى معاشهم ومعادهم (انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) بالنوم والقرار (والنهار مبصرا) فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) لدلالتها على الامور الثلاثة

للمبالغة فى كونه ظرفا لابصار اهله و يوم ينفخ منصوب باذكر مقدرا و قيل ناصبه متأخر عنه و هو قوله من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار (قوله فى الصور او القرن) يعنى يحتمل ان يكون الصور جمع صورة كالصور يقال صورة وصور وصور كما يقال سورة وسور وسور فحينئذ يكون النفخ فى الصور عبارة عن نفخ الارواح فى صور الخلائق واجسادهم ويحتمل ان يكون الصور عبارة عن شئ يشبه القرن وان اسرافيل ينفخ فيه باذن الله فاذا سمع الناس ذلك الصوت وهو فى الشدة بحيث لا تحتمله طبيعتهم يفزعون عنده و يصعقون و يموتون والى هذا القول ذهب اكثر المفسرين و يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام كيف وصاحب الصور قد التقم القرن وحنا جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ * روى عنه عليه الصلاة والسلام انه سئل عن الصور فقال هو قرن وان عظم دائرته اى فمه مثل مابين السماء والارض فينفخ فيه نفخة فيفزع الخلق فينفخ نفخة اخرى فيموت اهل السموات والارض فاذا كان وقت النفخة الثانية جمعت الارواح كلها فى الصور ثم ينفخ الاخرى فتخرج الارواح كلها منه كالنحل والزنابير و يأتى كل روح الى جسده وتمسك به من قال النفخ ثلاث احداها للفزع وهو قوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض ونفخة اخرى للموت وهو قوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض ونفخة ثالثة للبعث وهو قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال بعضهم انما هى نفختان فالفزع والصعق كنايتان عن الهلاك والنفخة الثانية للبعث قال ابن عباس ومقاتل فى قوله تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض اى ماتوا بشدة الخوف وفى قوله فصعق من فى السموات الآية اى يبلغ منهم الفزع الى ان يموتوا ويحتمل ان لا يكون هناك قرن فضلا عن ان ينفخ فيه حقيقة و يكون ذكر النفخ فيه مستعار المسارعة الموتى الى الانبعاث من قبورهم عند سماع صوت الداعى تشبيها لانبعاثهم بمجرد سماع صوت الداعى بانبعاث الجيش عند سماع صوت الآلة من غير توقف ولا تخلف احد منهم (قوله حاضرون الموقف) اختار قراءة آتوه على لفظ اسم الفاعل المضاف الى مفعوله فان حمزة وحفصا قرآ اتوه فعلا ماضيا والهاء فى محل النصب على المفعولية والباقون آتوه باسم فاعل مضاف الى الهاء (قوله ثابتة فى مكانها) يقال جمد فى مكانه اذا لم يبرح وقوله تحسبها جامدة جملة حالية من فاعل ترى اومفعوله لان الرؤية بصرية وقوله وهى تمر جملة حالية من مفعول تحسبها جامدة والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة الاولى ظننتها ثابتة

(ويوم ينفخ فى الصور) فى الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ فى البوق (ففزع من فى السموات و من فى الارض) من الهول وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه (الا من شاء الله) ان لا يفزع بان ثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام لانه صعق مرة ولعل المراد مايعم ذلك (وكل آتوه) حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية اوراجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ أتاه على توحيد لفظ الكل (داخرين) صاغرين وقرئ دخرين (وترى الجبال تحسبها جامدة) ثابتة فى مكانها (وهى تمر مر السحاب) فى السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذ تحركت فى سمت واحد فلا تكاد تبين حركتها (صنع الله)

في مكانها جد العظمتها لان النظر لا يحيط بها وهي في الحقيقة تسير سيرا سريعا
كالسحاب اذا ضربتها الريح فان الاجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة
على نهج واحد في السمت والكيفية يظن من نظر اليها انها واقفة الا ترى السماء
لا تحس حركتها قال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا
اى يقلعها عن اماكنها ويسيرها كما يسير السحاب بالريح حتى تقع على الارض
فتستوى بها (قوله مصدر مؤكد لنفسه) يعني ان قوله صنع الله مفعول
مطلق وجب حذف عامله لكونه تأكيد المضمون الجملة المتقدمة التي لا تحتمل انها
غيره فان قوله وهي تمر مر السحاب بل جميع ما تقدم من نفخ الصور المؤدي الى
الفزع العام وحضور الكل الموقف وما فعل بالجبال انما هو من صنع الله تعالى
لا يحتمل له غيره فلما كان هذا المصدر تأكيدا لمضمون تلك الجملة ولم يكن لها محتمل
غيره صار كأنه مؤكد لنفسه ووجب حذف ناصبه لكون الجملة المتقدمة كالنائب
عنه والاصل صنع ذلك صنعا فلما حذف عامله اضيف المصدر الى فاعله لانه
لم يذكر في الجملة المقدمة وهذا التقدير يقتضي ان تعالى وهو مضمون الجملة
المقدمة بدون اللام الجارة والمعنى وذلك المؤكد بهذا المصدر هو مضمون الجملة
كما وجد في بعض النسخ الا ان الموجود في اكثر النسخ وهو لمضمون الجملة باللام
فالمعنى على هذا انه مصدر مؤكد لنفسه الذي هو الحدث المدلول عليه بلفظ عامله
المحذوف وهذا المؤكد مع مؤكده المحذوف مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة (قوله
وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها) فيكون خير صفة بمعنى شيء فاضل
مرغوب فيه وتكون من متعلقة بمقدر وهي مع متعلقها المقدر في محل رفع صفة
لخير وعلى الاول يكون خير اسم تفضيل بمعنى الافضل ومن متعلقة به ولم يرتض
المصنف بهذا الوجه لان المتبادر من لفظ الخير كونه للتفضيل ويكون كلمة
من الواقعة بعده صلة له لا لمقدر ومن ذهب الى هذا التوجيه انما ذهب اليه دفعا
لما يقال من ان الحسنة التي جاء بها العبد تناول معرفة الله تعالى والاخلاص
في الطاعات والثواب الذي هو الجنة انما هو الاكل والشرب فكيف يجوز
ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله تعالى ولما حمل معنى الآية من جاء
بالحسنات في الدنيا فله في الآخرة ثواب وخيرية له من اجل ما جاء به من تلك
الحسنات لم يرد ذلك والمصنف اختار ان يحمل الآية على ما هو المتبادر منها
وجعل ثواب الآخرة خيرا من الحسنات التي جاء بها العبد في الدنيا لان اجل
حسناته هي معرفة الله تعالى واخلاص العمل له لان المعرفة الضرورية الحاصلة
في الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم اجل واشرف من المعرفة النظرية

(الحاصلة)

مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله (الذي أتقن كل شيء) احكم خلقه وسواه على ما ينبغي (انه خبير بما يفعلون) عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال (من جاء بالحسنة فله خير منها) اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها وهو الجنة قرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء (وهم من فزع يومئذ آمنون)

الحاصلة في الدنيا وان ما جاء به من الاعمال الخالصة فانية مشوبة بانواع التقصير واقعة بانواع المشقة ومخالفة الهوى وافعال اهل الجنة سالمة من اللغو والاثم صافية عن كدر المشقة والتكلف وشانهم حال استغراقهم فيما يشتهون من اللذائذ مشاهدة جمال من انعم بها وتمجيد عظيم شانه وعلو كبريائه والانس بتقديسه وتمجيده طبعا والتلذذ الا فرضا وتكليفا وليس حالهم كحال المتنعمين في الدنيا من الاشتغال بالنعمة عن المنعم فاى مناسبة بين احوالهم في الجنة واحوالهم في الدنيا (قوله يعني به خوف عذاب يوم القيامة) اشارة الى دفع التدافع بين قوله ففزع من في السموات ومن في الارض وبين قوله وهم من فزع يومئذ آمنون فان من قرأ من فزع يومئذ بالاضافة يحمل الفزع على الفزع المخصوص بذلك اليوم وهو فزع العذاب الاليم والعقاب الدائم واهل الجنة آمنون منه واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم على ما عليه الجبلة البشرية فانه يعم الكافر والمؤمن وتنوين يومئذ عوض عن المضاف اليه فان اذ تضاف الى الجملة وقد حذفت ههنا وعوض عنها التنوين واشار المصنف بقوله يعني به خوف عذاب يوم القيامة الى انه اختار قراءة من قرأ باضافة فزع الى يوم وان الجملة التي اضيف اليها اذ في الاصل هي قامت القيامة والاصل يوم اذ قامت القيامة وهو احسن من ان يجعل التقدير يوم اذ جاء بالحسنة او يوم اذ ترى الجبال او يوم اذ ينفخ في الصور (قوله وقرأ الكوفيون بالتنوين) الافراد والتعظيم وقرأ الآخرون بالاضافة وعلى قراءة التنوين يكون يومئذ منصوبا بمصدر لكونه [illegible] مع الفعل تقديره وهم من ان يفزعوا يومئذ او بآمنون اى آمنون يومئذ وعلى الاضافة يكون يومئذ مبنيا على الفتح لكونه مضافا الى اذ وهو غير متمكن (قوله وامن يعدى بالجار) كما في هذه الآية فان من فيها صلة آمنون (قوله فكبوا فيها) لان ما يكب ويلقى في النار ليس وجوههم وحدها الا انه اسند الكب اليها ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين ووجه الايذان انه لما كان ذكر الوجوه ومن المعلوم انه لا يمكن القاء الوجوه في النار مع كونها مجاورة لما عداها علم ان الوجوه اصل في ذلك وانها [illegible] وان ما وراءها تابع لها (قوله وقرئ التي حرمها) صفة للبلدة وقرأ الجمهور الذى صفة للرب عز وجل والكلام مسوق لتعظيم الرب تعالى [illegible] كانت قراءة العامة وصفة والمعنى جعلها الله تعالى [illegible]

وامن يعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها (ومن جاء بالسيئة) قيل بالشرك (فكبت وجوههم في النار) فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما عبر بها بالايدى في قوله ولا تلقوا بأيديكم (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) على الالتفات او باضمار القول اى قيل لهم ذلك (انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها) امر الرسول ان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها [illegible]

ان اكون من المسلمين) المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام (وان اتلوا [illegible])

وان اوظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه فى تلاوته شيأ فشيأ او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل (فمن اهتدى) باتباعه اياى فى ذلك (فانما يهتدى لنفسه) فان منافعه عائدة اليه (ومن ضل بمخالفتى فقل انما انا من المنذرين) فلا على من وبال ضلاله شئ اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت (وقل الحمد لله) على نعمة النبوة او على ما علمنى ووفقنى للعمل به (سيريكم آياته) القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او فى الآخرة (فتعرفونها) فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة (وماربك بغافل عما تعملون) فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالياء * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب و يخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

فيها احد ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد اشجارها واللاجى اليها آمن والخلا بالقصر النبات ما دام رطبا فاذا يبس فهو حشيش ومعنى لا يعضد لا يقطع (قوله وان اواظب على تلاوته) على ان يكون اتلو من التلاوة وهى القرآءة ثم جوز كونه من التلو وهو الاتباع لاوامره ونواهيه كما قال واتبع ما يوحى اليك (قوله وقرئ واتل عليهم) اى هذا القرآن امر له عليه الصلاة والسلام بتلاوته على اهل مكة وهو معطوف على الامر المقدر قبل قوله انما امرت فان تقديره قل للمشركين امرت ان اخص الله تعالى وحده بالعبادة وقد اشار اليه المصنف بقوله امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان يقول لهم ذلك وان قرئ وان اتل يكون على حكاية لفظ الامر وان يجوز ان تكون مصدرية موصولة بالامر وان تكون مفسرة كما يقال امرته ان قم والحمد لله * تمت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دآئما الى يوم الدين

م م
م

وكان تمام طبع هذه اللاحقة خمسة عشرة ليلة خلت من رجب سنة تسع وتسعين ومائتين بعد الالف من هجرته صلى الله تعالى عليه وسلم * وعلى آله الاصفياء * واصحابه الاتقياء * ما كمل بدر تمام * وفاح مسك ختام
آمين